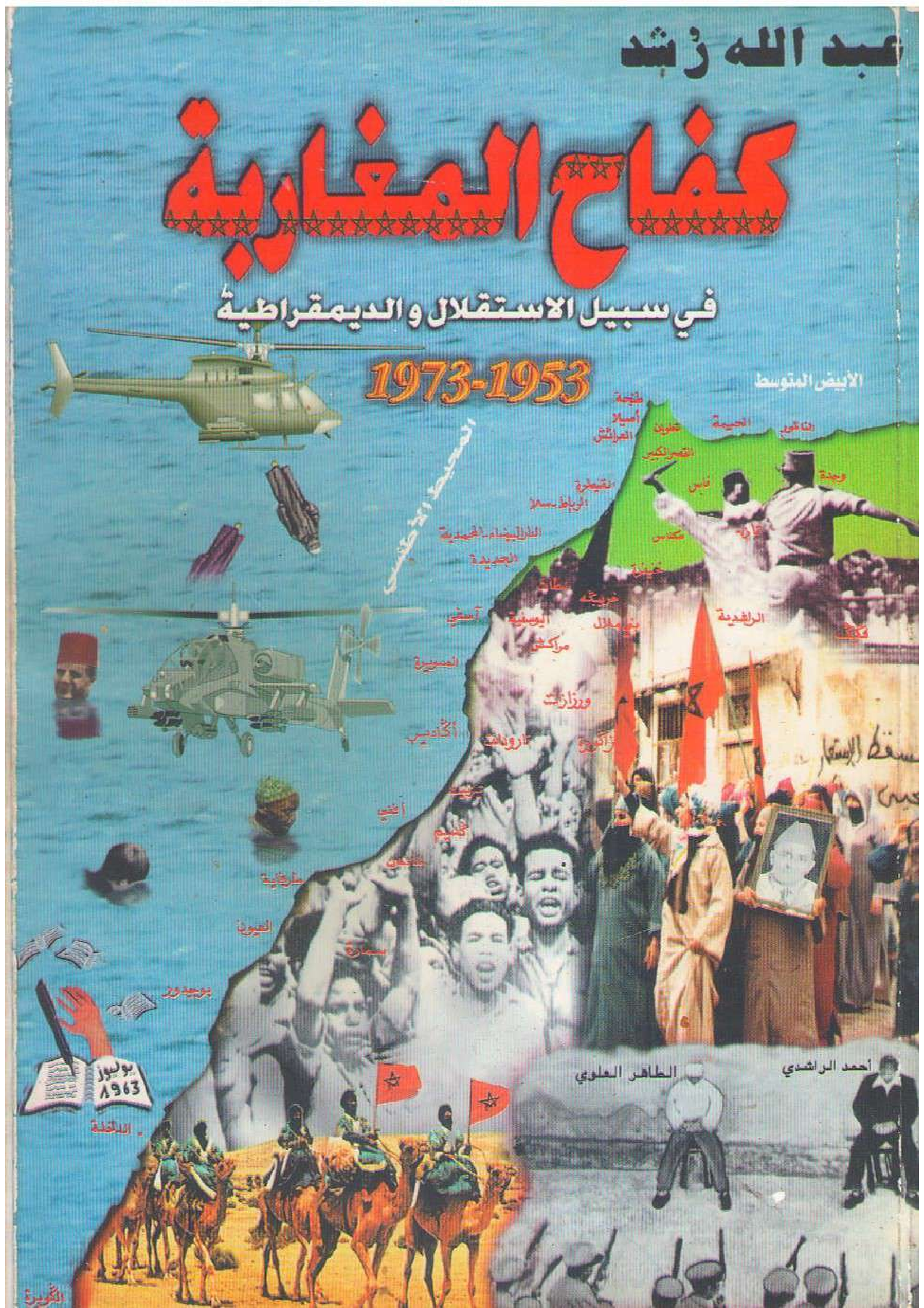

عبد الله رُشد
كفاح المغاربة
في سبيل الاستقلال و الديمقراطية
1953-1973
الأبيض المتوسط
طنجة
أصيلا
العرائش
تطوان
الحسيمة
الناظور
القصر الكبير
وجدة
فاس
مكناس
الرباط-سلا
الدار البيضاء-المحمدية
الجديدة
آسفي
مراكش
الراشدية
الصويرة
ورزازات
أكادير
تارودانت
أفني
العيون
السمارة
بوجدور
الداخلة
الكويرة
أحمد الراشدي
الطاهر العلوي
يوليوز
1963

عبدالله رشد

- مزداد في مراكش سنة 1942.
- التعليم الابتدائي والثانوي بمراكش.
- درس الصحافة في المعهد العالي للإعلام. برلين-ألمانيا.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من جامعة الدولة (لومونوسوف). موسكو-روسيا.
- عمل محررا بالأسبوعية «الطليعة» (1957-1959) ومعلقا في اليومية «التحرير» (1959-1963) بالإسم المستعار «ولد جامع الفنا».
- رئيس تحرير جريدة «المحرر» (1965-1966).
- عضو هيئة تحرير المجلة الدولية «الصحفي الديموقراطي» (1968-1970) التي كانت تصدرها المنظمة العالمية للصحفيين (O.I.J) في مدينة براغ-تشيكوسلوفاكيا.
- مراسل صحفي في الجزائر، برلين وموسكو.
- معلق رياضي في جريدة «الاتحاد الإشتراكي» (1992-2002) بتوقيع (م.يرموك).
- نشر عدة دراسات تاريخية واجتماعية في صحف وطنية وأجنبية.

صدر له:

1- ميلاد الطبقة العاملة المغربية، الدارالبيضاء (1962).
2- تاريخ الرياضة بالمغرب، الطبعة الثالثة، الدارالبيضاء (1998).
3- كفاح المغاربة في سبيل الإستقلال والديمقراطية (1953-1973)، الدارالبيضاء (2004).

كتب جاهزة للطبع:

1- الصراع بين الحركة الوطنية والإستعمار (1930-1952).
2- الأحزاب السياسية الأوربية وحرب الريف (1921-1926).
3- دور الفلاحين المغاربة في مقاومة الإستعمار الفرنسي والإسباني (1907-1934).
4- التقاليد الإجتماعية بالمغرب (دراسة نقدية).

عبدالله رُشد

كفاح المغاربة

في سبيل الإستقلال والديمقراطية
1973-1953

دراسة نقدية تاريخية

كفاح المغاربة في سبيل الإستقلال والديمقراطية 1953-1973.

الطبعة الأولى: 2003.

رقم الإيداع القانوني 2003/0009.

تنبيه إلى القارئ الكريم

هذا الكتاب كان في الأصل أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. إلا أن الانقلاب الراسمالي الذي عصف بكل شيء في الإتحاد السوفياتي جعل رسوم التسجيل – الذي كان مجانيا في جامعة موسكو – ترتفع بسرعة الصاروخ، بينما ظل رصيدي البنكي جامدا تحت الصفر جمود الصقيع في أعماق سيبيريا.

وحينما يئست من الحصول على المنحة الدراسية، وضعت على الرف عملا تطلب مني إنجازه بضع سنوات. وفي بداية العام الحالي بادر عدد من قدماء المقاومين وبعض المثقفين المناضلين إلى التطوع لجمع مصاريف الطبع وذلك بتنظيم إكتتاب ساهم فيه المدافعون عن الذاكرة الشعبية. والحقيقة أنه لولا تلك المبادرة، التي تشبه إلى حد ما نوعا من التسول، ما كان لهذا البحث أن يصل إلى يد القارئ.

وللمزيد من التوضيح أورد التفاصيل في الأرقام التالية:

عدد النسخ المطبوعة:.............................. 3000 نسخة

الرقن، الصور، الغلاف، الإخراج الفني:.. 15000 درهم

تصوير صفحات الكتاب (فلاشاج):.............. 514 صفحة x 20 درهم تساوي...... 10280 درهم

الطباعة:.. 25 درهم للنسخة x 3000 تساوي... 75000 درهم

عمولة شركة التوزيع:............................ 40٪ (في المائة) تساوي............... 60000 درهم

مجموع المصاريف:... 160280 درهم

مدخول المبيعات (50 درهم للنسخة):........... 50 x 3000 تساوي.................... 150000 درهم (في حالة نفاذ جميع النسخ)

الخسارة:.. 10280 درهم

وهكذا تَعْكِسُ الأرقامُ أعلاه محنةَ الفكر المستقلِ في بلد تطغى على معظم سكانه الأمية الأبجدية والسياسية ويعتبر فيه الرأي المخالف صوتا مشاغبا والثقافة الملتزمة تطرفا إيديولوجيا.

الإهداء:

إِلَى الشهَدَاءِ الذِينَ ضَحَّوا بِأَغْلَى مَا يَمْلِكُونَهُ فِي الْوُجُودِ
فِدَاءً لِلإسْتِقْلالِ الْوَطَنِي.

إِلَى أَرْوَاحِ ضَحَايَا مَعْرَكَةِ الديمُقَراطِيَةِ
وَحُقُوقِ الإنْسَانِ التِي أَزْهَقَهَا الحُكْمُ الإسْتِبْدَادِي.

إِلَيْكُمْ يَا أَبْنَاءَ وَأَحْفَادَ الْعُمَلاءِ وَالْخُوَنَةِ فِي زَمنِ الإسْتِعْمَارِ، وَيَا أَوْلاد الجْلادِين سَفَّاكِي الدِّمَاءِ فِي عَهْدِ الإسْتِقْلالِ: عَسَى أَنْ تَسْتَيْقِظَ ضَمَائِرُكُمْ وَتُكَفِّرُوا عَنِ الجْرَائِمِ التِي اقْتَرَفَهَا أَجْدَادُكُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي حَقِ الْمُكَافِحِينَ فِي سَبِيلِ حُرِيَةِ وَكَرَامَةِ الشعْب.

مقدمة

فضح التزوير واجب ضروري

ما يزال تاريخ الأحداث التي تمخض عنها الوضع السياسي الراهن مجهولا بالنسبة لثلاثة أرباع المغاربة المزدادين بعد حصول البلاد على الاستقلال عام 1956. فالوثائق الفرنسية والإسبانية المتعلقة بحرب التحرير في سنوات 1953-1960 ممنوعة من التداول. والمغربية الخاصة بعمليات جيش التحرير في الصحراء وما واكبها من تصفيات جسدية تبقى مطمورة، والأطراف الثلاثة لا تريد، وليس من مصلحتها، رفع الحجز عن الوثائق وكشف الغطاء عن المرتكزات التي قام عليها الاستعمار الجديد.

وقد شمل التعتيم أيضا الأخبار المنشورة في الصحف والمجلات الصادرة في ذلك الزمان. وامتدت الأيدي إلى المجموعة الموجودة في المكتبة الوطنية بالرباط لتعبث بمحتوياتها وتعمل المقص في المواقف السياسية التي تفضح أصحابها ولا تشرف أبناءهم وأحفادهم، وهي محاولة يائسة لإلغاء الماضي الذي يشهد على الخيانة ومسحه من ذاكرة الأجيال الصاعدة والحيلولة دون تشكل وعي تاريخي صحيح.

ومن الأمثلة على ذلك المصير الذي آلت إليه الفتوى التي أصدرها بعض العلماء بطلب من الإدارة الاستعمارية، واعتبروا فيها الفدائيين مجرمين وأجازوا إعدامهم باسم الإسلام.(1)

ولا يقل موقف أغلبية الأعيان وكبار التجار في الدار البيضاء شناعة حينما نعتوا المقاومين بالإرهابيين الخارجين عن الدين الإسلامي.(2)

واختفت جريدة "الأنباء المصورة" les actualités التي كانت عبارة عن شريط إخباري يعرض النشاط الأسبوعي لسلطة الحماية في قاعات السينما، ويحمل شهادات ناطقة بالصوت والصورة تظهر أقزاما كانوا يتمسحون بأحذية الاستعمار، وفي عهد الاستقلال أصبحوا من أهل الجاه والنفوذ.

ويجسد مصير الفيلم الذي أنجزه المخرج الفرنسي ريشار شوني "Richard chenay" في صيف 1957 أحد أبشع نماذج التخريب، فقد كان

1- الفتوى هي "إخبار بحكم شرعي بدون إلزام" وهي "جواب عما يشكل من المسائل الشرعية أو القانونية".

2- في المجتمع المتخلف تجعل كل جماعة من الدين سلاحا سهلا في الصراعات السياسية والاقتصادية والعقائدية لتكفير المخالفين لها بتهمة الخروج عن الدين.

صورة معبرة عن حماس منقطع النظير للشباب المغربي أثناء تشييد طريق الوحدة التي ربطت الشمال بالجنوب وأنهت مرحلة التقسيم الاستعماري الإسباني والفرنسي للبلاد.

وفي الستينات تعرض الشريط الوثائقي للبتر والإتلاف بشكل متعمد، ولقي نهايته الشنيعة لأنه كان يظهر جنبا إلى جنب الملك الوطني محمد الخامس والمهدي بن بركة المشرف الفعلي على بناء طريق الوحدة (3) وزيادة على الإتلاف والتخريب تفاقمت ظاهرة تزوير الحقائق من طرف المحترفين السياسيين وممثلي الحكم على السواء.

فأحد مسؤولي حزب الاستقلال ادعى أنه كان مكلفا بتهييئ المحفوظات التقنية والعلمية لصناعة القنابل بصفته مهندس في المناجم(4). وخصص بوطالب من قادة حزب الشورى والاستقلال خمس صفحات للحديث عن المقاومة المسلحة من مجموع 612 صفحة تضمنها الجزء الثاني من ذكرياته، وزعم بطريقة ملتوية أنه خاض غمار المقاومة المسلحة، وكان من السياسيين الذين تمتعوا بحريتهم إبان الأزمة ولم يشمله الاعتقال ولا المتابعة.(5)

واضحى تاريخ المقاومة موضوعا للتنكيت الساخر بقلم أحد أعضاء حزب الإصلاح الوطني الذي روى أن الرسائل السرية كانت تنقل من طنجة الخاضعة للنظام الدولي إلى منطقة النفوذ الاسباني وهي مخفية في آذان الحمير.(6)

وفقد التوثيق صفة الوثوق فيما نشرته جريدة "العلم" الناطقة باسم حزب الاستقلال في شكل مذكرات نسبتها إلى المقاوم عبد السلام بناني المتوفى سنة 1975. ومن جملة ما ورد فيها أنه وضع في غشت 1953قنابل في المسجد بمراكش أدى انفجارها إلى إصابة السلطان بجراح (7) والحقيقة أن الإنفجار وقع يوم 5مارس 1954وحينذاك كان بناني في السجن. وقد اعتقل مع أعضاء منظمة اليد السوداء في شهر سبتمبر 1953. وبرأ القاضي العسكري ساحته يوم 5 يونيو 1954 لعدم توفر الأدلة ضده (8) إلا أن الشرطة ألقت عليه القبض في باب المحكمة وظل رهن الاعتقال سبعة أشهر قبل تقديمه للمحاكمة مع

3- المهدي بن بركة من قادة اليسار المغربي صدر عليه سنة 1963الحكم بالإعدام غيابيا، وتبعه حكم آخر بالإعدام يوم 14مارس 1964، واختطف في باريس يوم 29-10-1965، وتورط في الجريمة كبار المسؤولين في الحكومة المغربية وأعضاء في الشرطة الفرنسية وفي المخابرات الإسرائيلية.

4- امحمد الدويري : جريدة العلم 22غشت 1978.

5- عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الشركة السعودية للأبحاث والنشر ج2 ص 536الرباط 1992.

6- المهدي بنونة، السنوات الحرجة، منشورات الشرق الأوسط ص 114، الرباط. 1989.

7- جريدة العلم 13و 27دجنبر 1987و10-1-1988.

8- Le Petit marocain 7-6-1954.

جماعة منصور يوم 23يناير 1955، وصدر عليه الحكم بعشرين سنة سجنا.

وحملت تلك المذكرات مجموعة من الهفوات اضطرت الجريدة إلى التوقف عن نشرها بسبب تصاعد الاحتجاجات من طرف أعضاء حزب الاستقلال المشاركين في المقاومة. وألقى بعضهم بمسؤولية التحريف على بناني نفسه بينما رجح آخرون أن تكون يد أخرى ساهمت في تشويه المذكرات. واعترف عبد الكبير الفاسي بأنه لم يطلع على نصها واكتفى بتحرير مقدمتها نزولا عند طلب أقرباء بناني معتمدا على علاقة الصداقة التي كانت تجمعهما أيام الكفاح الوطني.(9)

ومن جانبه ادعى بن سعيد أنه انخرط، بعد أحداث دجنبر 1952في المنظمة السرية بمدينة أكادير، وهذا الاسم لم يظهر إلى الوجود إلا في عام 1954، وحينذاك كان بن سعيد لاجئا في سيدي إيفني بمنطقة النفوذ الإسباني. وتجرأ على القول أنه شارك **"في المعارك ضد القوات الفرنسية والاسبانية"** في الصحراء والحقيقة أنه لم يغادر مدينة كلميم الواقعة داخل المغرب المستقل حيث كانت مهمته تنحصر في صرف النفقات المالية الخاصة بجيش التحرير.(10)

وبشكل عام فإن المذكرات الشخصية رغم محدوديتها ترسم الوقائع من جانب واحد، منها الغارقة في التعصب الحزبي الضيق، ومنها السابحة في بحر النزعة الأنانية.

وشهدت الستينات والسبعينات من القرن الماضي محاولات لطمس القيم التي تمثلها روح المقاومة في ضمائر الناس، وشمل القتل عددا من خيرة أبناء المغرب، وتم الزج بالمئات في السجون ووجد العشرات أنفسهم مشردين خارج حدود الوطن، وتوقف الباحثون الملتزمون عن تدوين نضال الجماهير، وقام السفاح الجنرال أوفقير بخلط الأوراق كلها بإقدامه على دمج قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي في قدماء المقاومين من أجل الاستقلال، وحشرهم في جمعية واحدة يتحكم فيها ضباط من طينته تخرجوا من مدارس الاحتلال.

وتمكن الحكم من تفكيك حركة المقاومة من الداخل، واشترى حفنة من المقاومين المعروفين بعد أن أغدق عليهم امتيازات مثل الضيعات الفلاحية ورخص النقل العمومي والصيد البحري والحق في استيراد بعض المواد الأساسية مثل السكر والشاي، وترك لهم حرية الاتجار في **"بطاقة مقاوم"** يمنحونها لمن يدفع أكثر، لأنها كانت بمثابة مفتاح لرد الاعتبار للخونة الماكرين ووسيلة للحصول على الثروة، وكان من بين الذين توصلوا بها عدد من الجواسيس وتجار المخدرات وكثير من الوصوليين والإنتهازيين. واندفع المقاومون الحقيقيون والمزيفون للتصريح بإصابتهم بأعطاب أثناء المقاومة وتلقوا

9- حديث مع الغالي العراقي، في 15مارس 1988بالدار البيضاء.

10- محمد بن سعيد أيت يدر صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي، الدار البيضاء 2001.

تعويضات مالية عن إصابات وهمية بشهادات طبية كاذبة كانت السلطة تتغاضى عنها. (11)

وبلغ عدد حاملي البطاقة السحرية في الثمانينات أزيد من سبعين ألف شخص بينما حدد الإحصاء الأول سنة 1958 عدد المقاومين في أربعة عشر ألف في مجموع المغرب. (12)

ومن جهة أخرى تكلفت "مندوبية المقاومة" التي تحظى بتموين الدولة بتزييف الحقائق وباشرت مهمتها على واجهتين :

الأولى تتلخص في تلبية بعض المطالب المادية للمقاومين وأسر الشهداء وفرض الوصاية السياسية عليهم، والثانية تكمن في تركيز التفسير الرسمي للتاريخ وتهميش كفاح الجماهير والإبقاء عليها بدون ذاكرة.

بدأ المخطط في شكل عمل توثيقي بتجميع أخبار المقاومة المنشورة في الصحف الاستعمارية الناطقة بالفرنسية والعربية الصادرة في سنوات 1953-1956 وإعادة نشرها في كتيبات بأخطائها بدون تدقيق ولا تمحيص وبتوجيهها الاستعماري، وكانت مصدرا غير سليم للطلبة الذين أنجزوا أعمالهم على أساسها.

ولتوضيح الرؤية لابد من تقديم نماذج عن بعض المغالطات التي تعج بها تلك الإصدارات، وسيجد القارئ تصحيحا لبعضها الآخر في مواضع مختلفة من فصول هذا الكتاب.

حمل خبر انفجار **"قنبلة موقوتة"** في قصر الباهية بحضور الجنرال "كيوم" خطئين، الأول في تحديد نوع القنبلة والثاني في مكان الانفجار. واضطرت الصحف الفرنسية إلى تصحيح معلوماتها في اليوم الموالي. لكن المترجم لم ينتبه إلى التصويب واحتفظ بالرواية المغلوطة ونقلها عنه عدد من الطلبة والباحثين. (13)

خبر آخر جاء بتفاصيل خاطئة عن معركة خيالية جرت بين حراس بونيفاس رئيس ناحية الدار البيضاء والمقاومين (14) واعتمادا على الخبر المحادي للصواب أبدع أحد الكتاب في وصف "المعركة" التي لم تقع، وأضفى

11- بدلا من أن يمنح الحكم للمقاومين حقوقهم بشكل قانوني، فتح لهم باب التزوير والإدلاء بشهادات طبية كاذبة ليمرغ سمعتهم في الوحل. وقد رفض عدد قليل من المقاومين الحقيقيين الإمتيازات وحتى (بطاقة مقاوم)، ومن بينهم الفقيه محمد البصري، محمد منصور، عبدالسلام الجبلي، محمد سكوري، محمد عبروق، الحسين أطراغا، محمد المذكوري، مصطفى محروس، أحمد الدكالي الرقيق، سالم محمد الشقيري، عمر النعيمي، احمد ماريو، عبدالكبير الكزار، الحاج الغزالي، المكي الشفناج، المعتصم بوعزة، أحمد العبدي، إلخ.....

12- هذا الرقم لا يتضمن أعضاء جيش التحرير.

13-سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الوثيقة الثانية 1984، ص 108 .

14-م.س. الوثيقة الثالثة 1985ص 56 .

عليها من خياله ما جعلها تبدو وكأنها ملحمة عظيمة. (15)
وفي الملفات الخاصة بالشهداء وردت أخطاء عديدة، منها أن أحمد أقلا استشهد يوم 20غشت 1953، والحقيقة أن استشهاده كان يوم 5مارس 1954 بعد إلقاءه قنبلة يدوية على إلسلطان بن عرفة داخل مسجد بريمة بمراكش.
ونفس المرجع يقول بأن عبد الرحمان الصحراوي سقط في مواجهة مع رجال الدرك الفرنسيين. (16) والصحيح هو أنه تجرع السم قبل إلقاء القبض عليه ولم يكن مسلحا.
وجاء أن الشهيد رحال بن أحمد كان ينتمي إلى جماعة الفطواكي، والواقع أنه ألقي عليه القبض في مظاهرة مراكش الدامية يوم 15غشت 1953، أي قبل تأسيس جماعة الفطواكي بمدة طويلة. وحتى الصورة الموجودة بملفه ليست صورته. (17)
وفي مكان آخر ورد أن السيدة غظفة بنت المدني قتلتها الشرطة الفرنسية يوم 28يناير 1956بالدار البيضاء، في حين أنها قتلت هي وزوجها المقاوم عبد الرحمان بلمخنت من طرف مقاومين آخرين في تصفية الحسابات. (18)
وكانت الندوات حول تاريخ المقاومة التي نظمتها "مندوبية المقاومة" بمشاركة موظفين في سلك التعليم تتسم بالسطحية والتأويلات المتضاربة. ومهما كانت نوايا أقلية من الأساتذة حسنة، فإن أغلبهم قدموا عروضا هزيلة نتيجة لضحالة المعلومات أو الافتقار إلى النزاهة الفكرية.
فأحدهم صنف المغاربة في الخمسينات إلى مقاومين وعملاء وغير مبالين. وطرح السؤال التالي : "هل رجال الفيئة الأولى (المقاومون) كانوا وحدهم يحبون الوطن ؟" ولم يتردد في إعطاء الجواب : **"في الواقع جميع المغاربة يكنون حبا لوطنهم** (19) وبهذا الاستدلال المفرط في التبسيط يتساوى الوطني والخائن في حب الوطن. إلا أنه يستدرك في محاولة لتبرير المتخاذلين قائلا : **"إن حب الوطن يحتاج إلى خصلة نادرة... تحظى بها فئة قليلة من البشر... وهي الشجاعة"**. (20)
وزعم آخر إن المقاومة **"شارك فيها الشعب المغربي بسائر فئاته"** (21)
وكلام كهذا يخفي الدور المشين الذي قام به المثقفون الخونة والعملاء والإقطاعيون وكبار التجار الموالين للاستعمار.

15- قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أكدال، الرباط، 1984، ص197.
16- ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال، الجزء الأول ص 8.
17-رقم الملف 620-405وكذلك الملف 495-524.
18- ملخصات م.س. ج 3ص 193وفي الصفحة 213يعطي رواية آخرى عن موتها.
19- بوشامة الحسين انعكاسات العمل الوطني على رجال الحركة الوطنية وعلى محيطهم ندوة جامعة ابن زهر، أكادير نوفمبر 1991الرباط 1997ص 285.
20- نفس المصدر والصفحة.
21- محمد رزوق حول منهجية كتابة المقاومة، ندوة دكالة وتاريخ المقاومة، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة يبراير 1994ص.56

وطغى على تلك الندوات أسلوب التكرار إذ كان المحاضر يواصل طوافه السياحي من مدينة إلى أخرى على حساب ضرائب الشعب ليقرأ نفس الورقة ويتقاضى عنها أجرة معلومة في ندوات مختلفة، وتحول التاريخ إلى مادة للارتزاق والتزلف إلى السلطة.

وفي السنوات الأخيرة ظهرت مقالات صحفية بالعربية والفرنسية حاولت بعض الأقلام من خلالها أن تنبش فيما جرى من تطاحن دموي بين تنظيمات المقاومة، ونظرا لإنعدام الحجج المقنعة، فإن الاستنتاجات لم تسفر سوى عن التجريح وتأجيج أحقاد الماضي.

وعلى النقيض من ذلك أسدلت شهادات شفوية على بعض رموز المقاومة رداء القداسة، وكاد الإفراط في التبجيل والتمجيد أن يجردهم من طبيعتهم البشرية.

لقد تجلت الصدامات العنيفة، فردية كانت أو جماعية في الصراع بين الذين كافحوا من أجل الحرية وبين الذين سرقوا مكاسب الاستقلال.

فالناطقون باسم الجماهير الفقيرة استنفذوا جميع وسائلهم دفاعا عن النفس أمام حكم عنيد حشد كل طاقاته المادية والقمعية والنفسية لسحق المطالبين بالعدالة والديموقراطية.

وانغمس المجتمع المغربي طيلة ربع قرن في جحيم التعذيب والتقتيل اهتزت لهوله الضمائر والمشاعر الإنسانية ولو بشكل متأخر، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في فصل لاحق.

والعمل الذي بين أيدي القارئ لا يسعى إلى تبرير أخطاء المعارضة اليسارية ولا السكوت عن تجاوزات الحكام المستبدين. وإنما يهدف إلى إخضاع المعطيات التاريخية الملموسة للنقد والمصارحة. والتعاطي مع أحداث الماضي بنظرة موضوعية تساعد الجيل الجديد على فهم مسببات الأوضاع المزرية التي يئن تحت وطأتها ومن حقه أن يعرف الحقائق المحجوبة عنه ويطالب بتغيير حاضر لا يد له في صنعه.

لم يعد هناك مجال لتكميم الأفواه بدعوى الإساءة إلى سمعة البلاد وخدمة الأعداء والدعاية الأجنبية وهي اتهامات غالبا ما تصدر عن العملاء الحقيقيين للرأسمالية الاستعمارية. فالاستعمار في حد ذاته لم يمت، إنه يتحكم في حياتنا اليومية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. لقد نزع عن رأسه الخوذة وترك البندقية والدبابة جانبا، وشهر سلاح الاستغلال تحت غطاء "العولمة" والشراكة والتحديث واسترجع ما فقده باسم "الخوصصة" بمساعدة مغاربة بعضهم يدعون الانتساب إلى اليسار وأظهروا حماسا زائدا في تفويت المكاسب التي حققها الشعب بتضحيات جسيمة إلى الشركات الرأسمالية متعددة الجنسية.

وسيرى القارئ في الفصل الأخير من هذا الكتاب كيف تمكن بعض أبناء

الخونة من التسرب في أكبر حزب جماهيري والسيطرة على أجهزته القيادية بالتحالفِ مع السياسيين المحترفين، وكيف استطاع النظام أن يستقطب ويوظف الكاتب الأول المتنكر لقناعاته بهدف تفتيت **«الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية»** وتفكيك مؤسساته وإبعاد مناضليه الصادقين، ومساعدة الحكم على إبتلاعه بعد أن ظل طيلة أربعين سنة يمثل شوكة في حلق الإستبداد والطغيان.

إنه التذكير وليس التشهير. فالمراجعة النقدية لتاريخ النضال الوطني لا تعني التشكيك في قادته أو تجريدهم من خصال الكفاح الذي خاضوه ضد الاستعمار، بل الهدف هو تقييم الدور الذي قاموا به في أحداث تاريخية معينة ولا يعني ذلك تشويها لتاريخهم ولا تبريراً لأخطائهم. فالمستقبل لا يمكن بناؤه ومواجهة قضاياه بدون معرفة مشاكل الماضي وتصفية موروثه. وبدون إدراك ما حدث في المرحلة التي انتهت إلى الاستقلال الشكلي، يستحيل فهم الوضع الحالي المليئ بالشك والباحث عن الخيط الأبيض المفضي إلى الأمل الملتهب في النفوس والقلوب.

مدخل

نقد المنهجية الاستعمارية والوطنية في دراسة التاريخ

إذا كانت إعادة كتابة تاريخ المغرب، في الوقت الراهن، تستجيب لضرورة موضوعية، فما هي الإمكانات المتاحة على مستوى المصادر والمراجع، لإنجاز هذه المهمة في ظروف سيطرة التاريخ الاستعماري والتقليدي على الساحة ؟

لقد وعى التقدميون المغاربة، بكل اتجاهاتهم، هذا المأزق وذهبوا يبحثون عن الأداة البديلة لتحرير الكتابة التاريخية من الهيمنة الرسمية والاستعمارية في آن واحد.

اهتم الموظفون المغاربة في تدوينهم للأحداث بالتزلف للحكام، ودافعوا عن وضعية التخلف بنزعة التعصب الوطني، وجعلوا من تفوق القيم الثقافية العربية على أوربا في عصر الإسلام الذهبي سلاحهم المفضل. وهمشوا القوى الفاعلة في المجتمع التي بدونها يستحيل فهم حقيقة التاريخ.

وفي الجهة المقابلة أصر مؤرخو الاستعمار على اعتبار التاريخ الوطني مجرد أحداث شاذة تعكس التخلف الأزلي. وفي محاولة لدفع المغربي إلى العدمية واليأس، ساقوا الحجج من بطون الكتب المغربية وحللوا سلبيات مجتمع في حالة الانحطاط، وبرروا التسلط الاستعماري بنظرية عنصرية مفادها أن الطريق الوحيد لنجاة الشعوب المتخلفة يكمن في اعتناق ثقافة الغزاة.

والواقع أن الانحطاط الحضاري كان قد شاع أمره في القرن الرابع عشر، وتردد صداه في كتابات عبد الرحمان ابن خلدون (1332-1406)م.

ويفسر قائد سياسي مغربي معاصر تخلف المغرب، بأنه كان "... **نتيجة حتمية لتخلف قيادته التي وجهت باستمرار، كل عتادها السياسي والديني والاقتصادي والعسكري ضد المغاربة عبر الأجيال لتنال منهم فرديا وجماعيا أن يخضعوا وأن لا يفكروا. وهكذا أخذ المغاربة، منذ القرن السابع عشر على الأقل، يتساقطون وطنيا ودوليا من هوة إلى أخرى إلى أن سقطوا أخيرا في هوة الاستعمار**". (1)

---

1 - عبد الله إبراهيم، سمات الوضع الراهن بالمغرب، الدار البيضاء 1985 ص3، منشورات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

ومنذ أواسط القرن السادس عشر تمكن المستعمرون من فرض سيطرتهم على أغلب الموانئ، واستولى القراصنة الأوربيون على منافذ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. ونتجت عن هذا الحصار أوضاع داخلية معقدة ازدادت معها حالة الفوضى استفحالا.

إن إلقاء نظرة خاطفة على مصنفات المؤرخين التقليديين تكفي للتأكد من الحيز الكبير الذي خصصوه للحديث عن تمردات القبائل والمآسي الإنسانية المرافقة لها، والتدمير الاقتصادي الناتج عن المواجهات الدامية بينها وبين قوات الحكم المركزي.

ومن خلال إحصائية استخرجناها من أعمال المؤرخين أحمد بن خالد الناصري (1835-1897) وعبد الرحمان بن زيدان (1878-1946) يتبين أن جنود السلاطين المتعاقبين على الحكم في الفترة الممتدة من عام 1632 إلى 1892، قاموا بأزيد من ثلاثمائة وخمسين حملة عسكرية ضد قبائل مختلفة.

وقد تعددت الأسباب، وتأتي في مقدمتها سياسة النهب التي مارسها ممثلو السلطة، أو في امتناع السكان عن أداء ضرائب مجحفة، أو بسبب الجفاف الذي يرغم بعض القبائل على النزوح إلى أراضي قبائل أخرى غنية، وتشتعل الحرب بين النازحين والمستقرين، ويتدخل الحكم لوقف التقاتل، وقد يؤدي به الحال إلى ترجيح كفة قبيلة أو عدة قبائل بهدف تحجيم تلك التي يمكن أن تمثل مصدر تهديد لاستقراره.

وباختصار فإن استبداد موظفي الحكم وتعصب القبائل لعبا دورا مولدا لعنف متبادل وجد تعبيره في نشوء **"بلاد السيبة"** وهي أراضي القبائل الرافضة لأداء الضرائب وللخدمة العسكرية، **"وبلاد المخزن"** الخاضعة للسلطة المركزية، وهذان المفهومان جسدا، لفترات طويلة، واقعا مغربيا أفرزته سياسات خاطئة. وهو واقع جعل منه الكتاب الأجانب **"نظرية اجتماعية"** لتفسير تاريخ المغرب بشكل يضفي صفة **(الحضارة)** على وحشية التدخل الإمبريالي المسلح.

لقد استنبط كتاب الاستعمار نظرية جاهزة لا تتحرك. والأحداث التاريخية تؤكد أن القبائل الرافضة لحكامها المحليين غالبا ما تعود لمزاولة نشاطها العادي بمجرد ما تزول الأسباب التي أدت بها إلى العصيان. وكانت قوانينها الداخلية تضبط حركيتها، ولم تكن حياتها خاضعة لتلك الفوضى التي صورتها بعض الأقلام الأجنبية.(2)

ومن جانب آخر سجلت الوثائق قيام تحالفات بين قبائل بربرية وعربية لمواجهة الحكم المركزي، وهذا أيضا يفند الدعاية الأجنبية التي جعلت من الاضطرابات الداخلية ظاهرة بربرية.

ولم تكن القطيعة مع جهاز الحكم تمنع القبيلة من مواصلة الاعتراف

2 - Robert Montagne, Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Essai sur la vie politique des berbères sédentaires (groupe chleuh), Alcan, PARIS 1930.

بالنفوذ الديني للملك وإقامة الصلاة باسمه في المساجد. فالدين شكل على الدوام الوحدة الروحية لمختلف عناصر المجتمع.

وعندما انهزم السلطان مولاي سليمان في إحدى المعارك بالأطلس المتوسط ووقع في الأسر سنة 1818م، قامت القبيلة المنتصرة بتجهيز فرقة من الفرسان أوصلته إلى عاصمة ملكه (3) وحادثة كهذه لا تترك مجالا للشك في أن الحروب التي خاضتها القبائل كانت دفاعية ولم تكن لها أهداف سياسية.

بعد حصول البلاد على الاستقلال عام 1956، قام بعض المثقفين الوطنيين بمحاولات لدحض النظرية الاستعمارية، وعبروا عن نيتهم في إخضاع أخطاء الماضي للنقد التاريخي من أجل تسهيل فهم مشاكل الحاضر ومواجهة قضايا المستقبل. وكتب علال الفاسي :

"إنه في الوقت الذي نقوم فيه بمحاسبة أنفسنا، يجب أن لا ننخدع لكبريائنا، بل يجب أن نبحث عن أغلاطنا ولنصلحها... إن النقد التاريخي لما ينقص النهضة العربية عموما والمغربية بالأخص، وبدونه لا يتسنى لنا أن نبني مستقبلنا على الأسس الصالحة المفيدة". (4)

إلا أن الوصول إلى معرفة موضوعية لبلورة رؤية جديدة إلى تاريخ ذي بعد إنساني تعثر بعد ظهور جماعة من المؤرخين الأجانب الذين ناصروا المغرب في مقاومته الاحتلال، وتحولوا بعد الاستقلال إلى منظرين للدولة الجديدة، يقدمون لها خدماتهم مقابل امتيازات ووظائف رسمية خاصة في سلك التعليم. وقد انكبوا على فضح الكتابات الاستعمارية وسفهوا أضاليلها، وعملوا في ذات الآن على تعتيم ممارسات سياسية كانت في الماضي من أسباب التأخر الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ومهدت الطريق لسقوط البلاد تحت نير الاستعمار.

وبما أن **جيرمان عياش** أستاذ الآداب الفرنسي أبان عن مقدرة في تشخيص أمراض المجتمع الفرنسي في عصور الإقطاع، فقد نصب نفسه متزعما لفئة من مدرسي التاريخ المغاربة وكون منهم جوقة تعزف بأسلوب عصري على مساوئ التاريخ التقليدي، وتخفي أهدافها بتسليط الخطاب الناري على مؤرخي الاستعمار.

غير أن الإفصاح عن الخلاف مع هذه الفئة التحريفية يستوجب التعرض لبعض أفكار متزعمها بالنقد، ومقارنتها بمواقف المؤرخ الرسمي للدولة المغربية، وحينئذ سيتضح الفساد في تناول الأحداث التاريخية.

كلما تعلق الأمر بالحديث عن الصراعات الدموية بين قوات الحكم المخزني وسكان القبائل، إلا وتراجع جيرمان عياش قرونا إلى الوراء ليفتح ملف

---

3 - احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب 1956ج8. ص 114.

4 - علال الفاسي، النقد الذاتي، دار الكشاف، بيروت 1966ص 278.

المجازر التي إقترفها الملك لويس الرابع عشر (1638-1715) م في حق الفلاحين الفرنسيين. أما معاناة الفلاحين المغاربة فيجيب عنها بجملة مقتضبة : **"إن العنف بالمغرب وسيلة لتحقيق هدف عجزت الأساليب الأخرى عن تحقيقه."** (5) وهذا المنطق لا يعدو أن يكون تبريرا سياسيا للعنف.

ويعود في مكان آخر لتبسيط مسألة العنف بشكل متعسف ويتساءل : **"لماذا توصف الدولة المغربية وحدها بالعنف ؟"** ولا يتردد في تقديم جواب اعتباطي : **"كان جهاز القمع للدولة المغربية شيئا ضئيلا مقارنة بجهاز القمع عند الأمم الأوربية العظمى"**. (6)

وقاده منطق التبرير إلى الإدعاء بأن إلقاء نظرة على عدد "الحَرْكَات" وعلى القبائل القاطنة في مختلف أنحاء البلاد، يظهر أن أغلبية القبائل لم تشاهد قط ولو مرة واحدة جنود السلطان. (7)

والواقع أن جنود السلطان لا يتجهون صوب القبائل الفقيرة، وإنما يقصدون تلك المتوفرة على أخصب الأراضي وأوفر الأنعام لجباية الضرائب المفروضة عليها، وأيضا لإشعارها بخضوعها للسلطة المركزية، وهذا ما عبر عنه مؤرخ المملكة بشكل واضح :

"لم يكن السلطان يستطيع أن يمسك مقاليد رعاياه إلا بـ "الحَرْكَة" المتواصلة من أقصى المغرب إلى أقصاه جزرا للعاصين وتحذيرا للمطيعين. (8)

وفي القرن التاسع عشر بلغ التمزق القبلي ذروته، واشتدت التدخلات الأجنبية برا وبحرا، وتلقى الجيش المغربي هزيمة مذلة على يد الجيش الفرنسي، وبذل جيرمان مجهودا كبيرا في اختزال الأحداث وإلقاء كل المسؤولية على العدو الخارجي. (9)

في حين أن مؤرخ المملكة فسر هزيمة المغرب أمام الجيش الغازي القادم من الجزائر –في معركة واد يسلي يوم 14 غشت 1844 بأنها فشل ذاتي لسلطة عاجزة :

"وظهر (المغرب) على حقيقته دولة هرمة متفككة وانية عاجزة، ذات عقلية متخلفة وأنظمة بالية..." (10)

وفي يوم 22 أكتوبر 1859 أعلنت اسبانيا الحرب على المغرب، وما لبث الجيش المخزني أن انكسر. وكان لهذه الهزيمة عواقب وخيمة على نفسية الحكام والمحكومين حيث أنها **"... أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب**

5 – المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، عدد 4 ص 246 الرباط 1978.

6 - Germain Ayache, Etudes d'Histoire marocaine, P. 161, SMR Rabat 1979.

7 - Ibid P. 161.

8 – عبدالوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880، ص 72، الرباط 1977.

9 – المجلة المغربية للاقتصاد، مصدر سابق، ص 246.

10 – مشكلة الحماية مصدر سابق ص 29.

واستطال النصارى بها، وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله وكثرت الحمايات ونشأ عن ذلك ضرر كبير". (11)

ودخل الجيش الاسباني إلى مدينة تطوان يوم 6 فبراير 1860 بدون أن يطلق رصاصة واحدة. فقد خرجت الأرستقراطية لاستقبال الغزاة بالتمر والحليب وبالضرب على الطبول احتفالا بمقدمهم(12)

وكان رد فعل الجماهير الفقيرة هو الهجوم على أملاك الأغنياء وتخريبها، ومواصلة مقاومة الغزو انطلاقا من الجبال المحادية لمدينتي سبتة ومليلية المحتلتين. (13)

وفرضت اسبانيا على المغرب أداء ذعيرة تبلغ مائة مليون بسيطة مقابل انسحابها من تطوان. وقبل السلطان رهن الموانئ لأداء الغرامة المالية الباهظة. وكان الموظفون الاسبانيون يتقاضون خمسين بالمائة من مداخل الجمارك. واضطر السلطان إلى فرض مزيد من الضرائب على المواطنين، واكتست تلك التدابير طابع التفقير بالنسبة للسكان وفرصة ثمينة للمكلفين بجمع الضرائب الذين كانوا يخصمون عشرة بالمائة لحسابهم الخاص مما كان يدفعهم إلى المغالاة في تقدير الضرائب. وقامت انتفاضات مسلحة في عدة جهات، ولم يبق للمقهورين ما يخافون على ضياعه، وأصبحوا يستجيبون لكل نداء يدعوهم إلى حمل السلاح، وهذا ما عبر عنه باستغراب مؤرخ المملكة بقوله :

"لا يسع المؤرخ السياسي والباحث الاجتماعي إلا أن يقف متعجبا من السرعة التي يستجيب بها أهل المغرب للثورات ويقبلون بها على الفتن كلما نعق فيه واحد من غربانها". (14)

وكانت الهوة عميقة بين سلطة المخزن والمواطنين، وانتفض أولاد سيد الشيخ عام 1864 ضد تقسيم أرضهم حيث أصبح نصفهم خاضعا للحكم الفرنسي بالجزائر ونصفهم تابعا للمغرب. واتسعت دائرة التمردات على الحكام المحليين في عدة جهات.وفي كل ذلك لا يرى جيرمان سوى لوحة من رسم مؤرخي الاستعمار الذين **"يستلذون بالنظر في سيرورة الفوضى النهائية التي كانت عليها البلاد، ويعطونها فضلا عن ذلك أبعاد الكارثة العظمى التي لم تصلها مطلقا".** (15)

أما معاصره مؤرخ المملكة فيرى في السقوط أسبابا داخلية، وأعطى

11 – الاستقصا، م.س. ج9، ص101.

12 – نفس الاستسلام تكرر يوم 29-2-1913 عندما عاد الجيش الاسباني لاحتلال تطوان انظر : أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، ج2. مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان.

13 – احتلت البرتغال مدينة سبتة عام 1415م وسلمتها إلى اسبانيا سنة 1506، وسيطرت على مليلية عام 1497م.

14 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي ج 1 ص 381 الرباط 1979.

15 - Ayache, Études d'Histoires, Op Cit, P. 11.

وصفا لحالة المغرب الإدارية والعسكرية قبل الاحتلال الأجنبي وكتب :
"... في ظل جهاز حكومي وإداري متعفن ومتفكك لم يكن ليقع على الرعية إلا الظلم وبها إلا الاستبداد. وهذا أيضا من العوامل التي دفعت من دفعت من المغاربة إلى الاحتماء بالأجنبي". (16)
واورد مثلا على خيانة وزيرين تنازلا لفرنسا عن أراضي مغربية بحكم إتفاقية وقعها وزير الخارجية المغربي في باريس يوم 20يوليوز 1901وأخرى امضاها بالجزائر الكاتب الأول بوزارة الخارجية المغربية في 20أبريل 1902وعلق على ذلك بقوله :
"وكان لإبرام هذين الاتفاقين من الوقع السيئ العميق في قلوب المغاربة ما عصف بعرش السلطان ومخزنه بعد بضع سنين". (17)
ويستعمل جيرمان ثلاثة وثائق ليبرهن عن حسن العلاقات التي كانت قائمة بين جهاز الدولة والشعب ويشدد على الدور التحكيمي الذي كان يقوم به السلطان في النزاعات القبلية. (18)
إلا أن مؤرخ المملكة يقدم تفسيرا آخر لسلوك موظفي الدولة وموقف الشعب منهم :
"وقد كان الحكام يعيشون في واد والشعب يعيش في واد. ولم تكن الأخبار التي تصل الشعب عن حكامه بالشيء الذي يحببهم إليه، او يبعث في نفسه الثقة بهم. فقد كانت ملاذهم وملاهيهم ونهبهم للاموال وهتكهم للأعراض وتباهيهم بخلطة الأجانب، ثم خيانتهم السافرة أكبر منفر منهم وباعث على الشك فيهم والرغبة في الخلاص منهم". (19)
ويتمسك جيرمان بإلقاء كل المسؤولية على العدو الخارجي وعلى كاهل **"الغزو الذي تنافست فيه الدول الأوربية في القرن التاسع عشر قصد الاستيلاء على البلاد"** (20).
ويخالفه الرأي مؤرخ المملكة بقوله :
"إنه ليس من حق المغربي أن يدعي أن المغرب والمغاربة كانوا دائما ضحية المؤامرات الخارجية وحدها، مبرئا إدارة بلده من أي خلل وفساد وحكامه من كل ظلم وخيانة" (21).
لقد تعمدنا سرد مقاطع متناثرة من عدة مصادر نظرا لانعدام دراسة

16 – مشكلة الحماية، م.س. ص 19.
17 – الإشارة هنا إلى خلع السلطان مولاي عبد العزيز عن العرش سنة 1911، بن منصور، أعلام المغرب العربي ج.2. ص82.
18 - Ayache, Etudes Op. Cit, P.169.
19 – بن منصور، أعلام المغرب العربي ج1. ص395.
20 – البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم رقم 14ص32، كلية الآداب، الرباط 1989.
21– مشكلة الحماية، م.س. ص34.

تاريخية جامعة. والغرض هو رفع الغطاء عن جانب من التحريف الذي مارسه بشكل متعمد أجانب نصبوا أنفسهم مدافعين عن التاريخ إلرسمي حسب الطلب. وحذا حذوهم مغاربة بدافع الغيرة والتعصب الوطني أحيانا، وأحيانا بقصد المحافظة على مصالح ذاتية.

فالأفكار الواردة في مقالات المؤرخ الشيوعي جيرمان والتي استعرضنا بعض ما جاء فيها تكشف انحيازه الواضح وتضعه بعيدا عن منطق الجدلية إلتاريخية التي ادعى الانتماء إليها في حين أن المؤرخ الرسمي للمملكة كان أكثر ذكاء ودهاء عندما وضع أصبعه على جانب من الورم الخبيث الذي كان ينخر جسد الدولة، في مرحلة محددة، ورصد بعض الظواهر التي تؤكد أن المغرب كان يعاني من مرض داخلي قبل أن يكون خارجيا.

ومن خلال الأمثلة التي أوردناها يتضح إلى اي حد بلغ فيه تلاعب البعض بحقائق التاريخ تحت قناع **"المنهجية العلمية"** وحالوا بذلك دون تطور الوعي التاريخي والسياسي لدى الجيل الجديد من المؤرخين الشباب.

وبعد كل هذا نعود لمحاولة الإجابة عن السؤال الذي طرحناه في البداية حول الوسائل المتاحة لإعادة كتابة تاريخ المغرب.

مما لا شك فيه أن ما دونه كتاب الاستعمار لم يهبط عليهم من السماء، ولم يكن كله ضرب من ضروب الخيال، وإنما عثروا عليه محفوظا في الخزانات المغربية. وهذه شهادة الماريشال ليوطي :

"ينبغي أن لا ننسى أننا في بلد إبن خلدون الذي حل بفاس وهو ابن العشرين سنة، وفي بلاد ابن رشد، وأن أحفادهما ليسوا أقل استحقاقا منهما. وحتى الآن لا يعرف بشكل جيد ما تأويه البيوتات العتيقة بفاس والرباط ومراكش من رجال جعلوا منها ملاجئ للقراءة والفكر والأبحاث". (22)

وليس ما دونه المؤرخون التقليديون الذين مجدوا بطولة عساكر المخزن في مواجهة القبائل **"الجاهلية"** هو المصدر الوحيد الذي انهال من معينه الكتاب الأجانب، بل فإن عددا من الرحالة والمدربين العسكريين كانوا شهودا على أشياء كثيرة وهم يرافقون الجيش الرسمي في تنقلاته" (23)

وإن كل ما فعلوه هو أنهم اهتموا بجمع التناقضات الاجتماعية، واستنطقوا مضامينها وفسروها بطريقتهم، وجعلوا من النتائج التي توصلوا اليها أدوات للتنظير وتزكية مخططات الاستعمار واستنتجوا من بين ما أستنتجوه ثنائية **"العرب والبربر"** ودعموا بها المقولة الشهيرة : **"فرق تسد"** بهدف تقسيم صفوف الشعب على أساس عرقي وإحكام السيطرة عليه.

22 - Pierre parent, Expulsé du Maroc, Imprimerie régionale, Toulouse 1955, P.16.

23 - Voir : Joaquin Gatell, Viajes par Marruecos - El Sus uad Nun y Tekna El Kaïd Ismaïl) 1878-1879, Sociedad Geografica de Madrid.

انظر كذلك : فرناندو بلديراما مارثينت، خواكين غاتيل، رحالة المغرب، تطوان 1954.

لكن هناك سؤالا يفرض نفسه : هل أن جميع الكتابات الأجنبية لا تنطوي سوى على التحريف والتشويه والهدم ولا تصلح لأي شيء ؟

الجواب يختلف باختلاف المواقف التي تعبر عنها الاتجاهات الثلاثة الفاعلة حاليا على مستوى الدراسة التاريخية.

الاتجاه الأول، وكان يتزعمه جيرمان، يدعو إلى الاستغناء عن الوثائق الأجنبية والاعتماد على تلك الصادرة عن الدولة المغربية مع أنها ليست محايدة في أرض حفل تاريخها بصدامات مأساوية بين قوات الحكومة وسكان القبائل.

والاتجاه الثاني يرفض الخطاب التقليدي والاستعماري معا، لكونهما يمثلان خصما وحكما في نفس الآن.

والاتجاه الثالث يعتبر أن الحل البديل هو إعادة قراءة الوثائق المتوفرة بكل أنواعها وإخضاعها للنقد بهدف تكوين رؤية جديدة مع عدم إهمال المفيد والإيجابي في التآليف الأجنبية لأنه :

"لا سبيل إلى جحد ما تحتوي عليه بعض الكتابات الكولونيالية بل ولا داعي إلى نفي ما تتضمنه من صفحات تاريخنا مما لا غنى عنه لكتابة شمولية للتاريخ...".(24)

ويرى ممثلو هذا الاتجاه أن الوثائق الأجنبية، إذا ما تم **"إخضاعها للفحص والتدقيق قد تصبح أساسية في الكشف عن بعض الجوانب أو الحقب التاريخية التي لم تحظ باهتمام كاف من طرف مصادرنا التقليدية"**.(25)

ونظرا لكون المؤرخين التقليديين لم يكونوا يتوفرون على ثقافة تساعدهم على فهم فنون أخرى بعيدة عن اهتماماتهم، فإن الأوروبيين تناولوها وحدهم بالدرس والتحليل، وكتبوا عن الهندسة المعمارية وعن الأثاث وعن الأزياء وأشكال الطعام وكيفية عيش أهل البادية... هذا بغض النظر عن أعمال الرسم البحتة...(26)

وكان السبق أيضا للأوربيين في تناول تاريخ المغرب القديم وإن **"إحياء التراث الفينيقي والقرطاجي والروماني والوندالي في عهد الاستعمار، سوف يظل قاعدة ثابتة لإقامة مدرسة مغربية خالصة تعنى بالتاريخ القديم..."**.(27)

وفي خضم البحث عن حل لإشكالية الإنتاج التقليدي والاستعماري، برزت قضية الكتابة **"الوطنية"** المدافعة عن وجهة نظر البورجوازية التي قادت الكفاح السياسي في مواجهة الاستعمار الأجنبي.

24 – إبراهيم بوطالب، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية، مجلة كلية الآداب رقم 14ص : 136 الرباط 1989.

25 – المنصور محمد، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة 1956-1986، مجلة كلية الآداب م.س. ص27

26 – بوطالب، البحث الكولونيالي، م.س. ص136.

27 – ن.م. ص 139. انظر كذلك : Albert Ayache, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Éditions sociales, Paris, 1964.

لقد كان اعتراف فرنسا واسبانيا باستقلال المغرب في 2 مارس وفي 7 أبريل 1956 نتيجة تضحيات جسيمة قدمتها الجماهير الواعية.

وبحكم دورها القيادي في معركة الاستقلال، فإن البورجوازية التجارية أصبحت في مقدمة المستفيدين من الوضع الجديد. ولكي لا تفقد نفوذها الشعبي كان عليها أن تبرر تهافتها على ثروة الوطن باللجوء إلى استعمال جميع الوسائل بما فيها تزوير وقائع التاريخ.

ولهذه الأسباب يجد الباحث نفسه أمام صعوبات جمة في فهم ما حدث بالماضي القريب، ولا يعثر سوى على انتاجات ضئيلة في شكل مذكرات وتراجم لبعض المسؤولين السياسيين، تخفي الحقائق وتركز في سرد الأحداث على تمجيد الذات وتبجيل التعصب الحزبي والصراع الشخصي في الماضي والحاضر.

فالمستندات المرتبطة بمرحلة الكفاح السياسي لا وجود لها، لأن الأحزاب في منطقة الاحتلال الفرنسي لم تكن تضع محاضر مكتوبة للاجتماعات نظرا لظروف العمل السري. وكان مصير الرسائل الشخصية والمنشورات المطبوعة الحجز من طرف الشرطة الفرنسية أو الإتلاف والحرق على يد من يمتلكها خوفا من الاعتقال والتعرض للتنكيل. (28)

أما في منطقة الحكم الإسباني بشمال المغرب حيث كانت الأحزاب تتمتع بحرية النشر والاجتماع لاعتبارات شرحناها بالتفصيل في عمل آخر، (29) فإن حزب الإصلاح الوطني ترك وثائقه ومحاضر جلساته منتظمة ومرتبة، لكن الذين استحوذوا عليها لم يكشفوا إلا عن بعض شظاياها لعدم رغبتهم، على ما يظهر، في إحراج أقرباء لهم وأصدقاء متورطين في علاقات مشبوهة مع نظام فرانكو الدكتاتوري.

وقبل سنوات نشرت مجموعة منتقاة من "وثائق الحركة الوطنية بشمال المغرب"، وبقطع النظر عن كونها لا تكتسي أهمية كبيرة، ولا تحمل بين طياتها ما يمكن أن يلقي الضوء على خبايا الأمور في ذلك الزمان، فإن الناشرين أوقفوها عند الجزء الأول. (30)

ونفس الشيء يسري على الرسائل المتبادلة بين عبد السلام بنونة مؤسس الحركة الوطنية في الشمال وبين السياسي العربي شكيب أرسلان. وتنحصر المواضيع التي تطرقت إليها في الحقبة السابقة عن تأسيس حزب الإصلاح الوطني. (31)

28 - حجزت الشرطة سنة 1953 وثائق حزب الاستقلال في الضيعة التي كان يعمل فيها المهندس عمر بن عبد الجليل في بن سليمان بضاحية الرباط.

29 - انظر كتابنا "**الصراع بين الحركة الوطنية والاستعمار (1930-1952)**" جاهز للطبع.

30 - وثائق الحركة الوطنية بشمال المغرب ج 1 تطوان 1980 عرض وتعليق بن عزوز حكيم.

31 - الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان و ج. عبدالسلام بنونة طنجة 1980.

ولحد الآن لا يتوفر من المراجع إلا ما نشره علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال وكان يهدف في عمقه إلى كسب تعاطف الرأي العام الخارجي مع كفاح المغاربة في سبيل الحصول على الاستقلال.

وتأتي مصنفات محمد بن الحسن الوزاني، التي لم يحررها إلا قبل وفاته بمدة قصيرة سنة 1978، لتكشف كثيرا من الخلافات التي كانت قائمة بينه وبين علال الفاسي.

فقد كان الرجلان قائدين للحركة السياسية الوطنية في جنوب البلاد منذ مطلع الثلاثينات. ونشب بينهما نزاع لا يعرف مهادنة على قيادة الحزب انتهى بافتراقهما عام 1937. وعشية الاستقلال اتخذ التطاحن بين حزبيهما طابعا دمويا مفجعا في مجابهات ذهب ضحيتها العشرات من الضحايا.

ويجد القارئ في كتابات الرجلين بعض التطابق في التوجه الفكري العام، والكثير من نقط الاختلاف في كيفية تفسير الأحداث. وحرص كل واحد منهما على إظهار محاسن حزبه بلهجة لا تخلو أحيانا من الاعتزاز بالنفس دون التعرض للأخطاء أو ممارسة النقد لتجربة ماضيهما السياسي.

وعلى نفس النهج سار تلاميذتهما رافضين النقد الذاتي، ومتغافلين عن كل تحليل للماضي كشرط أساسي لفهم الحاضر، وعجزوا نتيجة لذلك عن الارتقاء بالنقاش إلى مستوى أعلى من التسامح الفكري.

وتبقى حقائق معركة الاستقلال غارقة تحت ركام كثيف من تصفية الحسابات الشخصية والحزبية التي لا تعرف نهاية.

فلقد سلك الأديب عبد الكريم غلاب في سرد **"تاريخ الحركة الوطنية"** أسلوب الإثارة القصصية. وتجاهل ذكر المصادر والمراجع، وقدم ما شاء في روايته بدون تقديم الحجة والبرهان، وهو ما يتنافى مع علم التاريخ المعاصر.

وفي أحد أعماله نزه قادة حزب الاستقلال الذي ينتسب إليه عن الخطأ والخطيئة، وبالغ في تمجيد مآثرهم الفردية، واعتبر كل شيء في حياتهم **"مشرق وإيجابي"** وادعى أن الجانب السلبي **"انتهى بانتهاء أجل صاحبه"**(32).

وتصدى له خصمه السياسي معنينو متهما إياه باستقاء معلوماته من أقطاب حزبه وحدهم، وقال عنه أنه : **"... زور التأريخ ونسب الأمور لغير أهلها، وطمس الحقائق نزولا عند رغبة الأقطاب وكأن الوطنية ملك لهم..**(33)

وفي مكان آخر افتخر غلاب بطبقته وكتب بأن الذين **"نهضوا بعبئ الحركة الوطنية... كانوا من أبناء البورجوازية"**.(34)

وأنكر المؤرخ محمد زنيبر من **الإتحاد الإشتراكي** أن تكون البورجوازية قامت بأي دور قيادي، وقال أن ما كتبه غلاب يكون **"اتهاما... كان يردده**

---

32 – عبد الكريم غلاب المجاهدون الخالدون، ص8، الرباط 1991.
33 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات ج2. ص195، مطبعة سبارطيل، طنجة 1991.
34 – عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج 1ص12، الدار البيضاء 1976.

الاستعماريون للنيل من الحركة الوطنية". (35) ورفض أن يكون هندام البورجوازية **"البذلة الرسمية للحركة الوطنية"** (36) ونفى وجود بورجوازية في المجتمع المغربي. وفسر التفاوت في الثروة بقوله :

"إن الغنى كان يعتبر حظا من الحظوظ ينتقل بين الأيدي...". (37)

وهكذا تفيض الحزازات الشخصية والسياسية على العقل والمنطق، ويستعصي استخلاص الحقيقة من نصوص سجالية قائمة على خلفيات وأهداف متعارضة.

واتخذت الخلافات بعدا آخر عندما كتب غلاب بأن الوطنيين بمدينة فاس هم الفاعلون الرئيسيون في إعداد دفتر المطالب المقدمة للسلطة الفرنسية سنة 1934، فجاءه الرد من صديقه أبو بكر القادري الذي نسب ذلك العمل إلى مثقفي مدينة سلا، واستعر الخلاف الجهوي بين كاتبين ينتميان إلى حزب سياسي واحد. (38)

وإذا كان حكيم يعتبر نفسه متخصصا في تاريخ الحركة الوطنية بالشمال ونشر الكثير عن قيادة حزب الإصلاح الوطني، فإن معنينو من وجهاء حزب الشورى اعتبره **"من إنتاج الثقافة والهوية والمدرسة الاستعمارية الاسبانية"** (39) ورفض شهادته واتهمه بالعمالة للمخابرات الإسبانية. (40)

وإذا بلغت الجرأة بمعنينو إلى حد التشهير بخصمه حكيم، فإنه دافع عن صديقه اشماعو المنحرف عن الخط الوطني والذي وضع نفسه في خدمة الاستعمار الفرنسي واستهدف عام 1954 لرصاص الفدائيين، وقال عنه : **"من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة".** (41)

وبهذه البساطة تتوارى النزاهة أمام الانحياز ويسدل الستار عن الحقيقة ويمشي التاريخ على رأسه.

تلك كانت بعض الملاحظات حول مذكرات أشخاص شاركوا عن قرب أو عن بعد في العمل السياسي، ولم يزد إنتاجهم المسألة التاريخية إلا تعتيما وتضليلا.

فكيف يمكن رفض التزوير الأجنبي وقبول مرادفه الوطني ؟

إن الالتزام بالبحث عن الحقيقة يحتم قراءة النصوص المرتبطة بحقبة

---

35 – محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، ص184، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1976.

36 – نفس المرجع ص187.

37 – ن.م. ص185.

38 – أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930إلى 1940، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1992ص293.

39 – معنينو، ذكريات م.س. ج6. ص207.

40 – ن.م. والصفحة.

41 – ن.م. ص2، ص185.

زمنية معينة ومقارنة رواياتها المتنوعة، واستخراج المعطيات المتشابهة منها، وإخضاعها للفحص اعتمادا على ما يتوفر من معلومات مفيدة سواء كانت وثائقية أو إخبارية أو شفوية.

وهذا هو الاختيار الذي اعتمدناه لمراكمة المواد التي تدخل في صلب هذا البحث الذي ينطلق من سنة 1953 وينتهي عام 1973.

التاريخ الأول يعلن الانطلاقة الفعلية للمقاومة المسلحة بالمدن، ويسجل توقف الكفاح المسلح من أجل الاستقلال ووحدة التراب الوطني عام 1960 بعد أن أقدمت الحكومة المغربية، تحت ضغط الهاجس الأمني، على حل جيش التحرير في وقت كان يخوض فيه حربا ضارية في الصحراء الغربية ضد القوات الإسبانية والفرنسية ونتجت عن تلك السياسة الخاطئة تداعيات أخرى خطيرة لم تتوقف إلا بعد سنة 1973.

وكانت سنوات الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية مليئة بأحداث بطولية للجماهير الواعية، وأيضا بخيانات مشينة اقترفها عدد من المغاربة.

ويجب التذكير بأن المستندات الرسمية المتعلقة بهذه الفترة الدقيقة والمعقدة لا تزال سجينة في دور الوثائق وكل ما كتبه بعض الأجانب عن المقاومة المغربية من 1953 إلى 1960 يعد رغم ضآلته، سطحيا وارتجاليا ينطوي على فرضيات يتحكم فيها غالبا الانحياز لوجهة النظر الاستعمارية.

ويندرج ضمن هؤلاء مؤلف **"النزاع الفرنسي المغربي"** الذي حاول التقليل من حقد الشعب على المستعمرين وبنى افتراضه على الهجومات القليلة نسبيا التي تعرض لها الفرنسيون مقارنة بالخسائر الكبيرة في صفوف الخونة المغاربة. (42)

والواقع أنه كان ينظر بعين مستعارة من خارج الحقيقة المغربية. لأنه كان يجهل أن الخونة مثلوا القاعدة الاجتماعية للاحتلال الأجنبي، وكان تدميرهم ذاتيا يعني تدميرا لأعمدة الوجود الاستعماري.

ووقع صاحب **"الأحزاب السياسية المغربية"** (43) في عدة أخطاء عند حديثه عن المقاومة. وجاء بعده مؤلف **"الأوربيون والمغاربة"** (44) الذي لم يخصص للكفاح المسلح إلا أقل من عشر صفحات من بين اربعمائة صفحة يتضمنها الكتاب. ولجأ إلى سرد إحصائية لحوادث السير مدعيا أنها تفوق عدد الإصابات التي ألحقتها المقاومة بجهاز القمع الفرنسي. وفاته أن عدد القتلى في عمليات المقاومة ليس حاسما، فالأهم يكمن في التأثير السياسي والنفسي الذي تحدثه في الراي العام.

وانفرد المحامي شارل لوغران مؤلف **"العدالة وطن الإنسان"** (45) بنشر المرافعات التي تقدم بها أمام المحاكم العسكرية الفرنسية دفاعا عن المقاومين ولا

42 - Stephane Bernard, Le conflit franco-marocain 1943-1956, Bruxelles 1963, T.3, P.273.

43 - Rezette Robert, les partis politiques marocains, colin, Paris 1955.

44 - Ladislav cerych, Européens et Marocains 1930-1956, Genève 1964.

يخلو بعضها من مواقف مؤثرة، ومواجهات ساخنة بين مدافع جاد عن قضية الحرية وبين قضاة تتحكم في قراراتهم التوجهات الاستعمارية.

وتطفح تصريحات المقاومين وهم يواجهون تنفيذ حكم الإعدام بعبر بالغة. كانوا يتحدون الموت وهم على أعواد المشانق، ويتغنون بالحرية وسط أزيز الرصاص. وفي كلماتهم تعبير صادق عن قناعات مطلقة بمشروعية قضيتهم، ومن خلال أقوالهم تتضح درجة وعيهم ويقظة ضمائرهم.

ولحد الآن لا يوجد في الخزانة إنتاج مغربي شامل يغطي أحداث المقاومة المسلحة المدينية وكفاح جيش التحرير الذي يعد امتدادا لها. وقد اقتصر بعض المقاومين على تقديم روايات لمشاركتهم الخاصة في أحاديث ومذكرات نشروها، ومعظمها يندرج في دائرة التهم والتهم المضادة بين الأطراف المتصارعة. وهذه الكتابات معدودة على رؤوس الأصابع وذات فائدة محدودة.

وينسحب هذا القول على ما كتبه سياسيون مارسوا نشاطهم منذ الثلاثينات، ولم يتناولوا مآثرة المقاومة إلى في بضع صفحات نقلوا معلوماتها من مصنفات أجنبية.

ولا بد من الإشارة إلى كتاب مدرسي **"تاريخ المغرب"** (46) لمجموعة من المؤرخين الفرنسيين والمغاربة، يمثل مجهودا جديا في تناول تاريخ المغرب بشكل موضوعي منذ العصر الحجري إلى القرن العشرين. إلا أنه كغيره اختزل المقاومة المسلحة في بضع صفحات. واستعمل الكاتب كلمة **"الإرهاب"** لنعت المقاومة، وأطلق على الهجومات الموجهة لجيش الاحتلال **"الاعتداءات"** وغير ذلك من النعوت التي كانت الصحف الاستعمارية تستعملها لتشويه الكفاح العادل للمقاومة الشعبية.

وبالطبع فإن هذا المدخل لم يتطرق لكل المصادر والمراجع والمستندات المستعملة في إعداد هذه الدراسة ومن بينها على الأخص وثائق فرنسية غميسة تتعلق بالمقاومة المسلحة. (47)

وينتقل الحديث عن المقاومة للاستعمار إلى التصفيات الجسدية بين مختلف الفصائل المتناحرة عشية إعلان الاستقلال.

ويلف الغموض الصراعات الدامية التي بدأت في أواخر 1955 وتواصلت إلى سنة 1957. وكانت تقف وراءها جهات متباينة الأهداف والمصالح.

ويصعب على الباحث سبر غور مرحلة تميزت تارة بأعمال بطولية

45 - Jean-charles Legrand, Justice patrie de l'homme, défenses devant les tribunaux militaires du protectorat 1953-1955, Rabat, 1955.

46 - Histoire du Maroc, ouvrage collectif, Hâtier, Paris 1967.

47 - حوالي 120 وثيقة رسمية استولى عليها حارس مغربي من إدارة فرنسية عام 1956 وسلمها إلى المهدي بن بركة الذي تركها لعبد الحي الشامي، و هذا الأخير زودني بها مشكورا.

جريئة ضد الاحتلال الاستعماري، وطورا اكتنفت أجواءها مؤامرات حالكة أودت بحياة الكثيرين من خيرة شباب المغرب.

وبصفتي شاهدا على الأحداث الواقعة بين 1953و 1960 ومشاركا بنصيبي المتواضع في بعضها، فقد مكنتني علاقاتي الوثيقة بعدد من مؤسسي المقاومة وجيش التحرير من جمع معلومات أساسية تخص هذه الفترة المضطربة.

بينما كنت قبل عشرين سنة منهمكا في مراجعة كراسة تحتوي على شهادات سمعتها من أفواه المقاومين، تملكتني قناعة بأنه لا مناص، لكي يرتقي البحث إلى مستوى الدقة والعمق، من معالجة موضوع المقاومة المسلحة بأسلوب المقارنة بين المصادر المكتوبة المتوفرة وبين الرواية الشفوية.

وفي سبيل بلوغ هذه الغاية، قمت بإعادة قراءة تصريحات المقاومين أمام المحاكم العسكرية، وبمراجعة بلاغات الشرطة حول أعمال العنف والتخريب وإحراق ضيعات المعمرين، وبالتدقيق في النداءات المنسوبة للمقاومة وجيش التحرير.

وكانت هذه الكتابات المتراكمة هي المحك الفعلي الذي خضعت له الروايات الشفوية، وقد تطلب تصحيح الشهادات المتناقضة الاتصال بالأطراف المشاركة في الحدث الواحد، واستخلاص العناصر التي تتركب منها الرواية الواقع حولها الخلاف، واحتاج البحث إلى جهد دؤوب لمعرفة الحقيقة.

وفي ظرف خمس سنوات من 1985 إلى 1990 قمت باستجواب حوالي مائة شخص. واتضح في عدة حالات أن الاختلاف في سرد الوقائع يرجع إلى النسيان، وفي كثير من الأحيان انكشف سوء نية بعض الشهود الذين تعمدوا التلفيق بهدف إخفاء أشياء أخرى لا تشرفهم تورطوا فيها بعد حصول البلاد على الاستقلال.

ومن جهة أخرى لم تغفل هذه الدراسة الجانب الديني في الكفاح السياسي والاجتماعي. فالمجتمع بشكل عام اتصف بقصور ثقافي وفكري، وكانت الخرافات تسيطر على عقلية الجماهير والقيادات. وتداخلت التعاليم الدينية في الأساطير، ولعب المتخيل دورا في تحريض الحشود التي كانت تعتلي السطوح بعد غروب الشمس لتشاهد الملك محمد الخامس المنفي في جزيرة كورسيكا وهو يمتطي صهوة جواده على سطح القمر.

وعكست الأدمغة المليئة بالأوهام أزمة الوعي، وأضفت تفسيرات خيالية على نشاط المقاومة، وقدمت الفدائي الذي يختفي بعد إصابته أهداف العدو على أنه شبح غير منظور بفضل "طاقية الإخفاء" التي يضعها على رأسه.

وإذا كان الفكر الديني سلاحا روحيا بيد المقهورين فإن معسكر الخيانة جعل منه بواسطة بعض الفقهاء وسيلة لتسخير جزء من بسطاء السكان لمحاربة حركة التحرر الوطني.

وليس كل مـقـهـور قـادرا على حـمـل السـلاح. لذا رفع آخـرون سـلاح السخـرية والاستـهزاء بالحكم الاسـتعمـاري وعمـلائه. وكانوا يصنعون الـنكتة ويروجونها من الأفواه إلى الأذن، وواجهوا حرب الاسـتعمار الساخنة بالحرب السـاخرة. وإن تقديم نمـاذج من النكتة السـياسـية لم يمنع من إعطاء أمـثلة عن أشكال أخرى من العنصرية العمياء التي ذهب المغاربة ضحيتها في وطنهم من قبل المستعمرين دعاة الحقد والكراهية.

وفي ذات الاتجاه وقع التطرق للمساندة التي أبداها المثقفون الديمقراطيون الفرنسيون المناهضون للعنصرية تضامنا مع كفاح المغاربة.

تلك إذن هي أهم القضـايا التي تناولتـهـا هذه الدراسـة. ويمكن القول أن النتائج التـي تم التوصل إليها ليست نهـائية، ولكنها تمثل خطـوة متواضـعة في محـاولة هادفـة لمقاومـة التزييف التـاريخي حفاظا على صفـاء الذاكرة الوطـنية الجماعية.

الفصل الأول

الجذور الثقافية للمقاومة

يمثل ستيفان برنارد نموذجا لأولائك الذين يدعون امتلاكهم وحدهم للمعرفة وهم الأصل في كل شيء. فقد تطرق للمقاومة المسلحة في بلدان المغرب وإدعى بأن **"الإرهاب في شمال إفريقيا مستوحى، بكل تأكيد، من المقاومة الأوروبية"** (1)

بالنسبة للكاتب فإن كفاح الشعوب من أجل الحرية هو إرهاب مذموم، والمقاومة الأوربية عمل مشروع، وهذا تطرف عرقي يقصي كل من لا ينتمي إليه ويختزل الأحداث التاريخية بشكل متعسف ويقدمها للقارئ غير النبيه وكأنها اكتشاف علمي غير مسبوق.

وبمنطق منجار بعيد عن روح النقد التاريخي يقول في مصنفه : **"إن نخبة المقاومة تفرنست بحكم مرورها بالجيش (الفرنسي) وكافحت الفرنسيين كما لو كانت تستطيع القيام بذلك في حرب مدنية حقيقية"** (2) وكما سنرى، فإن كتابا اخرين على شاكلته ابتعدوا عن التقييم الرصين في سعيهم إلى تأبيد السيطرة الاستعمارية الفكرية والسياسية معتبرين ثقافة الآخر قاصرة وعاجزة تنتمي إلى العصر الحجري.

إن قادة المقاومة الذين سنتعرف على أسمائهم في فصل آخر، لم يمروا قط بالجيش الفرنسي لعدم خضوع المغاربة لإجبارية الخدمة العسكرية. غير أنهم كانوا يمتلكون من الثقافة ما يساعدهم على رسم منهجهم الخاص لخوض قتال يستمد توجهاته من الإرث التاريخي والتقاليد الحربية التي جسدت معركة الريف 1921-1926بقيادة عبد الكريم الخطابي قمتها الساطعة في الصمود بوجه القوات الإمبريالية الفرنسية والاسبانية.

ولإلقاء بعض الأضواء على الوسائل النظرية التي اعتمدوها في التعبئة المسلحة، لابد من النبش في التراث ليس بدافع السجال والحنين إلى الماضي، وإنما لربط استمرارية المقاومة بخلفياتها الثقافية الراسخة في الذاكرة الجماعية للجماهير الشعبية.

فالنبي محمد (ص) جمع بين يديه القيادة الدينية والسياسية والحربية، وكان على إطلاع بأساليب القتال وحضر في صغره حرب الفجار بين قبيلتي

---

1 -.Stephane Bernard, le conflit Op. Cit. T3, P.267

2 -.Ibid, P. 273

قريش وهوزان، وجمع النبال والسهام لفائدة قبيلته المنتصرة، وقاد القوافل التجارية إلى الشام والمستعمرات الرومانية، وألمّ بمجريات الحروب التي كانت تدور بين الفرس والرومان، وأولى القضايا العسكرية بالغ الاهتمام.

في البداية كانت الدعوات التبشيرية الدينية جزءا لا يتجزأ من الصراع الثقافي الهادف إلى التقويم الروحي والأخلاقي لسلوك الأفراد. وستظل الثقافة تمثل الوقود الملتهب في الصراعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية بصفتها مكونا أساسيا من مكونات الهوية القومية.

وليس من باب الصدفة أن يقوم من ينعتون المقاومة الشعبية بالإرهاب بنقل الحرب الثقافية إلى الدفاتر المدرسية إمعانا في التزييف. فالقاموس الفرنسي على سبيل المثال يواصل شحن عقول الصغار والكبار بأن الإسلام دين التعصب وعدم التسامح، ومن بين أركانه يوجد الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الذين يرفضون اعتناقه. (3)

وكل المراجع ومن ضمنها الموسوعة الفرنسية تقع في تناقض صارخ عندما تورد أركان الإسلام الخمسة : **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.**

وهكذا يتضح أن الجهاد ليس من أركان الإسلام وينكشف التدليس وتغييب الحقيقية. (4) فالتضليل الذي تقوم به القواميس المدرسية الراهنة يتشابه مع ما كانت تقدمه في الماضي كتب التلاوة الفرنسية المفروضة في المدارس الابتدائية حيث كان الطفل المغربي مرغما على حفظ وسرد ما جاء في تاريخ فرنسا من قبيل **"أجدادي الغولبين les Gaulois كانت عيونهم زرقاء ويلبسون جلود الحيوانات" !**

والحقيقة أن كلمة الجهاد التي ابتذلها الإعلام الغربي تعني في اللغة العربية بذل أقصى الجهد والاستطاعة لتحقيق هدف معين في الميادين الإجتماعية والروحية والأخلاقية، وهو جهد إنساني يسعى لدفع الشر بمختلف أشكاله السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.

ولما انطلقت الدعوة النبوية بمكة كان الجهاد بالفكر **(وجاهدهم به جهادا كبيرا)** (5)بغية إقناع الناس بالعقيدة مع تحمل الشدائد بالصمود ومجابهة الأذى بالصبر والقدوة الحسنة. (6)

3- La Rousse, 1999, P.1493
4 - للمزيد من التوسع انظر : محمد عمارة، الإسلام والحرب الدينية، بيروت 1982.
5 - الفرقان/السورة 25الآية 52.
6 - المستشار محمد العشماوي، الإسلام السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1991ص199.

ويركز القرآن في تعاليمه على المنع الصريح لكل إكراه على الدين **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)**(7)، ويأمر بإعمال العقل والحجة والكلمة الطيبة في الجدال والحوار لاستمالة الناس وكسب تأييدهم **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** (8) ويترك مسألة الإيمان لاختيار الإنسان وإرادته الحرة **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر)**(9) ويزيد في التأكيد على التسامح بتحديد دور النبي (ص) في تبليغ الرسالة **(فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر)**.(10)

وتحمل كلمة الجهاد معنى الخير **(ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين)**(11) وفي مكان آخر تكتسي صبغة التضحية بالمال والنفس لمساعدة ضحايا القمع الذين اضطروا إلى مغادرة بيوتهم وفقدوا مصدر العيش دفاعا عن عقيدتهم **(إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولائك هم الصادقون)**.(12)

وعندما استعمل المشركون التعذيب في حق معتنقي الدين الجديد مثل الضرب والتجويع والتعريض للحر اللافح في الشمس المحرقة مما أودى بحياة عدد منهم، جاء الإذن للمظلومين بخوض القتال دفاعا عن النفس **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)**.(13)

وفرضت قريش حصارا اقتصاديا صارما على بني هاشم وبني المطلب المناصرين للنبي، لا يبيعونهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ولا يتعاملون معهم في أي شيء مدة ثلاث سنوات إلى أن ساءت أحوالهم وتدهورت معيشتهم من شدة المقاطعة الشاملة.

وكان على المؤمنين الانتقال إلى مرحلة نضالية جديدة **(يا أيها النبي حرض المومنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)**.(14)

بدأ المكافحون القتال على شكل حرب الغوار بهجومات مباغتة على قوافل قريش التجارية المتجهة أو العائدة من الشام، وتمكنوا جزئيا من عرقلة

---

7 - البقرة 254/2.

8 - النحل 125/16.

9 - لكهف 28/18.

10 - الغاشية 20/88.

11 - العنكبوت 5/29.

12 - الحجرات 15/49.

13 - الحج 36/22. هذه أول آية تدعو للقتال. انظر : تفسير الجلالين، طبعة دمشق 1978.

14 - الانفال 66/8.

نشاطها الإقتصادي بالاستيلاء على البضائع ومواد التموين والسلاح، وزعزعوا أمنها تارة بالتهديد العسكري وطورا بالضغط النفسي وتأليب الأحلاف القبلية ضد بعضها.

كان المحاربون ينقسمون إلى جماعات تضم كل واحدة ما بين خمسة وثمانية أفراد، وتسمى الجماعة سريَّة لأنها تسري خفية وتتحرك في تكتم وتشن غارات مفاجئة على الأعداء فيَ مخابئهم وحصونهم المنيعة.(15)

وبما أن المسلمين كانوا يفتقرون إلى جيش قوي، فقد عمدوا إلى تطبيق أسلوب الاغتيال الفردي لردع أعدائهم، وسقط تحت ضرباتهم ثمانية من الرؤساء لهم نفوذ كبير داخل قبائلهم. وقد سلك المقاومون المغاربة في الخمسينيات نفس الخطة ضد المستعمرين والخونة.

ومن الروايات المتواترة حول الكمائن الحربية أن الرسول (ص) قال لأبي سلمة القرشي حينما أرسله لمحاربة بني أسد: **"أغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم"**.

ولما استشاره نعيم بن مسعود، وهو من الأعيان النافذين، في استعمال الحيلة وترويج الإشاعة لتفريق صفوف القبائل التي حاصرت المدينة في غزوة الخندق، أعطاه الموافقة قائلا له: **"خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة"**(16) بمعنى اللجوء إلى استخدام الوسائل الخفية والمكائد وكل ما من شأنه أن يلحق الضرر بالعدو ويؤدي إلى النصر.

وبعد مرور ألف ومائتي سنة على نص الحديث: **"الحرب خدعة"**(17) استيقظ الذين يحنون إلى تأبيد الهيمنة الثقافية والاقتصادية ونسبوا المقولات الحربية والخطط العسكرية إلى المنظرين الأوربيين وعلى رأسهم الجنرال البروسي كلاوزيفيتس مؤسس مدرسة برلين العسكرية (18) وذهبوا يؤثثون كتاباتهم بمنطق التعالي العنصري بوضعهم باقي المناهج الأخرى خارج الفعل التاريخي، وإبراز نظرية المركزية الأوربية كمصدر وحيد للعلم والمعرفة الإنسانية. وللتذكير فإن التفوق العربي يوم كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى لم يكن تفوقا عرقيا، وإنما إنتاج سيرورة موضوعية في ظروف تاريخية محددة بحكم التداول **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)**.(19)

15 - أحمد الشرباصي الفداء في الإسلام، القاهرة 1971 ص84.

16 - تفاصيل الخدعة في سيرة ابن هشام ج3.ص137، طبعة القاهرة بدون تاريخ.

17 - حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمدي.

18 - Karl von Clausewitz 1780-1831.

19 - آل عمران 139/3. أورد الفخر الرازي تفسير هذه الآية بقوله: "إن الدنيا دول تنتقل من قوم إلى آخرين ثم عنهم إلى غيرهم. لا يدوم مسارها ولا مضارها" محمد الرازي فخر الدين، الفخر الرازي، ج5. ص16. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

وبعد أن تقوت صفوف المؤمنين وازدادت نسبتهم العددية، تطور شكل المواجهة وانتقل القتال إلى حرب نظامية تشمل المبارزة الفردية والتعبئة الجماعية **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** [20]

وجاءت مجموعة من الأحكام والمبادئ لتقنين أخلاقيات الحرب وتحديد قواعد الانضباط، ونلخصها في النقط التالية :

1- لا تقتلوا إمرأة ولا طفلا ولا شيخا.
2- لا تقتلوا أسرى الحرب ولا تعذبوهم وقوموا بإطعامهم.
3- لا تقتلوا المدنيين الذين لا يشاركون في الحرب.
4- لا تمسوا المتعبدين المعتزلين في الصوامع.
5- لا تسمموا آبار المياه في بلدان العدو.
6- لا تدمروا المعالم الحضارية من بناء واقتصاد وثقافة.
7- لا تقطعوا الأشجار المثمرة.
8- لا تنحروا شاة ولا بعيرا إلا للأكل.
9- لا تغدروا ولا تمثلوا. [21]
10- لا تنقضوا العهود والمواثيق.

وتم استثناء عدة أفراد من المشاركة في القتال، إذ لا جهاد على غير المسلم والصبي والمرأة والمجنون والمريض والأعرج والمشلول وعادم أهبة قتال أي الجبان.

وتجدر الإشارة إلى أن المبادئ والأخلاق الحربية في عهد النبي والخلفاء الراشدين (632-661 م) فقدت كثيرا من صفاتها في حكم الدولة الأموية (661-750م)، وفي العصر العباسي (750-1258م) مرورا بتطاحن ملوك الطوائف في الأندلس، ونزلت إلى الدرك الأسفل أثناء الاستبداد العثماني.

وترشدنا المصادر التاريخية إلى أن النبي بعث ثمانية وثلاثين سرية (كوماندو) معظمها ذات طابع استكشافي لمعرفة الأرض وتضاريسها والميادين المفترض وقوع القتال فيها. وقاد سبعا وعشرين غزوة، وشارك بنفسه في تسع غزوات هي : بدر، أحد، الخندق، قريظة، المصطلق، خيبر، الفتح، حنين، والطائف. [22]

لم تكن الانتصارات وحدها حليف المسلمين، فقد تراجعوا في حنين وبقي مع النبي أقلية في الميدان، وكانت واقعة جبل أحد (624م) مليئة بالدروس والعبر، فالمعركة اختار مكانها وزمانها الخصوم، وكان عددهم ثلاثة الاف مقابل سبعمائة وتسبب الرماة المكلفون بحماية ظهر الجيش في الانكسار

20 -البقرة 190/2.
21 -المُثلة تعذيب الحي وتشويه الميت.
22 -السيرة النبوية م.س. ج3. ص189.

بنزولهم من أماكن الحراسة للفوز بنصيبهم من الغنائم، حينما تأكد فرار الأعداء، وكانت الغنيمة تلعب دورا بارزا في تقاليد القبائل الحربية. إلا أن فرسان قريش البالغ عددهم مائتين عادوا لمباغتة المسلمين من الخلف وألحقوا بهم ضربة موجعة. إذ سقط في ساحة الوغى سبعون من قادة الجيش الإسلامي، وشاع أن النبي (ص) قتل ولاذ المؤمنون بالفرار ولم يبق معه إلا جماعة قليلة، وأصيب بجراح في رأسه وشفته السفلى وفي أعلى الخد وتكسرت رباعيته.(23)

وتقدم منه أبي بن خلف ليقتله، فوجه إليه النبي طعنة بحربة في عنقه مات بفعلها.

لم يحسم أبو سفيان قائد المشركين في المعركة واكتفى بالانسحاب معلنا أنه ثأر لقتلى بدر.

لكن النبي سرعان ما استرد مهابته الحربية في هجومات متلاحقة، وكان دخوله مكة وتحطيمه الأصنام في الكعبة إيذانا بانهيار تحالف الأعداء واستسلامهم.

وحينما عاد منتصرا من إحدى المعارك قال لأصحابه : **"عدتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"** قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : **"جهاد النفس"**.

فالعمل العسكري يدخل في الجهاد الأصغر، إذ لا يمكن للحرب أن ترتقي إلى مستوى الجهاد الأكبر الذي يتمثل في البناء ونشر العلوم وغرس التربية الروحية والأخلاقية.

فقد كانت الحرب وسيلة لتوطيد السلام **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)**.(24)

والإسلام يرى الحرب استثناء والسلام قاعدة ضرورية للتعاون والتعايش بين الناس، ويعتبر الأرض ملكية مشتركة لسكانها جميعهم **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)**.(25)

والسلم ترتبط بالوفاء بالعهود واحترام الاتفاقيات **(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)**.(26) وفي آية أخرى يأتي التأكيد على ضرورة الالتزام بالعهد والوفاء بالقسم **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتهم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)**.(27)

وعلى خطى النبي سار من بعده الخلفاء. فعندما دخل عمر بن الخطاب

23 - الرَّبَاعية السن التي بين الثنية والناب. السيرة النبوية ج3. ص28.
24 - الأنفال 61/8.
25 - الحجرات 13/49.
26 - المائدة 1/5.
27 - النحل 90/16.

إلى القدس عام (17هـ 638م)، أعطى أهلها الأمان ونهى المسلمين عن إلحاق أي أذى بالمسيحيين واليهود في أرواحهم وأموالهم ومعتقداتهم.
ولما احتلها الصليبيون سنة (493هـ 1099م)، لم يرحموا أحدا من سكانها وطردوا منها كل من لم يكن على دينهم، وحينما استرجعها صلاح الدين الأيوبي سنة (583هـ 1187م) بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة، ضمن حرية المعتقدات للنصارى واليهود والمسلمين. وبلغ عدد الأسرى الصليبيين عدة آلاف لم يكن صلاح الدين قادرا على إطعامهم كما توصي بذلك تعاليم الإسلام، فقرر إطلاق سراحهم إلا أنهم عادوا لمحاربته، وحينئذ قال كلمته الشهيرة :

"خير لنا أن نقتلهم في المعركة من أن نقتلهم جوعا أو نذبحهم وهم أسرى عاجزين".

أما الملك الإنجليزي ريتشارد المسمى "قلب الأسد" والمتزعم للحرب الصليبية الثالثة 1189-1192، فقد أعطى العهد لثلاثة آلاف مسلم محاصرين أن لا يقتلهم إذا استسلموا، ولما استجابوا لم يتردد في ذبحهم عن آخرهم.
فالحروب الصليبية الثمانية الممتدة من 1096إلى 1270م ذهب ضحيتها المسلمون واليهود والمسيحيون الأرثودوكس، وأتت على الأخضر واليابس في الأراضي الإسلامية بشكل لا يختلف عن الخراب الذي ألحقته القبائل الأوربية الهمجية، بين القرن الثالث والسادس الميلادي، بالبلدان الخاضعة لحكم الإمبراطورية الرومانية، وشبيه بالدمار الناتج عن الحروب الاقطاعية في أوربا.
ومن المحزن حقا والإنسانية تضع القدم في الألفية الثالثة أن يظل ممثلو الخطاب الإستعماري يشنون الحرب الثقافية والاقتصادية بعقلية صليبية وبمنطق أصولي متطرف، ويخلطون عن قصد بين قضايا الإيمان الديني وبين الحضارة الإسلامية كواقع مادي في نطاق تصفية الأحقاد التاريخية بين الشرق والغرب.
منذ نهاية القرن الأول الهجري (718م) احتدت الجدالات بين الفقهاء المسلمين حول فرضية الجهاد ومتى ينبغي اللجوء إليه هل قبل أو بعد تعرض ديار المسلمين للعدوان. (28) إلا أن السجال فقد مبرر إستمراره بعد هجوم البيزنطيين على سواحل الشام (150هـ، 767م) حيث أصبح الجهاد مرادفا للدفاع عن النفس، وتحول إلى واجب ديني ووطني لصد الخطر الصليبي انطلاقا من سنة (490هـ، 1096م) وتداخل الشعور الديني والوطني في النفوس بعد استعادة الإسبان لطليطلة (478هـ،1085م)، والرومان لصقلية

28 - رضوان السيد، منظومة دار الحرب ودار الإسلام، ظهورها وزوالها، منبر الحوار، العدد 1998.135 ، بيروت، ص9-21.

(483هـ، 1090م) وسقوط غرناطة (898هـ، 1492م) وإقامة محاكم التفتيش في الأندلس مع ما رافقها من جرائم القتل والإحراق التي اقترفها الإسبانيون في حق المسلمين واليهود، وأخيرا انتشار الحروب الاستعمارية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، واحتلال أراضي المسلمين خاصة الموجودة منها في مناطق جغرافية حساسة بالقرب من أوربا، والاستحواذ على ثرواتها الفلاحية والمعدنية وعلى منابع النفط الذي يمثل مادة استراتيجية.

كان لابد من هذه التوضيحات لإبراز الخطوط العامة لمرجعية العمل المسلح التي كانت نبراسا لنخبة المقاومة المغربية قبل خمسين سنة خلت.

فالمقاومون الذين حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني كانوا شاعرين بتفوق العدو العسكري والاقتصادي والإعلامي، لكنهم لم يستسلموا، بل ذهبوا يستنطقون التاريخ بحثا عن الحلول للمشاكل الطارئة، ووجدوا بعض الأجوبة في التراث ترشدهم إلى أن القوات المعتدية المدججة بمختلف أسلحة الدمار لن تتمكن من قهر الأقلية الصامدة **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)**.(29).

كان المتزعمون للكفاح المسلح يجهلون كل شيء عن فنون الحرب وتغلب عليهم الميولات السلمية، إلا أن القمع الاستعماري أرغمهم على حمل السلاح دفاعا عن الشعب والوطن **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)**.(30).

تميز المكافحون الطلائعيون (طلبة، عمال، حرفيون، فلاحون، باعة صغار، نساء) بالشجاعة والإقدام، فكلما سقط عدد منهم تحت الرصاص أو ألقي عليهم القبض إلا وخلفهم آخرون في ساحة الشرف وهم مقتنعون بأن الموت هو نهاية الحياة الدنيوية فقط، لأن للشهيد بعثا جديدا وحياة أخرى دائمة في الجنة : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن)**.
(31)

حمل المقاومون مشعل الثورة بقناعة مطلقة قائمة على إيمان ثابت بعدالة القضية وبحقيقة الحياة والموت : **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا)** (32)، وتقدموا إلى ميدان الوغى بلا وجل وهم يذكرون أن عمر الإنسان محدد سلفا لا يمكن تقديمه ولا تأخيره : **(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)**(33)، وما دام الموت حتميا لا مفر منه **(أينما تكونوا**

---

29 - البقرة 247/2.

30 - البقرة 213/2.

31 - التوبة 111/9.

32 - آل عمران 145/3.

33 - النحل 61/16.

يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (34)، فإن الحياة تهون في سبيل الحرية ويتخلص الفرد من التردد والخوف.

كانت التقاليد الحربية تحتفظ بقيمة معنوية ورمزية وتتوارث جيلا عن جيل على طول التاريخ العربي المكتوب الذي يبدأ قبل الإسلام بحوالي ألف سنة، وقد أخطأ الاستعمار حينما سمح بتدريس السيرة النبوية في جامعة القرويين بفاس وكلية بن يوسف بمراكش، واعتبرها مجرد أساطير مع أنها تمثل جوهر التاريخ الإسلامي الذي منعه في المدارس الرسمية وجعل مكانه التاريخ الفرنسي.

فالمقاومون القياديون تابعوا دراستهم في المؤسستين المذكورتين، واكتشفوا هويتهم في مآثر الأجداد وعزموا على أن يكونوا استمرارا للماضي يشخص وجودهم بجوانبه المضيئة وبتأثيره الروحي ويربط وجدانهم بعصر البطولة في التاريخ القديم والحديث.

ظهرت التنظيمات الأولى للمقاومة في شكل خلايا قليلة العدد، يقودها شباب متعلمون مارسوا من قبل النشاط السياسي داخل الأحزاب الوطنية. ولم يكن الكفاح كما ادعى أحدهم : **"مرتجلا وخاضعا للغريزة أكثر من المنفعة"** (35) وإنما كان منظما وخاضعا لقوانين داخلية ومنهجية، تحكم في توجيهه مناضلون قادرون على التمييز بين القضايا المبدئية والقرارات الظرفية، واستهدفت ضرباتهم قوات الاحتلال والعملاء من جواسيس وكبار الموظفين وكل من كان يشكل خطرا على الحركة التحريرية.

أثناء الفترة الحرجة لانطلاق العمل المسلح (1953-1954) كان الفدائي يعرض نفسه لخطر شديد، وسلاحه ينحصر في المسدس والقنبلة، وحينما ينجز مهمته يندس وسط الحشود التي تجري في كل اتجاه، وتغلق المتاجر أبوابها ويفرغ المكان من المارة وبذلك يختفي الشهود، وعند وصول قوات الشرطة لا تجد أمامها سوى جثة العميل مطروحة على الأرض.

كان المقاومون الذين يمثلون النواة الصلبة، على الرغم من يقظتهم، معرضين للاعتقال ولم يكن السند الميداني (اللوجيستيكي) متوفرا لترحيل المتابعين منهم إلى الخارج، وكان وقوع أحدهم في فخ الشرطة يعني الاعتراف والبوح بالأسرار تحت التعذيب، ولمواجهة كل خطر محتمل فإن الحل الوحيد المتبقي هو قبول المقاوم الذي يتعرف على هويته جهاز الاستخبارات بالتصفية الجسدية على يد رفاقه حفاظا على المنظمة التي ينتمي إليها.

كان القرار قاسيا ومؤلما للمتطوعين معا، المقتول والقاتل، إلا أن حب الوطن وصدق الوفاء وعمق الإخلاص جعل المقاوم يقدم روحه قربانا أسمى لمعبد الحرية.

---

34 - النساء 77/4.

35- Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956, Ed, Jeune Afrique. Paris 1978, P.336

لم تنتج عن هذا القرار المفجع أزمة أخلاقية أو دينية لأن المتعلمين في قيادة المقاومة أجازوه باعتباره عملا بطوليا يهدف إلى تحرير الشعب من عبودية الاستعمار.(36)

وإذا كانت حركة المقاومة في الداخل تخضع لتسيير جماعة درست الآداب والفقه والتاريخ الإسلامي، فإن المثقفين اللاجئين إلى طنجة وتطوان ومدريد، وهم أقلية، كانوا مطلعين على العلوم الحديثة وعملوا في وظائف فكرية وثقافية، وإلى جانب نشاطهم الإعلامي لصالح القضية المغربية بالمنفى، كانوا يزودون المقاومة بالأسلحة الخفيفة وبأقراص من السم أراحت المقاوم من الموت التطوعي برصاصة من يد أخ حميم. وقد أفتى بجواز الانتحار بالأقراص السامة علال الفاسي المقيم بالقاهرة بصفته من كبار علماء المغرب.(37)

كان المقاومون حريصين على الموت ليضمنوا للمقاومة الشعبية الاستمرار ولذلك كانوا يخفون أقراص السم بعناية في ملابسهم لوقت الضرورة. وقام عدد منهم في اللحظات اليائسة باختيار الفناء الذاتي وكان في مقدمتهم رمز المقاومة محمد الزرقطوني. واستأثرت تضحيتهم الكبرى بتقدير الشعب الذي منحهم الخلود في ذاكرته التاريخية.

وفي المرحلة الحاسمة من اشتداد الكفاح المسلح، طرأت قضايا أخرى شديدة التعقيد تطلب حلها اجتهادات عقلية ومواقف جريئة على المستوى الإنساني والسياسي.

ففي يوم 18 دجنبر 1953 أصدر بعض العلماء في جامعة القرويين وكلية بن يوسف ومعهد مكناس فتوى دينية بطلب من الإدارة الفرنسية، اعتبروا فيها أعمال المقاومة **"إرهابا"** وطلبوا بإعدام الفدائيين باسم الشريعة الإسلامية.(38)

لم يكن المثقفون في قيادة المقاومة أقل معرفة بتعاليم الشريعة وبالقانون الإسلامي، فاتخذوا قرارا بتصنيف العلماء إلى فئتين : واحدة جبانة تشارك تحت الإكراه في مؤامرات العدو، ولا ينبغي الاهتمام بها. والثانية خائنة تدفعها مصالحها إلى التآمر على الشعب والوطن، وتقوم بتحريف الدين خدمة لأهداف الاستعمار، وهذه يجب القضاء عليها.(39)

وفي نفس الشهر نشر عدد من الأعيان والتجار المغاربة المتواطئين مع السلطة الاستعمارية بلاغا استنكروا فيه الانفجار الذي خلف عددا من القتلى

36 - وقعت تصفية واحدة من هذا القبيل في الدار البيضاء عندما تطوع المقتول لتلقي رصاصة الموت على يد رفيقه في مكان اختاراه معا. واعتقدت الشرطة أن المقاوم الذي كانت تبحث عنه ذهب ضحية لتصفية الحسابات بين المقاومين.

37 - مقابلة مع الدكتور عبد اللطيف بنجلون بتاريخ 1988/06/14 بالدار البيضاء.

38 - الفتوى وبلاغ التجار في الفصل الثامن.

39 - مقابلة مع الفقيه عمر المتوكل الساحلي بمراكش يوم 17-9-1986.

والجرحى الفرنسيين في ليلة عيد ميلاد المسيح سنة 1953 بالدار البيضاء، ووصفوا المقاومين بالإرهابيين و"**الخارجين عن الإسلام**" وأعلنوا استعدادهم للتضحية بحياتهم في سبيل "**الصداقة الفرنسية المغربية**".

احتدم النقاش في قيادة المقاومة حول الرد الذي يجب القيام به خاصة وأن بعض الموقعين على البلاغ ينتمون إلى حزب الاستقلال والى حزب الشورى والاستقلال. فهناك من طالب بإسقاط بعض الرؤوس، وهناك من رفض اللجوء إلى التصفية الجسدية خوفا من أن تتحول المعركة إلى صراع بين المغاربة.

واتفق رأي الأغلبية على اعتبار الموقف المشين للبورجوازية الوطنية نابع من خوفها على مصالحها، ويندرج ضمن مخطط استعماري يهدف إلى الانحراف بالمعركة عن مجراها الحقيقي. وفي نفس الوقت تقرر توزيع منشور باللغة الفرنسية يحمل التعازي إلى أسر الضحايا المدنيين الفرنسيين ويلقي المسؤولية على السياسة الاستعمارية.

وفي يوم 30 أبريل 1954 خططت المقاومة لضرب ستة أهداف فرنسية بالدار البيضاء في يوم واحد وفي ساعة واحدة حددت في الثامنة مساء. وكانت الغاية المقصودة هو إدخال الرعب في قلوب المستعمرين وإشعارهم بأنهم يواجهون حركة محكمة التنظيم، قادرة على توجيه ضربات موجعة لهم ولمصالحهم في كل مكان وفي أي وقت.

نجحت الهجومات كلها باستثناء عملية واحدة زاغت عن هدفها وألحقت الضرر بسمعة المقاومة. فالمقاوم تشدد في تنفيذ الأمر الصادر إليه بإعدام فرنسي جاسوس صاحب متجر **مادلين** لبيع التبغ في حي **لارميطاج**. وما أن دقت الساعة الثامنة حتى بادر إلى إطلاق النار فقتل طفلا عمره أربع عشرة سنة وجرح آخر كانا جالسين مكان أبيهما المستهدف.

قامت الصحف الفرنسية بضجة مدوية واتهمت المقاومة بقتل الأطفال الفرنسيين، ولم تهتم قبل ذلك بسقوط عشرات الأطفال المغاربة برصاص الشرطة أثناء المظاهرات الشعبية في غشت 1953.

كان على قيادة المقاومة أن تحدد موقفها من تلك النازلة المؤلمة. فاستمعت لجنة تأديبية للمقاوم الذي دافع عن نفسه مدعيا أن الجاسوس اختفى وراء الطفلين ساعة إطلاق الرصاص. وفي رسالة تعزية إلى أم الضحية أكدت المقاومة أن قتل الطفل كان خطاء مؤسفا، وأنها تلتزم باحترام سلامة المدنيين واعتبرت قتل الأبرياء بقطع النظر عن سنهم وجنسهم ودينهم إبادة جماعية للجنس البشري : (**أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**). (40)

وبعد مرور سنة شاءت الظروف أن تقع مأساة أخرى بطلها وضحيتها

40 - المائدة 32/5.

طفل مغربي بمدينة وجدة. فقد أطلق مقاوم النار على مراسل جريدة "السعادة" الناطقة باسم الإقامة العامة الفرنسية داخل أحد المتاجر، وكان ابنه الصغير شاهدا على الحادثة، فاقتفى أثر المقاوم إلى أن دخل منزله، فأخبر الشرطة التي ألقت عليه القبض، وتمكن باقي أعضاء الخلية من الفرار. ونشب خلاف بين المقاومين حول نوع العقاب الذي يستحقه الطفل. وتمخض الجدال عن رأيين متعارضين :

الأول يقول بأن موقف الطفل كان بمثابة رد فعل ناتج عن توتر نفسي وصدمة عاطفية بسبب ما أصاب والده.

والثاني يعتبر وشايته بالمقاوم طعنة من الخلف لحركة التحرر ومساندة فعلية للعدو خاصة وأن المقاوم المعتقل مهدد بالإعدام.

كان الحسم في هذه القضية يفرض الاحتكام إلى المرجعية الشرعية. وجاء رأي المفتي يقول بعدم جواز معاقبة الطفل إذا توقف القتال لأنه يصبح أسيرا والعقوبة لا تسري على الأسير والصبي والمعتوه الذي لا يعقل. أما إذا كانت المواجهة مع العدو متواصلة والقتال لم يتوقف فيجب اعتبار الطفل في حالة قتال وتصفيته تعد دفعا لشر القتل.

وسواء كان استنباط الرأي حسنا وصائبا أو أنه خضع لتأويلات فقهية أملتها ظروف خاصة، فإن تنفيذ الحكم في الطفل بكل ما يحمله من قساوة لم ينتج عن فراغ، فهو نابع من نصوص تبقى مفتوحة لاجتهادات العقل البشري وقد تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ.(41)

وكانت الضحية التالية فتاة مغربية سقطت بعد إصابتها بعيار ناري. فقد تمكنت المقاومة من تأطير مدينة الدار البيضاء تأطيرا قويا على مستوى الحي والدائرة. وكلما حدثت نازلة مشكوك في مصدرها إلا وقامت الخلية المشرفة على تلك الجهة بالبحث عن منفذي العملية وإخبار القيادة المركزية.

وأثبتت التحريات أن الفتاة أصيبت برصاصة على يد مقاوم، وأن الأمر يتعلق بمحاولة لاختراق التنظيم السري.

لقد سربت المخابرات الفرنسية بواسطة شرطي مغربي له علاقة ببعض المقاومين لائحة بأسماء العشرات من طالبات المدارس بدعوى أنهن يتعاطين للتجسس والفساد والمساس بالدين والأخلاق. وكان الهدف هو توجيه العنف الدامي ضد الشريحة المتعلمة في العنصر النسوي وإحداث تمزق في النسيج المجتمعي وخلق التصدع في العلاقة بين الرجل والمرأة.

أحدث انكشاف الدسيسة الاستعمارية هزة عنيفة وسط النخبة التي استوعبت الدرس ومنعت أي مساس بنساء الشعب، واعتبرت سياسة التفقير مسؤولة عن انتشار الدعارة والمخدرات، وكرد فعل أمرت بإلقاء القنابل اليدوية

41 - قتل الطفل وتلقى والده العلاج ونقلته الإدارة الاستعمارية إلى مكناس ومنحته رخصة لبيع التبغ.

على مراكز للشرطة في أحياء البغاء الرسمية التي أقامتها الإدارة الاستعمارية في مجموع المدن.(42)

ظهرت مشكلة أخرى أججت النقاش بين أعضاء المقاومة، وتتعلق بعقوبة التدخين بعد أن شملت مقاطعة البضائع الفرنسية مادة التبغ.

وكان السؤال المركزي هو : كيف يجوز إطلاق النار على شخص يدخن سيجارة بينما أعضاء في قيادة المقاومة يتعاطون للتدخين ؟

ومرة أخرى حال الشعور بالمسؤولية دون الانحراف بالعنف عن هدفه الأساسي في محاربة الاحتلال الأجنبي، واتفق المجادلون على عدم استهداف المدخنين والاكتفاء بتوجيه الضربات إلى باعة التبغ وإحراق حوانيتهم لأن معظمهم ينتمون إلى قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي ومن العملاء المستفيدين من احتكار بيع السجائر وهو امتياز ينالونه مكافأة لهم على المشاركة في التجسس على الوطنيين المكافحين.

بعد هذه المحاولة لرصد التأثير المباشر الثقافي والتاريخي على مسيرة المقاومة المغربية في الخمسينات، هل يمكن القول بأن المقاومين المتعلمين انتهجوا طريقا سليما ومنظما للنضال في سبيل الاستقلال ؟

الجواب الممكن تقديمه أنهم فهموا متطلبات اللحظة التاريخية. وواجهوا المشاكل النظرية الأشد استعصاء بالاجتهاد واستعملوا النصوص دليلا، وفي غيابها احتكموا إلى العقل في البحث عن الحلول التي تستمد قوتها من الخصوصية الثقافية الوطنية، لم ينغلقوا على الذات ولم يتعصبوا لامتشاق السيوف والنبال على طريقة الأسلاف، بل نازلوا الاستعمار الغاشم بسلاحه الناري وبالقنبلة الموقوتة وبالمنشور المكتوب كوسيلة إعلامية، وتمكنوا من زعزعة استقراره وترويع جهازه القمعي بضربات تم القيام بها باتفاق جماعي كما كانت القيادة جماعية، وهذه خاصية أساسية ساهمت في حل بعض القضايا الصعبة التي واجهتها حركة المقاومة. وفي الميدان العملي ارتكبوا أخطاء تنظيمية فادحة وبعضها كان قاتلا. وتمكن الاستعمار من استغلال ثغرات في صفوفهم وأوقع محمد الزرقطوني، العنصر القيادي، في فخ سهل نتيجة لخيانة دنيئة ساعد على إنجاحها الاستخفاف بقدرة العدو على حبك المناورات، والثقة العمياء في قريب غدار لا علاقة له بحركة المقاومة.

في ظرف سنة ونصف فقدت المقاومة معظم قادتها المثقفين، بعضهم استشهد والبعض وقع في الاعتقال بينما تمكن آخرون من اللجوء إلى المنطقة التي كانت تحت إدارة الاحتلال الإسباني.

لم تتوقف المعركة لأن الجماهير الواعية تبنتها وأوجدت لنفسها قيادات بديلة. وعلى الرغم من إخلاصهم وصمودهم فإن أولئك القياديين اللاحقين

42 - انظر الخلفيات الكامنة وراء تنظيم البغاء في الفصل السادس.

كانوا من بسطاء الشعب تغلب عليهم الأمية الأبجدية، وينحصر وعيهم في ما تلقوه بالسماع داخل الخلايا الحزبية من ثقافة سياسية شفوية.
وساهمت الشروط الذاتية المتسمة بالعجز الفكري على فتح الباب أمام السياسيين المحترفين وعودتهم لفرض توجهاتهم على منظمات المقاومة التي اختل النظام داخل هياكلها، وانقسمت عشية إعلان الاستقلال إلى مجموعات متناحرة تحركها أصابع ملاكي الأراضي والبورجوازية وفلول الخيانة المهزومة.



الفصل الثاني

المواجهة بين الجماهير الواعية وقوات الاحتلال

اقتصر نشر الوعي السياسي على المدن، وتركت قيادة الحركة الوطنية سكان البوادي خاضعين لجيش الاحتلال وسيطرة عملائه. فالقيادة "لا تسعى مطلقا لتكثير الوطنيين ولا تتصل بالقبائل (في البادية) لا قليلا ولا كثيرا"(1)

واعتبارا لانتمائها البورجوازي وميولاتها للعيش الهادئ، كانت القيادة تخشى التورط في أعمال عنف تتنافى مع الوضعية القانونية التي تعمل في إطارها وترفض أن يكون في صفوفها مناضلون خارجون عن الشرعية الاستعمارية.(2)

ولما اشتد القمع الاستعماري ووجد أعضاء القيادة أنفسهم داخل السجون وفي المنافي بالصحراء، اقتنع مناضلو القاعدة بأن تغيير أسلوب الكفاح بالمدن كفيل بفك الحصار عن جماهير الفلاحين لتنخرط في العمل الثوري الذي اكتسبت فيه تجربة غنية طيلة عشرات السنين من الكفاح المستميت ضد الحكام المستبدين والغزاة الأجانب.(3)

وكان على الثوريين أن يتقدموا الصفوف لتخليص الجماهير من حالة الحيرة والتردد والارتفاع بالمعركة إلى مرحلة العمل المباشر.

وشهدت مدينة الدار البيضاء يوم 15غشت 1953قيام مظاهرات بالمدينة القديمة وفي درب السلطان سقط خلالها ثمانية قتلى وعشرين جريحا.

وانفجرت في مراكش ووجدة أحداث خطيرة أدت إلى سقوط عشرات القتلى بطلقات البنادق الرشاشة وقذائف المدفعية وعصفت كذلك بأرواح بعض الفرنسيين وعملائهم المغاربة.

---

1 - تصريح محمد اليزيدي في تطوان. أنظر : وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب م.س. ص250.

2 - انظر : مجموعة مقالات نشرناها بجريدة "أنوال" حول المقاومة وجيش التحرير بأسماء مستعارة في يونيو وغشت من سنوات 83-84-85و1986.

3 - في سنة 1952كان عدد سكان المدن مليون وسبعمائة ألف فقط من مجموع سبع ملايين ونصف المليون.

15 غشت 1953

الدماء تسيل في مراكش

في مراكش قررت مجموعة من المناضلين مراقبة صلاة الجمعة ليوم 14 غشت 1953، ومعاقبة كل إمام يسكت عن ذكر اسم الملك محمد الخامس في خطبته. وكان إمام مسجد المواسين هو الضحية الأولى حيث تلقى طعنة بالخنجر في ظهره. وفي نفس اليوم دخل مناضلون قادمون من الدار البيضاء وفي مقدمتهم محمد الزرقطوني إلى مسجد الكتبية بغية القضاء على بن عرفة إلا أنه لم يؤد صلاة الجمعة خلافا لما أعلنته الصحف الفرنسية.(4)

وعلى الساعة الرابعة زوالا من يوم السبت 15غشت تظاهر حوالي ثمانمائة شخص أمام القصر الملكي في المشور للتنديد بالمؤامرة التي تحيكها السلطة الاستعمارية ضد الملك الشرعي. وكان عدد تلاميذ المدارس والطلبة قليلا نظرا للعطلة الصيفية بينما شارك في المظاهرة بشكل فعال الوطنيون القادمون من القبائل المجاورة مثل مسفيوة وامزميز ومزوضة وأولاد دليم.(5)

ورجع المتظاهرون إلى ساحة جامع الفنا الشهيرة، وساهم الوضع الاقتصادي المتردي في انضمام المآت من الفقراء إلى المظاهرة وتوقفت تلك الحشود التي يمكن تقديرها بحوالي ألفي شخص بعض الوقت أمام عرصة لبيلك، وتعالت الهتافات بسقوط الاستعمار وبحياة الملك الوطني، وقصد المتظاهرون مرة أخرى القصر الملكي عن طريق باب القصبة، وصعد بعض مسيري المظاهرة فوق حائط قصير يخاطبون عواطف الناس وكان ذلك خطأ فادحا أدى إلى تعرف الجواسيس عليهم وأصبحوا مطاردين من طرف جهاز الشرطة، وكان من ضمنهم محمد البقال الذي ترأس جماعة للمقاومة المسلحة، وسرعان ما ألقي عليه القبض، رغم دخوله في السرية، ونفذ فيه حكم الإعدام في أبريل 1954.

ولا تزال صورة رجال الأمن الفرنسيين المسلحين بالبنادق الرشاشة منقوشة في ذاكرتي وأنا في سن الطفولة. إذ بمجرد ما أطلوا على ساحة المشور عند دخولهم من باب إيغلي على متن سيارات (جيب)، شرعوا في إطلاق النار على الجموع المحتشدة أمام بوابة القصر أي على بعد حوالي ثلاثمائة متر. وكنت من أول الهاربين، وصادفت في طريقي فقراء الفلاحين الذين جندهم الباشا الجلاوي يهرولون في اتجاه المشور وهم يرتدون جلابيب قصيرة وبأيديهم عصى غليظة ويحمل رؤساؤهم البنادق.

وفي طريقهم قاموا بنهب أموال الناس وساعاتهم اليدوية، وسلبوا النساء أسورتهن ومجوهراتهن.(6)

4 - لم يتعرض قصر الباشا الجلاوي لأي هجوم عكس ما أورده غلاب في تاريخ الحركة الوطنية ج2. ص607.

5 - كلهم منخرطون في جماعات حزب الاستقلال.

6 - J. Le grand, Justice, Op. Cit. P. 182.

وأصبح المتظاهرون محاصرين من الأمام والخلف ومعرضين لطلقات البنادق وهراوات الحراس. وكانت الأوامر صدرت بمحاصرتهم داخل ساحة المشور وإبادتهم. (7)

وفي ظرف بضع دقائق سقط عشرات القتلى والجرحى عرف من بينهم الشهيدان فاطمة الزهراء وكانت حابل، وأحمد بن الهاشمي. ومن جماعتنا نحن التلاميذ أصيب أحمد بن منصور بجراح خفيفة في رجله.



● أول شهيدة كانت إمرأة

7 - Ibid, P. 177.

وفي صك الاتهام وردت شهادة شرطي فرنسي يدعي بأن المتظاهرين كانوا البادئين بإطلاق النار، وذلك بهتان عظيم. ويضيف بأن عددا من المتظاهرين اختفوا وراء حوض للماء صغير، علوه مترين وتحيط به بعض الأشجار، وعندما اقترب منهم الشرطيون على متن سيارتهم انقضوا عليهم وقتلوا اثنين منهم طعنا بالسكاكين وهما : رولان كولون، وروني ميكو. (8)

ومن جهتها جندت السلطة في منتصف الليل الكناسين وبائعي المياه لينظفوا ساحة المشور من الدماء التي سالت فيها (9)ولم تعط الإدارة الفرنسية أي رقم عن عدد الضحايا الذين سقطوا في ذلك اليوم المشؤوم.

والقي القبض على العشرات تعرضوا للتعذيب في مراكز الاعتقال، ومن بينهم الوطني المشهور عمر باولو، وكان الباشا قبل سنة من ذلك التاريخ، قد جلده وطوفه في الأسواق بعد أن لطخ وجهه بالمداد الذي كان يكتب به المناشير المناوئة للإستعمار. وروى لي أخي محمد الذي كان معتقلا معه في إدارة الشرطة أن رجال البوليس الفرنسيين كانوا يتناوبون على تعذيب عمر لا لكي ينتزعوا منه الاعترافات، وإنما ليعاقبوه على تمسكه بالعقيدة الدينية.

وكلما ارتفع صوت المؤذن منبعثا من المسجد القريب من ساحة جامع الفنا، إلا ويهرع الشرطيون إلى الزنزانة ليجدوا عمر يقوم بالتيمم، لأنه ممنوع من الماء، فيشبعونه ضربا بالسياط ويمنعوه من إتمام شعائره، فيقوم ثانية لأداء الصلاة فيعودون لإشباعه ركلا من الخلف ويسخرون منه قائلين **"قل لربك أن ينقذك من أيدينا"** ودام التعذيب الجسدي والنفسي إلى أن فقد عمر الوعي فحملوه إلى السجن بدلا من المستشفى.

وطيلة أيام تجابه السلاحان الروحي والمادي بدون هوادة. الروحي جسدته عقيدة الضحية المصرة على تأكيد الذات والهوية، والمادي أظهر عجز الجلادين عن القضاء على الإيمان الذي يسكن الوجدان، فدفعتهم الغريزة العدوانية للإمبريالية إلى تدمير الجسد.

وبعد سنة من تلك الأحداث الدامية أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية أربعة أحكام بالإعدام على مغاربة انتقاما لمقتل شرطيين فرنسيين. وفي يومي 15و 16نوفمبر 1954مثل أمام المحكمة العسكرية حمان بن العربي بن علي، مولاي علي بن مولاي العربي، رحال بن أحمد، لحسن بن عمر، عبد السلام بن علي وفارس بن إبراهيم الذي أتوا به إلى المحكمة وهو برجل واحدة، وقد قطعت رجله الأخرى بعد أن تعفن جرحه داخل السجن بسبب رصاصة أصابته أثناء المظاهرة.

وصدر الحكم بالإعدام على كل من حمان بن العربي ورحال بن أحمد، مولاي علي بن العربي ونفذ في الأخيرين يوم 5مايو 1955بسجن العادر.

Ibid, P.183. - 8
Ibid, P.185. - 9

16 غشت 1953

انفجار الغضب الشعبي في وجدة

شهدت مدينة وجدة يوم 16غشت 1953مظاهرة دامية عبرت فيها الجماهير عن غضبها الشديد على المؤامرة الاستعمارية ضد السيادة الوطنية.

كان الوطنيون بإقليم وجدة يقومون بنشاط واسع لمناهضة السياسة الاستعمارية والمطالبة بالاستقلال، واشتهر الوجديون بالصدق في السلوك وبردود الفعل الحادة عند الغضب. وذلك ما تجلى بعد أن تلقى المناضلون التعليمات للقيام بالتظاهر في الشارع احتجاجا على السياسة العدوانية الفرنسية.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا حينما تلقى محمد بن بلعيد في متجره مكالمة هاتفية من الرباط تعطي الضوء الأخضر لأطر حزب الاستقلال التي قدرتها مصالح الأمن بألف وخمسمائة عضو يتوزعون على مائة وخمسين جماعة تضم كل واحدة عشرة أعضاء. واتضح فيما بعد أن الأمر صدر عن عبد الرحمان بادو أحد مسؤولي الحزب بتنظيم المظاهرة، وكان اللجوء للمظاهرة السلمية هو أقصى ما تسمح به قيادة الحزب لأن المسؤولية فيما ينتج عنها تبقى غير محددة، وتلقى على عاتق **"الحشود الغاضبة التي لا يمكن مراقبتها"** وعلى استفزاز قوات الأمن.

وترأس لجنة التنظيم عبد الرحمان حجيرة طالب في جامعة القرويين، ومحمد بن بلعيد الفكيكي، ومحمد عبد القادر والطيب بن عبد القادر وعبد الصادق بن عبد العزيز، وحددوا الساعة السادسة لانطلاق المظاهرة. وعقدت جماعات أخرى اجتماعات مستعجلة لجمع الأسلحة المتوفرة مثل الخناجر والقضبان الحديدية والزجاجات الحارقة وغيرها.(10)

وشارك في المظاهرة عدد من القرويين لقبائل بني يزناسن الذين انتزع منهم المستعمرون أراضيهم في سهول انجاد ومنعوهم من المراعي، وجاؤوا لتأكيد نزعتهم المعادية للاحتلال الأجنبي وتمسكهم بالوطن.

وكان الحي الأوربي هادئا في عطلة يوم الأحد، وفجأة انفجرت الجموع بالهتاف ضد الاستعمار، وشرعت في تحطيم واجهات المتاجر الفرنسية، وإشعال الحرائق في السيارات المتوقفة، والهجوم على الخونة والموظفين الفرنسيين، وتدخل الجيش الفرنسي بالدبابات والمدافع الرشاشة بعد مرور نصف ساعة على اندلاع الأحداث، وجاء في صك الاتهام **"أمام هجوم مفاجئ وعنيف فإن مصالح السلطة استدعت في الحال قوات الجيش"** (11)

وسقط مآت الضحايا من المدنيين، واكتفى صك الاتهام بذكر سقوط 26

---

10 - التفاصيل من محمد تانوتي أحد المشاركين في المظاهرة.

11- Acte d'accusation (Article 49 du code de justice militaire. Le Matin 16-08-1988.



● المقاومون الوجديون في سجن القنيطرة

قتيلا و 39جريحا من بينهم ثلاثة جنود من اللفيف الأجنبي وثمانية فرنسيين وعملاء مغاربة، أما القتلى المغاربة المسكوت عن ذكر عددهم، فقد قدرهم المحامي شارل لوغران بألف قتيل.(12)

واعترف رئيس الناحية الفرنسي برونيل Brunel بأن قوات الجيش أطلقت ستة آلاف رصاصة على المتظاهرين(13)، واستخدمت شاحنات جمع الأزبال لحمل جثث القتلى المغاربة خارج المدينة ودفنهم في قبور جماعية، وهناك عدد آخر من القتلى حملهم إخوانهم ودفنوهم بشكل سري.(14)

وبالإضافة إلى ذلك هاجمت القوات الفرنسية البيوت واعتقلت الرجال وأرسلتهم ليعملوا عبيدا في أراضي المعمرين أزيد من 15ساعة في اليوم، وتعرض المعتقلون في إدارات الشرطة لكل أصناف التعذيب ومات عدد منهم، وأصيب واحد منهم بالجنون بعد أن فقد عقله.(15)

وفي يوم 19غشت حشروا 49 شخصا في زنزانة طولها مترين ونصف لا نافذة لها باستثناء ثقبة صغيرة يطل منها الحراس على ما يجري في الداخل. وكان المعتقلون يصرخون ويقولون بأن بعضهم ماتوا. فيجيبهم الحراس : **موتوا... موتوا... !** وبلغت حرارة الطقس في ذلك اليوم 50درجة.(16)

ونظرا لانعدام الأوكسجين الضروري، مات عدد من المعتقلين بفعل

J.Legrand, Justice OP . Cit, P.215. -12
Ibid, P. 262. - 13
Ibid, P 263. -14
Ibid, P 255. -15
Ibid P. 256. -16

الاختناق. وفي صبيحة اليوم التالي أخرج الحراس من الزنزانة 14جثة وحملوها لتدفن في مقبرة جماعية بجانب الواد.(17)

ويستفاد من الوثائق الفرنسية التي رفع عنها الحجز في الثمانينات أن عدد القتلى الفرنسيين بلغ 26قتيلا و 48جريحا، وكلهم أصيبوا بطعنات الخناجر. ووجهت تهم إلى 372شخصا ينتمون إلى المهن التالية : (18)

العمال :........ 157
الفلاحون :........ 12
الحرفيون :........ 50
صغار التجار :........ 123
المستخدمون :........ 19
المعلمون : 7
مهن مختلفة :........ 4
المجموع :......... 372

ومن جهة أخرى أصدرت محكمة الباشا أحكاما مختلفة بالسجن على 788شخصا، بينما نطقت المحكمة العسكرية بالسجن لمدد متفاوتة على 75 مع الأشغال الشاقة.

وفي يوم 29-11-1954 بدأت محاكمة 96 وطنيا، وصدر يوم 9-12-1954 الحكم بالإعدام على 19 منهم 11 غيابيا إلا أنه لم ينفذ لأن المستعمرين كانوا قد انتقموا لقتلاهم ولكون المحاكمة جاءت في وقت فتح فيه الاستعمار الجديد صفحة أخرى تضمن له المحافظة على مواقعه الاقتصادية والسياسية.

17- Ibid, P. 229.
18- D'après Yvette Katan, Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956, Ed. La Porte, RABAT 1993, P.514.

20 غشت 1953 سلطان المظَلّة والملك الموهوب

السلطان والملك إسمان مترادفان لكن اختلف المحتوى السياسي لكل منهما في صميم صيف 1953. فقد شهد شهر غشت القائظ قوى الرجعية والتخلف تحتضن سلطانا (74 سنة) لا تسعفه عكازته على الوقوف طويلا، في حين تسوق عساكر الاحتلال ملكا (44 سنة) يحتفظ بقوة الشباب إلى منفاه السحيق.

فالأول بن عرفة جعل منه المستعمرون مظلة يستظلون بها لمواصلة نهبهم لخيرات البلد، وأجلسوه على كرسي الحكم وهو يفتقر إلى شروط الإمامة.(19)

والثاني محمد بن يوسف الذي رفض أن تحمي عرشه بنادق الاستعمار وجهر مطالبا بالاستقلال والحرية، ونتيجة لذلك وجد نفسه وعائلته منفيا في كورسيكا ومدغشقر (20) غير أن الجماهير الواعية أعادته إلى وطنه مرفوع الرأس وموفور الكرامة بفضل تضحيات جسيمة.

دخل الملك محمد الخامس في مواجهة صريحة مع السلطة الفرنسية حينما قدم إلى المقيم العام الفرنسي يوم 11يناير 1944 بيان المطالبة بالاستقلال، وتمكن من تسجيل هدفين اثنين في ذات الآن :

فقد أصبح رمزا للوطنية المغربية من جهة، ومن جهة ثانية أعاد للملكية شعبيتها التي تصدعت بتوقيع السلطان مولاي حفيظ على معاهدة الحماية في 30مارس 1912.

واستغلت الإدارة الاستعمارية الأحداث الدامية التي وقعت في بداية شهر دجنبر 1952بالدار البيضاء تضامنا مع الشعب التونسي إثر اغتيال القائد النقابي فرحات حشاد من طرف عصابة إجرامية فرنسية، وألقت القبض على القادة السياسيين والنقابيين وأغلقت الصحف الوطنية ومنعت حزب الاستقلال والحزب الشيوعي. (21)

ومع اشتداد الاصطدام العنيف بين الجماهير المناضلة وقوات

19 - شروط الإمامة أربعة : العلم، العدالة، الكفاية أي الشجاعة، سلامة الحواس والأعضاء (ابن خلدون، المقدمة، ص342).

20 - بعد اشتداد أعمال المقاومة، نقلت الحكومة الفرنسية الملك من كورسيكا إلى منفاه الجديد في مدغشقر ابتداء من يناير 1954 إلى نوفمبر 1955.

21 - قرار المنع لم يشمل حزب الشورى والاستقلال.

القمع، صعدت الرأسمالية الاستعمارية من هجومها على الملك الوطني، ورفع المعمرون الفرنسيون يوم 17دجنبر 1952رسالة إلى الحكومة الفرنسية تتضمن مطلبا واضحا : خلع محمد الخامس عن العرش.(22)

ودفعت الإقامة العامة الفرنسية ثلاثمائة باشا وقائد وممثلي الإقطاعية الزراعية إلى توقيع عريضة تتهم الملك بالخروج عن الدين، وتطلب من حكومة فرنسا بأن : **"تحافظ على الإسلام بالمغرب... بإبعاده عن العرش".** (23)

وصرح الفقيه عبد الحي الكتاني أن الحكومة الفرنسية، إذا لم تبعد الملك، ستواجه غضب المؤمنين بمجموع المغرب.(24)

وقبل ذلك اجتمع يوم 13غشت 1953في قصر الباشا الجلاوي بمراكش ضباط الاستعمار الكبار وفي مقدمتهم الجنرال جيوم المقيم العام الفرنسي، ومعهم الباشوات والقياد. (25)وحمل حشد من العلماء راية الدين لتبرير القمع والاضطهاد والسجون وإراقة دماء المؤمنين الحقيقيين، ونصبوا بن عرفة "إماما" وخليفة الله في الأرض بغية تزييف الإيمان بالله وتزكية الاحتلال الأجنبي باسم الإسلام.

وصرح الملك محمد الخامس لصحفي فرنسي بقوله : **"لقد انتزعوا مني سلطتي الدنيوية حينما أرغموني على توقيع البرتوكول**(26) **...وهاهم ينالون من سلطتي الروحية بعد أن عينوا هذا "الإمام" فماذا بقي لي كملك للبلاد".** (27)

وبما أن التقاليد تعطي امتيازا لعلماء جامعة القرويين يخولهم حق مبايعة السلاطين، فقد تهافتوا بقيادة المفتي الأكبر لمدينة فاس الحسن مزور ورئيس المجلس العلمي الطائع بن الحاج على توقيع البيعة الكاذبة.(28)

وفي يوم 20غشت نشرت الصحف بيعة فاس للسلطان الذي نصبته الإدارة الفرنسية، وتحمل توقيع 350شخصا على رأسهم

22 - C.A. Julien, Le Maroc, Op. Cit P.263.

23 - نص العريضة في : المغرب في طريق الاستقلال، محمد العربي الخطابي، دار الكتاب الدار البيضاء 1955ص22.

24 - Le Petit marocain 9-8-1953.

25 - الباشا كلمة تركية تعني والي المدينة، والقائد حاكم منطقة في البادية.

26 - برتوكول 13غشت 1953وثيقة تجرد الملك من جميع سلطاته وحقوقه السياسية" عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة ج. 2 ص. 559

27 - Robert Barrat, Justice pour le Maroc, seuil, Paris 1953, P/ 201.

28 - البعية هي العهد على الطاعة يقدمها للملك رجال الدين وكبار أعيان البلد.

أزيد من خمسين عالما ينتمون إلى مدينة فاس. (29)
وبمكناس قدم القاضي العربي المومني بيعة تحمل توقيعات أكثر من مائة من العلماء والأعيان. وفي الرباط لم يتخلف أي واحد من العلماء وكبار التجار وملاكي الأراضي عن إعلان البيعة، وفي وجدة تزعم الموقعين إدريس الرمضاني، وقام بنفس الدور القاضي الغيساسي في بركان. (30)وبمدينة مراكش تسابق علماء كلية بن يوسف لتقبيل يد بن عرفة، وهكذا **"فقدت مؤسسة العلماء مصداقيتها وبالتالي شرعيتها ومشروعيتها بعد أن تنكرت للشرعية الوطنية الممثلة في الملك الشرعي محمد الخامس".** (31)
وكان الفقهاء يغيرون مواقفهم كلما تغير ميزان القوى وينضمون إلى الحاكم الأقوى. ففي 19يونيو 1953أصدر علماء القرويين بلاغا بطلب من الملك محمد الخامس، استنكروا فيه حركة الباشوات والقياد واعتبروهم متآمرين وطالبوا بمعاقبتهم, وفي ظرف زمني وجيز غيروا موقفهم وجلسوا أمام الحاكم العسكري الفرنسي بفاس ينصتون بانتباه إلى الخليفة محمد اللعبي وهو يتلو نص بيعة بن عرفة ومرسوم خلع الملك محمد الخامس، وعندما انتهى طرح عليهم سؤالين :
هل وقعتم على هاته البيعة عن طيب خاطر ؟ فأجابوا : نعم !
هل تلتزمون بما جاء فيها؟ قالوا : نعم !
ثم توجهوا بالدعاء إلى الله ليحفظ السلطان الجديد من كل مكروه (32)
ونفذ المستعمرون مخططهم بتواطئ مكشوف للعلماء وأرسلوا الملك وأسرته إلى المنفى ليلة عيد الأضحى يوم 20غشت

29 - يوجد من بين كبار العلماء الموقعين : مفتي فاس الأكبر الحسن مزور، الطائع بلحاج، مولاي أحمد الشبيهي، الحاج العربي لحريشي، عبد الله الداودي، عبد الكريم الداودي، إدريس بن عبد الله الإدريسي، الطاهر الفاسي، عبد القادر الصقلي، محمد الصقلي، الحبيب المهاجي، محمد البكراوي، المهدي العمراوي، محمد بنكيران، أحمد الأمراني، محمد بن إبراهيم، عبد العزيز بن الخياط، محمد بن إدريس بنشقرون، محمد بن الحاج الشريف، الفاطمي الكتاني، أبو بكر جسوس، أبو جداين، والعلماء الشعراء محمد الحلوي، محمد العلمي، عبد الواحد العراقي، والمحاميان أحمد باحنيني، أحمد الحمياني، إلخ...

30 - عبد الرحيم الورديغي، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 52-1956 ص27.

31 - عبد الهادي بوطالب ذكريات شهادات ووجوه، الشركة السعودية للأبحاث والنشر ج1 ص548، الرباط 1992.

32 - جريدة "السعادة" 22 غشت 1953.

1953، وبموافقة حكومة باريس بدون أي اعتبار لوسام التحرير الذي يحمله الملك على صدره منذ 1945 اعترافا من الجمهورية الفرنسية بالدور الذي قام به الجنود المغاربة في تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني. (33)



● الجنرال دوكول يوشح الملك محمد الخامس بوسام «رفيق التحرير»

33 - طالب السلطان محمد المنصف باي سنة 1943 باستقلال تونس فكان مصيره المنفي بجنوب فرنسا حيث مات سنة 1948.

وللحقيقة فإن أقل من ثلاثة فقهاء راوغوا وخلقوا أعذارا مختلفة هروبا من المشاركة في المؤامرة التاريخية، واستطاع العلامة محمد بن العربي العلوي أن يرفع صوته عاليا ويرفض التوقيع على البيعة وصرح أمام الملأ بأن **"الضرورة تدعوا المغاربة لمكافحة الإستعمار"** (34) واستهدف للتجويع والتعذيب النفسي في السجن بالصحراء في أقصى جنوب المغرب.

وجاء رد الفعل من مصر عن طريق إذاعة **"صوت العرب"** حيث أصدر أربعون من كبار علماء الأزهر الشريف فتوى تقضي بإعدام جميع المشاركين في المؤامرة الاستعمارية باعتبارهم خونة ومتمردين على سلطة الملك الشرعي محمد الخامس.

وفي الجزائر أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بلاغا تعتبر فيه الفقيه عبد الحي الكتاني والباشا الجلاوي والعلماء المؤيدين لمؤامرة 20 غشت خارجين عن الإسلام وأعداء الله يستحقون العقاب. (35)

ورد **"المجلس الأعلى لباشوات وقياد المغرب"** على علماء مصر ببلاغ يتهم فيه الملك والوطنيين بالزندقة والالحاد والشيوعية، ويدعي أن علماء القرويين **"انظموا إلى حركة التطهير من تلقاء أنفسهم ويخضعون لمبادئ الشريعة السمحاء الذين هم ممثلوها"**. (36)

والواضح أن محرري البلاغ فقهاء استعملوا في ردهم عبارات دينية يجهلها الباشوات والقياد ومعظمهم أميون.

وتكرر السجال التقليدي بين الفقهاء بحيث يلتجأ كل من الوطني والخائن إلى الاستدلال بتأويلات متعددة للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتبرير وجهة نظره وتسويغ مواقفه.

وكما سنري في فصل لاحق، فإن الطليعة الواعية حسمت الجدال بقرارات صارمة اتخذتها في حق عدد من الفقهاء المتاجرين بالشريعة والدين.

وفيما كانت ضربات الفدائيين تلاحق بن عرفة صنيعة الاستعمار، كانت قوة المتخيل الشعبي تستعيد صورة الملك الغائب في التفكير والضمير، وتحرض الحشود التي كانت تعتلي السطوح بعد غروب الشمس لتشاهد محبوبها ممتطيا صهوة جواده على سطح القمر.

كانت مظاهرات سياسية شبه يومية تنطلق كل مساء بمشاركة النساء والأطفال فوق السطوح، وبعيدا عن عنف الشرطة، وتتعالى الزغاريد والهتاف بحياة الملك.

وتجاوز خبر المعجزة سطوح المدينة وشاع في أسواق البوادي وقراها ليصل إلى قمم جبال الأطلس. (37)

34 - بعد استقلال المغرب واصل تضامنه مع الحركة التقدمية.
35 - أبو بكر القادري، مذكراتي م.س. ص269.
36 - الوداد 21غشت 1953.
37 - سلسلة جبلية تنقسم إلى الأطلس المتوسط الأطلس الكبير والصغير ويتراوح ارتفاعها بين آلفين وأربعة آلاف متر.

وأضحت رؤية الملك محمد الخامس مقبولة من طرف الجميع، وكانت في عمقها عبارة عن تحريض سياسي بإشارات الأيدي المتجهة نحو القمر البعيد، ولم تلبث الأوهام أن غزت عقول الناس العاديين، وأصبح الملك هدفا لعواطف الجمهور الغاضب على الاستعمار.

وتداخلت الإشاعة مع المعجزة بفاس في بداية شهر غشت 1954، وإجتاحت الجماهير الشوارع في حالة انتشاء روحاني extase mystique وأعينها تتطلع إلى السماء لترى ظهور الطائرة التي تقل على متنها الملك المنفي. وانتفت الأوهام بعد سقوط عشرات القتلى والجرحى تحت رصاص جيش الاحتلال. (38)

لقد ارتبط اسم محمد الخامس بالأسطورة وأضحى قائدا موهوبا بالمعنى الكاريزمي charismatique يتمتع بهيبة ومقام وبخصائص خارقة حسبما تراها الجماهير، وكانت أقل إشاعة تتعلق بشخصه تحولها الحشود إلى أساطير لا عقلانية.

Stephane Bernard, Le conflit, Op Cit T1 P.237. - 38

الفصل الثالث

العفويــة فــي الكفــاح المسلــح

كثر الكلام في السنوات الأخيرة حول مسألة العفوية في المقاومة المغربية. والعفوية هي كل فعل أو تصرف يصدر تلقائيا عن الأفراد أو المجموعات في نطاق العمل السياسي والاجتماعي بدون تدخل خارجي.

وفي الخمسينات برز أفراد في ساحة النضال يعملون بعفوية معتمدين على أنفسهم، ولم تكن تربطهم أية علاقة عضوية بالأحزاب السياسية.

ولعب عامل الوعي الذاتي لدى فيئة منهم دورا أساسيا في ظروف موضوعية اتسمت بالاستغلال وشراسة القمع، وتملكهم الشعور بضرورة اللجوء إلى وسائل العنف لمنازلة الاستعمار الأجنبي الذي رأوا فيه مصدر الاضطهاد والحرمان.

وفي بداية 1951 بدأت تظهر أعمال فردية تلقائية استهدفت المصالح الاقتصادية الفرنسية، وساهم منفذو تلك العمليات العفوية في إيقاظ الضمائر ورسموا بكفاحهم طريق الحرية أمام الجماهير.

ويجب الاعتراف بأن العفوية في الكفاح المسلح كانت محدودة التأثير ولم تكتب لها الاستمرارية، وكان العمل المنظم وحده مجديا لأنه قام على أساس تخطيط مسبق وتوفرت له قاعدة خلفية أعطته نفسا طويلا للصمود في وجه قوات الاحتلال كما سيأتي توضيحه.

13 ماي 1951

عشرة آلاف جندي للبحث عن الحنصالي

في بداية نوفمبر 1950 عاد الملك محمد الخامس من فرنسا بدون الحصول على مطالب تقدم بها لمراجعة معاهدة الحماية التي لم تعد ملائمة للواقع المغربي. وفي 12 دجنبر شهد مجلس **"شورى الحكومة"** مشادة كلامية بين أعضاء المجلس الوطنيين والجنرال جوان المقيم العام الذي لم يقبل سماع الانتقاد الموجه إلى الطريقة التي تصرف بها الميزانية، وأقدم على طرد رجل الأعمال محمد الغزاوي فتضامن معه الأعضاء التسعة الباقون وكلهم من حزب الاستقلال. وفي نفس اليوم استقبلهم الملك مبديا تعاطفه معهم.(1)

وبعد أسبوع ذهب الباشا الجلاوي إلى القصر الملكي بمناسبة العيد لا ليقدم التهاني إلى الملك، بل ليقول له ما أوحت به إليه الإقامة العامة. فوقف أمام الحاضرين ليستفز المشاعر ويخاطب الملك قائلا : **"أنت ملك حزب الاستقلال"**

---

1 - يتكون مجلس (شورى الحكومة) من قسمين فرنسي ومغربي يجتمع كل واحد على حدة، ويناقش القضايا الاقتصادية وله صبغة استشارية فقط.

فكان مصيره الطرد والمنع من دخول القصر.

وازدادت الوضعية تأزما يوم 26فبراير 1951حينما جند الجنرال جوان عشرة الاف من فرسان القبائل وهدد باحتلال القصر وعزل الملك عن العرش إذا لم يوقع على مراسيم "الإصلاحات" ويستنكر نشاط حزب الاستقلال.(2)

في غمار هذه الأحداث تعالت صيحة فلاح ثائر في جبال الأطلس تقترح حلا آخر للمشاكل بواسطة البندقية.

كان أحمد ولد موحي بن حمو الحنصالي (1913-1953)فلاحا بدون أرض يتيم الأب، اضطر للعمل عند المعمرين الذين استحوذوا على أخصب الأراضي الزراعية في منطقة تادلا، وعمل في حفر الطرق وترميم الممرات المؤدية إلى ضيعات الأسياد الأجانب والإقطاعيين المحليين.(3)

وضع الحنصالي يده على بندقية وحزام جلدي مليئ بالرصاص بعد أن قتل الحارس المكلف بالمركز الفرنسي بونوال القريب من القصيبة (4)وكان رقم 13مايو 1951نذير شؤم على المصطافين الفرنسيين بمناسبة يوم العنصرة Pentecôteحيث استقرت الرصاصة الأولى في رأس المعمر الفرنسي **اندري سوفينيون** واستقرت الثانية في صدر المعمر الثاني والثالثة أصابت المرأة المرافقة لهما. وأصيب الزوجان **جويت** بجراح.

اهتزت الأوساط الحكومية للأحداث المفاجأة وتساءلت الصحف الفرنسية عن أبعاد ما وقع وعن هوية الفاعلين خاصة وأن سكان تلك المنطقة لم يضعوا السلاح إلى في عام 1933بعد مقاومة دامت عشرين سنة لجيش الاحتلال.

وفي اليوم الموالي تناقلت وسائل الإعلام خبر العثور على قتيلين فرنسيين رجل وزوجته قدما من مدينة المحمدية لقضاء عطلة آخر الأسبوع وقد اخترق الرصاص رأسيهما. وعلى بعد كيلومترين من مكان الحادث وجد **هيرفي ديبورك** وصديقته **هيلين موني** مقتولين بالرصاص.

وفي 15مايو كان **جورج شانطو** يصطاد السمك على ضفة واد أمرزيد وعلى مقربته إمرأتان ترقصان على نغمات الموسيقى في الهواء الطلق، وفجأة أطلق الرجل الأسمر عيارات نارية، أصابت واحدة رأس المعمر والثانية قلب المرأة وقتلا في الحال بينما تمكنت المرأة الثانية من إلقاء نفسها في حفرة بجانب الواد. وفي روايتها للحادثة أكدت أن القاتل لم يكن وحيدا. وأن شخصا آخر كان يقف في الجهة المقابلة يراقب الطريق. واتضح فيما بعد أن اسمه محمد بن

2 - صرح الملك إلى الصحافة أنه وقع المراسيم تحت الضغط.

3 - استولى المعمرون على مليون وعشرين آلف هكتار من أجود الأراضي، وسيطر الاقطاعيون على مليون وثمانمائة ألف هكتار، وبقي حوالي أربعة ملايين فلاح بدون أرض.

4 - القصيبة قرية في الأطلس المتوسط لعبت دورا هاما في مقاومة الغزو الفرنسي في العشرينات من القرن الماضي. تقع في سطح جبل على ارتفاع 980م وسط غابات الأشجار وتبعد عن تادلا بثلاثين كيلومترا.

الحسين ولد سميحة فلاح فقير يبلغ من العمر خمسا وخمسين سنة.

وصرح ضابط في الجيش الفرنسي بأن أعمال القتل ليست من فعل قاطع طريق، واستدل برواية امرأة أخرى اعترفت بأن الرجل الأسمر صاحب البندقية لم يطلق عليها النار لما رآها تحتضن طفلها وتبكي. وقالت أنها أخرجت محفظة النقود وألقت بها إليه، فنظر إليها بازدراء وانسحب.

وفيما كانت الصحف والإذاعة تتحدث عن **"قاتل تادلا"** كانت أعمال الحنصالي تثير إعجاب الجماهير التي أطلقت عليه اسم **"أسد تادلا"**.

وجند الجيش الفرنسي عشرة آلاف جندي برآسة الجنرال **بويي دولاتور** للبحث عن الفلاح صاحب البندقية، وسلط الجنرال عقابا دمويا على سكان قبائل آيت سعيد متهما إياهم بعدم إبداء الرغبة في إلقاء القبض على الحنصالي، وخصص مليون فرنك لمن يلقي عليه القبض. واستغرقت المطاردة أسبوعا كاملا، واضطر الحنصالي أمام ضراوة الجوع إلى الإلتجاء إلى أحد البيوت يعرف أصحابه في قبيلة آيت عبد اللولي بتاغزيرت في ناحية القصيبة، وطلب من قاطنيه، رجلين وامرأة، بعض الأكل، فاستضافه الأخوان صالح وسعيد باخو وامرأة تسمى عيدة رحو، واستغفلوه أثناء الأكل وأوثقوه بالحبال وسلموه للجيش الفرنسي يوم 23 مايو، وطالبوا بالجائزة المالية ثمنا لغدرهم.(5)



● الحنصالي جالس بين سميحة والمعطي

5 - La Vigie marocaine 24-5-1951.

وبدأ استنطاقه في القصيبة من طرف كبار ضباط الإدارة الفرنسية، ولم ينشروا شيئا من اعترافاته واكتفوا بالقول : إنه جبري يرد على جميع الأسئلة بقوله : **"هذا ما كتبه الله" !** كما أن الظروف التي ألقي فيها القبض على صديقه محمد سميحة غير واضحة.

وما يفند إدعاءات المحققين الفرنسيين هو موقف الحنصالي داخل السجن. فقد كان يتقاسم الزنزانة في سجن الدار البيضاء مع عبد الرحيم بوعبيد، وأثناء الفسحة اليومية كان يسخر من أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، ويسألهم : **لماذا أتوا بكم إلى السجن ؟ وماذا فعلتم وأنتم تعدون بالعشرات ؟ فلو قضى كل واحد منكم على استعماري واحد لغادروا بلادنا من زمان.** (6)

وبعد مرور شهرين على انطلاق العمل المسلح، استعجلت الإدارة الاستعمارية تنفيذ حكم الإعدام في البطل الحنصالي وصديقه سميحة في نوفمبر 1953 (7).

11** شتنبر **1953

هجوم شجاع يفضح السياسة الاستعمارية

في نطاق الكفاح العفوي احتفظت الذاكرة التاريخية بالعملية الاستشهادية الجريئة التي أقدم عليها علال بن عبد الله العامل في صباغة البناء والمزداد عام 1918في قرية كرسيف بإقليم تازة. (8)

في يوم الجمعة 11سبتمبر 1953تسلح علال بخنجر وامتطى سيارته القديمة من نوع (فورد)، وانتظر بالقرب من مسجد أهل فاس القريب من القصر وصول الموكب الرسمي. وعندما لاح له بن عرفة اتجه نحوه بسيارته وتمكن من دهس حصانه وأسقطه على الأرض وحاول الإجهاز عليه إلا أن رئيس الحرس الفرنسي كينك Koenig اعترض طريقه وتمكن علال من إصابته بجراح في كتفه (9) غير أن شرطيا في لباس مدني

6 - حديث مع عبد الرحيم بوعبيد 17سبتمبر 1965بالدار البيضاء.

7 - شمل القمع الوطنيين المعروفين في المنطقة وحكم عليهم بمدد مختلفة من السجن على الرغم من عدم ثبوت أية علاقة لهم بكفاح الحنصالي وسميحة، والمحكوم عليهم هم : إبراهيم الزنوني، البقالي عبد العزيز، أحساين، بوعزة اوزايد وكلهم من حزب الاستقلال والمعطي اليوسفي شيوعي.

8 - كرسيف قرية فلاحية يرجع تاريخها إلى الحكم المريني 1269-1465م تبعد عن مدينة تازة بـ 65 كلم.

9 - «Le Petit marocain 23-9-1953» نشرت صورة لرئيس الحرس طريح الفراش في المستشفى.

سارع إلى إطلاق النار من الخلف وأصاب علال بست رصاصات قاتلة.

وكان الشرطي القاتل المسمى محمد بن الهواري أمانة من أصل جزائري يقطن في حي العكاري الذي يسكنه علال ويتعارفان. وفي يوم العملية لم يكن الشرطي مكلفا بأية مهمة. فهل الصدفة أوجدته بالقرب من مكان الحادث ؟ يبقى السؤال بدون جواب.

فالشرطة الفرنسية قامت باستجواب الشرطي التابع لها بضعة أيام ثم سمحت له باستئناف العمل. (10)

وبعد الاستقلال لم يغادر أمانة المغرب كما فعل عملاء الاستعمار المعروفون وبرهن عن بلادة نادرة حينما تلقى بغبطة نبأ ترقيته وتعيينه في جنوب المغرب. ولم يكن يدري بأن المسؤولين يخططون للتخلص من شخص يحرجهم وجوده في إدارة الأمن والكل يعرف أنه قاتل علال.

وهناك في مدينة تيزنيت، بعيدا عن جواسيس السفارة الفرنسية، اختطفه المقاومون ونقلوه إلى مركز جيش التحرير في كلميم(11)، حيث أخضعوه للاستنطاق ووجدوا معه وثيقة تؤكد انتماءه للمخابرات الفرنسية، وبعد أن ذكروه بالجريمة التي اقترفها في حق الفدائي علال دفنوه في رمال الصحراء. (12)



● الشرطي السري يطلق الرصاص على الشهيد علال بن عبدالله

10 - حديث مع عباس العبيدي بتاريخ 1988/6/12 بالدار البيضاء.

11 - كلميم مركز تجاري واقتصادي بين المغرب والمناطق الصحراوية المجاورة، يوجد على بعد مائة كلم جنوب تيزنيت.

12 - حديث مع عمر المسفوي بتاريخ 1981/4/14 بالدار البيضاء.

وكشفت العملية الشجاعة التي قام بها علال بن عبد الله كذب الدعاية الاستعمارية التي ضللت الرأي العام الفرنسي حول حقيقة السلطان الذي نصبته ضدا على إرادة الشعب.

20 أكتوبر ***1953***

السلاح الأبيض في غياب البندقية

محمد بن المكي ومحمد بن الحسن صديقان اتفقا على ممارسة العنف كسبيل وحيد لمكافحة غطرسة الاستعمار. سلاحهما هو الخنجر لعدم توفر السلاح الناري.

في يوم 20أكتوبر 1953كان بن الحسن يقوم بالمراقبة من بعيد في الوقت الذي اقترب فيه بن المكي من شرطي فرنسي كان يقف في زقاق (سولاك) بالدار البيضاء ووجه إليه طعنة قاتلة بخنجر ولاذ بالفرار على متن دراجة هوائية.

وفي 25أكتوبر تكررت عملية مشابهة أصيب فيها شرطي فرنسي بجراح وكان بطلها أيضا بن المكي.

وارتكب بن الحسن خطأ قاتلا عندما هاجم بمفرده شرطيا فرنسيا، وقبل أن يجهز عليه تدخل شرطي آخر وأردى بن الحسن قتيلا.

بقي بن المكي وحيدا يعمل نهارا في مهنة النجارة، وفي المساء يتسلح بالخنجر ويضع على وجهه قناعا أسود، ويجعل من أفراد الشرطة الفرنسيين هدفه المفضل، وكان لا يتوقف عن الطعن بشكل شبه يومي. وأفاضت الصحف الفرنسية في الحديث عن **"المقنع صاحب المدية"**، وشاع أمره في الأوساط الشعبية وأدخلت ضرباته الموجعة الرعب في أوساط الشرطة الفرنسية.

وفي 27 نوفمبر كان يتجول على متن دراجته باحثا عن هدف جديد إذا به يجد نفسه أمام حاجز مفاجئ للشرطة وفي جيبه الخنجر والقناع الأسود(13).

وقف محمد بن المكي المدعو "الفورنيسور" أمام المحكمة العسكرية يوم 4 مايو 1954يرد بشجاعة على القاضي الفرنسي الذي كان يحاكمه، وأعطى تفسيرا وطنيا للدوافع التي جعلته يحارب بالسلاح الأبيض. وأكد أن هجوماته على الشرطيين الفرنسيين لم تكن ضد أشخاص أبرياء وإنما استهدفت جهاز القمع الذي قهر الشعب.

وحينما قال له القاضي بأن الخنجر لن يفيد بأي شيء أمام قوة فرنسا. أجابه بن المكي : **لو كان عندي سلاح ناري لتمكنت من إسقاط عدد أكبر من المستعمرين.**

ولم يتحمل القضاة العسكريون سماع كلامه، وأصدروا عليه في نفس اليوم الحكم بالإعدام وعمره لا يتجاوز تسعة عشر عاما.

13 - جريدة السعادة ولوبوتي ماروكان في 29-11-1953.

وبعد التعذيب الجسدي بإدارة الشرطة تعرض للتعذيب النفسي، وظل في زنزانته موثوق اليدين والرجلين ليل نهار طيلة سنة وسبعة أشهر، ومنعت عائلته من زيارته.

والتحقت أفواج أخرى من الفدائيين بالسجن، وكان بن المكي ينتهز الفسحة القصيرة المسموح بها ليهمس متسائلا : **هل لا يزال الكفاح متواصلا ؟**

وفي كل مساء حينما يسود الصمت أرجاء السجن "غبيلة" يرتفع صوت بن المكي صداحا دافئا وحنونا يتغنى بالحرية والنضال وكأنه طائر بلبل يشدوا للحياة والحبور.(14)

وفي الصباح الباكر ليوم 9دجنبر 1955انفتحت الزنزانة في سجن العاذر، وساق الجلادون الشاب بن المكي إلى خشبة الإعدام وكان يصيح : **وداعا يا إخواني وإلى اللقاء أمام الله.**

وبكاه المعتقلون وأضربوا عن الأكل في ذلك اليوم الحزين.

27 أكتوبر *1953* الضمير الوطني سلاح الكادحين

الحسين بن أحمد المدعو "طوطو" مزداد عام 1923بتامنار ناحية الصويرة، عمل سائقا لشاحنة في معمل السكر "كوزيما" بالدار البيضاء. يقول محضر الشرطة أن ملفه بدون سوابق وليس له اي ارتباط سياسي.

حصل على مسدس من أحد أصدقائه وذهب يطلق النار على شرطي في درب بوشنتوف. ثم جمع حوله عددا من الكادحين بدون تجربة نضالية وبلا انتماء سياسي، وأطلقوا على جماعتهم "اليد السوداء" وحددوا مهمتهم في القضاء على الجواسيس.

وفي يوم 27أكتوبر 1953اصطاد الحسين بالقرب من معمل السكر أحد أعوان الإدارة المتسلطين على العمال وأرداه قتيلا بعيار ناري، إلا أن أحد العمال من نفس المعمل تعرف على الحسين وأعطى اسمه إلى الشرطة وكان ذلك خطأ مدمرا للجماعة كلها.

فقد ألقي القبض على الحسين يوم 20نوفمبر وإعترف بجميع أفراد الخلية، وقدم للمحاكمة ولما سأله القاضي : من أعطاك الأمر للقيام بالاغتيالات؟ أجابه : **لسنا في حاجة إلى من يعطينا الأوامر، فالضمير الوطني هو الآمر.**

وأصدر القاضي يوم 30-4-1954 حكما بالإعدام على الحسين "طوطو" (15)وتم تنفيذه يوم 18دجنبر 1954بسجن العاذر بمدينة الجديدة.

---

14 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 3-7-1992.

15 - لا يجب خلطه مع أحمد بن محمد "طوطو" المحكوم بعشرين سنة سجنا في 1-7-1953

وصدرت في حق رفاقه الأحكام التالية :

محمد بن الحسين الفقيه : السجن المؤبد.

محمد الشيظمي والحسن بن امبارك : عشرون سنة سجنا.

محمد بن علي الحزار : عشر سنوات سجنا.

مبارك الناصيري، محمد العلمي، محمد بن علي، إبراهيم السفاح من 5 إلى 8 سنوات سجنا.

والدرس الذي يمكن استخلاصه من السرعة التي بدأت وانتهت بها هذه الجماعة، هو محدودية العمل العفوي المفتقر إلى التخطيط المحكم والمعرفة بفن القتال وانعدام الحد الأدنى من السند الميداني. فالشجاعة وحدها لا تكفي للقيام بعمل ثوري ناجح.

يناير-غشت 1953 الإرهاصات الأولى للعمل المنظم

استفحال القمع وسقوط عشرات القتلى في نهاية سنة 1952 بمدينة الدار البيضاء، وإلقاء القبض على القيادات السياسية والنقابية، وحظر حرية التعبير والتجمع والتهييئ لنفي الملك واشتداد الأزمة الاقتصادية، كل ذلك ساهم في التعجيل بظهور أعمال عنف فردية ذات طابع عفوي.

وبإلقاء نظرة خاطفة على ما كانت تنشره ثلاث صحف يومية من أخبار، تتضح الإرهاصات الأولى لحركة المقاومة التي سيخوض غمارها شباب وطني يائس من ممارسة النشاط السياسي العقيم. (16)

في يوم 9 يناير 1953 ألقى مغاربة الحجارة على سيارات الشرطة في شارع "ليكريط" بالدار البيضاء، وفي اليوم الموالي وضع أشخاص أعمدة من الاسمنت على خط السكة الحديدية بحي لوازيس، وفي يوم 11 يناير تم قطع وإتلاف الخطوط الهاتفية في شاطئ عين الذئاب.

وبمدينة برشيد اكتشفت الشرطة يوم 13 يناير مخبأ للسلاح يشمل مسدسات وبنادق ومفرقعات عند شخص يسمى المعلم صالح.

وفي 18 يناير توغل ثلاثة مغاربة في قاعدة النواصر الأمريكية بضاحية الدار البيضاء، وفي محاولة للاستيلاء على أسلحة اكتشف امرهم وأطلق عليهم الجنود الأمريكيون النار وقتلوا عبد القادر بن المعطي وأصابوا محمد بن محمد بجروح وتمكن الثالث من الفرار.

وفي يوم 14 يبراير بالدار البيضاء هاجم شابان مغربيان الشرطي الفرنسي نيكولا لاكوني الذي سارع إلى إطلاق النار وأصاب رحال بن كولين

16 - الصحف هي : السعادة بالعربية ناطقة باسم الإقامة العامة الفرنسية، لوبوتي ماروكان وكانت تعبر عن مواقف اليمين الاستعماري المتطرف، وماروك بريس تمثل وجهة نظر الرأسمالية الليبيرالية الفرنسية.

بجراح ولاذ صديقه امبارك العوني بالنجاة.

وفي يونيو أحرق فلاحون ضيعة معمر في تافريت بناحية مكناس وأتت النيران على أكثر من عشرين هكتارا من القمح والتبن.

وفي نفس اليوم تسلل شاب إلى مستودع للسلاح بالدار البيضاء وقتل الحارس بنية الاستيلاء على بعض الأسلحة، إلا أن الشرطة تمكنت من اعتقاله.

وفي 20 غشت الذي أبعد فيه الملك عن العرش، قام فلاحون بقطع خطوط الهاتف بناحية آسفي، وانقطع الاتصال بين الدار البيضاء واكادير بالجنوب. وفي نفس اليوم على بعد ست كيلومترات من مدينة المحمدية وقعت محاولة اتلاف خط السكة الحديدية. وفي طريق مديونة بالدار البيضاء وجه شاب مغربي طعنة خنجر إلى شرطي فرنسي وأصابه بجراح خطيرة.

وفي يوم 22 غشت أشعل مغربيان النار في محطة للوقود بشارع لاجيروند بالدار البيضاء، وحاول مغربي أخر إحراق سيارة جيب عسكرية بمادة البنزين.

وفي مدينة وجدة أصاب مغربي شرطيا بجراح على إثر طعنة بخنجر يوم 23غشت، وفي نفس اليوم قتل حارس أحد مستودعات النفط بالسلاح الأبيض.

وفي 24غشت بشارع أولاد زيان بالدار البيضاء أشعل مغاربة النار في مؤسسة طوليدانو لبيع الزجاج وأسفر الحريق عن خسائر قدرت بعدة ملايين من الفرنكات.

وفي 25غشت وقع انفجار في قسم المصالح البلدية بالدار البيضاء خلف خسائر مادية. وفي 28غشت وقع إتلاف الخط الهاتفي بين تيفلت وولماس.

وبداية من فاتح سبتمبر ازدادت وثيرة إشعال الحرائق في عدة جهات وكلها ضد المصالح الاقتصادية الفرنسية وكان أكبرها الحريق الهائل الذي أتى على مستودع شركة "ميشلان" للعجلات المطاطية بالدار البيضاء.

وسجل يوم 2سبتمبر وقوع عملية بالسلاح الناري في مدينة وجدة بساحة عبد الوهاب ضد شرطي فرنسي. وفي نفس التاريخ انفجرت قنبلة من صنع محلي تحت سيارة أمريكي في جي باستور بالرباط خلفت خسائر مادية. وبالدار البيضاء انفجرت قنبلة أمام منزل مدير فرنسي في قسم الطيران خلفت خسائر مادية.

وفي 4سبتمبر وقع انفجار في أحد المعامل بابن سليمان تسبب في حريق مهول حوله إلى كومة من الرماد.

وفي 7 سبتمبر بالدار البيضاء بينما كان شاب مغربي يهم بطعن شرطي فرنسي إذا بشرطي اخر يطلق عليه النار ويصيب منه مقتلا.



● في ساحة فرنسا بالدارالبيضاء، سقط المقاوم برصاص الشرطة وسلاحه بيده.

وباختصار فقد استخرجنا إحصائية من المصادر المذكورة تبين أن الفترة الممتدة من يناير إلى آخر شهر غشت 1953 شهدت وقوع 18 هجوما بالسلاح الأبيض و 47 إتلافا للخطوط الهاتفية وتخريب السكة الحديدية، و 35 حريقا في ضيعات المعمرين.

وسيكون يوم 4 سبتمبر 1953 بالدار البيضاء يوما حاسما لانطلاق الحركة الفدائية في شكلها المنظم ضد الوجود الاستعماري.

الفصل الرابع

العمق التاريخي لحركة الفداء

إذا كانت المقاومة مصطلحا يستدل على الحركات السرية المدنية والعسكرية التي ظهرت في بلدان أوربا أثناء الاحتلال الألماني فإن الفداء هو الاسم الذي كان متداولا بالمغرب للتعريف بالكفاح المسلح ضد الاستعمار. وهو مستمد من أعماق التاريخ ويعني في اللغة العربية جعل شيء فدية لشيء آخر أي مقابلا لبلوغه، ومثاله إقدام الإنسان على التضحية بأعز ما يملكه في سبيل الحرية والعقيدة.

فالفداء كلمة ذات محتوى وطني وسياسي وديني. والدين هو شكل من أشكال الوعي الإيديولوجي. ففي فجر الإسلام تأسست فرق فدائية متركبة من أربعة إلى ستة مقاتلين شنوا هجومات مباغتة على رؤساء كانوا يحرضون قبائلهم على محاربة الدين الذي كان النبي يبشر به. وفي حكم الدولة الأموية(661-750م) اشتهرت فرقة "الخوارج" الذين خرجوا عن طاعة الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب (656-661م)، وكانت لهم خلايا محكمة التنظيم شعارها : **"التضحية في سبيل العقيدة حتى الموت في ميدان الحرب"** (1) وقد وجه أعضاؤها ضربات مميتة لأعمدة الحكم الاستبدادي، وامتد نشاطهم المبني على الهجوم المباغت والانسحاب السريع إلى صدر الدولة العباسية (750-1258م).

وفي حلب بالشام قاد المعارضة سيف الدين الحمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي). ونظم فرقا انتحارية شديدة البأس ألحقت أفدح الخسائر بجنود الحكم المطلق طيلة عقد من الزمن (2)(950-960).

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي (1171-1193م)، قام الفدائيون بحرب استنزاف طويلة ضد الصليبيين وكانوا يعرفون باسم "المتطوعون".

وشهدت فلسطين عام 1917 بروز الطلائع الأولى للفدائيين بعد أن أصدر وزير الخارجية البريطاني بلفور وعده بإنشاء وطن لليهود في فلسطين. وتقوت شكيمة الفدائيين الفلسطينيين عام 1929 بقيادة عز الدين القسام، وشملت عملياتهم المسلحة ضد الاحتلال الانجليزي والحركة الصهيونية معظم مناطق فلسطين.

---

1 - الشرباصي، الفداء، م.س. ص45.

2 - ن.م. ص48.

وفي المغرب ظهرت الفرق الفدائية بعد هزيمة جيش "المخزن" من طرف الجيش الإسباني في حرب تطوان عام 1860م. وكان سكان الريف يتقنون فن حرب العصابات، وظلوا يدافعون عن الأراضي المغربية بالشمال في غيبة سلطة الحكم المركزي. وقاد محمد أمزيان حرب التحرير على رأس المتطوعين من سنة 1909 إلى 1912، وكبد الغزاة الإسبانيين خسائر في الأرواح والعتاد.

وبعد استشهاده ببضع سنوات حمل عبد الكريم الخطابي (1882-1963) مشعل المقاومة الشعبية وأعطاها بعدا أمميا بمخاطبته الحركات التقدمية والجمعيات الحقوقية والإنسانية في أوربا وأمريكا، واستطاع أن يلحق أكبر هزيمة بالجيش الإسباني المتكون من حوالي ثلاثين ألف جندي في معركة أنوال عام 1921، وغنم جميع أسلحته(3).

وخاف جنرالات فرنسا من قيام حلف بين ثورة الريف والمقاومين للاحتلال الفرنسي في جنوب البلاد، وأعلنوا الحرب على عبد الكريم في أبريل 1925، وسيطروا على عدة مناطق في قبائل بني زروال الواقعة على الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني وذلك بهدف حرمان الثورة من قاعدتها الخلفية الاقتصادية والاستراتيجية.

وردا على العدوان الفرنسي اكتسح المكافحون في ظرف بضعة أسابيع ثلاثة وأربعين مركزا عسكريا فرنسيا من مجموع ستة وستين، وأسروا ألفي جندي، وغنموا خمسة آلاف بندقية، وستين ألف قنبلة يدوية، ومائتي مدفع رشاش، وخمسة وثلاثين مدفع هاون، وواحد وثلاثين مدفعا مضادا للطيران، وست عشرة ألف قذيفة.(4)

وفي عام 1926 تحالف الاستعمار الفرنسي والاسباني لمحاربة عشرين ألفا من المكافحين في الريف. وجندت فرنسا 350.000 جندي وضابط يقودهم ستون جنرالا على رأسهم الماريشال بيتان، و 44 سربا من الطائرات الحربية التي تقصف على سكان القرى الجبلية 11.307 طن من القنابل، و 32 فرقة دبابات ومدفعية ثقيلة، وهو نفس الجيش المنتصر على ألمانيا في الحرب العالمية الأولى 1914-1918.(5)

وشاركت اسبانيا في تلك الحرب العدوانية بمائة ألف جندي، ومائة طائرة، وست وثلاثين باخرة حربية، ويضاف إلى كل ذلك أربعمائة ألف من فقراء الفلاحين جندهم الإقطاعيون وعلى رأسهم الباشا الجلاوي.

3 - بلغت خسائر الجيش الإسباني في أنوال بالريف : 19 ألف قتيل، 4300 جريح. 570 أسيرا. وغنم المكافحون عشرين ألف بندقية و 400 مدفع رشاش.

4 - Vincent Monteil, la guerre révolutionnaire, In Abdelkrim et la guerre du Rif, actes du colloque international d'études historiques et sociologiques, 18-20 Janvier 1973, Maspero, Paris, 1976, P.148.

5 - الأرقام ذكرها البرلماني بييركلوسترمان أمام البرلمان الفرنسي يوم 21 مارس 1956.

واستمرت الحرب سنة كاملة استعمل فيها الطيران الإسباني الغازات السامة بتواطئ بعض الدوائر في ألمانيا.(6)
وفي منطقة الاحتلال الفرنسي لم تتوقف المقاومة منذ نزول القوات الفرنسية في ميناء الدار البيضاء عام 1907 إلا في نهاية 1935، فقد ارتبط الاحتلال باسم الاستعمار الفلاحي، وكانت كل منطقة تخضع للاحتلال الأجنبي تصبح أخصب أراضيها بيد المعمرين، وخاض الفلاحون حربا ضروسا دفاعا عن الأرض ببنادق



● البطل عبدالكريم الخطابي، قائد ثورة الريف

6 - Rudibert Kunz-Rolf/Dieter Müller, Giftgas gegen Abdelkrim. Deutschland, Spanien und der gaskrieg in Spanisch-Marokko 1922-1927. Verlag Rombach Freiburg 1990.

أغلبها ذات الطلقة الواحدة في مواجهة أحدث أسلحة الدمار الاستعمارية، ولم يكونوا يبالون بأعداد القتلى التي يقدمونها لأن حياتهم هو الثمن الذي يؤدونه لشراء الحرية.

ولما أكمل الجيش الفرنسي سيطرته على البلاد بعد حوالي أربعين سنة من حرب إبادة ظالمة تسمى **"التهدئة"** اكتشف أن حصيلة خسائره تتلخص في مقتل 900 ضابط و 28 ألف جندي.(7)

بكل تلك الوقائع التاريخية المذكورة ارتبط وجدان الفدائيين المغاربة في الخمسينات، واستوحوا من الثورات الشعبية نماذج التضحية في الدفاع عن الذات والوجود. لقد نضجت شروط العمل الثوري في ظروف اتسمت بقمع شرس وبأوضاع متردية للحالة الاقتصادية والاجتماعية، وكانت كرامة المغاربة مداسة تحت أقدام الطغمة الاستعمارية التي نشرت الخوف والإرهاب في كل مكان، وأطلقت يد الشرمذة الباغية، من وزراء وباشوات وقياد حكومة "المخزن" العتيق، ليستبيحوا الوطن والإنسان بمختلف الوسائل القمعية.

ولمواجهة التحالف الاستعماري الخياني، خرج من صفوف الشعب مناضلون صادقون جعلوا من دمائهم وقودا لقاطرة الثورة، ومن أرواحهم شرارة لاهبة أيقظت الضمائر، وشعلة مضيئة أنارت الطريق أمام الجماهير الحائرة ومنحتها النفس والقدرة على النهوض لمقاومة المعتدين، وتمكنوا في ظروف عسيرة وبإمكانات ضعيفة من تنظيم مشروع قتالي بديل لسياسة فاشلة، وكان عليهم أن يحترسوا من قوات الاحتلال ومن السياسيين المحترفين المتشبثين بالعمل في ظل الشرعية الاستعمارية.

كانت الدار البيضاء مدينة صناعية كبرى يقصدها سنويا من كل جهات المغرب آلاف الشباب الباحثين عن العمل والإقامة، وساهم ذلك التواجد البشري المتنوع في توسيع النطاق الجغرافي للمقاومة وانتشارها في مناطق عديدة، ومثل النشاط السياسي الحزبي مجالا للتلاقي والتعارف بين المناضلين وساعدهم على استقطاب أعضاء جادين.

وعلى الرغم من كون الخبرة العسكرية كانت تنقصهم ولم يسبق لهم أن تلقوا أي تدريب ميداني، فقد اعتمدوا على اجتهادات شخصية وصمموا العزم على زعزعة نظام العبودية الاستعماري وتقويض حصون الخيانة.

لقد جاء ميلاد **"المنظمة السرية"** وهي أول وأكبر تنظيم فدائي إيذانا بتغيير جذري في أسلوب الكفاح الذي اتخذ لنفسه شكل حرب مدينية اعتمد فيها المقاوم على المسدس والقنبلة وعلى تضامن ومساندة الجماهير الواعية.

7 - الأرقام أوردها روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ص 46.
Roger Le Tourneau, Fes avant le Protectorat. Casablanca 1949.
ومن جهته حدد الضابط سبيليمان عدد الضباط القتلى في 600 ضابط. أنظر :
Georges Spillmann, Du protectorat à l'indépendance, Maroc 1912-1955, Plon, Paris 1967, P.77.

وكان الفدائيون يمثلون بالفعل خميرة الصمود والإقدام ودفعوا بجرأتهم العناصر الأكثر استعدادا في صفوف الجماهير الفقيرة إلى المشاركة في مسيرة حركة التاريخ في مجابهة عاتية ضد الطغيان الأجنبي.
وتأسست جماعات أخرى محدودة النشاط، سنتطرق إليها حسب الترتيب الزمني، مثل "اليد السوداء" ومنظمة "الحسنية" وجماعة "الهلال الأسود" التي انفصلت في نهاية 1955 عن "المنظمة السرية".
وفي غمرة التحضير لعودة الملك من المنفى وبداية المفاوضات من أجل الاستقلال سنة 1955 ظهرت عشرات الجماعات المسلحة بعناوين مختلفة وكلها تتزاحم بحثا عن مكان في الساحة قبل أن تدق الأجراس معلنة الاستقلال السياسي.

المنظمة السرية

في 7أبريل 1947 وقع شجار بالقرب من أحد أحياء البغاء بالدار البيضاء بين مغاربة وبعض السينغاليين المجندين في الجيش الفرنسي، وحولته الإدارة الاستعمارية إلى صدام دموي عندما سلحت فرقة من الجنود السينغاليين بالبنادق الرشاشة ودفعتهم للانتقام من المغاربة في حي بن مسيك والدرب الكبير، وسقط مات القتلى والجرحى، وكان الهدف هو عرقلة الزيارة التي قرر الملك القيام بها يوم 9أبريل إلى طنجة المدينة التي كانت خاضعة للنظام الدولي.(8)
وإلى هذا التاريخ يعود التفكير في تأسيس منظمة مسلحة لمواجهة الاستعمار بنفس العنف الذي يمارسه. وفي 1949 تأسس **"اتحاد الجنوب"** من طرف مناضلين في حزب الاستقلال ينحدرون من جنوب المغرب.
وعلى الرغم من صبغته الجهوية فإن هدف مؤسسيه هو الرغبة في عمل شيء آخر غير الشعارات والخطب الحماسية لمحترفي السياسة.
ولم يتأخر الحزب في القيام بفتح تحقيق حول هذه المنظمة التي كانت تضم ممثلي عشرين منطقة، وكلف محمد الزرقطوني بالإشراف على التحقيق، وبدلا من إفشاء سر التنظيم ارتبط به، وأعطاه بعدا وطنيا بإدماج أعضاء ينتمون إلى مناطق الوسط والشمال والشرق، ومن صلبه خرج عدد من المقاومين لعبوا دورا طلائعيا في الكفاح المسلح.
وقبل ذلك تكونت **"اليد السوداء"** ومن بين أعضائها محمد الزرقطوني ومحمد صدقي.

8 - تقع طنجة في رأس بوغاز جبل طارق بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وتفصلها 17 كيلومتر عن الشاطئ الإسباني. يرجع تاريخ بنائها إلى 1400سنة قبل الميلاد. وقاومت خلال تاريخها الطويل الاحتلال الأوربي، وفي سنة 1912خضعت لسيطرة نظام دولي إلى عام 1956.

وبمراكش شرع الطلبة النشيطون في كلية بن يوسف (9) في تكوين جمعية سرية سنة 1950، واعتبرها الحزب عملا غير شرعي يهدد وجوده.

وفي ظروف مماثلة تكونت جماعات في مدن أخرى بشكل سري، وكان على المناضلين أن يحترسوا من افتضاح أمرهم إلى الحزب وإلى السلطة الاستعمارية.

وشنت جماعة الزرقطوني هجوما بالقنابل على تمثال الماريشال ليوطي والحجر المنحوت الذي يمثل "الصداقة" المغربية-الفرنسية، إلا أنها لم تنفجر بسبب أخطاء تقنية.

وأوكلت نفس الجماعة إلى كل من مبارك الورداني وبوشعيب رياض وإبراهيم السوسي مهمة إحراق شركة الخشب "لاماروكان دي بوا" الموجودة بالقرب من الميناء، وأسفر الحريق عن خسائر مالية جسيمة.

وفي 14 نوفمبر 1952 توفقت جماعة الزرقطوني في تفجير أول قنبلة في منزل عبد العالي الإدريسي مدير صحيفة "الحرية" التي تمولها الإدارة الفرنسية لمناهضة المطالبين بالحرية والاستقلال.

وفي 7 دجنبر انفجرت قنبلة أخرى في مقر جريدة "العزيمة" التي كان يديرها التونسي عبد الرحمان جمي، عميل المخابرات الفرنسية، وخلف الانفجار ثلاثة جرحى وتدمير جزء من البناية.

وأتى انفجار آخر على صيدلية يملكها مستعمر في شارع فيكتور غوهو بحي الأحباس. وفي محاولة لوضع متفجرات ضد أحد الأهداف، التقى هناك أفراد تابعون لتنظيم الزرقطوني وآخرون من جماعة صدقي، ولم يكونوا يتعارفون فيما بينهم، فارتابوا من بعضهم وانسحبوا كلهم بدون القيام بالمهمة التي جاؤوا من أجلها. وتسبب التنافس في خلاف حاد بين الزرقطوني وصدقي، ولكي لا يحدث صدام والعمل المسلح لا يزال في بدايته، تقرر الانفصال بين الجماعتين. وظل صدقي مكلفا بالمدينة القديمة بينما انتقل الزرقطوني ومعه أغلب العناصر النشيطة إلى درب السلطان. (10)

وخلال الستة أشهر الأولى من عام 1953 توقف تفجير القنابل، وانكب الزرقطوني ورفاقه على تنظيم المساعدات لعائلات المعتقلين الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثين ألفا وتوزيع المناشير المنددة بالقمع الاستعماري، وساعد

9 - كلية بن يوسف شيدها علي بن يوسف (1106-1141م) على شكل مسجد وكانت مركزا لحركة ثقافية وعلمية.

10 - درب السلطان مدينة جديدة تبعد عن المدينة القديمة بكيلومترين، شيدت عام 1923 بعد ازدياد أكواخ الصفيح التي تكدس فيها العمال بالقرب من الحي الأوربي, وخصصت لبنائها ميزانية من أموال الحبس وهي مؤسسة قائمة في كل المدن وتقوم بدور اقتصادي واجتماعي وثقافي بفضل تبرعات المواطنين.

ذلك النشاط على إجراء الفرز داخل الجماعات السياسية والتعرف على العناصر المستعدة لتحمل المسؤولية وركوب الخطر.

وفي غياب القادة السياسيين في السجون عجل نفي الملك يوم 20 غشت بتسريع المجابهة المسلحة حيث أصبح مناضلو القاعدة وجها لوجه مع قوات الاستعمار، وكانت كل خلية تستعد لوحدها ولا علم لها بما تحضره الخلايا الأخرى.

وفي بداية شهر سبتمبر حدث أول لقاء بين الزرقطوني ومنصور وبونعيلات عن طريق مسير حزب الاستقلال عبد السلام بناني، واطلع كل طرف الآخر على الاستعدادات الجارية لخوض المعركة، وتوطدت العلاقة بينهم بحكم نشاطهم السابق في الميدان السياسي. وهكذا لعبت الأرضية السياسية المشتركة دورا إيجابيا في الانتصارات التي حققتها المقاومة في مجموع المغرب، وسيكون لها كذلك جانب سلبي ومضر لإضفائها صفة الحزبية على الكفاح الوطني وعزل حزب الشورى والاستقلال الضعيف جماهيريا.

كانت خلية تابعة لمنصور هي البادئة بالعمل المسلح، وقام بتنفيذ العملية الأولى الحسين سرحان، عامل في صناعة الزجاج، الذي أطلق يوم 4 سبتمبر 1953 النار على الجاسوس العربي الفريحي المسكيني في درب السلطان (11) وكان فقيها بالمسجد يعلم الصبيان القرآن، واستقطبه البوليس الفرنسي لأنه كان يعرف الكثير عن الوطنيين ويمثل خطرا على تنظيمات المقاومة. (12)



● الحسين سرحان

وفي اليوم الموالي بالمدينة القديمة أقدمت جماعة تابعة للزرقطوني على رأسها سليمان العرائشي على قتل امحمد بنيس (13)، وكان مثقفا ربط علاقات مع الشباب الوطني إلا أنه استسلم لاغراءات ضابط الشؤون الأهلية الذي جعل منه مخبرا وكلفه بالبحث عن عدد من المناضلين وفي مقدمتهم الزرقطوني.

وفي يوم 6 سبتمبر أطلق أحمد الراشدي وهو من مؤسسي منظمة

11 - Le Petit marocain 5-9-1953.

12 - مقابلة مع الحسين سرحان يوم 9-10-1998 بالدار البيضاء.

13 - Le Petit marocain 6-9-1953.

"إليد السوداء"، النار في درب السلطان على المقدم عبد الله الفاسي الصقلي وأرداه قتيلا. وكان للصقلي متجر في زقاق العافية بالمدينة القديمة لبيع المواد الأولية للنسيج، ويمسك بكثير من الخيوط التي تجعل منه جاسوسا خطيرا على تنظيمات الوطنيين السرية.

وتوالى توجيه الضربات إلى شبكة التجسس بشكل يومي قصد حرمان السلطة الاستعمارية من عيونها وتطهير الأحياء الشعبية منهم وإبعاد خطرهم.

وفي تلك الأثناء كان بعض طلبة كلية بن يوسف بمراكش قد أعدوا خلايا سرية ويبحثون عن السلاح. وفاتح زميل لهم في الدراسة شقيقه في الموضوع وكان يشتغل نجارا بالدار البيضاء، وكان النجار محمد بن موسى من مؤسسي المقاومة، وبواسطته تم اللقاء في نهاية شهر أكتوبر 1953 بين الزرقطوني والفقيه البصري وعبد السلام الجبلي، والتحق بهم عدد من رفاق الدراسة ينتمون إلى مدن أخرى. وبذلك توسعت دائرة الجماعات المسلحة لتشمل مراكش والرباط وفاس ووجدة والجديدة وأكادير.

ومنذ البداية كانت المقاومة ذات طبيعة جماهيرية احتضنت المثقفين الملتزمين والعناصر المسيسة في صفوف العمال ضحايا الاستغلال الراسمالي، وصغار التجار المستائين من ارتفاع الضرائب والركود التجاري، والصناع التقليديين المفلسين بسبب مزاحمة البضائع المصنعة الأوربية، والعمال الزراعيين وفقراء الفلاحين الذين سحقهم الفقر ونظام السخرة التي يفرضها عليهم المعمرون الأجانب والإقطاعيون المحليون، ونساء الشعب اللواتي إرتبطن وطنيا وعاطفيا بأبنائهن وإخوانهن وأزواجهن المقاومين، وقمن بمهام أساسية في ربط الاتصال بين خلايا المقاومة ونقل الأسلحة الخفيفة من حي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى. (14)

كان الشعب يعرف المقاوم باسم "الفدائي" وهو نابع من بطن التاريخ الإسلامي (15)وقد ورد اسم "الفداء" في نشيد كنا نردده في مدرسة "الحياة" الحرة بمراكش من تأليف عبد الله إبراهيم في معتقل تازناقت بالصحراء سنة 1950، يقول في مطلعه :

أصدقاء صراخ البلاد يشق الفضاء
أصدقاء تعالوا نلبي النداء
كيف نطوي الحياة عبودية وشقاء
أصدقاء ونعم رجال الفداء أصدقاء

وكانت المناشير التي تعبر فيها المقاومة عن موقفها تحمل توقيع "المتطوعون" أحيانا وأحيانا أخرى "حركة الفداء". وبعد الهجومات التي

14 - انظر مساهمة المرأة في الكفاح المسلح في الفصل التاسع.

15 - روح المقاومة المغربية جمعية المقاومة والتحرير 18يونيو 1959ص29.

استهدفت السلطان بن عرفة والمقيم العام الجنرال كيوم وغيرهما أطلق الإعلام الفرنسي على المقاومة اسم "**المنظمة السرية**" على شكل تلك التي عرفتها فرنسا في الحرب العالمية الثانية.(16)

ودخل هذا الاسم المستورد والمفروض في الكتابات الصحفية والتاريخية. وبعد إعلان الاستقلال أصبحت تعرف باسم "**جمعية المقاومة والتحرير**".

القيادة

من الخطأ تصنيف المقاومين في قيادات متعددة الأولى والثانية والثالثة حسب تسلسل زمني متعسف (17)فالمقاومون الأوائل نضجت في أذهانهم المقاومة المسلحة في ذات الوقت وفي نفس الظروف واستجابة لنفس الأسباب والدوافع، وكانت كل جماعة تبحث عن الوسائل لتنفيذ برنامجها على أرض الواقع، فإذا كانت خلية منصور هي التي دشنت مرحلة العمل المسلح، فإن ذلك لا يلغي دور الزرقطوني الذي انتبه مبكرا إلى ضرورة الانتقال من الأسلوب السياسي المسالم إلى الفعل العنيف.

فالمقاومون الأساسيون كانوا يتكونون من شباب يتقاربون في الأعمار ويتفاوتون في المستوى الثقافي، ولا ينطبق عليهم المفهوم الحديث للمثقف، لأنهم لا يحيطون بكل أشكال الثقافة والمعرفة. ويمكن اعتبارهم متعلمين في بلد كانت فيه الأمية الأبجدية تمس تسعين بالمائة من السكان.

وكان في مقدمة أولائك المتعلمين عمر الساحلي الذي تلقى تعلميه الأدبي والفقهي على يد علماء سوس بالجنوب، ومحمد الزرهوني وبوراس محمد الفكيكي من جامعة القرويين، والفقيه البصري وعبد السلام الجبلي وبوشعيب الدكالي وعمر البيضاوي وبوشعيب البيضاوي من كلية بن يوسف. والعصاميون محمد الزرقطوني وحسن العرائشي وسليمان رضا العرائشي الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم.

ومن بين الذين ساهموا في المقاومة من خلال نشاطهم خارج المغرب، علال الفاسي عالم من جامعة القرويين، عبد الكبير الفاسي أستاذ الرياضيات في ثانوية بالدار البيضاء، عبد اللطيف بنجلون دكتور في الطب، عبد الرحمان اليوسفي محامي، المهدي بن عبود دكتور في الطب، عبد الخالق الطريس أستاذ جامعي، عبد الكريم الخطيب دكتور في الطب.

وبالإضافة إليهم كان الزرقطوني يرتبط بشكل شخصي بمتعلمين آخرين من أمثال البشير شجاعدين وأحمد الجاي وعبد السلام السباعي وامحمد الجندي وكلهم درسوا في جامعة القرويين وشاركوا في المقاومة المسلحة بمدينة فاس.

16 - مقابلة مع الفقيه البصري 17-4-1998 بالدار البيضاء.

17 - تصنيف أورده الصنهاجي عبد الرحمان، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي، مطبعة فضالة 1987، ص213.

وإذا كانت الأقلية المتعلمة مثلت حينئذ أطرا مستنيرة ومتشبعة بالتقاليد النضالية للشعب، فإن أكثرية المقاومين كانوا غير متعلمين، إلا أن حرمانهم من حقهم في التعليم لم يمنعهم من الوصول إلى ثقافة شفوية وتكوين سياسي داخل الجماعات الحزبية، فالنشاط السياسي فتح أعينهم وجعلهم يعتمدون على المسلمات الوطنية المتراكمة في آذانهم للتمييز بين الوطنية والخيانة والحرية والاستعمار، وسجل بعضهم مآثر بطولية في المعارك المسلحة، وسقط عدد منهم في ساحة الشرف بشجاعة المكافحين الزاهدين في الحياة[18].

كانت قيادة المقاومة جماعية لا تنتخب ولا تختار من طرف أي مجلس أو هيأة, والأكثر وعيا وجرأة يفرضون أنفسهم في الميدان وينتزعون احترام رفاقهم. فالزرقطوني لم تكن له صفة الرئيس ولا الزعيم، ولما استشهد بعد اعتقاله جعل منه إخوانه رمزا للمقاومة لكونه ضحى بحياته حفاظا على أسرار المنظمة، فقد كان مرتبطا بعدة خلايا مسلحة في جهات كثيرة من المغرب، وكان نشيطا مهيبا يتخذ قرارات أحيانا بشكل فردي ويقوم بمبادرات متهورة.[19]

وقال عنه حسن العرائشي إن **"...شخصية الزرقطوني القوية القادرة الطموحة لا تحجم عن التلون بأصباغ مختلفة"**.[20]

وأنكر عليه أن يكون هو أول مؤسس جماعة درب السلطان وكتب يقول : **"قصة هذه الجماعة تفسر الكثير من أخلاق الزرقطوني وطباعه... ولم يكن مؤسس الجماعة وإنما انضم إليها كفرد عادي..."**[21]

وفسر عبد الله الصنهاجي قساوة العرائشي على الزرقطوني بقوله : **"إن الزرقطوني قرر قتل العرائشي لأنه أفشى السر لبعض مسؤولي حزب الاستقلال بمراكش..."**[22]

وإلى جانب حركته الدائبة واندفاعه الشجاع في تنظيم العمليات

---

18 - سجل المقاومة حافل بأسماء عشرات الأبطال، نكتفي هنا بذكر بعض الأسماء التي لم ترد عنها تفاصيل في فصول الكتاب : سعيد المانوزي، محمد بن الحاج العتابي، غاندي الكبير الكزار، أحمد لخصاصي شنتر، الحاج محمد البوهالي مستور، محمد بولحية، الحاج الهبطي، عبد الرحمان العسكري، عمر ناجي، ملال بن الحبيب، عبد الرحمان السكوري، محمد بن علي المكناسي عبد السلام الكفايتي، الحجاج الخمليشي، عبد الله الصنهاجي، الحسين بن محمد الخضار، مولاي العربي الشتوكي، عبد العزيز الماسي، الكمالي أعمر، التيباري عبدان، عبدالسلام أبا سطوف، الكمَّالي محمد «بن حمو».

19 - مقابلة مع الفقيه البصري في 17-4-1998 بالدار البيضاء.

20 - حسن العرائشي، بوشعيب بن الطيب شجاعدين، كفاح الملك والشعب، جمعية حركة المقاومة المغربية الرباط 1958ص25.

21 - ن.م. ص 24و25.

22 - الصنهاجي، مذكرات، م.س. ص108. السر ا لذي أفشاه أنه ترك مسدسا تحت وسادة نومه في منزل الأستاذ الصديق الغراس حينما ذهبت الجماعة إلى مراكش لاغتيال بن عرفة يوم 14-8-1953. (هذا التوضيح من مبارك الورداني).

وتنفيذها، كان الزرقطوني عاطفيا يرتبط بعلاقة حميمية مع رفاقه يبكيهم إذا سقطوا في ساحة الشرف ويقسم على فدائهم والانتقام لأرواحهم من أفراد العدو. (23)

كانت أجهزة المخابرات إلفرنسية تبحث منذ عام 1952 عن الزرقطوني الذي كان هو ورفاقه ينتحلون اسماء مستعارة ويحملون بطائق تعريف مزورة ويغيرون أماكن سكناهم عند الضرورة، ويقومون بتخطيط وتنظيم والإشراف على تنفيذ العمليات المسلحة في ظروف شديدة التعقيد وبالغة الصعوبة.

إستشهد الزرقطوني بعد تسعة أشهر من انطلاق العمل المسلح، ولم تمر سوى أربعة أشهر على رحيله حتى داهمت الشرطة أحد إلبيوت وألقت القبض على الفقيه البصري وعبد السلام الجبلي، واكتشفت مخبأ للسلاح، وتم تفكيك عدة خلايا، وأعلنت الصحف الفرنسية أن **"المنظمة السرية"** تلقت ضربة قاضية.

وفي مارس 1955 اعتقل الفقيه بوراس الفكيكي والتجأ بوشعيب الدكالي والمدني المغراني وسعيد المانوزي وعباس المسعيدي إلى منطقة الاحتلال الإسباني. وسادت فترة من الهدوء النسبي ناتجة عن ضرورة تنظيمية، وأعلنت الإدارة الاستعمارية عن نهاية "الإرهاب".

وكان على الذين تحملوا المسؤولية وهم: عدنان إلحسين، عبد الله خربوش، والكمالي أعمر، والحسين الشيظمي أن يمكثوا أزيد من ثلاثة أشهر في إعادة تكوين خلايا جديدة. وبمجرد ما تم تنظيم فرق مسلحة بديلة: **"أصدرنا التعليمات لإطلاق النار على جميع النصارى الذين نصادفهم في الطريق سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا**. (24)

وهكذا أصبحت "المنظمة السرية" بعد أن عصفت الأحداث بأطرها المتعلمة، تحت قيادة مكافحين من بسطاء الشعب لا ثقافة لهم يقاومون بالغريزة الوطنية ويفتقرون إلى المعرفة بقانون الحرب في الإسلام وسيكون عدد منهم مجرد أدوات في تصفية الحسابات السياسية الدامية.

---

23 - مقابلة مع بن إبراهيم الباعمراني بالدار البيضاء في 10-9-1986.

24 - مقابلة مع سفيان عبد الله بن يوسف خربوش بالدار البيضاء يوم 8-7-1990.

ميدان العمليات

ظلت ظاهرة العمل السري محصورة أساسا في المدينة وفي بعض المناطق الحضرية المحيطة بها. والمدينة المغربية هي عبارة عن أزقة ضيقة متداخلة، ودروب مسدودة معروفة بأسماءها بينما لم توضع الأرقام على أبوابها وبيوتها إلا بعد استتباب السيطرة الفرنسية في الثلاثينات. ويخضع تشييد الأحياء لمقاييس التفاوت الاجتماعي وعلاقات القربى، وهذا لا يزال واضحا في المدن العتيقة مثل مراكش وفاس والرباط وتطوان وغيرها.

وسواء داخل الأحياء الأرستقراطية أو الأحياء الشعبية، فإن السكان يتعرفون على جيرانهم في أول وهلة، ويظهر الغريب وكأنه ثور أبيض يصعب عليه الاختفاء وسط القطيع. والمقاوم الذي يجهل التواءات الأزقة ومنعرجات الدروب التي تضيق وتتسع وفجأة تنغلق، يصعب عليه القيام بعملية مسلحة والنجاة بسهولة. ويجد ابن المدينة القادر على القيام بعمليات نفسه مهددا بانكشاف أمره للذين يعرفونه. وقد تم اعتقال مقاومين بفاس ومراكش لأن أحد سكان حيهم أو أشخاص من حرفتهم لمحوهم بالصدفة في المكان الذي وقع فيه العنف وبلغوا بهم إلى جهاز الشرطة الذي يعجز من جهته على فرض تواجده بشكل مستمر في طرق لا تتسع لمرور السيارات والمصفحات، ويكتفي بتنظيم دوريات بين الحين والآخر تسير في طرق ضيقة ويكون أفرادها هدفا لضربات الفدائيين.

وفي الدار البيضاء التي يقوم فيها البناء على أساس هندسة معمارية عصرية، فقد استخدم فيها المقاومون الدراجات الهوائية والنارية والسيارات في إنجاز عملياتهم، إلا أن مشاكل طارئة ناتجة عن عدم التنسيق عرضت نشاطهم للخطر. إذ بمجرد ما تقع حادثة يتم تطويق الحي بكامله وتبدأ حملة تفتيش مفاجأة، وسرعان ما يقع مقاومون آخرون كانوا ذاهبين لإنجاز عمل آخر في مصيدة الشرطة.

ولحماية المنظمة من الأخطار المحدقة بها، اقترح الزرقطوني تقسيم الدار البيضاء إلى أربعة مناطق، تتكلف كل جماعة بمراقبة ما يجري في دائرتها. فإذا حدث هجوم ولا يعرف مصدره، تتوقف الجماعة المسؤولة عن تلك المنطقة عن أي عمل وتباشر البحث عن الفاعلين، وحينما تتعرف عليهم تعمل على إقناعهم بوجود قيادة وبضرورة التنسيق معها لتجنب الأخطاء.

وهكذا ساعدت مركزية العمل على مراقبة جميع الخلايا السرية العاملة بالمدينة ومكنت من تجنيب الكفاح المسلح مخاطر الفوضى التي تستفيد منها قوات الاحتلال. (25)

25 - حديث مع سليمان عباس العرائشي في 17-6-1984بالرباط.

ومن بين الخلايا التي كانت تعمل بشكل مستقل وتم التعرف عليها وانضمت إلى القيادة المركزية وقامت بدور مهم في المقاومة، تلك التي ترأسها كل من مغفور رحال والطالعي محمد والحسين الشيظمي والحاج عباس مفتاح وعدنان الحسين وإبراهيم فردوس، والبوعزاوي بن الرداد.

الخلية

النواة الصغيرة هي أساس التنظيم الذي طبقه النبي محمد (ص) على فرق تتكون من ثلاثة إلى خمسة أفراد. كان يعلمهم خفية مبادئ الدين الجديد، وفي ذلك ضمان لنجاح الاحتياطات الأمنية، وسهولة تلقين المجتمعين وتجنيدهم بدون أن يثيروا حولهم الشكوك وكانوا يؤدون الشعائر الدينية في أماكن آمنة وفي كتمان تام ويطبقون الحديث الشهير : **"استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"**

وبالمغرب كانت الخلية جماعة متحركة تتركب من أربعة أفراد على الأكثر، ولا يتعارفون فيما بينهم إلا باسم حركي. وكثيرا ما ساعد الاسم الحركي على خلط الأوراق أثناء التحقيق الذي تجريه الشرطة مع المعتقلين. فالمقاوم الخاضع للتعذيب يصرح بأنه تلقى الأمر من "علي" وقد يكون علي من بين المعتقلين فيبرز هويته باسمه الحقيقي وينكر أن يكون هو المقصود، ويصعب على المحققين اكتشاف رأس الخيط، وتنجو الخلية من التدمير الكامل.

ويكون على رأس الخلية منسق واحد يعرف باقي الأعضاء ويتلقى التعليمات من مسؤول آخر مرتبط بالهيئة المركزية التي تصدر الأوامر.

وينقسم أعضاء الخلية إلى ثلاثة :

1- المراقب ويعطي الإشارة من بعيد تدل على أن الشخص المستهدف يقترب وأن المكان خالي من دوريات الشرطة.

وتلعب الإشارة دورا أساسيا في العمل السري، وكان يطبقها صحابة الرسول في بداية الدعوة. فحينما عزم علي بن أبي طالب على اصطحاب أبا ذر الغفاري إلى دار الأرقم حيث كان النبي يختفي، اتفقا على إشارة، في حال وجود رقابة، بأن يتوقف علي وكأنه يربط نعله، فيما يواصل أبو ذر طريقه بعيدا عن دار الأرقم. (26)

2- المنفذ الذي ينجز العملية بوضع القنبلة لنسف المكان المتفق عليه أو بإطلاق النار على الهدف. ويتصف المرشح للقيام بعمل كهذا بالجرأة والاستعداد للتضحية، وغالبا ما كان المقاوم يستغفل العدو بإطلاق النار عليه من الخلف مما يمنعه من الرد إذا كان مسلحا، ولا يتمكن من التعرف على أوصاف الضارب إذا بقي حيا. ولذلك كانت الدعاية الاستعمارية تتهم المقاومين

26 - صحيح البخاري ج 1ص545.

بالغدر والجبن.[27]

3- الحارس ويكمن دوره في حماية المنفذ من أي خطر محتمل، ويكون على استعداد لإتمام المهمة إذا فشل المنفذ كان يتوقف سلاحه أو يصادف عائقا في آخر لحظة.

وبعد تنفيذ العملية ينسحب الثلاثة في الاتجاه المرسوم سلفا، لأن القيام بالهجوم يسبقه التخطيط ودراسة الطريق والمكان وكيفية الانجاز. والحقيقة أن الخلايا في البداية لم تكن خاضعة لإجراءات صارمة. فقد أعيد تركيبها ووضعت لها شروط دقيقة تفاديا لتكرار الأخطاء التنظيمية التي ارتكبتها جماعة البقال بمراكش و"اليد السوداء" بالدار البيضاء ونتج عنها اعتقال عشرات المقاومين بسهولة متناهية.[28]

الاستخبارات

كان النبي (ص) يستطيع أخبار أعدائه ويتعرف على أحوالهم وتحركاتهم بواسطة المخبرين وكانوا يسمونهم **"العيون"**. ففي السنة الثانية من الهجرة (623م) أرسل عبد الله بن جحش مع اثني عشر مهاجرا إلى مكان بين مكة والمدينة لترصد قريش ومعرفة أخبارها.

وفي غزواته كان يرسل مخبرين يستقون الأخبار كما وقع قبل غزوة بدر. فقد بعث ثلاثة من اصحابه لمعرفة قوة العدو، وأتوه بعبدين لقريش أسيرين، فسألهما : **كم ينحرون كل يوم ؟** فقالا : يوما عشرا ويوما تسعا. فقال النبي : **القوم ما بين تسعمائة وألف.**

وكانت خلايا المقاومة تكلف أشخاصا بجمع المعلومات عن الأعداء ومراقبتهم وتتبع خطواتهم مما يسهل على المنفذين القيام بالإغارة عليهم وتصفيتهم جسديا.

وعلى المستوى المركزي أولى الزرقطوني وإبراهيم الروداني لمسألة الاستخبارات أهمية قصوى لأنها تمكن من معرفة مخططات البوليس وتوجيه ضربات مباغتة ومحكمة للاستعمار وعملائه.

فقد كان الروداني يملك متجرا راقيا في شارع المحطة (محمد الخامس حاليا) لبيع اللحوم ومشتقاتها للأوربيين واستطاع أن يربط علاقات بزبناء نافذين وسط الجالية الفرنسية ومن ضمنهم عناصر من الشرطة يقدمون معلومات مقابل رشوة.

والرشوة ليست بضاعة أجنبية استوردها المستعمرون كما يدعي البعض، وإنما هي عملة محلية شائعة في الأعراف والممارسات يستعملها

27 - هذه الإتهامات رددتها صحف الإستعمار حينذاك.

28 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش يوم 3-7-1992.

الحاكم كوسيلة لترسيخ قاعدته الاجتماعية. يقدم الرشوة على شكل هدايا في مناسبات الأعياد إلى رجال الدين والأعيان والكتاب والشعراء المداحين والمغنيين وإلى أفراد حاشيته وحراسه المخلصين.

وكان الحاكم من جهته يتلقى الهدايا من رؤساء القبائل ومن كبار الموظفين من باشوات وولاة وقياد وهؤلاء لم يكونوا يتقاضون أجورا ثابتة، فيلجؤون إلى أخذ الرشوة من الهاربين من أداء الضرائب أو الخدمة المدنية أو بسبب ارتكاب جرائم أو أشياء مخالفة للقانون.

وكانت القاعدة في الرشوة، ولا تزال هي تقديم خدمة مقابل خدمة.

وفسر سياسي معاصر أسباب استفحال ظاهرة الرشوة في المجتمع المغربي بكونها ناشئة **"عن طبيعة النظام السائد في البلاد... فهو الذي يجعل الرؤساء وأتباعهم يتطلعون إلى حياة رفيهة لا يمكنهم أن يقوموا بمظاهرها المفروضة عليهم بما ينالونه من مرتبات رسمية، وهو الذي يفرض على الناس أن يبحثوا عن وسائل الهرب من طرقه المتعددة والاختصار في حل ما يعرض لهم من المشاكل عن طريق شراء الذمم واستغلالها... ويرغم المظلومين على أن يرضوا بالواقع ويتعلموا وسائل الإغراء والتزيين للرشوة حتى ينالوا قليلا من العدل أو نصيبا من الحق".** (29)

ولما فرض المستعمرون الفرنسيون والإسبانيون سيطرتهم على البلاد جعلوا من الرشوة المنتشرة والمستحكمة في العقليات أداة لتركيز وجودهم، واستمر المراقبون المدنيون الذين يملكون السلطة الفعلية في بيع الوظائف للذين يدفعون أكثر والمنحازين للنظام الاستعماري المتحمسين للقمع والنهب وتلقي الرشاوى.

وهكذا كانت الشرطة الاستعمارية تمثل جهازا قمعيا ارهابيا في أسلوبه ومرتشيا في معاملاته وممارساته. واضطر المقاومون إلى الاستجابة لمطالب بعض عناصرها بهدف إنقاذ المقاومين من التعذيب وتجنيب آخرين الاعتقال والحصول على معلومات مفيدة.

فقد توسط بعض السماسرة لدى عميد الشرطة الفرنسي بالرباط سنة 1953وأطلق سراح عبد الفتاح سباطة وعباس الأزموري مقابل مبلغ مالي أدته عائلتهما، وهذا لم يمنع الطالبين من الانخراط مرة ثانية في المقاومة المسلحة. (30)

وبالدار البيضاء كان الهاشمي المتوكل صاحب مأرب لإصلاح السيارات يتصل باتفاق مع الزرقطوني وإبراهيم الروداني، ببعض أفراد الشرطة السرية، يقدم لهم خدمات مجانية وكان عددهم سبعة وهم : كبور مكاني العبدي وكان متصلا مباشرة بالزرقطوني، والطرفاوي إدريس، وزكرياء إبراهيم،

29 - علال الفاسي، النقد الذاتي، م.س.ص 148.

30 - مقابلة مع محمد عبروق في بلغراد، يوغوسلافيا، في 15-12-1968.

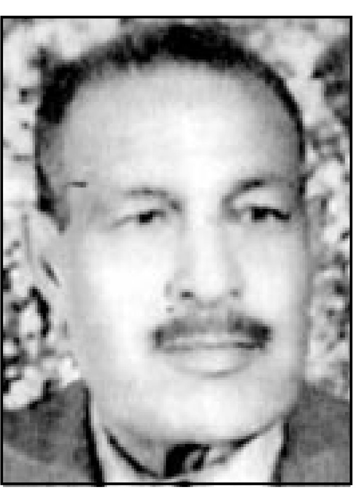

● الهاشمي المتوكل

ومحمد مودريس، والحاج إبريك والفرنسي بوايي والإسباني موراليس ويتكلمان بطلاقة اللهجة المغربية.

وكان الدور الذي يقومون به يتلخص في إعطاء التفاصيل عن الاعترافات التي يكون المقاوم المعتقل أدلى بها لكي يختفي رفاقه ويغيرون أماكن سكناهم، وعن حملات التفتيش المفترض أن تقع في حي ما، وفي يوم معلوم ليحتاط المقاومون من التواجد هناك تجنبا لأية مفاجأة غير سارة. وتبعا لمعلومات من هذا القبيل تمكن الزرقطوني من إجلاء مقاومين عن منزل كانوا يختفون فيه في حي سباتة، ونقل السلاح إلى مكان أمن ساعات قليلة قبل أن تطوقه الشرطة.

وباستثناء كبور العبدي فإن باقي الشرطيين توصلوا بأموال مقابل الخدمات التي قدموها (31) وبعد الاستقلال تمت ترقيتهم في وظائفهم بإدارة الأمن وبعضهم بدرجة عميد ومن بينهم الفرنسي بوايي الذي ظل يعمل بصفته تقنيا في الدائرة السابعة للشرطة.

وكان المقاوم بوشعيب الزيراوي على علاقة بالشرطي حمادي المذكوري وأعضاء آخرين يتوسطون لإطلاق سراح المعتقلين أو الحصول على ملفات متعلقة بمقاومين وذلك مقابل رشوة. (32)


● كبور مكاني العبدي

وبالرباط تعاون مع المقاومة لقمان محمد. وفي وجدة قدم يحيى بن بوبكر، وهو شرطي من أصل جزائري، مساعدة ثمينة للمقاومين سنة 1954، وحال دون وقوع عدد منهم في الاعتقال. وقام بنفس الدور عام 1955 لغريسي وهو أيضا من أصل جزائري، غير أن شرطيا مغربيا يدعى جعادة أبلغ بزميله إلى المسؤولين واعتقلوه. وكان مصير الخائن القتل على يد المقاومين. (33)

31 - مقابلة مع الهاشمي المتوكل في 28-12-1996 بالدار البيضاء.
32 - مقابلة مع عبد الله سفيان خربوش في 8-7-1990 بالدار البيضاء.
33 - حديث مع محمد تانوتي في 1-10-1998 في الدار البيضاء.

الدعاية

بعد المظاهرات الدامية لشهر دجنبر 1952بالدار البيضاء، أقدم المستعمر على منع الصحافة الوطنية على الرغم من أن عددها لا يتجاوز ثلاثة صحف، وكانت خاضعة للرقابة، وتطلع صفحاتها يوميا بمربعات فارغة وأعمدة بيضاء مكتوب عليها **"حذفته الرقابة"**.

وبقيت الجرائد الفرنسية مثل لوبوتي ماروكان ولافيجي ماروكان وماروك بريس زيادة على إذاعة راديو ماروك توجه دعاية مضللة للجالية الأجنبية وتحرضها على الحركة الوطنية بتزييف الحقيقة. وشهر المستعمرون الحرب النفسية إلى جانب الحرب العسكرية ضد المغاربة المحرومين من حرية الصحافة والاجتماع.

ولم تكن حركة المقاومة مهيأة بما فيه الكفاية لخوض غمار الحرب الإعلامية، وانحصرت وسيلة التعبير لديها في توزيع مناشير مكتوبة بخط اليد تدعوا فيها إلى الإضراب أو مقاطعة البضائع الفرنسية إما بإلصاقها على الجدران أو بإلقائها على الأرض في الساحات المكتظة بالناس مثل الأسواق. في حين أن رسائل التهديد يكتبها أشخاص ليسوا بالضرورة منخرطين في تنظيمات المقاومة.

نداء من محمد الخامس
الى شعبه الوفي

بمناسبة ذكرى تربع جلالة الملك الشرعى سيدي محمد بن يوسف على عرش اسلافه المقدسين وجه هذا النداء الى الشعب المغربى.

«ان الولاة الفرنسيين بتآزرهم مع طائفة من العصاة المتمردين الذين لا يمثلون في المغرب شيئا قد دبروا مؤامرة شنيعة فطوقت الجنود المسلحة قصرنا واصدر الجنرال كيوم قراره بنفينا من المغرب نحن وعائلاتنا على اثر رفضنا للتنازل عن العرش»

ايها الشعب الوفي.

ان شعورنا بالواجب وبقداسة الرسالة الملقاة على عاتقنا نحو الوطن العزيز، وما الهمنا الله به من ثبات ومصابرة كل ذلك جعلنا نستهين بالصعاب ونتحمل الشدائد ونضحي بكل شيء في سبيل تحقيق ما تصبو اليه البلاد من عزة وكرامة وحرية.

اننا بمناسبة هذه الذكرى العزيزة عليك. التى تعرب فيها دائما عن الولاء والاخلاص والمحبة نحونا، نهيب بك ان تواصل « الكفاح ، وتضاعف المجهود. وتتمسك بحبل الله المتين في سبيل تحقيق ما تصبو اليه من عزة وكرامة وحرية « فان ذلك وحده يخفف عنا الام البعد عن الوطن ووحشة الغربة في هذه الجزيرة المنعزلة التي تحول بيننا وبين مشاركتك شرف الجهاد في سبيل تحرير البلاد.

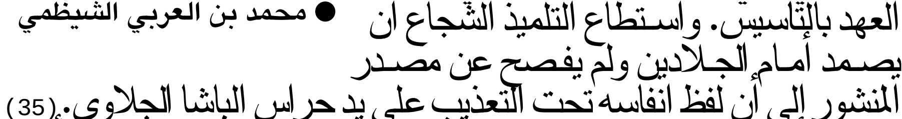
نسأل الله ان يلهمنا الصبر والثبات فهو وحده القادر على نصرنا «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله»

(المتطوعون)

فقد كنا نحن التلاميذ نكتب رسائل تهديد ونرسم مسدسا على الورق المقوى ونقصه ثم نلصقه على قطعة من الخشب في شكل طابع ونلطخه بالمداد الأحمر ونضعه في أسفل الرسالة مع توقيع "الفدائيون" ونرسلها عن طريق البريد في غلاف يحمل عنوان الجاسوس أو التاجر الذي لا يستجيب لقرار الإضراب. وكنا نتسلى بتكدير العيش على الخونة وأبنائهم الذين يعيشون في خوف دائم.

أما "المنظمة السرية" فقد أصدرت منشورين مطبوعين فقط يحملان توقيع "المتطوعون".

الأول في بداية عام 1953 ندد بالمجازر التي اقترفتها القوات الفرنسية في حق المتظاهرين العزل وأدان حملة الاعتقالات في صفوف المناضلين وقادة الحركة الوطنية. وقد أعد المنشور الزرقطوني وحسن العرائشي وسليمان العرائشي، ووزع في المدن الكبرى وعلى إسفارات الأجنبية، وكاد أن يكون مصدر خلاف حاد بالرباط عندما حاول أحد مسيري حزب الاستقلال منع مناضل من توزيع المنشور تحت التهديد بإبلاغ السلطة الفرنسية.(34)



● محمد بن العربي الشيظمي

والمنشور الثاني حرره محمد الجندي وأشرف الزرقطوني على طبع الدفعة الأولى منه، غير أن الشرطة داهمت المطبعة واعتقلت ثلاثة مقاومين وتمكن حسن الصغير من تجرع قرص إلسم وكان أول فدائي ينتحر.

وبمراكش ألقي القبض على محمد بن العربي الشيظمي التلميذ بمدرسة "الحياة" الحرة وهو يوزع نفس المنشور الذي سلمه إياه امحمد السوسي العضو في جماعة حمان الفطواكي التي كادت أن تنكشف وهي حديثة العهد بالتأسيس. واستطاع التلميذ الشجاع أن يصمد أمام الجلادين ولم يفصح عن مصدر المنشور إلى أن لفظ انفاسه تحت التعذيب على يد حراس الباشا الجلاوي.(35)

ونظرا لانعدام الإمكانات التقنية والإطار البشري المؤهل لإنجاز أعمال التحرير والطباعة، فقد تركت حركة المقاومة مسألة الدعاية للجماعة المقيمة بتطوان.(36)

وسبق لي أن نشرت خمس وثائق وانتقدت في مقدمتها التفكير الذي كان

34 - مناضل عبد الرحمان الصنهاجي، مذكرات، م.س. ص105.
35 - مقابلة مع امحمد السوسي المسعودي بمراكش يوم 3-8-1986.
36 - مقابلة مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش يوم 14-4-1988.

يستحوذ على أذهان المقاومين المفتقرين إلى علم الثورة والصراع الاجتماعي.[37]
وقد تأكدت فيما بعد أن النداءات الموجهة إلى الرأي العام باسم المقاومة المغربية كان يحررها السياسيون الموجودون بتطوان ويعبرون فيها عن آراء البورجوازية ومواقفها المتمحورة حول مطلبي عودة الملك الشرعي إلى عرشه وإعلان الاستقلال السياسي بتوافق تام مع الاستعمار الفرنسي.
وكانت لجنة للإعلام تكونت سنة 1952 بمدينة طنجة لمعالجة المعلومات الواردة من منطقة النفوذ الفرنسي وإرسالها إلى علال الفاسي بالقاهرة وإلى مكتب المغرب الذي كان المهدي بنونة من المشرفين عليه بنيويورك.
وكانت لجنة طنجة تتركب من الدكتور عبد اللطيف بنجلون، وعبد الرحمان أنكاي، محمد الخطيب، العربي الحضصي، عبد الرحمان اليوسفي، عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي، الغالي العراقي، المختار الواسيني، حسن قصارة، الأستاذ الباعمراني، عبد العزيز الشاط، المختار الحاج ناصر، والتحق بهم سنة 1953 عبد الكبير بن المهدي الفاسي.
وسرعان ما انتقل نشاط اللجنة إلى مدينة تطوان وأصبح حزب الإصلاح الوطني هو المنسق الفعلي بين مكاتب مدريد والقاهرة ونيويورك، وقاد حملات دعائية في صحافته ضد الاحتلال الفرنسي وخاصة في جريدة "الأمة" وكانت الأحداث التي تنشرها مثل إطلاق النار وتفجير القنابل وإشعال الحرائق يعاد بثها في النشرات الإخبارية لإذاعات طنجة وتطوان وبغداد ودمشق.
ويبقى التحريض الفعال والتعاليق النارية من اختصاص "صوت العرب" المنبعث من القاهرة على الرغم من التشويش بالصفارات الذي يقوم به الجيش الفرنسي. واضطرت الحكومة الفرنسية إلى الاحتجاج لدى الحكومة المصرية على تعاليق "صوت العرب" وادعت أن ما أذيع يوم 6 مارس 1954 على إثر الهجوم المسلح على السلطان بن عرفة بمراكش **"يعد تبجيلا للاعتداء بشكل لا مثيل له"**.[38]
والحقيقة أن "صوت العرب" كانت إذاعة ذات تأثير كبير في الشارع المغربي على الرغم من أن إحصائية رسمية تشير إلى أن أجهزة المذياع المصرح بها سنة 1953 لم تتجاوز مائة وعشرين ألفا. [39] وقد يكون العدد أكبر من ذلك بكثير نظرا لتجارة التهريب بين منطقة النفوذ الاسباني وباقي المدن الواقعة تحت السيطرة الفرنسية.

37 - انظر جريدة "أنوال" ليوم 20 يونيو 1985.
38 - Le Petit marocain 12-3-1954.
39 - Julien, le Maroc, P. 335, Réf. 89.

القاعدة الخلفية

في نطاق التنافس الامبريالي على تقاسم المستعمرات أبرمت فرنسا مع إسبانيا الاتفاق الودي في 3أكتوبر 1904. وتكرس الاتفاق في معاهدة 27نوفمبر 1912حيث بسطت إسبانيا سيطرتها على شمال المغرب ومنطقة سيدي إيفني بالجنوب لتنفذ منه بعد ذلك إلى مجموع الصحراء.

وإذا وجدت إسبانيا موطئ قدم لها في المغرب بعد أن فقدت آخر مستعمراتها في أمريكا الجنوبية عام 1898، فإنها اعتبرت الصيد الجديد هزيلا لأن الجزء المتروك لها في الشمال غير شاسع وفقير من الناحية الزراعية وليس له أهمية كبيرة فيما يخص المواد الأولية، بينما استحوذت فرنسا على منطقة واسعة جغرافيا وغنية بتربتها الخصبة وبثروات باطن الأرض.

ولم تتوقف الخلافات بين الدولتين الاستعماريتين رغم تحالفهما سنة 1925ضد ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي. فقد استعر الخلاف بينهما أثناء الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939)خاصة في عهد حكومة الجبهة الوطنية برآسة ليون بلوم. وحينما تمكن عبد الكريم الخطابي من اللجوء إلى مصر بعد توقف الباخرة التي كانت تنقله من جزيرة لارينيون إلى فرنسا عام 1947، شنت الصحف الإسبانية حملة عنيفة ضد فرنسا متهمة إياها بالتآمر لزعزعة نفوذها في المنطقة التي تحتلها. وكانت تعتبرها مسؤولة عن عدم انضمامها إلى الحلف الأطلسي ومعرقلة لانخراطها في هيئة الأمم المتحدة التي لم تصبح عضوا فيها إلا في سنة 1955.

ولما أقدمت الحكومة الفرنسية على نفي الملك محمد الخامس يوم 20 غشت 1953، استنكرت إسبانيا القرار الفرنسي واعتبرته خرقا لمعاهدة الحماية ورفضت الاعتراف بالأمر الواقع، وفتحت منطقتي نفوذها في الشمال والجنوب لنشاط الوطنيين المعارضين للسياسة الفرنسية الذين جعلوا منها قاعدة خلفية يلتجئ إليها المتابعون من طرف الشرطة الفرنسية ومركزا للتزود بالسلاح.

وكانت نقطة الحدود الفاصلة بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية تسمى "عرباوة" وتحيط بها غابات كثيرة ويراقبها من الجانب الفرنسي جنود يمتطون الخيول لمطاردة المتسربين سواء كانوا من السياسيين أو مهربي البضائع، وكان معظم الجنود يتوصلون برشوة ويغمضون العين. وهكذا استفاد المكافحون من الخلافات المزمنة بين الدولتين الاستعماريتين: **"ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين".** (40)

40 - البقرة 248/2.

مصادر الأموال

كان إيجاد الوسائل المالية ضروريا لتغطية المصاريف وإسعاف عائلات المعتقلين وأداء أجور المحامين وتلبية حاجيات المقاومين المنقطعين إلى الكفاح المسلح ضد الاستعمار وأذنا به.

استمد صندوق المقاومة مداخيله الأولى من تبرعات المنخرطين في خلايا المقاومة. وقد استبد الغضب بالزرقطوني عندما علم بأن المؤتمن على المال أنفقه في أشياء شخصية لا علاقة لها بالكفاح (41) والتحق الحسن العرائشي بتطوان على إثر خلاف حاد مع الزرقطوني وحمل معه مبلغا هاما من المال (42) في حين أبلغ الصيدلي الديوري البوليس بعد تلقيه رسالة من الزرقطوني لتقديم مساعدة مالية للمقاومة، وانتبه المقاومون لتحركات الشرطة في المكان المقرر لتسليم المال، وانسحبوا قبل أن يعودوا لتفجير قنبلة في الصيدلية "الوطنية" الواقعة في شارع الفداء (43) وتجسدت المساعدات الفعلية في عطاءات بعض التجار المتوسطين والصغار والعمال المهاجرين. فقد اتصل مولاي العربي الشتوكي برفاقه السابقين في المعامل الفرنسية، واستجابوا للنداء وجاء بوسعد الحسين واسمه الحركي بومدين، حاملا معه مليون فرنك مساعدة من العمال المغتربين للمقاومة. وفي رحلة ثانية أتى بنصف مليون فرنك وبندقيتين رشاشتين. وبعده قدم بناصر مرغيش على متن سيارة يخفي بداخلها بعض المسدسات ومبلغا من المال (44) ومرة أخرى أتى عبيد الزفاطي بأسلحة وشارك في الهجوم بالقنابل على بنحيون باشا أكادير في ملعب الخيل. (45)

وكانت جماعة من العمال بفرنسا تجمع المساعدات المالية وتشتري السلاح، والتحق بهم حسن العرائشي الهارب من المغرب، وكان يحمل جوازا اسبانيا باسم مستعار، وصار : **"يحضر حفلات تنظم على شرفه بصفة علنية إلى أن اكتشف أمره للشرطة الفرنسية"** (46) وأثناء الاستنطاق اعترف بعلاقته بكل من محمد بوردو وأحمد الباعمراني واكتشفت عندهما بعض الأسلحة في ضاحية باريس كانا يعتزمان إدخالها إلى المغرب. (47)

41 - التبذير نسبه الصنهاجي إلى التهامي نعمان الذي اعتقل لمدة سنتين هو وشعيب شجاعدين بسبب نشاطهما السياسي ولم يشاركا في المقاومة.

42 - الصنهاجي، مذكرات، ص245.

43 - ن.م. ص246.

44 - مقابلة مع الحسين بومدين يوم 13-6-1984بالدار البيضاء.

45 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي في باريس بتاريخ 1976-5-8.

46 - عبد الصادق القادري، تعريف بتاريخ المقاومة المسلحة المطابع الشرقية، وجده 1999 ص180.

47 - مقابلة مع الحسين بومدين يوم 13-6-1984 بالدار البيضاء.

ومن أعضاء التنظيم العمالي كان يوجد عبد الله الجواي، الملوكي بوجمعة، حسن بوفوس، إبراهيم كوحو، محمد البورحيلي.

هذا فيما يتعلق بتمويل القيادة المركزية بالدار البيضاء، أما الجماعات بالمدن الأخرى فقد اعتمدت على وسائلها الخاصة. ففي مدينة فاس كان امحمد بن عبد الله مسؤولا عن أموال الاكتتاب المنظم سنة 1952 لإسعاف عائلات المعتقلين السياسيين. والمبالغ التي تبقت منها استعملها في حل مشاكل المقاومين. وجاء في صك الاتهام أن ابن عبد الله سلم للمقاوم بن الراضي السلاوي 60.700 فرنك كمقابل عن العمليات المسلحة التي نفذها (48) وفند ابن عبد الله أمام المحكمة ذلك الاتهام وأكد أن تلك الأموال مساعدة تبرع بها المواطنون وتم توزيعها على المقاومين حسب حاجيات كل واحد منهم. (49)

وفي مراكش ساهم صغار التجار في جمع الأموال لجماعة حمان الفطواكي، وكان أغلب المقاومين يعتمدون على عملهم لتلبية مطالب أسرهم المادية. (50)

وفي خارج المغرب كان السياسيون يجمعون باسم الكفاح المسلح المساعدات من مختلف البلدان العربية ويتنازعون عليها في بعض الأحيان.

وكان الدكتور المهدي بن عبود غادر مكتب حزب الاستقلال في نيويورك وعاد إلى تطوان ساخطا على قيادة الحزب التي واخذ عليها التبذير والتلاعب في الأموال. (51)

ومرة قدمت الحكومة العراقية مساعدة للمقاومة المغربية سنة 1954 بلغت خمسين ألف جنيه استرليني تسلمها علال الفاسي من رئيس الحكومة نوري السعيد. (52)

واتهم بعض أعضاء "لجنة تطوان" عبد الكبير الفاسي بأخذ أموال تبرعت بها جامعة الدولة العربية وكان **"التفكير في إعدامه واردا"**. (53)

وكانت المساعدات المالية التي قدمتها مصر كثيرة إلى عباس المسعيدي وعبد الله الصنهاجي على يد عبد المنعم النجار الملحق العسكري في السفارة المصرية بمدريد. وبلغت نفقات جيش التحرير عشرات الملايين شهريا وكان المكافح المغربي يتقاضى 300 بسيطة شهريا وبشكل منتظم وهو ما يعادل الراتب الشهري للجندي الإسباني. وجاء علال الفاسي إلى تطوان عام 1955 وقدم له كبار التجار حوالات مالية بحضور الصنهاجي الذي أشتكى من أنه لم يتوصل بأي شيء منها. (54)

48 - Le courrier du Maroc 12-4-1954.

49 - مقابلة مع امحمد بن عبد الله يوم 19-3-1986 بالدار البيضاء.

50 - مقابلة مع عمر بن لحسن بمراكش في 10-8-1984.

51 - حديث مع الغالي العراقي، الدار البيضاء في 16-7-1990.

52 - ن.م.

53 - جهاد من أجل التحرير، استجواب مع الدكتور الخطيب وحافظ إبراهيم، منشورات المناهج، الرباط 1999 ص73.

54 - الصنهاجي، م.س. ص204.

وجمع أحمد زياد ممثل حزب الاستقلال بتطوان أموالا وافرة، وحينما سجنته الحكومة المصرية بطلب من المقاومة، قامت "لجنة تطوان" بالاستيلاء على الأموال التي تركها وباعت الأملاك التي اشتراها في طنجة (55) ونفس اللجنة كانت تستدعي السعيدي والصنهاجي للاستفسار وتقديم الحسابات المالية كلما وصلت شكاوى باستعمال الطرق التعسفية لجمع المساعدات باسم جيش التحرير. (56)

وتاجر أنصار الصنهاجي في الأسلحة والذخيرة واللباس الخاص بالجنود وأصبحوا أثرياء (57) وكان أكراد بوطيب المسؤول عن جيش التحرير في مداغ بمنطقة بني يزناسن يرغم الناس على دفع المال تحت التهديد. (58)

وفي مدينة تازة ضاق الناس ذرعا من تصرفات جنود جيش التحرير وسوء سيرتهم وأراد التجار القيام بإضراب عام، واضطرت القيادة إلى منعهم من الدخول إلى المدينة. (59)

واشتكى القائد عزوز البرنوصي من قبيلة البرانص بإقليم تازة إلى الصنهاجي من كون المبلغ المالي المطلوب منه تأديته لجيش التحرير باهظ وأنه عاجز عن جمعه رغم أنه عرض في السوق كل ما يملكه من بقر وغنم وحبوب، ويخبره بأن ستة أشخاص آخرين فرضت عليهم مبالغ كبيرة لا يطيقون دفعها لقلة ما بيدهم ويطلب منه أن ينظر **"لوجه الله في حالة ضعفهم"** (60) وقام بعض مسؤولي جيش التحرير في منطقة مغراوة بنهب الأموال وسرقة المواشي، ومارس أحدهم باسم الجهاد استغلالا فاحشا وارتكب جرائم أمام الملأ. (61)

وكان عملاء الاستعمار يضمنون الأمن لأنفسهم بشراء الحماية من بعض مسؤولي جيش التحرير، فقد قدم القائد منصوري من بركان مبلغا ماليا إلى الصنهاجي فقبله منه. (62) وفي رسالة اعترف الصنهاجي أنه عفا عن أحد الشيوخ الخونة وطلب بعدم قتله قائلا بأن الأوضاع تغيرت... (63)

55 - ن.م. ص249.

56 - جهاد من أجل التحرير، ص19.

57 - حمو الإدريسي، الحركة الوطنية في الشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر، مطابع البوغاز، طنجة 1990 ص95.

58 - الصنهاجي، مذكرات، ص349.

59 - ن.م. وثيقة 104 بتاريخ 16-3-1956 من السرجان عبد السلام إلى مركز الناضور.

60 - ن.م. وثيقة رقم 5 بتاريخ 6-2-1956 من القائد عزوز إلى الصنهاجي ص 294.

61 - ن.م. ص326، وثيقة رقم 16 بتاريخ 17-3-1956.

62 - ن.م. ص352.

63 - ن.م. ص349.

وكتب أحد مسؤولي جيش التحرير رسالة إلى الصنهاجي يخبره أن المعمرين الفرنسيين الموجودين في منطقته مستعدون لأداء الأموال المطلوبة مقابل ضمان أمنهم وسلامتهم. (64) ومن فكيك بمنطقة وجدة أرسل ضابط من جيش التحرير إلى الصنهاجي مليون فرنك واخبره بأن المال الذي يجمع هناك لا يصل منه إلى القيادة بالناظور إلا أقل من الربع. (65)

وحينما امتد نشاط جيش التحرير إلى الجهات الجنوبية، تعرض القياد والخلفاء والباشوات إلى نهب ممنهج وعمليات تقتيل شنيع، وقام بعض المسؤولين عن فرق جيش التحرير بالدخول إلى قصور الخونة واستولوا على الذهب والأواني الفضية والزرابي واستعملوا الشاحنات لنقلها خاصة في وارززات وتارودانت والصويرة وأكادير وكانت منازل وقصور الباشا الجلاوي هدفا للتتريك والسرقة.

وفي عام 1956 نظمت حملة لجمع المساعدات باسم التضامن مع ضحايا الحرب الإستعمارية الفرنسية في شمال البلاد تحت شعار : **"الوطن يناديكم، الملك يدعوكم، أغيثوا إخوانكم في الشمال."** وبقدر ما كانت مساهمة المواطنين قوية وسخية، بقدر ما التجأ بعض الموظفين إلى ممارسة الاختلاس والتلاعب وامتنعوا عن تسليم الوصل للمتبرعين.

وفي سنة 1958 أشرفت جمعية المقاومة والتحرير والاتحاد المغربي للشغل على جمع الأموال لفائدة سكان أيت باعمران الذين فقدوا أملاكهم ومواشيهم دفاعا عن تشبثهم بالوحدة الترابية ورفضهم الانخراط في مؤامرة الانفصال التي دبرها الجيش الإسباني في الصحراء.

وبلغت المداخيل ما يفوق مائة وخمسين مليون فرنك، استفاد منها المنكوبون بعشرين مليونا، وصرفت عشرون مليونا على جيش التحرير، وبقي أكثر من مائة مليون في حساب بنكي في اسم تاجر مغربي بالدار البيضاء. (66)

وأشهد أن بعض المسؤولين في المقاومة انزلقوا في متاع الدنيا. ففي نهاية 1956 وبعد أن خيم الظلام استدعى عمر بن الحسن وامحمد (الداحوس الصغير) كلا من إدريس بن عبد القادر وعبد الرحمان ابو نادي وعبد الله رشد، وامتطى الجميع سيارة أمريكية كبيرة في اتجاه غير محدد، وبعد حوالي ثلاث ساعات توقفت السيارة بالقرب من قصر فخم جدرانه عالية يقع على مشارف مدينة الصويرة. (67) فتح العبيد الباب الضخم وقطعنا مسافة على الأقدام قبل أن نصل إلى بيت الضيافة كان يقف أمامه شخص وسيم شديد البياض يرتدي الزي

---

64 - ن.م. ص 347 وثيقة رقم 56.

65 - ن.م. ص 342، وثيقة رقم 53.

66 - مقابلة مع محمد بن سعيد أيت يدر في باريس بتاريخ 4-7-1975.

67 - الصويرة ميناء قديم على شاطئ المحيط الأطلسي جعل منها الملك محمد بن عبد الله سنة 1765 مدينة حديثة، ولعبت دورا كبيرا في تجارة المغرب الخارجية في القرن 19.

المغربي، وبعد المصافحة دخل الجميع إلى غرفة فسيحة مفروشة بزرابي منسوجة من الصوف والوبر، وكانت مائدة العشاء تنتظر "المقاومين" جاهزة بكل أنواع الطبخ وجميع أشكال اللحم في أواني فضية، ولأول مرة لامست أصابعي أمواسا وملاعق من ذهب، وتذوقت لحم الغزال مشويا وشربت عصير اللوز.

وفي الصباح الباكر لليوم التالي كان الفطور يتكون من حليب الناقة وعسل النحل في شهده وزيت الزيتون وجبنة الماعز وعصير التفاح والرغيف البلدي.

وفي طريق عودتنا إلى مراكش فطن إدريس إلى حقيبة مليئة بالأوراق المالية. فالتفت عمر نحونا قائلا : **"لا تقربوا الأمانة إنها ملك للمقاومة" !**

فهمنا معنى التحذير واستوعبنا المغزى من سفرنا نحن المراهقين عوض من هم أكبر منا سنا، والتزمنا الصمت ونسينا قصر الإقطاعي ومائدته وحقيبته المالية.

وكانت قيادة المقاومة تتوصل من الحكومة بميزانية شهرية لإعالة أسر شهداء الاستقلال تبلغ خمسة عشر مليون فرنك، يوزع منها ما بين سبعة وثمانية ملايين في الشهر ويستفيد منها في الدار البيضاء حوالي ألف عائلة زيادة على إعانة للمقاومين العاطلين عن العمل. (68)

ومن بين الأخطاء التي ارتكبها المسؤولون في **"جمعية المقاومة والتحرير"** أنهم حولوا جزءا من الأموال المدخرة إلى وصول تجارية واقتنوا ضيعات فلاحية ومنازل عصرية من نوع "الفيلا" وجعلوها في أسماء أشخاص ذاتيين سرعان ما اعتبروها ملكية خاصة لا ينازعهم فيها أحد، ومن الذين تلقوا هدية في شكل منزل جميل إدريس المحمدي وزير الداخلية. (69)

ولكي ترتاح الدولة من التشويش الذي كان يقوم به المقاومون في الشمال اتفقت مع حزب الاستقلال وجناحه العسكري بوضع السلاح على أن **"يتحول قسم من جيش التحرير للعمل لتحرير مناطق الحدود والصحراء"** (70) وخصص له الملك محمد الخامس مصاريف بلغت خمسين مليون فرنك في الشهر. ولم يكن تعداد المحاربين يتجاوز ستة آلاف مما جعل مبالغ مالية تبقى فائضة في الصندوق. (71)

وفي سنة 1957 اشترى المسؤولون في المقاومة أسلحة يقدر ثمنها بمائة وثمانين مليون فرنك من مهربين ألمانيين غير أن البحرية السورية اعترضت طريق الباخرة في مياهها الإقليمية وحجزتها. وبعد تدخل أطراف عربية اتفق المغاربة على تسليم الأسلحة إلى رفاقهم في جيش التحرير الجزائري وتم افراغها في ميناء مغربي وأدخلت إلى الجزائر عن طريق الحدود. وطالب

68 - مقابلة مع محمد بن سعيد أيت يدر الذي كان مكلفا حينئذ بمالية المقاومة.

69 - حديث مع امبارك الورداني، الدار البيضاء، في 14-4-1999.

70 - علال الفاسي، عقيدة وجهاد، تقرير أمام المؤتمر العام للحزب في يناير 1960 ص29.

71 - حديث مع محمد بن سعيد . الرقم أكده الصنهاجي، مذكرات، ص264.

المهربون الألمان بأموالهم وكان الجواب بأن السلاح حجز في سوريا ولم يصل إلى الجهة المتفق عليها، وهكذا بقيت الأموال في حساب عبد الرحمان اليوسفي في أحد البنوك السويسرية. (72)

السلاح

السلاح كل أداة وآلة وعبوة تستعمل عند الهجوم أو الدفاع. والمقاومون استعملوا السلاح الأبيض كالخناجر والأمواس، والسلاح الناري مثل المسدس والمتفجرات التي تلقى عن بعد وهي المعروفة بالقنابل اليدوية، أو التي تصنع محليا وتوضع في أماكن معينة.

أما البندقية فقد استعملها احمد بن الحسن لأول مرة في الهجوم على بونيفاس مدير الشؤون السياسية السابق ورئيس ناحية الدار البيضاء يوم 10 مارس 1955. وكان بوسعدن الحسين "بومدين" العامل بفرنسا قد أدخل إلى المغرب رشاشتين في حقيبة يدوية.

إلا أن السلاح المثالي بالمدينة كان المسدس الفردي نظرا لخفته وسهولة وضعه في الجيب وإخفائه داخل خبزة أو في حزمة نعناع أو باقة ورد.

وفي وقت مبكر، استعدادا لمرحلة الكفاح المسلح، حصل المناضلون على مسدسات اشتراها مولاي علي السباعي والحسين الخطابي والحاج أحمد اوكدورت وصالح بن إبراهيم السوسي وكلهم تجار صغار، من الجنود الأمريكيين العاملين بقاعدة القنيطرة العسكرية. في حين أن عمالا مهاجرين أتوا بمسدسات إخرى، ولم يكن سلاح المقاومة يقتصر على مسدسين فقط كما جاء في ما كتبه أحد المسؤولين في قيادتها. (73)

وقبل انطلاق المقاومة بمدة طويلة توصل بن إبراهيم الباعمراني بعدة مسدسات من محمد الناجم الضابط السابق في جيش "المخزن" الذي انضم إلى الهيبة ماء العينين في كفاحه ضد الفرنسيين عام 1912 والتجأ بعد ذلك إلى المنطقة الإسبانية. كما تسلم عدة مسدسات وكمية من الرصاص من التاجر أبا حماد أشنبيط الذي قتله المستعمرون الإسبانيون في أيت باعمران في وقت لاحق. (74)

وعرف التهريب نشاطا متزايدا للمسدسات والقنابل اليدوية من منطقة الاحتلال الإسباني في الشمال والجنوب. ومن تطوان وطنجة وردت معظم الأسلحة الخفيفة واشتهر بنقلها محمد بن عبد القادر الشتوكي على متن سيارة

72 - حديث مع الفقيه البصري في باريس بتاريخ 4-8-1985.

73 - ثمن الحرية، جمعية المقاومة والتحرير، الطبعة 2. الدار البيضاء 18-6-1958 ، ص13.

74 - مقابلة مع كريم محمد الباعراني، الدار البيضاء في 30-5-1984.

طاكسي، وكان يختار زبناءه المسافرين من بين الأوربيين واليهود المغاربة ليتجنب التفتيش الدقيق في الحدود. بينما كان السائق عبد النبي العرائشي يخفي السلاح في داخل "الساتيام" التي كان يقودها وهي حافلة من النوع الراقي يمتطيها بشكل خاص الأوربيون بين طنجة والدار البيضاء.

وشارك في نقل الأسلحة من مدريد وطنجة إلى الدار البيضاء أحمد الدغمومي ومصطفى الهادي بولوفة، وعبد السلام الطويل ومحمد الشاوني وعبد السلام الكبداني، ومحمد صالح المراكشي والبكاري الهواري.

وعلى متن شاحنة للبضائع كان سعيد السوسي واسمه الحركي "ستالين" وإبراهيم السوسي الشيفور ينقلان المسدسات من إيفني بالجنوب إلى الدار البيضاء. (75) وقد اخترع إبراهيم الشيفور وسيلة لإخفاء المسدسات لم يفلح البوليس في اكتشافها. ذلك أن كل شاحنة تتوفر كما هو معروف على سند خشبي يوضع تحت العجلات الأمامية والخلفية لمنع الشاحنة من التدحرج أثناء توقفها. فكان إبراهيم يحفر السند الخشبي على شكل صندوق صغير ويخفي بداخله المسدسات والرصاص، وكانت حمولة أربعة أسناد كافية لتمرير عدة مسدسات مرتين في الشهر على الأقل بطريقة مضمونة.

وكانت شحنات الأسلحة يتسلمها شخص معين بالدار البيضاء ويحتفظ بها في مكان آمن، وكان الزرقطوني يحرص بنفسه على تضييق دائرة المكلفين بالأسلحة الذين لم يكونوا يتجاوزون أربعة أشخاص، وكانت أماكن الخزن متعددة ومتغيرة حسب الظروف الأمنية.

وكان بعض أعضاء القوات المساعدة في ثكنة بورنازيل بالدار البيضاء على علاقة بالزرقطوني وفي مقدمتهم الضابط بن عمر بويفادن واحقي والحاج أحمد بودريالة وبلحاج الحسن السوسي، وكانوا أثناء إجراء التداريب يوفرون بعض الرصاص ويسلمونه للمقاومة، لكن تلك الذخيرة لم تكن صالحة للاستعمال لأنها خاصة بالبنادق، وكان البعض يستخرج منها البارود لصنع القنابل.

وبعد وفاة الزرقطوني تسببت مسألة السلاح في اعتقال قياديين في المقاومة مرتين متتابعتين.

ففي 7 أكتوبر 1954 ألقي القبض على صالح في الحدود حاملا على متن فرسه كميات من المسدسات والرصاص والقنابل اليدوية مخفية داخل أكوام من النسيج المهرب من المنطقة الإسبانية. وتحت التعذيب اعترف بمصدر السلاح ودل الشرطة على المنزل الذي كان يقطنه الفقيه محمد البصري ورفاقه، وتم إلقاء القبض على أعضاء أساسيين في قيادة المقاومة.

وفي يوم 23 مارس 1955 اعترضت شرطة الحدود طريق شخصين

75 - إيفني منطقة في الصحراء على المحيط الأطلسي احتلتها اسبانيا عام 1934 وغادرتها سنة 1969 بعد سنوات من المقاومة المسلحة لسكان آيت باعمران.

قرب بركان يحملان كمية من الأسلحة. وبواسطة أحدهما اهتدى البوليس في الدار البيضاء إلى إلقاء القبض على الفقيه محمد بوراس أحد المسؤولين الرئيسيين في "المنظمة السرية".

واضطر الذين تحملوا المسؤولية من بعدهم إلى اتخاذ قرار بالاستغناء عن جلب الأسلحة من الشمال والاكتفاء بانتزاعها من الشرطيين والجواسيس ومقدمي الأحياء. (76)

عملية السطو على السلاح

أثناء تصفحنا للجرائد الصادرة في الفترة التي نؤرخ لها، اتضح أن عددا من المغاربة ذهبوا يبحثون عن السلاح في معاقل العدو، يهاجمون أفراده بالسلاح الأبيض لينتزعوا منهم السلاح الناري. فقد نجحت عمليات وفشلت محاولات، وسقط البعض وهو يقتحم مراكز الذخيرة بهدف الاستيلاء عليها.

ونورد فيما يلي جدولا يعبر عن مدى شجاعة أولائك الشباب الذين خرجوا من صفوف الجماهير في ظروف يائسة لتأدية ضريبة الدم وتخلصوا من الحيرة والتردد وانخرطوا في المشاركة الواعية في مقاومة الإمبريالية.

76 - حديث مع عضو قيادة المقاومة سفيان عبد الله خربوش في 8-7-1990 بالدار البيضاء.

المدينة	التاريخ	نوع العملية	الحصيلة
الدار البيضاء	1953-1-18	التسرب إلى القاعدة الأمريكية	فشل الاستيلاء على السلاح ومقتل عبد القادر بن المعطي وجرح محمد بن محمد، وفرار شخص ثالث
برشيد	1953-3-20	العثور على مسدسات	اعتقال المعلم بن صالح
الدار البيضاء	1953-8-14	قتل حارس مخزن للسلاح	اعتقال المقاوم
الجديدة	1953-9-8	التسلل إلى ثكنة سلاح الهندسة الطرقية	اعتقال عبد السلام بن عيسى ومعه قنابل يدوية
الدار البيضاء	1953-10-20	طعن شرطي فرنسي	استيلاء المقاوم على السلاح
الدار البيضاء	1953-10-25	نزع سلاح شرطي فرنسي	اختفاء المقاوم
الدار البيضاء	1953-10-28	تهريب السلاح من القاعدة الأمريكية	اعتقال بعض المغاربة
الدار البيضاء	1953-11-3	الاستيلاء على الديناميت من شركة فرنسية	اعتقال العامل محمد شعيب ومعه مائة مفرقعة
بوسكورة	1953-12-5	الاستيلاء على ألغام	اعتقال عاملين بالمنجم
الدار البيضاء	1954-1-1	تجريد شرطي من سلاحه	إلقاء القبض على عبد الواحد بن المحجوب
الدار البيضاء	1954-1-1	تجريد مدني فرنسي من سلاحه	اختفاء المقاوم مع مسدس 7,65 ملم
فاس	1954-1-9	أوربي باع مسدسه لمغربي	اعتقال البائع وفرار الشاري
النواصر	1954-1-10	الاستيلاء على متفجرات من القاعدة الأمريكية	اختفاء 328 مفرقعة
القنيطرة	1954-1-14	تجريد حارسين من السلاح	اختفاء بندقيتين
مكناس	1954-2-12	التوغل في منجم للرصاص	اختفاء كمية من المتفجرات
الدار البيضاء	1954-3-2	الهجوم على حارس	فشل الاستيلاء على سلاحه
عرباوة	1954-3-11	إلقاء القبض على عدة أشخاص	حجز أسلحة خفيفة
الحاجب	1954-3-21	التسلل إلى معسكر فرنسي	الاستيلاء على عشرة قنابل
وجدة	1954-4-19	الهجوم على دركي فرنسي	تجريده من مسدس وست رصاصات
مكناس	1954-5-17	مغربي هاجم ضابط فرنسي في بيته	الاستيلاء على مسدس وصندوق من الرصاص
الخميسات	1954-8-8	الهجوم على ثلاثة حراس	الاستيلاء على بندقية و 15 رصاصة
سلا	1954-10-9	الهجوم على مخزن للسلاح	الاستيلاء على عدة مسدسات

المدينة	التاريخ	نوع العملية	الحصيلة
سيدي سليمان	**1954-10-13**	**التسلل إلى ثكنة عسكرية**	**الاستيلاء على قنابل ورصاص**
عرباوة	**1954-10-29**	**إلقاء القبض على مغربي**	**حجز مسدسات وقنابل يدوية**
الدار البيضاء	1955-1-28	الهجوم على متجر لبيع أدوات الصيد	الاستيلاء على بنادق وذخيرة
الخميسات	1955-3-5	اعتقال 13 مغربيا	يحملون كمية كبيرة من الرصاص
الدار البيضاء	1955-5-28	قتل حارس مغربي	الاستيلاء على سلاحه
الدار البيضاء	1955-6-2	إصابة مدير شركة السكر بجراح	تجريده من مسدسه
الدار البيضاء	1955-6-4	الهجوم على حارس مغربي	الاستيلاء على مسدسه
المحمدية	1955-6-7	قتل حارس ضيعة فرنسية	تجريده من مسدسه وست رصاصات
الدار البيضاء	1955-6-9	الهجوم على شرطي	الاستيلاء على سلاحه
الدار البيضاء	1955-6-30	الهجوم على عميد شرطة الميناء	تجريده من سلاحه
المحمدية	1955-6-30	الهجوم على سيارة فرنسية	الاستيلاء على سلاح الراكبين
أزمور	1955-7-6	التسلل إلى مستودع للمتفجرات	الاستيلاء على كمية من الديناميت
الدار البيضاء	1955-8-16	الهجوم على حارس بلدي	الاستيلاء على مسدسه
الدار البيضاء	1955-8-28	طعن شرطي	الاستيلاء على مسدسه
الدار البيضاء	1955-9-1	طعن شرطي	تجريده من سلاحه
الدار البيضاء	1955-9-5	الهجوم على جنديين فرنسيين	جرح الأول وانتزاع مسدسه وإطلاق النار على الثاني وقتله
مراكش	1955-9-8	قتل شرطي بطعنة خنجر	تجريده من سلاحه
الدار البيضاء	1955-9-11	الهجوم على حارس مغربي	الاستيلاء على سلاحه
الدار البيضاء	1955-9-20	طعن حارس مغربي	الاستيلاء على مسدسه
الدار البيضاء	1955-10-21	الهجوم على شرطي مغربي	تجريده من سلاحه
الدار البيضاء	1955-10-26	الهجوم على حارس بلدي	الاستيلاء على سلاحه
الدار البيضاء	1955-10-28	جرح شرطي مغربي في رأسه	الاستيلاء على سلاحه
الرباط	1955-11-11	الهجوم على جندي فرنسي	الاستيلاء على سلاحه
فاس	1955-12-14	الهجوم على شرطي فرنسي	الاستيلاء على سلاحه
الدار البيضاء	1955-12-15	الهجوم على حارس مغربي	تجريد من سلاحه
الدار البيضاء	1955-12-20	الهجوم على حارسين	نزع سلاحهما
القنيطرة	1955-12-30	قتل معمر فرنسي	الاستيلاء على سلاحه
أولاد سعيد (سطات)	1955-12-30	الهجوم على معمر فرنسي	تجريده من بندقيته

الفصل الخامس

المقاومة توجه الضربات إلى جهاز القمع

قَسَّم الاستعمار الفرنسي التراب المغربي إلى مناطق عسكرية : مراكش، فاس ومكناس وهي مناطق محادية للجهات التي كانت معقلا للمقاومة ضد الاحتلال إلى غاية سنة 1934 في الأطلس الكبير.

والمناطق المدنية كانت تنحصر في الدار البيضاء والرباط ووجدة. وكان المقيم العام، يعين ضابطا للشؤون الأهلية على المنطقة العسكرية ومراقبا مدنيا على المنطقة المدنية. ويتبع المراقبون العسكريون والمدنيون لوزارة الشؤون الخارجية ويتقاضون أجورهم من ميزانية المناطق التي يعملون فيها، ويخضعون لتعليمات إدارة الداخلية للأمن ويتدخلون في مجالات الحياة العامة. (1)

ويساعدهم في المدن الباشا أو العامل وعدد من الخلفاء والمقدمين على مستوى الأحياء، بالإضافة إلى المخبرين وأمناء الحرف والمحتسب الذي لا يكتفي بمراقبة الأسعار، ويتجسس على التعاونيات الحرفية وعلى صغار التجار وكل من له علاقة بالنشاط السياسي.

وفي البادية يوجد على رأس كل دائرة قائد ومجموعة من الشيوخ ويقومون في القرية بنفس الدور الذي يقوم به المقدمون على مستوى الأحياء بالمدينة.

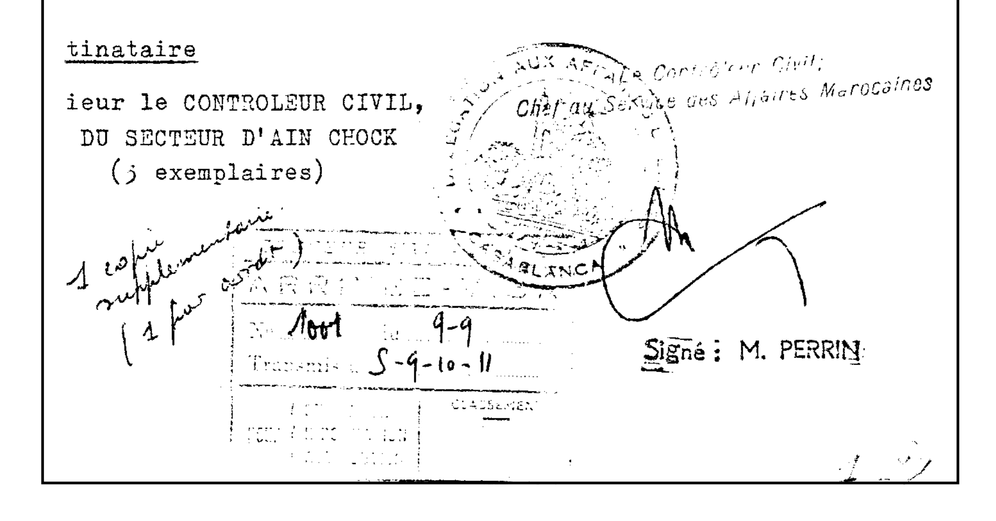
وسواء في المدن أو البوادي فإن الباشوات والعمال والقياد يتم اختيارهم من العائلات الكبيرة المتعاونة مع الإدارة الاستعمارية ويعينون بمرسوم. وقد بلغ عددهم سنة 1952 حوالي 3.500 يؤطرون السكان ويفرضون عليهم رقابة صارمة بمساعدة آلاف المقدمين والمخبرين.

وإلى جانب التجسس على المواطنين كانت الإدارة الفرنسية تكلف القياد والشيوخ بجمع "الترتيب" وهي ضريبة على الفلاحة والمواشي والأشجار، ويتقاضى منها القائد 6 بالمائة كأجرة والشيخ 4% ومن تم فإن الموظفين لزيادة مداخيلهم كانوا يغالون في تقدير الضرائب ونهب السكان وتعريضهم للتفقير الممنهج.

وفي الفترة التي كانت فيها التنظيمات السرية ضعيفة، التجأ المقاومون إلى توجيه الضربات الأولى إلى الجواسيس المعروفين للنيل من نفسية عملاء

1 - بلغ عدد المراقبين المدنيين خمسمائة في مجموع المغرب.

الاستعمار والرفع من معنوية الجماهير وعرقلة نشاط استخبارات العدو والعمل على تفكيك شبكته المعقدة والمتركبة من المخبرين العلنيين والمستترين.
وإلى جانب المقدمين كانت المراة العريفة والمنادي العمومي والمخازني وغيرهم من الجواسيس الذين سنتعرف عليهم بشكل مختصر :



DÉLÉGATION
AFFAIRES URBAINES
DE CASABLANCA

ICE DES AFFAIRES MAROCAINES

14e S° DAU N° 21

Casablanca, le - 9 SEP 1954 195

N° AM/GM

NOTE DE SERVICE

Afin de permettre la mise à jour des dossiers de poste des Mokademines, assès et arifas, j'ai l'honneur de vous demander, de bien vouloir inviter les Contrôleurs d'Arrondissements, à adresser, dès que possible, au Bureau de la Garde Municipale, les comptes-rendus de départ et de retour des agents ayant bénéficié de leur congé à ce jour, et pour lesquels aucun compte-rendu n'a été établi.

A l'avenir, ces documents devront être adressés à ce service au fur et à mesure du retour des permissions des intéressés./.

tinataire

ieur le CONTROLEUR CIVIL,
DU SECTEUR D'AIN CHOCK
(3 exemplaires)

1 copie supplémentaire (1 pour contrôle)

Le Contrôleur Civil, Chef du Service des Affaires Marocaines

N° 1001 le 9-9
Transmis le 5-9-10-11

Signé : M. PERRIN

المقدم

كان سكان الحي بالمدينة أو أعضاء الجماعة بالقرية يختارون المقدم الذي يعرف في المناطق الجبلية باسم "أمغار" وكان من مهامه الإشراف على السير العادي لأراضي الجماعة وتنظيم المراعي والغابات وتوزيع المياه لفائدة الجميع، ويفض النزاعات الناشية بين الأفراد أو بين الجماعة التي يمثلها والجماعات المجاورة لها، ويؤطر الأسواق الأسبوعية، ويقوم بمهام اجتماعية وإنسانية مثل الاعتناء باليتامى والأرامل ومساعدة الفقراء وإطعام الغرباء أو المسافرين المارين بأرض قبيلته.

وفي بداية القرن الخامس عشر ميلادي تحول المقدمون إلى خدام لرؤساء الطرقية يبلغون تعليماتهم إلى السكان، ثم أصبحوا في خدمة الحكم المركزي على مستوى المدينة.

وبعد السيطرة الاستعمارية جعل منهم الحكام الفرنسيون أدوات للتجسس على المواطنين والتبليغ بالوطنيين، وعقب الحرب العالمية الثانية بدأ المراقبون المدنيون الفرنسيون يختارون المقدمين من قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي ومن الحراس البلديين، وخصصوا لهم أجرة ثابتة تفوق أجرة رجل التعليم، ومتعوهم بامتيازات وتعويضات عن اللباس والسكن والعائلة.(2)

إلا أن الوثائق التي بحوزتنا تؤكد الصعوبة التي وجدتها السلطة

TRANSMIS À

Cr/BM
clt _ 1221

MONSIEUR LE DELEGUE AUX AFFAIRES URBAINES CHEF DU TERRITOIRE URBAIN (DAU/5)

S/C de

MONSIEUR LE CHEF DU CERCLE URBAIN DES CRETES -

- Deux copies de certificats médicaux de prolongation d'incapacité de travail de 15 et 30 jours concernant le nommé : BOUSNADI BOUCHAÏB BEN MOHAMED Moqqadem Municipal à cette circonscription, victime de l'attentat terroriste ayant eu lieu le 12-5-55

29 Juin 5

2 - الأجرة الأصلية للمقدم بلغت 359.000 فرنك، وأجرة المعلم الأصلية 335.000 فرنك. والراتب الأصلي للعامل لم يتجاوز 118.440فرنك. الأرقام وردت في وثيقة موقعة من طرف رئيس ناحية الدار البيضاء بتاريخ 1955/05/13.

الاستعمارية في تجنيد ما يكفي من المقدمين بعد سقوط عدد منهم تحت رصاص المقاومة.

ففـي رسالة من المراقب المدني لدائرة (كـريط) Les crêtes، يخـبر رئيسه

G/DD

DAU/5

NOTE

à Monsieur LE DIRECTEUR ADJOINT
CHEF DES SERVICES MUNICIPAUX
(Service du Personnel)
– CASABLANCA –

ARRIVEE
7411 du 30. 8. 55
Cercle S 10

J'ai l'honneur de vous transmettre so ce pli, les lettres de démission des Moqaddemin OUARCH LAHOUCINE BEN AHMED – Mle I49 et KAAF MOHAMED (original et traduction), service à la IOème Circonscription Urbaine (Ben M'Sik).

L'avis exprimé par le Chef de Circonscription dans les deux cas est suffisammen éloquent et je considère que ces démission doivent être acceptées au Ier Septembre prochain.

Je vous serais obligé de bien vouloir pourvoir au remplacement de ces agents./.

Signé :

COPIE CONFORME TRANSMISE à :

Monsieur le Chef de la
Circonscription Urbaine de Ben M'Sik

"Pour information"./. s/c de Monsieur le Chef du Cercle des Crêtes
CASABLANCA

CASABLANCA, le

Signé : LUCASSEAU

بأنه لم يجد مرشحين لشغل وظائف الشيوخ الشاغرة ويقترح عليه بعض المقدمين الجدد.(3)

وفي برقية من رئيس الشؤون الداخلية إلى المراقبين المدنيين يخبرهم بضرورة إعداد لوائح بأسماء المقدمين وإشيوخ النشيطين لترقيتهم بهدف تشجيع الراغبين في العمل. وفي رسالة أخرى من المراقب المدني رئيس دائرة (كريط) يقترح التعجيل بترقية المقدمين الجدد إلى الدرجة الأولى مع قيامهم بمهام الشيوخ نظرا لانعدام المرشحين.(4)

ويتضح من رسالة المندوب في الشؤون الحضرية أن جهاز المقدمين تشتت بفعل ضربات المقاومين في المدينة القديمة وعين الشق ودرب السلطان ويطالب بتشغيل 26مقدما جديدا في عشر مقاطعات.(5)

ويخبر رئيس المقاطعة الخامسة المراقب المدني بأن المقدم الكبير الجيلالي رقم Matricule 1451 لم يمكث في وظيفته سوى خمسة أيام وهرب إلى قريته في أولاد سعيد خوفا من "الإرهابيين" ويطلب التشطيب على اسمه والبحث عن خلف له.

وقدم إثنان من مقدمي مقاطعة بن امسيك استقالتهما. ولم ينتظر وارش الحسين بن أحمد وكعف محمد الجواب واختفيا. في حين أن المقدم الشاوي بن إدريس في مقاطعة سيدي عثمان قدم استقالته بتاريخ 19-7-1955. وكان المراقب المدني لنفس المقاطعة قد فصل المقدم درويش الحسين من وظيفته لأنه لم يبرهن عن كفاءته في تنفيذ المهام. وأعلن المراقب المدني لمقاطعة)كريط(عن استقالة ثلاثة مقدمين دفعة واحدة.(6)

وعبر رئيس ناحية الدار البيضاء في رسالة إلى المراقبين المدنيين عن انزعاجه من كون مصالح المستخدمين لا تخبر إلا بشكل بطيء عن موت بعض المقدمين والشيوخ ويطالب بإبلاغ المصالح المذكورة بكل النوازل في حينها بواسطة مذكرات.(7)

وفي رسالة بتاريخ 6أبريل 1955طلب رئيس قسم الشؤون المغربية من رؤساء المقاطعات بالدار البيضاء موافاته بقائمة المقدمين والشيوخ العاملين في دوائرهم وذلك بهدف توضيح عدد المناصب الشاغرة والأسباب التي جعلتها تكون كذلك.

وطلب المقدم محمد بن الحاج بوعزة الحافظي رقم السجل 1417تسريحه من وظيفته بتاريخ 6-2-1954، ولم يمكث فيها إلا أربعة أشهر خوفا على حياته.

3 - رسالة بتاريخ 23-11-1954 رقم 1552SC.
4 - الرسالة بتاريخ 23-11-1954.
5 - من مندوب الشؤون الحضرية G.Cardi إلى رؤساء المقاطعات بتاريخ 24-5-1954.
6 - رسالة تحت رقم 524C.CR11 بتاريخ 24-2-1956.
7 - Note de service du 23-6-1955.

وطلب الضابط كرافتيو من المراقب المدني للشؤون الحضرية أن يعاقب المقدمين العربي حمو Mle 1409 ومحمد بن ميلود 2753 لأن كل واحد منهما لم يبلغ الاستدعاء لأصحابه وادعيا أن أولائك الأشخاص لا يقطنون العنوان المطلوب، وتأكد أن ذلك التبرير غير صحيح، وأنه ناتج عن الخوف.(8)

وفي يوم 25 سبتمبر 1955 أصدر المراقب المدني للشؤون الحضرية S.J.FINES قرارا أسند بموجبه إلى الباشوات والعمال مهمة استقطاب المقدمين والشيوخ وتسريح المتهاونين منهم لكن بعد موافقة الإدارة الفرنسية.

كانت تلك بعض الأمثلة عن عدم قدرة صمود مؤسسة المقدم أمام الضربات القوية التي تلقتها من حركة المقاومة.

29 Avril 5

92 CR/XI°

le Capitaine GRAFTIEAUX
Contrôleur de XI° Circonscription
Urbaine de Sidi Othman

à

Monsieur le Contrôleur Civil Délég.
aux Affaires Urbaines - D.A.U./5.

OBJET : Sanctions contre des moqademines.

J'ai l'honneur de vous demander de bien vouloir infliger un blâme aux moqademines

LARBI HAMMOU Mle 1409
et MOHAMED BEN MILOUD Mle 2753

qui se sont rendus coupables de négligences graves dans le service. L'un comme l'autre se sont abstenus de porter une convocation et ont déclaré que la personne convoquée n'habitait p. à l'adresse indiquée. J'ai pu me rendre compte personnellement que telle n'était pas la vérit.

Je suggère que ce blâme comporte une menace de licenciement au prochain manquement

J'ajoute que ces moqademines ont déj. fait l'objet d'observations de ma part, à plusieurs reprises.

8 - من الضابط Graftieaux إلى المراقب المدني رقم الرسالة 92CR/XI.

NOTE pour

MONSIEUR LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF
DU SECTEUR DES CRETES

n° 67/SC/9/C.-

OBJET : Proposition pour le grade de Cheikh du moqqadem LABKARI Embarek.

CONFIDENTIEL

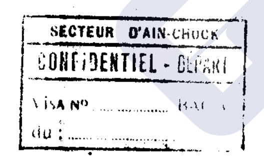
****

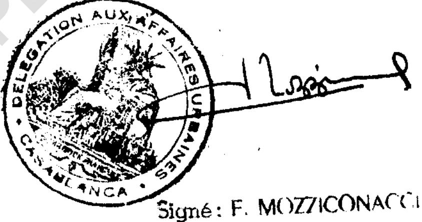
J'ai l'honneur de vous proposer, pour le grade de Cheikh du 9° Arrondissement, le moqqadem LABKARI Embarek, Mle 479, de cet Arrondissement

Ex- Adjudant en retraite, après I5 ans de services, Médaille Militaire, Croix de Guerre avec 4 citations Dahir et Satisfaction de 1èOrdre du Ouissam Alaouite, Croix du Combattant, insigne des blessés, le moqqadem LABKARI Embarek en fonction depuis le I.8.1951 a donné dans cet arrondissement entière satisfaction.

Déférent, énergique, dévoué, connaissant bien son mètier, lettré en français et en arabe, LABKARI mérite d'être nommé Cheikh./.

Casablanca, le 23 OCT 1954
Le Contrôleur Urbain,
chargé du 9ème Arrondissement





Signé : F. MOZZICONACCI

العريفة

العريف هو العالم بالشيء والقيم بأمور القبيلة والجماعة من الناس، والعريفة مؤنث العريف وهي امرأة شرطية تعينها السلطة لتفتيش المنازل، ويستخدمها القاضي والحاكم للكشف عن شؤون النساء التي لا يطلع عليها الرجال، وتعمل كذلك لتأديب النساء.

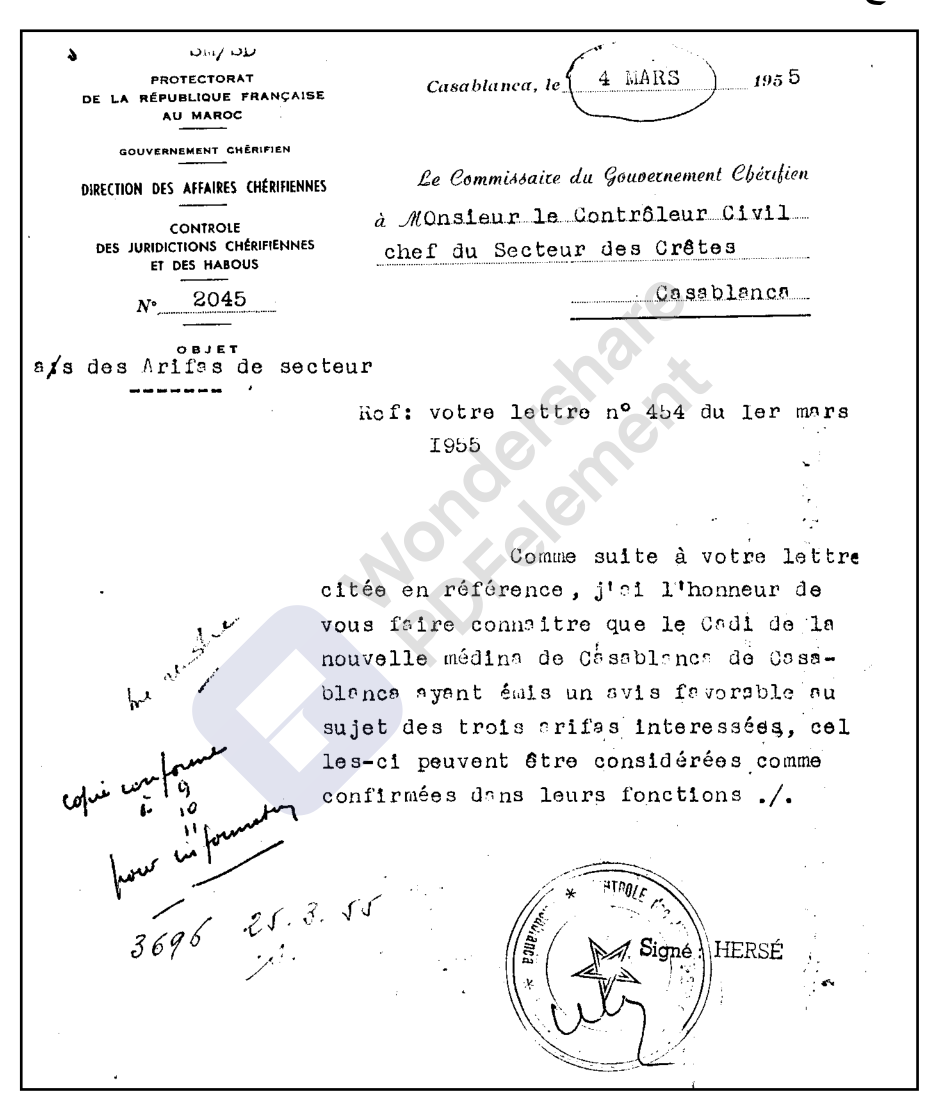
وتحمل اسم العريفة كذلك رئيسة فرقة من النساء داخل القصر الملكي، وعنها تحدث ابن زيدان وقال بأن التي ترأس جميع الفرق تحمل لقب "عريفة الدار". (9)

9 - عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة، ج1. ص64.

وأورد في مكان آخر أن **"هذه الخطة كانت معروفة من عهد السلطان مولاي إسماعيل (1671م) وكانت تتولاها العريفة طوطو بنت بوشتى السفياني"**.(10)
وقد استخدمت السلطة الاستعمارية العريفة ومنحتها بعض الامتيازات كما فعلت مع المقدم، وأسندت إليها مهمة التجسس، وأصبحت بدورها هدفا لرصاص المقاومين.
ففي كل مقاطعة توجد ما بين ثلاث وخمس نساء عريفات تعملن بإشراف وكيل الدولة الفرنسي وبأمر من قاضي المحكمة، ومعظمهن أرامل، ومن أوساط اجتماعية متدنية أخلاقيا. وكان دورهن يتحدد أيام المقاومة في تفتيش النساء في الشوارع قصد العثور على أسلحة أو رسائل سرية. ومداهمة البيوت المشكوك في سكانها وإرغام النساء على الخضوع للبحث الدقيق والكشف عن أماكن في أجسادهن داخلية. وعلى العموم فإن العريفة في الأوقات العادية مشهورة بتعاطي القوادة نظرا لتسلطها وتوغلها في البيوت والحمامات العمومية وغيرها.
وشهدت مجموع المدن المغربية ارتفاع في عدد العريفات وتجنيدا متزايدا للنساء في سلك الجاسوسية بشكل عام.
فقد وافق رئيس قسم الشؤون الحضرية بالدار البيضاء على طلب تقدم به المراقبون المدنيون يقضي بتخصيص ميزانية استثنائية لتعويض العريفات عن المصاريف التي ينفقنها على تغذية المعتقلات في مختلف المقاطعات الحضرية، وتم تخصيص ثمانين فرنكا في اليوم لكل معتقلة.(11)
والحقيقة أن الأموال استفادت منها العريفات تشجيعا لهن لأن الأسر لا تترك بناتها جائعات أثناء الحجز أو الاعتقال.
واتخذ نائب مدير الشؤون البلدية قرارا بتقديم مبلغ أربعة آلاف وخمسمائة فرنك مساعدة مستعجلة للعريفة فاطمة مقداد بالمقاطعة التاسعة.(12)
وحينما سقطت عدة عريفات صرعى برصاص المقاومين، سيطر عليهن الخوف والتردد في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهن، وأصدر رئيس قسم الشؤون الحضرية أمرا إلى المراقبين المدنيين بفصل العريفات غير "المؤهلات" واستبدالهن بأخريات.(13)
واضطر بعضهن إلى الإختفاء بعد تلقيهن تهديدات بالموت، بينما قدمت كثيرات استقالتهن، وهذا ما أكده الضابط كرافتيو رئيس المقاطعة 11 بسيدي عثمان في رسالة سرية.(14)

10 - عبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس، ج1. ص175.
11 - من رئيس الشؤون الحضرية بالدار البيضاء إلى المراقبين المدنيين NO D.A.U/5 بتاريخ 7-6-1955.
12 - رسالة مدير الشؤون البلدية Chareyre بتاريخ 16أبريل 1955.
13 - رسالة وقعها M. Perrin بتاريخ 4-2-1955.
14 - رسالة من كرافتيو إلى مندوب الشؤون الحضرية بتاريخ 15-10-1955رقم 2154CCXI.

لقد أولى المسـتعمرون والحكام المغاربة أهمية قصوى لاستخـدام النساء في أعمال التجـسس وخاصة أن العنصر النسوي في الفترة التي نحن بصـدد دراستها كان جـزءا من مجتـمع أمي جاهل ومتـخلف مع شيـوع الفقر والانحـلال الأخلاقي الناتج عنه.



PROTECTORAT DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE AU MAROC

GOUVERNEMENT CHÉRIFIEN

DIRECTION DES AFFAIRES CHÉRIFIENNES

CONTROLE DES JURIDICTIONS CHÉRIFIENNES ET DES HABOUS

N° 2045

Casablanca, le 4 MARS 1955

Le Commissaire du Gouvernement Chérifien

à Monsieur le Contrôleur Civil chef du Secteur des Crêtes

Casablanca

OBJET
a/s des Arifas de secteur

Ref: votre lettre n° 454 du 1er mars 1955

Comme suite à votre lettre citée en référence, j'ai l'honneur de vous faire connaître que le Cadi de la nouvelle médina de Casablanca de Casablanca ayant émis un avis favorable au sujet des trois arifas intéressées, celles-ci peuvent être considérées comme confirmées dans leurs fonctions ./.

Signé : HERSÉ

copie conforme
pour information

3696 25.3.55

وفيما يلي عيِّنة من النساء اللواتي استهدفتهن المقاومة والتهمة الموجهة إليهن حسب ما ورد حينئذ في الصحف الفرنسية :

التاريخ	المكان	المستهدف	الحالة
1954-1-6	الرباط-أكدال	مغربية	قتلت برصاصتين
1954-2-5	الدار البيضاء-بن امسيك	مغربية	أخطأتها الرصاصة
1954-8-21	الدار البيضاء-الحي المحمدي	مغربية	استقرت رصاصة في فخذها
1954-9-5	الدار البيضاء-ساحة لوي جانتي	مغربية	جروح خطيرة بالرصاص
1954-9-9	الدار البيضاء-شارع مولاي إدريس	عريفة	أصيبت برصاص في الرأس
1954-10-13	مكناس-درب كاري	جاسوسة	قتلت برصاصة
1954-11-3	الدار البيضاء-الشرفاء	متعاونة مع السلطة	انفجار قنبلة في باب منزلها
1954-11-6	الدار البيضاء-زنقة الفاسية	جاسوسة	خسائر في منزلها بفعل قنبلة
1954-12-18	الدار البيضاء-درب ميلان	خياطة متعاونة مع السلطة	قنبلة أحدثت في منزلها خسائر طفيفة
1954-12-23	الدار البيضاء-الحي المحمدي	مغربية	قتلت برصاصة في الرأس
1954-12-25	الدار البيضاء	مغربية	قتلت في انفجار وجرح أربعة في منزلها
1955-2-14	الدار البيضاء	عريفة	قتلت بالرصاص
1955-3-1	الدار البيضاء	عريفة	لم تصبها الرصاصة
1955-3-8	الدار البيضاء	جاسوسة	انفجار قنبلة في بيتها وأصابتها بجراح
1955-4-4	الدار البيضاء	خياطة جاسوسة	إحراق منزلها عن آخره

التاريخ	المكان	المستهدف	الحالة
1955-4-4	الدار البيضاء	خياطة جاسوسة	إحراق منزلها عن آخره
1955-5-14	الدار البيضاء-الحي المحمدي	عريفة	قتلت برصاصتين
1955-5-17	الخميسات-سيدي بوغابة	زوجة حارس الغابة	أصيبت بجراح خطيرة
1955-6-3	الدار البيضاء	متعاونة مع الشرطة	قتلت بالرصاص
1955-6-12	الدار البيضاء	متعاونة مع الشرطة	قتلت بعيار ناري
1955-7-2	الدار البيضاء	موظفة في شركة النفط	قتلت بالرصاص
1955-7-5	الدار البيضاء-قرية الجماعة	مغربية	انفجار قنبلة أمام منزلها
1955-7-5	مكناس-سيدي عمار	مغربية	قنبلة في منزلها وخسائر مادية
1955-8-12	الدار البيضاء	جاسوسة	جروح خطيرة بالرصاص
1955-9-6	الدار البيضاء	جاسوسة	أصيبت برصاصة في الصدر
1955-9-30	الدار البيضاء-بن امسيك	عريفة	قنبلة في بيتها جريح واحد وخسائر مادية
1955-10-22	الدار البيضاء	جاسوسة	قنبلة في بيتها وخسائر مادية
1955-11-8	الدار البيضاء	مغربية	قتلت بالرصاص
التاريخ	المكان	المستهدف	الحالة
1955-11-9	الدار البيضاء	مغربية	جروح خطيرة بالرصاص
1955-11-10	الدار البيضاء	جاسوسة	قتلت بالرصاص
1955-11-12	الدار البيضاء-أولاد موسى	مغربية	قتلت برصاصة
1956-1-14	الدار البيضاء	جاسوسة	جرحت بالرصاص
1956-2-5	سيدي يحي الغرب	مغربية	أصيبت بطعنات بليغة



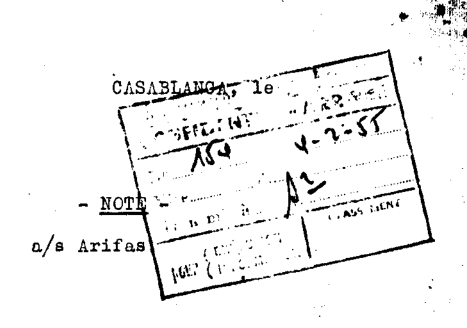
P.V./S.H.

DELEGATION AUX AFFAIRES URBAINES
DE CASABLANCA.

CONFIDENTIEL

N° ________/D.A.U./2

CASABLANCA, le



- NOTE -

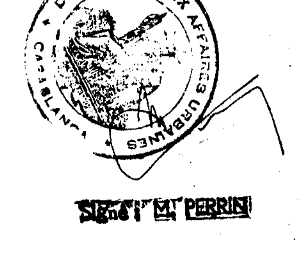
a/s Arifas

En exécution des décisions prises lors de la réunion du 27 Janvier, il est prescrit aux Chefs de Secteurs

a) de procéder à l'élimination des arifas qui leurs paraitraient peu qualifiées pour leur emploi.

b) de procéder à leur remplacement.

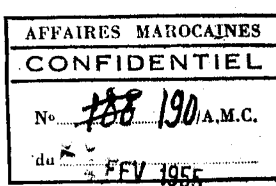
c) d'envoyer au Commissaire du Gouvernement Chérifien la liste des arifas nouvelles et des arifas maintenues en fonction afin qu'elles soient présentées au Cadi, qui, après enquête, les confirmera ou non dans leurs fonctions./.



Signé : M. PERRIN

- Destinataires -

-MONSIEUR LE CHEF DE BATAILLON, CHEF DU SECTEUR S.A.M.
-MONSIEUR LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU SECTEUR S.N.M.
-MONSIEUR LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU SECTEUR S.C.
-MONSIEUR LE CHEF DE BATAILLON, CHEF DU SECTEUR S.Q.I.
-MONSIEUR LE COMMISSAIRE DU GOUVERNEMENT CHERIFIEN - CASABLANCA -
-D.A.U./3
-D.A.U./5



المنادي

"البراح" في اللهجة المغربية هو المنادي العمومي قبل إنتشار المذياع والصحافة، كان يتجول في الأحياء والأسواق لتبليغ السكان بأمر صادر عن السلطة.
وفي الصحيح عن أنَس أن الرسول (ص) أمر مناديايناديي ألا إن الخمر قد حرم. وفي عهد الاستعمار لم يعودوا يكتفون بإذاعة التعليمات الإدارية وإشاعتها في المجتمع فحسب، بل ذهب المنادون يستغلون علاقاتهم بالناس ليزودوا الشرطة بالمعلومات التي تحتاج إليها.

15 Septembre 4

A.M.

N O T E à :

SECTEUR DES CRETES

OBJET
Crieurs publics
-

Me référant à votre correspondance du 27 août 1954, j'ai l'honneur de vous faire connaître que je vous donne mon accord pour la nomination de 2 crieurs publics au 11ème Arrondissement Urbain.

Par ailleurs, je suis de votre avis pour le remplacement de KADDOUR BEN M'BARK BEN TAHAR par le nommé BENJEMAA BEN M'BARK./.

Le Contrôleur Civil
Chef du Service des Affaires Marocaines

Signé : PERRIN

وكان الوطنيون يعتبرون المنادي بوقا للسلطة، ولما دعت النقابة إلى شن الإضراب العام يوم 8دجنبر 1952، كان المنادون يرددون قرارا بمنع الإضراب ويهددون المضربين مما أدى إلى رد فعل عنيف أسفر عن موت منادين بالحي المحمدي بالدار البيضاء وتدخلت القوات الحكومية وأطلقت النار على المتظاهرين وقتلت العشرات منهم.(15)

Le Petit marocain 9-12-1952. -15

وكان عدد "البراحة" بالدار البيضاء سنة 1952 لا يزيد عن عشرين، وبعد سنة ارتفع عددهم إلى خمسة وثلاثين نتيجة لتزايد أعمال المقاومة، وأصبحوا بدورهم هدفا لهجومات الفدائيين. في رسالة من المراقب المدني إلى رئيس الشؤون الحضرية يخبره بأن "البراح" قدور بن مبارك الذي عين قبل مدة عاد ليطلب إعفاءه نهائيا من هذه المهمة مدعيا أنه مريض.(16)

وفي رسالة أخرى طلب نفس الرئيس من مدير المالية في المصالح البلدية بالدار البيضاء تخصيص وظائف جديدة للمنادين العموميين الذين كانوا يتقاضون ألفي فرنك في الشهر، وأرسل إليه لائحة بأسماء عدد منهم لم يعودوا يقومون بمهامهم وطلب منه أن يوقف عنهم الراتب الشهري.

AB/DD

DÉLÉGATION
AUX AFFAIRES URBAINES
DE CASABLANCA

SERVICE DES AFFAIRES MAROCAINES

N° AM

OBJET :
a/s Crieurs publics

Casablanca, le 10 AOU 1954 19

NOTE à :

B.A.M.
B.H.M.
B.A.C.
B.Q.I.

Il me parait nécessaire de réétudier la question des crieurs publics en fonction de la nouvelle situation des arrondissements. Je vous adresse dans ce but l'état nominatif des crieurs en servie à la date du Ier Octobre 1952. Cette liste semble toujours exacte puisque, vérification faite, les marocains qui y figurent sont payés chaque mois par les soins de la Recette Municipale (2.000 Francs).

Je vous demande de bien vouloir répartir ces crieurs dans les arrondissements qui semblent le mieux leur convenir (compte-tenu de leur lieu de domicile), à raison de I crieur par arrondissement en principe (un arrondissement très étendu pourra exceptionnellement compter 2 crieurs).

Je vous prie de m'adresser vos propositions d'affectation pour tous les arrondissements de votre secteur.

Par note en date du 30 Juin, le Contrôleur du 3ème Arrondissement signale comme crieur un nommé MAALEM THAMI BEN MESSAOUD BEN MADANI EL MESLOUHI - Goth Ould Aicha rue 2 n° 14 qui ne figure pas sur l'état de paiement ci-joint. Ce crieur est-il en service ? depuis quand ? qui remplacera-t-il éventuellement ?./.

16 - من Perrin إلى رئيس الشؤون الحضرية بتاريخ 18-9-1954 رقم NO880.

المخازنية

المخازنية هم الأعوان العاملون في دار "المخزن" أي الحكومة، أو في محكمة الباشا بالمدينة. وتوسعت مهامهم لتشمل الحراسة وحفظ الأمن في الأحياء الشعبية. وكانوا يُعرفون كذلك باسم العسس ومفرده عسَّاس ويطوفون في الليل من أجل الحراسة في الأحياء والطرقات. وفي عهد الاستعمار أصبح المخازنية يتألفون من قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي ومن أبناء العملاء المتوفين أو المتقاعدين من الخدمة.

وكانوا يقومون بحراسة منازل الموظفين الفرنسيين ويتكلفون أحيانا بالطبخ، ويوزعون المراسلات بين مختلف الإدارات. ويوصلون الوثائق السرية من جهاز إلى آخر، ويشرفون على مراكز الهاتف وربط الاتصالات بين مختلف المكاتب، ويعملون حراسا خاصين للمراقبين المدنيين وكبار الموظفين وسائقين لسياراتهم. يتمتعون بعدة امتيازات وبعضهم يحصلون على رتبة ضابط مرافق.

وقد استهدف المخازنية بدورهم لنيران المقاومين وسقط عدد منهم صرعى ولائهم للإدارة الاستعمارية، غير أن بعضهم قبلوا التعاون مع منظمات المقاومة وسجلوا أسماءهم في قائمة الوطنيين المخلصين.

وكما سبق ذكره فإن عددا من أفراد القوات الاحتياطية في ثكنة بورنازيل الذين يعتبرون "مخازنية" كانوا على اتصال مباشر بالزرقطوني.

وقد تمكنت جماعة حمان الفطواكي بمراكش من قتل وكيل الدولة الفرنسي والمراقب المدني بفضل المعلومات التي أدلى بها المخازنية المرافقين لهما، وحددوا بدقة الوقت والجهات التي يقصدها كل واحد منهما.

واستطاعت المنظمة السرية بالدار البيضاء أن تنظم هجوما مسلحا على رئيس الناحية بونيفاس بعد حصولها على المعلومات المتعلقة بتنقلاته من المخازنية الذين كانوا يحرسون بيته. (17)

17 - مقابلة مع بوشعيب الحريري الدكالي في 7-6-1976 بالدار البيضاء.

DELEGATION AUX AFFAIRES
URBAINES DE CASABLANCA

N° 1985 /DAU/6/FA

Casablanca, le 15 JUIL 1955

L'Agent Principal des Forces Auxiliaires
Commandant le Makhzen à la Délégation aux
Affaires Urbaines
à
Monsieur l'Inspecteur des Forces Auxiliaires
Direction de l'Intérieur
R A B A T

Objet: Agression contre un Assès de la Circonscription de
Sidi Bousmara./.

J'ai l'honneur de vous rendre compte de ce qu'un attentat a fait une nouvelle victime: HADJ MOHAMED BEN MOHAMED Mle 408 Assès de la Circonscription de Sidi Bousmara.

La victime se trouvait parmi la foule des fidèles à la Mosquée de Djemaa Souk, Rue du Capitaine Hiler (Ancienne Médina).

Un groupe de deux individus armés a fait irruption pendant la prière et blessé mortellement la victime.

Recruté depuis le 1er Mars 1955 cet Assès était employé à des missions spéciales et se trouvait en service commandé lors de son agression.

Je demande à ce que son agression soit couvert par le régime des accidents du travail.

La victime célibataire, originaire de Tamanar, région d'Agadir, était célibataire.

On ne lui connait aucun proche parent à charge.



DELEGATION AUX AFFAIRES
URBAINES DE CASABLANCA
N°1985/DAU/6/FA

Casablanca, le 15 juil 1955

L'agent Principal deS Forces Auxiliaires
Commandant le Makhzen à la Délégation aux
Affaires Urbaines
A
Monsieur l'Inspecteur des forces Auxiliaires
Direction de l'Intérieur
RABAT

Objet: Agression contre un Assés de la circonscription de Sidi Boussmara.

J'ai l'honneur de vous rendre compte de ce qu'un attentat a fait une nouvelle victime: HADJ MOHAMED BEN MOHAMED Mle 408 Assés de
la circonscription de Sidi Bousmara.
La victime se trouvait parmi la foule des fidèles à la Mosquée de Djemaa
Souk, Rue du Capitaine Hiler (Ancienne Médina).
Un groupe de deux individus armés a fait irruption pendant la prière et
blessé mortellement la victime.
Recrute depuis le 1ER Mars 1955 est Assés était employé à des missions
spéciales et se trouvait au service demandé lors de l'agression.
Je demande à ce que son agression soit couvert par le régime des accidents du travail.
La victime célibataire, originaire de Tamanar, région d'Agadir, était célibataire.
On ne lui connaît aucun proche parent à charge.

المقاومة تواجه المثقفين الانتهازيين

في الوقت الذي كان فيه المكافحون الصادقون يبذلون النفس والنفيس في سبيل الاستقلال والحرية، ظهر على السطح مثقفون انتهازيون ووصوليون مخادعون نصبهم الاستعمار الفرنسي والاسباني في جنوب المغرب وشماله على رأس صحف عميلة وأحزاب مصنوعة تقوم بالتهريج وتنظيم الولائم وحفلات الرقص والغناء في محاولة لتزييف الوعي الشعبي.

كان أول حزب مصنوع في تاريخ المغرب هو **"الوحدة المغربية"** الذي أسسه الاسبانيون يوم 3 يبراير 1937 بمدينة تطوان ووضعوا على رأسه الشيخ المكي الناصري المنحرف عن **"الكتلة الوطنية"** في وقت تقرر فيه أن يكون ضمن الوفد الذي قدم للملك محمد الخامس لائحة المطالب المستعجلة في أكتوبر 1936 (18).

والتحق الناصري بتطوان وتلقى "مساعدات مالية مهمة" (19) وهيأ له المندوب الإسباني بيك بيدير الجو للقيام بالتجوال **"في المدن والقرى لجمع الأنصار"** (20)، وجعل رهن إشارته مطبعة وجريدة تحمل اسم الحزب تصدر بالعربية وملحق أسبوعي بالإسبانية (Unitad marroqui) وسخره لمحاربة حزب الإصلاح الوطني بزعامة عبد الخالق الطريس. (21)

وكان المكي الناصري متميزا بصوت جهوري وبثقافة دينية استعملها للتدجيل والدعاية لنظام فرانكو الدكتاتوري، وشن حملات ضد الحماية الفرنسية في إذاعة تطوان وعلى صفحات الجرائد واعتبرها **"جناية ما فوقها جناية... والاستعمار جريمة لا تعد لها جريمة على وجه الأرض"**. (22)

وظهر فجأة سنة 1946 بطنجة التي أصدر بها صحيفة **"صوت المغرب"** بالفرنسية وهاجم إسبانيا كما كان يفعل سابقا ضد فرنسا من تطوان. وقام المندوب الاسباني الجنرال فريلا بإغلاق جميع مكاتب حزب "الوحدة المغربية" وأوقف صحفه. وتحول الناصري إلى مؤيد للاستعمار الفرنسي ونظم في المسجد الأعظم بطنجة سلسلة أحاديث للشعوذة باسم الدين، ثم انتقل إلى مدينة الدار البيضاء تحت حماية الشرطة التي وضعت له كرسيا يجلس عليه في المسجد

18 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج4، ص67، الناشر مؤسسة الوزاني 1986.

19 - Robert Rezette, les partis politiques marocains, colin, Paris 1955. P.121.

20 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص183، دار الطباعة المغربية، تطوان بدون تاريخ.

21 - Rézette, Les partis, Op, Cit, P.122.

22 - عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دار الرائد للطباعة، القاهرة 1964 ص100.

المحمدي في الجهة المقابلة للمكان الذي يلقي فيه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي محاضراته الوطنية، وكان الناصري يفسر القرآن بشكل يروق للإدارة الاستعمارية ويطعن في كفاح الحركة الوطنية.(23)

وذات مساء بعد مغادرته المسجد رجمه الناس بالحجارة وتدخلت **"الشرطة الفرنسية لحمايته وانقاذه"**(24)، وواصل حملته لفائدة الاستعمار الفرنسي بمسجد دار المخزن في بوسمارة بالمدينة القديمة، وقامت جماعة من الشباب بمهاجمته في اصطدام مع أفراد الشرطة السرية، وألقي القبض على بعض الوطنيين وصدرت في حقهم أحكام بالسجن وكان من بينهم محمد صدقي المحكوم بثلاثة أشهر سجنا والذي برز اسمه في المقاومة المسلحة سنة 1953. وتكلف أطفال الحي بإلقاء الحجارة على الناصري كلما اقترب من المسجد مما اضطره إلى العودة إلى طنجة في بداية 1951. وفي السنة الموالية أصدر صحيفة "الشعب"(25)وعند إعلان الاستقلال السياسي أصبح الناصري من منظري الدولة ومن أعمدة الإسلام الرسمي إلى يوم وفاته.

وأسس المندوب الإسباني بيك بيدير حزبا ثانيا أطلق عليه اسم **"حزب الأحرار"** برآسة باشا العرائش خالد الريسوني ابن الريسوني قاطع الطريق الشهير في بداية القرن الماضي، إلا أن هذا الحزب أفل نجمه بسرعة.(26)

والتجأت الإدارة الإسبانية إلى خدمات إبراهيم الوزاني الذي تعرض للتعذيب سنة 1930بمدينة فاس نتيجة لمشاركته في مظاهرة احتجاجية ضد (الظهير البربري). ولما التحق بتطوان عام 1937وضعت رهن إشارته أموالا وفيرة ومكنته من تأسيس **"مكتب الدفاع الوطني"** وأشرف على صدور جريدة باللغات العربية والإسبانية والفرنسية لمهاجمة الاستعمار الفرنسي والإطناب في مدح إسبانيا ودول المحور (ألمانيا، إيطاليا، اليابان) وبسبب ذلك أصدرت عليه محكمة عسكرية فرنسية الحكم بالإعدام غيابيا.(27)

وبعد التجاء عبد الكريم الخطابي إلى مصر عام 1947وإعلانه عزمه على استيناف الكفاح المسلح من أجل الاستقلال، بادرت السلطة الإسبانية إلى تكوين "حزب الدفاع الوطني" وعينت الباشا الريسوني رئيسا له، وكلفت غالي داوود بإدارته في طنجة. وبالقصر الكبير إبراهيم الوزاني الذي أصدر يوم 30-1-1948 جريدة **"الدستور"** ثم ترأس في أبريل 1950بطنجة

23 - مقابلة مع عبد الحي الشامي، مفتش سابق لحزب الاستقلال، الدار البيضاء في 1988-9-6.

24 - محمد الحبيب الفرقاني، الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير، الدار البيضاء 1990ص291.

25 - التفاصل في شهادة المقاوم حسن العرائشي في كتاب محمد وديع الأسفي، السلفي المناضل الشيخ محمد بن العربي العلوي، دار النشر المغربية ا لدار البيضاء 1986ص193.

26 - Rézette les Partis, Op. Cit P.125.

27- Ibid, P.126.

"مكتب الاستعلامات" الاسباني.[28]

وفي نفس السنة أسس المندوب الإسباني حزب **"المغرب الحر"** وجمع فيه كمشة من المغاربة الذين تابعوا دراستهم في مصر بمساعدة اسبانية وكان على رأسهم محمد زريوح، وركزوا دعايتهم ضد أنصار عبد الكريم الخطابي.

وللمزيد من التمييع السياسي منح الاسبانيون في طنجة عرفة الحراق أموالا مقابل تغيير اسم زاويته **"الدرقاوية"** إلى **"حزب الإصلاح الديني"** بهدف محاربة حزب الإصلاح الوطني المطالب بالاستقلال.

وفي مرحلة لاحقة تم إحياء حزب **"المغرب الحر"** برآسة عبد السلام الطود وأغلب أعضائه من الريف ودخلوا في صراع مع حزب الإصلاح الوطني بواسطة صحيفة **"المغرب الحر"**، وبعد الاستقلال اندمجوا في حزب الشورى والاستقلال.[29]

وفي يبراير 1953 أسس المندوب الاسباني حزب **"الهلال"** وأسند رآسته إلى خالد الريسوني وهدفه القيام بالدعاية للنظام الإسباني إلا أنه فشل كغيره.[30]

وفي منطقة الاحتلال الفرنسي قامت السلطة الاستعمارية بتجارب مماثلة في صنع الأحزاب المزيفة واختراع **"زعماء"** من الورق المقوى (الكارطون) وأكدت الوقائع الملموسة أن المثقفين الانتهازيين والجواسيس مستعدون أكثر من غيرهم لترأس الأحزاب التي يكونها الجهاز الإداري.

وعندما اشتدت المطالبة بالاستقلال عام 1947 دفع المستعمرون مغني الملحون بن عبد العالي الإدريسي إلى تأسيس **"الحزب الديمقراطي المغربي للرجال الأحرار"**، وأحاط به العشرات من المخبرين ووزع الأموال في كل اتجاه وتوغل في الأوساط الشعبية وقام بدور خطير في تزويد أجهزة الشرطة بمعلومات عن الأحزاب الوطنية، وكان نشاطه مقتصرا على مدينة الدار البيضاء ويعمل بتعليمات مباشرة من السفاح بونيفاس.

وانخرط مناضلون من حزب الاستقلال، بدون علم قيادة حزبهم، في حزب الادريسي وتمكنوا من تجنيد عدد من أعضائه للمشاركة في مظاهرات الاحتجاج على اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد في دجنبر 1952، واكتشفت الشرطة الحقيقة وطردت المتسربين إلى صفوفه.[31]

وعند اندلاع المقاومة المسلحة قتل الفدائيون حوالي عشرين من أعضاء الحزب المزيف الذين يلتقطون المعلومات للإدارة الفرنسية.[32]

---

28 - Ibid, P. 188.

29 - المهدي المومني التجكاني دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء 1987 ص239.

30 - Rezette, Op. Cit, 239.

31 - Ibid, P.208.

32 - Ibid, P.242.

واستهدف منزل الإدريسي إلى انفجار ثلاث قنابل وتعرض هو نفسه لأربع محاولات للاغتيال وظل على عناده. وفي بداية مارس 1955 جعل مقاوم حدا لحياته بتركيز طلقات نارية على رأسه.

وفي عام 1948 أسست الإدارة **"حزب الشعب المغربي"** وأسندت رآسته إلى عبد القادر الزمراني ابن القائد الزمراني الضابط في الجيش الفرنسي، وكان تلقى تعليمه في المدارس الفرنسية بمكناس وتعصب لفرنسا إلى درجة العبادة، وكان يعلن في كل مناسبة أن هدفه في الحياة هو محاربة الوطنيين المطالبين بالاستقلال.(33)

وفي سنة 1952 قام باستفزاز في العاصمة الرباط بمناسبة عيد الفطر، إذ قدم إليها على رأس ثلاثين ألفا من فرسان القبائل وطافوا في شوارع المدينة ورددوا : **"تحيا فرنسا... يحيا المغرب"**.

واعتاد الوطنيون تنظيم حفلات في الأعياد الوطنية والدينية والهتاف بشعار : **"يحيا الملك... يحيا المغرب"**.

وكان الجيش الفرنسي في ذلك اليوم مستعدا للرد بعنف على الوطنيين في حالة تصديهم لفرسان القبائل. وأدرك الملك الهدف من الاستفزاز وأمر بإلغاء حفلات العيد.(34)

وبعد حصول البلاد على الاستقلال اختفى الزمراني بعض الوقت عن الأنظار ثم ظهر في الشارع بعد اتصاله ببعض الذين جعلوا من المقاومة وسيلة لجمع الثروة، وأغدق عليهم المال مقابل حصوله على وعد بعدم المساس بشخصه، غير أن آخرين من نفس الجماعة علموا بأمر الصفقة التي لم يستفيدوا منها، فتربصوا بالزمراني وقتلوه بفاس الجديد.(35)

ومولت الإدارة الاستعمارية **"الحزب الاشتراكي المغربي"** الذي أسسه محمد اشماعو بسلا عام 1951، وكان أعضاؤه يتكونون تحديدا من إخوان وأعمام وأفراد عائلة اشماعو ولم يتجاوز عددهم عشرين شخصا.(36)

ولم تكن السلطة الفرنسية غافلة عن هشاشة الأحزاب المصنوعة وانعدام فعاليتها في المجتمع، وإنما كانت تخلقها لتضليل الرأي العام الخارجي وإيهامه بوجود التعددية السياسية بالمغرب وحرية التنظيم والتعبير، وأن الأحزاب الوطنية الممنوعة ترفض العمل في دائرة القانون والشرعية.

وإذا ما التجأت الإدارة إلى تأسيس أحزاب مزيفة بالمدن، فإنها أحيت "الطرقية" بالبوادي وحركت رؤساءها ليبشروا الفلاحين البسطاء بالنعيم في

33 - Ibid, P.182.

34 - Nataf felix, l'indépendance du Maroc, Temoignage d'action 1950-1956, Plon, Paris, 1975, P.31.

35 - مقابلة مع المقاوم العربي ساهر بالدار البيضاء في 23-3-1994.

36 - Rezette, Op. Cit, P. 210.

الجنة إذا هم أطاعوا الحاكمين وتجنبوا الارتباط بالوطنيين المناهضين للاستعمار. وكان رؤساء "الطرقية" يأتمرون بأوامر الفقيه عبد الحي الكتاني رئيس "الكتانية" وهو من المراجع الدينية بفاس له مؤلفات كثيرة واعتقل عام 1909 صحبة أخيه عبد الكبير الذي كان يعارض بعنف الخطاب سياسة السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى أن لقي حتفه تحت التعذيب، وبعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد انضم عبد الحي إلى صف الاحتلال واسترجع نفوذ زاويته وأصبح عدوا لدودا للدولة العلوية، ولعب دورا كبيرا في مؤامرة 20 غشت 1953، ونذر نفسه لخدمة الاستعمار الفرنسي. ولم يغفر له الملك محمد الخامس خيانته وعاش بقية حياته غريبا في فرنسا إلى أن مات سنة 1972 غير فقيد ولا حميد.

وفي بداية 1951 أسس الباشا الجلاوي بإيحاء من الإقامة العامة الفرنسية **"حركة المعارضة والإصلاح"** واكتفت بنشر بلاغات صحفية تعلن فيها مواقف الولاء والإخلاص للاستعمار.

وإلى جانب الأحزاب المصنوعة احتكر التوجيه الاستعماري الساحة الإعلامية واستعمل لمخاطبة المغاربة الإذاعة العربية ويومية **"السعادة"** الرسمية وأخرى مأجورة مثل الوداد والتقدم والحرية والعزيمة والقيامة، وشن المأجورون حملة من التشويه والإفتراء على أهداف النضال الوطني، ودبجوا مقالات المديح وقصائد التزلف لضباط الاستعمار وجهروا بتفانيهم في خدمة سلطة الاحتلال.

● عبد الحي الكتاني

وامتدت دعاية الانتهازيين إلى خارج المغرب حيث نظمت الحكومة الفرنسية عدة ندوات صحفية في نيويورك لمستشار الأنباء في الإقامة العامة محمد بن المختار التمسماني وعميل المخابرات الذي ادعى أن **"الشعب المغربي هو الذي عزل الملك محمد الخامس عن العرش"** وقام بنفس الدعاية عبد الرحمان الحجوي الرئيس السابق لجامعة الغرف التجارية ومدير تشريفات بن عرفة، وسار على خطاه أحمد الشرايبي مدير "القيامة" الصادرة بفاس، وأحمد النجار صاحب "التقدم" بسلا إضافة إلى الفقيه محمد اشماعو مدير صحيفة "الوداد".

وانخرط المثقفون الانتهازيون في أحزاب استعمارية مثل **"الاتحاد المغربي"** ومنظمة **"الوجود الفرنسي"** العنصرية، وكتبوا في الصحف الفرنسية مقالات كلها دس وتسميم وتزييف لكفاح الشعب.

ونظم المقاومون عمليات لتأديب **"الخونة المتعلمين"** وهذه لائحة مختصرة بأهم الضربات التي نزلت بالأكثر خطورة منهم على الحركة

الوطنية :

التاريخ	المدينة	حصيلة العملية
1952-11-14	الدار البيضاء	انفجار قنبلة في فيلا رئيس "الحزب الديموقراطي للرجال الأحرار".
1952-12-6	الدار البيضاء	انفجار قنبلة في إدارة صحيفة "العزيمة"
1953-9-8	الدار البيضاء	إصابة جوماد التونسي ميدر "العزيمة" بجراح ومغادرته المغرب
1953-11-9	الدار البيضاء	اغتيال عمر من يعيش كاتب "الحزب الديموقراطي للرجال الأحرار"
1954-1-3	سلا	إصابة محمد اشماعو مدير "الوداد" بجراح
1954-1-16	الرباط	مقتل العربي بركاش مستشار في مكتب الفوسفاط والمكلف بأملاك الباشا الجلاوي.
1954-2-13	الدار البيضاء	مقتل خليفة باشا الدار البيضاء والضابط في الجيش الفرنسي الفاطمي براهما.
1954-3-5	مراكش	إصابة عبد الله الكردودي الكاتب الخاص لابن عرفة بجراح
1954-3-5	مراكش	إصابة بناصر بن عمر رئيس بروتوكول بن عرفة بجراح
1954-3-28	أكادير	إصابة بنحيون باشا أكادير بجراح
1954-4-3	الدار البيضاء	إطلاق النار على بن عاشر خليفة الباشا
1954-6-10	الرباط	انفجار قنبلة من منزل جسوس رئيس المحكمة الإقليمية
1954-6-11	الرباط	إصابة بنجلون علي رئيس المحكمة العليا برصاصة في ظهره
1954-8-9	الدار البيضاء	قتل الحاج بناصر خليفة الباشا
1955-4-29	مراكش	إصابة الحاج بدر المستشار الخاص للباشا الجلاوي بجراح
1955-5-17	الدار البيضاء	مقتل حميدو الممرض عضو منظمة "الوجود الفرنسي"
1955-5-23	الدار البيضاء	مقتل عبد العزيز الزواق مدافع لدى المحكمة بالمدينة القديمة.
1955-5-27	سلا	إصابة امحمد الناصري نائب الصدر الأعظم في الشؤون الإدارية بطلقة نارية.
1955-5-21	الدار البيضاء	مقتل بوشعيب رئيس بواخر الصيد وعضو منظمة "الوجود الفرنسي"
1955-11-8	وجدة	إصابة الحاج بوسيف مستشار الحكومة بجراح خطيرة
1955-12-16	وجدة	إصابة عبد الرحمان ولد الحاج سعيد مراسل "السعادة" برصاصة في الرأس
1956-5-24	فاس	مقتل عبد القادر الزمراني رئيس "حزب الشعب"

الفصل السادس

قضايا اجتماعية في قلب الصراع بين الوطنية والاستعمار

تحويل الجسد إلى بضاعة جنسية مبتذلة، وشيوع الخمور والمخدرات وتفاقم الانحطاط الأخلاقي والروحي وانتشار الأمراض المعدية، كل ذلك ناتج عن الاستغلال والظلم الاجتماعي وانقسام الناس إلى أغنياء وفقراء، إلى ملاكين ومعدمين، إلى استغلاليين ومستغلين.

وسواءَ كان الحكم وطنيا أو أجنبيا فإن الاستغلال لا هوية ولا ملة له، فهو يمثل مصيبة واحدة، وطبيعته القائمة على القهر والتجويع تجعل الخاضعين والراكعين يفقدون كل حس بالعفة والشرف. وهذا ما سنراه من خلال الأساليب المتشابهة والمتطابقة التي استعملها بعض الحكام المغاربة والفرنسيين والاسبانيين في إذلال الإنسان والدوس على كرامته من أجل الحصول على الربح السريع وإشباع النزوات البهيمية وإفساد الأخلاق.

البغاء لتحقيق الربح وتخريب الأخلاق

الكاتب المغربي المتعصب يلصق جميع النقائص والنكبات بالاستعمار الأجنبي: **"لم تشعِ الأخلاق الفاسدة إلا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب".** [1]

ففي القرن السادس عشر كتب ابن الوزان أنه شاهد بمدينة فاس دورا عمومية تمارس فيها البغايا مهنتهن بثمن بخس تحت حماية رئيس الشرطة أو حاكم المدينة. وأضاف أن رؤساء الشرطة يتخذون حانات ويمارسون البغاء والقوادة. [2]

وقبل أزيد من سبعين سنة وصف غريط الانحلال الخلقي في العاصمة العلمية فاس في السطور التالية: **"صار (الناس) يوم الجمعة، كما كان أهل الأندلس يوم السبت، يفعلون فعائل أصحاب الطاغوت... من البروز إلى**

---

1 - أحمد المختار السوسي، المعسول، ج 1ص65، الدار البيضاء 1961.

2 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، الرباط 1980، ص193.

خارج المدينة... ورفع الأصوات بالمواليات والأزجال واختلاط النساء بالرجال، متعطرات متبرجات كأنهن بكل ناظر متزوجات... واستقضاء مرام من حرام ومعاطاة الكؤوس على المقابر كأنما أعيد لهم عصر الجاهلية الغابر. (3)

وسجل كاتب فرنسي عاش بفاس قبل الاحتلال ملاحظاته حول البغاء الذي كان يشمل أغلب البيوت في قصبة بوجلود وقصبة تامريرت، وبالقرب من باب فتوح وكل الأحياء الفقيرة التي كانت تعج بالنساء القادمات من البادية، والفاسيات كن يقطن في منازل تكتريها القوادات، ويتقاضى منهن ممثل السلطة مبالغ معينة، واشتهر حي مولاي عبد الله، وهو يحمل اسم باشا المدينة عبد الله احماد، الذي جعل المنازل رهن إشارة نساء وافدات على فاس مقابل مبلغ مالي يدفعنه أسبوعيا أو شهريا. (4)

كان المجتمع متفككا والحكم المركزي يحتضر والدول الأجنبية تتنافس على استعمار البلاد وبسط السيطرة على ثرواتها، وفي تلك الأثناء كان الحكام والإقطاعيون يشتغلون بالنهب وإشباع الغريزة الجنسية وقهر المواطنين والتباهي بالتبذير والبذخ. ويقول السلطان مولاي عبد الرحمان (1822-1859) في إحدى رسائله : **"... تسلط الشيوخ في نساء رعاياهم بالاحتيال والقبض على من كانت عنده زوجة حسناء حتى يتوصلوا للإفساد فيها."** (5)

وسيطر القائد الحبيب المالكي على قرية كاملة سنة 1767م وجعلها خاصة به وليس فيها إلا النساء وممنوعة على الرجال ولا يدخلها إلا هو وحده. وكل النساء يأتي بهن بالإكراه، وقد اعتقله السلطان محمد بن عبد الله وسجنه بمكناس إلى وفاته بعد إضراب عن الطعام. (6)

وفي أيام السلطان مولاي سليمان (1792-1822) نشبت فتنة بفاس ووقع القتل والسرقة والسبب أن عامل المدينة الحاج محمد الصفار استباح نساء المدينة هو وأصحابه ومد يده إلى الحريم. (7)

وبمدينة مكناس كان رجال السلطة هم المستفيدون من الاتجار في الأعراض، واشتهر فيها ماخور سيدي نوجدار حيث كان عبارة عن سوق تباع فيه الصبايا المهربات من جبال الأطلس وكن متميزات ببياض البشرة وزرقة العيون وعلى بعد بضع كيلومترات في اتجاه الشمال، كانت أغلب قبائل جبالة

---

3 - محمد غريط، فواصل الجمان في أنباء وزراء الزمان، ص 134فاس 1927.

4 - Roger le tourneau, Fes, Op. Cit. P.558.

5 - عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ج5. ص97، المطبعة الوطنية، الرباط 1933.

6 - تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة الدار البيضاء 1988 ج1 ص320.

7 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 8ص141، الدار البيضاء1956.

خاضعة لعصابات المسلحين، يجعلون النساء والخمور والطرب رهن إشارة الفساق ويمارسون أبشع تجارة في الأجساد.(8)
وبمنطقة سوس في الجنوب كان الوسطاء يختارون البنات الجميلات ويبيعوهن إلى القياد الكبار في الحوز وإلى أغنياء المدن.(9)
ولم يكن أي لقاء بين قائد وآخر أو موظف كبير وصغير إلا وكانت فيه ضمن الهدايا نساء جميلات.(10)
وكان باشا مراكش التهامي الجلاوي أكبر تاجر في النساء حيث كان عدد المنازل التي يراقبها تضم ستة آلاف امرأة، وكل واحدة تدفع له مائة فرنك كضريبة يومية.(11)
وبالقرب من مدينة مراكش بزاوية سيدي رحال كان قائد الزاوية يراقب عدة منازل للدعارة ويتقاضى نسبة مئوية من مجموع المداخيل. ومثل البغاء أحد المداخيل الأساسية للسكان، والزبناء هم زوار قبر الولي المدفون هناك.
وفي ملتقى واد تاساوت وواد دمنات توجد زاوية سيدي عسيي بنسليمان وهي فرع من زاوية سيدي رحال المذكورة، وتجري فيها تجارة البغاء في ظروف مشابهة لتلك الموجودة بالزاوية الأم.(12)
وفي أبي الجعد الواقع في مفترق الطرق بين الأطلس والمحيط وزايان وتادلة، كان التجار والمسافرون يتقاطرون على الأسواق الأسبوعية والمواسم الدينية.(13) وفي محيط الزاوية كانت تنتشر دور البغاء حيث تعرض على الراغبين مراهقات فائضات عن اللزوم.(14)
وبعيدا في طريق بني ملال كان "ولي" يسمونه الشيخ بوعنان يستمتع بحق الليلة الأولى على طريقة الإقطاعيين الأوربيين في القرون الوسطى.
وحينما كنت أنجز تحقيقا عن أوضاع الفلاحين سنة 1961 لفائدة جريدة **"التحرير"**، نبهني أحد المناضلين إلى تلك الممارسة المشينة للشيخ في إيت عتاب.(15) وارتديت جلباب فلاح وقصدت المكان صحبة مرشدي، ورأيت

8 - العربي الورياشي، الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول محمد أمزيان ص89، تطوان 1976.
9 - الحوز منطقة جغرافية واسعة يحدها واد ام الربيع والأطلس ودكالة وعبدة ويشقها نهر تانسيفت، تزدهر فيها فلاحة البساتين وتنتج أنواع الحبوب.
10 - محمد المختار السوسي، المعسول ج 20بدون تاريخ ص73 .
11 - Guy Delanoë, Lyautey, Juin, Mahamed V, fin d'un protectorat. l'Harmattan Paris, 1988, P.76.
12 - Edmond Doutté, Mission au Maroc en tribu, Paris 1914, P.225.
13 - أبو الجعد قرية كبرى في طريق بني ملال تأسست في القرن السادس عشر وتوجد بها زاوية كبرى أسسها بوعبيد الشرقي ولها نفوذ على سكان القبائل المجاورة.
14 - Capitaine Cornet, à la conquête du Maroc sud avec la colonne Mangin 1912-1913, Paris, 1914, P.282.
15 - ايت عتاب منطقة غنية تنتج اللوز والزيتون والشعير ودباغة الجلود.
16 - دمنات قرية كبيرة من قرى الأطلس الكبير على ارتفاع 960م تحيط بها غابة من أشجار

الشـيخ عن قـرب، لا شيء يميـزه إلا هـندامـه الجـديد، لم يكن بالـطويل ولا بالقصير، في مقتبل العمر، نظراته ماكرة، أبيض اللون، مليئ الردفين، ولا يمل من بسط يده ليقبلها الفلاحون البسطاء الذين يبحثون عن "بركة" الشيخ.

وفي نفس التاريخ علمت أن "وليا" آخر كان يفتض العروس قبل أن يدخل بها زوجها، ويسمي نفسه "سيدي البركة" ويقطن بناحية دمنات.(16)

وبالإضـافة إلى كل أشكال البغاء التي ذكرناها، ظهر نوع آخر بعد أن فرضت قوات الاحتلال سيطرتها على البلاد. فقد صار بعض الحكام المغاربة **"يستكثرون من تنظيم الرقص "أحواش" ويأتون بالنساء تقربا للمستعمرين"**.(17)

ويروي كاتب فرنسي أن قائدا عميلا لفرنسا كان يحمل المراسلات السرية المتبادلة بين الوزير قدور بن غبريط وقنصل فرنسا بطنجة في بداية القرن العشرين، ولم يكتف بالتآمر على وطنه فحسب، بل كان يقدم ابنته الصغيرة إلى الضيف الفرنسي.(18)

وكان موظف كبير يختار النساء من كل لون ويقدمهن هدية للضابط الفرنسي يتناولن معه كؤوس الخمر ويرقصن فوق المائدة.(19)

وكان اليهود المغاربة الساعون للحصول على الحماية من القنصليات الأجنبية يقدمون إلى قناصل أوربا وتجارها قرابين كان من بينها في أغلب الأحيان كرامة وعفاف أزواجهم وبناتهم.(20)

وتفيد الوقائع التاريخية أن بعض كبار المسؤولين تنازلوا عن أراضي مغربية مقابل الاستمتاع بما تحت حزام النساء الأوربيات.

الاستعمار شجع الدعارة

في سنة 1894 فتح نادي أنفا أبوابه بالدار البيضاء، وكان عبارة عن مرقص يضم فرنسيات، وفي نطاق التنافس دشن النادي الإسباني برامجه بمجموعة من الإسبانيات مغنيات وراقصات، وهكذا أدخل الرأسماليون الفرنسيون والإسبانيون إلى المغرب أشكالا جديدة من البغاء، وظهرت عادات وطقوس غير مألوفة في ميدان تسلية زبناء الجسد بالمغرب.

وفي 18 مايو 1906 تكونت لجنة من ممثلي السفارات والقنصليات الموجودة بطنجة وقررت تطبيق القانون الفرنسي حول البغاء على المدينة المغربية وبدون استشارة أحد من المسؤولين المغاربة.

الزيتون تبعد عن مراكش بمائة كلم.

17 - المعسول، م.س. ج 1 ص 62 - الدار البيضاء 1961.

18 - Christian Houel, mes aventures marocaines, Casablanca, 1954, P.2199

19 - Capitaine Cornet à la conquête... Op. Cit. P.74.

20 - عبد الوهاب بنمنصور، مشكلة الحماية، م.س. ص 30.

21 - Gharles André Julien, Le Maroc.... Op. Cit. P.73.

وفي يوم 5 غشت 1907 هاجمت البواخر الحربية الفرنسية والاسبانية مدينة الدار البيضاء وهدمت الجزء الأكبر من المدينة القديمة وخلفت قنابلها الفا وخمسمائة قتيل.(21) ونزلت القوات الفرنسية إلى البر لتبدأ عدوانا مسلحا لن ينتهي إلى في سنة 1934، واتسعت دائرة المقاومة في الشاوية.(22) وصار تشييد أحياء الدعارة موازيا لحملات الغزو بشكل يستجيب لإشباع الرغبة الجنسية لجنود الاحتلال.

وفي هذا الإطار قام المدعو **بروسبير** ببناء أول مركز للبغاء بالدار البيضاء ويسميه المغاربة **"بوسبير"** وتتوفر فيه مواصفات دور الدعارة الموجودة بفرنسا، وكان معظم زبناءه من العسكريين الفرنسيين.

وفي سنة 1908 نشأ إيدن كونسير Eden concert وهو مرقص خاص بالضباط وكبار الموظفين، وتقدم فيه حسنوات فرنسيات عروضا عارية Strip-tease وكن يطلبن مبالغ كبيرة يؤديها بسخاء رؤساء العسكر المكبوتون.(23)

وفي نفس السنة اشتهر مقهى التجار Négociants في الطريق المؤدي إلى الميناء، وكان الأوربيون يتسابقون إلى أخذ أماكنهم في الهواء الطلق ليتفرجوا على مفاتن الأوربيات القلائل اللواتي جئن إلى المغرب لبناء مستقبلهن.(24)

وكان الغزاة كلما تمت لهم السيطرة على منطقة إلا وفتحوا فيها وكرا للدعارة وشجعوا الوسطاء على جمع النساء ومنحهن رخصة "العمل" بتعليمات من الماريشال ليوطي باني أحياء الدعارة في مختلف المراكز الحضرية، وهو أيضا منظم "البغاء المتنقل" ويعني تجنيد العشرات من بنات الهوى للسير وراء قوافل الجيش الفرنسي المكلف بإخضاع القبائل المكافحة تماما كما كان يفعل الغزاة أثناء الحروب الصليبية حيث يصحبون معهم البغايا راكبات وماشيات.

وكانت النساء المغربيات تخيمن بالقرب من الجنود وترافقنهن طيلة السنة ما عدا في فصل الشتاء الذي يشتد فيه البرد في المناطق الجبلية وتتهاطل الأمطار ويتعذر التنقل بسهولة.(25)

وظل الماريشال ليوطي وفيا لنهج نابوليون في تأسيس المواخير الرسمية وفي تطبيق القوانين المحقرة للمرأة والمقيدة لحريتها. واستخدم الجنود الفرنسيون الاغتصاب كأداة للانتقام وقهر القبائل المناهضة للاحتلال. فحينما انسحب

22 - مجموعة قبائل مستقرة بساحل المحيط بين الدار البيضاء وأم الربيع ومشرع بن عبو في مساحة 12.500 كلم مربع. وتعد من أغنى المناطق الفلاحية بالمغرب بالإضافة إلى المعامل الصناعية.

Christian Houel, mes aventures... Op. Cit, P.143. - 23
Ibid, P. 136. - 24
Georges R.Manue, sur les marches du Maroc insoumis, Paris. 1930, P.137. - 25
Henry Dugard, la conquête du Maroc. la colonne du Sous, Paris, 1918, P.101. - 26

المكافحون بقيادة الهيبة ماء العينين من مدينة تيزنيت في أكتوبر 1912، دخلها الجيش الفرنسي وعبث بكرامة النساء وافتض الفتيات الصغيرات.(26)

وكانت الوسائل التي استعملها المستعمرون "المتحضرون" متطابقة. فقد احتل الاسبانيون مدينة تطوان عام 1913 واغتصبوا النساء في بيوتهن.(27)

وحينما تظاهر سكان قرية أيت سعيد في مايو 1951 احتجاجا على نهب أملاكهم من طرف القائد، تدخلت القوات الفرنسية وطوقت القبيلة واعتقلت الرجال وهاجم الجنود البيوت **"وارتكبوا مع سيدات وفتيات القرية كل ما يمكن من فظائع"**.(28)

وانطلقت لدى ضباط الاستعمار غريزة اللذة من عِقالها المَرضي، وكان الضابط كوجي رئيس بلدية مراكش سنة 1937 **"طاغية أشيب مستهتِرًا مولعا بهتك عفاف الأبكار... وكان أحد مساعدي باشا المدينة يخطب مغربيات مسلمات، وفي ليلة الزفاف يسلمهن للفرنسي كوجي"**.(29)

وكان الضابط الإسباني **بوميس** يحكم قبيلة بني بويحى بالريف في العشرينات ويرسل جواسيسه للبحث عن أجمل النساء في القبيلة، فيعتقل



● الجنود الفرنسيون يهينون المغربيات في الأطلس المتوسط

27 - أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال ج2، دار الأمل، طنجة 1975 ص18.

28 - علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، القاهرة 1956، ص183.

29 - لمختار السوسي، الإلغيات،ج1، الدار البيضاء 1963ص12.

30 - العربي الورياشي، الكشف والبيان م.س. ص146.

زوجها إذا كان لها زوج، ويحضر المرأة بمختلف الحيل، ولا يتردد أحيانا في قتل الزوج بدعوى الفرار من السجن. (30)

وكثيرا ما أخذ المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون النساء كرهائن للضغط على الثوار ليوقفوا المقاومة، وحينما يخضع السكان يفرضون عليهم الإتيان بالنساء والبنات للرقص والغناء على شرف الغزاة المنتصرين. (31)

ونتيجة لذلك اشترطت قبائل آيت عطا وأيت ونير في الجنوب سنة 1932 لكي تضع السلاح، بعد ربع قرن من المقاومة للاستعمار الفرنسي، أن لا ترغم النساء على حضور السهرات الغنائية الراقصة التي ينظمها القياد الخونة احتفالا بضباط الاستعمار. (32)

ولما نزل الجنود الأمريكيون يوم 8 نوفمبر 1942 في شواطئ المحمدية وآسفي والمهدية بالقرب من القنيطرة، انتقلوا إلى عدة مدن منها الدار البيضاء ومراكش وغيرهما، واستغلوا ظروف الحرب وانعدام المواد الغذائية والفقر المدقع واعتقدوا أنهم في **"أرض غزو وفتح كل ما فيها مباح لهم حتى أعراض النساء في الشارع"**. (33)

وذاعت في أوساط الشباب مفردات الجنس الأمريكية الهجينة، وشاعت ثقافة مضغ العلك وانتشر العازل الوقائي خاصة المستعمل منه. واصطدمت الخلاعة الفاضحة بالتقاليد المحافظة، واستسلم الفقراء لإغراءات الدولار، وداست أحذية العسكر على شرف المسحوقين. ولم يكن **"مشهدا نادرا رؤية جثة عارية لأمريكي شاب في مرفأ كازابلانكا... وكان المقتول دائما مقيد اليدين والقدمين ومغطى بالكدمات والجراح وقد بترت أعضاؤه الجنسية... إشارة صغيرة تعبر عن عدم محبة هذا الكافر الذي اغتصب النساء المسلمات"**. (34)

وبعد الحرب العالمية الثانية استقر الجنود الأمريكيون في قواعد القنيطرة والنواصر وبن جرير بناحية مراكش باتفاق مع فرنسا وبدون استشارة المغرب واستفحلت التجارة في أعراض النساء اللواتي كن ضحايا للاستغلال الرأسمالي والجنسي. ففي مدينة الدار البيضاء كان ثلث اليد العاملة سنة 1944 من النساء يعملن بأجور جد متدنية، 15 ألف منهن خادمات في بيوت الأوربيين و 8.500 في النسيج ومعامل تصبير السمك، أي ما مجموعه 23.500 عاملة من مجموع العمال البالغ عددهم سبعين ألفا. (35)

31 - Général Maurice Durosoy, avec Lyautey, Homme de guerre, de paix, Paris, 1976, P141.

32 - Henry Dugard, La Maroc de 1917, Paris 1917, P.115.

33 - محمد حسن الوزاني مذكرات حياة وجهاد، ج6، ص22.

34 - بيرنهاردت، ج. هروود، تاريخ التعذيب، ترجمة ممدوح عدوان، دار الجندي للنشر، دمشق، 1998ص47

35 - Albert Ayache, le mouvement syndical au Maroc T2. la marocanisation 1943-1948 Casablanca, Wallada 1990 P.73.

36 - Simone Berriau, Simone est comme ça, Robert Laffont, Paris 1973, P81.

وعاشت المرأة في باقي المدن الكبرى مثل مراكش، وفاس ومكناس وآسفي والرباط ووجدة أوضاعا مزرية، وتضاعف بناء أحياء البغاء التي تراكمت فيها آلاف النساء من كل الأعمار، وأصبح "بوسبير" بالدار البيضاء الذي كان فيه عام 1930سبعمائة امرأة، يأوي سنة 1950ثلاثة آلاف امرأة بعد توسيعه ليشمل المدينتين القديمة والجديدة. وتأسس جناحان واحد خاص بالأوربيات والثاني باليهوديات المغربيات، هذا فضلا عن الفنادق والشقق المفروشة.

وبالعاصمة الرباط تعددت المواخير وأشهرها "وقاصة" الذي ضم في الخمسينات أزيد من ألف امرأة بينما كان الفرنسيون يترددون على منازل خاصة بهم.

وبمدينة مراكش شيد حي بكامله يسمي "عرصة موسى" يضم المآت من بائعات اللذة الرخيصة. وبداخل حي "الملاح" كان اليهود يمارسون علاقاتهم المحرمة. في حين استفرد الفرنسيون بمنازل في الحي الأوربي جيليز، وخصصوا ماخورا للجنود وسط الثكنات العسكرية التي كانت تحت الجبل في الطريق المؤدية إلى تاركا.

وبمراكش جعل الباشا التهامي الجلاوي من أحياء المدينة الراقية مثل درب ضباشي والقصبة أوكارا للاتجار في الجسد، وكان عملاؤه يستقدمون بوسائل الإكراه أجمل الفتيات من القبائل الخاضعة لحكمه لكي يعزز بهن دور البغاء التابعة له. وأضحى ميلياردير ينفق في مواخير باريس الأموال الباهظة ولا يقطب أبدا حاجبيه وهو ينظر إلى قائمة الحساب. (36)



● الباشا الكلاوي والممثلة الفرنسية (بيريو)

وتحول تعلقه بالروميات إلى ظاهرة مرضية لا يخفف من وطأتها إلا أجواق الرقص والغناء التي يستقدمها من فرنسا لتقيم سهرات في ربوع قصره. ومع أنه لا يفهم الفرنسية فإن الاقطاعي كان يحاول تعويض عقدة النقص التي تسكن مخه بارتداء البذلة

37 - Ibid, P.82.

الأوربية وبتبذير الأموال التي ينهبها من رعاياه ويغدقها هدايا ثمينة من أسورة ذهبية وجواهر نفيسة على المغنيات والراقصات.(37)

وفي سنة 1951 ترأس الباشا الجلاوي مجلس شركة سفانكس (Sphinx) التي شيدت في المحمدية على بعد عشرين كيلومترا من الدار البيضاء أكبر ماخور في افريقيا بتكلفة خمسمائة ألف دولار في ذلك الزمان، ويحتوي على عشرات الغرف المفروشة وقاعات للرقص وخمارات ونادي لعرض الأفلام الخليعة، وفي الطابق السفلي توجد مصحة للفحوص الطبية. وتتغير نزيلات الماخور الأوربيات مرة في الشهر ويتكون الزبناء من الجنود الأمريكيين المقيمين في القواعد العسكرية السالفة الذكر، ومن كبار الموظفين الفرنسيين مدنيين وعسكريين إضافة إلى الأغنياء المغاربة.

ونظراً للحجم الكبير الذي بلغته الدعارة في المجتمع المغربي، قام السيد جان سيل (Jean Scelles) المستشار في مجلس الاتحاد الفرنسي يوم 27 غشت 1953 بتقديم رسالة، باسم المجلس الوطني للمنظمات النسائية الفرنسية، إلى وزير الخارجية الفرنسي تطالب بمنع القوادة في إفريقيا الشمالية وخاصة بالمغرب.(38) وفضحت الرسالة البرلماني الفرنسي فالكوز (Falcoz) الذي يملك أسهما في بيوت الدعارة التي يشرف عليها الباشا الجلاوي. ورفع رئيس فرع منظمة حقوق الإنسان بالمغرب احتجاجا إلى الحكومة الفرنسية على السماح بفتح أماكن جديدة للاتجار في الرقيق الأبيض.(39)

وكانت الإدارة الاستعمارية أصدرت تقنينا للبغاء بمرسوم يوم 16 يبراير 1924 يسمح بفتح منازل رسمية ويحدد سن المرأة في 21 عاما وهو شرط لا يمكن تطبيقه على المغربيات بسبب انعدام الحالة المدنية وتعذر الحصول على بطاقة التعريف، وكان يكفي صاحب المنزل التصريح بأن المرأة تبلغ السن المطلوب أو تتجاوزه. وحينما اشتدت المقاومة المسلحة سنة 1954 غيرت الإدارة الفرنسية المرسوم بشكل يخفض سن رشد الفتاة إلى 16 عاما ويعطيها الحق في ممارسة البغاء وفي نفس الوقت خفف من العقوبة المتعلقة بالوسطاء.

وهكذا شجع الاستعمار الدعارة وعمل على تعميم الانحلال الأخلاقي في أوساط الفيئات الأكثر فقرا وقصد بذلك إماتة الضمير الوطني والحس الاجتماعي وجعل منها أداة للتجسس وإلهاء قطاع واسع من فقراء الشعب عن الانخراط في النضال من أجل التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

وقد اضطرت المقاومة إلى القيام ببعض العمليات المحدودة للردع فقط، لأن من أراد القضاء على البغاء **"فليعمل على تغيير النظام الاقتصادي القائم في البلاد"**.(40)

---

38 - Robert Barrat, Justice, Op. Cit.P.271.
39 - La Croix 30 Octobre 1953 aussi : Revue abolitionniste. Janvier 1955, P 58.
40 - علال الفاسي، النقد الذاتي، ص 274.
41 - علال الفاسي، النقد الذاتي،م.س. ص314.

عمليات ضد أماكن البغاء

التاريخ	المدينة	المستهدف	الحالة
1954-1-22	الدار البيضاء	حي البغاء	خسائر مادية
1954-2-25	الدار البيضاء	مستودع للخمور	خسائر كبيرة
1954-3-2	القنيطرة	حي البغاء	خسائر مادية
1955-5-4	القنيطرة	حي البغاء	قنبلة خلفت أربعة جرحى
1955-2-8	الدار البيضاء	حي البغاء	العديد من الجرحى منهم 5 شرطيين
1955-3-5	الدار البيضاء	حي البغاء	انفجار قنبلة وجرح امرأة
1955-4-10	الدار البيضاء	منزل البغاء	انفجار قنبلة وخسائر مادية
1955-4-12	آسفي	منزل للدعارة	انفجار وخسائر مادية
1955-4-16	الدار البيضاء	حي البغاء	انفجار وجرح 5 أشخاص
1955-5-15	مراكش	عرصت موسى	انفجار وجرح 8 أشخاص
1955-5-30	الدار البيضاء	منزل بدرب الإسبان	انفجار وجريحان
1955-5-30	الدار البيضاء	منزل للبغاء	إشعال النار في المنزل
1955-6-6	برشيد	منزل للبغاء	انفجار وخسائر مادية
1955-6-19	مكناس	منزل للبغاء	قنبلة وجرح امرأتين
1955-6-30	الدار البيضاء	منزل للبغاء	انفجار وجرح امرأة
1955-7-3	الدار البيضاء	منزل للبغاء	قنبلة وخسائر مادية
1955-7-4	الرباط	غابة معمورة	قتل عاهرة ورجل درك بالرصاص
1955-7-29	تافراوت	منزل للبغاء	انفجار قنبلة
1955-8-7	القنيطرة	حي البغاء	انفجار قنبلتين وجرح شخصين
1955-9-20	بن أحمد	حي البغاء	إبطال مفعول قنبلة
1955-10-3	الدار البيضاء	حانة	إطلاق النار موت ثلاثة أشخاص وجرح اثنين
1955-10-8	الدار البيضاء	حانة	إطلاق النار وجرح 7 أشخاص
1955-10-11	سلا	منزل للبغاء	انفجار خلف خسائر مادية
1955-10-17	الدار البيضاء	مكان لبيع الخمر	قتل البائع بالرصاص
1955-10-25	القنيطرة	حانة	انفجار وجرح 10 أشخاص
1955-11-2	الدار البيضاء	منزل للبغاء	انفجار وخسائر طفيفة
1955-11-3	الدار البيضاء	منزل للبغاء	انفجار وخسائر مادية
1955-11-6	الرباط	حانة	انفجار وجريحان
1955-11-6	الدار البيضاء	منزل للبغاء	انفجار قنبلة
1955-11-8	الدار البيضاء	منزل للبغاء	إصابة امرأة بجراح
1955-11-13	الدار البيضاء	حانة لاجيروند	قتيلان وجرح 10 أشخاص
1955-11-22	الدار البيضاء	منزل للبغاء	إصابة امرأة بجراح
1955-12-7	وزان	منزل للبغاء	قنبلة وجرح امرأة
1955-12-14	الرباط	منزل للبغاء	قنبلة وخسائر هامة
1955-12-16	الدار البيضاء	منزل للبغاء	انفجار قنبلة وخسائر مادية
1955-12-31	فاس	حي البغاء	إطلاق النار ومقتل شخص

الخمور لتخدير العقل وتفكيك الأسرة

كانت الحركة الوطنية البورجوازية تسعى إلى صهر الشعب في وحدة روحية ووجدانية تنطلق من الأخلاق الدينية، إلا أن مساعيها اصطدمت بانتشار الخمور واستفحال استهلاكها بشكل يهدد طبائع المواطنين وعاداتهم وتطورهم الاجتماعي. والقى العالم السياسي باللائمة على الأوربيين : **"لولا الأجنبي ما دخلت الخمور للبلاد، ولا تكونت معاصر وحانات تسهل الشرب على من أراد، وتفتح مجال القدوة للجميع".** (41)

والوقائع التاريخية التي سجلها مغاربة آخرون تؤكد أن صناعة الخمور بالمغرب سبقت بعشرات القرون وصول الأجانب إلى البلاد. وكانت الخمور منتشرة في مدينة سجلماسة بين المغرب وافريقيا. وحينما احتلها المرابطي عبد الله بن ياسين (1055م) وهزم أميرها مسعود المغراوي أحرق الدور التي كانت تباع فيها الخمور. (42)

وفي القرن الحادي عشر ركز محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين (1130-1269م) دعوته على محاربة الخمر وهاجم رفقة أنصاره أماكن بيعها، وكان يؤاخذ على خصمه الأمير علي يوسف المرابطي إطلاق الحرية لبيع الخمور وذيوع الخنازير. (43)

وفي القرن السادس عشر أورد الجغرافي ابن الوزان (1483-1552م) روايات كثيرة عن صناعة الخمر في المناطق التي زارها. فقد كان سكان أزجن البعيدة عن فاس بسبعين كيلومترا يتمتعون بامتياز من طرف الملوك القدامى ويتمثل في السماح لهم بشرب الخمر وليس منهم من لا يشربه. (44)

وفي جبال رهونة كان السكان يعصرون الخمر الأحمر والأبيض لاستهلاكهم الشخصي، وفي قبائل غمارة يشربون الخمر خلافا لتعاليم الدين. (45) في حين يصنع سكان جبل بني كرير في الريف كثيرا من الخمر. وفي جبال بني مسكلادة، بجوار نهر الورغة، يوجد عدد من علماء الشريعة وتلاميذتهم كثيرون... يعاقرون الخمر سرا وينهون الناس عن شربها لأنها حرام، فلا يثق بهم أحد. (46)

---

42 - الناصري، الاستقصا، م.س. ج2. ص12.
43 - ن.م. ص84.
44 - وصف إفريقيا، م.س. ص273.
45 - ن.م. ص248.
46 - ن.م. ص264.
47 - تاريخ الضعيف، م.س. ج2، ص685.

وكانت بفاس ومكناس وتطوان بيوتات مسلمة تتوارث أبا عن جد صناعة الخمور. وكان تعاطي الخمور يتسبب في جرائم مثل تلك التي اقترفتها امرأة في حق صديقها لما دست له سما في كأس خمر وقتلته عام 1820م.(47)

وعندما استقر التجار الأجانب والديبلوماسيون ببعض الموانئ المغربية وخاصة بطنجة والصويرة واسفي، تمادوا في ترويج المشروبات الكحولية وسط المغاربة، وكانوا يتجاوزون الكميات المسموح لهم باستيرادها لاستهلاكهم الشخصي بغية تحقيق هدفين إثنين : استقطاب المزيد من الجواسيس استعدادا لغزو البلاد عسكريا وكسب أرباح مالية من بيع الخمور.

وفي رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان (1822-1859م) إلى ممثله القائد محمد بن سعيد السلاوي يستنكر فيها ما يقوم به الأوربيون من نشر الخمور وسط رعاع المسلمين الذين **"يشربون الخمر جهارا ويعربدون في الشوارع"**.(48)

وليس الرعاع مدمنين وحدهم على شرب الخمر كما جاء في رسالة السلطان، فهناك وثائق أخرى تتحدث عن بعض الفقهاء ورؤساء الزوايا المولوعين بالمشروبات الروحية، وكان على رأسهم رئيس زاوية وزان مولاي عبد السلام الذي كان يعربد ويأتي بأشنع الأفعال التي لا تخطر على البال.(49)

وعلى منواله صار الحاج محمد المصلوحي رئيس زاوية تامصلوحت بالقرب من مراكش الذي كان لا يرفض تناول **"عصير العنب"**.(50)

وأشار قناصل أنجلترا في الجديدة والرباط وطنجة في تقاريرهم أن الإقبال الكبير للمغاربة على استهلاك الخمور في تصاعد مطرد.(51)

وتكررت الجرائم الناتجة عن السكر، وأصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859-1873م) الأمر إلى أمناء ميناء الصويرة بمنع استيراد الخمور التي تزيد عن حاجة السكان النصارى واليهود بعد أن تأكد استيراد كميات كبيرة لبيعها للمسلمين.(52)

وكانت مختلف أنواع الخمور تستورد من إيطاليا وفرنسا واسبانيا وإنجلترا وأمريكا، وتعرض في الأسواق بثمن بخس، ولم يتجاوز ثمن زجاجة البيرة بسيطة واحدة، ومن حدود الموانئ بدأت الخمور تغزو المناطق الداخلية.

48 - بن زيدان، اتحاف، م.س. ج5. ص113.

49 - G.Charmes, Une ambassade du Maroc. R.D.M. L VIème année T.77 Paris 1886,P.848 IN Mohammed Kenbib, Les Protègès, contribution à l'histoire contemporaine du Maroc. imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1996. P.219.

50 - ن.م.

51 - F.O. 49, 395, Tanger 17 Mai 1902. Voir les protégés, Op. Cit. P. 218.

52 - الوثائق "مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة 4. الرباط 1977ص231.

53 - Kenbib, Les protégés, Op. Cit. P. 219.

وكان بفاس سنة 1902 ستة من كبار مستوردي الخمور، وثلاثون من الباعة بالتقسيط.(53)

وحسب إحصاء أجري في غضون 1892 فإن عدد الحانات والمقاهي التي كانت تبيع الخمر بطنجة بلغت 110 منها 53 مقهى مغربية و 57 حانة أوربية، وحاول الملك مرارا إغلاقها لكن معارضة السلك الديبلوماسي كانت أقوى.(54)

وبعد مرور عام على توقيع معاهدة الحماية شرعت سنة 1913 شركة "كومباني ماروكان" الاستعمارية في غرس العنب الخاص بإنتاج الخمور في ناحية القنيطرة .(55)

وبلغ إنتاج الخمر سنة 1922 أكثر من أربعين ألف هيكتوليتر، وفي سنة 1934 وصل إلى ستمائة ألف هيكتوليتر.(56)

وتم تشييد أول مصنع للجعة (البيرة) عام 1921 وكان يستهلك يوميا 28 ألف قنطار من الشعير. وكانت المصانع الفرنسية تستورد بدورها من المغرب كميات ضخمة من الشعير. وبلغت في يونيو 1924 مجموع الصادرات ثلاثة ملايين قنطار.(57) وكان الفلاحون يستخدمون الشعير علفا للحيوانات ويستهلكونه كذلك في سنوات الجفاف، وأصبحوا لا يجدونه في متناولهم نتيجة للارتفاع الصاروخي في ثمنه، وبلغ سنة 1920 بمراكش 25 فرنكا للقنطار و 39 فرنكا بوجدة.(58)

وأصبح موضوع النبيذ سلاحا شهره المستعمرون والوطنيون كل طرف ضد الطرف الآخر. فالوطنيون يعلنون أن انتشار الخمور يهدد أخلاق الشعب ونظام المجتمع، والمعمرون يعلنون ابتهاجهم بانتشارها في أوساط المغاربة : **"في آخر الشهر يتسابق الجنود إلى شراء الشامبانيا ويلتحقون بالنساء في الخيام، هناك الكل سكران، الجميع يغني، إحداهن تفجر نشوة الجميع برقصة البطن، الكل يشرب ويمرح، فالحرب غدا لكن هذا لا يهم..."**.(59)

وعبر الرهبان المتعصبون عن عداءهم لمعتقدات الآخر بطريقة لا تعرف التسامح : **"الخمر، هذا المشروب الرجولي البهيج، سيحل محل الشاي الأخضر بالنعناع، المشروب للخنث، وسيصبح مشروبا وطنيا للبربر حينما يتم تنصيرهم"**.(60)

وبسبب مزاحمة الخمور الإسبانية والجزائرية المعروضة بثمن رخيص، لم يجد المعمرون مكانا لصرف بضاعتهم فاتجهوا نحو السوق المغربية، ووزعوا النبيذ في المدن وفي أحياء البغاء وقدموه للمجندين المغاربة في الجيش الفرنسي،

54 - الوثائق م.س. ج4. ص528.

55 - Jean le Coz, Le Rharb, Fellahs et colons, T, II Inframar, Rabat 1964, P.565

56 - Le soir marocain, Casablanca 30-5-1935.

57 - Bulletin de la chambre de commerce et de l'industrie de Casablanca, 18-7-1924, P3.

58 - La vie agricole, Tome XXII No1, Paris, 1923, P.222.

59 - Sur les marches du Maroc insoumis, Op. Cit. P. 137.

60 - Revue, Maroc catholique, 1923, d'après Julien, le Maroc, Op. Cit. P.159. Réf. 116.

61 - Rharb, Fellahs Op. Cit. P.566.

وعرضوه للبيع ما بين عشرة وعشرين فرنكا للهيكتوليتر الواحد أي بثمن لا يتعدى عشرين بالمائة من ثمن الإنتاج الأصلي (61) وانفجرت سنة 1935 "**أزمة الخمور المغربية**" وبادرت الحكومة الفرنسية إلى إرسال لجنة تحقيق إلى المغرب وقدمت مساعدة مالية للمعمرين المتضررين واتخذت الإدارة الفرنسية قرارا تسمح بموجبه للمغاربة المسلمين بشرب (البيرة)، ورحب المعمرون بالقرار وطالبوا بتعميمه على سكان البوادي وبرفع المنع عن كل أنواع الخمور، وادعوا أن ذلك سيحد من مقاومة الفلاحين للاستعمار لأن "**الدين يسيطر على أدمغتهم التي لا بد أن تلين حينما تسقيها جرعة الخمر**". (62)

وقام الوطنيون بحملة دعائية واسعة ضد سياسة التسكير التي تنهجها السلطة الاستعمارية، ورفعوا برقيات الاستنكار إلى القصر الملكي، ودعوا إلى إغلاق الحانات الموجودة في الأحياء الإسلامية، وبمدينة سلا لجأ المتظاهرون إلى العنف وهاجموا محلات بيع الخمر وكسروا مات الزجاجات، والقت الشرطة القبض على العشرات من المحتجين. وصدر الحكم بسنة سجنا على متزعمي الحركة الاحتجاجية محمد حصار وأحمد معنينو. (63)

وجعلت كتلة العمل الوطني من محاربة الخمور جزءا من برنامجها السياسي، ونظمت حملة من الاحتجاج في مدن الرباط – سلا وفاس ومراكش ووجدة والدار البيضاء اضطرت معها الإدارة الفرنسية إلى التراجع عن التشجيع السافر لتعاطي الخمور، وفي يوم 5مايو 1937صدر قرار وزاراي يمنع بيع النبيذ للمغاربة المسلمين.

إلا أن القرار بقي حبرا على ورق لأن السماح للنصارى واليهود باقتناء الخمور لا يمكن أن يمنع المسلم من الحصول عليها. والأهم من ذلك هو أن المستعمرين لم يفكروا لحظة واحدة في التخلي عن تجارة تدر عليهم الأرباح، وليس من مصلحتهم ترك الشباب الذي يهدد وجودهم سليم العقل والجسد، ولذلك تمادوا في تشجيع الاستهلاك، ويتضح هذا في الزيادة الكبيرة لحجم الإنتاج وبالخصوص في السنوات التي اشتدت فيها المقاومة المسلحة من أجل الاستقلال الوطني، والإحصائية التالية لا تحتاج إلى تعليق: (64)

السنة	كمية الإنتاج	الاستهلاك المحلي :
1952	700.000 هيكتوليتر	حوالي 600.000 هكت
1953	1.200.000 هك	
1954	1.900.000 هك	

62 - Le Soir marocain, Casablanca, 30 Mai 1935.
63 - الوزاني، مذكرات، م.س. ج4، 1985ص52.
64 - Albert Ayache, Le Maroc, Bilan d'une colonisation, Paris 1956, P. 159

وشن المقاومون هجومات على الحانات في الأحياء الأوربية، وأحرقوا بعض الأماكن التي تعرضها للبيع وأطلقوا النار على باعتها وفي بعض الجهات خربوا المعاصر، ومن سخرية الزمان أن بعض الوطنيين الذين كانوا يتباكون على الدين والأخلاق سيطروا بعد الاستقلال، على معامل الخمور وأصبحوا من كبار المتاجرين فيها، ويمارسون سياسة التسكير وتخدير عقول الشباب المطالب بحقه في العيش الكريم. (65)

الحشيش والمخدرات

لم يتكلم العرب المتقدمون في شأن مخدر الحشيش لأنه شاع فقط بعد غزو التتر بقيادة جينكز خان (1167-1227م).

وبالمغرب فإن الأعشاب المخدرة ظهرت في حكم السلطان المنصور السعدي (1578-1603) وكان مصدرها إفريقيا (66) وتعرف باسم "الكيف" ويعني في اللهجة المغربية الراحة. وكان الفلاحون يعالجون به الحيوانات المريضة من فصيلة البغال والحمير، إذ يخلطون أوراقه بعلف البهائم المصابة بتقرحات جلدية، وأكدت التجربة فعاليته في بعض الأمراض.

والكيف أو القنب يعتبر من أقدم المخدرات ويتشكل من نوع واحد بقطع النظر عن تعدد أسماءه بتعدد البلدان التي تنتجه. إلا أن خصائص تكوينه تتغير من مكان إلى آخر تحت تأثير الطقس، وطبيعة الأرض. ولا يستهدف المتعاطون له بشكل مشابه لنفس الأخطار العاجلة التي يتعرض لها مستهلكو الأفيون ومشتقاته، لكن الإدمان عليه يؤدي قطعا إلى حالة تسمم وإلى ردود فعل عدوانية منافية للعلاقات الإنسانية.

ومن أوراق القنب أي الكيف يتم استخراج مادة لزجة تسمى "الشيرة" ويستلزم إعداد كيلو من "الشيرة" استخدام ما بين ثمانين ومائة كيلو من الكيف الأخضر، ويخضع لعملية سحق ناعم وغربلة دقيقة ثم يوضع المسحوق في قالب مربع مشدود من جوانبه بواسطة دواليب حديدية ويوضع فوق نار هادئة للتسخين إلى أن تطفو فوقه الزيت الموجودة به، وحينما يبرد يصبح عبارة عن لوحة من العجين الأخضر اليابس وهو ما يعرف باسم "الشيرة" ويتم تغليفه بالورق على شكل قطعة شوكولاتة جاهزة للاستهلاك إما عن طريق التدخين أو بالتذويب في المشروبات.

ويعمد المتاجرون في المخدرات إلى خلطها بأعشاب أخرى وبالحناء،

---

65 - بلغ استهلاك المغاربة من الخمور الحمراء والبيضاء عام 1985أكثر من 500.000 هكتوليتر ومن البيرة مليون ومائتي ألف هكتوليتر. مكتب التسويق والتصدير، النشرة الإعلامية رقم 19.

66 - الاستقصا ج 9 ص 193-199

ولاكتشاف الغش تشعل النار في قطعة صغيرة، فإذا انبعث منها زيت لزج فهي حقيقية، وإذا اشتعلت فيها النار مثل الشمعة فهي مغشوشة.

وفي حشيش "الكيف" نوع يسمونه "المتوسط" ونوع ثالث "الحزمة" وهو رخيص ويستعمله الفقراء في التدخين وفي تحضير المعجون والحلويات حيث يخلطون مسحوقه بالدقيق والسكر والدهون ويسمون قطعة الحلوى "غريبة" وتباع علانية في بعض المخابز. وتضاف مثل التوابل إلى بعض أنواع الطبخ وخاصة "الطنجية".

وتشتهر عدة جهات في شمال المغرب مثل كتامة وغمارة والقصر الكبير ومناطق في الحوز بالجنوب وغيرها بصناعة (الكيف) إبتداء من الزراعة والجمع والتجفيف والتصنيف تم التسويق وتمثل موردا أساسيا لعيش الاف العائلات ومصدر الأرباح الضخمة لكبار تجار المخدرات.

وكانت الحكومة المغربية تحارب الحشيش والتبغ في نفس الوقت، وفي سنة 1799م أصدر السلطان مولاي سليمان تعليماته إلى الولاة بقطع أغراس التبغ والكيف وإحراقها في كل جهة توجد بها.(67)

وطلب السلطان مولاي الحسن (1873-1894م) رأي رجال الدين فيما سماه **"الأعشاب المرقدة والمفسدة"** (68) والواضح أن تلك الأعشاب كانت منتشرة حتى وسط الفقهاء، وهذا ما جاء في نصيحة أحدهم للسلطان مطالبا إياه بأن **"يكتب إلى قضاته ويأمرهم بتفقد الشهود وأئمة المساجد، فمن عثروا عليه يستعمل شيئا من تلك الخبائث أسقطوا شهادته وحظروا إمامته".**(69)

وبالفعل طلب السلطان من الولاة أن يمنعوا الناس من **"زرعها وادخارها أو التجارة فيها بوجه من الوجوه"**(70)

وهذا ما يقصده الفاسي وهو يتحدث عن انتشار الحشيش في مراكز يتجمع فيها المجاذيب والبلهاء مثل هداوة حول **"سيدي هدي"** وبمدفن **"سيدي أحمد الدغوغي"** وفي **"دار الحشيش"** بزرهون وغيرها.(71)

ونجد في البند الثاني من الاتفاقية المغربية الإنجليزية لسنة 1856 تأكيدا على أن تلك الأعشاب وغيرها تعد من جملة الممنوعات دخولا وخروجا. إلا أن الإنجليز تحايلوا على نص الاتفاقية وأعطوا لأنفسهم الحق في استيراد ما يحتاجون إليه في استهلاكهم الشخصي. غير أنهم تجاوزوا المقدار المتفق عليه وتاجروا في المخدرات على نطاق واسع كما فعلوا مع الخمور.(72)

وجاءت معاهدة الجزيرة المفروضة على المغرب سنة 1906 لتخصص

67 - تاريخ الضعيف، م.س. ج 2ص586.
68 - الاستقصا ج9. ص192.
69 - ن.م. ص198.
70 - ن.م.
71 - الفاسي، النقد الذاتي، ص315.
72 - الاستقصا ج 9ص197.

عدة فصول لمسألة الاتجار في المخدرات. ونص الفصل 72 على بقاء الأفيون والكيف موضوع احتكار لفائدة الحكومة المغربية. وهكذا فرضوا على السلطان مبدا الاتجار في مادة هم مستوردوها والمتفوقون فيها. وفي سنة 1912 بعد فرض الحماية على البلاد احتكرت شركتان فرنسية في الجنوب واسبانية في الشمال الاتجار في التبغ ومراقبة الكيف والاستفادة منهما ماديا. فالشركتان المحتكرتان للتبغ تحاربان المزاحمة بتعاون مع الشرطة، وعندما يتم اكتشاف تجار المخدرات تفرض عليهم غرامة مالية يؤدونها لشركة التبغ، وإذا لم يجدوا ما يؤدون به الغرامة يتمتعون بأجل معين بهدف جمع الغرامة المفروضة عليهم وذلك بمواصلة الاتجار في بيع المخدر للسكان.(73)

وإذا كان المستعمرون قد وجدوا المخدرات أمامهم، فقد عملوا على تطويرها وتوسيع قنواتها وأصبحت مرادفا للحرب الاستعمارية. فأثناء معركة الاستقلال في الخمسينات كان زاد المقاوم المغربي هو الإيمان بعدالة قضية الحرية التي يكافح من أجلها، في حين أن جزءا من مؤونة الجندي الفرنسي والاسباني كان يتكون من المخدرات التي تنسيه مؤقتا الخوف وانعدام الرغبة في الحرب وهو يعرف أنه يدافع عن قضية استعمارية ظالمة.

وتمكن المستعمرون من تجنيد باعة الحشيش لالتقاط المعلومات عن حركة المقاومة، وبفعل المخدرات التي اتخذت حجما خطيرا، تحولت فيئة من الشباب التائه إلى بيادق تلعب دور الطابور الخامس في تنفيذ مخططات الإستعمار. وقام المقاومون بتوجيه ضرباتهم إلى شبكة المتاجرين بالمخدرات من أجل حماية الثقافة الروحية للشعب.

مقاطعة التدخين والبضائع الفرنسية

كانت عشبة التبغ معروفة بالمغرب منذ القرن السادس عشر، تستخدم دواء للحمى والأوجاع وضمادة للكسور، وللإستنشاق والتدخين.

واختلف الفقهاء بشأن التبغ، فالذين أحلوه كانوا مولعين بتدخينه، والذين حرموه انطلقوا من كون الدخان يمثل مرضا بمجرد دخوله إلى جسم الإنسان.(74)

وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب الاستعمارية الفرنسية تدور في الشاوية بضواحي الدار البيضاء، كانت الشركة الفرنسية سنة 1910 تحتكر بطنجة إنتاج وبيع التبغ. وبلغ ما أنتجته عام 1915 ما يفوق خمسمائة وأربعين ألف كيلو غرام (75) واتسعت مجالات الغرس في الشاوية والغرب وبركان،

73 - الفاسي، النقد الذاتي، ص316.

74 - محمد حجي، الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، الرباط 1977 ج1 تناول الموضوع بتوسع.

75 - Bulletin économique et social du Maroc, volume XIV, No 49, 1951, P169.

وبدأ المعمرون في تجربة إنتاج التبغ سنة 1918. وبلغ خمسين طنا عام 1931 وارتفع إلى 450طنا سنة 1940ووصل إلى 1750طنا عام 1950. واتسعت المساحات المغروسة بشكل تصاعدي على النحو التالي :

السنة	عدد الهكتارات
1936	650
1943	1050
1948	2010
1950	1990

وبلغ الإنتاج عام 1939ما يزيد على مليون وثمانمائة ألف كيلو، وقفزت المبيعات سنة 1950 إلى 3.200.000 كيلو أي بزيادة 72٪.(76)

وشهدت سنة 1933قيام مظاهرات ضد التدخين واحتجاجا على الاستغلال الذي تمارسه شركة التبغ. ففي شهر سبتمبر 1933شرعت الشرطة الفرنسية في نقل مقرها من طنجة إلى الدار البيضاء، وأقدمت على طرد 350 عاملا مما أدى بالعمال إلى الاعتصام داخل المصنع وتدخلت الشرطة لإخراجهم وسقط عدد من الجرحى وألقي القبض على العشرات. وفي يوم 14 سبتمبر نظم العمال مظاهرة حاشدة وتضامن معهم السكان وأغلقت المتاجر أبوابها.

وفي نوفمبر من نفس السنة أعلن الوطنيون بفاس تضامنهم مع عمال طنجة المطرودين، ودعوا إلى مقاطعة التدخين وألقت الشرطة القبض على بنمسعود وحكم عليه بسنة سجنا بتهمة التحريض على مقاطعة التدخين، وتضامن معه الشباب الذين نزلوا إلى شوارع المدينة في مظاهرة صاخبة، وتدخلت قوات القمع واعتقلت العشرات وصدرت أحكام على 87 منهم بشهر سجنا.(77)

وانتشرت دكاكين بيع السجائر عبر التراب الوطني. ففي سنة 1931كان عددها 1581. وارتفع في عام 1949إلى 2856 دكانا،أي بزيادة 61 ٪ وبلغ عدد الدكاكين في الدار البيضاء وحدها 467 . وكانت رخصة البيع تعطى للجواسيس وقدماء المحاربين في الجيش الفرنسي وإلى بعض الفرنسيين في سن التقاعد.(78)

وكان الأطفال المغاربة المشردون يجمعون أعقاب السجائر أمام قاعات السينما والمقاهي التي يرتادها الأوربيون، ويجعلونها تبغا قابلا للتدخين ويبيعونه للفقراء الذين يلفونه في ورق خفيف ويدخنونه.

76 - Ibid, P.170.

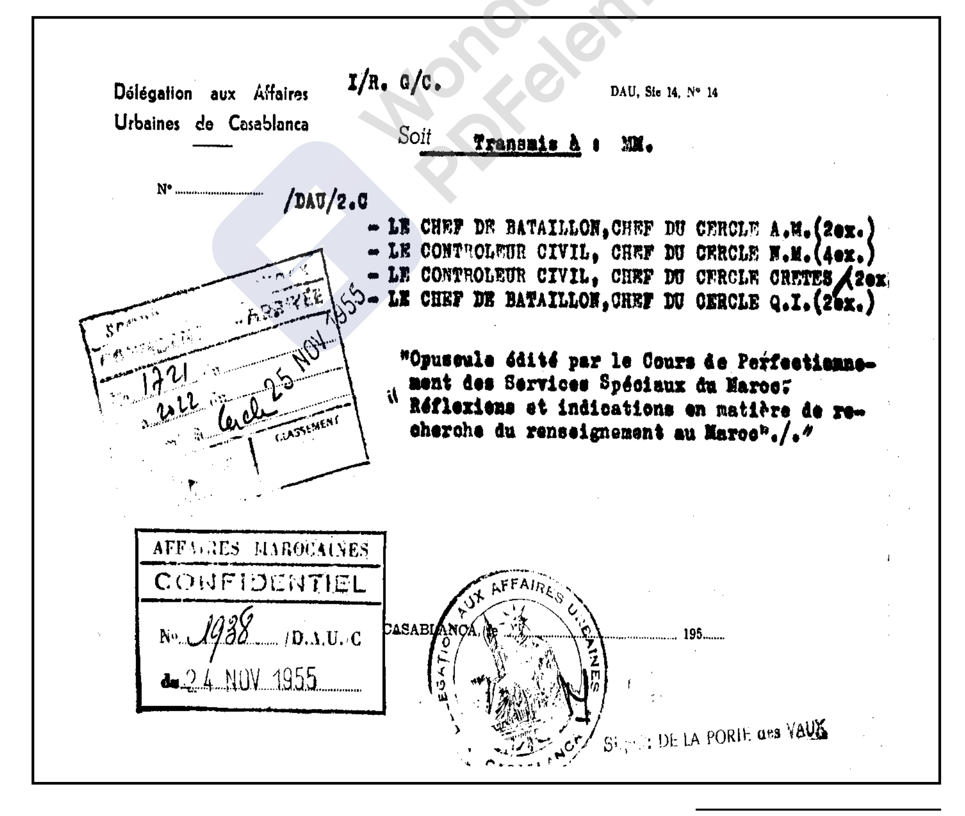
77 - Georges Oved, la gauche française et le nationalisme marocain 1905-1955 Paris, 1984, T.II, P.375.

78 - Bulletin économique, Op. Cit.P.172.

ولما اندلعت المقاومة المسلحة في الخمسينات جعلت التبغ في مقدمة البضائع الممنوعة. فقامت السلطة الفرنسية بتسليح الباعة بدعوى الدفاع عن النفس. وشارك بعضهم في إطلاق النار على الفدائيين في الدار البيضاء والرباط. ووجهت المقاومة سلاحها إليهم باعتبارهم عملاء للاستعمار، وقتلت عددا كبيرا منهم. وأحرقت متاجرهم وتقلصت المساحة المزروعة إلى 350 هكتار فقط. (79)

وفي 4-12-1954 وزعت مصلحة الشؤون الحضرية بالدار البيضاء على المراقبين المدنيين الفرنسيين بحثا أعده هنري سكيت Henry Saçquet حول مقاطعة البضائع الفرنسية من طرف المغاربة. ومما جاء فيه أن صناعة التبغ سجلت انخفاضا بلغ 55 ٪ على مستوى الإنتاج وما بين 25 و30 ٪ على مستوى الاستهلاك. وذهبت بعض الصحف إلى تقدير نسبة الانخفاض من استهلاك السجائر إلى 65٪.

وقد تزامنت الدعوة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية مع الإضرابات العمالية. واعترف صاحب البحث أن استيراد البطاطا من فرنسا توقف في سبتمبر 1954. وأن سوق القطنيات تأثر بفعل المقاطعة، وقدر الانخفاض في



Délégation aux Affaires Urbaines de Casablanca

I/R. G/C.

DAU, Sie 14, N° 14

N° .... /DAU/2.C

Soit Transmis à : MM.

- LE CHEF DE BATAILLON, CHEF DU CERCLE A.M. (2ex.)
- LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU CERCLE N.M. (4ex.)
- LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU CERCLE CRETES (2ex.)
- LE CHEF DE BATAILLON, CHEF DU CERCLE Q.I. (2ex.)

"Opuscule édité par le Cours de Perfectionnement des Services Spéciaux du Maroc: "Réflexions et indications en matière de recherche du renseignement au Maroc"./."

ARRIVÉE 25 NOV 1955
1721
2122
CLASSEMENT

AFFAIRES MAROCAINES
CONFIDENTIEL
N° 1938 /D.A.U.C
du 24 NOV 1955

CASABLANCA, le .... 195....

DÉLÉGATION AUX AFFAIRES URBAINES

DE LA PORTE des VAUX

Le coz, Le Rharb, Op. Cit. P.560. - 79

النصف الأول من السنة المذكورة بـ 750مليون فـرنك فرنسي بالمقارنة مع عام 1953.

ومست المقاطعة بشكل حاد صناعة الأحذية واضطرت بعض المعامل إلى التوقف عن الإنتاج. وحل مكان الأحذية الفرنسية التي شملت المقاطعة نشاطها، أحذية مستوردة عن طريق التهريب من شمال البلاد الخاضع للسيطرة الإسبانية.

وسجلت الزيوت الصناعية نقصا في الاستهلاك لفائدة زيت الزيتون التي تنتجها المطاحن التقليدية المغربية.

وانخفضت حركة القطارات من عشرة في اليوم إلى ثلاث فقط، في حين أن الحركة الطرقية تقلصت من خمسين شاحنة إلى ثلاثين في اليوم.

الفصل السابع

ضربات نموذجية للنيل من معنوية العدو

أوردت إحصائية صادرة عن الإقامة الفرنسية أرقاما عن أعمال العنف التي وقعت في الفترة الممتدة ما بين غشت 1953وغشت 1956. إلا أنها لم تشمل ضحايا المظاهرات الشعبية بالمدن والمعارك التي خاضها جيش التحرير في الجبال بالشمال وفي الصحراء الغربية بالجنوب. لذلك تبقى الإحصائية نسبية لا تمثل الحقيقة كاملة مع التنبيه إلى أن أغلب القتلى المغاربة الواردين فيها كانوا عملاء للاستعمار.(1)

	القتلى	الجرحى	عدد الانفجارات	الحرائق	أعمال التخريب
المغاربة	761	1.409	1.168	3.272	1.407
الفرنسيون	159	598			
المجموع	920	2.007			

وفي إحصائية جزئية تهم الدار البيضاء وحدها تم تسجيلها من طرف مصالح الشرطة سنة 1955ورد ما يلي :

الهجوم بالسلاح الناري:............ 571
انفجار القنابل:..................... 463
الهجوم بالسلاح الأبيض:........... 121
عمليات التخريب:................. 44
القذف بالحجارة:.................. 122
المجموع:......................... 1321

وخلفت تلك الأحداث 323قتيلا مغربيا وأوربيا و 688جريحا.(2)

وتشير إحصائية أخرى شبه رسمية إلى وقوع أكثر من ستة آلاف هجوم من سبتمبر 1953إلى غشت 1954خلفت 760قتيلا من ضمنهم 103أوربيون وأكثر من ألفي جريح يوجد من بينهم 460أوربيا.(3)

ونستعرض في هذا الفصل هجومات منتقاة حسب الترتيب الزمني أحدثت تأثير نفسيا وسياسيا في نفوس المستعمرين وعملائهم ورفعت معنوية الجماهير.

1 - S.Bernard, Le conflit, Op. Cit. T3, P.256.
2 - Maroc presse 3-2-1956.
3 - محمد العربي الخطابي، المغرب في طريق الاستقلال، الدار البيضاء 1956، ص90.

23 غشت 1953 انقلاب القطـــار

في يوم 23غشت 1953على الساعة التاسعة والنصف ليلا زاغ القطار عن سكته نتيجة لعمل تخريبي في الكيلومتر 132بمدينة القنيطرة، وانقلبت القاطرة مع عشر عربات وقتل السائق الفرنسي ومساعده المغربي وأصيب عشرة مسافرين بجراح وقدرت الخسائر بمائتي مليون فرنك.(4)

ولتهدئة روع المعمرين في تلك المنطقة الفلاحية الخصبة، أذاعت الشرطة يوم 26غشت خبر إلقاء القبض على الفاعلين، وتم تقديمهم للمحاكمة يوم 23 مارس 1954، وقدم المحامي شارل لوغران حججا للمحكمة تبطل الاتهامات الموجهة لثمانية أشخاص اعترفوا بما نسب إليهم تحت التعذيب. وفي 9يوليوز برأتهم المحكمة بعد إلقاء القبض على مدبري العملية وكانوا عمالا شباب يشتغلون رصاصين في القاعدة الجوية الأمريكية.(5)

وصدرت في حقهم الأحكام التالية :

محمد الصفراوي : السجن المؤبد، بوعبيد محسن امحمد : 20سنة مع الأشغال الشاقة. وبعشر سنوات على البناي بوشعيب وبثماني سنوات على كل من ميلود الموساوي بن عمر، خيرات إبراهيم، بن الكبير خلاف.

وتأكد من الاعترافات التي أدلى بها المقاومون أن الاعتداء على السيادة المغربية بنفي الملك وأسرته يوم 20غشت حرك ضمائرهم وأملى عليهم ضرورة القيام بالعمل المباشر.

7 نونبر 1953 انفجاران في القطار السريع

بعد سقوط عدد من الجواسيس والمقدمين برصاص الفدائيين، قرر الزرقطوني ورفاقه توجيه ضربة قوية إلى السلطة الاستعمارية في مكان ملائم لا يؤمه إلى المستوطنون الفرنسيون، واختاروا كهدف القطار السريع الرابط بين الدار البيضاء والجزائر الذي يمتطيه الضباط وكبار الموظفين الفرنسيين.

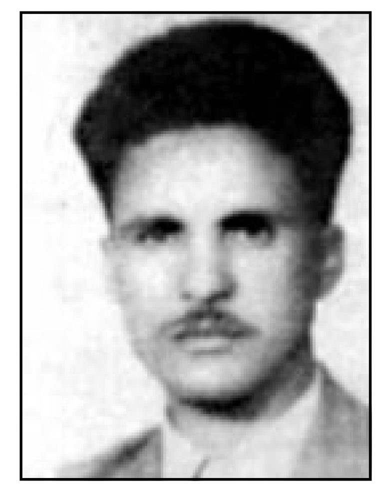
وقد ركب محمد منصور في الدرجة الأولى واتخذ محمد السكوري مكانا له في الدرجة الثانية، وكان كل منهما يحمل حقيبة سفر عادية وبداخلها قنبلة من صنع محلي مليئة بالمتفجرات وقطع الحديد ومرتبطة بفتيلتين يطل رأسهما تحت مقبض الحقيبة. ولما وصل القطار إلى محطة الرباط اتجه المقاومان إلى المراحض واشعل كل واحد الفتيلة ثم غادرا المحطة لامتطاء سيارة يقودها سعيد بونعيلات للعودة إلى الدار البيضاء.

4 - Le petit marocain 25-8-1953.

5 - السعادة 10يوليوز 1954.



● محمد السكوري



● سعيد بونعيلات

وكان من المفترض أن تنفجر الحقيبتان عندما يتوغل القطار في النفق المؤدي إلى مدينة سلا أو على أبعد تقدير لدى مروره فوق قنطرة أبي رقراق. لكن الانفجارين حدثا بعيدا عن المكانين المفترضين لأن نوع الفتيلة وطولها ومدى سرعة احتراقها هي المتحكمة في نهاية الأمر في التفجير.

وأسفر الانفجاران مساء يوم السبت 7 نوفمبر 1953 على 11 قتيلا و 15 جريحا وتحطمت ثلاث عربات وقدرت الخسائر بمائة مليون فرنك، وكان من بين القتلى مغربي واحد والباقون فرنسيون. (6)

وأدت عقدة التعالي بمحلل فرنسي إلى الإدعاء بأن المغاربة استقوا عملهم من تجربة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي حيث تنفجر قنبلة خفيفة وتثير الذعر ويتجمع كثير من الناس لتنفجر الثانية، وهي الأقوى، لتحصد عددا أكبر من الأعداء أي الجنود الألمان المتنقلين على متن القطار. (7)

واتضح خطأ هذا الاستنتاج وعدم صحة التحليل أثناء محاكمة المقاومين الذين يفتقرون للتجربة ولا يملكون المعرفة بالشؤون العسكرية ولم تكن لهم أية علاقة بجهة أجنبية واعتمدوا على اجتهادات شخصية. أما لماذا وضعوا القنبلتين في المرحاض، فإن الداعي إلى ذلك هو كون الحبل المفتول (بيكفورد) ينبعث منه الدخان عند الاشتعال ويحدث دويا مسموعا من شأنه إثارة انتباه المسافرين. (8)

وكان للانفجارين وقع بسيكولوجي كبير وسط الجالية الفرنسية التي أصبحت مقتنعة بأن المقاومة قادرة على تكدير أمنها وعيشها في كل مكان.

6 - Le Petit marocain 8-11-1953.

7 - La Vigie marocaine 11-11-1953.

8 - توضيح محمد منصور. أما Bickford فهو اسم مخترع حبل يتكون من مادة حارقة تستعمل في إشعال المتفجرات.

24 دجنبر 1953 دماء سالت في عيد المسيح

جرت مشاورات بين قادة المقاومة البارزين حول القيام بتفجير قنابل لتعكير صفو الفرنسيين بمناسبة احتفالات عيد ميلاد المسيح، وتم اختيار البريد المركزي ومكتب الطرود البريدية في شارع باريس والسوق المركزي كأهداف للعمليات وشكلت مسألة تعرض المدنيين للخطر محور المناقشات.(9)

واستحضر الجميع الاعتداء الذي اقترفه المستعمرون في حق الشعب قاطبة ليلة عيد الأضحى بنفي الملك الشرعي وإطلاق النار على المتظاهرين العزل، وبرروا موقفهم بالاستناد إلى الآية : **"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين".**(10)

وهكذا رجعوا إلى التعاليم الإسلامية المنظمة للحرب واتخذوا قرارا جماعيا، حسب فهمهم، بدون عقدة ذنب رغم الخطورة التي مثلها على الأبرياء المدنيين بلا تمييز بين الفرنسيين والمغاربة.

وتمكنت الشرطة من إبطال مفعول قنبلتين وضع إحداهن عبد القادر عسو في مكتب الطرود البريدية والثانية تركها بوشعيب الغندور مشتعلة في البريد المركزي، والمقاومان معا كانت تبحث عنهما أجهزة الأمن لقيامهما بهجومات مسلحة في الرباط والدار البيضاء.

أما القنبلة الثالثة فقد وضعها محمد بن موسى رضا بالقرب من متجر جزار فرنسي شهير داخل السوق المركزي بعد أن أوصله الزرقطوني وعبد الله الزناكي على متن سيارة إلى عين المكان.

والسبب في عدم اكتشاف القنبلة كما وقع لأخوتيها يرجع إلى كونها وُضِعت في مجرى هوائي بدد الدخان المتصاعد منها دون أن ينتبه إليه أحد.(11)

وخلف الانفجار على الساعة الحادية عشرة من صباح يوم 24دجنبر 1953 مقتل 13 فرنسيا و 5 مغاربة وجرح 38 فرنسيا و 4 مغاربة.

ووزعت المقاومة منشورا باللغة الفرنسية حملت فيه المسؤولية للسياسة العدوانية الاستعمارية، وكانت رسالة المقاومة تقول بالواضح : **"فصاعدا ستبكي النساء الفرنسيات. ولن تبقى أمهات المغاربة يبكين وحدهن".**

9 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش يوم 14-4-1988.

10 - البقرة 192/2.

11 - حديث محمد منصور في :

Le Mémorial du Maroc, collection dirigée par Larbi ESSAKALI, volume 7, 1953-1983, P.29.

19 فبراير 1954 إصابة الباشا الجلاوي بجراح

حينما تم تأسيس جماعة قوية في مراكش برآسة حمان الفطواكي، إتفق الطالبان الفقيه البصري وعبد السلام الجبلي مع الزرقطوني على عدم القيام بأي عمل في عاصمة الجنوب إلا بعد القضاء على الباشا الجلاوي الذي يحكمها منذ عام 1912.

وعلى بعد عشرين مترا من قصر الباشا كان الأستاذ الحسين البزيوي يسكن في بيت صغير في المكان المعروف بـ "الرميلة" وهناك وضع عمر الساحلي وعبد السلام الجبلي وحمان الفطواكي خطة الهجوم الذي اختاروا لتنفيذه مسجد الكتبية لأن الخونة وأعداء الجماهير يذهبون يوم الجمعة إلى المسجد ويتظاهرون بإيمان كاذب لتضليل الناس.

وفي يوم الجمعة 5 فبراير 1954 جلس وسط المصلين بالمسجد حمان الفطواكي، أحمد أقلا، علال بن أحمد، محمد بن العربي القهواجي، لحسن الروداني، علي رضوان، محمد رضوان. وكلهم على استعداد لإلقاء قنابلهم اليدوية، غير أن الشخص المكلف بإعطاء الإشارة المتفق عليها إذا كان الباشا حاضرا أعطى عكسها أي أنه أشار إلى تغيب الباشا مع أنه كان حاضرا ومعه الفقيه عبد الحي الكتاني والعديد من القياد والموظفين من عملاء الاستعمار.

وقيل أن الأستاذ الحسين البزيوي تلقى الخبر مغلوطا من عمر بن الحسن وفشل الهجوم بسبب تقاعس الشخصين معا، وفسرها آخرون بالخوف الذي اعترى المكلفين بإعطاء الإشارة.(12)

وفي يوم الجمعة 12-2-1954 تخلف الباشا عن الصلاة وانتظر المقاومون يوم الجمعة 19-2-1954 وحضر الفطواكي مع أصدقائه وألقى بقنبلة يدوية في اتجاه المكان الذي جلس فيه الباشا وكذلك فعل بلعربي القهواجي وعلال بن أحمد ولم يتمكن رضوان محمد والداودي محمد من إلقاء قنبلتيهما.

وأسفرت الإنفجارات عن مقتل شخصين وجرح 28، وإصابة الباشا بجراح طفيفية (13) وكان أول من هنأه على نجاته جورج بيدو (1899-1983) وزير خارجية فرنسا الذي لم يستوعب إلا الغث من دروس التاريخ وأعماه ما تلقاه على يد اليسوعيين الأشد رجعية عن رؤية حق الآخرين في الكفاح من أجل الحرية.

وحذا حذوه رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشيرشيل (1874-1965) الذي كان يقضي عطلته بمراكش متجولا بأسواقها وفي يده اليمنى ريشة الرسام وفي اليسرى زجاجة الويسكي.

واتضح للرأي العام الداخلي والخارجي أن أسطورة الباشا القوي تبخرت وأنه غير قادر على حماية نفسه وبالأحرى حماية الفرنسيين من ضربات المقاومين.

12 - عمر الساحلي، جريدة "المحرر" 15-10-1978.

13 - Le Petit marocain 20-2-1954.

5 مارس 1954

الهجوم الثاني على السلطان عصف بسمعة فرنسا

مرت ستة أشهر على نجاة السلطان من خنجر علال بن عبد الله في الرباط، واعتقدت الإدارة الفرنسية أن الوقت قد حان لتقديمه في حلة جديدة إلى **"شعبه الوفي"**.

وفي يوم الجمعة 5مارس 1954كان مسجد بريمة بمراكش عبارة عن ثكنة عسكرية خوفا من تكرار ما حصل في مسجد أهل فاس بالرباط. ودخل "أمير المؤمنين" إلى المقصورة وهي بيت خشبي معزول عن المصلين خاص بالسلطان. وكان أول من اتخذ المقصورة هو معاوية بن أبي سفيان (603-680م) بعد أن تلقى طعنة من أحد المعارضين لحكمه.(14)

ولم يستخلص الساهرون على الأمن الدروس من إلهجوم على الباشا في مسجد الكتبية. وتمكن أربعة مقاومين : احمد بن علي اقلا، الحسن بن محمد الروداني، محمد بن العربي القهواجي، وعلي رضوان من الدخول إلى المسجد، وأمرهم الفطواكي بأن يلقوا القنابل أثناء الوقوف للشروع في الصلاة. فجاء الحراس وابعدوا المصلين عن المقصورة، غير أن أقلا بقي في مكانه لأن مظهره بهندام جميل كان يوحي بأنه من أبناء الأعيان. وكان الوحيد الذي ألقى قنبلته وأصابت شظاياها السلطان ونشرت الصحف العالمية صورة وجهه الملطخ بالدماء.

أما بقية المقاومين الذين أرغموا على الجلوس بعيدا فقد أخفوا قنابلهم تحت الحصير(15)، وأعطى الحراس الأمر للمصلين بالمكوث في أماكنهم إلا أن أقلا غير مكان جلوسه فأخبر جاره الحراس الذين القوا عليه القبض وفي غفلة منهم ابتلع قرص السم، وما أن أخرجوه إلى الساحة المحيطة بالمسجد حتى كان فاقدا للوعي، وما كان من الباشا إلا أن أطلق عليه رصاصتين لإخفاء فشله في حماية السلطان من ضربات المقاومة.



● محمد بن عرفة

وازداد الشهيد أحمد أقلا عام 1921 في قبيلة تالسونت بمسفيوة على بعد أربعين كيلومترا من مراكش وكان يعمل سائق شاحنة، استقطبه عبد الكريم المسفيوي وكان

14 - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، طبعة بيروت ص476.

15- Le Petit marocain 8-3-1954.

طالبا في كلية بن يوسف وربط له الاتصال بعبد السلام الجبلي الذي ضمه إلى جماعة الفطواكي.(16)
وجاء في تقرير للشرطة أنه تم العثور على غطاء القنبلة المنفجرة على بعد حوالي اثنتي عشر مترا من المقصورة(17) والقنابل التي لم تنفجر من نوع إيطالي قديم في شكل علبة قطرها ستة سنتيمترات وعلوها ثمانية عشر سنتيمترا وهي متشابهة مع التي انفجرت في مسجد الكتبية.(18)
وعثر أعوان البوليس على قنبلة ملفوفة في منديل وأغلقوا أبواب المسجد وبداخله حوالي ألف مصلي، وجلبوا كلبا مدربا وعرضوا عليه المنديل إلا أنه لم يستطع الكشف عن صاحبه، وقال المختصون أن حاسة الشم عند الكلب صعبة لأنه قدم من فرنسا ويشعر بالغربة **"ولم يتعود على رائحة المغاربة".**(19)
ودام فحص هوية المصلين إلى آخر الليل، وأدلى باقي المقاومين ببطاقة تعريفهم وذهبوا إلى بيوتهم واعتقل البوليس سبعين شخصا لا يتوفرون على أوراق التعريف وأغلبهم جاؤوا من ضاحية المدينة.
وكان الهجوم فضيحة أخرى عرت السياسة الاستعمارية وانتصارا كبيرا للمقاومة، واضطرت الحكومة الفرنسية للبحث عن الحل السياسي البديل.
أما السلطان فقد رفض الخروج من قصره منذ ذلك اليوم من شدة الخوف، ولم يغادره قط إلى أن عزلته الإدارة الفرنسية ونقلته إلى مدينة نيس حيث توفي عام 1976.

28 مارس 1954 المقاومة تضرب في أقصى الجنوب

في الوقت الذي كانت فيه الهجومات المسلحة مقتصرة على مدن وجدة وفاس والدار البيضاء والرباط ومراكش، قررت قيادة المقاومة توسيع العمل إلى الجنوب مثل اكادير وتارودانت وتيزنيت، والتحق عبد السلام الجبلي بمدينة أكادير وبمساعدة بعض أبناء المنطقة من العمال المهاجرين الذين عادوا إلى المغرب للمشاركة في الكفاح المسلح، تأسست خلية فدائية قامت بتصفية بعض الخونة. وفي يوم 28مارس 1954قاد عبد السلام الجبلي هجوما بالقنابل اليدوية على المنصة الرسمية في ملعب سباق الخيل بأكادير، ولم تنفجر إلا واحدة نتج عنها

16 - يقول المهدي بنونة في "السنوات الحرجة" م.س. ص 259أن المقاوم الذي ألقى القنبلة ظل غير معروف رغم صورته وهويته المنشورة في الصحف الفرنسية لليوم الموالي لاستشهاده.
Le Petit marocain 7-3-1954. -17
Ibid, -18
Ibid, -19

مقتل شخص وإصابة عشرين بجراح كان من ضمنهم باشا المدينة المدني بنحيون وعدد من الضباط الفرنسيين.
وكانت تلك العملية تمهيدا لفتح جبهة نضالية جديدة في اتجاه الصحراء الغربية.

15 ماي 1954 اغتيال وكيل الدولة

سلط وكيل الدولة موريس موني طيلة سبع سنوات ونصف القمع الشديد على الوطنيين بمدينة مراكش وأصدر أحكاما قاسية على الفدائيين وشارك في التحضير لمؤامرة 20غشت.
وأقدمت خلية الفطواكي على تصفيته جسديا تنفيذا لقرار المقاومة بتوجيه ضربات مميتة لكبار المسؤولين بهدف زعزعة الجالية الفرنسية وإرغامها على مطالبة حكومة باريس بجعل حد للعنف الشرس الذي يمارسه الاستعماريون المسيطرون على ثروات البلاد.
وفي يوم السبت 15مايو 1954 على الساعة التاسعة مساء تعطل مسدس علال بن أحمد وعبثا حاول إطلاق النار، وأسرع موريس موني بالدخول إلى مرأب السيارة محاولا إنزال الستار الحديدي إلا أن مبارك بن بوبكر الذي يقوم بحراسة علال انتبه إلى الأمر وجرى وراء وكيل الدولة وأطلق عليه خمس رصاصات من عيار 7,65م.م وأراده قتيلا. (20)
وقد تم تنفيذ هذه العملية في الحي الأوربي، وكان منزل وكيل الدولة يقع بين دائرة الشرطة ومقر الدرك ليس بعيدا عن مقبرة باب دكالة. وكان لموته وقع الصاعقة في الأوساط الإستعمارية خاصة وأنه قادم من الجزائر بعقلية المستعمرين "الأفارقة" وأبنه الجنرال كيوم في كنيسة مراكش بحضور كبار الضباط وموظفي الإقامة العامة ثم نقل جثمانه ليدفن بمدينة وهران مسقط رأسه.

24 ماي 1954 محاولة اغتيال المقيم العام

فشلت السياسة الاستعمارية وأصبح إحداث تغيير في الشكل ضروريا للحفاظ على جوهر الاستغلال والاحتلال، وقررت الحكومة الفرنسية استبدال المقيم العام الجنرال كيوم بآخر يكون قادرا على تطبيق أساليب الاستعمار الجديد.
وأثناء زيارة الوداع التي قام بها الجنرال كيوم لصديقه الباشا الجلاوي بمدينة مراكش، كان الاستقبال التقليدي بتقديم الحليب والتمر في باب النقب القريب من عرصة مولاي عبد السلام، وبعد ذلك تقدم موكب المقيم العام وسط حشود النساء وأطفال المدارس التي حشرها أعوان الباشا على طول الشارع، وحينما وصل إلى

20 - تقرير قاضي التحقيق انظر : La Vigie marocaine 5-11-1954.



● الجنرال كيوم

الحديقة الكائنة أمام قصر البلدية حدث انفجار قوي، وتناقلت الأوساط الصحفية أخبارا متضاربة، وادعت قصاصة لوكالة الأنباء أن قنبلة موقوتة انفجرت في قصر الباهية حيث ينزل المقيم العام، وأصدرت مصالح الشرطة بلاغا تقول فيه بأن قنبلة يدوية قوية المفعول ألقيت على مؤخرة الموكب الرسمي. (21)

وكان منفذ العملية هو مبارك بن بوبكر الذي انضم متأخرا إلى خلية الفطواكي وقام بعمليات جريئة، وعمل من قبل جنديا في الجيش الفرنسي وأصيب بجراح في حرب الفيتنام، وتم تسريحه من الجندية وقد عرفه بالفطواكي الحسن الروداني وكانا يعملان معا كسائقين للشاحنات في القاعدة الأمريكية في بن كرير بالقرب من مركش.

وبينما كان مبارك يحمل القنبلة ويقف في المكان المحدد له، اقترب منه الفطواكي وأومأ إليه برأسه أن ألق، فما كان منه إلا أن ألقاها فسقطت على مؤخرة الموكب واختفى وسط الجمهور الهارب في ذعر شديد. (22)

وقد أودى الانفجار بحياة جنديين فرنسيين وأصيب عشرة بجروح وجرح ستة مدنيين من بينهم طفل نشرت الصحف الاستعمارية صورته لتظهر المقاومة مجردة من الرحمة. وبعد ساعتين ألقى الجنرال كيوم خطاب الوداع في قصر الباهية وسكت عن الهجوم الذي استهدفه.

وكانت الضربة مؤلمة أذهلت المستعمرين لأنها لم تكن موجهة إلى شخص عاد وإنما كانت تستهدف جيش الاحتلال في شخص قائده العام وممثل الجمهورية الفرنسية بالمغرب.

20 يونيو 1954 — مصرع جنرال

جاء الجنرال هيبير دهوتفيل إلى المغرب في 4 مايو 1920. وساهم في قمع انتفاضات الفلاحين في المناطق الثائرة، وتجبر في الجهات التي حكمها ونظرا لمزاجه العدواني وطغيانه تم إرساله إلى مراكش ليتعاون مع الإقطاعي الباشا الجلاوي ويرأس المنطقة العسكرية. ونشب خلاف بين أعضاء خلية

---

21 - غلاب، تاريخ الحركة، م.س. ج 2ص 613 نقل الخبر المغلوط من منشورات مندوبية المقاومة ولم يطلع على ما نشرته الصحف الفرنسية ليوم 27-5-1954.

22 - مقابلة مع عمر بن لحسن بوبكري بمراكش يوم 3-8-1986.



● الجنرال دهوتفيل

الفطواكي إذ تحفظ بعض الأعضاء على تصفية الجنرال جسديا، بينما أصر آخرون على التخلص منه. وفي النهاية قرروا الاحتكام إلى القيادة فسافر الفطواكي إلى الدار البيضاء وعرض الخلاف على عبد السلام الجبلي الذي أعطى موافقته على قتله.(23)

وفي يوم الأحد 20يونيو 1954على الساعة التاسعة والنصف صباحا بينما كان الجنرال يسير على قدميه في ساحة جامع الفنا قاصدا كنيسة صغيرة إذا بعلال بن أحمد يطلق عليه رصاصة في ظهره، وفي تلك الأثناء انطلق محمد بن الجيلالي وهو تاجر يملك دكانا في نفس المكان يجري لإلقاء القبض على علال الذي تعثرت به دراجته الهوائية، واندفع بعض الرعاع يشاركون في مطاردته، فتدخل مبارك واطلق عليهم عيارات نارية وأصاب اثنين منهم بجراح وتمكن المقاومان من النجاة بأنفسهما. وصرح بن الجيلالي إلى الشرطة أنه يعرف "القاتل" بملامح الوجه ومستعد للمساهمة في اكتشافه. وحظي باستقبال خاص من المقيم العام فرانسيس لاكوسط الذي أتى لعيادة الجنرال المصاب، وهنأ التاجر على شجاعته ومنحه جائزة مالية بقيمة مائة ألف فرنك فرنسي. وبعد أسبوعين قتله المقاومون في سوق الخضر بتاريخ 7-7-1954 وكان عبرة لغيره من المتعاونين مع الاحتلال الأجنبي.

وعلى إثر هذا الحادث الذي أودى بعد حين بحياة الجنرال، عقدت حكومة مانديس فرانس (1907-1982) اجتماعا عاجلا قررت فيه اتخاذ تدابير أمنية مشددة لحماية أساطين الاستعمار في انتظار إيجاد حل سياسي للأزمة المغربية الفرنسية.

30 يونيو 1954

نهاية عمدة الصحافة الاستعمارية

كان الدكتور إيميل إيرو شخصية استعمارية متعصبة وحقودة على كل ما هو وطني. ولعب دورا خطيرا في نشر العنصرية وتحريض الجالية الفرنسية على المغاربة بواسطة يوميته المسائية "لافيجي ماروكان" وكان رئيسا لجامعة الهيئة الانتخابية الثالثة، وله نفوذ قوي في الدوائر الاستعمارية التجارية منها والإدارية.

وكانت المقاومة قررت إسقاط الرؤوس الاستعمارية الكبيرة في الدار البيضاء

23 - مقابلة مع امحمد السوسي المسعودي بمراكش في 3-8-1986.


● الدكتور إيرو

كما وقع في مراكش، ووضع الزرقطوني على رأس اللائحة الدكتور إيرو، إلا انه سافر إلى فرنسا وفي غضون ذلك وقع إلقاء القبض على الزرقطوني واستشهاده، وبادر رفاقه إلى تنفيذ وصيته وإفهام سلطات الاحتلال بأن موت أحد قادة "المنظمة السرية" لا يعني القضاء عليها.

وفي صباح يوم 30يونيو 1954 كان المقاومان إبراهيم فردوس وإدريس الحريزي يترقبان خروج إيرو من منزله في إقامة "ليوطي" القريبة من الخزينة العامة. واضطر المقاومان إلى تتبع خطواته بسبب مرور دورية للشرطة في ذلك المكان، وكان إيرو يقطع المسافة الفاصلة بين سكناه ومقر الجريدة على الأرجل، وحينما وصل إلى الممر المسقوف بشارع محمد الخامس أطلق عليه فردوس الرصاص فخرج الفرنسيون من متاجرهم لمطاردته، فأطلق عليهم إدريس النار، وتمكن فردوس من النجاة في حين ألقي القبض على رفيقه بعد أن استنفذ رصاص مسدسه.

وكان اغتيال إيرو ضربة قاسية نسفت أحلام المستعمرين بالقضاء على المقاومة السرية.

23 يوليوز 1954 تصفية المراقب المدني

بعد سقوط الجنرال دهوتفيل شددت الحراسة على كبار الموظفين الفرنسيين، وكان من بينهم المراقب الفرنسي جان تيقان وصديق الباشا الجلاوي. فقد جاء دوره بفضل حراسه المغاربة الذين أعطوا للمقاومة جميع المعلومات عن تنقلاته. (24)

وفي يوم 23يوليوز 1954على الساعة الحادية عشر صباحا قصد المراقب المدني بيت صديقته ليس بعيدا عن ساحة جامع الفنا، وفي باب العمارة أطلق عليه مبارك بن بوبكر النار غير أن الزناد توقف، فلاذ المراقب المدني بالفرار وصعد إلى الطابق الذي تقطنه عشيقته إلا أن مبارك أدركه في الدرج وساعفه المسدس المعطل وخرج رصاصه ليستقر في جسد المسؤول الفرنسي الذي جمع بين قمع السكان ونهب الأموال والخيانة الزوجية.

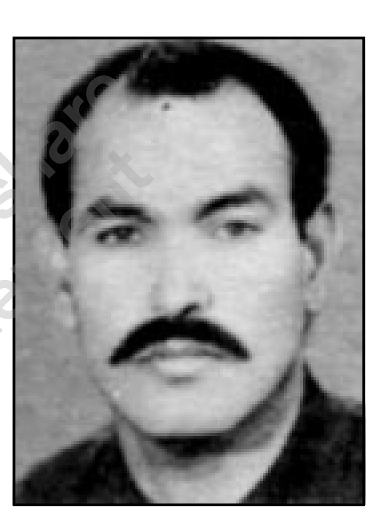
24 - مقابلة مع محمد بن إبراهيم حسونة بمراكش يوم 12-10-1988.

10 مارس 1955

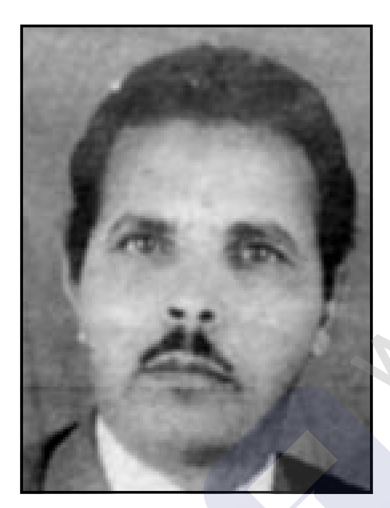
نجاة بونيفاس من الموت

فيليب بونيفاس جاء من جزيرة كورسيكا إلى المغرب سنة 1913 وعمره أقل من عشرين سنة، تعلم العربية في معهد أنشأه المريشال ليوطي للموظفين الفرنسيين، وفي عام 1924 شارك في الحرب ضد ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي.

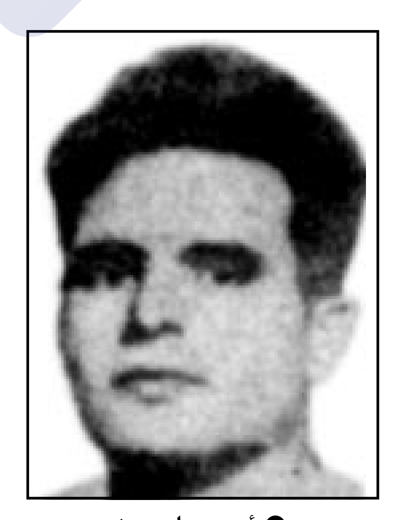
وعمل في تونس بضع سنوات ثم انتقل مرة أخرى إلى المغرب سنة 1947 وعين مراقبا مدنيا لمدينة الدار البيضاء، وانغمس في كل المؤامرات التي حبكها الاستعمار ضد الوطنيين، وكانت قساوته جواز مروره لرئاسة إدارة الشؤون السياسية. ووقف وراء



● عمر بن صالح «الفرشي»



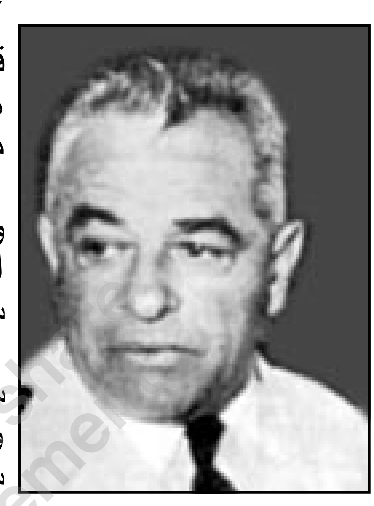
● بوشعيب الدكالي



● أحمد بلحسن

الجوادث الدامية التي وقعت عام 1947، وقمع بعنف الحركة العمالية في دجنبر 1952. وأشرف إلى جانب الباشا الجلاوي والفقيه عبد الحي الكتاني على تنفيذ مؤامرة 20 غشت 1953بإبعاد محمد الخامس الملك الوطني إلى المنفى.

وخططت "المنظمة السرية" بزعامة بوشعيب الدكالي الحريري والمدني المغراني "الأعور" لتصفيته جسديا. وكان يسكن في فيلا قرب دوار سيدي إبراهيم بضاحية المدينة، ومن هناك ينتقل، صحبة حراسه، كل صباح في اتجاه مكتبه الكائن في العمالة الاقتصادية حاليا.



● بونيفاس فيليب

وتكلف أحمد بن الحسن وعمر الفرشي بقتله وتم تدريبهما نظريا على كيفية استعمال البندقية الرشاشة من طرف السرجان الذي عمل جنديا سابقا في الجيش الفرنسي.

وفي يوم 10مارس 1955امتطى المقاومون سيارة شحن صغيرة كان يسوقها محمد شيشيني ويقوم محمد أمين بدور الحارس، ويعطي محمد سبيل الإشارة من ربوة عالية منذرا بخروج بونيفاس من منزله.

وكانت الشاحنة الصغيرة تسبق سيارة بونيفاس حينما رفع أحمد بن الحسن الستارة الخلفية وضغط على زناد الرشاشة إلا أن الرصاص لم يخرج دفعة واحدة كما كان منتظرا بسبب سوء استعمال الزر في غير موضعه مما جعل الطلقات تخرج منفردة ولم يصب بونيفاس إلا بجراح خفيفة إذ أن مقدمة سيارته تلقت تسع رصاصات فقط. ولاذ بالفرار ولم يقم حراسه الجالسون في الخلف بأي رد فعل.

وكان الهجوم على **بونيفاس** انطفاءً للهالة المصطنعة التي أحاطها به المستعمرون، وإذا لم تفلح المحاولة في القضاء عليه، فإنها وضعت حدا لنشاطه العدواني وأرغمته على مغادرة المغرب مذعورا. أما المقاومون فقد أخفوا الشاحنة في ضيعة فلاحية ولم يتم اعتقال أي واحد منهم وواصلوا كفاحهم بوسائل أخرى إلى أن بزغ فجر الاستقلال.(25)

15 مارس 1955 الرصاص يحصد المعمرين بوجدة

في وجدة انكشف أمر خلية فدائية للشرطة، إلا أن أغلب أعضائها تمكنوا من الإفلات والتحقوا بمدينة الناضور في المنطقة الخاضعة لإسبانيا وبدلا من

25 - مقابلة مع عمر بن صالح الفرشي بالدار البيضاء يوم 31-5-1994.

أن يمكثوا بها كلاجئين تابعوا تداريبهم العسكرية ودأبوا على القيام بزيارات خاطفة بين الفينة والأخرى إلى مدينة وجدة والقيام بهجومات مسلحة ثم العودة إلى نقطة الانطلاق وغالبا ما يقضون الليل في العراء. ومن بين العمليات المثيرة التي قاموا بها هجومهم بالرشاشات على حانة "الشمس" التي كان يجتمع فيها المعمرون وأفراد الشرطة الفرنسية. وأسفر الهجوم عن سقوط عشرة فرنسيين وأحدث هلعا كبيرا وسط الجالية الفرنسية في المنطقة الشرقية على الحدود مع الجزائر التي كانت فيها الثورة المسلحة مشتعلة.

13 يونيو 1955 رصاصة في رأس النقيب

جورج ماري كيدون ضابط برتبة نقيب وعين رئيسا لدائرة جامع الفنا، وكان شريرا متسلطا على السكان وكثيرا ما كسر أبواب المتاجر في سوق السمارين الشهير في أيام الاضرابات التي تدعو إليها المقاومة، وكان شديد القساوة، ولا يتردد في جلد المواطنين بواسطة أعوانه. وكان يقطن ليس بعيدا عن ساحة جامع الفنا ويرافقه حارسان إلى باب الدرب وهو طريق مسدود معظم سكانه نصارى ويهود، وحينما يودعه الحراس ينهي المسافة المؤدية إلى بيته على قدمه الوحيدة متكئا على عكازته وسلاحه معلق في حزامه.

ومنذ اعتقال جماعة الفطواكي لم يقع شيء بمراكش باستثناء توزيع المناشير وبعث رسائل التهديد إلى الخونة. ولما أطلق سراح الأستاذ عمر الساحلي أعاد الارتباط بعبد السلام بن الشرقي الأستاذ في كلية بن يوسف، وأسسا جماعتين واحدة ترأسها محمد بن إبراهيم حسونة والثانية عبد السلام بن الشرقي وقامت بعمليات جريئة، من بينها تلك التي قضت على حياة القبطان كيدون. فقد انتظره المقاوم حمو أماراغ داخل الدرب وحينما هم بالدخول إلى منزله عالجه برصاصة واحدة في الراس.

وفي الأمر اليومي رقم 1 بتاريخ 15 يوليوز 1955 أرسل العقيد هيبير مدير الشؤون الداخلية ورئيس أقسام المخابرات الخاصة بالمغرب كلمة إلى ضباط الأقسام الخاصة ينعي فيها النقيب جورج ماري كيدون الذي سقط تحت رصاص المقاومة بمدينة مراكش يوم 13 يونيو 1955.

ويذكر بأن الضابط المقتول جرح مرتين في الحرب العالمية وفقد إحدى ساقيه، وتولى عدة مهام طيلة عشر سنوات في عدة جهات من المغرب.

وترك اغتيال "الضابط الأعرج" كما كان يسميه المراكشيون صدى عميقا في الأوساط الفرنسية في حين تنفس السكان الصعداء.

14^e S^n DAU N 22



DÉLÉGATION
AUX AFFAIRES URBAINES
DE CASABLANCA

Casablanca, le 195

N° 407 DAU 6/SEC.

SOIT TRANSMIS à

MM. les CHEFS DES CERCLES URBAINS de :

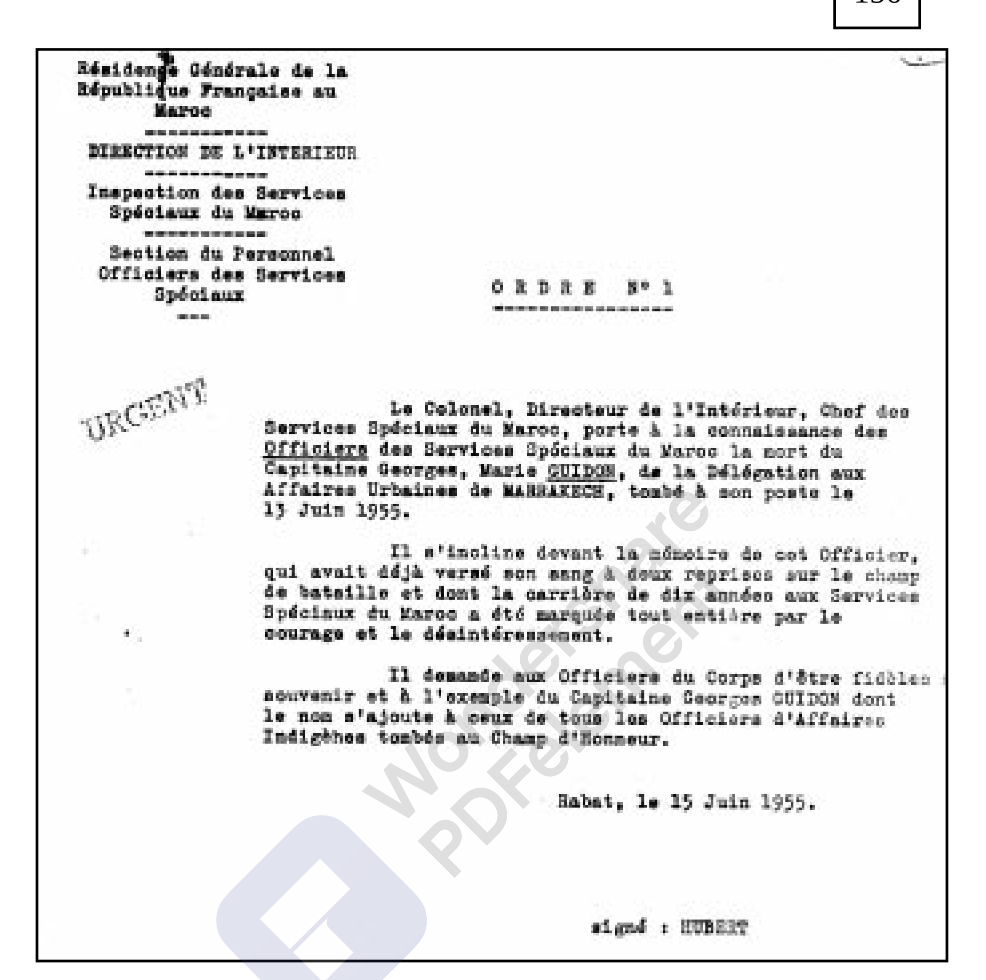
- l'Ancienne Médina,
- Nouvelle Médina,
- Crêtes,
- Quartiers Industriels.

- Circulaire du Colonel Directeur de l'Intérieur Chef des Services Spéciaux du Maroc, portant à la connaissance des Officiers des Services Spéciaux du Maroc la mort du Capitaine GUIDON de la D.A.U. de MARRAKECH.

Pour le Délégué
aux Affaires Urbaines et p. o.

Signé : LUCASSEAU





Résidence Générale de la
République Française au
Maroc

DIRECTION DE L'INTERIEUR

Inspection des Services
Spéciaux du Maroc

Section du Personnel
Officiers des Services
Spéciaux

URGENT

ORDRE N° 1

Le Colonel, Directeur de l'Intérieur, Chef des Services Spéciaux du Maroc, porte à la connaissance des Officiers des Services Spéciaux du Maroc la mort du Capitaine Georges, Marie GUIDON, de la Délégation aux Affaires Urbaines de MARRAKECH, tombé à son poste le 13 Juin 1955.

Il s'incline devant la mémoire de cet Officier, qui avait déjà versé son sang à deux reprises sur le champ de bataille et dont la carrière de dix années aux Services Spéciaux du Maroc a été marquée tout entière par le courage et le désintéressement.

Il demande aux Officiers du Corps d'être fidèles au souvenir et à l'exemple du Capitaine Georges GUIDON dont le nom s'ajoute à ceux de tous les Officiers d'Affaires Indigènes tombés au Champ d'Honneur.

Rabat, le 15 Juin 1955.

signé : HUBERT

14 يوليوز 1955 انفجار في العيد الوطني الفرنسي

في الوقت الذي بدأت فيه المفاوضات بين ممثلي البورجوازية والاستعمار الجديد بهدف وقف أعمال العنف تمهيدا لعودة الملك من منفاه وضمان المصالح الفرنسية بالمغرب، قام المقاومون المنتمون لمنظمة "جيش الأطلس" يوم 14 يوليوز 1955 بتفجير قنبلة أمام مقهى مرس السلطان وسط الحي الأوربي بمناسبة العيد الوطني الفرنسي، ونتج عن الانفجار العنيف موت ستة فرنسيين وجرح أكثر من ثلاثين. وقام الأوربيون بمظاهرات صاخبة تحت حماية الشرطة، وقتلوا عددا من المارة المغاربة وأحرقوا سيارات الأجرة ونهبوا متاجر المغاربة وكانوا يهتفون "يحيا الباشا الجلاوي" يسقط كرانفال المقيم العام الجديد الذي أتى ليطبق المخطط الفرنسي القاضي بتحالف ممثلي البورجوازية التجارية والإقطاعية الزراعية والرأسمالية الفرنسية في إطار ما يسمى

"الاستقلال المتداخل" أي تمتع البلاد باستقلال شكلي مقابل ضمان وجود فرنسا الاقتصادي والثقافي بالمغرب.

وأمام الأحداث الخطيرة التي أعقبت الانفجار ودامت ثلاثة أيام من المواجهات بين المغاربة والأوربيين، حاولت الأطراف المتحالفة أن تجعل حدا للعنف وأعلنت السلطة حالة الطوارئ في محاولة لتهدئة الوضع، وقال محمد اليزيدي، الناطق باسم حزب الاستقلال، للمقيم العام كرانفال بأن الانفجار ليس من فعل المقاومة المغربية وإنما من عمل منظمة الوجود الفرنسي. (26)

المقاومة توجه سلاحها ضد أعمدة الاستعمار

كان جهاز القمع الاستعماري منظما ومسلحا بما فيه الكفاية ويتوفر على شبكة من الجواسيس في مختلف مرافق المجتمع، ولم يكن ممكنا مواجهته وجها لوجه وهو في أوج قوته، واعتمد المقاومون أسلوب حرب الغوار تخوضها خلايا سرية قليلة العدد، سريعة التنقل ومسلحة بالمسدس الناري والقنبلة اليدوية، وكان أفرادها يهاجمون أعوان الاستعمار في الشارع وفي بيوتهم وفي أماكن عملهم، يباغتونهم ويقضون عليهم، وبذلك يستنزفون قوات العدو التي لا تفيدها آلتها الحربية المتطورة وتتلقى الضربات في نقاط ضعفها وتحطم معنوياتها.

وفي اللائحة المختصرة التالية يتضح مدى الخسائر التي تكبدها المستعمرون الكبار على يد المقاومين الذين صمموا على تحويل حياة المحتلين إلى جحيم دائم ملتهب :

التاريخ	اسم الشخصية	المدينة	وظيفته	حالته
1954-5-15	موريس موني	مراكش	وكيل الدولة	قتل بخمس طلقات نارية
1954-5-20	دانييل. ر	الرباط	مدير مطاحن باروك	قتل بالرصاص
1954-5-25	الجنرال كيوم أوكيستان	مراكش	المقيم الفرنسي العام	نجا من قنبلة يدوية
1954-6-12	دي شاطو	الدار البيضاء	رئيس منظمة ارهابية فرنسية	قنبلة حطمت مكتبه
1954-6-20	الجنرال دوثفيل	مراكش	رئيس المنطقة العسكرية	أصيب بجراح خطيرة بالرصاص
1954-6-30	الدكتور إيميل إيرو	الدار البيضاء	مدير جريدة لافيجي ماروكان	قتل بالرصاص

26 - غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2ص.690

التاريخ	اسم الشخصية	المدينة	وظيفته	حالته
1954-7-23	جان تيفان	مراكش	مراقب مدني	قتل بعيارات نارية
1954-9-13	ضابطان فرنسيان	الدار البيضاء	كانا يتنزهان في المدينة	قتلا بالرصاص
1954-9-14	ضابط صف	الدار البيضاء	كان يتجول في طريق مديونة	قتل بالرصاص
1954-10-17	دوبيريتي ديلا روكا	وجدة	مراقب عام لإعلام المخابرات	جرح بطلقة نارية
1955-2-2	الدكتور بيير دالياس	الدار البيضاء	مسؤول في منظمة الوجود الفرنسي	أصيب بجراح خطيرة
1955-2-3	إيميل هربريشت	الدار البيضاء	رئيس جامعة النقل الطرقي	قتل بالرصاص
1955-3-1	الدكتور ريمي	الدار البيضاء	طبيب قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي	قتل بعيار ناري
1955-3-10	فيليب بونيفاس	الدار البيضاء	رئيس ناحية الدار البيضاء	أصيب بجراح خفيفة
1955-3-12	كامبير	الدار البيضاء	مدير المدرسة الإسلامية في درب مولاي الشريف	قتل بالرصاص
1955-3-21	الدكتور فيرناندكوس	الدار البيضاء	رئيس منظمة الوجود الفرنسي	أصيب بجراح في رجله
1955-6-13	النقيب كيدون	مراكش	رئيس دائرة الأمن	قتل بالرصاص في الرأس
1955-11-3	لوكوك	مراكش	رئيس الغرفة الفلاحية الفرنسية	أصيب بجراح
1955-11-22	هولان	فاس	مسؤول في دائرة الشؤون الأهلية	قتل بالرصاص
1955-12-5	فرانسوا افيفال	الدار البيضاء	مسؤول في منظمة إرهابية فرنسية	أصيب بجراح في رجله

الفصل الثامن

الاستعمار يستنجد بالفقهاء والتجار

فتوى العلماء بقتل الفدائيين

الفقيه هو العارف بأحكام الشريعة وعلم وصول الدين ومن تم جاء اسم "العالم". وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (634-644م)، بعد اتساع الفتوحات، يرسل الفقهاء إلى المناطق الإسلامية ويعينهم قضاة في البلدان الحديثة العهد بالإسلام.

وبهم استعان الحكام المتلاحقون في حل بعض القضايا المعقدة، وكانوا يستشيرونهم في الأحكام الطارئة، وبالتدريج تفرغوا للعلوم الدينية وباشروا الفصل فيها حسب اجتهادات أدت إلى نشوء المذاهب الأربعة والانقسام بين السنة والشيعة وبروز تيارات عقائدية متعددة. وترتب على ذلك انفراد الفقهاء بإصدار الفتاوى الدينية وتقاضيهم أجورهم من الخزينة العامة أو من الأوقاف، وتقوى نفوذهم بحكم المكانة التي يحتلونها بجوار الامراء والسلاطين واستهواهم رغد العيش واستفادوا من الهبات والعطاءات السخية التي يغدقها عليهم الحكام وأصبحوا جزءا من السلطة وفقدوا استقلالهم بالرأي.

ظهرت في صدر الإسلام أقلية من العلماء اتصفوا بالصدق والجراة وتحاشوا عن تسخير الدين للأهواء، ومن ابرزهم أبو حنيفة النعمان (699-767م) المناصر للعلويين، وكان جريئا في فتواه وكثير النقد لأحكام القضاة وتصرفات الولاة. وحاول أبو جعفر المنصور شراء ضميره بالمنح والعطايا فامتنع، وعرض عليه توليه منصب القضاء فرفض وما لبث أن نزل به العقاب بالسياط يوميا إلى أن خارت قواه وألقي به في السجن وتقول بعض الروايات أنه مات مسموما.(1)

ومن بين ضحايا الاضطهاد مالك بن أنس (711-795م) الذي أفتي بعدم جواز بيعة المكره واعتبرها حاكم المدينة جعفر بن سليمان العباسي دعوة للتمرد عليه وأخضعه للتعذيب بالسياط إلى أن ادمى جسده.

وفي الفترة الممتدة من 833إلى 848م أثناء حكم المامون والمعتصم والواثق انتشرت نظرية خلق القرآن التي جاء بها المعتزلة وادعوا أن القرآن خلقه الله وأنزله على النبي وأن القول بأزليته يعني انه وجِد منذ القدم وما عاد

1 - عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ، ص 154.

الله أن يكون له شريك في القدم. وتبنى أفكارهم الخلفاء المذكورون وحملوا على اعتناقها بالقوة القائلين بأن القرآن غير مخلوق.

وتراجع الفقهاء المعارضون حيث اعتصم بعضهم بقاعدة التقية (اتقاء الخطر بالكتمان وإظهار ما ليس في الباطن) في حين أعطى البعض الآخر أجوبة تتلاءم مع الموقف الرسمي خوفا من العقاب وحفاظا على الوظيفة خاصة في التعليم والإرشاد والقضاء، ولم يبق متشبثا برأيه إلا اثنان محمد بن نوح وقد مات وهو في طريقه إلى السجن، وأحمد ابن حنبل (780-855م) الذي ظل رهن الاعتقال ثمانية وعشرين شهرا بعد أن شهد ضده الفقهاء والقضاة أمام الخليفة المعتصم وقالوا عنه بأنه **"ضال مضل مبتدع"** (2)

وبتهمة التشيع للإمام علي وذريته لم يتردد الخليفة الرشيد في قتل تسعة فقهاء ونجا عاشرهم محمد الشافعي (767-820م) من المقصلة بفضل **"براعة اللسان وذربه وقوى الحجة ومنطقها السليم المقنع".** (3)

وتعرّض محمد بن إسماعيل البخاري (906-966م) للاضطهاد فقط لأنه امتنع عن إعطاء دروس خاصة لأبناء أمير خراسان داخل قصره قائلا : **"في بيتي يؤتى العلم"** فعاقبه بالنفي من بلدته ليموت بعيدا عن أهله.

وتحامل القضاة والفقهاء على أحمد بن تيمية (1262-1327م) في القاهرة وحرضوا عليه الحاكم، لأنه ينتقد سلوكهم، وزجوا به في السجن مرتين بلغت فيها مدة الاعتقال ثلاث سنوات. ولما عاد إلى دمشق اجتهد في الأحكام الشرعية وأصدر فتوى خالف فيها أصحاب المذاهب الأربعة في مسألة الحلف بالطلاق لأن تمزق الأسرة يحدث مآسي كثيرة وأصر على أن الطلاق لا يقع به ولا تنفصم به عقد الزوجية، وثار ضده الفقهاء وكلفه تمسكه برأيه أزيد من خمسة أشهر سجنا. وتكرر حبسه بعد إفتائه بعدم جواز زيارات قبور الأنبياء والصالحين ومنع من الكتابة والمطالعة وحرم حتى من الدواة والقلم إلى أن مات في سجنه.

وحفل تاريخ الإسلام بعشرات الخطوب والنكبات أودت بحياة عدد من الفقهاء في صراعات سياسية وعقائدية وبعضهم هلك في تصفية الحسابات الشخصية.

وبالمغرب كان الفقهاء المتمكنون من فن الخطابة والشعر والأدب يحصلون على وظيفة كاتب في جهاز "المخزن" ويتولى أهل الثقافة الدينية مهمة قاضي ومفتي، ويمارسون الخطبة في المساجد والتعليم والتوثيق والعدلية ويحترفون تغسيل الأموات والقراءة على القبور وتعاطي السحر والتنجيم والتطبيب بكتابة الأحراز والتمائم والطلاسم.

وكان المحظوظون منهم يعملون مستشارين للسلطان يفتون في قضايا

2 - المصدر السابق ص168.

3 - ن.م. ص184.

تجارية وسياسية، وكثيرا ما يطلب منهم تغيير مضمون فتاواهم. فقد وقفوا ضد تصدير الحبوب والجلود والأنعام كما رغب في ذلك ممثلو الدول بطنجة، إلا أن تدخل السلطان جعلهم يغيرون موقفهم وأصدروا فتوى جديدة تسمح بجواز التصدير. (4)

وبعضهم تعاطوا التجارة ووظفوا الأموال في شراء العقارات وكانوا يمثلون ارستقراطية دينية باذخة ومبذرة، يتظاهر أفرادها بالتعالي ومنهم من **"يركب بغلة مطهمة داخل المدينة... فيقف العاملون في الدكاكين له إجلالا، ويسلم عليه المارة تقديرا وإكبارا..."** (5)

وكثيرا ما تجبروا وألحقوا الأذى بمن يفوقهم علما، وكانوا وراء اضطهاد الفيلسوف ابن رشد (1126-1198م) أثناء حكم يعقوب المنصور الموحدي وإحراق كتبه في الساحة العامة.

وفي عصر بني مرين (1258-1420م) استبدوا بالرأي ونعتوا كل من خالفهم في التفكير بـ **"الانحراف عن العقيدة الخالصة"** وبإيعاز منهم هدر دم ابن الخطيب وأحرقت جثته بمدينة فاس لأنهم رأوا في شخصه خطرا على مصالحهم. (6)

وحينما شرع الإفراني محمد الصغير(1685-1744م) في تفسير القرآن في كلية بن يوسف ثار في وجهه علماء مراكش وحرضوا عليه الطلبة واتهموه بالزندقة والجهل، وادعوا أن المدينة التي يقرأ فيها التفسير يصيبها الجوع، وساندتهم السلطة وتوقف الإفراني عن تعاطي التفسير، وقال في وصفهم: **"... قوم بينهم وبين العلم أوجه المنافاة ويعدون ما فيه من نمط الخرافات، وقد ابتلينا بأقوام أبيضت لحاهم واسودت قلوبهم وتقدمت أسنتهم وتأخرت عقولهم، وغروا العامة بظاهرهم المموه ولم يطلعوا على باطنهم المشوه، فتصرفوا في دين الله بمحض الجهل وتعاطوا من العلم ما ليسوا به بأهل، وما أكثر هؤلاء في زماننا هذا".** (7)

ولقي آخرون حتفهم بسبب تورطهم في الصراعات على السلطة. فقد أقدم السلطان السعدي بن الشيخ (1540-1556م) على محاصرة فاس وأمر بقتل الفقيه عبد الواحد الونشريسي لتحريضه السكان على عدم بيعته بدعوى أن بيعة السلطان الوطاسي لازالت في أعناقهم. وعند دخوله إليها أعدم الفقيه محمد بن عبد الوهاب الزقاق وقتل بمكناس الخطيب علي حرزوز لنفس

4 - الاستقصا م.س. ج9، ص182.

5 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات. م.س. ج 1ص548.

6 - محمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، الرباط 1982ص128.

7 - الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، الخزانة العامة بالرباط رقم 671د 1178، انظر أيضا : محمد العمري، الافراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17و 18الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء 1992.

السبب.

وكان الانحراف عن الإسلام صارخا في الفتوى التي أصدرها الفقهاء بطلب من السلطان المنصور وتجيز له غزو السودان وقتل المسلمين بهدف الإستيلاء على معدن الملح الذي يمكن من شراء الذهب، وتعتبر الحاكم السوداني المسلم الذي يقع الملح في أرضه ليس بقرشي ولا تجتمع فيه شروط السلطنة!

وبعد وفاة المنصور (1603م) تنازع إبناه زيدان وأبو فارس على الحكم فوقف علماء فاس بجانب زيدان، وساند علماء مراكش أبا فارس وأشعلوا حربا أهلية استغرقت عدة سنوات وسقط فيها مآت المغاربة.

ورافقت الفوضى السياسية التي أعقبت موت المنصور الذهبي سنوات من الجفاف متوالية وأرغمت أفواجا كبيرة من سكان الواحات الصحراوية على الهجرة إلى المدن، واستقرت أعداد منهم بفاس العاصمة التجارية والصناعية حينذاك.

وحينما عزم السلطان مولاي إسماعيل (1672-1727م) على تكوين (جيش العبيد) وأراد أن يضم إليه الأفارقة الموجودين بفاس اعترضت الأرستقراطية التجارية التي كانت تستغلهم في الحقول الزراعية والمصانع التقليدية وفي البيوت. وانفجرت التناقضات في مواقف العلماء، فالقاضي محمد بردلة وافق على تجنيد الأفارقة الموجودين في جميع المدن ورفض أن يشمل التجنيد القاطنين بفاس بدعوى أنهم أحرار. ودافع القاضي أبو العباس بن ناجي عن موقف السلطان وأصدر فتوى تقول بأن **"كل أحمر الجلد وكل حرطاني مجهول الأصل يعتبر عبدا"**.(8)

واستقبل السلطان العلماء المعارضين لمشروعه وقال لهم: **"هذه منافسة منكم على حراطينكم"**(9) وتم تجنيد سبعمائة رجل وعدد من الإماء، وكان مصير العالم محمد جسوس الذي اعتبر التجنيد استرقاقا القتل خنقا في السجن وتتريك إملاكه.

تعود الفقهاء على تبرير الإجراءات التي تتخذها الجهة التي يعبرون عن مصالحها وتزكية مواقفها بإضفاء الشرعية الدينية عليها. فعندما قربهم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام (1822-1859م) أصدروا فتاوى لفائدته وكانوا ينعتون القبائل الثائرة ضد ظلم الولاة بـ **"قطاع الطرق"** التي يجوز قتالها.(10)

وأثناء الصراع على السلطة بين الأخوين مولاي عبد العزيز ومولاي

---

8 - بن زيدان، إتحاف أعلام الناس م.س. ج4. ص85.

9 - تاريخ الضعيف ج 1ص195، وأيضا الاستقصا ج7. ص95.

10 - الاستقصا ج5، ص22.

حفيظ، بايع علماء مراكش يوم 16غشت 1907مولاي عبد الحفيظ بينما أدانه علماء فاس واتهموه باغتصاب السلطة، وأنكروا ما استند إليه من حجج وقالوا إن الأجانب لم يسيطروا على أرض مغربية على الرغم من أن الجيش الفرنسي احتل وجدة والدار البيضاء، ووصفوا مقاومة الفلاحين للغزو في الشاوية بـ "الفتنة". وتحت ضغط الشارع بفاس أصدروا فتوى أخرى قالوا فيها بأن السلطان مولاي عبد العزيز باع البلاد للنصارى، وفي 5يناير 1908وقع سبعة عشر منهم على وثيقة عزله وعقدوا البيعة لأخيه بشروط منها تطبيق الشورى في الحكم ورفض معاهدة الجزيرة (1906) واسترجاع المناطق المحتلة وإعداد التدابير الضرورية للدفاع عن البلاد وإلغاء الضرائب (11) ولما تربع السلطان الجديد على العرش سارعوا إلى التملص من الشروط المرفوقة بنص البيعة وأشاروا بأصابع الاتهام إلى كاتبها محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي لقي حتفه بعد حين تحت التعذيب. (12)

وتلك المواقف المتقلبة طبعت على الدوام سلوك الفقهاء المحترفين للوظيفة الدينية. فإذا سجل التاريخ لأحمد بن تيمية رفضه للوظيف واحتفاظه بالاستقلال الفكري وبنزعته الجهادية التي تجلت في مشاركته الميدانية في الحرب ضد التتار التي انتهت بهزيمتهم في الشام عام 1302م فإن ابن عسكر الشفشاوني العالم الصوفي والكاتب اعتنق قضية الصليبيين الذين هاجموا المغرب بقيادة الملك البرتغالي سيبستيان ولقي مصرعه بجانبهم في معركة واد المخازن الشهيرة سنة 1578م.

في بداية القرن الماضي أبدت الجماهير مقاومة شديدة للقوات الفرنسية الغازية وأرسل بعض الفقهاء الفقراء من كلميمة في الأطلس المتوسط رسالة إلى علماء فاس تنتقد سكوتهم وتصفهم بالجبن والانحراف وجاء فيها : **"لقد ركنتم إلى الراحة ورضيتم بالأمر الواقع ونسيتم الله فنسيكم"**. (13)

ومرة أخرى لزم العلماء الصمت وتقاعسوا عن القيام بواجبهم في نصرة المكافحين من أجل الحرية.

ولا غرابة أن يتذكر الماريشال ليوطي فقهاء السلطة وهم يرددون "اللطيف" أمام نافذة الغرفة التي كان فيها طريح الفراش سنة 1923ويدعون له بالشفاء في وقت كانت فيه قواته تسحق إخوانهم المدافعين عن أرض الأجداد. (14)

في سنة 1930أيد الفقهاء الرسميون الظهير الاستعماري الهادف إلى تقسيم المغاربة على أساس عرقي ورفض معظمهم الانضمام إلى قراءة "اللطيف" بالمساجد احتجاجا على السياسة الاستعمارية.

11 - محمد الباقر الكتاني، ترجمة الشيخ محمد الكتاني، الرباط 1962ص199.
12 - ن.م. ص211.
13 - محمد المعزوزي، هاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900إلى 1935، مطبعة الأنباء الرباط 1987ص200
14 - MARC de MOSIERS, Promenades à Fes, Casablanca 1933, P.8.

وفي مدينة فاس ساند أحمد بن الجيلالي المغاري رئيس المجلس العلمي لجامعة القرويين مخطط التقسيم الفرنسي واستقبله رئيس الجمهورية كاستون دوميرك أثناء زيارته إلى فاس سنة 1931 ووشح صدره بوسام من درجة (ليجيون دونور (15) وأعطاه مبلغ عشرين ألف فرنك فرنسي، وكان مبلغا كبيرا في ذلك الوقت، مكافأة له على تأييده للمرسوم الذي يفصل الأمازيغ عن العرب، وأصبح سكان فاس يسمونه الكومندان أحمد. (16)

وخصصت الإدارة الفرنسية لعدد من العلماء مبالغ من أموال الأوقاف حتى لا يتكلموا بكلمة ضد سياسة التقسيم العرقي. (17)

وكتب الداعية الإسلامي شكيب أرسلان بأنه **"ظهر من العلماء الرسميين في هذه المسألة نذالة تامة، بل هي لا مراء نوع من الردة، لأنهم كانوا يوبخون الشبان والعامة على هيجانهم تزلفا للفرنسيين، وبعضهم لأجل تسويغ هذه المؤامرة على دينه كان يقول : "إن البرابر هم أكفر من الأفرنج"** (18)

ونفس العلماء جمعهم المقيم العام الجنرال نوجيس في 18 مارس 1937 وأفتوا له بأن ما تقوم به كتلة العمل الوطني من تنظيم الناس وتأطيرهم وأداء قسم الإخلاص مناف للتعاليم الإسلامية، ووجد الجنرال في موقفهم أحد المبررات لمنع الكتلة وحلها. (19)

وما وقع في منطقة الاحتلال الفرنسي تكرر مثله في منطقة الاحتلال الاسباني. ففي عام 1936 قاد فرانكو التمرد ضد الجمهورية الاسبانية، وبطلب منه اصدر بعض الفقهاء في شمال المغرب فتوى دينية توجب على المسلمين الانخراط في الجيش والمشاركة مع أنصار الفاشية في الحرب ضد حكومة الجبهة الشعبية. (20)

وفي سنة 1938 أصدر الفقيه أحمد الرهوني فتوى يبيح فيها تبني حزب الإصلاح الوطني التحية الفاشية برفع اليد الممدودة إلى أعلى مصحوبة بعبارة : **"الله أكبر"**. (21)

وإذا كان عبد الكريم الخطابي فقيها متبحرا في الدين وسيفا مسلولا في

---

15 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، م.س. ج 3ص84.

16 - الحسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة الدار البيضاء 1979ص294.

17 - ن.م. ص467.

18 - ن.م. ص88.

19 - الوزاني، مذكرات، ج3، ص390.

20 - وثائق الإقامة العامة - مكتب الأهالي - مدريد، نقلاعن "الثقافة الجديدة" عدد 18، الدارالبيضاء 1980 ص56.

21 - معنينو، ذكريات، م.س. ج 3ص96.

وجه الاستعمار الاسباني والفرنسي، فإن بعض الفقهاء حاربوه بالدعاية والافتراء وحرضوا عليه العامة بادعائهم أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تهيئ الطعام للأسرى النصارى. فجادلهم عبد الكريم أمام الناس في السوق الأسبوعي، وسألهم : **هل كان عند الرسول (ص) وخلفائه أسرى من الرومان والفرس أم لا ؟** قالوا : نعم. فقال لهم : **فمن كانوا يأكلون ؟ ومن كان يحضر لهم الوجبات الغذائية ؟** فانسحبوا صامتين.(22)

وفي الخمسينات استطاع الاستعمار الفرنسي أن يجمع الفقهاء والطرقيين حول مائدة واحدة، وسخرهم في حملة التهريج ضد الملك الوطني محمد الخامس. وفي 8أبريل 1953انعقد مؤتمر "اتحاد الزوايا" بمدينة فاس تحت شعار : **"محاربة الإلحاد والزندقة والأحزاب السياسية"** ترأسه العالم عبد الحي الكتاني وجلس عدد من الفقهاء والطرقيين بجانب ضباط فرنسيين مستعربين، وكان بعض الشيوخ المتخلفين عن مسيرة التاريخ يرتدون البذلة الحديثة ويتناولون الأكل بالشوكة والسكين على الطريقة الأوربية.(23)

وفي نهاية الاجتماع أشادوا بفرنسا واعتبروها "حامية الإسلام" واستنكروا الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال.(24)

ولما اشتدت المقاومة المسلحة استنجدت السلطة الفرنسية بالفقهاء الذين لم يترددوا في إصدار فتوى باسم الإسلام تجيز قتل الفدائيين المجاهدين في سبيل الحرية. وكأن الغرض من الفتوى هو إعطاء الشرعية للمحاكم المغربية لكي تطبق بدورها أحكام الإعدام التي كانت من اختصاص المحاكم العسكرية الفرنسية وحدها.

ونشرت الصحف نص الرسالة التي وجهتها الإدارة الفرنسية باسم "المخزن" إلى العلماء ورؤساء جامعة القرويين وكلية بن يوسف ومعهد مكناس، وطلبت منهم أن **"يعطوا نظرهم الشرعي في مرتكبي هذه الأعمال... وليبينوا ما يستحقونه من العقاب جزاء أعمالهم المبنية على غير شريعة التي بلبلت الأفكار وأذهبت الراحة والاطمئنان وألقت في القلب الفزع والخوف".** (25)

22 - أحمد البوعياشي، حرب التحرير م.س. ص148.

23 - السعادة 10-4-1953.

24 - حضر الاجتماع ممثلو الطرقية :

عبد الرحمان بن عبد الحي الكتاني عن الكتانية. الفقيه الرمضاني : الطيبية. علي بن أحمد : القادرية، الشيخ عبد الرحمان : القندوسية (الجزائر). محمد بن الحسين الدرقاوي : الدرقاوية. خالد بن إبراهيم : الغمارية. محمد بن عبد الله : القادرية. الشيخ عبد الله المخلوفي وعباس بوتشيش : البوتشيشية. وكذا رؤساء : التيجانية والناصرية والبوعزاوية والعيساوية وجيلالة وغيرها إضافة إلى عدد من العلماء يتقدمهم الفقيه عبد الحي الكتاني.

25 - السعادة 23-12-1953 وبالفرنسية في لافيجي ماروكان 22-12-1953.

وتضيف الرسالة المؤرخة بـ: 17-12-1953 **فعلى السادة العلماء الأعلام مصابيح الهدى ونجوم الظلام أن يبينوا في الموضوع ما قررته الشريعة المطهرة وأحكمته فيه ليضرب على يد المعتدين وتستأصل جرثومة المفسدين لتعود الأمة إلى متابعة أعمالها وتتبدل حالتها من بعد الخوف أمنا".**

وفي ظرف أربع وعشرين ساعة سلموا فتواهم ناقلين فيها عن الإمام مالك حكما عاما في ارتكاب جريمة القتل وطبقوه على الفدائيين، واستعملوا لتبرير القمع الاستعماري الآية القرآنية : **"وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس"**، وحسبوا تخريب ممتلكات الاستعمار **"فسادا في الأرض"** وطالبوا بمعاقبة المجاهدين طبقا للآية : **"إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**. (26)

وهكذا غطس العلماء المدلّسون في مستنقع الرذيلة وكيفوا الفتوى الظالمة حسب أهداف السلطة التي يعيشون في كنفها وابتعدوا عن موقف الحق لأن الخصال الأخلاقية لعقيدة قوية كانت تعوزهم، وأجازوا بصفاقة تطبيق حكم الإعدام في خيرة ما أنجبه المغرب من نساء ورجال متفانين في العطاء والتضحية والوفاء للمبادئ النبيلة.

في تلك الأثناء كان المسيحيون الفرنسيون ينددون بسياسة حكومتهم في

فتوى العلماء

الحمد لله

بعد انعقاد الهيئة المأمور باجتماعها أعلاه واطلاعها على السؤال ثمه ودراستها له بمعنة النظر فيه ظهر لها حسب معلوماتها الشرعية أن من باشر قتلا وثبت عليه كما يجب يقام عليه الحد الشرعي المنصوص عليه في قوله تعالى : «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس» وفي الشيخ خليل رحمه الله : وبالقتل يجب قتله الى أن قال : وان باعانة ، وتفصيل ذلك في شروحه . كما أن من باشر عملا اجراميا غير القتل ، من تخريب او اتلاف أو ارهاب أو أخذ مال مما يعد فسادا في الارض كقطع الطريق وتخويفها وما في معناه وثبت عليه ذلك كما يجب يعتبر محاربا وتجب عقوبته وفق المنصوص عليه في كتاب الله تعالى : «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» ـ الاية ـ واذا ظهر للامام اختيار طريقة القتل للمحارب فله ذلك حسبما تقتضيه المصلحة بناء على ما تاول الاكثر . عليه المدونة كما في حاشية الشيخ بناني . قال الامام مالك وجماعه : ان المحارب هو من حمل السلاح على الناس في مصر او برية فكادهم عن أنفسهم وأموالهم دون نائرة ولاذحل ولا عداوة. وقال مالك أيضا : أستحسن ان ياخذ ـ أي الامام ـ في الذي لم يقتل بايسر العقاب ولا سيما ان لم يكن ذا شرور معروفة واما ان قتل فلابد من قتله . نقله ابو حيان في تفسيره البحر ومن أتلف شيئا لزمه غرمه وعزز باجتهاد الامام بعد الثبوت عليه كما يجب لقول الشيخ خليل بالنسبة التعزيز وعزر الامام لمعصية الله أولحق ءادمي

وحرر بالاعتاب الشريفة بالرباط في 11 ربيع الثاني عام 1373 الموافق 18-12-1953 .

26 - المائدة 34/5.

المغرب ويتضامنون عبر جريدتهم **(تيموانياج كريتيان)** مع كفاح المغاربة. وموقف كهذا يفضح الجبن الذي أبان عنه العلماء تجاه قضية الشعب.

والجدير بالملاحظة أن عددا من هؤلاء العلماء حاولوا، تحت ضغط المظاهرات الشعبية، التكفير عن ذنبهم فنشروا عريضة يوم 25يوليوز 1954 في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن قرب عودة الملك من منفاه، وطالبوا برجوعه وهم أنفسهم الذين وقعوا الفتوى المطالبة بإبعاده عن العرش.(27)

وفي الحال أمرت الإدارة الفرنسية علماء آخرين باستنكار موقف أصحاب العريضة الذين اعتصموا بمسجد مولاي إدريس. وتلقى الحراس الأمر بإخراجهم ونقلهم إلى الرباط وهناك تراجعوا مرة أخرى عن مطلبهم، وبذل الوطنيون كل ما يملكون من حجج لإقناع بعض علماء الرباط وأعيانها بإصدار بلاغ للتضامن مع إخوانهم المعتقلين وتقديم نفس المطالب لإحراج السلطة الفرنسية.

وأثناء مشاورات إيكس ليبان حول الأزمة المغربية، صاح وزير خارجية فرنسا أنطوان بيني في ممثلي العلماء قائلا :

"أنتم الذين خلعتم محمد بن يوسف عن العرش فكيف تطالبون بعودته ؟"

فأجابه أحدهم : **"نعم ! ولكن الذين طلبوا منا إصدار الفتوى كانوا يحملون على أكتافهم البندقية !"**(28)

فأين هؤلاء من الموقف الشجاع الذي أبداه العالم السلفي محمد بن العربي العلوي وهو يخاطب مدير الداخلية الفرنسي قائلا : **"لن أوقع على بيعة مفروضة وإذا كنتم مصممين على ذلك فهذه يدي اقطعوها ووقعوا بها !"**

كان بن العربي العلوي استثناء في تلك



● الفقيه العلامة مولاي العربي العلوي

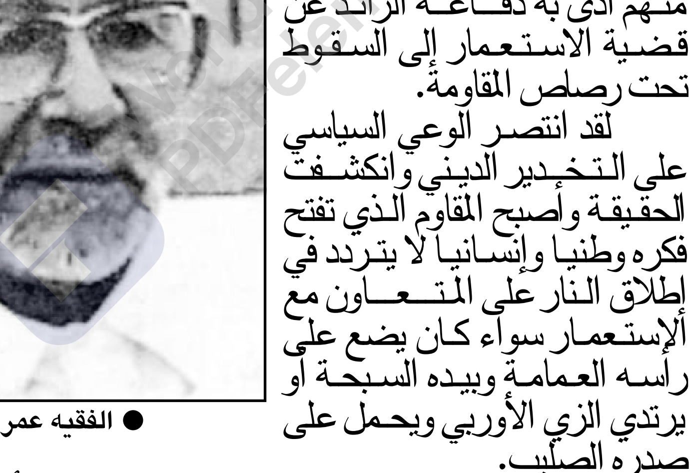
27 - Julien, Le Maroc face, Op. Cit. P.369.

28 - Ibid, P.438 Réfé. 87.

الظروف التي استسلم فيها الفقهاء الرسميون وجهر بكلمة حق عند حاكم جائر وأظهر صلابة الإيمان في مواجهة طغيان الاستعمار وتحمل بصبر التعذيب النفسي والجسدي في المنفى بأقصى الجنوب المغربي. (29)

وكان الفقيه عمر الساحلي من قيادة المقاومة المسلحة يرى قدوته في مواقف الإمام ابن تيمية وحينما ألقي عليه القبض مع جماعة حمان الفطواكي كان يردد قولته الشهيرة : **"... أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة"**. تلك كانت مقاومة نفسية في مواجهة الإرهاب البوليسي والتعذيب الجسدي.

كانت المعركة ضد الإستعمار والخيانة واضحة، إلا أن الباحث يقف حائرا أمام العدد الهائل من العلماء والفقهاء الذين ارتموا في أحضان الأجنبي وقبلوا تنفيذ مؤامراته وتركوا تعاليم الشرع وراء ظهورهم، والبعض منهم أدى به دفاعه الزائد عن قضية الاستعمار إلى السقوط تحت رصاص المقاومة.





● الفقيه عمر الساحلي

لقد انتصر الوعي السياسي على التخدير الديني وانكشفت الحقيقة وأصبح المقاوم الذي تفتح فكره وطنيا وإنسانيا لا يتردد في إطلاق النار على المتعاون مع الإستعمار سواء كان يضع على رأسه العمامة وبيده السبحة أو يرتدي الزي الأوربي ويحمل على صدره الصليب.

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك في فصل سابق فإن أعضاء قيادة المقاومة جمعوا بين المعرفة الدينية والوطنية واتخذوا قرارات شجاعة بعيدا عن التعصب الديني والوطني، وكما أسقطوا كثيرا من أقطاب الاستعمار، فإنهم وجهوا ضرباتهم كذلك إلى بعض الفقهاء الذين ثبتت عمالتهم للاحتلال ووقفوا في صف الخيانة. وهذا ما تشير إليه اللائحة المقتضبة التي انتقيناها من الصحف الصادرة في التواريخ المشار إليها :

29 - أكد المؤرخ جوليان في مؤلفه ص 310 أن بن العربي العلوي هو الوحيد من بين العلماء الذي رفض التوقيع على بيعة بن عرفة.

التاريخ	المكان	المستهدف	حالته
1953-8-14	مراكش	إمام مسجد المواسين	جراح بليغة بخنجر
1953-9-9	الدار البيضاء	فقيه بمدرسة قرآنية	جروح وخسائر بقنبلة
1953-9-11	الدار البيضاء/عين الشق	مؤذن في مسجد	نجا من طلقات نارية
1953-9-18	فاس	محتسب المدينة	أصيب برصاصة في ذراعه
1953-10-8	فاس	قاضي بالمحكمة	لم تصبه الطلقة النارية
1953-11-15	آسفي	إمام مسجد	قتل بانفجار قنبلة داخل المسجد
1953-11-17	فاس	بن سودة إمام مسجد الرصيف	قتل برصاصة في الرأس[30]
1953-12-2	فاس	المراكشي إمام مسجد الشرابليين	قتل بالرصاص
1953-12-20	فاس	فقيه مساعد لعبد الحي الكتاني	لم تصبه الرصاصة
1954-1-31	الدار البيضاء	إمام مسجد الحي المحمدي	قتل بعيارات نارية
1954-2-2	الدار البيضاء	فقيه في درب السلطان	قتل بالرصاص
1954-2-12	المحمدية	فقيه الزاوية الكتانية	قتل برصاصة في الرأس
1954-3-3	الدار البيضاء	فقيه في درب بوشنتوف	نجا من طلقات نارية
1954-3-9	الدار البيضاء	فقيه	قتل برصاصتين في الرأس
1954-3-20	الدار البيضاء	فقيه	نجا بسبب توقف المسدس
1954-3-27	الدار البيضاء	فقيه في درب السبانيول	أصيب بجروح خطيرة بالرصاص
1954-4-23	وجدة	إمام مسجد	أصيب إصابة خطيرة بعيار ناري
1954-5-1	فاس	إمام مسجد مولاي عبد الله	قتل برصاصة في الرأس
1954-5-3	القنيطرة	فقيه	نجا من طلقة نارية
1954-5-16	أزرو	مسجد الزاوية التيجانية	انفجار قنبلة خلفت خسائر كبيرة
1954-5-17	الدار البيضاء	فقيه بدرب الكبير	قتل رميا بالرصاص
1954-5-18	وجدة	محتسب المدينة	قتل بالرصاص
1954-5-19	الدار البيضاء	فقيه بدرب البلدية	جرح برصاصة
1954-5-24	مراكش	رئيس كلية بن يوسف	نجا من الموت
1954-6-3	الرباط	فقيه	أصيب برصاصتين
1954-6-7	أبو الجعد	قاضي المدينة	تمكن من الفرار و أحرقت ضيعته
1954-7-1	وجدة	مؤذن	قتل داخل المسجد بعيار ناري

30 - روى لي امحمد بن عبد الله رئيس الجماعة الفدائية أنه أنذر الإمام المقتول بثلاثة رسائل لكنه أصر على القيام بالدعاية في خطبة الجمعة للسلطان بن عرفة.

التاريخ	المكان	المستهدف	حالته
1954-8-11	فاس-الضاحية	فقيه	قتل بالرصاص
1954-8-14	الدار البيضاء	فقيه بدرب الشرفاء	قتل بالرصاص
1954-8-16	الدار البيضاء	فقيه بالمدينة القديمة	أصيب بجراح
1954-8-17	الدار البيضاء	مؤذن	قتل بالرصاص
1954-8-18	الدار البيضاء	فقيه بالحي المحمدي	قتل بالرصاص
1954-9-18	سلا	فقيه	قتل بآلة حادة في رأسه
1954-10-30	الدار البيضاء	عدل	قتل بالرصاص
1954-11-14	الدار البيضاء	وكيل شرعي	قتل بعيار ناري
1954-11-27	الدار البيضاء	عدل	قتل بالرصاص
1955-1-5	الرباط	فقيه	قتل بطعنة خنجر
1955-2-7	المحمدية	فقيه	قتل بالرصاص
1955-2-13	الدار البيضاء	عدل بالمدينة القديمة	قتل بالرصاص
1955-2-14	الدار البيضاء	قاضي عين الشق ابن عبد الحي الكتاني	قتل برصاصتين
1955-3-6	الدار البيضاء	قاضي المحكمة	أصيب جروح خطيرة
1955-3-14	مراكش	رئيس كلية بن يوسف	نجا للمرة الثانية
1955-5-10	الدار البيضاء	عدل	قتل بالرصاص
1955-6-29	بوسكورة	إمام مسجد	جروح خطيرة بالرصاص
1955-7-13	الدار البيضاء	فقيه	أصيب بجراح داخل مسجد
1955-7-14	آسفي	فقيه	قتل بالرصاص
1955-7-17	سطات	عدل	جراح خطيرة بالرصاص
1955-7-20	وجدة	شيخ الزاوية القادرية	جرح بالرصاص
1955-9-29	الدار البيضاء	عدل	جرح بعيار ناري
1955-10-4	الدار البيضاء	عدل	أصيب بجراح خطيرة
1955-10-5	الدار البيضاء	فقيه	قتل بالرصاص
1955-10-12	فاس	الفقيه الزيتوني	نجا للمرة الرابعة من الموت
1955-10-14	الرباط	عدل بالمحكمة	أصيب بجراح خطيرة
1955-10-19	مراكش	فقيه	قتل بالرصاص
1955-10-20	الدار البيضاء	فقيه	قتل بعيار ناري
1955-10-23	فاس	عدل بالمحكمة	قتل بخمس طلقات نارية
1955-11-5	الدار البيضاء	فقيه	قتل بالرصاص
1955-11-6	الدار البيضاء	فقيه	قتل برصاصة في الرأس
1955-11-8	الدار البيضاء	فقيه	أصيب بجراح
1955-11-13	الدار البيضاء	عدل	قتل بالرصاص
1955-11-23	برشيد	فقيه	قتل بطعنات خنجر
1955-12-4	الكارة	فقيه	قتل بالرصاص
1955-12-8	اكادير	قاضي	قتل بطلقة نارية
1955-12-13	فاس	فقيه	تدمير منزل بقنبلة
1955-12-14	قلعة مكونة	فقيه	قتل بالرصاص

البورجوازية التجارية تستنكر أعمال المقاومة

عرف المجتمع المغربي بداية من القرن السادس عشر صعود بورجوازية تجارية قادمة من الأندلس تتكون من أسر ثرية هربت بأموالها وأولادها من الإبادة الصليبية ومن محاكم التفتيش الكاثوليكية وبالخصوص إثر سقوط غرناطة عام 1492م. وضمت الهجرة القسرية الأغنياء الاندلسيين المسلمين واليهود الذين جلبوا معهم زيادة على المال مختلف المعارف من علوم وصناعات وحرف يدوية مثل صياغة الذهب والفضة والأحجار النفسية وغيرها من المعادن، وأدخلوا إلى المغرب أدوات جديدة للعمل، واستوطنوا مدن تطوان والرباط وسلا وفاس وهي مدن اعتبروها "حضرية" تمييزا لها عن باقي المدن التي صنفوها "بدوية" وتنافسوا في بناء المساكن الفخمة التي لا تزال إلى اليوم تجسد متاحف في فنون النقش والنحت وأرقى أشكال التنميق المعماري.(31)

وإذا كانت الهجرات الأولى قد تمت تحت شعارات الأخوة والتضامن الديني، فإن سقوط الأندلس نهائيا جعل المغاربة ينظرون إلي القادمين المهزومين من طرف المسيحيين نظرة الإزدراء، وتسلط عليهم البدو في الطرقات **"ونهبوا أموالهم في بلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة"**.(32)

وكان المسلمون واليهود الفارون من الاضطهاد المسيحي يشعرون بخصال اجتماعية وثقافية وتجمعهم أنماط الاستهلاك والحياة واللغة وتميزهم، عن باقي المغاربة، في اللسان لكنة واحدة يتعرفون خلالها عضويا على أنفسهم ويطربون لنفس الموسيقى والأنغام التي تشد مشاعرهم إلى الأندلس المفقود، وتكونت لديهم عقدة التفوق وتفاخروا بانتمائهم لأقلية لها سماتها وتقاليدها الخاصة. وتدلنا إحصائية استخرجناها من قائمة للكتاب والمثقفين القاطنين بمدينتي الرباط وسلا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أن أغلبهم من أصل أندلسي ولا يزال 63منهم من مجموع 248يحتفظون بأسمائهم الاسبانية **"وبوجود تلك الألقاب الاسبانية بقيت البيوتات الأندلسية محفوظة، فمن لم يكن إسمه منها فليس بأندلسي صميم"**.(33)

ولما كان العدد الأكبر منهم يعيش بمدينة فاس التي كانت عاصمة المغرب السياسية والثقافية، فإن صفة الفاسي تطلق على جميع المنحدرين من أصل أندلسي، وقد اشتهروا بالتعصب لسلالتهم وحافظوا على خصائص مشتركة ويخضعون لمؤثراتها ويستجيبون لها بشكل جماعي، ولم تستطع التطورات

31 - Jerome et Jean Tharaux, Fez ou les bourgeois de l'islam, Paris, 1930. P.186.

32 - الاستقصا، م.س. ج 4ص106.

33 - عبد الله الجراري، أعلاء الفكر المعاصر ج2، ص228، الرباط 1971.

التي حدثت في المجتمع والعقليات أن تعصف **"بالروح العصبية الفاسية الكامنة الدفينة في النفس"**.(34) واتصفوا بالتعالي الفكري وطبعتهم روح الانعزالية وكتب عنهم جغرافي إندلسي في القرن السادس عشر : **"بفاس الأعيان متكبرون جداً إلى درجة أن عدداً قليلاً من الناس يستطيعون معاشرتهم"**.(35)

وكان لابد لهم من تعويض نفسي عن الانهزامية التاريخية التي تثقل وجدانهم فذهبوا ينبطحون أمام الحكم المركزي، وعمل التجار منهم لحساب السلطان الذي يمتعهم برسالة **"التوقير والاحترام"** التي تعادل الحصانة في زمننا هذا، ويمنح الذين يقدمون له أحسن الخدمات لقب **"تجار السلطان"** وكانوا يتوسطون في تصدير المنتوجات الجاهزة مثل السجائد والأحذية والنسيج إلى البلدان الإفريقية المجاورة ويراقبون نشاط المدينة التجاري والحرفي. وفي بداية القرن الماضي قاموا بتصدير المواد التي تحتاج إليها أوربا مثل الصوف والجلود والحبوب وزيت الزيتون والأبقار وغيرها، وفي ذات الآن استقبلوا البضائع الأوربية مثل الأقمشة القطنية والحريرية والأواني المعدنية كالأمواس والمرايا والمنتوجات المصنعة منها الشموع والسكر والشاي والقهوة، وراكم بعضهم أموالا طائلة وامتد نشاطهم إلى الخارج حيث فتحوا مراكز تجارية في اسبانيا وجبل طارق وإيطاليا وفرنسا وألمانيا والسينغال والقاهرة، ومن طبائع التاجر الفاسي أنه **"... يسعى دائما وراء الربح كضالة ينشدها متى كانت وأينما وجدت وفي أي بلد من بلدان المعمور"**.(36)

وبلغ عدد القاطنين منهم خارج المغرب حوالي مائة، وكان أربعون يديرون أربع عشرة شركة مغربية في مدينة مانشيستر الانجليزية عام 1892م، وقد ارتد أربعة منهم عن الإسلام واعتنقوا الديانة البروتيستانتية.(37)

وأفاد بحث أجري في بداية القرن العشرين أنه كان موجودا بفاس 44من كبار التجار 13محميون أنجليز و 8محميون فرنسيون و 5محميون ألمان وقد أثروا ثراء فاحشا (38)وأرجع مؤرخ المملكة جزءا من ذلك الثراء الفاحش إلى النهب الذي باشره التجار والموظفون في الأموال العمومية : **"معظم الأسر التي ظهر عليها الثراء في مطلع هذا القرن العشرين مثل آل التازي، الجاي، المنبهي إنما أثرت واستغنت مما سرقته من مال الشعب"**.(39)

34 - مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب ج 1ص120، الرباط 1984.
35 - وصف إفريقيا م.س. ص214.
36 - بوشعراء، الاستيطان والحماية، ص120.
37 - JEAN Louis Miege, Le Maroc et l'Europe 1830-1894, T.4, P.U.F. Paris 1964, P.406
38 - انظر أسماءهم وأرقام ثرواتهم في :
Driss Ben Ali Un exemple de transition, Fez au XIXème siècle, Revue Juridique politique et économique du Maroc, No 8, 1980, P.97.
39 - بن منصور، أعلام المغرب العربي م.س، ص346.

وعندما ضمن كبار التجار حماية مصالحهم عن طريق الشراكة مع الأوربيين بحصولهم على الجنسية الأجنبية، لم يتردد بعضهم في مساعدة المستعمرين على تهييء تدخلهم المسلح لاحتلال البلاد وتمكينهم من التعرف على خفايا المجتمع بما فيها العلاقة بين الحكام والمحكومين والاختلافات الجهوية واللغوية بين السكان وغيرها من الخصوصيات التي يتعذر على الغرباء معرفتها واكتشافها.

وفي الثلاثينيات برزت شريحة بورجوازية وطنية اعتمدت على قاعدة تتكون من صغار الباعة والكادحين وقادتها نخبة من الطلبة معظمهم من أصول أندلسية يرتبطون وجدانيا بمنبتهم التاريخي ويحنون إلى ماضي العصور المزدهرة للإسلام.

وقام المتعلمون بدور قيادي في النضالات التي خاضتها الجماهير من أجل التحرر من ربقة الاستعمار ومثلوا الإطار الواعي الذي حمل الثقافة السياسية إلى أوساط الحرفيين والتجار الصغار في مرحلة أولى وإلى العمال والفلاحين في مرحلة ثانية وتزعموا الكفاح الوطني قبل وبعد انتهاء دراستهم وهم حسب الترتيب الزمني : عبد السلام بنونة، علال الفاسي, بلحسن الوزاني، محمد اليزيدي، أحمد بلافريج، عمر بن عبد الجليل، عبد الخالق الطريس، عبد الله إبراهيم، المهدي بن بركة، عبد الرحيم بوعبيد وآخرون، وكانوا أكثر إحساسا بالغربة في وطنهم بعد إنهاء دراستهم في الجامعات الفرنسية حيث يجد الراغبون منهم في فتح عيادة أو مكتب للدراسات أنفسهم مرغمين على تقديم طلب إلى "مكتب الهجرة" الذي يبحث في طلبات المهاجرين القادمين إلى المغرب من بلدان أخرى (40) أما الذين أكملوا تعليمهم في جامعة القرويين وكلية بن يوسف والتعليم الحر فإن أبواب العمل في الإدارات ظلت موصودة في وجوههم.

وحسب إحصائية صادرة عن الإقامة العامة بتاريخ 31-12-1944 فإن عدد الموظفين المغاربة بلغ 5.942، بينما وصل عدد الموظفين الفرنسيين إلى 20.492ولم يكن عدد السكان الفرنسيين يتعدى أربعمائة ألف مقابل ثمانية ملايين من المغاربة. (41)

وباستثناءات قليلة كان أغلب الطلبة ينحدرون من أسر متوسطة وفقيرة وأكثر معرفة بالأوضاع المزرية التي تعيشها الجماهير وما تعانيه من ظلم وقهر المستعمرين وأذنا بهم الخونة، وتمكنوا بالصبر والإرادة من إيصال النداء الوطني إلى آذان الجماهير المحرومة من كل وسيلة للتثقيف ولا تملك سوى حاسة السمع لتلقي المفاهيم والنظريات الكفاحية التي تساعدها على الوعي بذاتها والنهوض من أجل الانعتاق من العبودية، فالنظرية تتحول إلى قوة مادية

40 - رشيد ملين، نضال ملك، سيدي محمد بن يوسف، ص121، الرباط 1956

Albert Ayache, le mouvement syndical Op. Cit. P.80. - 41

بمجرد استحواذها على وعي الجماهير.(42)

وكان الحرفيون بالمدن في مقدمة المناضلين في صفوف الحركة الوطنية التي استقطبت فقراءهم وتبنت الدفاع عن مصالحهم بالدعوة إلى مقاطعة البضائع والسلع الأجنبية التي غزت الأسواق وارغمت الآلاف على العيش تحت درجة الفقر. لقد كانوا يمثلون خمسين بالمائة من سكان المدن حسب إحصاء أجري في بداية الثلاثينات من القرن الماضي (43) وتدهورت أحوالهم المهنية والمعيشية نتيجة استيراد المنسوجات من الخارج، وكانت بالفعل ألطف وأرخص مما تسبب في القضاء على صناعة القطن والكتان، وأدى اختراع المناسج الآلية في اوربا إلى إزاحة المناسج المغربية التي لم تعرف طريق التطور.(44)

وحافظ الاستعمار على الهياكل التي كانت عليها الصناعة التقليدية إذ لم تكن له مصلحة في تطويرها لأن ذلك كان سيساعد المجتمع على الانتقال إلى تشكيلة أكثر تقدما من شأنها تغيير علاقات الإنتاج الحرفية.

وأحدث الإفلاس والنكبات التي تصيب الحرفيين تأثيرا على مواقفهم السلبية وانخرط قسم منهم في المظاهرات الشعبية ضد الاستغلال الرأسمالي في سنوات 1936 و1937 بفاس والرباط والدار البيضاء ومراكش وفي 11 يناير 1944 أثناء المطالبة بالاستقلال.

خاضت البورجوازية الوطنية كفاحا مزدوجا ضد السيطرة الرأسمالية الاستعمارية وضد البورجوازية التجارية المتحالفة معها : **"يجب أن نتحرر من ذهنية الطبقة المنافقة إلبورجوازية التي تخشى من كل جديد وتخاف من كل تفكير في أي طور يطرأ عليها، فإن هذه الطبقة قضت على نفسها بهذه الروح، وتكاد تقضي علينا جميعا إذا لم نتعلم كيف ننعتق من قيودها"** (45)

وبرهنت البورجوازية التجارية الموالية للإستعمار عن جبن وعقوق تجاه الوطن. وعبر عبد السلام بنونة عن خيبة أمل كبرى حينما خرج خاوي الوفاض بعد أن طلب المساعدة إلى : **"أكثر من مائة ميسور مغربي لتقديم المساعدة المالية لطلبة المغرب القائمين بحملة دعائية في الصحف الفرنسية ضد "الظهير البربري" ولا أحد منهم استجاب للطلب".** (46)

وفي رسالة أخرى بتاريخ 15مارس 1931 كتب إلى شكيب أرسلان: **"لا أمل لي في أية إعانة من الحاج عمر التازي الثري العظيم الذي أشرتم إليه..."**.(47)

42 - كارل ماركس، نقد فلسفة الحق لدى هيغل، ج 1ص283، برلين 1956.
43 - عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية ج 1ص129، الرباط 1962.
44 - محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1.، ص 11الرباط 1973.
45 - النقد الذاتي، م.س. ص20.
46 - الطيب بنونة، نضالنا القومي. م.س. ص119.
47 - ن.م. ص345.

دافعت البورجوازية الناشئة عن مصالحها بشكل متداخل، لفظا ومطلبا، مع مصالح الجماهير الكادحة والتزمت في برنامجها بالعمل على إرضاء الحاجات الروحية والمادية للمجتمع **"بسن قوانين اجتماعية من أجل رفع المستوى المادي والخلقي للجمهور المغربي وتحسين حالة العمال في المدن والقرى، وإعطاء الكل تربية حقيقية وإنشاءهم على الأسس التي تشعرهم بالكرامة والحرمة الإنسانيتين"** (48).

لكن أهداف كل جهة كانت مختلفة في العمق رغم أن الجهتين، البورجوازية والجماهير، متفقتان في مواجهة العدو المشترك المسيطر على جميع مرافق الاقتصاد المغربي والرافض لأي تقاسم للامتيازات مع البورجوازية الوطنية.

في التقرير المقدم إلى مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947 إشارة واضحة إلى الرأسمال الاستعماري الذي يضع العراقيل أمام الشركات المغربية... ويحتكر التجارة ويحارب نشاط التجار المغاربة... ويذهب التقرير إلى القول بأن الاستعمار يقوم بالاستيلاء على رصيد الذهب والفضة وإرساله إلى فرنسا وإسبانيا. (49)

وتجلت السيطرة الأجنبية في كثرة التجار الفرنسيين المسجلين في السجل التجاري سنة 1938 حيث بلغ عددهم 14.741 في حين كان عدد التجار المغاربة لا يتجاوز 3.285 تاجرا، وفي سنة 1955 بلغت الشركات الفرنسية 12.645 مقابل 1.373 شركة مغربية معظمها في ملكية اليهود.

وفي بداية عهد الاستقلال عام 1956 وصل عدد المغاربة في السجل التجاري إلى 67 ألف تاجر وارتفع سنة 1960 إلى ثلاثمائة ألف. (50)

تراوح عدد البورجوازية الفرنسية في عهد الاستعمار ما بين 4 و5 آلاف شخص استحوذوا على ثروات ضخمة وتمرغوا في الكماليات وتنقلوا في أفخم السيارات الأمريكية وبعضهم كان يملك طائرات خاصة. (51)

وجه منظرو البورجوازية الوطنية الصراع الوطني كله ضد الرأسمالية الأجنبية وأخروا الوعي الجماهيري بطمسهم التناقضات الاجتماعية القائمة، وحال سلوكهم وانتماؤهم الطبقي دون تحقيق الكادحين انعتاقهم من قيود الاستعباد والأمية، وطغى عليهم الاستعلاء الفكري الارستقراطي :

"إذا أردنا أن نكون من نفوسنا هذه الطبقة الرفيعة من جهة الفكر وجب علينا أن نتعود التحرر تدريجيا من منطق الشوارع والترفع قليلا عن التأثر

48 - الفاسي، الحركات الاستقلالية. م.س. ص253.

49 - مؤتمر المغرب العربي، كراس صادر عن مكتب المغرب العربي القاهرة 1947 ص28.

50 - Abdelaziz Belal, l'investissement au Maroc 1912-1964, Casablanca 1980 2e editon, P. 80.

51 - Rezette, les partis, Op. Cit, P.257.

بواقعية الحياة... إن للأرستقراطية الفكرية طابعها المتاز وهو اليقين والحرارة والبناء". (52)

وبذلك كان البورجوازيون يتوهمون أن الفكر مستقل عن الشروط الاجتماعية والمادية، وعجزوا عن التخلص من النظرة الدونية للآخر سواء كان كادحا أو اقطاعيا. فعندما نعتت الصحف الفرنسية الباشا الجلاوي بلقب "الشريف" هاجمه الفاسي ليس بوصفه عميلا للاستعمار حاول تزييف نسبه بالإنتماء إلى سلالة النبي، بل شتمه من خلال لون بشرته وقال عنه : **"إن هذا الأسود بلحمه ودمه أصبح شريفا".** (53)

وفي سرده لحدث سياسي أضاف : **"أمرت الإقامة الفرنسية العامة الباشا الأسود بأن يقابل السلطان ويعاتبه على موقفه من حزب الاستقلال".** (54)

إن هذه الميولات التحقيرية شكلت نزعة عصبية مقيتة بعد إعلان الاستقلال كما سيأتي توضيحه في فصل قادم.

لقد قاد الوطنيون نضالات الفقراء تحت شعارات الإيديولوجية البروجوازية المتسترة بقناع الدين ومثلوا التيار الديني المعتدل وجعلوا منه أداة للتحريض ضد الاحتلال الأجنبي، وفسروا الثرات بشكل يدعم الوحدة الروحية للشعب، وحاربوا الطرقية والفكر الخرافي ودافعوا عن الاختراع النافع وشجبوا البدعة الفاسدة، وبما أن الشعور الديني والوطني متداخلان ولا يوجد حد فاصل بينهما في مرحلة معينة من تطور المجتمع، فإن توظيفهما في الصراع السياسي طمس دورهما في مجال التحرر الاجتماعي الذي يعني التخلص من الاستغلال الطبقي.

كان انطلاق الرصاصات الأولى للمقاومة في سبتمبر 1953 مفاجأة بالنسبة لأعضاء القيادة السياسية المعتقلين، وصاح أحدهم من شدة الاغتباط : **هاهو الشعب ينتقم لنا !** ولما أقدم المقاومون على القيام بعمليات خطيرة خافوا وفتر حماسهم وتراجعوا عن تعاطفهم، وأدى الخلاف داخل السجن إلى القطعية بين أقلية ترى أن الخلاص يكمن في مواصلة الكفاح المسلح وبين أغلبية تعارضه خوفا من أن تطول مدة الاعتقال، ولم يكن أصحاب هذا الرأي : **"يعرفون مزاج الجماهير واتسمت مواقفهم بالتقلب ونظرتهم السياسية بالطوبوية".** (55)

لم يتوقف الفقيه محمد غازي في إبداء ابتهاجه كلما جاء خبر بتنفيذ المقاومين لعملية مثيرة، بينما كان جاره في الزنزانة الهاشمي الفيلالي يستقبل الخبر بغضب ويقول بأن تلك الأعمال ستبقيه في السجن إلى مالا نهاية. (56)

52 - النقد الذاتي، ص49-50.
53 - علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق م.س, ص86.
54 - ن.م. ص163.
55 - مقابلة مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء يوم 24-6-1986.
56 - حديث مع عبد الرحيم بوعبيد بالدار البيضاء في 17-11-1965.

كان للضربات القوية التي وجـهتها المقاومة للمصالح الفرنسية وقع شديد في أوساط البـورجـوازية التجارية التي أصـابها الذعر وهبت تعلن تضـامنها مع الإمبريالية وتتـبرأ من كل مسؤولية عن الانفجـار الذي وقع في السوق المركزي بالدار البيضاء ونددت بالقائمين به واعتبرت الكفاح : **"إرهابا وإجراما"** وسارت على نهج الفقهاء ووصـفت المقاومين بـ **"الخارجين عن الإسلام"** (57) وبعد أن استغلت الدين لتعبئة الجماهير عادت تستعمله في مغالطتها وإخضاعها لخدمة مصالح ذاتية لا علاقة لها بالدين.

والحقيقة أن بعض أعضـاء قيادة حزب الاسـتقلال هم الذين أمروا كـبار التـجـار التابـعين لهم بإصـدار بلاغ يسـتنكر الانفجار ويـقدم التـعـازي للإدارة الاسـتـعمـارية إثر سـقوط عدد مـن المستـوطنين الفرنسـيين، وهم أنفسـهم الذين بعـثوا مـرسـولاً إلى الزرقطوني لإقناعـه بأن الضـرورة حـتمت اسـتنكار عـمل المقاومة حماية لقيادة الحزب المهددة داخل السجن. (58)

وانضم إلى الموقـعين على بلاغ الاسـتـنكار بعض المنتـمين لحـزب الشـورى والاسـتـقلال ومن بـينهم بن سـالم الصـمـيلي ومـحـمـد بابي برادة عضو غرفة المستوردين للأثواب الذي اغـتـالـه المقـاومـون فـي وقت لاحق بدعوى عـدم احتـرامه للأمـر القاضي بمقاطعة البضائع الفرنسية. (59)

ومن جـهة أخرى قـدم رهط من مـختلف شـرائح البـورجـوازية رسـالة إلى المقيم العـام فرانسـيس لاكـوسط بتـاريخ 22يوليوز 1 954. ومن بين مـوقـعـيها امـحـمـد بوسـتة وامـحـمـد الدويري وعـمـر السـلاوي والـطـاهر السـبـتي وامـحـمد الزغـاري وكلهم من حـزب الاسـتـقـلال، يـضـاف إليـهم التـهـامي الوزاني من حـزب الشـورى والاسـتـقـلال والحـجـوبي أحـرضـان ضـابط سـابق في الجـيش الفـرنسي وثمـانـيـة وثلاثين من كـبـار التـجـار



● البورجوازيون أمام رئيس ناحية الدارالبيضاء يعلنون إستنكارهم لأعمال المقاومة

57 - الوداد 28-12-1953.
58 - حديث مع الفقيه البصري بالدار البيضاء في 17-4-1998.
59 - Guy Delanoë, La résistance marocaine et le mouvement conscience française, T.3 l'Harmattan, Paris 1991, P. 185.

والملاكين العقاريين والاساتذة وبعض العمال وصغار الباعة بهدف إعطاء محتوى الرسالة صبغة الإجماع الوطني. وفي مقدمتها ذكر موقعوها إن العنف السائد في البلاد : **"لم يجد أبدا مكانته في المثل وفي عمل الوطنية المغربية التي سعت دائما للوصول إلى مطالبها بالطرق السلمية"** وادى بهم تنكرهم لكفاح الشعب إلى التزامهم العلني بالمحافظة على **"المصالح الفرنسية بالمغرب الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية في نطاق الصداقة الفرنسية التي لا تنفصم"**.(60)

ومن اللافت للانتباه أن بلاغات الشرطة تحتوي على أسماء عشرات التجار المستهدفين في أملاكهم وأرواحهم لهجومات المقاومين. فالبعض تعرضوا للعنف بسبب ترويجهم للبضائع الفرنسية ورفضهم الامتثال لقرار المقاطعة، وآخرون امتنعوا عن المشاركة في حركة الإضراب كما وقع بمدينة فاس يوم 1 غشت 1954 عندما رفض التجار الكبار والمتوسطون إغلاق متاجرهم واشتبكوا مع المتظاهرين، وتدخلت الشرطة الفرنسية لحمايتهم وقتلت خمسة متظاهرين وجرحت عشرين (61) ولم يسع الجماهير إلا الانتقام بإحراق السوق القريبة من الحرم الإدريسي حيث تحول أربعمائة متجر إلى أكوام من الرماد وبلغت الخسائر مليار فرنك.(62)

ومن الأخبار المتفرقة المنشورة في الصحف الصادرة في الفترة الممتدة من يناير 1954 إلى دجنبر 1955 استخرجنا الإحصائية حوله التي تهم 222 تاجرا استهدفوا لهجومات المقاومين :

المدينة	عدد القتلى	عدد الجرحى
الدار البيضاء	62	53
فاس	4	11
الرباط	3	14
مراكش	6	12
وجدة	5	10
القنيطرة	3	5
سلا	1	2
مكناس	2	7
أكادير	2	0
وزان	1	3
آسفي	3	4
المحمدية	1	2
بن أحمد	1	2
سطات	2	1
المجموع	**96**	**126**

60 - نص الرسالة بالفرنسية في صحيفة "Le Matin" 20-8-1988.

61 - Maroc presse 2-8-1954.

62 - ن.م. 28-9-1954. أعلن ممثلو حزب الاستقلال في تطوان أن السلطة الفرنسية هي التي أحرقت المتاجر ! أورده صاحب السنوات الحرجة م.س. ص297.

وفي نفس الفترة انفجرت 74 قنبلة في المتاجر منها 36 بمدينة الدار البيضاء، وأضرمت النار في 42 دكانا ومؤسسة تجارية، وشهدت نهاية عام 1955 مقتل تجار متعاونين مع الاستعمار وتعرضت مساكنهم للتفجير بالقنابل.

وهذه لائحة مختصرة للهجومات على كبار التجار وعدد منهم ينتمون إلى أحزاب الحركة الوطنية :

التاريخ	المكان	المستهدف
1954-1-26	القنيطرة	إطلاق النار على رئيس الغرفة التجارية
1954-3-24	الدار البيضاء	مصرع أمين تجار الصوف
1954-4-5	الدار البيضاء	إصابة عضو الغرفة التجارية بجراح خطيرة
1954-4-27	مراكش	قتل أمين سوق السماطة
1954-7-5	وجدة	اغتيال محتسب المدينة
1954-7-25	مراكش	نجاة رئيس الغرفة التجارية من الاغتيال
1954-8-13	الدار البيضاء	قتل أمين الكهربائيين
1954-8-23	الدار البيضاء	قتل عضو في الغرفة التجارية
1954-9-27	الدار البيضاء	قتل أمين السماسرة
1954-11-24	الدار البيضاء	إصابة تاجر كبير بجراح
1954-11-29	أسفي	انفجار قنبلة في منزل رئيس الغرفة التجارية
1955-2-17	الدار البيضاء	قنبلة تدمر باب منزل رئيس الغرفة التجارية
1955-3-21	القنيطرة	قتل تاجر كبير
1955-6-28	خميس الزمامرة	قتل أمين الجزارين
1955-10-5	وجدة	إصابة رئيس الغرفة التجارية بجراح
1955-10-21	الدار البيضاء	إصابة أمين الجزارين بجراح خطيرة
1955-11-3	مراكش	إصابة رئيس الغرفة التجارية بجراح
1955-11-5	الدار البيضاء	إصابة تاجر بجراح خطيرة
1955-11-16	إنزكان	إصابة أمين صانعي السجائد (الزرابي) بجراح
1955-11-22	مكناس	إصابة تاجر بجراح خطيرة
1955-11-25	أربعاء أولاد سعيد	اغتيال رئيس الغرفة الفلاحية للشاوية
1955-11-29	الدار البيضاء	اغتيال رئيس الغرفة الفلاحية لأولاد زيان
1955-12-5	تمنارة (الصويرة)	مقتل الأمين المشرف على الأسواق
1955-12-18	مديونة	مقتل أمين الجزارين
1955-12-19	الدار البيضاء	إصابة عضو في الغرفة التجارية بجراح خطيرة
1955-12-20	الدار البيضاء	إطلاق النار على عضو بالغرفة التجارية

بلاغ التجار

"نحن الشرفاء والمثقفين والتجار والوطنيين الذين يمثلون رأي أعيان الدار البيضاء، أبينا إلا أن نأتي لنقدم لسعادة رئيس الناحية تعازينا وأن نعرب عن تأثرنا العميق أمام هذا العمل الإرهابي الذي قضى على أرواح الضحايا الذين ننحني أمامهم. وإن هذه الأعمال الإرهابية وهذه الوحشية نستنكرها جميعا، ونظهر جميعا سخطنا أمام هذه الأعمال المنافية للإسلام ومبادئ الوطنية نفسها، ونعتبر مرتكبيها خارجين عن الإسلام.

وقد جئنا من جهة أخرى لنشكر رئيس الناحية وخلفائه على تبصرهم ورباطة جأشهم وشجاعتهم أمام هذه الحالة، وإن موقفهم ليكون ضمانة للصداقة الفرنسية المغربية التي هي ضرورة مطلقة لمستقبل المغرب.

ونجدد سخطنا وغضبنا أمام هذه المؤامرة الغادرة، ونطلب من هذه السلطات أن تنوب عنا لدى عائلات الضحايا للإعراب لهم عن ألمنا وحزننا. ونحن مستعدون لتقديم كل مساعدة ممكنة في كل ما سيتخذ ضد مثل هذه الحالة. وسنتحمل من الآن جميع مسؤولياتنا، وسنضحي بحياتنا في سبيل الصداقة الفرنسية المغربية ومستقبل بلادنا". (63)

التوقيعات :

1- محمد بن العربي العلمي : مدير مدرسة مولاي الحسن الحرة.
2- الحاج محمد بن العباس بناني : تاجر في الثياب.
3- محمد بابي برادة : تاجر وعضو مكتب مستوردي الثياب.
4- بن سالم الصميلي : تاجر في الثياب.
5- إلحاج محمد بن عبد القادر سميرس : تاجر في الثياب.
6- أحمد بناني : تاجر في الثياب.
7- محمد عز الدين بنجلون : تاجر في السكر وعضو لجنة الوداد الرياضية.
8- إلطيب السبتي : تاجر في الثياب.
9- أحمد بن إدريس بنكيران : تاجر في الثياب وصهر الجنرال أمزيان.
10- محمد بن الحسن بناني : تاجر.
11- أحمد بن سالم الزغاري : تاجر.
12- الحاج بسعيد الحريزي : تاجر في الثياب.
13- الحاج أحمد العربي : تاجر.
14- الحاج عبد القادر الزموري : تاجر.
15- مولاي علي العلمي : تاجر في الثياب.
16- الحاج عبد الواحد بنجلون : تاجر في الثياب.

63 - الوداد 28-12-1953.

17-الحاج عبد الرحمان التازي : تاجر في الثياب.
18- عبد العزيز المخاط : تاجر.(64)

رسالة محمد بن الجيلالي بناني

إلى رئيس ناحية الدارالبيضاء

من محمد بن الجيلالي بناني إلي رئيس ناحية الدار البيضاء.(65)
أرجوكم أن تسمحوا لي بكتابة هذه الرسالة إليكم بصفتي وطنيا مغربيا يستنكر بحزن عميق الاعتداء الوحشي الذي قامت به اليد الارهابية بالسوق المركزي بالدار البيضاء وأسفر عن قتل عدد من الضحايا الذين انحني ترحما عليهم.
أرجو يا سيدي الرئيس أن تعتقدوا أنني أتحسر بصفة حازمة على ضحايا الاعتداءات الإرهابية. وكذلك على جميع الأعمال العدوانية كيفما كان نوعها. وإنني متيقن أن مثل هذه الأعمال لا يمكنها أن تفيد المغرب بشيء، والمغرب هذا لا يمكنه أن يزدهر ويرتقي إلا في جو يسوده الهدوء والطمأنينة بصفة تحتل فيه الصداقة الموحدة مكانها الأسمى.
وهكذا فقد رأيت من الجدير بي أن أعبر لكم عن شعور جميع الوطنيين المغاربة الحقيقيين، وأتمنى أن تتبع الحكومة أبحاثها للعثور على المجرمين، كما أتمنى أن تخلق جوا ملؤه الطمأنينة والهناء. وأتقدم يا سعادة الرئيس لأعبر لكم بكل احترام عند مطلع السنة الجديدة عن أجمل التمنيات كما أرجو لكم السعادة والتوفيق في مهامكم السامية وأرجو من الله أن يجعل من سنة 1954 عهدا تشمله الطمأنينة الدائمة والأخوة بين جميع سكان المغرب، كما يجعل منها سنة سلام وهدوء وازدهار للجميع.
وأرجو يا سعادة الرئيس أن تتقبلوا كل احتراماتي نحو شخصكم السامي".

64 - الاسم الأخير ورد في كتاب محمد عز العرب حسن الوزاني : IZARA6 Moh. H.Ouazzani, : Entretiens avec mon père, Mkallés, Liban 1989, P.323.
65 - محمد بن الجيلالي بناني تاجر كبير وعضو حزب الاستقلال ومن الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

الفصل التاسع

الكفاح العادل والإرهاب الاستعماري

مساهمة المرأة في الكفاح المسلح

كانت المرأة قبل الإسلام تباع وتُشترَى وتورث ولا ترث. إذا توفي الزوج فالوارث لماله يرث امراته كذلك باعتبارها متاعـا، ويتصرف فيها حسب رغبته إذا شاء أعطاها لغيره وإذا رغب فيها ابقاها لنفسه.

ولما جـاء الرسول (ص) بالدعـوة إلى الحـرية والعدالة والمسـاواة بين البشـر، إصطفت النسـاء في مقدمة المناصرين له. فكانت خديجة بنت خـويلد زوجتـه أول من اعتنق الإسـلام، وسمـية أم عمـار بن ياسر أول شـهيد بعد أن قضت نحبها تحت التعذيب.

وهبت العشرات من نساء المهاجرين والأنصار لأخذ مكانهم في ساحات المعارك، واشـتركت أم عطية في سـبع غزوات. ولما انهزم الرجال في معـركة أحد صمدت النسـاء في الدفاع عن النبي وبقيت نسيبـة بنت كعب المازينية تذب عنه بالسيف وترمي بالقوس إلى أن أصاب جسمهـا اثنتا عشر جرحـا ما بين طعنة رمح وضربة سيف.(1)

وتصدت المسلمـات للبزنطيين في معركـة اليرموك (636م)، وفي خضم المعمعة أصيبت جويرية بنت ابي سفيان بجراح.

ومن التدابير التي جـاء بها الإسلام لفائدة المرأة، إلغـاء العادات التي تبيح قتلها وبيـعها وأوصى بحقها في الحياة وحفظ كرامـتها : **"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكـم أزواجا لتسكنوا إليـها وجـعل بينكم مودة ورحـمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"**(2) واحتفظ لها بشخـصيتها بحيث لا يتغير اسمها، بعد الزواج، باسم زوجها، وترك لها حق التصرف في أموالها وأملاكها بدون موافقة زوجها وهذا عكس مـا تنص عليه حـاليا بعض القوانين الأوربيـة، وجـعلها مـتساوية للرجل في حق التجـارة بلا حدود، واقر لها حقوق التعليم : **"العلم فريضة على**

---

1 - محمد جميل بهيم، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة. بيروت 1962ص17.

2 - الروم 20/30.

3 - النساء 3/4

كل مسلم ومسلمة" وتولي الوظائف والشؤون العامة وإعطاء الرأي في قضايا المجتمع، ونهى عن أخذ الولي صداق المرأة ومنحها الحق في التطليق إذا اشترطته في عقد الزواج، وحدد تعدد الزوجات في أربعة بعد أن كان يتجاوز المائة، ويمنعه في حالة الخوف من الظلم **"...فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة"** (3) وتتفق جميع المذاهب الإسلامية على منع التعدد حينما ينتفي شرط العدل. وتظل تونس، في الوقت الراهن، البلد الإسلامي الوحيد الذي منع التعدد ويعاقب بالسجن والغرامة من يمارسه.

وعلى الرغم من تراجع التعدد بفعل الشروط الاقتصادية التي تجعل القدرة على الإنفاق أمرا صعبا وارتفاع مستوى التعليم وتطور العقليات، فإن التعدد يبقى في بعض البلدان وسيلة ضغط بيد الرجل لإرغام المرأة على الخضوع تحت التهديد بزواج آخر قد تكون له أوخم العواقب عليها وعلى أبنائها.

وسواء في المدن أو في البوادي فإن التقاليد المناوئة لحقوق المرأة تحرمها من نصيبها في الإرث الذي أعطته الشريعة لها، وتفرض عليها التنازل عن حصتها لأحد أفراد العائلة الذكور وذلك تفاديا لانتقال الثروة من عائلة إلى أخرى أو من قرية إلى غيرها.

وبالمغرب شنت الحركة الوطنية منذ الثلاثينات من القرن الماضي حملة توعية بهدف تجديد الحياة الاجتماعية واستنهاض المرأة وتحريرها من قيود الأعراف المتخلفة، وحاربت الحجاب وزواج القاصرات والمغالاة في المهر والتبذير بإقامة الولائم الضخمة والظهور بمظهر الغنى الكاذب، وعارضت إجبار الوصي المرأة البكر على الزواج بمن لا تريد. وفي هذا الصدد أعرب الفاسي عن مواقف جريئة وكتب : **"...روح العصر لم تعد صالحة لتطبيق مذهب المالكية في الموضوع (الإجبار) لأن المرأة المغربية على أبواب التطور الذي لا يجعلها مستعدة لقبول مثل هذا التحكم في مصيرها"**. (4)

وبخصوص التعدد عبر عن موقف واضح قبل نصف قرن وطالب بـ **"... تطبيق مبدأ الإصلاح الإسلامي بمنع التعدد مطلقا في هذا العصر إقامة للعدل وتقديرا للمرأة وحماية للإسلام"**. (5)

وعندما أصدر بعض الفقهاء المتحجرين أمرا بمنع ارتداء الجلباب على المرأة باعتباره يظهر مواضع الإثارة في جسدها، كتب الفاسي : **"إن المرأة المحجبة ليست أقل تعرضا لخطر البغاء من أختها السافرة... وهذا يعني أن الفساد في وسط الحاضرة حيث تحتجب النساء ليس أقل منه في وسط القرية**

4 - الفاسي النقد الذاتي، م.س.ص 279.

5 - ن.م.ص 294.

6 - ن.م.ص 272.

7 - أبو بكر القادري، مذكراتي، ج2. ص68.

حيث النساء يمرحن في الفضاء الواسع غير محتجبات". (6)

وقاد الملك محمد الخامس حملة تعليم البنات وأشرف على فتح عشرات المدارس الحرة الخاصة بالفتيات. وكانت كريمته الأميرة عائشة قدوة للنهضة النسوية، وكلما دشنت مدرسة للبنات إلا وألقت خطبتها بالعربية والفرنسية وهي مرتدية للباس عصري. ومما ورد في إحدى خطبها بعد الحرب العالمية الثانية:

"... لقد أوحى أرباب الأغراض السيئة والبيانات الفاسدة إلى طبقات الأمة المغربية أن المرأة خلقت لتكون فريسة للجهل ومطية للأوهام، فظلت زمنا طويلا تعيش في عالم ضيق الأرجاء بعيدة عن العرفان جاهلة لكل ما تتوقف عليه حياة الإنسان". (7)



● الأميرة عائشة تدعو لتحرير المرأة من الجهل والتخلف

وفي الأربعينات بدأت تتخلى بنات الأسر الغنية والمتوسطة عن الحجاب وتساهم في النشاطات الاجتماعية والسياسية والرياضية. (8)

وبما أن تطور المرأة مرتبط أشد الارتباط بتطور المجتمع، فإن النساء لم يتخلفن عن القيام بدورهن في الدفاع عن الأرض ووقفن بجانب الرجال في أحرج الأوقات **"ينقلن التمويل ويتسررين، تحت طلقات المدافع، إلى آبار المياه ويحملن الجرحى ويوزعن الذخيرة الحربية أو يأخذن أماكن القتلى ويواصلن إطلاق النار".** (9)

وفي معركة ضد القوات الفرنسية في منطقة تادلا يوم 28 أبريل 1910 استشهدت فتاة لا يتعدى عمرها 16 سنة، وفي مكان آخر قتل الغزاة

8 - المرأة والرياضة في كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب 1918-1998 ط-3 الدار البيضاء 1998.

9 - Jean d'Esme, Bournazel, l'homme rouge, Paris, 1952, P.240.

10 - Capitaine Cornet à la conquête du Maroc, Op. Cit. P.263.

11 - المريني العياشي، النضال الجبلي ج2. ص69-72، طنجة بدون تاريخ.

امرأة مسنة كانت تحمل حقيبة مليئة بالرصاص.(10)

وفي منطقة جبالة بشمال البلاد نصبت خدوج التجالة سنة 1913 كمينا لقافلة عسكرية اسبانية بالقرب من سيدي مخلوف وتمكنت مع حوالي عشرين محاربا من القضاء على خمسين جنديا وغنمت أسلحتهم. وانتقمت القوات الإسبانية بإحراق قرية تجالة عن اخرها. فعاد المكافحون بقيادة خدوج وقضوا على فرقة إسبانية في عين اجبالة بضاحية تطوان واستولوا على السلاح والمواد الغذائية.(11)

وفي العشرينات من القرن الماضي فوجئ الجنرال الفرنسي **أزمون** في جبال الأطلس بهجوم خاطف كبد جيشه خسائر في الأرواح قامت به جماعة من المحاربين بقيادة السيدة رقية بنت حديدو البالغة من العمر خمسين سنة.(12)

وتناولت بعض الوثائق الفرنسية مشاركة النساء في معركة لهري التي انهزم فيها الجيش الفرنسي بالأطلس المتوسط يوم 13 نوفمبر 1914(13) . ولما سقط موحى أوحمو بطل هذه المعركة في ساحة القتال عام 1921 وجد الجيش الفرنسي جثة ابنته يطو إلى جانبه.

وأثناء حرب التحرير في الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي كانت السيدة فايزة حسن تختلط مع كبار الضباط والسياسيين الإسبان وتتعرف على ما يدبرونه وتنقله إلى المكافحين في الريف، وانهت حياتها في باريس حيث كانت تبيع لوحاتها الفنية.(14)

ومن تقاليد المغاربة أن النساء كن يحملن أقداحا من محلول الحناء حتى إذا رأين أحد المقاتلين يتقهقر رششن عقبه بالحناء ليعرف بعد نهاية المعركة. وتمثل تلك العلامة وصمة عار للهارب من الحرب ويظل منبوذا من طرف سكان القبيلة.(15)

وكما في ميدان الحرب انخرطت النساء في العمل السياسي انطلاقا من وسط الأربعينات. فبعد أسبوع من تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11يناير 1944، استقبل الملك محمد الخامس وفدا نسائيا قدم له رسالة مؤيدة للوثيقة موقعة من طالبات مدينة فاس.(16)

وفي تلك المرحلة المتوقدة حماسا وكفاحا ظهرت كاتبات وأديبات وشاعرات وبرزت أقلام نسوية في جريدة **"العلم"** من بينها مليكة الفاسي التي

12 - تاريخ الحضارة المغربية، م.س. ج2، ص109.

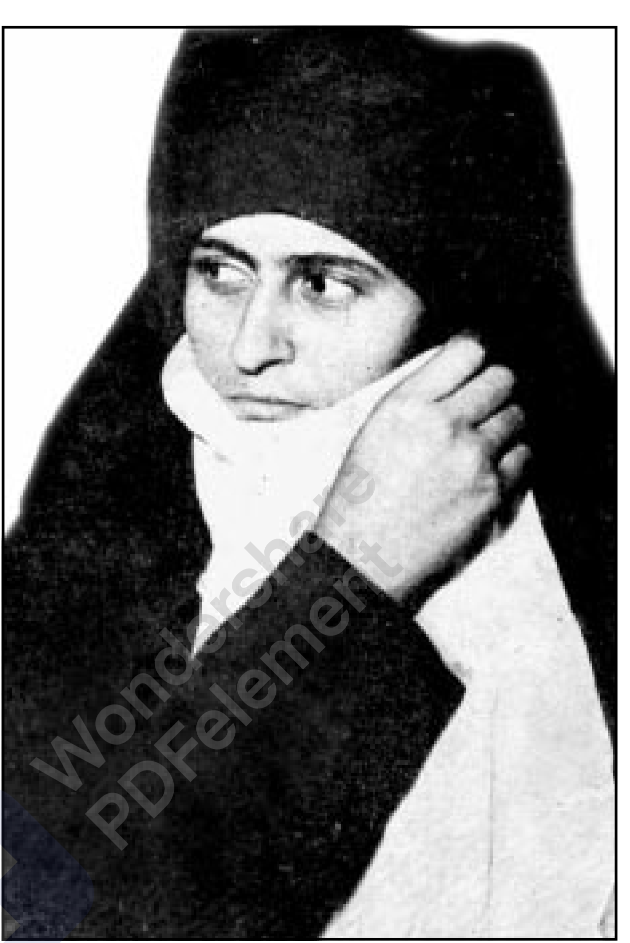
13 - سقط في معركة لهري أزيد من 600جندي فرنسي و 33ضابطا على رأسهم العقيد لافيردير La Verdure.

14 - حديث المغرب في المشرق. م.س. ص64.

15 - ن.م. والصفحة.

16 - عبد الله الجراري، صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال سنة 1944 الدار البيضاء 1956، ص48.

17 - انظر مجموعة "العلم" و"الرأي العام".



● المرأة تخلع الحجاب
(صورة من عام 1960 عن مجلة «المشاهد» الرباط)

يوجد اسمها إلى جانب الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وشمس الضحى البوزيدي وأمينة السراج وفاطمة السنتيسي وهند الجراري وفاطمة بنونة وفوزية لحلو وغيتة العلوي والبتول الصبيحي وفنيدة ملين ومليكة الزياني وحليمة بنت عدادة وأمينة السعيد ولطيفة بنت عبد الرزاق والسعدية الشرايبي وغيرهن من بنات وزوجات المناضلين في الحركة الوطنية. (17)

وأثناء الأحداث التي واكبت المطالبة بالاستقلال أطلق الجنود الفرنسيون يوم 29يناير في السويقة بالرباط النار على السيدة تودة وقتلوها لأنها كانت تزود المتظاهرين بالحجارة.

وفي نفس اليوم استشهدت بمدينة سلا السيدة خناتة الروندة. (18) وفي 31يناير بفاس صوب عسكري بندقيته نحو السيدة كبور المنكادة في وقت كانت تصب فيه من فوق السطح الماء المغلى على الجنود. (19)

وعند اندلاع المقاومة المسلحة بالمدن، لعبت شريحة من نساء الشعب أدوارا نشيطة في الاتصالات السرية ونقل المسدسات والقنابل اليدوية من حي إلى اخر ومن مدينة إلى أخرى نظرا لكونهن لا يخضعن للتفتيش في الطرقات إلا نادرا.

18 - الجراري، صفحة...، م.س. ص48.

19 - محمد السلاوي أبو عزام، معركة استقلال المغرب، ج1، ص 46الدار البيضاء 1979.

20 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 14-4-1988.

ففي الدار البيضاء كان الزرقطوني ورفاقه يلتقون في منزل السيدة فاطنة بنت حمو والدة المقاومين امبارك الورداني وعبد الرحمان الورداني. وذات يوم وصل إلى سمعها أنهم في حاجة إلى المال، فاقترحت عليهم أن يبيعوا منزلها وينفقوا ثمنه على الجهاد.(20)

ولما تم اكتشاف ضيعة واديكم في 6-1-1954التي كان يختفي فيها المقاومون، تعرضت السيدة فاطمة لحسن زوجة المقاوم بوزاليم للتعذيب في إدارة الشرطة.

وكانت زوجة المقاوم إبراهيم الباعمراني تقوم بتنسيق الاتصالات بين أعضاء قيادة "المنظمة السرية" واحتفظت كل من السعدية زوجة الزرقطوني وأخته خديجة بأسراره وكانتا على علم بنشاطه السري. وفي مدينة فاس ألقي القبض على السعدية بوسيف مع باقي أعضاء جماعة بن الراضي السلاوي، في حين استهدفت زهرة بنت بوشتى للتعذيب بعد اعتقالها في الرباط ضمن خلية عبد القادر بن يوسف. وفي ديور الجامع بنفس المدينة قامت فاطمة الزهراء مكاوي بإحراق متجر أحد المتعاونين مع البوليس.

وفي الخمسينات ألقي القبض على فاطمة بنت حمادي والعالية الحمداوية وحليمة صهيب وكن يكافحن ضمن خلايا للمقاومة. وكانت فاطنة الكرشال زوجة المقاوم الشهير محمد بن الميلودي تنقل السلاح إلى المكان المتفق عليه للقيام بهجوم مسلح، وبعد اكتشاف الخلية نالت فاطنة التعذيب الوبيل على يد البوليس الفرنسي.

وتكفلت زهور هرموشى زوجة المقاوم الحسين الخطابي بنقل أسلحة من القنيطرة إلى الدار البيضاء. وقامت بنفس المهمة خدوج حسام السطاتية بين طنجة والدار البيضاء. وتعرضت للتعذيب والاعتقال مكافحات من بينهن غيثة الشرايبي والدة الشهيدين أحمد وعبد الرحمان الشرايبي، والزهرة شاكر زوجة المقاوم محمد العتابي، ورحمة سامي والدة الشهيدين عبد الله ومحمد الحداوي. وفاطنة الحداوية والدة المقاوم محمد بركات "مونبلاد"، وفاطمة الكوشي التي كافحت ضمن جماعة المقاومة السرية بالمدينة القديمة.

وفي بداية 1954 اعتقلت في وجدة يمينة البرحيلي وخضعت للتعذيب بسبب نشاطها داخل خلية مسلحة وتم تقديمها للمحكمة العسكرية. وسبق أن قام ابن عمها محمد بن التهامي البرحيلي بتوجيه طعنة إلى عنق الباشا الحجوي المعروف بقساوته وتدخل الحراس وانهالوا عليه بالهراوات حتى الموت.(21)

وقامت فاطنة الدزيري بتهريب نساء المقاومين الملتجئين إلى الناضور وسارت في طريق الكفاح الذي سار عليه ابنها المحكوم بالأشغال الشاقة من طرف المحكمة العسكرية إثر الأحداث الدامية ليوم 16غشت 1953.

21 - A.M.A.E. Nantes, Oujda, Carton 302, d'Après Yvette Katan, Oujda, Op, Cit P 486.

22 - حديث مع عباس العبيدي بالدار البيضاء يوم12-6-1988.

23 - Le Petit marocain 18-3-1955.

وفي المغرب الشرقي شاركت العالية ميراد والزهراء الماحي وزوليخة العشعاشي وحبيبة بوجمعة وعائشة بودلال والزهراء بنزيان والزهراء رحموني في النضال ضد الاستعمار داخل خلايا للمقاومة السرية.

وفي بداية 1955 جاءت سيدة من وجدة مبعوثة من طرف أحمد الرمضاني في مهمة لدى المقاومة بالدار البيضاء. ونظرا للباسها الأوربي الأنيق وإتقانها للغة الفرنسية رأى بعض المقاومين تكليفها بوضع قنبلة في أحد الأماكن العمومية. فلم تتردد في قبول المهمة رغم خطورتها. وأخذت مقعدا لها في قاعة سينما (فوكس) التي كانت موجودة بساحة فرنسا، ولا يرتادها إلا الأوربيون، وبعد بضع دقائق غادرت المكان بعد أن وضعت حقيبتها اليدوية وبداخلها قنبلة تحت المقعد. إلا أن عطبا تقنيا حال دون انفجارها. (22)

وبمدينة آسفي ألقت فتاة مغربية قنبلة حارقة على متجر في ملك فرنسي ولاذت بالفرار. (23)

ومن الدار البيضاء إلى مراكش نقلت فاطمة الشلحة، زوجة المقاوم عبد السلام أبا سطوف، المسدسين اللذين استعملهما عمر الفرشي وأحمد بن الحسن في الهجوم على الحاج إيدار مستشار الباشا الجلاوي. (24)

وشاركت كل من خديجة المذكوري وفطومة الحياني في نقل السلاح وتبليغ رسائل سرية إلى المقاومين في مناطق مختلفة.

وفي أكتوبر 1955 أثناء "معركة سيدي معروف" بالدار البيضاء التي إستشهد فيها محمد الحداوي والحجاج المزابي في مواجهة القوات الفرنسية، أصيبت زوجة حجاج، وكانت حامل، بست رصاصات في ذراعها ورجلها.

وفي مدينة تطوان استولت فاما على سلاح في ملك مشغلها الضابط الإسباني وإلتحقت بجيش التحرير. (25)

وفي أيت باعمران بأقصى الجنوب سقطت يوم 1-12-1957 عائشة المسافر وهي تطلق النار على جنود الاحتلال الإسباني في معركة بويزي.

إن عشرات النساء شاركن، بشكل مباشر في المقاومة المسلحة، وهذا ما توضحه رسالة من المراقب المدني إلى المندوب في الشؤون الحضرية **بيكار** بتاريخ 17 يناير 1955:

"إن الدور المحتمل للنساء في تنظيم الإرهاب وقع التنبيه إليه منذ مدة طويلة ويبدو أن التحقيقات الجارية تؤكد الشكوك بهذا الخصوص.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو معرفة في أي شروط يمكن إخضاع النساء المغربيات لتفتيش مشابه للذي يخضع له الرجال على نطاق واسع.

24 - مقابلة مع عمر الفرشي بالدار البيضاء 31-5-1994 .

25 - حديث مع مبارك الورداني، الدار البيضاء في 17-8-1998.

26 - الروم 21/30.

27 - الحجرات 13/49.

إن مراقب الدائرة الحادية عشرة بالدار البيضاء عرض علي نيته في إشراك، بموافقتكم، العريفات في بعض دوريات الشرطة. والتفتيش في رأيي لا يمكن أن يتم إلا داخل مكاتب المقاطعة من طرف العريفة التي حضرت الاعتقال ورافقت المشتبه فيها". وسأكون متشكرا إذا تفضلتم بإعطائي تعليماتكم حول الموضوع.

17 Janvier 55

Secteur des Crêtes
69 SC C.

NOTE pour

MONSIEUR LE CONTROLEUR CIVIL
DELEGUE AUX AFFAIRES URBAINES
(D.A.U./Sec.)

CONFIDENTIEL

Objet :

Contrôles de police
à l'égard des Marocaines

Le rôle probable des femmes dans l'organisation du terrorisme a été signalé de longue date et les enquêtes en cours semblent confirmer les soupçons que l'on pouvait avoir à cet égard.

Le problème se pose de savoir dans quelles conditions des femmes marocaines peuvent être soumises à des fouilles semblables à celles actuellement pratiquées à grande échelle sur les hommes -

Le controleur du 11° Arrondissement m'a saisi de son intention de faire participer, avec votre accord, l'arifa de l'arrondissement à certaines patrouilles.

La fouille ne pourrait, à mon sens, qu'être effectuée dans les locaux de l'arrondissement par l'arifa ayant assisté à l'arrestation et ayant accompagné la suspecte.

Je vous serais obligé de bien vouloir me donner vos instructions en l'objet.

Le Contrôleur Civil
Chef du Secteur des Crêtes

Copie à : Mr. le Contrôleur
du 11° Arrondissement.

Signé : PIQUARD

وهذا اعتـراف صريح بالمساهمة الفعلية للمرأة في النضـال ضد الاستعمار، ويمكن القول، بدون الخوف من الوقوع في الخطأ، أن زوجات المقاومين وأمهاتهم كن على علم، أكثر وأقل بنشاط أبنائهن وأزواجهن في حركة التحرير، ولم تسجل الوقائع التاريخية في الخمسينات ولا حالة واحدة أفشت فيها المرأة أسرار المقاومة.



● قوات القمع تحتجز النساء والأطفال

العنصرية سلاح إيديولوجي بيد الإمبريالية

العنصرية تصنيف شاذ يقسم النوع البشري إلى أبيض وأسود وأصفر على أساس خاطئ علميا ويرتكز على مذهب التعصب العرقي والتفوق الجنسي.

وقد انتشر التمييز العنصري في أمريكا وتبنته النازية في ألمانيا ونظام "لابارتايد" في جنوب إفريقيا إلى عام 1994.

وإذا كان لمذهب العنصرية في أمريكا وأوربا بعض المنظمات التي تمارسه في حق العمال المهاجرين والأقليات الأجنبية، فإن البلدان التي تسود فيها الثقافة الإسلامية تعتبر التمييز العنصري، سواء كان بالتصريح أو بالتلميح، ذنبا سمجا وخطأ لا يغتفر. والمجتمع المغربي يتكون من عناصر متعددة أمازيغية وعربية وأندلسية وإفريقية، وكلها اندمجت في علاقات اقتصادية وجغرافية وتاريخية مشتركة، ولحمها التكوين النفسي المشترك للسكان بقطع النظر عن اختلاف اللهجات الأمازيغية والحسانية والعربية.

وقد تعددت الآيات القرآنية التي ترفض تقسيم الناس على أساس اللون واللغة "**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**" (26)

وتؤكد آية أخرى على الأصل الموحد للنوع البشري "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**". (27)

ويلغي الحديث النبوي التعصب اللغوي والعرقي: "**لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**" (28) ولا غرابة أن يكون أول مؤذن في الإسلام، أي مكلف بالإعلام، هو بلال الإفريقي الحبشي الذي تحمل التعذيب وبرز كأحد أنصار العقيدة المستميتين.

أما الاستعمار فقد قام في بداية القرن الماضي على أساس العنف والعنصرية، والجندي الفرنسي أو الإسباني خضع لعملية غسل الدماغ وتلويث الضمير من طرف المختصين في الحرب النفسية وشحنوه بالحقد والكراهية لمواجهة المكافح من أجل الحرية ومعاملته كحيوان مفترس متجرد من الحاسة الإنسانية.

وتعج الكتابات الاستعمارية حول المغاربة بأوصاف كلها قدح وتجريح مثل: قطاع الطرق، مثيرو الفتن، العصاة، اللصوص، النهابون، الأشرار،

28 - العجمي من تكلم لغة غير عربية.

29 - نص القرار بالفرنسية يحمل توقيع المراقب المدني "بيكمور" في كتاب مصطفى مشيش العلمي: القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية 1913-1937، البوكيلي للطباعة والنشر،

المتعصبون، المتمردون إلي غير ذلك من النعوت المعبرة عن روح العنصرية والكراهية تجاه المكافحين في المغرب وليبيا وتونس والجزائر والفيتنام وكينيا ومدغشقر وجنوب إفريقيا وغيرها.

وبعد سيطرتهم على البلاد بوسائل القتل والدمار، شيدوا "المدينة الأوربية" بأحيائها الراقية وطرقها المرصوفة ومساكنها الجميلة المزودة بالماء والكهرباء والهاتف والمقاهي والمطاعم وقاعات السينما، وحاصروا المغاربة في أحياء صنفها القانون الاستعماري في قائمة **"المدينة القديمة"** لا يدخلها ماء ولا يصلها إلا القليل من الإنارة.

ويتجلى التمييز العنصري في القرار البلدي رقم 19 الصادر بتاريخ 23 يناير 1928 الخاص بمدينة القنيطرة. ففي فصله الأول يفرض على المغاربة أن يقطنوا في القطاع الخاص بهم، ويمنع على الأوربيين كراء المحلات في الحي الخاص بـ **"الأهالي"** ويفرض الفصل الثالث عقوبات ضد المخالفين للقرار من المغاربة وأيضا ضد الأوربيين الذين يكترون محلات بالمدينة الأوربية للمغاربة من أجل السكن. (29)

أحدث المستعمرون بقوانين عنصرية القطيعة بين المستوطنين الأوربيين وأبناء البلد الأصليين، وزرعوا في ذهن الفرنسي والإسباني الشعور بمركب التفوق واحتقار المغربي والخوف منه في ذات الآن.

ويكمن الاحتقار في إطلاقهم اسم محمد على جميع الرجال وفاطمة على كل النساء، وجاء في مذكرات فرنسي عاش في المغرب أن **"كل أسرة فرنسية، ولو فقيرة، عندها فاطمة خادمتها التي تكلفها بجميع الأشغال الشاقة. إن الخادمات يعاملن كبشر منحط جدا".** (30)

وطيلة الفترة الاستعمارية الحالكة ظل اسم محمد يتجسد في الطفل الذي ينادون عليه ليمسح أحذيتهم وهم جالسون في المقهى أو ليغسل سياراتهم ويحمل حقائبهم عندما يهبطون من القطار والحافلة والباخرة.

ويحكى أن فرنسية مولودة في المغرب تبلغ من العمر 22 سنة ذهبت لزيارة فرنسا لأول مرة عام 1948، وبمجرد نزولها من الباخرة في مرسيليا اندهشت لرؤية الحمالين الفرنسيين في الميناء وصاحت : **"إن هذا النوع من العمل لا يقوم به إلا المغاربة".** (31)

والمغربي عند ربة البيت الفرنسية "غول" تهدد به ابنها الصغير إذا خالف أمرها، وتحذره بالمناداة على المغربي ليقطع له الأذن.

وبالنسبة للمتعصبين من أصحاب الكنيسة فإنهم يلتقون مع العنصريين

القنيطرة 1998 ص 30.

Revue Esprit, Paris, février 1953, p. 192. - 30

Les Temps modernes, PARIS, No 66, Avril 1951, p.1900. - 31

Daniel Guérin, pitié pour le Maghreb, les Temps modernes No 87, 1953, P.1196. - 32

L'yautey L'Africain, textes et lettres du Maréchal l'yautey, présentés par Pierre - 33

في إظهار المسلم وكأنه ساحر يستحضر قوى الشر ويصدرون أحكامهم ليس على أساس تعاليم المسيحية ولكن تحت ضغط الأساطير والخرافات(32) التي ملأت أدمغتهم والمستمدة من قصائد **"رولان"** الملحمية المعادية للإسلام في القرون الوسطى.

فالدعاية العنصرية ألصقت بالمغربي أوصاف الكسل واللصوصية والعنف، وقد كتب المارشال ليوطي في العشرينات : **"كل إداري عندنا يستسلم، أكثر وأقل للنزوع بالنظر إلى الأهالي كرهط منحط وكثرة لا يتعد بها".**(33)

في شهر نوفمبر من عام 1920عمد الطبيب الفرنسي **"بوفي"** إلى ضرب مغربي بعكازه لأنه سبقه على الرصيف، ودار نقاش بينهما، وأفهمه الشاب المغربي بأنه لا يعرف قانونا يعطي الأسبقية في المرور للفرنسي. دافع المقيم العام ليوطي عن الطبيب في دورية بتاريخ 18-11-1920 قائلا : **"كان من شأن ذلك الإساءة إلى سمعة فرنسا لو أن الدكتور بوفي سمح بتلك الوقاحة وأعطي الانطباع للأهالي بأننا سنقبل كل شيء من طرف عصابة صغيرة من المغاربة الجدد الأغنياء المغرورين الذين أسكرتهم الثروة وبدؤوا يحتلون مركز الصدارة في المقاهي والأماكن العمومية بالدار البيضاء والذين يستحقون فعلا الضرب بالسوط".**(34)

وليس غريبا أن يصدر كلام كهذا من الماريشال الذي منع في نفس المدة تعليق وثيقة حقوق الإنسان في المدارس والإدارات العمومية بالمغرب مدعيا أنها تتعارض مع سلطات الملك. والحقيقة أنها تتناقض مع سياسة الاحتلال الذي اغتصب حقوق المغاربة في الحرية والاستقلال.

وتكرر الضرب بمدينة فاس وكان ضحيته علال الفاسي عندما صفعته ممثلة مسرح فرنسية أمام مكتبة بوطالب. واحتج الوطنيون في بلاغ حملوا فيه الإدارة الفرنسية المسؤولية باعتبارها تشجع العنصرية.(35)

وتحدث فرنسي تقدمي عن معاناته من العنصرية بسبب ربطه علاقات إنسانية مع المغاربة : **"إن مساهمتي الدائمة في نشاط المغاربة أكسبتني تقتهم والبت علي عداء بعض أبناء وطني الذين يرون أن العلاقات بين الأوربيين والمغاربة لا يمكن أن تكون إلا علاقة السيد مع العبد، لأنه يجب مخاطبة المغربي بصيغة المفرد حتى يشعر بأنه من غير الممكن التعامل معه على قدم المساواة".**(36)

L'yautey, T.IV 1919-1929, plon, PARIS 1957,p.30.

34 - Julien, le Maroc, Op. Cit, p. 115

35 - إبراهيم بوطالب، مجلة "أمل" عدد 3، السنة 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993ص 134.

36 - Pierre Parent, trente sept ans au Maroc, Esprit, février 1953,p.201.

37 - Julien, Le Maroc, Op. Cit, P.18.

38 - Yvette Katan, Oujda, Op. Cit, P. 333.

أثناء حرب الريف سنة 1925صرح بول بانلوفي (1863-1933) رئيس الحكومة الفرنسية :
..."إن البيض وحدهم قادرون على قيادة المسيرة الدائمة للتقدم عبر العالم". (37)

هكذا يقسم الرئيس المتحضر وعالم الرياضيات الإنسانية إلى أعراق متفوقة وأخرى متدنية. وليست هناك حجة علمية تبرهن على تفوق عرق بشري على آخر، فجميع الشعوب تمتلك مؤهلات وقدرات على التطور، والفرق في مستويات التطور لا تحدده الخصوصيات الجسدية كما يدعي العنصريون، لكن تحدده الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لحياتها. وكل الشعوب عرفت درجات متفاوتة من التقدم والتخلف والانتصار والانكسار وليس هناك شعب أو مجموعة من الشعوب عرفت في كل الأزمان والأوقات التطور الدائم وحده.

وفي الحرب العالمية الثانية تجلت مواقف عنصرية أخرى حينما سيطر الاستعمار على الإنتاج الزراعي والحيواني وأرسله إلى فرنسا، وبعث الجنود بالآلاف ليموتوا من أجل قضية ليست قضيتهم، ومارس التجويع على المغاربة بعنصرية صارخة. فالفرنسيون كانوا يتوصلون بـ 14مادة للاستهلاك مقابل أربع مواد للمغاربة ومادتان لسكان البادية فقط أي السكر والشاي. وكانت حصة المغربي من صابون الغسيل أقل من الكمية المخصصة للأوربي، والتبرير العنصري هو أن **"المغاربة وسخون ولا يغتسلون أو يغتسلون أقل"** أما حرمان المغربية الحامل من المواد الإضافية التي تتلقاها الفرنسية الحامل فقد تم تبريرها بكون المغربية كثيرة الولادات. (38)

في البادية كان الحاكم الفرنسي يعاقب الفلاح المغربي بإرغامه على صيد عدد محدد من الفئران احتقارا له. وإذا لم يأت بها يكون مصيره السجن. وفي عام 1946نزل العقاب بقرية كاملة في منطقة الأطلس، إذ فرض عليها الحاكم العسكري الفرنسي صيد 5.930فأرا. وكان السكان مرغمين على حفر الخنادق والمغارات بحثا عن الجرذان طيلة اليوم تاركين أعمالهم للضياع، وحينما قدموا "صيدهم" أمامه، قابلهم بالاستهزاء والسخرية. وكان ذلك نوعا من الإهانة والتعذيب النفسي. (39)

وفي قبيلة مزوضة بناحية مراكش استدعى الرايس عمر أوهروش للغناء في حفل رسمي، فوقف أمام الضباط الفرنسيين وألقى قصيدة عصماء انتقد فيها الاهانات التي يتعرض لها السكان عندما يجدون انفسهم مرغمين على صيد الفئران كوسيلة لمعاقبتهم. (40)

---

39 - Bulletin économique et social du Maroc No 33, Vol. IX, 1947, P27.
40 - مجلة "آفاق" عدد1، مطبعة المعارف الجديد، الرباط 1992، ص157.
41 - الفاسي، الحركات ص 427-434.
42 - HASSAN II, La mémoire d'un Roi, Entretiens avec Eric Laurent, Plon, Paris 1993,

وفي عام 1949 أرسل علال الفاسي بصفته رئيس حزب الاستقلال خطابا إلى الأمين العام للأمم المتحدة يفضح المرسات العنصرية للإدارة الفرنسية التي تتصرف مباشرة في شؤون المغرب وتطبق إلنفعية العنصرية في جميع النواحي. وتساءل في رسالته : **"هل تبيح القوانين أن يرتكب المستعمر جرائم مبنية على الميز العنصري والاضطهاد الديني"**. (41)

لم يكن العنصريون يفرقون بين ضحاياهم ولا يميزون بين الإنسان العادي والعالم والأمير. فهذا ولي العهد الأمير مولاي الحسن الذي تولى فيما بعد مقاليد الحكم، يروي بعض ذكرياته :

"إن الفرنسيين خاطبوني بصيغة المفرد، وعنفوني ونعتوني بالجدي، وشكل ذلك بالنسبة لي نوعا من حرقة مرعبة، وهناك جزئيات أخرى لا أرغب في سردها". (42)



● الملك الراحل الحسن الثاني

وفي استجواب مع إذاعة فرنسية قال:

"... وأيضا منعوني من ولوج أحد الأندية والدخول إلى المسبح، وحينما عرفت بنفسي قيل لي: عد مرة أخرى ومعك صورة بالأشعة لأننا نريد أن نعرف هل أنت مصاب بمرض السل أم لا". (43)

كان العنصريون ينعتون المواطن بالفأر والماعز وعندما يتحدثون عن المغاربة فإنهم يعنون الفرنسيين المزدادين بالمغرب أو القاطنين فيه، والصحف الاستعمارية لا تذكر اسم المغرب بل تسميه **"أرض الامبراطورية الفرنسية"**.

وردا على أعمال المقاومة في الخمسينات كان العنصريون يطلقون النار على المغاربة في الشارع ويلوذون

P.12.

43 - HASSAN II, Entretiens avec France Inter, Le Matin 30-6-1993.
44 - Guy Delanoë, La résitance, Op. Cit, T2, P.84.
45 - Esprit, février 1956, P.245.

بالفرار على متن سيارات تكون أحيانا تابعة للشرطة، واحتج الفرنسيون الأحرار على تلك الاعتداءات الإجرامية التي يذهب ضحيتها الأبرياء فأجابتهم المنظمة الإرهابية الفرنسية المسماة "طليعة الأيديولوجيات الجمهورية" في منشور بلغت فيه النزعة العنصرية ذروتها، ومما جاء فيه :

"إن الذي يطلق النار من بندقيته الرشاشة لا يضيع وقته في البحث عن معرفة الآراء السياسية لضحاياه، يكفيه التعرف على لون جلودهم".

وحسب الكاتب والطبيب الفرنسي دولانوي فإن سكانا فرنسيين عنصريين ومن جملتهم كبار الضباط كانوا يريدون أن يفرضوا على المغرب قانونا يجعل منه **"شيئا كولونياليا"** (44)

في النهاية انتصرت الجماهير في معركة الاستقلال السياسي بفضل تضحياتها الجسيمة في مواجهة آلة القمع الاستعماري، وبقي الفرنسيون الطيبون مرتبطين بالأرض التي أحبوها بينما هرب منها العنصريون خوفا من الشعب الذي أساؤوا إليه لأنهم **"قساة تقلبوا في عنصرية تارة عنيفة وطورا مستترة وعجزوا عضويا عن العيش في وضعية لم يعودوا قادرين أن يكونوا فيها** "أسيادا أقزاما". (45)

1 - Hervé Bleuchot, les libéraux français au Maroc 1947-1955, éd. De l'Université de Provence. Ed. Ophrys, 1973, P. 106.

جرائم المنظمات الإرهابية الفرنسية

في مواجهة المقاومة المسلحة التي استهدفت مصالح الاستعمار وعملائه، قامت الأوساط الأكثر عنصرية وتعصبا وسط الفرنسيين بتنظيم جماعات إرهابية مكلفة باغتيال المغاربة والفرنسيين المطالبين بإيجاد حل سلمي للنزاع المغربي الفرنسي. وقامت الجماعات المعروفة باسم **"الإرهاب المضاد"** بإطلاق النار بشكل عشوائي على العمال المسالمين وهم في طريقهم إلى مزاولة أشغالهم في المعامل والمصانع لتخويف المغاربة وإرضاء المستوطنين الفرنسيين والضغط على حكومة باريز بهدف إثنائها عن أية تسوية سياسية تؤدي إلى إعلان استقلال المغرب.

في بداية 1954 شرع الإرهابيون في بعث رسائل التهديد إلى المحامين الفرنسيين المدافعين عن المقاومين، وكانوا يوزعون مناشير بتوقيع **"اليد البيضاء"** المضادة لمنظمة المقاومة **"اليد السوداء"**.(1) غير أنهم سرعان ما اشتهروا بـ **"اليد الحمراء"** من خلال الجرائم الدموية التي كانوا يقترفونها في حق المدنيين العزل حيث كانوا يلقون القنابل اليدوية في الأسواق الشعبية لقتل اكبر عدد وإشاعة الخوف وسط المغاربة وظلت جرائمهم محصورة في مدينة الدار البيضاء.

وانتظم داخل **"كوفاك"** (لجنة اليقظة والعمل للمحافظة والدفاع عن المغرب) اكبر عدد من الإرهابيين برئاسة **جان دو شاطو** من قدماء المحاربين في إيطاليا وصاحب شركة للتأمين، وأصدرت أول بيان لها في نهاية 1953 تقول فيه أن المقاومة المسلحة المغربية استفحلت ولابد من الدفاع عن **"المغرب الفرنسي"**.

ومثلت منظمة **"الوجود الفرنسي"** الرسمية السند الرئيسي للإرهابيين من ناحية التسلح والدعم المالي والسياسي. وكان المولون من كبار المعمرين وكذلك الباشا الجلاوي ورجل الأعمال الجزائري **البير بومنديل** اضافة الى **بونيفاس** رئيس ناحية الدار البيضاء (2)، في حين اشرف عليها الدكتور **فرناند كوس** ونائبته الطبيبة **كاترين لاكوسط** والدكتور **اميل ايرو** مدير المسائية **"لافيجي ماروكين"**.

وكان منفذوا الأعمال الارهابية يتكونون من 8 شرطيين و 17 مدنيا من بينهم فرنسوا **افيفال** مالك حانة في شارع لاجروند، **وجان كامبازيو** ميكانيكي، و **ماكسينس طوماس** صحفي ومهندس يضاف اليهم الشرطي **جان بوجول** الذي اسس جماعة ارهابية تعمل تحت اوامره.

2 - C.A. Julien, le Maroc, op. Cit. P. 396
3 - Ibid P. 388.
4 - غلاب، تاريخ الحركة، م.س.ج 2. ص 663.

وفي وقت لاحق ظهرت جماعة O.D.A.T. **(منظمة الدفاع ضد الارهاب)** وأعلنت في منشور وزعته على الصحف ان قتل فرنسي واحد او عميل مغربي سيترتب عليه سقوط خمسة من رؤوس الوطنيين المغاربة. وأدى هذا التهديد بالعديد من كبار التجار المحسوبين على الصف الوطني الى الهروب الى طنجة وتطوان.(3)

DIRECTION DE L'INTERIEUR

Division des Affaires Politiques
--
Section Politique

N° 3385 DI/POLC/1-d

RABAT, le 27 mai 1955

LE DIRECTEUR DE L'INTERIEUR

à Monsieur le Contrôleur Civil,
Chef de la Région
(Secrétariat Général)

OUJDA

SECTEUR D'AIN CHOCK
ARRIVEE
N° 1364 du 6. 6. 55

OBJET : Armement des autorités de contrôle -

REFER.: Votre lettre n° 621 RO/2 du 3 février 1955-

P.J. : Une

En réponse à votre correspondance rappelée en référence, j'ai l'honneur de vous faire parvenir ci-joint, copie d'une lettre du Général Commandant supérieur des Troupes du Maroc, donnant la liste des armes de poing dont le port est considéré comme réglementaire, dans l'armée, au Maroc.

Les autorités de contrôle, assimilées aux Officiers d'active, par application des prescriptions de la circulaire du Directeur des Services de Sécurité Publique, n° 24.780 DSP/1 du 9 novembre 1938, sont donc autorisées à porter les mêmes armes./.

signé : DEMASSIEUX

REGION DE CASABLANCA

Section Politique

N° 3065 RC/2-C

Mb/GMG

COPIE TRANSMISE à Messieurs
les Contrôleurs Civils

-Chef du Territoire de MAZAGAN (7ex)
-Chef du Territoire des Chaouia-CASABLANCA(11
-Délégué aux Affaires Urbaines-CASABLANCA(25)
-Chef du Territoire d'OUED ZEM (3 ex)

Casablanca, le 2 juin 1955
P. le Contrôleur Civil, Chef de la Région de Casablanca
LE CHEF DE LA SECTION POLITIQUE

Henri MEI

le Petit marocain 29/11/1954. - 5

ولجأ الارهابيون الى انتقاء ضحاياهم من بين الوطنيين المغاربة والليبراليين الفرنسيين. وتعرض في بداية يبراير 1954منزل المحامي عبد القادر بنجلون الأمين العام بالنيابة لحزب الشورى والاستقلال الى عملية تفجير خلفت خسائر مادية.

وأعلنت منظمة "A.G.I.R." **(طليعة الايديولوجيات الجمهورية)** مسؤوليتها عن اشعال النار في احياء الصفيح وإطلاق الرصاص على العمال المغاربة المتوجهين الى اماكن عملهم.

وفي ابريل من نفس السنة احرق الارهابيون بيوت الفقراء المغاربة في الكاريان سنطرال. واشعلوا النار في اربعة آلاف متجر خشبي في سوق القريعة، وفجروا قنبلة قوية في سوق الكاريان خلفت ثلاثة قتلى وتسعة جرحى، واحرقوا سوق النجارين ومات شخصان وجرح عشرون من جراء الاختناق.

وفي شهر يوليوز اقدم تجار ومثقفون بورجوازيون على ربط الاتصال باحدى المنظمات الارهابية بهدف التفاوض للوصول الى اتفاق يصون مصالح المستعمرين ويضمن أمن الطبقة التجارية المغربية. وانعقد اللقاء يوم 22يوليوز 1954في منزل عبد الرحمان السلاوي وكيل في محكمة الباشا، وحضره الأخوان عبد الرحمان والطاهر إسبتي والمحاميان عمر السلاوي والعلمي، وعبد السلام السلاوي، وعدد من اعضاء منظمة الوجود الفرنسي الاستعمارية وفي مقدمتهم الارهابي دوشاطو. ولايزال الغموض يكتنف الجهة التي قد تكون أوحت اليهم بالاتصال مع غلاة المستعمرين وماهي الاهداف المتوخاة منه. الا ان الشيء المرجح هو ان المبادرة لم تكن عفوية او خالية من خلفيات شبيهة بموقف ممثلي الطبقة التجارية الذين استنكروا اعمال المقاومة في دجنبر 1953 بتعليمات من قيادة حزب الاستقلال التي كانت داخل السجن بالدار البيضاء. وقد سعى الراسماليون اللبراليون الفرنسيون الى ايجاد حل وسط للأزمة السياسية بتعاون مع ممثلي البورجوازية التجارية المغربية التي كانت بدورها تجد المساندة من طرف يمين قيادة حزب الاستقلال.

وقد مارس غلاب التضليل بادعائه ان الاجتماع كان **"فخا للتعرف على الوطنين"**. (4) فإذا كان الارهابيون الفرنسيون يجهلونهم فكيف تعرفوا على اسمائهم واكتشفوا عناوينهم وجلسوا معهم في مسامرة يجهل لحد الآن كل شيء عما جرى فيها؟ ومن استدعى الآخر ممثلوا البورجوازية أم مسؤول المنظمة الإرهابية؟ وبأي صفة أقحم متقفون وتجار، لا علاقة لهم بالمقاومة، أنفسهم في مفاوضات مع قتلة محترفين؟

في غياب الوثيقة التاريخية وحتى الشهادة الشفوية تظل الحقيقة مجهولة وأسباب الهجمة الشرسة للإرهابيين الفرنسيين على محاوريهم المغاربة غامضة.

6 - انظر تفاصيل أخرى في الصحف الصادرة في شهر فبراير 1955.

فبعد مرور اقل من اسبوع انفجرت قنبلة في بيت منظم الاجتماع عبد الرحمان السلاوي، وخلال شهر اطلق الارهابيون النار على عدد من الذين حضروه ومنهم المحامي عمر السلاوي الذي اصيب بجراح خطيرة في صدره، وبعد ثلاثة ايام جاءه شرطي يستنطقه حول ظروف الاعتداء عليه، فاكتشف فجأة أن الذي يستنطقه هو نفسه الذي اطلق عليه النار فأغمض عينيه الى الأبد.

وكان الشرطي الارهابي يسمى **البير فوريستيي** ويقوم بدور مزدوج، فشك فيه أفيال الذي استقطبه بحكم علاقة رياضية بينهما، وامره باغتيال عمر السلاوي ليبرهن عن اخلاصه للتنظيم الارهابي، وكان العميل المزدوج يسلم المعلومات التي يحصل عليها الى سارتو مدير صحيفة **"ماروك بريس"** المرتبط بجهات في الحكومة الفرنسية، وفي احد الأيام مات الشرطي **فوريستيي** في حادثة سير غامضة.

وألقيت قنبلة على منزل محمد السلاوي شقيق عمر المغتال (5) واستهدف المحامي العلمي وعبد السلام السلاوي لمحاولة اغتيال. وانفجرت قنبلة في منزل عبد الرحمان السبتي التاجر في الثوب، وسقط التاجر عبد الكريم الديوري أمام بيته تحت رصاص الإرهابيين، ودعت المقاومة إلى إضراب عام بالدار البيضاء احتجاجا على الجرائم الإرهابية الفرنسية. وفي بداية يناير 1955 قتل الإرهابيون الطاهر بن محمد السبتي أمام متجره في شارع ستراسبورغ بدرب عمر، وكان أعضاء عائلة السبتي قد احتفلوا بالمليار الأول الذي جمعوه أثناء الحرب العالمية الثانية ثم كسبوا أسهما كبيرة في شركة الزيوت لوسيور أفريك التي كان مديرها **لوميكر ديبروي** الذي اغتاله غلاة الاستعمار، واشتركوا في شركة النسيج بأسفي وشركة المشروبات الغازية بالدار البيضاء. وانفجرت عدة قنابل واحدة في مؤسسة السبتي للتجارة، والثانية في مسكن محمد بنيس مدير مدرسة حرة، والثالثة في منزل التاجر اليعقوبي(6).

خلقت تلك الاعتداءات جوا من الرعب في أوساط الطبقة التجارية المعروفة بميولاتها الوطنية. وبعث عدد من أفرادها برقية إلى رئيس الحكومة الفرنسية وإلى وزير الشؤون التونسية والمغربية، يطلبون فيها جعل حد "للإرهاب" وهو ما يعني المقاومة المغربية المسلحة، و **"الإرهاب المضاد"** أي الجماعات الارهابية الفرنسية، وبذلك وضعوا الكفاح المشروع والإرهاب الاستعماري في سلة واحدة. وهذا ما توضحه برقيتهم:

"إن الاغتيالات اليومية المتكررة ضد الأبرياء الفرنسيين والمغاربة من طرف الإرهاب والإرهاب المضاد جعلت المغرب يعيش في حالة انعدام الأمن بعد الاغتيال المثير للاشمئزاز الذي اقترفه الإرهاب المضاد في حق الطاهر

7 - وقع البرقية 27من كبار التجار وبعض المحامين والاطباء من بينهم: امحمد دادي، المهدي بنكيران، ادريس الدباغ، اليعقوبي، عبد العزيز الفيلالي، الدكتور عبد السلام الحراقي،

السبتي. نطالب بالمساواة في العدالة والأمن للجميع. ونظرا لخطورة الوضعية طلبنا من المقيم العام الإدلاء بتصريح حازم وعلني يدين الإرهاب والإرهاب المضاد. نرجو منكم اتخاذ قرارت عاجلة تخص التوجيه السياسي العام.(7)

وتعرض عدد من الفرنسيين المناهضين للقمع والمطالبين بسياسة التفاهم مع المغاربة إلى اعتداءات الإرهابيين الفرنسيين الذين افرغوا رصاص بنادقهم يوم 11 يونيو 1955 في جسد رجل الاعمال الفرنسي لوميكر ديبروي، وهو يميني أيد القمع الدموي لمظاهرات دجنبر 1952 بالدار البيضاء وساند قرار إبعاد الملك محمد الخامس عن العرش **"للمحافظة على هناء الملكة"**.(8)

وارتبط بأوساط البورجوازية التجارية المغربية وأصيب بصدمة من جراء مقتل صديقه الطاهر السبتي الذي كان شريكا له في مؤسسة زيت لوسيور. وسار على نهج أمثاله من الفرنسيين الذين كانوا يرون ضمان مصالحهم في التعاون مع البورجوازية المحلية بانتهاج سياسة الاستعمار الجديد، واندفع يعارض سياسة الوجود الفرنسي المتصلبة، وعلى أعمدة يومية ماروك بريس التي اشتراها قاد حملة دعائية نشيطة أزعجت المستعمرين الذين جعلوا حدا لحياته.

واضطرت الحكومة الفرنسية إلى إرسال مدير المخابرات **روجي ويبو** لفتح تحقيق في موضوع الإرهاب الفرنسي الذي كانوا ينكرون وجوده، وجاء في تقريره أن ثمانين بالمائة من المستوطنين الفرنسيين يساندون الإرهاب، وثمانين بالمائة من القضاة مناصرين له، واعترف بصعوبة إرغام قوات الأمن والعدالة على القيام بتدابير ملموسة لمقاومة الإرهاب الفرنسي.

وعن طريق المصادفة القي القبض يوم 20 يونيو 1955 على ألماني كان متابعا بتهمة الاتجار في السلاح، واعترف بجماعة إرهابية فرنسية يرأسها الشرطي **جان بوجول** ومعه ستة شرطيين وعميد الشرطة **بيير فوارون** من قسم الاستعلامات بالدار البيضاء وبعض المدنيين منهم فرانسوا افيفال صاحب حانة وباغية تعمل معه. وتبين أن تلك الجماعة ارتكبت منذ نوفمبر 1954 الى يوم اكتشافها أزيد من خمسين اعتداء على المغاربة بالسلاح الناري والقنابل حيث كان افرادها يمتطون السيارات ويطلقون النار بدون تمييز.

فتدخل قاضي التحقيق وأوقف الاستنطاق وشككت الصحف الاستعمارية في حقيقة الاعترافات ونشرت عشرات التوقيعات للفرنسيين من مختلف المهن تطالب بإطلاق سراح الإرهابيين.

عبد العزيز جسوس، محمد الجندي، أحمد لوقاس، ادريس السبتي، عبد الرحمان السلاوي، الحاج ابراهيم النوسي، جليل التازي، الدكتور زنيبر. انظر H. Bleuchot, les libereaux op, cit, p 146

8 - Julien, le Maroc op, cit, p.411.

9 - Jean Charles Legrand, Justice patrie de l'homme, défense devant les tribunaux militaires du protectorat 1953-1955 .p 374 Casablanca 1960.

10 - France observateur 10 Mars 1955.

وجدت العصابات الإرهابية الفرنسية المساندة في الشرطة والجيش والمحاكم وفي أوساط المحامين والصحافة ورجال الأعمال والمال. وما لبث المجرمون أن أطلق سراحهم بعد المتابعة طبقا لقرار العفو. (9)

وندد الفرنسيون الأحرار بالمجرمين وحماتهم، وكتب الصحفي كلود بوردي المعادي للاستعمار: **"يجب على الرئيس ادغار فور والذين سبقوه والذين سيأتون بعده وأصدقاءهم أن يتحملوا مسؤوليتهم أمام العالم. فإذا كانوا رؤساء دور البغاء والقتلة والسفاحين فليجهروا بذلك علانية".** (10)

لائحة بجرائم الإرهاب الفرنسي

في يوم 28 يناير 1956 نشر نادي اليعقوبيين في باريس رسالة جاء فيها **"إن نادي اليعقوبيين الذين يلاحظون بألم بأن القتلة في تنظيم الإرهاب المضاد لم يلق عليهم القبض والجرائم بقيت بدون عقاب، يرون أن من واجبهم أن يرفعوا إلى علم الرأي العام والبرلمان والحكومة الفرنسية لائحة، غير تامة، لكنها صارخة بأعمال القتل والاعتداءات التي اقترفت منذ 2 يناير 1954.** (11)

وقد أضفنا الى لائحة (نادي اليعقوبيين) ما جاء في كتاب المحامي شارل لوغران. (12) وما صدر في تلك الفترة في الصحف الفرنسية الصادرة بالمغرب، وتبقى رغم ذلك لائحة الاعتداءات الإرهابية الفرنسية غير تامة. والجدير بالملاحظة أن الجرائم وقعت في مدينة الدار البيضاء.

التاريخ	المستهدف	الحصيلة
1954/2/1	المحامي عبد القادر بنجلون الأمين العام بالنيابة لحزب الشورى والاستقلال	قنبلة أحدثت خسائر في منزله
1954/4/22	إشعال النار في مدينة الصفيح في الحي المحمدي	إحراق 150 بيت خشبي، خسائر مادية
1954/5/9	الهجوم على عساسين ليلا	أصابتهما بجراح من طرف فرنسيين على متن سيارة
1954/6/9	إشعال النار في سوق القريعة	الحريق أتى على 4000 متجر
1954/7/13	انفجار قنبلة في كاريان السوق	3 قتلى و9 جرحى مغاربة.
1954/7/29	إحراق سوق النجارين	موت اثنين وجرح عشرين من جراء الاختناق
1954/7/30	المحامي عبد الرحمان السلاوي	انفجار قنبلة في منزله خسائر طفيفة
1954/8/05	إشعال حريق في الحي المحمدي	مقتل شخص وجرح عشرين وخسائر كبيرة
1954/8/30	اغتيال المحامي عمر السلاوي	أصيب بأربع رصاصات في الصدر
1954/9/02	عبد الرحمن السبتي	خسائر في منزله بفعل انفجار قنبلة

11 - اللائحة في كتاب Guy Delanoë, la Résistance marocaine et le mouvement conscience française, T.2. ED l'hamattan PARIS 1991 .P .60

12 - J.C legrand Justice, op, Cit, P. 373

1 - حديث كبور عياض بمراكش في 1989/12/28.

2 - عبد الله الصنهاجي، مذكرات، م.س.ص 121.

التاريخ	المستهدف	الحصيلة
1954/9/14	مغاربة في الشارع	ثلاثة قتلى وجريح بطلقات مدفع رشاش
1954/9/15	اختطاف عمال مغاربة	مقتل أربعة منهم بضاحية المدينة من طرف البوليس على متن سيارة جيب CCTCH
1954/9/17	محمد بنيس مدير مدرسة حرة	خسائر مادية في باب المدرسة
1954/10/02	عامل مغربي	قتل بالرصاص في الواحدة والنصف ليلا
1954/10/11	الصحفي مازيلا أنطوان	انفجار قنبلة في إدارة ماروك بريس
1954/10/16	مؤسسة السبتي التجارية	انفجار قنبلة وخسائر طفيفة
1954/10/21	إطلاق النار على مغربي	بائع خضر متجول قتل برصاصتين في الشارع
1954/10/28	انفجار في منزل برلماني فرنسي	خسائر طفيفة في اعتداء ضد بيير كلوشرمان رجل أعمال ونائب في البرلمان الفرنسي من التيار الديغولي
1954/10/29	انفجار قنبلة في ستي كوان	خسائر مادية في منزل صاحب مصنع المربيات (كونفتير)
1954/10/30	قنبلة في الحي المحمدي	مقتل ثلاث وجرح عشرين كلهم مغاربة
1954/11/03	القاء قنبلة على مسكن اليعقوبي	خسائر مادية.
1954/11/16	محاولة لاغتيال المحامي العلمي	نجى من الموت
1954/11/21	محاولة لاغتيال عبد السلام السلاوي	نجى من الموت
1954/11/27	القاء قنبلة على مسكن الطيب السبتي	خسائر طفيفة
1954/11/28	انفجار في منزل عبد الرحمان السبتي	خسائر مادية
1954/11/29	القاء قنبلة على مسكن محمد السلاوي اخ عمر المقتول	خسائر طفيفة
1954/11/30	اطلاق النار على عبد الكريم الديوري	أصيب برصاصات قاتلة
1955/1/2	اطلاق النار على الطاهر بن محمد السبتي	قتل بعيارات بندقية رشاشة
1955/3/1	هجوم بالرشاشات على المغاربة	مقتل شخصين وجرح ثمانية من المارة
1955/4/21	خمس اعتداءات على المغاربة	عدد من القتلى والجرحى كلهم مغاربة
1955/5/20	القاء قنبلة يدوية بسلحة بفرنسا	مقتل مغربي وجرح 14 أخرين
1955/5/31	اطلاق النار على مغربي	قتل برصاص بندقية رشاشة في الحي المحمدي
1955/6/05	اعتداء على رايتزر مدير شركة مياه والماس	انفجار قنبلة تحت سيارته واطلاق النار على سكناه
1955/6/11	اطلاق النار على لوميكر ديبروي	قتل بطلقات من بندقية رشاشة
1955/7/14	المتظاهرون الفرنسيون هاجموا بيت المحامي شارل لوغران	المحامي أطلق النار وقتل منهم واحدا وجرح اخرين دفاعا عن النفس
16/15 يوليوز 1955	مظاهرات انصار الوجود الفرنسي ضد المغاربة	مقتل أزيد من خمسين مغربيا وجرح المئة واحراق متاجر المغاربة في درب عمر
1956/4/16	هجوم على رئيس الحكومة السابق ماديس فرانس	أطلق عليه فرنسيان الرصاص اثناء زيارته لمدينة الرباط ولم يصب بأذى والقي القبض على القاتلين ليطلق سراحهما فيما بعد

أخطاء في التنظيم واعتقالات بالجملة

وقع مقاومون في أخطاء مردها إلى انعدام التجربة في التنظيم السري والإقدام على اتخاذ قرارت فردية.

ففي 5 اكتوبر 1953 خرج المكي يتجول بمسدس في جيبه واعترضت طريقه حملة تفتيش عادية في المدينة القديمة بالدار البيضاء. وفي الحال اعترف بصديقه بوجمعة وهذا الأخير دل الشرطة على مولاي الطاهر العلوي رئيس اليد السوداء التي تأسست قبل شهر واحد.

وفي ظرف بضعة أيام بلغ عدد المعتقلين خمسة وخمسين شخصا لم يقوموا الا بهجومين اثنين. وتبين ان اغلبهم يتعارفون فيما بينهم على مستوى الحي أوفي النشاط السياسي او الرياضي.

وبمراكش رفعت امرأة يوم 1953/12/23 دعوى في قضية نزاع شخصي على رجل خرج لتوه من السجن لمشاركته في مظاهره 15 غشت، وأخضعته الشرطة للاستنطاق حول نشاطه السياسي، وأدى به عدم ثباته الي الاعتراف بانتمائه الى خلية يسيرها العربي اباعدي وهذا الاخير كشف جماعة احمد البقال وتم القضاء على التنظيم السري في بدايته. (1)

وتلقت المنظمة السرية ضربة قاسية باكتشاف أحد مراكزها في ضيعة واديكم على بعد عشرين كيلومترا من الرباط يوم 5 يناير 1954. وبدأت القصة حينما كان عبد الله الصنهاجي وعبد العزيز الماسي والمعلم حمو على متن سيارة في الرباط فرآهم ابراهيم الابراهيمي أمين تجار حي أكدال وسلم رقم السيارة الى الشرطة باعتبارهم مشبوهين. (2)

وخضع المعلم حمو للاستنطاق واعترف بهوية الذين كانوا معه في السيارة ومن بينهم عبد العزيز الماسي الذي يجري عنه البحث، وصالح بن ابراهيم صاحب الضيعة التي كان يختفي فيها المقاومون المرشحون للهجرة نحو الشمال، والقي القبض بداخلها على محمد بوزاليم وزوجته فاطمة واخيه عبد الله وعبد القادر عسو ومحمد بلقاسم المذكوري وبوشعيب الغندور.

وافتضحت تنظيمات الرباط التي كان المعلم حمو على اتصال بها مثل جماعة الحسين الزعري وعبد الرحمان الشرقاوي وخلية يتكون معظم اعضاءها من طلبة مدارس محمد الخامس. وامتدت الاعتقالات الى الدار البيضاء لتشمل محمد منصور وبلعيد بن احمد ومولاي العربي الشتوكي وعبد الله الزناكي. واستطاع الزرقطوني أن يفرغ مركز لارميتاج من السلاح ساعات قليلة قبل أن تداهمه الشرطة. (3)

---

3 - ن. م. ص 122.

4 - حديث مع امحمد السوسي بمراكش في 3-8-1986.

5 - تازة من أقدم المدن تقع فوق هضبة مرتفعة بنحو 600 متر في موقع جبلي بين الأطلس

والشيئ الواضح أن الاعترافات تمت بسرعة بينما غابت المناعة عن خلايا كثيرة طبعت الميوعة تأسيسها وأفقدتها مبدأ السرية وأضحت عبارة عن سلسلة مترابطة الحلقات مكنت البوليس، في ظرف وجيز من تفكيكها ووضع الاغلال في أيدي عناصر مهمة في المقاومة.

وبعد استشهاد الزرقطوني بيومين أطلق علال بن أحمد إلمكيك رصاصة على الجنرال (دهو تقيل) بمراكش يوم 20 يونيو 1954. والواقع أن العملية كانت مقررة قبل ذلك التاريخ بمدة طويلة الا انها تأجلت بسبب خلاف نشب بين اعضاء الجماعة اللذين عارض بعضهم تصفية الجنرال بينما وافق عليه البعض الآخر، وقرروا رفع الخلاف الي القيادة بالدار البيضاء. ونقل اليهم الفطواكي الجواب الذي تلقاه من عبد السلام الجبلي والقاضي بتنفيذ العملية. (4)

والجنرال المستهدف مشهور في الاوساط الاستعمارية الفرنسية، جاء الى المغرب سنة 1920 وحكم برتبة كومندان مدينة تازة. (5) وكان طاغية جبارا سام اهل تازة عذابا نكرا. (6)

وفي الخمسينات أسندت اليه مسؤولية المنطقة العسكرية بمراكش وشارك في قمع الحركة الوطنية وقام بدور خطير في نفي الملك الشرعي الى كورسيكا، وصرح قائلا : **"لقد جاء ملك آخر عجوز مخلص لن يزعجنا".** (7)

كان الجنرال العجوز يتردد يوم الاحد على كنيسة صغيرة في درب الناقوس بحي القنارية غير بعيد عن دار مولاي علي مقر اقامته، ويقطع المسافة راجلا وعكازته بيده، ولما وصل في ذلك اليوم الى ساحة جامع الفنا وبالضبط بين المسجد ومقهى فرنسا، اندفع علال وأطلق عليه عيارا ناريا، وأثناء المطاردة ترك الدراجة الهوائية التي كان يركبها في عين المكان.

وتجسد الخطأ الاول في عدم مسح رقم الدراجة المنقوش تحت هيكلها الرئيسي مما تسبب في اعتقال الدراجي مالكها الاصلي، وبواسطته تعرف المحققون على مكتريها علال الذي هرب الى الدار البيضاء.

والخطأ الثاني يتحمل وزره علال الذي كان ينافس مبارك بن بوبكر في تنفيذ الهجومات المسلحة، ولم يكن هو المكلف باطلاق النار وتحددت مهمته في الحراسة، الا ان الدور انعكس في آخر لحظة واضطر مبارك الى القيام بدور الحارس وحماية علال من المغاربة الذين حاولوا القاء القبض عليه وتناسلت الاخطاء بعد مرور حوالي شهر واستقطب مولاي الشافعي ابن بلدته حسن بن مولاي أحمد ورفيقه في الجيش الفرنسي، وباتفاق مع الفطواكي ضمه الى الخلية السرية، وانفجر نقاش حاد بين الفطواكي وعبد السلام الجبلي الذي كان يرفض

المتوسط وجبال الريف.

6 - امحمد بن هاشم العلوي، شاهد عيان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1989 ص 34.

7 - Delanoë, la résistance, op. cit, T. 2, P. 57.

8 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 1992/07/03.

9 - صاحب (الثورة الخامسة) ص 522 إلتبس عليه اسم الورزازي التاجر وبونبولة الذي اعتقل

إضافة أي عنصر جديد الى الجماعة خوفا من اكتشافها.(8)
أتى حسن العضو الجديد في الجماعة، بمفرقعات عديمة المفعول وقصد سوق السمارين وحده بدون حراسة وألقى احداها في متجر الورززاي الذي يمتنع عن المشاركة في الاضراب، ولم تنفجر فاعتقله شخص من أصل إفريقي ضخم الجثة ومفتول العضلات كان المراكشيون يسمونه (بونبولة) وسلمه الى حراس الباشا الذين أحالوه على الشرطة الفرنسية.(9)
وأدى اعتقاله الى القاء القبض في الحال على مبارك الذي دل الشرطة على شخص آخر يعرف الفطواكي وورد في تقرير المفتش رئيس الشرطة بمراكش أن حسن شارك مع مبارك أثناء الحرب العالمية الثانية في حروب تونس وكورسيكا ومرسيليا. (10)
وفي نفس يوم 2 غشت 1954القي القبض على مولاي الشافعي وعمر الساحلي وعمر بن الحسن. وفسر بعض المسؤولين السرعة الفائقة التي كشف بها حسن جميع الاشخاص الذين يعرفهم بالتواطئ مع المخابرات الفرنسية.(11)

وتواصلت الاخطاء بعد هذه الضربة الموجعة للمقاومة.
فبعد ان تمكن الفطواكي من مغادرة مراكش والوصول الى الدار البيضاء، امره الفقيه البصري بالرجوع لانقاذ باقي أعضاء الجماعة **"وكان رجوعه أكبر خطأ ارتكبته القيادة وأدت المقاومة ثمنه غاليا لان الموقف كان يقتضي عدم السماح له بالرجوع الى مراكش بعد أن تمكن من مغادرتها"**.(12)
وبأمر من الفقيه سلم عبد الله خربوش إلى الفطواكي أقراص السم وقليل من المال وودعه **"كنت على يقين أنه ذاهب الى حتفه وبكيت من اجله لانني لم أكن قادرا على مخالفة قرار اتخذه الفقيه"**.(13)
وقال الفقيه أن الفطواكي قرر العودة إلى مراكش لإخراج بعض رفاقه رغم تحذيره له بعدم الإقدام على ذلك.(14)
وصل الفطواكي على الساعة الحادية عشرة زوالا من يوم 10 غشت الى بيته وفي نفس اللحظة داهمته الشرطة السرية ولم يكن مسلحا وكل ما كان

حسن.
10 - Rapport de René-Jean Mougin, Inspecteur chef de Police
11 - كان ذلك رأي الفقيه البصري ونفاه آخرون استفسرناهم حول الموضوع. وأمام المحققين صرح حسن أن لا علاقة له بالوطنيين وأن ما فعله ناتج عن اليأس والفقر بعد أن تخلت عنه فرنسا كغيره من قدماء المحاربين في جيشها. انظر : Delanoë, T.2, P.81.
12 - تقرير عمر الساحلي، جريدة المحرر الدار البيضاء 1978/10/15
13 - حديث مع عبد الله سفيان خربوش بالدار البيضاء في 1990/07/08.
14 - حديث مع الفقيه البصري بالدار البيضاء في 1998/04/17,
15 - Le Petit Maocain 5/11/1954.
16 - حديث مع عمر بالحسن بمراكش في 1984/08/10.

بحوزته هو السم الذي تناوله على مرآى من الجميع، فعجلوا بنقله الى المستشفى حيث أجريت عملية غسيل لجهازه الهضمي.(15)

ومع توالي موجة الاعتقالات سارع بوجمعة سائق سيارة أجرة الى اخبار مفتش شرطة سري بأنه نقل شخصا الى الدار البيضاء له علاقة باطلاق النار على الجنرال **دهوتفيل**، ورافق البوليس الى المكان الذي تركه فيه الحمال. (16)

وعن طريق صاحب العربة الذي نقل أمتعته توصلوا الى معرفة البيت في درب بوشنتوف ووجدوا علال بداخله وقد أطلق لحيته وغير هندامه بغية اخفاء ملامحه.(17)

ومن تاريخ هروبه من مراكش يوم 20 يونيو الى يوم اعتقاله في 28 غشت بالدار البيضاء ظل علال ينتظر طيلة تسعة أسابيع من يوصله الى منطقة الشمال بدون جدوى. وهذا دليل على التردد وانسداد الافق امام قيادة المقاومة .(18)

لم يمر شهر ونصف حتى عصف خطأ آخر بأعضاء في القيادة لم يستخلصوا الدروس الضرورية من التعثرات السالفة، فقد تم اعتقال صالح في الحدود بعرباوة يوم 7اكتوبر 1954وكان يحمل على ظهر الحصان أكواما من الاثواب يخفي بداخلها 26مسدسا و 42 قنبلة يدوية و 3.000رصاصة واقراص السم و 400 ألف فرنك.(19)

في يوم 8 أكتوبر الموالي قاد صالح الشرطة الى منزل في درب مارتيني/اليهودي، واعتقلت بداخله عمر وبومدين وانتظرت قدوم سي بوبكر وعبد القادر ومصطفى وكلهم جاؤوا في منتصف النهار لتناول طعام الغذاء.(20)

في البداية لم يكن البوليس يعرف أن من بين المعتقلين عناصر قيادية نظرا لكونهم اخفو هوياتهم الحقيقية تحت أسماء مستعارة واعطوا معلومات خاطئة عن ارتباطهم بالاشخاص الموجودين في منطقة النفوذ الاسباني، وتمكنوا بسلوك أسلوب المماطلة من منح باقي الأعضاء الوقت للاختفاء والهرب قبل ان يضطروا، تحت التعذيب، الى البوح بأسمائهم الحقيقية:

سي بوبكر:	الفقيه محمد البصري
عبد القادر:	مولاي عبد السلام الجبلي
عمر :	الحسين الصغير المراغا
مصطفى:	امبارك الورداني
بومدين:	الحسين بن علي بوسعد

17 - لكي تتم تغطية هذا الإنزلاق منح بوجمعة لمفتش الشرطة بعد الإستقلال بطاقة مقاوم وأمام احتجاجات المقاومين سحبت منه.

18 - كانت القيادة تتشخص في الفقيه البصري وعبد السلام الجبلي وبوشعيب الدكالي وبوراس الفكيكي والمدني الأعور.

19- Le Petit marocain 30/10/1954.

20 - حديث مع الحسين الصغير في باريس بتاريخ 1977/12/9.

21 - حديث مع امبارك الورداني الدار البيضاء في 2000/6/2.

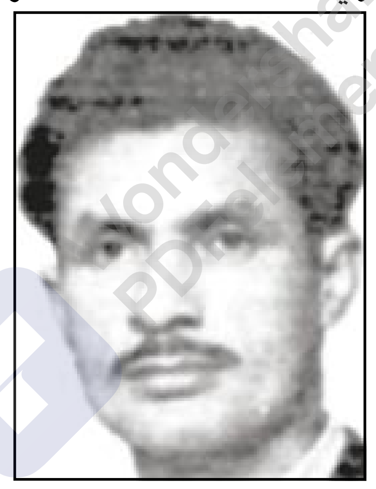
22 - حديث مع الحسين الصغير في الدار البيضاء بتاريخ 2001/5/17.



● الفقيه محمد البصري



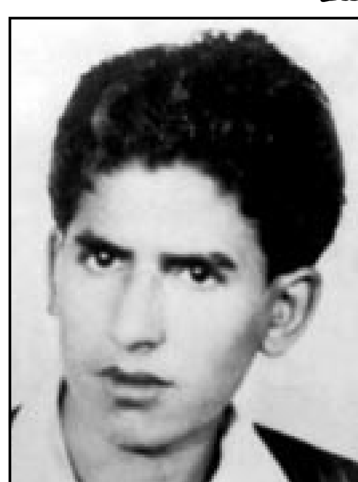
● مولاي عبدالسلام الجبلي



● الحسين بن علي بوسعد



● الحسين الصغير تراغا



● امبارك الورداني

تمت الاعتقالات بسهولة كبيرة نتيجة لعدة أخطاء مشتركة، الخطأ الاول ارتكبه الورداني حينما دل صالح المكلف بجلب السلاح على عنوان الدار.(21) والخطأ الثاني تجلى في عدم تغيير السكنى لتفادي أي مشكل طارئ مثل إلقاء القبض المفاجئ على المبعوث. والخطأ الثالث يكمن في قيام حسن الاعرج المقيم في الشمال بالضغط على صالح لينقل الذخيرة الى الدار البيضاء خارقا بذلك تاريخ العودة المتفق عليه وأجبره على السفر في ليلة قمرية يصعب فيها التسلل عبر الحدود. والخطأ الرابع وليس الأخير هو تأخر الشخص المكلف بتبليغ خبر اعتقال صالح في الحدود في الوقت المناسب.(22)

في يوم 23/03/ 1955 أوقف البوليس في ناحية بركان الكبير بن صالح وعبد السلام الاقرع وكانا يحملان على متن شاحنة للنقل بعض الأسلحة. وأعطى أحدهما معلومات متعلقة باليوم والساعة ومركز البريد الذي سيجري منه بوراس محمد العربي الفكيكي مكالمة هاتفية. وكان ذلك بمثابة اختراق مكشوف للمنظمة السرية من طرف جهاز المخابرات الفرنسية. وجرى الاعتقال في ظروف اتسمت بانعدام اليقظة والاحتراز، واعترف الفكيكي بوراس أنه من قيادة (المنظمة السرية) وألقي القبض على أعضاء آخرين وانكشفت عدة خلايا وتفككت التنظيمات المسلحة وتوقف نشاط المقاومة بالدار البيضاء ثلاثة أشهر قبل ان تعيد تجديد هياكلها.(23)


● محمد العربي الفكيكي بوراس

وفي الرباط كانت نهاية خلية نشيطة برآسة عبد القادر بن يوسف على يد ضابط في المخابرات العسكرية الفرنسية الذي تظاهر بالاتجار في السلاح ونصب فخا للمقاوم عمر حيث ناوله كمية من الرصاص بحضور الشرطة السرية التي اعتقلته في أحد المراقص. ونتج عن ذلك القاء القبض على أعضاء خليتين بالرباط وسلا بلغ عددهم 19مقاوما.(24)

وفي نوفمبر 1955هاجم مقاومون من منظمة "جيش الاطلس" مقهى "شي زيل" بالقنابل اليدوية خلفت عشرة جرحى، وخرج مسلح من المقهى وطارد المقاومين وانضم إليه رجل شرطة كان مارا من هناك وسقط المقاومان عبد الجبار

23 - مقابلة مع عبد الله سفيان خربوش بالدار البيضاء في 1990/7/8.

24 - Abderrahim OUARDIGHI, mémoires d'un ancien résistant 1953-1956, Rabat 1987, P. 67.

25 - La Vigie Marocaine 16/11/1955.

26 - التعبير للمقاوم امبارك الورداني، الدار البيضاء في 2-6-2002.

العوني وعمراوي ابراهيم قتيلين والقي القبض على اثنين آخرين.(25)

لم تكن العملية محبوكة بما فيه الكفاية والخطأ الفادح هو انسحاب المقاومين بعد القاء القنابل وكان المفروض الاجهاز على الارهابيين الفرنسيين بالسلاح الناري والقضاء على اكبر عدد منهم داخل المقهى وشل حركتهم لكي لا يقوموا برد الفعل كما حدث، والخطأ الثاني ان المقاومين تركوا سيارتهم بعيدا عن مكان العملية وهم يعلمون ان الحي غاص بالأوربيين وبحضور دوريات الشرطة.

وبمدينة الدار البيضاء القت الشرطة القبض على ثمانين من أعضاء (الحسنية) في مؤامرة حبكها صاحب سينما "أطلس" الذي أظهر استعداده لإعطاء مبلغ مالي ولما جاء عضوان من المنظمة لتسلم المساعدة اغلق عليهم الأبواب واستدعى الشرطة ونجا من الاعتقال بعض الافراد الذين اعادوا تنظيم الخلايا. وكان من قادة الحسنية الشافعي بن ناجم البرهمي الذي ابتلع قرص السم ومات بادارة الشرطة، وابن الحاج وصفي وعبد السلام الكفايتي وحجاج لمزابي وادريس بوعنان وعبد السلام بارني، وبوشعيب المديوني الذي قتل بعد اعلان الاستقلال.

تلك كانت بعض الاختلالات الاساسية في مسيرة المقاومة السرية التي لم تبلغ في التنظيم مستوى "**حرب النجوم**" كما توحي بذلك بعض الاقلام.(26)

وفي الجدول التالي احصائية ليست نهائية للجماعات التي اكتشفها البوليس والتي يتجاوز عددها المائة. غير أن الإيمان بالحرية جعل مات المكافحين يستهينون بالاعتقال والتعذيب ومشانق الإعدام في سبيل الاستقلال الوطني.

خلايا المقاومة التي اكتشفتها الشرطة

تاريخ الاعتقال	المكان	عدد الافراد	التهم المنسوبة اليهم
7-9- 1953	الدار البيضاء	3	تفجير قنابل
5-10- 1953	الدار البيضاء	59 (اليد السوداء)	اغتيال مقدم وتفجير قنبلة
5-11- 1953	الدار البيضاء	9 (جماعة بدرب غلف)	إطلاق النار على عدد من الجواسيس
11-11- 1953	الدار البيضاء	17 برأسة التزنيتي	اغتيال بعض الخونة
20-11- 1953	الدار البيضاء	9 (جماعة الحسين طوطو)	قتل مسؤول في معمل السكر

1 - كارل ماركس، رأس مال، الطبعة الانجليزية، لندن 1970ج 1ص 703.

تاريخ الاعتقال	المكان	عدد الأفراد	التهم المنسوبة اليهم
1953 -11-27	الدار البيضاء	3 (جماعة بن المكي الفورنيسور)	طعن عدد من رجال الشرطة
1953 -12-23	مراكش	22 (جماعة البقال)	إشعال حرائق وتفجير قنبلة في السكة الحديدية
1953 -12-24	فاس	11 (جماعة بن الراضي السلاوي)	قتل وجرح 12 خائنا.
1954 -1-5	الرباط	18 تلاميذ مدارس محمد الخامس	إطلاق النار على عملاء
1954 -1-6	الدار البيضاء	9 (جماعة منصور)	تفجير قنابل في السوق المركزي والقطار
1954-1-27	اسفي	5 (جماعة تاغجيجت)	اطلاق النار على جاسوس
1954-2-5	الدار البيضاء	3 (عملية مطبعة الاطلس)	طباعة مناشير
1954-3-30	المحمدية	15 (جماعة احمد بن البشير)	قتل متعاونين وجرح شرطي
1954-4-8	الدار البيضاء	14 مقاوما	اغتيال وتوزيع مناشير
1954-4-22	الرباط	15 مقاوما	قتل متعاونين
1954-5-6	الدار البيضاء	26 جماعة بن مسيك	اطلقوا النار على 18 من الجواسيس.
1954-5-6	بركان	1 فلاح انتحر في السجن	قتل معمرين فرنسين
1954-5-10	اكادير	22 جماعة في طور التأسيس	كانوا يستعدون لاشعال الحرائق.
1954-5-10	ازرو	3	القاء قنبلة على الزاوية التجانية
1954-5-24	الخميسات	8 (جماعة معنينو)	حرائق وتحطيم خطوط الهاتف
1954-5-24	الدار البيضاء	7 (جماعة الماصلوح)	اغتيال مقدمين
1954-6-6	(ناحية) الروماني	9 منهم 3 نساء	احراق ضيعات المعمرين وقطع اسلاك الهاتف
1954-6-8	فاس	8 (جماعة الشفشاوني)	قتل وجرح موظفين وجواسيس
1954-6-18	الدار البيضاء	اعتقال الزرقطوني واستشهاده	قائد بارز للمقاومة
1954-6-30	الدار البيضاء	القاء القبض على ادريس لحريزي	المشاركة في اغتيال الدكتور ايرو
1954-7-13	القنيطرة	3 عمال بالقاعدة الامريكية	اغتيال اربعة عملاء
1954-7-13	الرباط	8 مقاومين	اطلاق النار واحراق المتاجر
1954-7-22	القنيطرة	2مقاومان	قتل مقدم وتفجير قنبلة
1954-8-2	مراكش	11(جماعة الفطواكي)	قتل وجرح كبار الموظفين الفرنسيين والمغاربة
1954-8-18	مراكش	16(جماعة احمد الضرير)	تفجير قنابل واشعال حرائق
1954-9-2	واد زم	12 مقاوما	وضع قنابل وحرق ضيعات المعمرين
1954-9-7	بن احمد	6 فلاحين	قتل 3 عملاء واحراق مزارع المعمرين
1954-9-9	وجدة	14 مقاوما	اطلاق النار والقتل والجرح
1954-9-9	اكادير	22 (جماعة عبد السلام الجبلي)	القاء القنابل على الباشا بنحيون وقتل عملاء
1954-10-8	الدار البيضاء	14(جماعة الفقيه البصري)	مسؤولة عن تسيير المنظمة السرية

تاريخ الاعتقال	المكان	عدد الافراد	التهم المنسوبة اليهم
1954-10-14	الرباط	12 (مقاوما) عمال في البناء)	تفجير قنابل واحراق قاعة للسينما
1954-10-19	الدار البيضاء	8) جماعة عملت شهرين فقط)	قتلت اربعة موظفين وجاسوسة
1954-10-28	الخمسيات	15 (فلاحون)	قتل حارس واحراق ضيعات المعمرين
1954-10-28	بوزنيقة	4 (فلاحون)	احراق مزارع المعمرين ومتجر للتبغ
1954-11-14	فاس	4(انتحار بن لخضير)	اطلاق النار وتفجير قنابل
1954-11-18	أزمور	5 (فلاحون)	احراق ضيعات المعمرين
1954-11-19	انزكان	جماعة علي أبريني	اطلاق النار في اكادير وانزكان
1954-11-21	فاس	4(انتحار الصحراوي)	اغتيال العملاء بالدار البيضاء
1954-11-29	سيدي بنور	50 (فلاحون)	احراق مزارع المعمرين
1954-12-9	سيدي بنور	3 (فلاحون)	اشعال النار في ضيعة معمر
1954-12-13	وجدة	7 مقاومين	القتل واشعال الحرائق
1955-1-9	قلعة السراغنة	15 (فلاحون)	قتل قائد واحراق ضيعات المعمرين
1955-1-13	رأس العين	32 (فلاحون)	اطلاق النار واضرام الحرائق
1955-1-20	اسفي	5 مقاومين	تفجير اربعة قنابل ضد الخونة
1955-1-30	الصويرة	5 مقاومين	اطلاق النار على الباشا
1955-2-11	تيفلت	12 (فلاحون)	اطلاق النار على الخونة واشعال الحرائق
1955-2-11	سيدي قاسم	10 (فلاحون)	تفجير القنابل
1955-2-12	برشيد	8 (فلاحون)	اطلاق النار على الخونة واحراق المزارع
1955-2-16	ناحية مكناس	5 (فلاحون)	احراق ضيعات المعمرين
1955-3-9	بوالجعد	8 (فلاحون)	هاجموا بالرصاص ستة معمرين وعملاء
1955-3-10	الرباط	8 مقاومين	قتلوا وجرحوا 11 من الخونة
1955-3-15	وجدة	3 مقاومين	بقتل ثلاثة فرنسيين وجرح اربعة في الهجوم على بار دي سولاي (حانة الشمس)
1955-3-23	بركان	3 (مهربو السلاح)	اعتقال اعضاء من قيادة المنظمة السرية
1955-4-23	الدار البيضاء	8 من الهلال الاسود	قنبلة في بنك قتلى وجرحى
1955-5-4	رأس العين	اعتقال المسكيني وانتحار العربي	قتل العملاء في البادية
1955-5-6	الدار البيضاء	25 (منظمة الحسنية)	انتحار قائدها الشافعي بناجم البراهمي
1955-5-3	المحمدية	8 مقاومين	قتل موظف فرنسي وعملاء مغاربة
1955-5-14	فاس	7 مقاومين	تفجير القنابل
1955-5-28	سيدي بنور	36 فلاحا	اشعال الحرائق في مزارع المعمرين
1955-6-22	مكناس	12 فلاحا	اضرام النار في ضيعات المعمرين
1955-6-26	الدار البيضاء	49 مقاوما	اطلاق النار وتفجير القنابل
1955-7-8	الدار البيضاء	اعتقال مصطفى المعاني	ابتلع السم بعد اعتقاله

تاريخ الاعتقال	المكان	عدد الأفراد	التهم المنسوبة اليهم
1955-7-30	الرباط	15 مقاوما	اغتيال شرطي فرنسي وعملاء مغاربة
1955-8-2	الدار البيضاء	8 مقاومين	اطلاق النار على الجواسيس
1955-8-10	فكيك	6 مقاومين	تفجير قنبلة في باب المسجد
1955-8-20	ابو الجعد	3(فلاحون)	احراق ضيعات المعمرين واتلاف خط الهاتف
1955-8-30	خميس الزمامرة	9 (فلاحون)	اشعال الحرائق في مزارع المعمرين
1955-9-4	الدار البيضاء	25 مقاوما	اطلاق النار وتفجير القنابل
1955-9-17	بني ملال	23 (فلاحون)	الحرائق والتخريب
1955-9-18	المحمدية	7 مقاومين	الاغتيالات والحرائق
1955-9-23	بن احمد	10 (فلاحون)	اشعال الحرائق في ضيعات المعمرين
1955-9-28	الدار البيضاء	11 مقاوما	اطلاق النار على العملاء
1955-10-20	بوسكورة	8 (فلاحون)	التخريب والحرائق
1955-10-21	السعيدية	30 (فلاحون)	اطلاق النار التخريب
1955-11-8	الدار البيضاء	6 مقاومين	اغتيال مقدمين وتفجير قنابل
1955-11-11	السعيدية- وجدة	30 مقاوما	قتل شيخين، اتلاف، حرائق
1955-11-13	المحمدية	3 فلاحين	احراق ضيعة أحد العملاء
1955-11-14	الدار البيضاء	4 من منظمة جيش الاطلس	تفجير القنابل
1955-11-17	وجدة	30 مقاوما	اغتيالات بالسلاح الناري
1955-11-19	الجديدة	6 مقاومين	اطلاق النار على جواسيس
1955-11-25	الدار البيضاء	4 مقاومين	شاركوا في الهجوم على مقهى أفيفال
1955-11-27	الشياظمة	3 فلاحين	محاولة اغتيال خائن
1955-11-28	فاس	8 مقاومين	اغتيال مقدم وحراس

الاستعمار مارس التعذيب في المعتقلات

شهدت القرون الوسطى الاوروبية (476-1453م) مختلف أشكال التعذيب التي صاحبت نظام العبودية والتمزق السياسي. وليس الصاق تهمة الهرطقة والردة بالمكافحة جان دارك من طرف رجال الدين المتحالفين مع الغزاة الانجليز واحراقها حية (1431م) الا قمة العسف الذي ذهب ضحيته، طيلة العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، آلاف الأبرياء من بسطاء الناس بدعوى تعاطي السحر وكذلك العلماء والفلاسفة الذين احرقوا في الساحة العامة بتهمة الالحاد.

وقامت الكنيسة الاوروبية بتنفيذ جرائم مخزية في حق الانسانية بلغت أوج بشاعتها في عهد **ايزابيلا** الكاتوليكية (1451-1504م) وزوجها **فيرديناند** الثاني حينما اشرفت على قيام محاكم التفتيش في اسبانيا (1478م) وعرضت مآت المسلمين للحرق بالنار في اشبيلية وطليطلة وغيرهما لرفضهم اعتناق المسيحية ومنحت الاقطاعيين الحق في استعبادهم ووضع الاغلال في أعناقهم.

وقد أورد **كارل ماركس** تعليقا بالغ التعبير بصدد التعذيب جاء فيه : **"ان الإرهاب الفظيع والاعمال الوحشية التي يرتكبها ما يدعي بالجنس المسيحي في كل بقعة من الدنيا وبحق كل شعب تمكن من اخضاعه، لا تدانيها فظاعات أي جنس آخر مهما بلغت فظاعته ومهما بلغ جهله ومهما كان من الاستخفاف بالرحمة والحياء في أي عصر من عصور الارض".** (1)

وروى **فريدريك انجلز** في "حرب الفلاحين" كيف كان الاقطاعيون الاوروبيون يستأصلون أذن وأنوف الفلاحين ويفقؤون أعينهم بالحديد المحماة ويقطعون اجسادهم الى أربعة.

وفي رسالة منه الى ماركس بتاريخ 1865/12/01 حول جرائم المستعمرين الانجليز في جمايكا كتب يقول **"ان رسائل الضباط الانجليز عن مآثرهم البطولية ضد العبيد العزل في جمايكا لا تقدر بثمن... ان روح الجيش البريطاني قد ظهرت أخيرا في كل عريها دون حياء قطعا..."** (2) وأشار الى كونهم كانوا يتخذون من التعذيب وسيلة للتسلية.

وبالمغرب مارس المستعمرون الغزاة، فرنسيون وإسبان، كل صنوف التعذيب على الفلاحين الذين هبوا للدفاع عن الارض والكرامة. فالضابط **"لافيت"** الذي كان رئيسا لقسم الشؤون الاهلية في سكورة، كانت هوايته المفضلة تكمن في حفر قوالب السكر وحشوها بالمتفجرات وارسالها على ظهر الحمير الى القرى التي يشارك رجالها في المقاومة. وحينما يعثر عليها الفلاحون

2 - مجموعة "في الاستعمار"...

Jean Vidal, le Maroc héroïque, PARIS, 1938, p 134. - 3

يحملونها الى خيامهم وما يكادون يهمون بتكسيرها لتحضير الشاي حتى تنفجر وتقضي على أفراد العائلة اجمعين.
وكان الضابط المذكور يكلف عملاءه بادخال الحمير والبغال محملة بالديناميت الى الاسواق الاسبوعية المكتظة، وعندما تنفجر تخلف عشرات القتلى والجرحى.
واقدم يوما على مباغتة سكان احدى القرى التي تكون قدمت مساعدة للمقاومين وسلط عليها عقابا دمويا بعد ان جرد كل الرجال من ملابسهم. (3)
وتتجلى ذروة القساوة فيما كتبه الضابط "سيكالدي" عام 1914:
" **لكي تقهر عدوا عنيدا يجب توجيه الضربة الى مصالحه الحيوية بقوة خارقة. ويجب احراق محصولاته بدون شفقة، ونهب حيواناته وتجويعه. حينذاك فقط سيركع تحت الاقدام".** (4)
ولما استعاد الجنرال الفرنسي (ديشامب) عين الزرقاء من المقاومين يوم 4/26 1914 اكتشف ان قبور جنود الاحتلال في تافيلالت تم تحطيمها، فأمر بجمع السكان الذين لم يغادروا القرية، النساء والاطفال والشيوخ، وقتلهم عن أخرهم. (5)
وقد سبقه الى تطبيق هذا الاسلوب الوحشي الجنرال داماد في الشاوية يوم 15مارس 1908. فأمام المقاومة العنيفة التي لاقاها أثناء زحفه على مدينة سطات، قام الجنرال بتطويق قرية لم يكن فيها الا النساء والإطفال لأن الرجال التحقوا بالمقاومة. وأمر بقصف الخيام بواسطة المدفعية ثم اجهزت قواته على السكان العزل وأبادتهم عن آخرهم وبلغ عدد القتلى ألفا وخمسمائة من الاطفال والنساء.وكتب معمر متحمس الى البرلماني الفرنسي (ايمانويل بروس) قائلا:
"لقد تم يوم 15مارس تقتيل الجميع نساء وأطفالا. ان الدرس كان ضروريا". (6)
وبعد احتلال وجدة عام 1908وصل العقيد برانلير الى ضاحية بركان، وأقام له القائد المغربي مأدبة عشاء ولمرافقيه، وأعد لهم خنزيرا وحشيا مشويا. وأكل الخنزير حرام على المسلمين. وهذا ما لم يفهمه الضابط الفرنسي، فسأل القائد وحاشيته: **لماذا لا تاكلون من الخنزير اللذيذ؟** فأجابه القائد ببلادة متناهية: **عندنا لا يأكل لحم الخنزير الا الكلاب.**
اعتبر الضابط الجواب سبة واهانة له. فانزل العقاب بسكان القبيلة كلهم، وفرض عليهم تأدية غرامة تمثلت في تقديم ألف رأس من الغنم وهدد، في

4 - Capitaine Ceccaldi, Au pays de la poudre, le Fournier, Paris 1914, P. 59 d'après C.A.J.le Maroc op. cit .p.144
5 - Général Deschamps, Souvenirs des premiers Temps au Maroc français 1912- 1915, Paris, 1935, P. 189.
6 - Jaurès : œuvres de Jean Jaurès. Le guêpier marocain 1906-1908, T III PARIS, 1933, P.308. d'après C.A.J Le Maroc op.cit.p 77.
7 - Lieutenant Kuntz, Souvenirs de campagne au Maroc, PARIS 1913, P.89.

حالة الرفض، باحراق القبيلة عن آخرها. فما كان من القائد وأعوانه إلا ان أرغموا السكان على تقديم جميع الاكباش المطلوبة. (7)

وفي شمال المغرب كان ضباط الجيش الاسباني يربطون المقاومين الأسرى في ذيول الخيول ويجرونهم حتى الموت، ويقتلون الجرحى ويقطعون رؤوسهم ويحرقون جثثهم حتى لا تأخذهم أسرهم. (8)

وسلط المستعمرون ضروبا من التعذيب على الوطنيين في السجون والمنافي. وكان المسمى **أيار** رئيس دائرة بمكناس يشرف بين الحين والآخر على تعذيب المسجونين في معتقل كلميمة بالصحراء.

كان الوطنيون يستيقظون تحت الضرب بالسياط على الخامسة صباحا، ويقطعون بضع كيلومترات على الاقدام الى مكان الاشغال الشاقة حيث يحفرون الارض. ويحملون الاحجار ويرصفون الطريق حتى اذا أقبل الليل عادت السياط لتلهب ظهورهم أثناء عودتهم الى الاكواخ في مركز الاعتقال ولا يتوصلون من الاكل الا بقطعة خبز من الشعير وكأس ماء. (9)

ومن بين الضحايا الشاعر والكاتب الفقيه محمد القري الذي كان مريضا وبدينا لا يقدر على المشي، وتم ربطه بعربة تجره على الارض الى أن بلغ درجة الاحتضار فأمر الضابط **أيار** بوضع كومة محترقة من الجير في



● «**الحضارة الأوروبية**»: **عساكر إسبانيا ورؤوس مكافحين في منطقة الريف** 1924

8 - المريني العياشي، النضال الجبلي ج 2. طنجة بدون تاريخ ص 83.

9 - "الرأي العام" 31يناير 1952

زنزانته عجلت بخنق انفاسه (10) وكان موته يوم 1937/12/8في كلميمة، ودفن في مقبرة توجد في طريق قصر أيت مرغاد. (11)

وعند اندلاع الكفاح المسلح سنة 1953 تضاعف عدد أفراد جهاز القمع واصبح يتكون بالمدن من 112عميدا للشرطة و 200من ضباطها و 250من نوابهم وثلاثة ضباط برتبة رائد وثمانية من مساعديهم وعشرين ضابطا للامن يضاف إليهم 592 مؤطرا **لآلاف** الشرطيين السريين والمخبرين والجواسيس. (12)



● الكاتب والشاعر محمد القُرِي

وفي نفس التاريخ إرتفع عدد أفراد الجيش الفرنسي من 46ألفا الى 106ألف، ستون ألفا منهم قدموا من الجزائر فضلا عن آلآف المجندين المغاربة. (13)

وفي غمرة النضال الجماهيري من أجل الاستقلال تفنن المستعمرون في استنباط اساليب التعذيب الجهنمي. اذ كانوا يربطون المعتقل على كرسي طويل ويجعلون راسه يتدلى في وعاء مليئ بالماء الوسخ الى درجة الاختناق، والسياط تنزل على ظهره واطراف جسده العاري، ثم يفرغون الماء على الارض لكي لا يستطيع الجلوس ويحرم من النوم ليلا ونهارا، وتاتي عملية التعليق من الرجلين والراس الى اسفل والضرب بالسياط المتكونة من جلد الحيوان، واستخدام الفلقة وهي خشبةٍ بها ثقبتان يوصل بهما طرفا حبل توثق بهما القدمان للجلد، واستعمال الدهق ويتألف من خشبتين كانتا تستعملان للتضييق على الساق للتعذيب.

وتبلغ ذروة القساوة أبشع أشكالها باقتلاع الاظافر والاضراس بواسطة الملقاط، وكي الاعضاء التناسلية بالكهرباء وإطفاء السجائر المشتعلة في الأطراف الاكثر حساسية، وإدخال القضبان والعصي في الشرج، وإجلاس الضحية على قنينة زجاجية تحتوي احيانا على مادة كيماوية حارقة تتلف مساحة كبيرة من مقعده مما يجعله يعاني من الآم شديدة أثناء التبرز.

ووصف شاهد فرنسي ما حدث بادارة الشرطة بالدار البيضاء في 8دجنبر 1952قائلا:

"كان بعض المتوحشين الاوروبيين يطرحون المغاربة على الارض ويضعون قدما على أرجلهم والأخرى على صدورهم ويضربونهم بأعقاب

10 - طالب، شهادات م. س.ج 1ص 245.

11 - الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الثقافة الدار البيضاء 1984ص 171 C.A. Juli-

en, Le Maroc. Op. Cit, P. 446. - 12

Bernard, Le conflit, op.cit, T 3. P. 293. - 13

البنادق على أسفل البطن بعنف شديد. وقضى كثيرون منهم نحبهم، وبشكل مشين قطع شرطيون أذن الجثث واستعملوها منفضة للسجائر". (14)

واستطاع الدكتور **طوليدانو** رئيس مستشفى بوجدة إرسال تقرير الى الحكومة في باريس يفضح فيها التعذيب المؤدي الى وفاة عدد من المعتقلين في ادارة الشرطة، ومن خلال تحقيق أجري حول بعض الحالات تأكد ان المقاوم بومدين العثماني، ومهنته دراجي، قتل تحت التعذيب كما لقي نفس المصير العشرات من الوطنيين إثر المظاهرات الدامية ليوم 16غشت 1953.

وشمل التعذيب الاطفال أيضا. وهذا ما عاينته لجنة تحقيق عينتها حكومة الرئيس **ماندييس فرانس** أثناء زيارتها لسجون المغرب مابين 20و30 سبتمبر 1954. وأكدت في تقريرها ممارسة التعذيب من طرف البوليس ولاحظت إن بعض المعتقلين لا يعرفون سبب اعتقالهم. ومن بين أزيد من عشرين ألف معتقل كان يوجد 300من القاصرين، أحدهم يبلغ من العمر 12 سنة وآخر لا يتعدى سنه 16عاما إتهم باشعال الحرائق في مزارع المعمرين. (15)

وروى صحفي فرنسي ما شهده في غشت 1955بعد المظاهرة الشعبية في مدينة خنيفرة قائلا: **"ألقي القبض على ثلاثة أو أربعة أطفال. واحد منهم ابن خمسة عشر عاما ليس أكثر، مر امامنا رافعا يديه الى اعلى وضربات أعقاب البندقية تدفعه الى الامام. وفجأة بدون سبب، أطلق عليه الجندي الفرنسي النار من الخلف سألته لماذا فعلت هذا؟ أجابني:** إن الوغد كان يحمل معه خنجرا". (16)

وبمدينة مراكش اعترف عمر بنونة، تحت التعذيب بتلقيه خمسين ألف فرنك عن كل عملية مسلحة قام بها، وقال تقرير الشرطة أن المعتقلين وعددهم ثلاثة اعترفوا بإلقاء القنابل على مقهى فرنسا وعلى موكب الجنرال كيوم وعلى الباشا الجلاوي في مسجد الكتبية. (17)

وقام ضحايا التعذيب، أمام الهيأة القضائية، بتشخيص كيفية تنفيذ العمليات التي الصقت بهم بدون أية حجة مادية. وظلوا في السجن الى حين إلقاء القبض على جماعة حمان الفطواكي واتضح الفاعلون الحقيقيون، ثم أطلق سراحهم بدون أي اعتذار. (18)

وفي الدار البيضاء اعترف خمسة أشخاص بتفجير قنبلة السوق المركزي واحضرت الشرطة شهود ضدهم، وكانوا مهددين بالاعدام. وعلم محمد منصور وهو داخل السجن بأمرهم، ووقف امام المحكمة يوم 10-12-1954 وكان يحاكم في قضية اخرى. وأعلن ان اشخاصا متهمون في قنبلة السوق المركزي

14 - Robert Barrat, Justice, op.cit.p.45.
15 - A Julien, Le Maroc, op. cit.p.374.
16 - J.F chauvel, A Rebrousse-poil, Olivier Orban 1974, P.77.
17 - La Vigie marocaine 1-6-1954.
18 - Guy Delanoë, la Résistance, op. cit.P. 82.

لا علاقة لهم بها وقدم حججا اقنعت القضاة واطلقوا سراح الخمسة الابرياء وصدر الحكم على منصور بالاعدام.

وفي القنيطرة القي القبض على ثمانية أشخاص اعترفوا، تحت التعذيب، بتخريب سكة القطار الرابط بين الدار البيضاء والجزائر يوم 23 غشت 1953. وطلب وكيل الدولة بإصدار حكم الاعدام في حقهم. وشاءت الصدف ان يتم القاء القبض على المقاومين الذين قاموا بتفكيك السكة، ولم يسع المحكمة الا ان اطلقت سراح المتهمين الخمسة.

وهناك حالات عديدة من الاتهامات الباطلة طالت أبرياء انتزعت منهم الاعترافات تحت التعذيب. والواقع أن المستعمرين وأغلب المسيحيين بالمغرب أيدوا ضمنيا القمع أثناء اشتداد المقاومة الشعبية. (19)

وهذه لائحة لضحايا التعذيب استقيناها من عدة مصادر، وتبقى غير تامة :

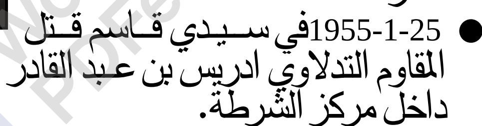
- 1937-12-8 قتل الكاتب والشاعر محمد القري تحت التعذيب في سجن كلميمة.
- 1937محمد اليزيدي من قيادة حزب الاستقلال نفي إلى الصحراء في ايت عطا حيث مكث ثلاث سنوات جعلوا عليه حارسا مغربيا أصم وأخرس حتى لا يتمكن من التحدث مع أحد ولا يكلمه أحد إمعانا في التعذيب النفسي.
- 1942في بركان القي القبض على الوطني محمد بن عبد النبي التزغيني وقتل في إدارة الشرطة تحت التعذيب.
- 1952-11-24 الحارس خوسي هيرنانديز بسجن العادر بالجديدة قتل احد المعتقلين بدعوى الدفاع عن النفس.
- دجنبر 1952، قتل حفدي بن الجيلالي من دوار الياسفة تحت التعذيب في ادارة الشرطة بالدار البيضاء.
- 1944-1952طيلة تلك السنوات كانت الادارة الاستعمارية تسوق المساجين السياسيين في شوارع المدن قصد إهانتهم امام المارة وتكلفهم بحفر الطرق وتنظيفها تحت سياط الحراس.
- 1952-12-13 الفقيه احمد بن ابراهيم السوسي معلم اطفال عمال كوزيمار للسكر اعتقل وعذب طيلة ساعات وفي نفس اليوم قتل شخصان معتقلان معه في ادارة الشرطة بالدار البيضاء.
- 1952-12-11 في مدينة اكادير القي القبض على محمد نايت الطالب وتعرض للتعذيب بتهمة عدم التبليغ بجماعة من المقاومين.
- 1953-08-20اعتقلت الشرطة بمدينة سلا في مظاهرة لطالبات المدارس الطالبة الكبيرة، وماتت تحت التعذيب في ادارة الشرطة ودفنت سرا.

19 -.C.A. Julien, le Maroc, op, cit. P. 355

- غشت 1953 اعتقل الداودي سعيد من دوار آيت بوجو في اقليم أزيلال ونقل الى سجن بويزكارن بالصحراء وقتل تحت التعذيب.
- 18-8-1953 في وجدة القي القبض على الديب محمد بن عبد القادر من مواليد 1923ولقي حتفه على يد الجلادين بإدارة الشرطة.
- 18-8-1953 بوجدة قتل تحت التعذيب بوعلام بن الموساوي من مواليد 1900.
- 18-8-1953 مات تحت تأثير الصعق بالكهرباء في ادارة الشرطة بوجدة محمد بن الحسن المراكشي.
- 18-8-1953 قتل ادريس بن البكاي المزداد سنة 1934في ادارة الشرطة بوجدة.
- 18-8-1953مات احمد بن مسعود المزداد سنة 1937بمنطقة أنجاد رفقة 13معتقلا آخرين بادارة الشرطة بوجدة.
- 20-8-1953 توفي من جراء التعذيب في وجدة الحسن الوكيلي المولود عام 1927
- 23-8-1953 حسن بن مصطفى بن ادريس المزداد عام 1924 مات بوجدة مختنقا في الزنزانة.
- 29-8-1953تعرض المحامي عبد الرحمان بادو بمدينة مكناس للتعذيب بالكهرباء على يد عميد الشرطة كابارو وغطس الراس الي درجة الاختناق في الماء المتسخ والارغام على شرب البول ثلاث مرات في اليوم جاء ذلك في شهادة المحامي بادو امام لجنة التحقيق سنة 1954.
- 12-11-1953 شن المعتقلون إضرابا في سجن علي أومومن بناحية سطات احتجاجا على العنف وانعدام العلاج.
- 17-12-1953 كسر الحارس خوسي هيرنانديز ذراع السجين بلعياشي أمام عدد من المعتقلين.
- دجنبر 1953، اختطف البوليس خمسة من رجال الأعمال تابعين لحزب الاستقلال وهم : الصيدلي بن سالم جسوس والطيب السبتي من فاس، وبوبكر بن احمد كيلان، زين العابدين بن ابراهيم وعبد السلام بن كيران من الدار البيضاء. ونسبت بعض الصحف الاستعمارية العملية الى المقاومة المغربية. غير ان المحامي شارل لوغران تعرف على مكان اعتقال بن كيران فأذاع النبأ وقامت ضجة في الأوساط الفرنسية بباريس، واضطرت الإدارة الاستعمارية إلى إرجاع المختطفين إلى ذويهم يوم 25أبريل 1954.
- 30-4-1954 اكتشفت لجنة للتحقيق قادمة من فرنسا ستة اطفال قاصرين ادخلوا الى سجن عين قادوس بفاس بعد ان تعرضوا للتعذيب بالكهرباء في ادارة الشرطة بالنجارين.

- 1954-5-20بطلب من لجنة التحقيق فحص الدكتور دولانواي شهيد ميلودي عامل في شركة النقل س.ت.م. وتأكد لديه ان الضحية فقد اربع سنتيمات من جلد باطن القدم بسبب الضرب، في حين انتزع ظفر من قدمه اليسرى وفقد ضرسين من الضواحك في الجهة اليمنى.
- 1954-5-21القي القبض على حميدة لكرار الوجدي وقتل تحت التعذيب بإدارة الشرطة بدعوى انتمائه الى المقاومة.
- مايو 1954مات المقاوم المكنوشي بومدين في مستشفى بركان بعد تعذيبه في إدارة الشرطة.
- مايو 1954قتل المقاوم مولاي احمد المكراري الفكيكي تحت الضرب على يد البدو الذين استقدمهم الجنرال جوان للحراسة بالدار البيضاء.
- مايو 1954توفي المقاوم عبد الرحمان السرغيني بعد تعرضه للضرب من طرف القائد بوعمرو بدائرة عين الشق بالدار البيضاء.
- يونيو 1954قتل المقاوم امزيان محمد في إدارة الشرطة بالحاجب بتهمة حرق مزارع المعمرين وقطع أسلاك الهاتف.
- 1954-7-11اعتقل بوبكر الصقلي الطالب في ثانوية مولاي ادريس بفاس وعذب بالكهرباء وأدلى بشهادته أمام لجنة التحقيق.
- 1954-7-24في مدينة ايفران قام حارس السجن بتعليق حميد بن محمد من اليدين وتسبب له في انفكاك ساعده الايسر وجراح في معصميه.
- 1954-7-25فحص الطبيبان دولانواي وشافان العبدي كنون وجاء في تقريرهما : انتزاع ظفر الخنصر لليد اليمنى مع ورم واضح، واقتلاع جزء من ظفر الخنصر والبنصر لليد اليسرى وسلخ جلد الرجل على طول ستة سنتيميترات، وذلك بسبب التعذيب.
- 1954-9-4اعتقل المقاوم العربي بن محمد في الجديدة بتهمة قتل ضابط للشرطة. واستهدف للتعذيب وتعفن جرح في فخذه، فوضعوا الزفت على رجليه وصبوا عليها الكحول واشعلوا النار. هذا ما جاء في تقرير طبي.
- 1954 -9-8في مدينة خنيفرة قتل المقاوم عزمي بن الحبيب حوسي في ادارة الشرطة.
- 1954-9-20 صرح الصديق بن محمد المكينسي امام لجنة التحقيق بأنه تعرض للتعذيب في ادارة الشرطة ومثل امام المحكمة الباشا ورجلاه تنزفان دما من جراء الضرب.
- 1954-9-20توفي المقاوم محمد بن عدادة في سجن فاس بعد التعذيب الذي تعرض له في ادارة الشرطة.
- 1954-9-22استمعت لجنة التحقيق الى تصريح علال بن محمد الهواري بسجن مكناس. وقال بأنه تعرض الى التعذيب بالكهرباء والضرب بالعصي وغطس الراس في الماء الوسخ بادارة الشرطة.

- اكتوبر 1954، قتل المقاوم علي بركاتو تحت التعذيب في مركز الدرك بشيشاوة في ناحية مراكش.
- اكتوبر 1954 مات عمر بن الزي من جراء التعذيب على يد الدرك الفرنسي في ايمي نتانوت بناحية مراكش.
- نوفمبر 1954 التغروتي احمد بن اليزيد مقاوم من دوار بني يخلف لفظ أنفاسه تحت التعذيب في إدارة الشرطة بفاس.
- 11-11-1954 توفي محمد الدرفوفي وطني مشهور بوجدة، في حالة صحية سيئة ناتجة عن التعذيب وانعدام العلاج في السجن بميسور.
- دجنبر 1954 قتل المقاوم حماد ولد الشيخ الميهاوي من دوار اولاد اشنن بناحية وجدة تحت التعذيب.
- دجنبر 1954 المقاوم التجاني بن مولاي مصطفى المزداد بخنيفرة القي عليه القبض بالدار البيضاء وقتل تحت التعذيب في مركز الشرطة.





● محمد الدرفوفي

- 25-1-1955 في سيدي قاسم قتل المقاوم التدلاوي ادريس بن عبد القادر داخل مركز الشرطة.
- 21-3-1955 قتل المقاوم جودار محمد بن عبد الله من طرف حراس فرنسيين بالسجن المدني بالدار البيضاء.
- 4-7-1955 القي القبض على المقاوم المحجوب بن محمد بمراكش وتعرض للتعذيب في ادارة الشرطة ونقل إلى مستشفى المامونية حيث لفظ انفاسه.
- 20-8-1955 اعتلى المعلم العربي بن حمادي سطح بيته في خريبكة واطلق النار من بندقيته على إفراد الجيش الفرنسي وتمكنوا من اصابته ثم سكبوا البنزين عليه وأشعلوا النار في جثته.
- 20-8-1955 في واد زم القت الشرطة القبض على ادريس بن داود الغزواني وبعد تعذيبه ساقوه الى باب منزله وقتلوه بوابل من الرصاص بهدف ارهاب السكان.
- 20-8-1955 قتل علي بن الجيلالي في ادارة الشرطة بواد زم.
- 20-8-1955 شارك احمد بن بوعزة السماعلي في إحراق منشآت الاستعمار في واد زم واصيب بالرصاص وتعفنت جراحه ومنع من كل علاج الى ان مات في الاعتقال.

- 1955-8-20 القي القبض علي بوعبيد بن حدو في خريبكة واستهدف للتعذيب ونقل الى سجن مراكش حيث توفي بعد بضعة اسابيع.
- غشت 1955 حسن السكتاني رئيس خلية للمقاومة بمدينة الجديدة اعتقل بالدار البيضاء وقتل في ادارة الشرطة المركزية.
- 1955-9-15 القي القبض على المقاوم غالي احمد بن محمد بالدار البيضاء وبعد تعذيبه القي به البوليس من الطابق العلوي لمركز الشرطة بالمعاريف ومات في الحين.
- 1955-9-23 مات المقاوم الشباني عبد الله تحت التعذيب في ادارة الشرطة بالدار البيضاء.
- 1955-10-2 شارك محمد بن الحاج في الهجوم على مركز الجيش الفرنسي في ايموزار مرموشة واصيب بجراح والقي عليه القبض. فامر الضابط الفرنسي بقتل الاسير الجريح.
- 1955-10-2 اثناء الهجوم على تكنة للجيش الفرنسي في ناحية مرموشة وقع سعيد بوجمعة في الأسر وقتله الجيش الفرنسي في نفس اليوم في مكان يسمى تاغزوت.
- أكتوبر 1955 القي القبض على المقاوم عمر بن العربي بناحية مراكش وقتل تحت التعذيب في مركز الاعتقال.
- 1955-10-4 القي الجيش الفرنسي القبض على المقاوم اوغدوجان محمد في أيت واحي وقتله بدعوى مشاركته في الهجوم على المركز العسكري في ايموزار مرموشة.
- 1955-11-1 وقع عبد السلام بن محمد في الاسر اثر معركة في اكنول بناحية تازة، فقتله الجيش الفرنسي بدون محاكمة.
- 1955-11-7 القي القبض على المقاوم بوشعيب بن الحسن بالدار البيضاء وقتل تحت التعذيب بادارة الشرطة.
- 1955-12-14 المقاوم العسري علي بن احمد من دوار سيدي عبد الرحمن باقليم تاونات شارك في الهجوم على مركز للجيش الفرنسي ووقع في الاسر وقتل بدون محاكمة.
- 1955-12-15 المعلم الزاهر الحداد فلاح يبلغ من العمر 55 سنة انخرط في جيش التحرير واوقع الجنود الفرنسيين في عدة كمائن بناحية تاونات، وعندما القي عليه القبض خضع لتعذيب رهيب، وتم قطع رجليه وقتل بطريقة وحشية.
- دجنبر 1955 القي القبض على المقاوم بليجي مبارك الصحراوي وقتل تحت التعذيب في مركز الدرك بسيدي بنور بناحية الجديدة.
- دجنبر 1955 القي القبض على المقاوم زغراوي محمد في ناحية بركان وعذبه الدركيون الفرنسيون في مركز تافوغالت الي ان لفظ انفاسه.
- 1956-2-13 قتل المقاوم محمد بن لحسن بن عقة في ادارة الشرطة بالخميسات.

- 1956 اعتقلت القوات الاسبانية في آيت باعمران الوطني المعروف الشيخ سعيد بن الحسين، وقدم له في السجن "علاج" أودى بحياته والمعتقد انه مات مسموما.
- 23-5-1956 القي القبض على بنعودة محمد بن العربي بعد اصابته بجراح في بني يزناسن، ومثل به جنود فرنسا وقطعوا عضوه التناسلي.
- 1956 قتل الجنود الاسبان تحت التعذيب في الساقية الحمراء الوطني الصحراوي محمد سالم بيدا.

مراجع هذا الفصل هي :

الصحف الصادرة آنذاك، وما نشرته "المندوبية السامية لقدماء المقاومين واعضاء جيش التحرير في شهداء الاستقلال" ج 2 و 3 الرباط 1988. والملاحظ ان اسماء الشهداء في الملفات غير مضبوطة لا من ناحية تاريخ الوفاة ولا تاريخ كتابة الملف ولا رقمه ولا تسلسل زمني فكل شيء متراكم بدون تصويب ولا تصحيح. ومثال ذلك ما جاء في الصفحة 62 من الجزء 2 حيث كتب ان المحجوب الرميزة بن الحسين استشهد بطريق الدار البيضاء حيث كان يقوم بمهمة فدائية في اوائل سنة 1956. والواقع انه كان في رحلة عادية في اتجاه القصر الملكي بالرباط مع فرقة من جيش التحرير بهدف الانضمام الى الجيش الملكي، وصدمت سيارته مؤخرة شاحنة كانت تسير امامه.

وقد اعتمدنا اكثر على ما جاء في تقرير لجنة التحقيق وشهادات الاطباء الذين عالجوا ضحايا التعذيب، واحسن مرجع بهذا الصدد هو كتاب الدكتور دولانواي "المقاومة المغربية وحركة الضمير الفرنسي" ج 2.

Guy Delanoë, la Résistance marocaine et le mouvement conscience française, t. 2 Ed. L'harmattan, Paris 1991.

عمليات استشهادية حفاظا على أسرار المقاومة

كما رأينا في الفصل السابق فان التعذيب الذي مارسه المستعمرون على الفدائيين فاق كل تصور. وكان الخوف من السقوط بين أيد الاعداء والاعتراف بالأسرار وراء القرار الذي وافق عليه المقاومون والقاضي بتصفية كل من افتضح أمره الى الشرطة. لكن ذلك القرار القاسي واللا أخلاقي رغم القبول به لم ينفذ الا مرة واحدة، واصبح متجاوزا بعد توفر حلين بديلين وهما تهجير المتابعين الى منطقة النفوذ الاسباني في الشمال والجنوب، وتمكين الفدائيين من اقراص السم التي تجلب من اسبانيا عبر طنجة وتطوان.(1)

لم يكن تناول السم اجباريا على المقاومين، فالكثيرون منهم جابهوا الاعتقال والتعذيب بدون ان يفكروا في ابتلاع القرص القاتل.

الا أن إقدام بعضهم على الفناء الذاتي لم يكن بدافع الياس من الحياة وانما الخوف من البوح باسرار تحت التعذيب يستفيد منها العدو لالحاق الضرر بتنظيم العمل المسلح الذي كان في بدايته. والموت في مثل ذلك الموقف لا يمكن اعتباره "انتحارا" بل تضحية جديرة بالتقدير لانها تهدف الى حماية قضية عادلة تهم مصير شعب كامل وتعمل على استنهاض ضحايا الاستغلال المستعدين للانخراط في الكفاح من اجل انتزاع حقهم في الحرية والاستقلال.

فالذي يقدم على التضحية بروحه من اجل مثل أعلى وطني أو ديني لا يمكن وضعه في مرتبة الذي يقتل نفسه لأسباب شخصية صرفة. فالمسيحيون الأوائل صمدوا في وجه الأباطرة وضحوا بأنفسهم بدون ان يرتدوا عن عقيدة آمنوا بها.

وكذلك فعل المسلمون الأوائل الذين واجهوا الاضطهاد بشجاعة مثالية وبعضهم قضى تحت التعذيب متمسكا بعمق الايمان بالاسلام.

وكان المقاومون في اوربا ضد النازية والفاشية يحملون في جيوبهم اقراص السم ولم يتردد عدد منهم في التضحية بأنفسهم اثناء الحرب العالمية الثانية، والقى طيارون من الجيش الأحمر السوفييتي بطائراتهم المحملة بالمتفجرات وسط جنود العدو ونالت مآثرهم البطولية مكانة خالدة في ذاكرة شعوبهم.

وقد انتبه مبكرا علال الفاسي رجل الدين المستنير الى الفرق الموجود بين الانتحار المبتذل الذي يحرمه الدين وفعل التضحية في سبيل الوطن والعقيدة، واصدر من القاهرة فتوى دينية تبيح للمقاومين الانتحار باعتباره عملية استشهادية وعملا بطوليا.(2)

1 - حديث مع الفقيه البصري بالدار البيضاء في 14-4-1999.

2 - حديث مع الدكتور عبد الطيف بنجلون بتاريخ 14-4- 1988 بالدار البيضاء.

واذا لم يسعفنا البحث للعثور على نص الفتوى مكتوبة، فان العالم الوطني عبد الله كنون نشر فتوى دينية مشابهة في مجلة "لسان الدين" التي كان يصدرها بتطوان، واعتبر استشهاد الزرقطوني **"إيثارا لغيره بالحياة لأنه لو لم يفعل لصب عليه من انواع العذاب والتنكيل ما لا يملك معه ان يتهم اناسا فيقعوا في يد من لا يرحم ولا جزاء له عنده الا الموت".**

ويتوسع في الشرح قائلا **"صحح العلماء عدم تكليف المُكرَه واستثنوا من ذلك القاتل اذا اكره على القتل لايثار نفسه، وهذه القضية على العكس فيها مضادة النفس وايثار للغير بالحياة... وانها خطة جهادية يجب انفاذها وعمل في سبيل الله لا ينبغي ايقافه..."** (3)



● حسن الصغير

ودخل حسن الصغير في تاريخ المقاومة المغربية بصفته اول مقاوم يتجرع السم بعد وقوعه في الاعتقال. فقد تقرر طبع منشور باسم الملك المنفي محمد الخامس يحث فيه الشعب على مواصلة الكفاح، وقام بتحرير صيغته الاستاذ الجندي الذي كان يعمل في المدرسة المحمدية في حي موناستير بدرب السلطان. وتكلف سليمان وهو مطبعي متخصص بإخراجه وتسلم مفتاح مطبعة **"الأطلس"** من صديقه محمد السرغيني بدعوى انجاز عمل تجاري. (4) وبينما كان منهمكا في الطبع ومعه حسن الصغير، اذا بالزرقطوني يدفع الباب ويتسلم الدفعة الأولى ويغادر المطبعة الموجودة في زقاق الجنرال ماركريط (موحى أوحمو حاليا) رقم 40 والمتفرع عن شارع ستراسبورغ في درب عمر. وبعد بضع دقائق داهمت الشرطة المطبعة وكانت الساعة تشير الى الثالثة صباحا من يوم 5-2-1954 وألقت القبض على سليمان العرائشي وحسن الصغير واستغل حسن غفلة الشرطيين، وكان مقيد اليدين الى الامام، وابتلع قرص السم الذي كان معه.

وبدأ يرتعد بكل جوارحه داخل سيارة الشرطة. فسأل احدهم سليمان: **ما بال صاحبك؟ فأجابه: – إنه مسكون بالجن !.**

وحينما وصلوا الى مركز البوليس، جاءت سيارة الاسعاف لتحمل حسن الذي لفظ انفاسه قبل الوصول إلى المستشفى.

ويعد حسن بن حمو المسفيوي المدعو الصغير اول عضو في **"المنظمة**

---

3 - انظر مجلة المقاومة وجيش التحرير العدد 4. غشت 1982ص 16.

4 - سليمان العرائشي، عملية مطبعة الاطلس بالدار البيضاء، من تاريخ المقاومة السرية بالمغرب، سلا 1994ص 89.

السرية" يستشهد بواسطة السم حفاظا على اسرار المقاومة ويعطي للجهاد نفسا طويلا.(5)

وبقيت الحراسة داخل المطبعة، فأتي المقاوم حسن نكريمي ليحمل مزيدا من المناشير إلي الزرقطوني، فألقي عليه القبض.

في ادارة الشرطة تعرض سليمان للتعذيب واعترف انه عاطل عن العمل وتكلف بطبع المنشور لفائدة احد التجار في حي بوطويل بالمدينة القديمة.

اقتادوا سليمان الى حي بوطويل وهو شارع طويل جميع متاجره مازالت مغلقة في ذلك الصباح الباكر، فدلهم على متجر، بالصدفة، وبادر البوليس الى استفسار الحارس الليلي، وبعد دقائق جاء الحارس رفقة صاحب المتجر ومقدم الحي، وطلب ضابط الشرطة من سليمان ان يدله من بعيد على صاحب المتجر من بين الأشخاص الثلاثة القادمين.ومن سوء حظه انه اشار الى الحارس الليلي، وبداخل السيارة انهالوا عليه بالضرب واللكم لانهم تيقنوا انه يراوغهم. وكان كل واحد يعمل في صراع مع الزمن. الشرطة تريد انتزاع اعترافات سريعة لتعتقل اعضاء التنظيم السري قبل طلوع الشمس، والمقاوم سليمان يماطل متحملا التعذيب من اجل اعطاء الوقت الكافي للزرقطوني ورفاقه للاختفاء.

وفي إدارة الشرطة وجد سليمان امامه حسن نكريمي المعتقل من بعده في المطبعة. فأنكر كل منهما معرفته بالآخر. وأتي البوليس بطفل يساعد نكريمي في متجره وادخلوه على سليمان وسألوه: **هل تعرف هذا ؟** فأجابهم الطفل ببراءة : **أنه صديق المعلم!**

ونزل العذاب الأليم بالإثنين معا، وكان الضابط بوايي المستعرب يتدخل لاقناع سليمان بأن المراوغات غير مجدية ولا بد من الاعتراف بشركائه. ودلهم مرة اخرى على بقال في سيدي معروف، ولم يكن سوى عبد الله الصنهاجي الذي هرب الى الشمال منذ مدة. واعادوا سليمان الى قاعة التعذيب الا انه استطاع بصموده ان يثير انتباه الناس الى اعتقاله خاصة في احياء شعبية توجد بها تنظيمات المقاومة.

وفي الواحدة زوالا قاد سليمان الشرطة الى منزل في حي بوشنتوف يقطنه محمد بن عمر التدلاوي (اداحوس). وطرق بوايي ضابط الشرطة الباب وصاح :

– افتح الشرطة !

وفتح اداحوس الباب والنار في ذات الآن وأصاب ضابط الشرطة الذي سقط على الأرض وهب الشرطيان الآخران لتقديم الإسعاف إلى رئيسهما المجروح، وجرى المقاومان كل واحد في اتجاه، والتحق سليمان بمنزل

5 - ازداد حسن الصغير سنة 1936في قبيلة أغمات بآيت أورير، ناحية مراكش. وقام بعشرين هجوما مسلحا في ظرف أربعة أشهر (حديث مع إبراهيم الباعمراني بتاريخ 10-9-1986).

بن إبراهيم الباعمراني ولم يجده وذهب إلى بيت البشير شجاع الدين والأغلال في يديه واستعار الزرقطوني منشار من الدراجي وكسر القيد وفي اليوم التالي ألقاه في ادارة الشرطة بالمعاريف من باب التحدي والحرب النفسية. (6)

وبعد بضعة أيام من الاختفاء نقل الزرقطوني ومحمد المكناسي كل من سليمان والداحوس والسكوري وإقبال بريك وغيرهم من المتورطين في العملية إلى ناحية فاس ومن هناك سلكوا طريقا يعرف تعاريجها مرافقوهم من مهربي المخدرات،وساروا على الاقدام يومين قبل ان يصلوا الى ضاحية شفشاون بمنطقة النفوذ الاسباني. (7)

وهذا الامتحان الصعب الذي مرت به المقاومة تقف وراءه مجموعة من الأخطاء تظهر المحدودية في التنظيم وضعف الدقة في التسيير.

فالخطأ الأول يكمن في اللجوء الى طبع المنشور في مطبعة يملكها الطاهر غلاب كاتب فرع حزب الاستقلال في درب السلطان المعتقل في السجن منذ دجنبر 1952. ومديرها التجاري هو أخوه محمد غلاب المعروف كذلك بميولاته الوطنية.

والخطأ الثاني هو تحريك دواليب المطبعة في الثانية صباحا وإحداث الضجيج في حي يسكنه الأوربيون مما جعل شرطي فرنسي يقطن فوق المطبعة يتصل هاتفيا بادارته ليخبرها بما يجري في الطابق الأرضي.

والخطأ الثالث ان المقاومين لم يقيموا الحراسة بعيدا عن المطبعة استعدادا لكل طارئ، ولم يكونوا مسلحين للدفاع عن انفسهم.

الا ان إرادة التضحية التي كانت تستحوذ على مشاعر المقاومين ترجمها الصغير إلى فعل استشهادي بتجرعه السم، وأبان عنها سليمان بصموده طيلة ساعات تحت التعذيب الجهنمي، وحولها الداحوس الى انتصار باطلاقه النار على ضابط الشرطة وضمن لنفسه ولرفيقه النجاة، وبذلك تظافرت جهود الجميع لتتجنب **المنظمة السرية** ضربة كادت ان تكون قاسية.



● أحمد أقلا

وبعد مرور شهر واحد كان **احمد أقلا** بطلا للعملية الاستشهادية الثانية في يوم الجمعة 5مارس 1954. فقد ألقى قنبلة يدوية على السلطان بن عرفة في المسجد، وعند اعتقاله كان فاقدا لوعيه من جراء مفعول السم. وبترحيل صديقه عبد الكريم المسفيوي الى

6 - حديث مع بن ابراهيم الباعمراني في 10-9-1986 بالدار البيضاء

7 - حديث سليمان العرائشي في 20-3-1984. أنظر : Le Mémorial du Maroc, coll. Dirigée par Larbi ESSAKALI, Vol. 7. P. 55-56

تطوان ظلت الاسرار محفوظة الى حين القاء القبض على خلية الفطواكي في غشت من نفس السنة.

وفي يوم 18يونيو 1954نشرت ادارة الأمن بالدار البيضاء خبرا تقول فيه انها القت القبض على الزرقطوني واعترف داخل سيارة الشرطة بأنه من المسؤولين عن العمل المسلح وقام بنفسه بهجومات في الدار البيضاء وقتل مقدما وتاجرا وبائع تبغ، ونظم عمليات مسلحة في مدن أخرى.

وبمجرد وصوله إلى إدارة الشرطة صاح فيهم :

– فكوا قيودي! إنني أموت ! (8)

وبعد لحظات فارق الحياة، واتخذ جسده لونا ازرق واسودت أظافره وجحظت عيناه.(Le corps était bleu, les ongles noircis, les yeux révulsés) (9)



● محمد الزرقطوني

كان الزرقطوني (1925-1954) مطاردا من طرف الشرطة الاستعمارية، ودخل معه حسن العرائشي في صراع شخصي اكثر من تنظيمي او فكري، فاقترح عليه إخوانه الذهاب إلى تطوان للقيام من هناك بأمداد المقاومة بما تحتاج اليه من سلاح وغيره، فرفض وواصل تنظيم المقاومة بمساعدة رفاقه في مختلف المدن وخاطر بحياته اكثر من مرة وكان على يقين ان له موعدا مع القدر.

سافر مرتين الى فاس بهدف تنظيم الكفاح المسلح بدون نتيجة، وفي المرة الثالثة تمكن من ربط الاتصال بالبطل عبد الله الشفشاوني وجماعة مسلحة لأن الزرقطوني كان يرغب في ان لا تبقى المدينة العلمية خارجة عن دائرة الكفاح خاصة بعد انجذاب الأغلبية الساحقة من علمائها الى معسكر الاستعمار والخيانة.(10)

وفي ظرف شهرين القي القبض على بعض أعضاء الجماعة واعترف أحدهم بالبشير شجاع الدين الذي وجد نفسه معتقلا بمدينة فاس. وكان للبشير صهر يسمي عزيز السعيدي وبه اتصل الزرقطوني واقترح عليه القيام بمحاولة لدى شرطة فاس لإطلاق سراحه مقابل رشوة مالية.

وعاد الصهر من فاس يطالب بسبعمائة الف فرنك لاطلاق سراح زوج ابنته. فاعترض بعض المقاومين على ذلك واعتبروها مكيدة الا ان

8 - La Vigie marocaine 18-6-1954.

9 - Ibid.

10 - انظر فتوى العلماء بإعدام الفدائيين في الفصل الثامن.

الزرقطوني الح على دفع المال المطلوب. (11) ونصبت له الشرطة مصيدة حقيقية لأن البشير أعطى معلومات كثيرة عن الزرقطوني ودل البوليس على عدة عناوين في الدار البيضاء وتكلم كثيرا اثناء الاستنطاق. (12)

وعاد عزيز السعيدي يوم 17يونيو ليخبر الزرقطوني بأن البشير سيطلق سراحه في اليوم التالي. وكانت المؤامرة محبوكة بشكل جيد بمشاركة عدة اطراف. وفي نفس اليوم رجع الزرقطوني الى الشقة التي هاجرها في سيدي معروف. وفي الصباح الباكر ليوم 18 يونيو دق عليه رجال الشرطة الباب وكان برفقتهم بوعزة السعيدي اخ عزيز الذي وضع فيه الزرقطوني ثقة عمياء. (13)

وسبق للزرقطوني ان اعتقل صحبة سليمان العرائشي في عرباوة وكان يحمل جوازا في اسم المقاوم محمد بن علال الرحموني العرائشي، وتقمصا صفة مهربين للبضائع واستهدفا للاستنطاق والضرب قبل ان يطلق سراحهما. واقر الزرقطوني لبعض اصدقائه انه يخشى ان لا يتحمل التعذيب في حالة القاء القبض عليه، وواظب على استبدال قرص السم باخر جديد ليبقى مفعوله قويا. (14)



● محمد لخضير الداودي

لقد اختار الزرقطوني الموت عن وعي وقناعة وكان يفكر في نجاة رفاقه في السلاح وفي ضمان الاستمرارية للمقاومة دفاعا عن الاستقلال والحرية. (15)

وفي يوم 15-11-1954 القي القبض على الداودي محمد لخضير بمدينة فاس، وغافل حراسه والقى بنفسه من علو شاهق في ادارة الشرطة. وكان امره قد اكتشف في وجدة ونقلته **"المنظمة السرية"** الى فاس وشارك في عدة عمليات مسلحة، ولكي لا يفضح اسرار الخلية التي ينتمي اليها ضحى بنفسه. (16)

11 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بتاريخ 18-10-1992بمراكش.

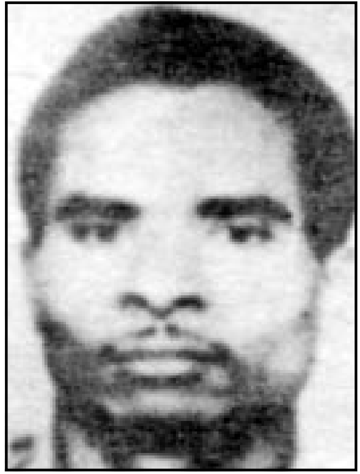
12 - J.C. Legrand, Justice, op.cit. p. 327.

13 - شهادة السعدية العلمي زوجة الزرقطوني، في الشهيد محمد الزرقطوني، الدار البيضاء 2000ص 176.

14 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي في 18-10-1992بمراكش.

15 - اورد الحبيب الفرقاني رواية خاطئة حول الاعتقال وادعى ان البشير اطلق سراحه في حين انه حكم بعشر سنوات سجنا مع خلية الشفشاوني (الثورة الخامسة صفحات من تاريخ المقاومة و.ج.ت. الدار البيضاء 1990ص 341.

16 - حديث مع العربي ساهر بالدار البيضاء في 3-6-1994.



● عبدالرحمان الصحراوي

وبعد اسبوع وصل الى فاس عدد من المقاومين في طريقهم الى الشمال بعد ان نجوا من الاعتقال في الدار البيضاء. وتوقفت سيارتهم امام محطة للبنزين في منتصف ليلة 21 -11-1954 ولم يجدوا العامل في المحطة فأطلقوا العنان لمنبه السيارة، فخرج بعض رجال الدرك من حانة قريبة من هناك، ولما تبين لهم ان السيارة تحمل رقم الدار البيضاء ساورهم الشك في ركابها واوقفوهم، وفي تلك الاثناء ابتلع عبد الرحمان الصحراوي قرص السم بينما اعتقل عبد الرحمان البناي والحاج الهبطي، وأحمد الصباغ.

اما عبد الرحمان الصحراوي فقد مات في الحين وسبق له ان اعتقل في الدار البيضاء وأخضع للتعذيب رفقة الفقيه البصري. وحينما قادتهما الشرطة الى سوق القريعة للبحث عن محمد العبدي السحيمي، قفز الصحراوي من سيارة الشرطة ولاذ بالفرار، وقام بعمليات مسلحة جريئة ضد المستعمرين وعملائهم.

نقل المقاومان رحال المسكيني والعربي بن الجيلالي السوادي المعركة الى البادية بناحية الدار البيضاء، وجعلا من اهدافهما القياد والشيوخ الخونة وكان غرضهما هو ايقاظ الفلاحين في تلك المناطق للثورة على المعمرين الذين اغتصبوا احسن الاراضي وتوجيه ضربات موجعة لعملائهم المغاربة.

وعلى اثر هجوم قاما به يوم 8-1-1955 ضد احد العملاء في رأس العين، طاردتهما قوات الدرك والقي القبض على رحال المسكيني بينما افرغ العربي بن الجيلالي السوادي في رأسه آخر رصاصة بقيت في جعبة مسدسه.



● الشافعي بناجح

وفي شهر مارس 1955 أصيب محمد امين برصاصة أثناء الهجوم على القاضي، بن عبد الحي الكتاني،واعتقد أنه لا محال سيتوقف عن الجري بسبب نزيف الدماء من جرحه، فابتلع قرص السم وواصل الركض في اتجاه منطقة نائية، ونجي من الاعتقال ومن الموت لأن مفعول السم كان ضعيفا،وتخلص من الالم بعد تناوله الدواء.(17)

في بداية مايو 1955 ألقي القبض على الشافعي بن ناجم البرهمي أحد قادة منظمة

17 - حديث مع عمر الفرشي بن صالح بتاريخ 6-4-1998 بالدار البيضاء .


● مصطفى المعاني

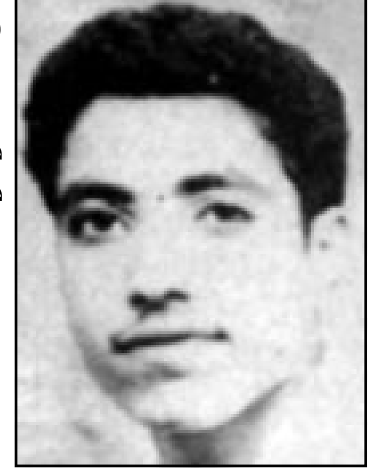
"الحسنية" وقبل اخضاعه للاستنطاق ابتلع القرص وفارق الحياة بادارة الشرطة.

وفي شهر يوليوز من نفس العام وضع المقاوم مصطفى المعاني قرص **"السيانور"** في فمه ولم ينطق بأية كلمة أمام الجلادين في ادارة الشرطة ولم يكشف شيئا عن اسرار التنظيم السري.

وفي حرارة أحد ايام غشت اللافحة تجرع بوشعيب مقداد السم بعد وصوله الى محطة القطار بمدينة وجدة. وهو مقاوم تبحث عنه الشرطة في الدار البيضاء وكان ينوي اللجوء الى الناضور التي تحت الحكم الاسباني.

وشهد يوم 29-9-1955 ملحمة في الدار البيضاء بين المقاومين والشرطة الفرنسية دامت عدة ساعات، واشتهرت باسم "معركة سيدي معروف". فقد طوقت الشرطة منزلا بعد ان غادره عبد الله الحداوي ببضع دقائق، وبقي بداخله أخوه محمد الحداوي وحجاج المزابي قتل خلالها حجاج وجرحت زوجته وانتحر الحداوي بتناول السم بعد نفاذ رصاصه.

كانت اقراص السم تصل الى المقاومين من اسبانيا عن طريق التهريب مثل المسدسات والقنابل اليدوية ، وبعضها كان يهيئه الطبيب التونسي حافظ ابراهيم صاحب مصنع للأدوية في مدريد. وفي وقت لاحق اصبح السم بضاعة يتاجر بها البحارة الأجانب عند توقف بواخرهم في ميناء الدار البيضاء.(18)


● محمد الحداوي

وصل من اقراص السم نوعان الأول ستريكنين Strychinine المستخرج من جوزة شجرة منبتها في أسيا الاستوائية وتحتوي على سم عنيف يسبب موتا بطيئا وآلاما مرعبة وبه استشهد حسن الصغير ومحمد الزرقطوني.

والنوع الثاني السيانور Cyanure وهو اسم يطلق بشكل عام على املاح الحمض الأزرق الذي يمثل بعضه سما قويا وسريع التأثير.

والمقاومون الذين تناولوا السم لم يطلبوا الموت من اجل الموت بمعنى التدمير

18 - حديث مع امحمد الظاهر بالدار البيضاء في : 4-6-1999.

الذاتي في عمليات انتحارية، بل وهبوا أرواحهم قربانا أسمى لمعبد الحرية ونالوا بتضحياتهم المجيدة الخلود في ذاكرة الشعب التاريخية.
وهذه لائحة بأسماء المقاومين الذين استشهدوا بمختلف الوسائل للحفاظ على اسرار المقاومة حسب الترتيب الزمني:

الاسم	المكان	التاريخ	كيفية الاستشهاد
جلطي حميدة	وجدة	1953-8-16	اصيب برصاصة ولكي لا يقع في الأسر شنق نفسه بحبل في شجرة
عيسى بن عيسى	الرباط	1953-12-7	تجرع السم بعد القاء القبض عليه [19]
حسن الصغير	الدار البيضاء	1954-2-5	اول مقاوم في "المنظمة السرية" يتناول السم
احمد أقلا	مراكش	1954-3-5	اكد التشريح الطبي تناوله للسم قبل أن يطلق عليه الباشا النار
فلاح لم يعرف اسمه	بركان	1954-5-4	قتل معمرين فرنسيين وتجرع السم في السجن. [20]
محمد الزرقطوني	الدار البيضاء	1954-6-18	من قادة "المنظمة السرية" تناول السم قبل إلقاء القبض عليه
عمر بن محمد	ناحية الدار البيضاء	1954-7-20	احرق ضيعات المعمرين وشنق نفسه في الزنزانة
حمان الفطواكي	مراكش	1954-8-10	تناول السم واخضعوه لعملية غسل المعدة
موحى أوصالح	ناحية الحاجب	1954-8-28	اتهم باحراق مزارع المعمرين- شنق نفسه في الزنزانة
الداودي محمد لخضير	فاس	1954-11-15	القى بنفسه من الطابق العلوي بادارة الشرطة
عبد الرحمان الصحراوي	فاس	1954-11-21	تجرع السم بعد القاء القبض عليه
العربي السوادي	رأس العين	1955-1-8	اطلق الرصاص على رأسه قبل القاء القبض عليه
محمد أمين	الدار البيضاء	1655-3-8	مفعول السم كان ضعيفا وفلت من الاعتقال
الشافعي بن ناجم	الدار البيضاء	1955-5-13	تجرع السم بادارة الشرطة
مصطفى لمعني	الدار البيضاء	1955-7-8	تناول السم ومات في ادارة الشرطة
بوشعيب مقداد	وجدة	1955-8-4	مات بعد القاء القبض عليه نتيجة للسم
صفياني بن كروم	ازمور	1955-9-17	ابتلع السم قبل القاء القبض عليه
محمد الحداوي	الدار البيضاء	1955-9-29	تناول السم بعد نفاذ ذخيرة سلاحه
رحال بن الميلودي	الدار البيضاء	1955-10-21	تجرع السم ومات بادارة الشرطة
الوهابي بن علي	الزيايدة	1955-11-30	شنق نفسه بإدارة الشرطة
الكبير الزياني	الدار البيضاء	دجنبر 1955	في معركة مع الشرطة أطلق آخر رصاصة على رأسه

19 - السعادة 9-12-1953.

20 - السعادة 6-5-1954.

الفصل العاشر

الأحكام القاسية لم توقف مسيرة المقاومة

قامت السياسة الاستعمارية، ذات الطابع العدواني، على أساليب الترهيب والتخويف البوليسي والإداري، ومثل الجهاز القضائي المدني والعسكري أداة للقمع الممنهج في شكل محاكمات صورية غالبا ما كانت تنتهي بأحكام قاسية من الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

وفي هذا الفصل نستعرض بإيجاز جوانب من بعض للمحاكمات الكبرى التي فقدت فيها العدالة أبسط المبادئ القانونية والإنسانية وتحولت إلى مطرقة فولاذية لم تستطع تهشيم جماجم المكافحين الذين دخلوا أفواجا متتابعة في معركة الحرية.

ولكي نجنب القارئ مشكلة الخلط بين تواريخ أحداث متعددة ومتداخلة، تخلينا عن الالتزام بالتسلسل الزمني وقدمنا للمحاكمات حسب المدن التي وقعت فيها :

الدار البيضاء

القاضي ليس في حاجة إلى الحجة

في يوم 29 يونيو 1953 قدم أمام المحكمة العسكرية ثلاثة مغاربة بتهمة قتل فرنسي إسمه ميرا أثناء المظاهرات الدامية ليوم 8 دجنبر 1952.

وبما أن الهدف هو إدخال الرعب في نفوس الوطنيين، فإن الحكم صدر بسرعة على الأبرياء الثلاثة بعشرين سنة سجنا واحتج المحامون وأكدوا على فراغ الملف من أية حجة مقنعة وطالبوا أن تكون الإدانة مستندة على أساس حجج مادية صحيحة وفي حالة انعدامها لا بد من براءة المتهمين وإطلاق سراحهم. وبكل برودة رد وكيل الدولة **(هانيكان)** على احتجاج المحامين بقوله: **"ليست بحوزتي حجج لكن لدي معالم وهي كافية"**. (1)

الضحية تسخر من الجلاد

مثل ثمانية شبان امام المحكمة العسكرية يوم 9 غشت 1953 بتهمة قتل ثلاثة فرنسيين هم : لوي ريب، سيورا، رماجو. واتهم عبد اللطيف بن قدور الطالب السابق في المدرسة الصناعية الفرنسية "لافيرم بلانش" بتوجيه طعنة

J.C. Legrand Justice op. Cit P. 15. - 1

قاتلة للسيد ريب الرئيس السابق للشؤون البلدية الذي أطلق على المتظاهرين عيارين ناريين يوم 8 دجنبر 1952. وجاء في صك الإتهام إن حسن بن يدر جرد السيد ريب من مسدسه بعد أن فتح عليه باب سيارته والقى به على الأرض. (2)

وكرد فعل عن القمع الذي ساد أجواء المحاكمة، لجأ حسن بن يدر العامل في مخبزة إلى أسلوب السخرية والابتسامة الهزلية في حرب للأعصاب وصفها مراسل فرنسي في التعليق التالي :

"منذ جلوسه في قفص الاتهام والابتسامة الساخرة لا تفارقه فهل يقدر وضعه المأساوي ؟ أو هل يسعى إلى تحدي جهاز القضاء الذي يطالبه بالحساب عن الاغتيال الجبان والدنيئ ؟ إن الضحك والتصرف المشين هما إهانة لتلك الأسرة التي اغرقتها أيديه في الحزن، إن للاستهتار والتحدي حدودا حتى حينما يتعلق الامر بمنحط مثل كينكو". (3)

وفي يوم 15 غشت أصدر القاضي العسكري حكم الإعدام على حسن بن



● عبداللطيف بن قدور واقفا يتكلم، وبنيدر وبن إسماعيل يستمعان

2 - la Vigie marocaine 11-8-1953.
3 - Le Petit marocain 12-8-1953.
إن كلمة كينكو يطلقها الإعلام الاستعماري على كل إنسان بشرته سوداء ونفس النعت أطلق على الرجراجي كعيط المحكوم عليه عام 1947 بتهمة قتل جندي فرنسي بالدار البيضاء.

يدر وعبد اللطيف بن قدور وأحمد بن إسماعيل وحكمين بعشرين سنة سجنا وواحد بعشر سنوات، وفي صبيحة يوم 1954/2/27 سيق عبد اللطيف بن قدور وحسن بن يدر إلى خشبة الإعدام في تكنة العنق بالدار البيضاء وأطلقت عليهما كوكبة من الجنود رصاص البنادق. وزيادة في تحدي الشعور الديني للمسلمين دفنتهما الإدارة الفرنسية في مقبرة النصارى في بن مسيك وبعد الاستقلال سنة 1956نقل جثمانيهما إلى مقبرة الشهداء.

الجاسوس يتقمص شخصية المناضل

مع تصاعد الكفاح المسلح ازدادت وتيرة المحاكمات بدعوى محاربة **"الإرهاب"** وشهدت أيام 3 إلى 5 نوفمبر 1953 محاكمة مصطنعة بمتهمين من نوع خاص وملف فارغ إلا من شهادة باغية اسمها السعدية تتهم صديقها سالم بالعمل النضالي وكلاهما يعملان لحساب البوليس.

ولم يتردد سالم في اتهام بلقاسم وموتشو البقالين في حي الصفيح "كاريار سانطرال" بقتل حارسين مغربيين أثناء مظاهرات دجنبر1952. وتقمص صفة المتهم الرئيسي واعتبر نفسه مناضلا وردد أمام القاضي ما لقنه إياه جهاز المخابرات، وقال بلغة النادم المغفل :

– إن حزب الاستقلال هو الذي ملأ دماغي !

فرد عليه الأستاذ شارل لوغران باستهزاء ووصفه: **بالعربيد الكذاب والقواد.** (4)

وبالفعل فقد حكم القاضي الفرنسي على العربيد بالبراءة وعلى البقالين بعشرين سنة سجنا.

الراشدي الناطق باسم المقاومة

قامت وسائل الإعلام الرسمية بدعاية واسعة بعد إلقاء القبض على معظم أعضاء منظمة **"اليد السوداء"** (5) واعتبرت ذلك ضربة قاضية على (الإرهاب).

افتتحت المحاكمة يوم 22يونيو وانتهت يوم 5يوليوز 1954بإصدار ستة أحكام بالإعدام على المقاومين : أحمد الراشدي، مولاي الطاهر بن عبد الكريم، وبوجمعة بن العياشي حضوريا، وصدر نفس الحكم غيابيا على كل من مولاي إدريس بن أحمد، محمد بن الهاشمي، محمد بن عبد الرحمان.

ونطق القاضي بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على 18مقاوما وبمدد حبسية مختلفة على ثلاثين.

وكان يجلس في قفص الاتهام شباب من أصول فقيرة منهم العامل

---

4 - J.C. Legrand, Justice, op cit P. 38.

5 - حملت عدة جماعات للمقاومة اسم «اليد السوداء» ولم تكن لها أية علاقة تنظيمية مع بعضها البعض.



● جانب من محاكمة «اليد السوداء» ويظهر أحمد الراشدي بعلامة ▶

والخياط والبناء والنجار وبائع السمك مما جعل المحامي شارل لوغران يخاطب رئيس المحكمة قائلا :

"إن أمامكم لوحة تمثل الشعب المغربي الكادح، إنهم ليسوا لصوصا ولا قتلة محترفين". (6)

وتميزت جلسات المحاكمة بالتصريحات الشجاعة التي أدلى بها أحمد الراشدي (7) وكان يعبر بلغة فرنسية سليمة عن أهداف المقاومة بصفتها طليعة الجماهير المكافحة.

ويتضح الفكر النير لهذا المقاوم الذي لم يتجاوز أربعا وعشرين سنة، في الحوار التالي الذي دار بينه وبين رئيس المحكمة العسكرية :

الرئيس : لقد صرحت بأنهم ملاؤوا دماغك بالأضاليل .

الراشدي : **لم يملأ أحد دماغي لكن حان الآوان الذي يفهم فيه كل شخص الحقيقة بنفسه.**

الرئيس : أية حقيقة ؟

الراشدي : **يعني الكفاح الذي يخوضه المغرب ضد أعداءه.**

الرئيس : لكن ليس لكم أي حظ في بلوغ غايتكم بأعمال القتل.

الراشدي : **سنصل في النهاية إلى تحقيق شيء ما.**

الرئيس : إن عملكم هو تقهقر وعودة إلى القرون الوسطى.

الراشدي : **نعم، يوجد اقطاعيون بالمغرب مثل الباشا الجلاوي.**

الرئيس : لن تبلغوا شيئا بالعنف، والقتل ليس وسيلة سياسية.

الراشدي : **إن العنف متلائم مع الوضعية الراهنة.**

6 - J.C Legrand Justice, op Cit P 13.

7 - سماه ستيفان برنار في "النزاع الفرنسي المغربي" ج 3ص 221صلاح الراشيدي ونقل عنه الخطأ اندري جوليان ص 385وحدا حدوهما مغاربة آخرون.

(بعدما تلا الرئيس ملاحظات من تقرير لمعهد روك فيلير كتب عام 1951حول مصر)

الراشدي : **هذه دعاية انجليزية. إن عملي كان له هدف سياسي، لقد أبعدو ملكنا وقتلت مقدما ليكون عبرة لغيره من الخونة والمستعمرين، إن هذه بداية فقط. وستتلوها توابع أخرى.**

الرئيس : ما هو الاستعمار ؟

الراشدي : **هم الذين يجعلون من المغاربة عبيدا. إنني غير نادم على أي شيء. وأنا فخور أن أموت في سبيل الدفاع عن قضية عادلة. ولأنني قتلت خائنا سيصدر علي الحكم من طرف الذين يبشرون بالحرية والديمقراطية.**

الرئيس : سيصدر عليك الحكم لأنك ارهابي.

الراشدي : **إنني أمارس الارهاب كما فعلتم أنتم ضد النازية.**

الرئيس : هذا ما يدعوكم إليه حزب الاستقلال ؟

الراشدي : **حزب الاستقلال دعانا على الدوام إلى الالتزام بالهدوء، لقد طفح الكيل وضقت ذرعا بثرثرة الحزب وغادرته لأقوم بشيء آخر.** (8)

بعد تصريحات الراشدي أمام المحكمة والتأثير الذي تركته في الأوساط



● مولاي الطاهر العلوي، وأحمد الراشيدي الذي رفض وضع العصابة على عينيه

8 - هذه الجملة المتعلقة بحزب الاستقلال أوردها كل من ستيفان برنار ص 271، وشارل لوغران ص 126 وكذلك لاكوتور ص 136، اما غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ص 680، وقاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل ص 166، فقد حذفاها بكل بساطة!

الشعبية، قررت الإدارة الفرنسية منع الصحف من نشر أقوال المقاومين اعتمادا على الفصل 72من قانون المحاكم العسكرية الفرنسية، واجتهد القضاة العسكريون ورفضوا للمقاومين الحق في تفسير الأسباب إلتي دفعتهم إلى استعمال السلاح. وفي 4يناير 1955نفذ حكم الإعدام في أحمد بن محمد الراشدي الذي رفض أن تعصب عينيه أثناء إطلاق النار عليه قائلا :

"أتركوني أرى سماء وطني للمرة الأخيرة".

وفي ذات الآن اعدم مولاي الطاهر بن عبد الكريم.

منصور يرفض تهمة الإرهاب

كان منتظرا صدور حكم بالإعدام على محمد منصور ورفاقه في قضية الأنفجار الذي حدث في السوق المركزي بالدار البيضاء بمناسبة عيد المسيح.(9)

وفشل المحققون في محاولة إلصاق عملية تفجير القطار السريع الدار البيضاء/الجزائر بنفس الجماعة لأن الحجج كانت تعوزهم.

وقرر منصور القيام بهجوم لفضح السياسة الاستعمارية وإدانة جهاز القمع، ووقف يوم 10دجنبر 1954في الجلسة الصباحية للمحاكمة معلنا أن لديه تصريحا يريد الإدلاء به. وخاطب الهيأة القضائية العسكرية قائلا :

● محمد المنصور

"إن الشهود الذين أمامكم لا يعلمون شيئا، مثلهم مثل الذين أدلوا بشهادة كاذبة في حق خمسة ابرياء كنتم ستنفذون فيهم الإعدام لو لم يتم إلقاء القبض علينا. لذلك أقول لكم بأن الانفجار في القطار السريع الدار البيضاء الجزائر أتحمل مسؤوليته وأنا مستعد أن أعطيكم جميع التفاصيل، وكذا أوصاف المسافرين الذين كانوا في الدرجة الأولى وحتى الرتب العسكرية للضباط الذين كانوا في تلك الرحلة". (10)

وأحدث التصريح ضجة كبرى وسط القاعة واختل سير المحاكمة، وصاح منصور :

"انتم تعلمون أهمية مساهمة المغاربة في تحرير فرنسا من الاحتلال النازي. لذا لا ينبغي للفرنسيين اتهام المقاومين المغاربة ب "الارهاب" إن عملنا

9 - انظر الفصل. السابع.

Mémorial du Maroc op cit, T7 p. 69 Le . - 10

اليوم مشابه تماما لما قام به الفرنسيون الأحرار ضد الاحتلال النازي".
وبعد أن أنهى منصور تدخله طلب محاميه الأستاذ لويجي الكلمة وقال بأن ليس لديه أية مرافعة يقوم بها بعد الاستماع إلى منصور وأضاف :
"لقد تلقينا كلنا هنا درسا بليغا، وكل ما أريد أن أقوله لكم هو أنه إذا ما أصدرتم حكما بالإعدام على هذا الرجل فإنكم ستؤدون الثمن غاليا". (11)
وبعد أربعة أيام من المداولات، أصدرت المحكمة يوم 12دجنبر 1954 الأحكام التالية :
الإعدام : محمد منصور، أدا بلعيد بن أحمد بن عدي، عبد الله الحسن بن أحمد، حسن العرائشي، بوشعيب بن علي الغندور، عبد القادر عسو.
الأشغال الشاقة المؤبدة : مولاي العربي بن عبد القادر.
عشرون سنة مع الأشغال الشاقة : محمد بن أحمد بوزاليم، عبد العزيز بن أحمد الماسي (في حالة فرار).
عشر سنوات : صالح بن إبراهيم السوسي.

طفل يفضح أول خلية سرية

وقف المسؤول عن الخلية السرية في أحد الأزقة بدرب السلطان يحيط به ثلاثة من الأعضاء، وفتح السلة التي كانت بيده وخاطبهم :
– تفضلوا من يريد القيام بالمهمة ؟
فمد الحسين سرحان يده وحمل المسدس ولم يسبق له أن استعمله، واتجه إلى المكان الذي سيمر منه الجاسوس العربي المسكيني، وبمجرد ما رآه تقدم وعالجه برصاصة في صدره وكانت تلك أول عملية مسلحة للمنظمة السرية أسند تنفيذها إلى جماعة يسيرها محمد منصور.
في اليوم الموالي وبينما كان سرحان منهمكا في تركيب نوافذ زجاجية في إحدى البنايات، إذا بالشرطة تطوقه وتلقي عليه القبض وتمارس عليه التعذيب الشديد.
وشاءت المصادفة أن يكون حاضرا في المكان الذي وقعت فيه عملية إطلاق النار طفل صغير دفعته سذاجة الطفولة إلى محاكاة فعل المقاوم وافتخر أمام أصدقاءه الصغار بأن المقاوم صديق لوالده.
تسرب الخبر إلى جهاز القمع والقي القبض على الطفل الذي دلهم على أوصاف العامل الأسمر الذي يشتغل عند أبيه في مقاولة الزجاج. (12)
وقدم أعضاء الخلية والمسؤولون عنها إلى المحاكمة يوم 19يناير 1955 وصدرت في حقهم يوم 23يناير الأحكام التالية :

11 - ن.م.
12 - حديث مع الحسين سرحان بالدار البيضاء في 1998/04/17.

السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة : منصور محمد بن الحاج، حسن بن المختار العرائشي، محمد بن قاسم المذكوري.
عشرون سنة سجنا : الحسين بن مبارك سرحان، عبد السلام بن العربي بناني.
15سنة سجنا : محمد بن علي لمعني، بوعزة بن العربي.
4 سنوات : عبد الله الداودي بن عيسى.
سنتان : زايد التهامي بن محمد.

واجب الفلاحين تجاه الملك والاستقلال

مثل أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 29أكتوبر 1955 جماعة من الفلاحين بتهمة اغتيال فرنسيين اثنين في مأوى للشباب بطريق برشيد، وقتل تاجر يهودي وإضرام النار في ضيعات المعمرين.
وأثناء التفتيش عثر رجال الدرك على مخبأ للسلاح يحتوي على مسدسات وقنابل في احدى القرى بالقرب من دار القايد الحسن.
ولم ينكر الفلاحون ما نسب إليهم من أعمال، وجوابا عن سؤال من قبل رئيس المحكمة حول الدوافع التي جعلتهم يمارسون العنف، كان جوابهم واحدا :

"لقد قمنا بالواجب تجاه الملك الشرعي ومن أجل الاستقلال"
وبعد المداولات نطق القاضي العسكري بالأحكام التالية :
الجيلالي بن عمر وعبد الله بن حفوظ : الإعدام.
صالح بن محمد ليمان بن حسن : 20سنة مع الأشغال الشاقة.

جماعات أخرى

خلية كانت تضم إدريس الحريزي إبراهيم فردوس، امحمد بن ميلود (ادا حوس الصغير)، رحال التدلاوي، منير احمد بن بوشعيب، محمد بن المختار، محمد منير، كانت مستقلة بنفسها وقامت بعمليات جريئة، وبعد أن تعرف عليها الزرقطوني ضمها إلى "المنظمة السرية"، وهي التي نفذت الإعدام في الدكتور إيرو من أعمدة الوجود الفرنسي بالمغرب.
ومن أشهر أعمالها العملية التي وقعت يوم 4-4-1954 وأطلقت عليها الصحف الفرنسية اسم Guet-apens بمعنى الكمين.
وشارك فيها امبارك منار، امحمد اداحوس وإبراهيم فردوس وتبادل المقاومان الأخيران الكلمات مع بعضهما في شارع السويس (الفداء حاليا)، فخرج الشرطيون الفرنسيون من مخبأهم ليفكوا الاشتباك، وعلى بعد ثلاثة



● مبارك منار



● ابراهيم فردوس



● امحمد (أدحوس الصغير)

أمتار أخرج المقاومون السلاح وأطلقوا النار، وقتل في الحال مفتش الشرطة الرئيسي وأصيب المفتش الثاني بجراح خطيرة بينما اخترقت رصاصة فخذ الشرطي الثالث ولاذ الفدائيون بالفرار. (13)

وفي أبريل 1954 تزوج إدريس الحريزي فقرر رفاقه في الخلية أن يقدموا له هدية تدخل السرور على قلبه، فخططوا لعملية مثيرة تستهدف حانة "شي زيل" ملتقى الارهابيين الفرنسيين الكائنة في شارع لاجيروند بالدار البيضاء. وعلى الساعة الثامنة إلا ربع من يوم 22أبريل 1954، تقدم اداحوس الصغير يساعده إبراهيم فردوس واطلق النار من مسدسه على الموجودين في المقصف واحدا واحدا، إلى أن اسقط سبعة منهم واتجه بسرعة ليمتطي الدراجة الهوائية التي كانت مستندة إلى الحائط على بعد مائة متر. وبقدر ما زعزعت تلك العملية عصابة الإرهابي **أفيفال** بقدر ما اعتبرها العريس ادريس هدية نفيسة. (14)

والجدير بالملاحظة أن معظم أعضاء هذه الخلية الفدائية التي قامت بعمليات جريئة نجوا من الاعتقال باستثناء ادريس الحريزي الذي ألقي عليه القبض ونفذ فيه حكم الإعدام يوم 2غشت 1955.

وهناك خلية عملت منذ البداية تضم عمر الفرشي, احمد بن الحسن، عبد الرحمان الصحراوي, أمين محمد، السموني محمد، الفقيه المعطي، محمد سبيل، احمد آيت عبو، ميلود شيشيني وعبد العزيز بنيس. وهذه الجماعة أطلقت النار على بونيفاس رئيس ناحية الدار البيضاء، وقتلت القاضي الكتاني ابن الفقيه عبد الحي الكتاني، وأطلقت النار على الحاج يدر مستشار الباشا الجلاوي بمراكش، وقامت بعمليات كثيرة ضد الجواسيس.

وترأس عمر الكمالي الفيلسوف جماعة أخرى ضمت الحسين

13 - La Vigie marocaine 5-4-1954.

14- حديث مع امحمد بن ميلود اداحسوس الصغير بالدار البيضاء عام 1960.

الشيظمي، عبد الرحمان السكوري، الحسن خالي وعملت أساسا في حي الصفيح (كاريار سانطرال)، وكانت خلية أخرى يسيرها الهبطي في درب السلطان. وفي درب غلف تكونت جماعة من ابراهيم ولد الشلحة والمكي الحريزي والاسمر بلعيد وبوعزة البلومبي والحسن المطاعي وبوشعيب الشينوا، وكانت متخصصة في تفجير القنابل. وعملت في عين الشق خلية برآسة مبارك الازهري كانت تصطاد الجواسيس ولم تكتشفها الشرطة وبقيت جماعة أخرى متماسكة رغم تعدد الهجومات التي قامت بها منذ بداية العمل المسلح إلي إعلان الاستقلال يسيرها الحاج البوهالي والمدبوح ومولاي العربي، وفي نفس الظروف ظلت تعمل خلية أحمد الخياط وأحمد الركيك.(15)

وفي سنة 1954 تأسست منظمة **"أسد التحرير"** وأشعلت سلسلة من الحرائق في المزروعات وقطعت أسلاك الهاتف، والقي القبض على بعض قادتها من بينهم ادريس بن بوبكر، الأمين عبد القادر، الغندور المذكوري، القرص بوشعيب. وعشية الاستقلال وسعت دائرتها وأوجدت لها فروعا في عدة مدن، ودخلت في تحالف مع جماعات أخرى صغيرة، وأهم العمليات التي قامت بها كانت سنة 1955.(16)

وكانت في مختلف أحياء الدار البيضاء خلايا قوية لعبت دورا أساسيا في الكفاح كان على رأسها بوشعيب الدكالي الحريري، عبد الله خربوش سفيان، المدني المغراني الأعور، الحسين المزابي عدنان، مغفور رحال، مفتاح عباس، محمد بن شرقي، الطالع محمد بن الحسن، بنحمو الشيباني، أحمد بن علي السرجان، الناصري محمد.

الرباط

القضاء على خلايا نشيطة

كان إلقاء القبض على محمد بن محمد (المعلم حمو) واكتشاف ضيعة واد يكم سببا في اعتقال أعضاء خليتين نشيطتين في العاصمة الرباط. واحدة كانت تتألف من تلاميذ في مدارس محمد الخامس قاموا رغم صغر سنهم بعمليات مسلحة جريئة ذات مغزى سياسي عميق، فقد أصابوا بجراح اشماعو مدير صحيفة "الوداد" الذي قام بدعاية كبيرة لفائدة السياسة الاستعمارية. وقتلوا العربي بركاش المستشار في المكتب الشريف للفوسفاط والمكلف بأملاك الباشا الجلاوي، وقاموا بتصفية الجاسوسين محمد بن عيسى ومحمد بن سليمان وبخمس محاولات أخرى للقضاء على عملاء الإدارة الفرنسية.

والخلية الثانية كانت في حي العكاري يرأسها الحسين بن العربي الزعري وكان له ارتباط بالخلية الأولى عن طريق عبد الرحمان الشرقاوي

15 - حديث مع مبارك جليل بالدار البيضاء في 1998/4/4.

16 - تصريح أمان الله، مجلة المقاومة وجيش التحرير، عدد 12السنة 1985ص 33.

وعبد الله الجلاوي، والخليتان معا كانتا تستمدان المساعدة والسلاح من **"المنظمة السرية"** بالدار البيضاء بواسطة عبد الله الصنهاجي (17)إلا أن مدة نشاطهما لم تطل لأسباب تنظيمية وذاتية، وتمكن البوليس من اعتقال 27من الاعضاء واختفى 11آخرون، وهذا عدد كبير لا يراعي شروط السرية التي تحدد أفراد كل خلية في ستة أشخاص كحد أعلى، يضاف إلى ذلك البوح بالأسرار تحت التعذيب الوبيل.

وفي يوم 16أبريل 1954أصدرت المحكمة العليا في الرباط الأحكام التالية :

الإعدام : المعلم حمو بن محمد، عبد الرحمان الشرقاوي، مصطفى بن التهامي كديرة، الحسين بن العربي الزعري، أحمد بن الجيلالي قليلو، محمد بن عبد السلام الجوهري، عباس بن المدني المرابط، اعمر بن محمد العطاوي، المكي بن محمد عبد الله.(18)

السجن المؤبد : محمد بن عبد السلام عبروق، صلاح بن محمد علال.

30سنة سجنا : عبد الفتاح بن محمد سباطة، عبد الرزاق بن المحجوب البليدي، علال بن أحمد الزياني، عبد الرحمان بن محمد شركو، عزوز بن عبد العزيز.(19)

استأنفت خلية أخرى الكفاح وقتلت بالرباط مدير مطاحن باروك الفرنسي دانييل (20) وجاسوس في حي العكاري، وفي يوم 3يونيو جعلت حدا لحياة أحد خلفان الباشا.

وتأسست جماعة برآسة عبد القادر بن يوسف، مهنته نجار، وانقسمت إلى خليتين واحدة بالرباط يسيرها حمو السوسي والثانية في سلا بإشراف أمحمد كنون، وهاجمت المستعمرين الفرنسيين والمغاربة المتعاونين معهم، وكان أفرادها يستعملون مسدسا من عيار 5 ملمترات مستهدفين رأس الضحية وعنقه، واغلب الهجومات قامت بها خلية الرباط، واستهدف لرصاص المقاومين امحمد الناصري نائب (الصدر الأعظم)، الوزير الأول، في الشؤون الإدارية الذي أصيب بجراح بمدينة سلا.

وتمكنت الشرطة من اكتشاف جماعة بن يوسف حينما اعتقلت عمر الذي اعترف بعلاقته بأعضاء خلية سلا احمد فيلالي وامحمد كنون وعبد السلام قصري.(21)

واستطاع بعض المقاومين الفرار إلى منطقة الشمال بينما وقع في

17 - عبد الرحمان عبد الله الصنهاجي، مذكرات، م.س، ص. 111.

18 - لم ينفذ حكم الإعدام في أي من المحكومين.

19 - Maroc presse et le Petit marocain 17-04-1954.

20 - Le Petit marocain 21-05-1954.

21 - Abderrahim Ouardighi, Mémoires d'un ancien résistant 1953-1956, Rabat 1987. P 67.

الاعتقال عشرون آخرون من بينهم السيدة زهرة بنت بوشتة.
ورغم الأخطاء والاعتقالات فإن مقاومين جدد ينبعثون من صفوف الجماهير ويتوارثون حمل المشعل النضالي. ففي ليلة عيد المسيح من عام 1955 انفجرت قنبلة في حي تشيكوفسكي أسفرت عن خسائر مادية وأصابت شظاياها عدة أشخاص بجراح، وقتل إمام مسجد في خدمة الاستعمار وجاسوس في حي الرياض واشتعلت النيران في بعض المؤسسات العمومية.

فاس

الدفاع عن الحرية باسم القيم الروحية

كانت مدينة فاس، في الفترة التي نؤرخ لها، مركزا دينيا يتمثل في جامعة القرويين وفي الحشد الهائل من الفقهاء الموجودين فيها. فالدين الذي ترسخ طيلة قرون كاملة في شعور الناس وفي أعماقهم وامتزج بحياتهم، أصبح جزءا من مشاغلهم اليومية من أجله يعيشون ويموتون.
وأضحت معركة الحرية والاستقلال متزامنة ومتلاصقة بالتعاليم الدينية، وكان لزاما على المقاومين أن يعيدوا الفقهاء المنحرفين إلى جادة الصواب ويمنعوهم من تضليل الجماهير المكافحة، فقاموا باغتيال العالم إدريس بن سودة الخطيب في مسجد الرصيف والعالم علال المراكشي إمام مسجد الشرابليين وإمام مسجد مولاي عبد الله. وقد أظهروا حماسا استفزازيا في الدعاية للسلطان بن عرفة الذي نصبه الاستعمار، وخلق قتلهم صدى واسعا على المستوى الشعبي والسياسي، وأصبح الفقهاء، من شدة الخوف، يتمارضون يوم الجمعة تجنبا للدعاء للسلطان المفروض من فوق منابر المساجد. (22)
وجه المقاومون ضربة إلى جهاز المخابرات باغتيال محتسب المدينة (23) الذي كان يراقب التعاونيات المهنية بواسطة شبكة متشعبة من العملاء، ويفرض سلطته على فيئات البورجوازية الصغيرة والمتوسطة ويضغط عليها لإتخاذ مواقف سياسية لفائدة الإدارة الاستعمارية ومحاربة نفوذ الوطنيين في أوساط الحرفيين والصناع التقليديين.
تأسست أول جماعة فدائية بفاس مباشرة بعد نفي الملك محمد الخامس، وكانت تنقسم إلى خليتين الأولى يسيرها بن الراضي السلاوي والثانية امحمد السعيدي وكانت متخصصة في تفجير القنابل، وتم اكتشافها مبكرا وتمكن

---

22 - كان الخلفاء يدعون، بعد الصلاة، على المنابر بالصلاة على النبي ثم صار الدعاء خاصا بالسلاطين. وفي الكوفة استعمل المنبر للعن الخليفة علي بن أبي طالب، وكان أنصاره يردون بلعن معاوية، انظر بن خلدون، المقدمة ص 477.

23 - Le Petit marocain 19-9-1953.

السعيدي من الاختفاء في الدار البيضاء، وضم السلاوي بقية أعضاءها إلى خليته، ويشرف على الجماعة امحمد بن محمد بن عبد الله، وفي ظرف ثلاثة أشهر شنت الجماعة 35 هجوما على العملاء المغاربة اسفرت عن مقتل ستة أشخاص. وحاول الزرقطوني الارتباط بجماعة فاس، وتمكن، متأخرا جدا، من الاتصال بإبن الراضي السلاوي في الدار البيضاء عن طريق محمد خليل بوخريص أحد قدماء طلبة القرويين، وفي لقاء آخر تسلم عبد العالي بنشقرون مسدسين وكمية من الرصاص وكان ذلك قبل أسبوع من اعتقال الجماعة.(24)

وسبب الاعتقال هو أن المرنيسي المدعو (الميريكاني) أطلق النار على العميل التاجر عبد الكبير العلوي في سوق المشاطين، فرآه محمد الجامعي الذي يعمل معه في حرفة النحاس فوشى به إلى الشرطة، وألقي عليه القبض فاعترف بعلاقته مع بن الراضي السلاوي وامحمد بن عبد الله، وبدأت الاعتقالات يوم 24 دجنبر 1953 لتنتهي بعد بضعة أيام باعتقال سبعين



● السعيدي على يمين الصورة، وبنعبدالله على اليسار

شخصا، وتبين أن المقاومين لم يتمكنوا من بناء تنظيم سري محكم وظلوا يمثلون امتدادا لجماعات حزب الاستقلال التي يتعاطون داخلها للنشاط السياسي.

وجاء في ملف الاتهام أن الرئيس والمنسق بين خليتي السلاوي والسعيدي هو امحمد بن عبد الله الرجل الأمي والذكي،(25) واعترف السلاوي أن التعليمات كان يتلقاها من ابن عبد الله الذي صرح أمام قاضي التحقيق بأن الأموال التي كان يسعف بها المقاومين، حسب حاجة كل واحد، جاءت من تبرعات المواطنين لمساعدة ضحايا أحداث معتقلي سنة 1952 واحتفظ بجزء

24 - حديث مع امحمد بن عبد الله في الدار البيضاء بتايخ 1988/11/19.

25 - Le courrier du Maroc, Fes, 12 Mars 1954.

26 - م. ibid



● بن الراضي السلاوي ورفاقه أمام المحكمة العسكرية

منها بصفته المسؤول عن مراقبة تلك الأموال المجموعة في نطاق عمل الحزب.(26)

وفي قاعة المحكمة لم يتمكن المقاومون من تنسيق مواقفهم وتناقضت تصريحاتهم واعترافاتهم أمام الشرطة وقاضي التحقيق، واتخذت بعض أقوالهم شكل تهم متبادلة وتملص من المسؤولية، واستعمل المحامون ذلك كأداة لينفي كل واحد منهم الوقائع عن موكله ويلقيها على الآخر.(27)

وتساءل المحامي بوتان Buttin المدافع عن السلاوي لماذا يحدث العنف ولماذا توارى الأمن ؟ ويقول في مرافعته بأن توقف المغرب عن التطور من بين أسباب الوضعية المأساوية الناتجة عن تدخل قوات اقتصادية لها مصالح بالمغرب، وأن العنف هو الوسيلة الوحيدة التي بقيت للشبيبة المغربية للتعبير عن قلقها، وتدخل رئيس المحكمة هيموري Hemeury واعتبر كلام المحامي تمجيدا للارهاب وطلب منه سحبه.

27 - ن.م. ibid

وألقى المحامي بوطبول المسؤولية على الأشخاص الموجودين في المنطقة الإسبانية الذين يرسلون السلاح والأوامر، وعلى وسائل التحريض الإذاعية خاصة من القاهرة، وركز تدخله على أن الأسباب تكمن كذلك في اضطرابات أصابت ضمائر ومعتقدات الجماهير التي فرض عليها بن عرفة "إماما" ترفضه ولا تعترف بقيادته الدينية.

وفي مساء يوم 11مارس 1954نطق الرئيس بحكم الإعدام على عشرة مقاومين :

الاسم	السن	المهنة	الحكم
محمد بن الراضي السلاوي	27 سنة	إسكافي (خراز)	الإعدام
محمد بن أحمد الحياني	19 سنة	إسكافي	الإعدام
عبد العزيز بن إدريس بنشقرون	19 سنة	إسكافي	الإعدام
عبد العالي بن محمد بنشقرون	21 سنة	إسكافي	الإعدام
امحمد بن محمد بن عبد الله	37 سنة	نساج (دراز)	الإعدام
عبد الكريم بن إدريس شلوان	20 سنة	دباغ	الإعدام
محمد بن علي المرنيسي	19 سنة	نحاس	الإعدام
احمد بن عبد السلام العراقي	21 سنة	نحاس	الإعدام
امحمد السعيدي	34 سنة	دراز	الإعدام
محمد بن أحمد بنشقرون	29 سنة	مكلف بقاعة سينما	الإعدام[28]

وفي الصباح الباكر ليوم 4 يناير 1955نفذ حكم الإعدام بسجن العادر في أربعة مقاومين هم : محمد بن الراضي السلاوي، محمد بن أحمد الحياني، عبد العالي بن محمد بنشقرون وابن عمه عبد العزيز بن إدريس بنشقرون.

أما الجامعي الذي وشى بالمرنيسي وكان السبب في اعتقال الجماعة الفدائية فقد توصل بمليون فرنك واشترى ضيعة بناحية فاس، وفي بداية عهد الاستقلال تنازع مع شريك له حول قضية مالية فأدخل إلى سجن عين قادوس وهناك وجد عددا من ضحاياه السابقين وقد أصبحوا حراسا وموظفين داخل السجن، وفي ذات يوم اكتشفت جثة الواشي عند باب أحد المعابر وقد داستها أرجل مآت المعتقلين.(29)

عبد الله الشفشاوني فضل الموت على العيش في العبودية

بعد إلقاء القبض على جماعة بن الراضي السلاوي، صمم الزرقطوني العزم على إيجاد خلف لها وضرورة مواصلة الكفاح المسلح بمدينة فاس. وسافر مرتين إلى فاس ولم يتيسر له اكتشاف المناضلين المؤهلين لخوض غمار

28 - الإعدام تحول إلى السجن المؤبد لفائدة ستة أشخاص، وصدر نفس الحكم على إدريس خرباش وحميد الكحلاوي.

29 - حديث مع امحمد بن محمد بن عبد الله في الدار البيضاء بتاريخ 1988/11/19.

المعركة المسلحة، ومع ذلك لم ييأس وواصل البحث صحبة البشير شجاعدين وامحمد الجندي الطالبين السابقين في جامعة القرويين اللذين يزاولان التعليم بمدرسة في الدار البيضاء، وبواسطة زميلهما في الدراسة عبد السلام السباعي حصل أول لقاء بين احمد الجاي الطالب السابق والزرقطوني في أحد المقاهي بالقرب من سيدي حرازم في شهر يناير 1954.

وبعد أسبوعين تجدد اللقاء وكان برفقة الزرقطوني امحمد الداحوس الصغير المكلف بتدريب المقاومين على استعمال السلاح والقيام بعمليات لزرع الثقة في النفوس وإدخال الرعب في قلوب الخونة.

مكث أداحوس مع عبد الله الشفشاوني ورجع الزرقطوني إلى الدار البيضاء مرتاحا. حاول أداحوس ترصد الفقيه عبد الحي الكتاني بهدف إصابته لكن حالت دونه الحراسة الشديدة، وتربص للخليفة الطيب البغدادي وأطلق عليه النار هو وعبد اللطيف بن غانم في الطالعة الصغرى إلا أنه لم يصب إلا بجروح في ذراعه.

وفي فاتح مايو 1954كان الداحوس يرافق علال الودي بالقرب من جنان السبيل، وبالمصادفة التقيا العالم خطيب مسجد مولاي عبد الله، الموالي للإدارة الفرنسية، فاقترب منه الداحوس وأفرغ رصاصة في رأسه وكان بذلك الثالث من كبار خطباء المساجد المغتالين بفاس في ظرف ستة أشهر.

وقامت جماعة الشفشاوني بتصفية بائع التبغ، وقضى علال الودي على الحلو شقيق قائد تاونات، إلا أن شخصا تعرف على الشفشاوني الذي كان يرافق الودي ووشى به إلى الشرطة. وبدأت الاعتقالات يوم 7يونيو 1954 وألقي القبض على أحمد الجاي المنسق بين الزرقطوني والشفشاوني، واعترف بالعلاقة مع امحمد الجندي وشجاعدين، والتجأت الشرطة الى الحيلة وارسلت استدعاء عاديا الى شجاعدين بالدار البيضاء، واستشار الزرقطوني فأذن له بالذهاب إلى إدارة الشرطة ولم يكونا على علم بالاعتقالات التي وقعت بفاس.

ونقل شجاعدين الدين إلى فاس ووجد نفسه وجها لوجه أمام المقاومين المعتقلين، وهناك أدلى بمعلومات كثيرة عن الزرقطوني. (30)

لم يستغرق عمل جماعة الشفشاوني أكثر من شهرين وجنت عليه شهرته في العمل الوطني بالمدينة وسبق له أن قضى في السجن ستة أشهر برفقة علال الودي وهما معا إسكافيان بتهمة توزيع المناشير والمشاركة في مظاهرة 20غشت1953. وبعد خروجهما من السجن أقبلا على الانخراط في الكفاح المسلح، وأمام المحكمة التي بدأت مداولاتها يوم 23مارس 1955، رفض الرئيس للمقاومين أن يفصحوا عن الأسباب التي أدت بهم إلي سلوك طريق العنف، واعتبرهم أشرارا يطبق عليهم الفصل 265من القانون الجنائي الفرنسي.

30 - التفاصيل عن اعتقال الزرقطوني في الفصل التاسع (عمليات استشهادية).

وفي مرافعته رد المحامي شارل لوغران على رئيس المحكمة قائلا :

"إن الفصل 265 الذي تستندون عليه ضد هؤلاء الرجال أحدث أصلا في الشهر الثاني من السنة التاسعة للتقويم الجمهوري وذلك لمعاقبة اللصوص الذين كانوا يحرقون اقدام ضحاياهم لكي يعترفوا بمكان إخفاء مدخراتهم المالية، إن هذا الفصل إذن وضع لردع تلك العصابات المسلحة". (31)

وأمام تعنت رئيس المحكمة ورفضه السماح للمقاومين بالتعبير عن آراءهم بحرية، قام الاستاذ لوغران بتلاوة الأفكار التي عبر له عنها المقاوم عبد الله الشفشاوني في السجن.

"إنني أعتقد أن سبيل العنف هو بالنسبة لي وسيلة لملاقاة الموت عوض الاستمرار في العيش في جو الاحتقار والدناءة الذي يوجد فيه المغاربة".

"إنني لست مجرما لكنني رجل حر أدافع عن الوطن والدين والملك، ففي اليوم الذي أصدرت فيه المحكمة العسكرية بفاس على عشرة شبان مغاربة أحكاما بالإعدام وعلى اثنين بالسجن المؤبد تمنيت لو كنت في مكانهم وأسير عن خطاهم، إن هؤلاء الشباب المحكومين يمثلون أنبل وأفضل شبيبة. إن الخونة هم الذين لا يخدمون وطنهم مثلهم مثل أولئك الذين لا يحترمون الاتفاقيات والعقود، فالبلد الحامي يجب عليه أن يسهر على حماية مؤسسات البلد المحمي. يجب عليه أن يحترم ويحمي ويصون العرش". (32)

وبعد ذلك تلا المحامي نص التصريح الذي أدلى به إليه المقاوم علال الودي :

"إن هدفنا هو الدفاع عن حامي الدين وخطتنا ليس القتل وإنما الدفاع عن كرامتنا". (33)

"إن ملكي الشرعي خلعوه. والنبي يأمر بقتل الذين خانوا ممثل الله في الأرض. وإذا لم أقم بما فعلته فإنني استحق الموت. إنني وطني أدافع عن الوطن".

وفي يوم 2 أبريل 1955 نطق رئيس المحكمة بالأحكام التالية :

عبد الله بن المكي الشفشاوني	:	الإعدام
علال بن عبد القادر الودي	:	الإعدام
أحمد الجاي	:	الأشغال الشاقة المؤبدة
محمد الصنهاجي	:	عشرون سنة أشغال شاقة
البشير شجاعدين	:	عشر سنوات سجنا

عبد السلام السباعي، محمد الجندي، عبد اللطيف بن غانم وأحمد كريع بمدد مختلفة.

وبعد مرور أربعة أشهر قضياها في زنزانة منفردة، تم تنفيذ حكم الإعدام في عبد الله الشفشاوني وعلال الودي في صباح يوم 2 غشت 1955 بسجن العادر بالقرب من مدينة الجديدة.

J.C. Legrand, Justice, op. cit, P. 333. - 31
Ibid, P. 314. - 32
Ibid. - 33

جماعات أخرى بفاس

قام أبا سيدي بن الفاضل بدور هام في تنظيم العمل السري بفاس، وكان على الاتصال بالفقيه البصري، وزود جماعة أمحمد بن عبد الله بالقنابل، وإثر اعتقال الشفشاوني، أسس خلية قامت بهجومات بالقنابل على بعض المؤسسات الرسمية.
وفي وجدة وقع نزاع شخصي بين المقاوم رمضان احساين وشرطي مغربي، اسفر عن مصرع احساين وافتضحت الجماعة التي ينتمي إليها، فقام بوراس الفكيكي بإرسال أعضاء الجماعة الناجين من الاعتقال الى مدينة فاس وهم : بوجمعة البرنوصي، عباس محمد الفكيكي، الداودي محمد لخضير، وترأس الخلية إلعربي ساهر وشنوا هجومات بالقنابل اليدوية على بعض المصالح التجارية، الا أنه سرعان ما القي على أغلبهم القبض واقدم الداودي لخضير على الانتحار بإدارة الشرطة ونجا من الاعتقال العربي ساهر وبوجمعة البرنوصي.
وتأسست خلايا أخرى برأسة أحمد البحري، محمد القباج وعبد النبي بناني.

مراكش

محاولة القضاء على المقاومة في المهد

محمد بن أحمد البقال صاحب متجر صغير لبيع المواد الغذائية، وطني متحمس للنضال ضد الاستعمار وعملائه، شارك في مظاهرة المشور يوم 15 غشت 1953، و تجندت الشرطة الفرنسية و جواسيس الباشا الجلاوي للبحث عنه، و استطاع البقال تاسيس جماعة من 22 مقاوما مقسمين على خليتين يسير إحداها العربي باعدي. و كانوا يفتقرون إلى السلاح الناري، فلجؤوا إلى تركيب القنابل من المواد المتوفرة مثل البارود والبنزين وقطع الحديد و الزجاج، وفجروا إحداها يوم 21 نوفمبر 1953في خط السكة الحديدية ولم تحدث إلا خسائر طفيفة إلا أنها أوقعت هلعا كبيرا وسط الجالية الفرنسية خصوصا و أنها أول عملية تقع في مدينة مراكش الخاضعة للباشا الإقطاعي. و كانوا قبل ذلك قد احرقوا مركزا تجاريا في ملك فرنسي بالحي الأوربي جيليز، وقطعوا الأسلاك الهاتفية الرابطة بين مراكش والدار البيضاء و وزعوا مناشير بالمدينة تدعو المواطنين إلى مكافحة الاستعمار والخونة.(34)
وكان اعتقال شخص في قضية تافهة كافيا لإلقاء القبض على جميع أعضاء الجماعة. (35) بدأت الاعتقالات يوم 23 دجنبر وانتهت يوم 27 منه سنة 1953، وأرادت الإدارة الاستعمارية تطمين الأوساط الفرنسية وتثبيط

34 - ما نشر في مجلة المقاومة وجيش التحرير عدد 7 ص 12-1985 حول جماعة البقال من ناحية التنظيم والتسليح هو تضخيم مبالغ فيه.

35 - التفاصيل في الفصل التاسع.



● أحمد البقال جالسا في المحكمة العسكرية

معنويات الوطنيين بتقديم المقاومين أمام المحكمة العسكرية في ظرف شهر واحد، وجلس في قفص الاتهام تسعة شبان اكبرهم يبلغ 34سنة وأصغرهم لا يتعدى 18سنة :

الاسم	السن	المهنة
محمد بن أحمد البقال	27 سنة	بقال
العربي بن أحمد باعدي	20 سنة	بناء
علي بن الطاهر السوسي	31 سنة	بقال
بوجمعة بن المحجوب	21 سنة	لحام
مصطفى بن الحسين	23 سنة	حداد
الحسن بو عبيدة	18 سنة	ميكانيكي
حسن بن إبراهيم	34 سنة	قاطع الحجارة
الحسين أحمد اليومني	23 سنة	كهربائي
كبور بن الحسين عياض	21 سنة	ميكانيكي

كانت المحاكمة شكلية صرفة لم تستغرق أكثر من يومين وأصدر القاضي الفرنسي يوم 4فبراير 1954حكم الإعدام على ثمانية شبان وبربع قرن من الأشغال الشاقة على التاسع، وبسرعة قياسية نفذ الحكم يوم 22 فبراير 1954في ثلاثة منهم وهم : محمد البقال، علي بن الطاهر والعربي باعدي.

كان هدف السلطة يتجلى في القضاء على المقاومة في المهد وجعل

الضحايا عبرة لكل من يجرؤ على الخروج عن المشروعية الاستعمارية وإشاعة جو من الإرهاب والتخويف في نفوس المواطنين.

جماعة الفطواكي زعزعت أركان الاستعمار

المحاكمة الأولى :

مراكش كغيرها من المدن التقليدية ضيقة وصغيرة والتحرك فيها في نطاق العمل المسلح ليس سهلا خاصة وأن المقاومين لهم سوابق في النشاط السياسي ولذلك وقع اتفاق بين عبد السلام الجبلي المسؤول المباشر عن الجماعة والفقيه البصري والزرقطوني على القيام بضربات إنتقائية تستهدف الشخصيات الكبيرة الفرنسية والمغربية، واستطاع الفطواكي رئيس الجماعة ورفاقه أن ينظموا هجومات مثيرة وفعالة على المستوى السياسي والشعبي. (36)

سخرت الإدارة الاستعمارية وسائل الإعلام في ترويج الأخبار حول محاكمة الفطواكي وأعضاء جماعته واقناع الأوساط الفرنسية بأن "الإرهاب"



● على اليسار حمان الفطواكي

36 - انظر التفاصيل في الفصل السابع : ضربات نموذجية للنيل من معنوية العدو.

بعاصمة الجنوب إنتهى بإلقاء القبض على المقاومين. وحضر الجلسة الافتتاحية للمحاكمة التي بدأت يوم 4 نوفمبر 1954 موظفون كبار يمثلون الإقامة العامة الفرنسية وممثلو الجيش وأعيان المدينة والخونة الناجون من رصاص المقاومة مثل الورززاي رئيس الغرفة التجارية والمسفيوي رئيس المجلس العلمي لكلية بن يوسف وغيرهم.

وكان يجلس في قفص الاتهام : محمد بن بريك (حمان الفطواكي)، علال بن احمد، مبارك بن بوبكر، مولاي امبارك، الحسن بن مولاي.

وكانت التهم الموجهة إليهم تتعلق بقتل المراقب المدني الفرنسي **تيفان**، ووكيل الدولة مندوب الحكومة الفرنسية **مونيي**، وإصابة الجنرال **دهوتفيل** بجراح خطيرة، وإلقاء قنبلة يدوية على موكب الجنرال جيوم.

وكان واضحا أن المحكمة العسكرية أرادت أن تنتقم للفرنسيين أولا، وأجلت النظر في الهجومات التي استهدف لها السلطان بن عرفة والباشا الجلاوي ومتعاونون مغاربة آخرون.

لم ينكر المقاومون ما نسب إليهم من أعمال سواء في محاضر الشرطة أو لدى قاضي التحقيق، وأمام المحكمة تحمل الفطواكي مسؤولية كامل ما جرى، وطلب إعطاءه الحرية في الكلام ليشرح الدوافع التي أدت إلى ذلك، فرفض القاضي العسكري طلبه، وتدخل المحامي شارل لوغران وأعلن أنه بدون تفسير الدوافع التي أدت إلى تلك الأعمال، لا يمكن محاكمة المتهمين وإصدار العقوبة في حقهم. وطلب الاستماع إلى عدد من الشهود من بينهم الباشا التهامي الجلاوي، وعبد الحي الكتاني، و **بونيفاس** الرئيس السابق لناحية الدار البيضاء، و **فالا** المدير السابق للشؤون السياسية بالإقامة العامة الفرنسية، واعتبر أن العنف الذي مارسه المحاكمون لا علاقة له بأي صبغة تجارية ولا بالسرقة، واستدعاء الأشخاص المذكورين والاستماع إلى شهاداتهم ضروري لتوضيح الأسباب والدوافع الكامنة وراء الأحداث التي عرفتها مراكش.

رفض رئيس المحكمة طلب الدفاع وقال بأن المحامي يريد أن يحاكم أحداث أخرى وشخصيات مرموقة وإدانة السياسة الفرنسية بالمغرب. (37)

وحينما أجاب المقاوم الفطواكي على الأسئلة المتعلقة بحياته، وطلب من رئيس المحكمة أن يسمح له ليعطي تفسير الأسباب والدوافع التي دفعته إلى القيام بالعنف. أجابه الرئيس : **"إن السياسة لا تهمنا، إننا نحاكمكم بسبب أعمال القتل ولا نحاكم القضايا السياسية"**. (38)

فأجابه الفطواكي : **"إن المغرب لم يشهد أعمال العنف قبل مؤامرة 20 غشت 1953 التي لها أسباب وخلفيات... إننا نكافح من أجل العقيدة ومن أجل الملك ونحارب الخونة. والفرنسيون لم يحترموا معتقداتنا."**

وقاطعه رئيس المحكمة قائلا : **لست في اجتماع سياسي ويجب أن لا**

37 - Le Petit marocain 5-11-1954
38 - Ibid. 6-11-1954.

تخرج عن الإطار الذي تجري فيه للحاكمة.

ورد عليه الفطواكي بالقول :**"إذا لم تسمحوا لي بتفسير الدوافع التي جعلتني أمارس أعمال العنف فإنني أفضل الجلوس في مكاني".**

وتدخل الأستاذ لوغران وطلب أن يطرح أربعة أسئلة على موكله الفطواكي، فرفض رئيس المحكمة طلبه، واحتج المحامي معلنا أن شروط ممارسة الدفاع منعدمة و انسحب من الجلسة ومعه المحامي موريس ميسونيي Maurice Meissonnier والأستاذ العمراني الذي كان يقوم بالترجمة.

وكان واضحا أن القاضي الفرنسي هيموري Hemeury يرفض أن يحاكم المقاومون السياسة الاستعمارية كما وقع أثناء محاكمة المقاوم الراشدي بالدار البيضاء.

وفي غياب الدفاع وحرمان المقاومين من حرية التعبير، ومنعهم من الكلام في السياسة صاح وكيل الدولة مخاطبا القضاة : **"إذا لم تحكموا بالإعدام على هؤلاء فسترتكبون خطأ سياسيا".** (39)

ونطقت المحكمة يوم 6 نوفمبر 1954 بحكم الإعدام في حق أربعة مقاومين :

الاسم	السن	المهنة	مستوى التعليم
محمد بن بريك بن إبراهيم (حمان الفطواكي)	52 سنة	تاجر في الزيتون	لا شيء
مبارك بن بوبكر حمادي	31 سنة	سائق شاحنة	لا شيء
علال بن أحمد المكيك	34 سنة	اسكافي (خراز)	لا شيء
مولاي مبارك الناجي	32 سنة	فلاح	لا شيء

المحاكمة الثانية :

بعد مرور حوالي أربعة أشهر على المحاكمة الأولى، رفضت محكمة النقض بالجزائر الطلب الذي تقدم به الدفاع، وعقدت المحكمة العسكرية بمراكش جلسة أخرى للنظر في القضايا المتعلقة بالهجوم بالقنابل على السلطان بن عرفة والباشا الجلاوي وموكب المقيم العام الجنرال جيوم.

وحاول القاضي العسكري زعزعة نفسية الفطواكي عند ما خاطبه :

– لقد صدر عليك قبل اليوم الحكم بالإعدام وأصبح نهائيا بعد رفض قرار النقض !

فأجابه الفطواكي بهدوء :

– لا يهمني حكم الإعدام المهم أنك تمنعني من الدفاع عن نفسي بحرية. (40)

وفي غياب الدفاع وتمسك المقاومين بالصمت والامتناع عن الجواب،

39 - J.C. Legrand, Justice, op, Cit, P : 149.

40 - Maroc presse, 3-3-1955.

أصدر القاضي العسكري الأحكام التالية :

محمد بن بريك (حمان الفطواكي) :الإعدام.
مبارك بن بوبكر :الإعدام.
مولاي مبارك الناجي :الأشغال الشاقة المؤبدة.
الحسن الروداني : 20سنة.
محمد بن العربي المودن : 20سنة.
حسن بن مولاي : 10سنوات. (41)

المحاكمة الثالثة :



● من اليمين إلى اليسار: مبارك بن بوبكر، علال بن أحمد، حسن بن مولاي، مولاي امبارك، حمان الفطواكي

عادت المحكمة العسكرية للانعقاد يوم 11 أكتوبر 1955 لمحاكمة بقية أعضاء جماعة الفطواكي التي كانت، حسب تقرير رسمي تضم خمسة وعشرين شخصا.

وفي جو انعدمت فيه أبسط حقوق الدفاع، أصدرت المحكمة العسكرية الأحكام التالية :

عبد السلام بن العربي الجبلي : الإعدام
مولاي مبارك الناجي : الإعدام
محمد بن العربي المودن : الإعدام
لحسن بن حماد الروداني : 20 سنة بالأشغال الشاقة.
مولاي الشافعي بن التهامي : 15 سنة
حسن بن مولاي احمد : 10 سنوات
امحمد لخضير المسعودي : 5 سنوات
محمد بن الحاج عبد الله : 3 سنوات

وأحيل مقاومون آخرون على المحكمة العليا بالرباط، وصدرت عليهم

Le Petit marocain 5-3-1955. - 41

أحكام بالسجن لمدد مختلفة من بينهم الأستاذان عمر الساحلي والحسين البزيوي وعمر بن الحسن بوبكري.

جماعات أخرى بمراكش

أسس حمان الفطواكي خلية احتياطية لتواصل الكفاح من بعده، وجعل على رأسها طالبا في كلية بن يوسف فاقدا البصر يسمى أحمد بن إبراهيم الضرير، تعرف عليه الفطواكي بواسطة الحبيب الرحماني الذي نجا من الاعتقال وإلتحق بالصحراء، إلا أن جهاز القمع اعتقل والدته فدلتهم على الطاهر احد اقربائها، وهذا قادهم إلى الضرير لأنه سلمه بعض السلاح بأمر من الحبيب الهارب، وهكذا ألقي القبض على الجماعة المتكونة من 16عضوا. ولم يقوموا إلا بتفجير قنبلة في سينما في حي الزاوية وإحراق بعض أملاك الخونة.

وبقيت مراكش طيلة شهور هادئة باستثناء المناشير ورسائل التهديد إلى العملاء عن طريق البريد، وحينما غادر عمر الساحلي السجن ربط الاتصال مع عبد السلام بن الشرقي وكان أستاذا في كلية بن يوسف وتمكنا من تكوين جماعتين. وتوصلا بالسلاح من عند سفيان عبد الله خربوش العضو القيادي في **"المنظمة السرية"** بالدار البيضاء. وقامت جماعة تتكون من حمو أماراغ وأحمد الدبلإلي ومحمد الجلاوي وأحمد إلنجار بعمليات جريئة أيقظت المدينة من سباتها وأدخلت الرعب من جديد في أوساط المستعمرين وعملائهم. (42)

سقط القبطان كيدون رئيس دائرة جامع الفنا، وأصيب راهب بجراح في سوق السمارين، وجاء من الدار البيضاء إلى مراكش عمر الفرشي وأحمد بن الحسن للقيام بعملية ضد الباشا الجلاوي، واتصلا بالأستاذ بن الشرقي وحمو أماراغ وبن إبراهيم حسونة، واتضح أن الحراسة المشددة لا تسمح بإسقاط الباشا، وتقرر قتل أمين سره ومستشاره الحاج إيدار، وبعد ترصد دام بضعة أيام أطلق عليه أحمد بن الحسن وعمر الفرشي النار وأصابه بجراح خطيرة.

وافتضحت الجماعة حينما ألقى مقاوم قنبلة في حي البغاء وأصابته إحدى شظاياها في يده، وعند استنطاقه اعترف برفاقه وتم اعتقال الأستاذ بن الشرقي بمدينة الجديدة، واستطاع أماراغ والساحلي الالتحاق بمنطقة النفوذ الاسباني في ايفني.

ولم تدم حياة الجماعة الثانية طويلا، حيث التقى المقاوم عبد النبي صدفة بمفتش شرطة سري وأراد القضاء عليه فأخطأه، وفيما كان يجري شاهرا

42 - حديث مع محمد بن إبراهيم حسونة في مراكش بتاريخ 1988/10/12.

مسدسه إذا بحارس كان يمتطي دراجة هوائية يصوب بندقيته نحوه ويرديه قتيلا يوم 18يوليوز 1955.
وتأسست خلايا أخرى منها إحداها قامت بنزع سلاح شرطي وأطلقت النار على المقدم المغينية في باب دكالة وعلى موظفة فرنسية وجاسوس مغربي وكان أعضاؤها يتكونون من عبد الرحمان ابو نادي وإدريس المريخ وعبد القادر الغدراتي، وإبراهيم بومجدة، والمحجوب سكدال
وتكونت في أخر 1955فروع لمنظمات أخرى في إطار التنافس، وتأسست في حي القصبة خلية نشيطة من طرف الفقيه رمزي ألسباعي.
وجددت تنظيمات سرية أخرى نشاطها مثل "اليد السوداء" بعد خروج أعضائها من السجن مثل بلحاج الحلوي، وبنحمودة محمد من جيش الأطلس.
وجماعة اخرى اعتمدت في هجوماتها على السلاح الأبيض وإشعال الحرائق كان يشرف عليها عبد القادر بلمدني.

العمال المهاجرون عادوا للمشاركة في الكفاح

أكادير

باتفاق مع الزرقطوني انتقل عبد السلام الجبلي إلى مدينة أكادير وأسس هناك خلية بمساعدة بعض العمال المهاجرين الذين عادوا من فرنسا إلى المغرب للمشاركة في الكفاح المسلح، واعطوا مثلا ساطعا في التعلق بحب الوطن ونكران الذات.
وكان أكبر هجوم هو إلقاء أربع قنابل يدوية على المنصة الرسمية التي كان يجلس فيها باشا المدينة المدني بن حيون وعدد من كبار الضابط الفرنسيين وهم يشاهدون سباقا للخيل في حلبة إنزكان يوم 28مارس 1954.
كانت القنابل اليدوية من نوع إيطالي يتحكم فيها خيط عريض ويتطلب انفجارها معرفة تقنية بطريقة إلقائها، وهذا ما جعل ثلاثة منها تسقط باردة، ولم تنفجر إلا تلك التي ألقاها مولاي عبد السلام الجبلي وأسفر انفجارها عن قتل شخص وإصابة عشرة بجراح من ضمنهم الباشا والعقيد ديشارتي والعقيد بينيت.
ومن أخطاء المشرفين على الجماعة أنهم وسعوا دائرتها وأضافوا إليها عضوا معروفا في النشاط السياسي، وحينما ألقي عليه القبض اعترف بسهولة وكشف عن الأعضاء الذين يتصل بهم وشملت الاعتقالات 22فردا، تم تقديمهم أمام المحكمة العسكرية بمراكش يوم 14أكتوبر 1955، وفي يوم 21منه صدرت في حقهم الأحكام التالية :

عبد السلام بن العربي الجبلي : الإعدام
محمد بن الحاج الأسفي : الإعدام

محمد بن علي نايت إلياس	:	الإعدام
العربي بن سعيد	:	الاعدام (غيابيا)
إبراهيم بن محمد بن عبد الله	:	السجن المؤبد
الطاهر بن الهاشمي حاجي	:	20 سنة مع الأشغال الشاقة
علي بن الحاج محمد	:	15 سنة سجنا
إبراهيم بن سعيد	:	10 سنوات سجنا.
علمي محمد بن عبد الله	:	10 سنوات
محمد بن علي	:	10 سنوات
مصطفى بن سالم	:	7 سنوات سجنا
أحمد بن ميلود، سالم بن عمر	:	5 سنوات
امحمد بن محمد، عيسى بن احماد	:	5 سنوات
سعيد بن علي، لحسن بن محمد	:	3 سنوات
بوريبا عبد القادر	:	سنتان. (43)

ومرة أخرى نظرت المحكمة العسكرية في قضية إشعال الحرائق في بعض المتاجر في آخر سنة 1952 من طرف جماعة يرأسها إبراهيم بن بوسلام وبلغ عدد أعضائها 22، حكم على واحد منهم بعشر سنوات سجنا وعلى آخر بسبع سنوات وبمدد مختلفة على الباقين.

الصويرة

ألقي القبض على مقاوم بعد إصابته بجراح في تبادل لإطلاق النار يوم 30 يناير 1955 بمدينة الصويرة. فقد أصيب باشا المدينة بجراح خفيفة وأربعة أشخاص فرنسيان ومغربيان. وفي سبتمبر من نفس العام اعتقل خمسة مقاومين تابعين لخلية **"أسد التحرير"** وكانوا أصابوا فرنسي بجراح خطيرة.

ونشطت جماعة **"اليد السوداء"** برآسة بارزي لحسن.

تارودانت

كان محمد بن إبراهيم الروداني متصلا بـ **"المنظمة السرية"** بالدار البيضاء، وزودهم عبد الله سفيان بالأسلحة، وقاموا بتفجير القنابل في بعض الأماكن التي كان يتردد عليها الفرنسيون. وافتضح أمر الجماعة نتيجة لتسرب أحد

43 - Le Petit marocain 22-10-1955.

النشطاء السياسيين إليها، وبمجرد إستدعائه من طرف الشرطة في استجواب روتيني، اعترف بعلاقته بأعضاء المقاومة وألقي القبض على بعضهم وتمكن مولود الهواري المسؤول الرئيسي من الالتحاق بايفني، وتابع أخرون الكفاح مثل مولاي عبد الحفيظ الواثر.

وجدة

بمدينة وجدة تأسست عدة خلايا للمقاومة على الرغم من القمع الدموي الذي نزل بالوطنيين أثناء المظاهرة العنيفة ليوم 16غشت 1953.

كان من بين أعضاء الجماعة الأولى الدرويش المهدي، ميلود الهمالي، مصطفى بن رمضان، محمد الشريف، خير احمد الميد، المكي، بارا محمد، البشير مديوني، قاموا بعدة هجومات بالسلاح الناري على العملاء، وقتلوا محتسب المدينة الطيب بن الحسين، وأخطأ المقاوم عندما لاذ بالفرار تاركا دراجته الهوائية في عين المكان، وشمل الاستنطاق عددا من الدراجين في نطاق البحث عن صاحب الدراجة، وتمكن أغلب المقاومين من اللجوء إلى مدينة الناضور كقاعدة خلفية يواصلون فيها التداريب ويسربون منها السلاح الى منطقة النفوذ الفرنسي، وعاد إلى وجدة سنة 1955 المقاومون الدرويش المهدي وميلود الهمالي وهاجما بالبنادق الرشاشة أعضاء من منظمة **"الوجود الفرنسي"** في مقصف **"باردي صولاي"** وقضوا على عدد منهم، ورجعوا مرة أخرى إلى الناضور.

وألقي القبض على جماعة تحمل اسم "حبيبي" البطل الشهير في سباق الدراجات، وهي المسؤولة عن مجموعة من الهجومات بالقنابل وبالسلاح الناري، وكان من بين أهدافها ديلاروكا المراقب العام



● محمد حبيبي

للمخابرات الجهوية في وجدة.. (44)

وتمكن البوليس من تسريب عميل داخل خلية للمقاومة،واعتقل جميع أفرادها قبل أن يبدؤوا العمل وكان من بينهم السيدة يمينة البرحيلي، رمضان الرمال، أحمد اخريص، الميلود دغماني، عبد القادر برحمة، عبد الكريم القادري، محمد هرو، بلقاسم الوزيري، محي الدين، الداودي العالي، ونجا عبد الصادق القادري من الاعتقال.

وكان على راس جماعة أخرى المنور الكشاطي (مقدم الحي)، وجعل من بيته مقرا للمقاومين الفارين من الدار البيضاء في اتجاه منطقة النفوذ الاسباني مثل عبد السلام الكفايتي وحجاج محمد وسالم لارسكي. وشنت الجماعة عمليات مسلحة ناجحة ضد المتعاونين إلى أن اكتشفت للشرطة من طرف طفل صغير استهدف والده لرصاص مقاوم، وتمكن أغلب المقاومين من الالتحاق بالناضور، وتمت تصفية الطفل برصاصتين. (45)

وكانت جماعة نشيطة تنقسم إلى ثلاث خلايا يرأس كل واحدة منها محمد تنوتي وعبد الله السعيدي وأحمد الجاي، ووجهت ضرباتها إلى العملاء. وقامت جماعة محمد بن البشير بعدة هجومات على المتعاونين مع الإدارة، وسواء الجماعات التي اكتشفت أو التي نجت من الاعتقال، فإن معظم أعضائها واصلوا الكفاح ضد الاستعمار بعد إندماجهم في جيش التحرير الذي انطلق في شمال المغرب بداية من أكتوبر 1955.

بركان

وعملت في مدينة بركان عدة خلايا اكتشف أغلبها والتجأ أعضاؤها إلى مدينة الناضور، وفي بني منقوش بالناحية قامت جماعة يرأسها اكراد بوطيب بهجومات على العملاء والحقت أضرارا بمصالح المعمرين.

وزان

ظهرت في وزان خلايا عديدة للمقاومة أشعلت النيران في المحاصيل الزراعية وقطعت أسلاك الهاتف وبعضها استخدم السلاح

44 - أنظر مزيدا من التفاصيل حول البطل حبيبي في كتابنا تاريخ الرياضة بالمغرب 1918-1998 ص. 150

45 - التفاصيل في الفصل الأول : الجذور الثقافية للمقاومة.

الناري، وتمكن بعض المقاومين من الإفلات من الاعتقال والتحقوا بجيش التحرير في الشمال. (46)

الخميسات

شهدت الخميسات ونواحيها منذ عام 1954 عمليات احراق الضيعات الفلاحية وإتلاف خطوط الهاتف وتفجير القنابل. ومن أهم خلايا المقاومة بها تلك التي كانت تحمل اسم "طارق بن زياد" ولها علاقة تنظيمية بالمنظمة السرية بالدار البيضاء، وكان من ابرز مسيريها محمد بن الميلودي، عسو حمدوش، بلبقال محمد، عمر الزموري، الحراك محمد، بنعيسى بنعلي، عبد القادر الميخ..

تيفلت

في تيفلت المركز الفلاحي لقبائل زمور على بعد حوالي ستين كيلومترا من الرباط، قدم أمام المحكمة العسكرية عدد من الفلاحين بتهمة قتل حارس واشعال الحرائق في مزارع المعمرين. وصدرت في حقهم يوم 28 أكتوبر 1955 أحكام قاسية :

الميلودي عبد القادر : الإعدام
الجيلالي الفحام : الإعدام
ولد النشما : الإعدام (غيابيا)

المحمدية

القي القبض في المحمدية يوم 30 مارس 1954 على جماعة للمقاومين قتلوا عميلين مغربيين وأصابوا بجراح موظف فرنسي في إدارة الأمن، وخربوا السكة الحديدية وصدرت في حق 15 منهم أحكام مختلفة من الإعدام إلى السجن :

أحمد بن البشير الودغيري : الإعدام
ابريك بن الهول : الإعدام
محمد بن سعيد عدي : الإعدام
محمد الزياني، عبد السلام الجبار، حسن حاما، بنعيسى : 20 سنة سجنا
عبد القادر التورنور : 5 سنوات سجنا

ونشطت جماعة أخرى كان على رأسها بومحمد الفكيكي وكانت تتنقل إلى النواحي لوضع القنابل والقيام بهجومات مسلحة، وألقي القبض على أفرادها عندما كانوا يعتزمون القيام بهجوم على احد العملاء في ناحية الشياظمة.

46 - الصنهاجي، مذكرات م.س. ص 132.

سطات

قامت خلية للمقاومة بإدخال الرعب في نفوس المعمرين بناحية سطات حيث أحرقت المزارع وفجرت القنابل في الأسواق التجارية. وتمكن أفرادها سنة 1955 من تتبع أحمد بن الخدلة رئيس الغرفة الفلاحية بإقليم الشاوية، وقتلوه يوم السوق بطلقات نارية.

الجديدة

جاء العربي بالحمدونية من الدار البيضاء إلى الجديدة لتصفية مفتش الشرطة المسمى الحمدوني، وكان عدوانيا متسلطا على الوطنيين، أصابه العربي بجراح، وطارده الجمهور وكان وحيدا، وألقي عليه القبض واعترف برفاقه في الدار البيضاء ومن بينهم حسن السكتاني الذي أبدى صمودا أثناء الاستنطاق، ومات تحت التعذيب بإدارة الشرطة في المعاريف.

وفي خميس الزمامرة بناحية الجديدة استطاع بوشعيب الدكالي من قيادة المنظمة السرية أن يكون جماعة هناك بواسطة محمد بن الأحمر، وتخصصت في احراق الضيعات والمحاصيل الزراعية للمعمرين، وقتلت جاسوسا وبائعا للتبغ وكان ذلك في آخر سنة 1954 حيث اعتقل بن الأحمر وأعضاء الجماعة.

وخلفتها جماعة ثانية ترأسها بوشعيب الحداد وزياد بوعزة وكانا على اتصال بمبارك جليل الذي كان ينسق معهما العمل، ووضعوا عدة قنابل في خميس الزمامرة وفي سبت سايس وفي الاثنين الغربية وكلها أسواق توجد بها مصالح المتعاونين، واغتالوا أمين الجزارين، واحرقوا مزارع المعمرين.

آسفي

في يناير 1954 ألقي القبض على مقاوم بعد اطلاقه الرصاص على جاسوس، واعترف برفاقه وأغلبهم جاؤوا من مدينة الدار البيضاء بهدف تنشيط العمل المسلح بمدينة اسفي. واصدرت عليهم المحكمة العسكرية الأحكام التالية:

احمد بن محمد تاغجيجت	:	10 سنوات
لحسن تاغجيجت	:	10 سنوات
مبارك بن محمد	:	6 سنوات
النقراشي مولاي الطيب	:	5 سنوات

وفي المناطق الفلاحية تصاعد في صيف 1955 إشعال الحرائق في مزارع

المعمرين والعملاء المغاربة وإتلاف الخطوط الهاتفية، خاصة في سيدي إسماعيل وفي أربعاء العونات.

بني ملال

في نطاق خطة تشتيت قوات العدو، وبهدف فك الحصار على المقاومة في الدار البيضاء التي أصبحت شبه مطوقة بالشرطة وأفراد الجيش، قررت المنظمة السرية إرسال بعض المقاومين إلى مدن أخرى للقيام بهجومات مسلحة، وسافر محمد سبيل في بداية عام 1955 إلى مدينة بني ملال واتصل هناك ببعض المقاومين وسلمهم قنابل يدوية، وقاموا بإلقاء احداها في نادي يرتاده المعمرون، واسفر انفجارها عن مقتل وجرح عدد منهم.

الفصل الحادي عشر

المقاومون يتغنون بالحرية أمام خشبة الإعدام

بعد الحكم الجائر المسبوق بالتعذيب الجهنمي، يقوم المستعمرون "المتحضرون" بإجلاس المقاومين على الركبتين وظهورهم مستندة إلى خشبة الإعدام، وايديهم مغلولة وأعينهم معصوبة بقماش أسود، وأمامهم تقف كوكبة من الجنود منتظرة أمر رئيسها لتطلق الرصاص دفعة واحدة، ثم يتقدم جندي ليفرغ رصاصتين في رأس كل شهيد. (1)

كان تنفيذ حكم الإعدام في المكافحين من أجل الحرية عبارة عن مشهد للفرجة يحضره كبار الموظفين العسكريين والمدنيين والمحامون.

ففي يوم 4 يناير 1955تم تنفيذ حكم الإعدام في ستة شبان بسجن العادر وهم أحمد الراشدي ومولاي الطاهر العلوي من الدار البيضاء، وبن الراضي السلاوي وعبد العالي بنشقرون ومحمد الحياني وعبد العزيز بنشقرون من فاس. وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الجيش تسوقهم سريا إلى ساحة الإعدام، ارتفعت أصوات المقاومين متغنية بحرية الوطن :

عاش المغرب حرا لنا دامت أرضه ملكا لنا

واستيقظ المعتقلون من نومهم وتعالت الهتافات بسقوط الاستعمار والخيانة، وأعلنوا الإضراب عن الطعام في ذلك اليوم ولازموا الحداد في مجموع السجن حزنا على الشهداء الستة. (2)

في يوم 27 يبراير 1954 وبينما كان الجنود يسوقون عبد اللطيف بن قدور الطالب السابق في المدرسة الصناعية الفرنسية إلى خشبة الإعدام، التفت إلى قاضي التحقيق مخاطبا إياه : **إلى اللقاء مسيو جيليزو ! إنني انتظرك هناك بالتأكيد ستلتحق بي قريبا !**

ارتعدت فرائص القاضي الفرنسي ولاحظ الحاضرون أن لونه تغير بفعل الصدمة النفسية التي أحدثتها لديه كلمات المقاوم الشجاع.

وقبل إعدامه ببضع دقائق كتب بن الراضي السلاوي رسالة إلى أخته جاء فيها :

1 - J.C. Legrand justice, op cit. P : 360

2 - مقابلة مع امحمد بن عبد الله في الدار البيضاء بتاريخ 19-11-1988.

"أختي الحنون ! أودعك وأتمنى لك الصبر والثبات وأوصيك بأبنائي الأعزاء بأن لا تغفلي عنهم أودعك وإلى اللقاء في جنة الفردوس عند ملك الملوك". (3)

وحينما كان الجنود يقودون الفطواكي إلى الموت معصوب العينين سأله محاميه شارل لوغران !

- هل عندك ما تقوله ؟

فأجاب :

- لقد قمت بواجبي وتصرفت كما يجب على كل مسلم مؤمن. (4)

وحينما صدر حكم الإعدام على امبارك بن بوبكر، أدلى لمحاميه لوغران بالحديث التالي :

"لقد حاربت ضمن الجيش الفرنسي في إيطاليا وتونس وألمانيا مدة احد عشرة سنة، وعندما عدت وجدت الظلم سائداً في وطني...



● المحامي شارل لوغران

إن الجنرال دهوتفيل والمراقب المدني تيفان ووكيل الدولة موني هم الذين نصبوا مع الباشا الجلاوي بن عرفة في مراكش. وهم الذين استولوا على الكتب من المدارس التي أسسها الملك محمد الخامس من أجل تطوير المرأة والشبيبة.

أثناء الحرب كنا جنبا إلى جنب مع فرنسا حتى النصر. لقد خدمت فرنسا بحسن نية لكن حينما غدرتني غيرت موقفي... (5)

في الصباح الباكر ليوم 5 مايو 1955 وقبل أن ينفذ حكم الإعدام في رجال بن أحمد اقترب منه المحامي لوغران وسأله :

- هل لديك وصية أو شيء تريد إبلاغه إلى أهلك .

فأجاب : إنني مرتاح ومسرور.

- من أجل ماذا .

- لأنني سأموت من أجل استقلال وطني. (6)

وكتب محمد بن أحمد البقال رسالة بقيت في إدارة السجن جاء فيها :

"إني مبتهج بإصدار حكم الإعدام في

3 - محمد السلاوي أبو عزام، معركة استقلال المغرب ج 1-1979 ص 77.

4 - J.C. Legrand, Justice, op cit P. 361

5 - Ibid. p. 153

6 - Ibid. p. 360

حقي. وإنني لست في حاجة إلى المواد الغذائية وعندي ما أقرأه طول النهار، وإنني مسرور جدا وأرجو أن تكونوا كذلك" (7)

وعلى بعد خطوات من مصقلة الإعدام، سال المحامي لوغران عبد الله الشفشاوني :

– هل لديك شيء تقوله ؟

فأجاب :

– لقد وهبت دمي وروحي وحياتي فداء لوطني وديني ومليكي، وأنا فخور بتأدية واجبي كوطني.

وبعد حضوره تنفيذ الإعدام في بعض المقاومين التحق شارل لوغران بقاعة المحكمة ليواصل دفاعه عن مقاومين آخرين، وتساءل :

"أليس هناك ما يمكن فعله بهؤلاء الرجال الذين برهنوا عن هذه الشجاعة وهذا الإيمان سوى أهداف تخترقها طلقات فصيلة الإعدام؟" (8)

أحكام الإعدام الصادرة في حق المقاومين

من خلال تصفحنا للصحف الفرنسية الصادرة بالمغرب في سنوات 53، 54، 1955، استخرجنا منها جدولا بأحكام الإعدام التي أصدرتها المحاكم العسكرية الفرنسية على المقاومين المغاربة كما يأتي :

1952	:	حكمان بالإعدام
1953	:	5
1954	:	68
1955	:	26
المجموع	:	101

وهكذا نفذ حكم الإعدام في مقاومين اثنين سنة 1953 وفي 7 عام 1954، وفي 14 سنة 1955. وتم تنفيذ الحكم في 4 بثكنة العنق بالدار البيضاء وفي 19 في سجن العادر بالقرب من الجديدة.

وهذه لائحة بأسماء الشهداء والمدن التي ينتمون إليها وتاريخ إعدامهم حسب الترتيب الزمني :

---

7 - إبراهيم لهلالي، بعد نفي رمز الأمة، أحكام من شهور وأعوام إلى الإعدام. سجن العادر من 1953-08-20 إلى 1955-11-16 الجديدة 1986 ص161 يقول المؤلف أن الرسالة مكتوبة باللغة الفرنسية، والواقع أن محمد البقال يجهل الفرنسية.

8 - J.C. Legrand, op cit p. 361.

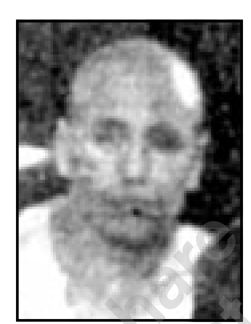
الاسم	المدينة	تاريخ تنفيذ الإعدام	المكان
أحمد الحنصالي *	قصبة تادلة	26 نوفمبر 1953	ثكنة العنق الدار البيضاء
محمد سميحة *	قصبة تادلة	26 نوفمبر 1953	ثكنة العنق الدار البيضاء
عبد اللطيف بن قدور *	الدار البيضاء	27 يبراير 1954	سجن العادر الجديدة
الحسن بن يدار *	الدار البيضاء	27 يبراير 1954	سجن العادر الجديدة
محمد بن أحمد البقال	مراكش	22 ابريل 1954	سجن العادر الجديدة
العربي بن أحمد باعدي	مراكش	22 أبريل 1954	سجن العادر الجديدة
علي بن الطاهر بن بهي	مراكش	22 أبريل 1954	سجن العادر الجديدة
محمد بن المكي (الفورنيسور)	الدار البيضاء	9 دجنبر 1954	سجن العادر الجديدة
الحسين بن أحمد (طوطو) (9)	الدار البيضاء	18 دجنبر 1954	سجن العادر الجديدة
احمد بن محمد الراشدي	الدار البيضاء	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
مولاي الطاهر بن عبد الكريم	الدار البيضاء	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
عبد العالي بن محمد بنشقرون	فاس	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
محمد بن الراضي السلاوي	فاس	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
محمد بن امحمد الحياني	فاس	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
عبد العزيز بن ادريس بنشقرون	فاس	4 يناير 1955	سجن العادر الجديدة
محمد بن بريك (حمان الفطواكي)	مراكش	9 أبريل 1955	سجن العادر الجديدة
مبارك بن بوبكر بن حمادي	مراكش	9 أبريل 1955	سجن العادر الجديدة
علال بن احمد المكيك	مراكش	9 أبريل 1955	سجن العادر الجديدة
مولاي علي بن العربي	مراكش	5 مايو 1955	سجن العادر الجديدة
رحال بن احمد	مراكش	5 مايو 1955	سجن العادر الجديدة
عبد الله بن محمد الشفشاوني	فاس	2 غشت 1955	سجن العادر الجديدة
علال بن عبدالقادر الاودي	فاس	2 غشت 1955	سجن العادر الجديدة
ادريس بن محمد الحريزي	الدار البيضاء	2 غشت 1955	سجن العادر الجديدة

و استبدل رئيس الجمهورية الفرنسية 13حكما بالإعدام إلى السجن المؤبد، و بعد إعلان الإستقلال السياسي في 2مارس 1956ألغى الملك محمد الخامس الأحكام بمرسوم ملكي و أطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

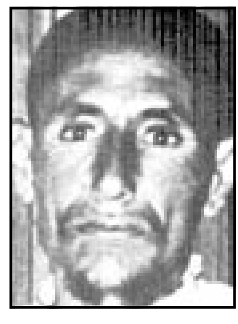
* * * - من نكد الزمان أن القانون الحالي لا يعترف للمكافحين الحنصالي، سميحة، بن قدور وبن يدر، بصفة مقاوم. ورغم المطالبة بتغيير التاريخ الذي حدده القانون ليشمل أولئك الشهداء ويرد لهم الإعتبار، فإن البيروقراطية ترفض الإنصات لصوت الضمير.

9 - لا يجب خلطه باسم احمد بن محمد (طوطو) المحكوم بعشرين سنة سجنا يوم 1953/07/1.

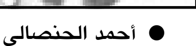
المقاومون الذين أعدمهم الإستعمار في سنوات 53،54،1955



● محمد سميحة

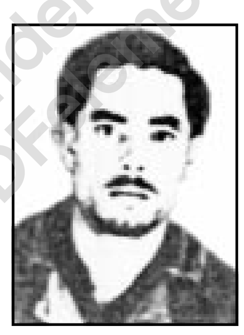


● أحمد الحنصالي





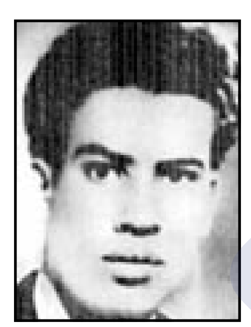
● العربي أباعدي



● محمد البقال



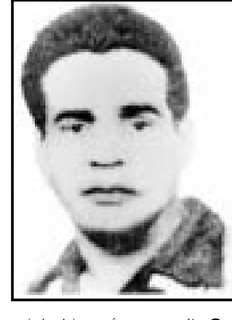
● الحسن بن يدر



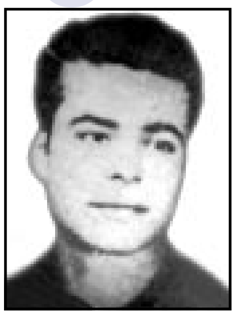
● عبداللطيف بن قدور



● أحمد بن محمد الراشدي



● الحسين بن أحمد (طوطو)



● محمد بن المكي



● علي بن طاهر



● محمد بن أمحمد الحياني ● محمد بن الراضي السلاوي ● عبدالعالي بنشقرون ● مولاي الطاهر بن عبدالكريم

● علال بن أحمد المكيك ● أمبارك بن بوبكر بن حمادي ● محمد بن بريك (حمان الفطواكي) ● عبدالعزيز بنشقرون

● إدريس بن محمد الحريزي ● علال بن أحمد الأودي ● عبدالله الشفشاوني ● مولاي علي بن العربي

رفضت إدارة
السجون ووزارة
العدل تزويدنا
بصورة الشهيد
رحال بن أحمد

السجون بلا نظام لتعذيب الإنسان

كانت قريش تحبس معتنقي الإسلام داخل أحد البيوت مع تكبيل أيديهم وأرجلهم في قيد و أحيانا تعتقلهم داخل مبنى بدون سقف لمنعهم من الهجرة. (10)
و في عهد الرسول كانت تفرض الإقامة على المحكوم عليه في بيت معين أو في المسجد، و يتولى خصمه أو من ينوب عنه ملازمته له و يمنعه من التصرف بحرية و كان يسميه أسيرا. و نفس الأسلوب كان مطبقا في ولاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق (632 -634م). و لما تولى عمر بن الخطاب إمارة المؤمنين و اتسعت الفتوحات و تكاثر المعتنقون للإسلام، اشترى دارا بمكة و جعل منها سجنا.
و في خلافته الممتدة من 656م إلى 661م، جعل علي بن أبي طالب من مدينة الكوفة بالعراق عاصمة له و شيد بها سجنا يتمتع فيه المساجين بالأكل و اللباس. و لما استولى معاوية على السلطة (661-680م) قام ببناء المزيد من السجون و نظم إدارتها و جعل لها حراسا دائمين. (11)
و أثناء حكم هارون الرشيد (786-809م) وضع القاضي علي أبو يوسف قانونا للسجون الإسلامية، حيث يقوم فيها المعتقلون بأشغال يدوية مثل صناعة بساط الحصير و فتل الحبال من جريد النخيل، و كان هناك سجن للرجال وأخر للنساء.
و في أوربا كانت السجون في القرون الوسطى عبارة عن قلاع وحصون وكهوف تحت الأرض يحشر فيها المعتقلون و تتفشى في وسطهم الأمراض المعدية. وعرفت بريطانيا عام 1553م أول نواة للسجن الحديث داخل قصرقديم و فيه يلزم السجين بالعمل و في عام 1596م أنشأ الهولانديون البروتيستانت سجنا انفراديا في امستردام. (12)
و بالمغرب العتيق كانت السجون في كل المناطق الخاضعة للسلطة المركزية، و كان المكلفون بالسجون يعينون من طرف الوالي أو القائد، وينقسم السجناء إلى ثلاثة أصناف : المعارضون للحكم، المجرمون، الرافضون للتنازل عن أموالهم أو نسائهم أو بناتهم لرجال السلطة، فالظلم كان عاما شاملا.
فالحكام يتوفرون على المعتقلات داخل قصورهم. و كان الباشا الجلاوي يحبس المعتقلين في كهوف مظلمة تحت الأرض في المناطق الجبلية، وبمدينة مراكش بنى زنازن فردية و جماعية تسمى **"البنيقة"** داخل المحكمة بجانب قصر "الستينية".

10 - ابن هشام، السيرة النبوية، ج. 1ص. 476.
11 - عبد الحي الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية... المطبعة الأهلية الرباط 1927ج. 1ص. 294- 300.
12 - احمد مفتاح البقالي، مؤسسة السجون بالمغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.

و في مدينة آسفي كانت للقائد ادريس بن عيسى سجون لا يخرج منها المعتقل حيا إلا نادرا بسبب الجوع و التعذيب و انعدام أبسط الشروط الصحية.
فالسجناء، بشكل عام، لا يشتغلون و يظلون مقيدين من الأيدي والأرجل و يتعرضون للعقاب الجسدي كالضرب و الجلد، و الأخطر منهم يتم ربطهم إلى الجدران بالأغلال في أعناقهم، و لا يتلقون الا خبزة واحدة في اليوم مع قليل من الماء و أحيانا لا يتوصلون إلا بما ترسله لهم عائلاتهم لأن القائمين على السجون يستحوذون على ما يخصص لهم من أكل و لباس.
و في ظل الإحتلال الأجنبي تعددت السجون و اختلفت قوانينها باختلاف مناطق الإستعمار، ففي الشمال تخضع المعتقلات للإدارة الإسبانية، وفي مدينة طنجة للإدارة الدولية المختلطة، إضافة إلى سجن خاص بمندوب السلطان في نفس المدينة، وفي جنوب البلاد تنتشر السجون الفرنسية والمعتقلات التي يشرف عليها الباشوات و القياد سواء في المدن أو القرى.
و في 11أبريل 1915صدر مرسوم فرنسي يدخل تغييرات على تنظيم إدارة السجون و يقرر إنشاء مزيد من المعتقلات خاصة و أن المقاومة المسلحة للإحتلال كانت على أشدها في البوادي. و يحمل المرسوم طابعا عنصريا ذلك أن المذنب الفرنسي لا يمكن حشره في نفس الزنزانة مع مغربي، وتم تخصيص "حي أوربي" داخل كل سجن يقطنه المعتقلون الفرنسيون والأوربيون وحدهم.
و مع تعاظم النشاط السياسي للحركة الوطنية أقام المستعمرون مراكز للإعتقال في المناطق الجبلية و الصحراوية البعيدة مثل أغبالونكردوس، كلميمة، ميسور، ميدلت، بودنيب، ارفود، الطاوس.
و تأسست سجون جديدة في المدن منها السجن المركزي بالقنيطرة، وسجن لعلو بالرباط، وعلي أومومن بالقرب من سطات، والعادر بالجديدة وبولهارز بمراكش، وغبيلة بالدار البيضاء، وعين قادوس بفاس، والسجن الكبير بوجدة، وسجون أخرى بالصويرة وأكادير وتيزنيت.
وكانت الإدارة الإستعمارية تفرض على الوطنيين القيام بأشغال شاقة في حفر الطرقات وحمل الأحجار والعمل في ضيعات المعمرين في ظروف لا إنسانية و تضرب عليهم حصارا ثقافيا بمنع الصحف و الكتب عنهم إلا بما تسمح به الرقابة وتحرمهم من الورق والأقلام وحرية بعث المراسلات إلى ذويهم، وكان المثقفون يحبسون في زنازن انفرادية لكي لا ينشروا الأفكار المعادية للاستعمار وسط باقي المسجونين.
والأبشع من ذلك أن الإدارة الاستعمارية كانت تسلط المجرمين على الشباب ليعتدوا عليهم جنسيا (13) و شهدت الفترة الممتدة ما بين 1950و 1955 تغيير ميزان القوى داخل المعتقلات لفائدة الوطنيين الذين ارتفع عددهم إلى

13 - عبد الرحيم بوعبيد، ذكريات، جريدة (الاتحاد الاشتراكي) 1992/1/13.

ثلاثين ألفا عشية الإستقلال. (14)
أما المقاومون المحكومون بالإعدام فكانوا يكبلون بالأصفاد من اليدين والرجلين و يوثقون بالسلاسل إلى جدار الزنزانة التي يبلغ طولها مترين وعرضها متر ونصف و تأوي ثلاثة سجناء، و تحرسهم في النهار فرقة من الشرطة على رأسها رقيب من إدارة السجن، و في الليل ستة من أفراد البوليس و عون من السجن و يتم عزلهم عن المعتقلين و لا يسمح للحراس المغاربة بالاتصال بهم، و لا تتجاوز مدة المشي الإنفرادي لكل واحد نصف ساعة في الصباح و نصف ساعة في المساء وتحت حراسة شرطيين اثنين ومراقبة الحارس العام المساعد. (15)
و يرتسم الوجه القبيح لأسلوب القمع الإمبريالي في رسالة أخرى أرسلها مدير نفس السجن إلى مدير مصلحة السجون جاء فيها ما يلي :
"إن المحكوم عليهم بالإعدام يعانون من آلام الرأس كما عاين الطبيب ذلك، و للتخفيف من غضبهم يزودهم بأقراص الأسبرين. و يرى الطبيب أن التصاق الزنازن بعضها ببعض و قلة المرافق الصحية هما السبب في هذا القلق المتواصل. وفعلا فإن الزنزانة بلا نوافذ و تأوي أكثر مما تتحمل، والهواء يجري بداخلها في ظروف سيئة". (16)
وعن قساوة الجلادين كتب الحسين بن احمد "طوطو" المحكوم عليه بالإعدام رسالة إلى المندوب لدى المحاكم العسكرية بتاريخ 19-1-1954 قال فيها :

"أثير انتباهكم إلى المعاملة السيئة التي أتعرض لها فالأكل عبارة عن شربة من الجلبان و القرع و الماء لا تؤكل، و كلما طلبنا تغيير هذا النوع، كان الجواب :
– انتظروا سنأتيكم بالبفتيك !
إننا لا نطلب منهم البفتيك لأننا سجناء و لا نطالب إلا بالحقوق التي يعترف بها القانون للسجناء، و أعتقد أن لنا الحق في الحصول على قطعة لحم في الأسبوع غير هذه التي لا تؤكل و تنشر رائحة كريهة في الزنزانة. إضافة إلى ذلك فإننا لا ننام لأن مصباحا قويا يضيء الليل كله و يمنعنا من النوم، و منذ أربعة أشهر و أنا أتألم من وجع الأسنان و رغم الشكاوى فإنني لم أتلق أي علاج". (17)

14 - عبد الرحيم بوعبيد، التقرير السياسي للمؤتمر الاستثنائي لحزب الاستقلال في دجنبر 1955.
15 - رسالة من مدير سجن العادر الى نائب مدير مصالح الأمن. لهلالي، بعد نفي رمز الأمة، ص. 105.
16 - ن.م ص 110.
17 - جريدة "أنوال" 1983/8/12.

و في خطاب بعثه مولاي علي بن العربي المحكوم بالإعدام إلى المحامي شارل لوغران نقرأ ما يلي :

"أخبركم أن صحتي في خطر لأنني في زنزانة صحبة معتقل آخر، طولها متر و أربعون سنتيما و عرضها متر و خمسة و عشرون سنتيما. و لا يوجد بها ماء و لا مرحاض و هي بدون نافذة الشيء الذي يسبب لي صعوبة في التنفس، و أرجوكم أستاذي، أن تعملوا على تحقيق رغبتي حتى أتمكن من شم الهواء على الأقل". (18)

و شن المحكومون بالإعدام يوم 28 -10-1954الإضراب عن الطعام وامتنعوا عن الخروج إلى الفسحة و ذلك بعد رفض طلبهم بإزالة الأغلال من أيديهم و أرجلهم أثناء النوم.(19)

و يكون الجواب هو إعدامهم واحدا تلو الآخر باسم "الشعب الفرنسي"(20)

و تمتلئ الزنازن بأفواج جديدة من المقاومين و يضطرون من جهتهم إلى الإضراب سلاحهم الوحيد. و يكتب مدير السجن إلى المفتش العام للسجون :

"إن المحكومين بالإعدام رفضوا الخروج إلى الفسحة يوم 29-4-1955، بعد أن رفض طلبهم بإسكانهم في زنازن أوسع. ورغم اعترافي بموضوعية طلبهم فإنني رفضت الإستجابة لرغبتهم نظرا للخطر الذي يمكن أن ينتج عن تجميع 14محكوما بالإعدام". (21)

كان من نتيجة الحملة الإعلامية التي قام بها التقدميون الفرنسيون في فرنسا ضد القمع حلول لجنة للتحقيق بالمغرب من 20إلى 30سبتمبر 1955 وعلى رأسها السيد مونجويلان Monguilan رئيس غرفة في محكمة الإستئناف بباريس والضابط فانسان مونطاي Commandant Vincent monteil مكلف بمهمة في وزارة الشؤون المغربية و التونسية، وأول ملاحظة سجلتها اللجنة في تقريرها هي عدم وجود شيء اسمه "نظام سياسي للمعتقلين" في قاموس السجون بالمغرب (Régime politique des détenus) وأكدت على أن أماكن الإعتقال عتيقة ومكتظة مع انعدام النظافة والحمامات والمستوصفات لتقديم العلاج الأولي. ووقفت في سجن العادر على زنزانة 25م على 10 أمتار يتكدس فيها 16معتقلا، وفي سجن علي أومومن يزدحم خمسة معتقلون في كل زنزانة، و عثرت في مختلف السجون على قاصرين يتراوح عددهم ما بين ثلاثمائة وأربعمائة طفل (Pupille) وفي معتقل مدينة فاس كان يوجد 14طفلا في زنزانة ضيقة في الوقت الذي تحولت فيه ثلاثة زنازن مجاورة إلى خزين للبصل والحبوب ومواد أخرى خاصة باستهلاك الحراس واكتشفت اللجنة

---

18 - لهلالي م. س. ص. 125.

19 - ن. م. ص. 116.

20 - كان قضاة المحاكم العسكرية يصدرون أحكامهم باسم "الشعب الفرنسي".

21 - ن. م. ص. 128.

طفلين أخوين معتقلين، الكبير يبلغ ثمان سنوات والصغير ست سنوات والتهمة الموجهة اليهما هي إشعال الحرائق في المحاصيل الزراعية للمعمرين.(22)
وكان التمييز العنصري عاما في السجون، فكل مغربي ولو تعلق الأمر بطبيب او محامي يعامل بأسلوب غير لائق، و يتميز عنه المجرم الأوربي في العناية و المبيت والتغذية والحق في المطالعة وغيرها من الأشياء الممنوعة على المغاربة.(23)
وكان العادر من أكبر السجون، تأسس عام 1916، ويبعد عن الجديدة بعشر كيلومترات على الطريق الذاهبة إلى الدار البيضاء، وفي تلك الجهة يتمركز المعمرون الفرنسيون بضيعاتهم الكبيرة المحتاجة إلى اليد العاملة. وكانت إدارة السجون تعيرهم المعتقلين الوطنيين لتشغيلهم في مزارع شاسعة وفي شروط لا إنسانية.
وفي سنة 1955 كان العادر يضم 2.800 سجين منهم 42 صدرت في حقهم أحكام بالإعدام. وبلغت الحقول الزراعية المحيطة به 1515هكتارا يعمل فيها المعتقلون من طلوع الشمس إلى غروبها، وتسببت سوء التغذية والإنهاك الجسدي في وفاة العشرات من المعتقلين. وسجلت سنة 1955وحدها موت عدد من الوطنيين عرف من بينهم مصطفى بن محمدمن تافوغالت، اوسيدان اوقسو من أيت اورير، الهاشمي البكاي من بركان، بينما قتل الفقير علي بعيارات نارية أطلقها عليه حارس فرنسي على إثر مشادة كلامية بينهما.
ولم تكن الأوضاع أقل بشاعة في باقي السجون، وهذا ما دفع المقاومين إلى تنظيم عملتي فرار من سجنين كبيرين، والقيام بإضرابات دامية في سجون أخرى.

24 يناير 1955 فرار جماعي من سجن الصويرة

تقع جزيرة الصويرة على بعد كيلومتر واحد من الشاطئ عارية بلا أشجار ولا نبات، لا ترتبط بالبر إلا في حالة انحسار ماء البحر أثناء الجزر الذي يحدث في أوقات معينة من السنة وتستخدم عادة القوارب لربط الاتصال بها.
في الماضي جعل منها السلاطين سجنا لاعتقال المتمردين عليهم.
وبعد هزيمة الجيش المخزني في واد يسلي بسبب الدعم الذي قدمه السلطان مولاي عبد الرحمان للمكافح عبد القادر الجزائري (1808-1883م)، أطلق الأمير الفرنسي دوجوانفيل De Joinville القنابل من مدافع باخرته الحربية على المدينة و دك أحياء منها دكا ثم احتل الجزيرة الصغيرة في 15 غشت 1844م وجعل منها ثكنة خيم في أرجائها خمسمائة جندي إلى تاريخ التوقيع

Guy Delanoë, Résistance, op. cit. P. 73. - 22
Ibid P. 74. - 23

على اتفاقية للا مغنية بين المغرب وفرنسا في مارس 1845م.

وفي الخمسينات استخدمها المستعمرون لاعتقال المقاومين و كان يوجد بها عام 1955 أربعمائة و عشرون فدائيا على رأسهم ابراهيم بن محمد "الشيفور" الذي قام بدور كبير في تزويد **"المنظمة السرية"** بالأسلحة الخفيفة. وأربعة مقاومون محكومون بالإعدام والباقون بسنوات متفاوتة من الأشغال الشاقة.



● إعتقال مقاومين من الفارين

ونظم المقاومون عملية فرار جماعية بعد أن جمعوا المعلومات المتعلقة بالحراس والموظفين وعددهم وتحركاتهم، وتم الاتفاق على اليوم والساعة أثناء الاستراحة اليومية. وفي 24 يناير 1955 على الساعة السابعة مساء بينما كان الرقيب الفرنسي يهم بإدخال محمد بن علي العامل في المطبخ إلى الزنزانة، انقض عليه الموجودون بداخلها و أحكموا عليه سيطرتهم لكي لا يعطي الإشارة(24) وانتزعوا منه المفاتيح واعتقلوا باقي الحراس وأغلقوا عليهم الأبواب، و قطعوا أسلاك الهاتف و فتحوا مخزن السلاح وحملوا سبع بنادق وثلاث رشاشات وبعض القنابل اليدوية وسبعة مسدسات وحوالي ألف رصاصة.(25)

لم تكن العملية منسقة مع الخارج، ولم يجد المقاومون أية وسيلة لنقلهم بعيدا، فتوغلوا داخل الغابة عدة كيلومترات مشيا على الأقدام، وعاد مدير السجن الذي كان بالمدينة ليكتشف بعد مرور ساعتين فقط عملية الفرار، فأنذر قيادة الجيش التي أرسلت ثلاثة آلاف جندي إلى عين المكان، أما المقاومون فقد تفرقوا إلى مجموعات صغيرة استعدادا لمعارك مفجعة. فالمستعمرون استعانوا بالقياد

24 - رسالة من مدير مصالح الأمن العمومي إلى مديري السجون، لهلالي، م. س. ص. 122.

25 - Le Petit marocain 4-2-1955



● الشهيد إبراهيم الشيفور

الخونة الذين جندوا القبائل التي كانت تحت حكمهم و سخروا مآت الفلاحين للبحث عن الفدائيين والإخبار عن تحركاتهم. (26)
فقد كانت تلك المنطقة، قبل دخول الاستعمار، خاضعة لسيطرة الإقطاعيين الذين جعلوا أنفسهم في خدمة قوات الاحتلال واحتفظوا نتيجة لذلك بمناطق نفوذهم، وواصلوا إخضاع الجماهير لنزواتهم و حاربوا بعنف الحركة الوطنية، و بقيت حشود الفلاحين بعيدة عن الوعي السياسي و أدى بها الجهل إلى استعمال الحجارة و العصي في اقتفاء أثر المقاومين و قتلت إثنين من الذين كانوا عمليا يدافعون عن قضيتها. (27)
لم يجد الفدائيون في محيط مناوئ لا التضامن ولا المساعدة وأنهكهم الجوع، وبعضهم خاض معارك يائسة ضد جيش الاحتلال على بعد عشر كيلومترات جنوب الصويرة والبعض الآخر استسلم، وفي تبادل لإطلاق النار سقط عدد من الجنود، و في ظرف يومين استشهد ثمانية فدائيين وهم ابراهيم بن محمد بن مبارك الشتوكي المدعو "الشيفور"، سيدي مومن التيزنيتي ، حمودي بن عمر الاسفي، موسى بن علي بن الحسين، اوسعدن بن مبارك بن بلخير، محمد بن العربي التراشي، الحسن بن محمد التمري، محمد بن سعيد العلوي حافظي، وأصيب مقاوم بجراح والقي القبض على 15 آخرين. (28)

30 شتنبر 1955

الأبواب الفولاذية تستسلم لإرادة المقاومين

يعد السجن المركزي بمدينة القنيطرة من أكبر وأسوأ السجون التي بناها الاستعمار بالمغرب، زنازنه ضيقة مع رطوبة مفرطة، في موسم الحرارة تختنق فيه الأنفاس وفي فصل الشتاء تتجمد الأطراف من شدة البرد.
في نهاية 1954 امتلأ السجن بالمقاومين والوطنيين منهم المحكومون بالإعدام وآخرون ينتظرون تقديمهم أمام المحاكم العسكرية .

26 - أبرزت الصحف الفرنسية على صفحاتها الأولى صورا لمشاركة السكان في مطاردة الفدائيين.
27 - حديث مع بن إبراهيم الباعمراني بالدار البيضاء في 10-9-1986.
28 - لم يتأكد انتحار أي مقاوم خلافا لما ورد في حديث محمد العلمي الاتحاد الاشتراكي، (20-12-1997).

استـغـرق الإعداد للـهروب شـهورا طويلة ، وشـارك أشـخاص قـلائل في تنظيم العملية التي لعب فيها محمد بن حمو الفاخري دورا أساسيا، فقد كان يعمل في مصلحة صيانة الأقفال بالسجن، وعقد صداقة وثيقـة مع رئيس المصلحة الألماني **هاينس** المحكوم بالسجن المؤبد منذ الحرب العالمية الثانية. وبذلك كان بنحمو ينتقل عبر مختلف أجنحة السجن بسهولة. وفي البداية كان ينسق المخطط مع عبد السلام الجبلي. ولم يتم التعارف بينهما الا داخل السجن. فالأول كان من رفاق الراشدي في منظمـة **"اليد السوداء"** والثاني من قيادة **"المنظمـة السرية"** وجمعتهما روابط كفاحية الا أن فرق الموت بينهما بعد اعلان الاستقلال.(29)

وتمكن الاثنان من الارتباط بالمختار الطنجاوي المحكوم بالسجن مدى الحياة بسبب ارتكابه جرائم قتل، وكغيره من المجرمين أعطته الادارة مسؤولية الاشراف على مراقبة المعتقلين وقام برسم المفتاح الاصلي الذي كان معه على ورقة وهي التي سلمها بن حمو للمعتقل الألماني الذي صنع على اساسها مفتاحا يمر في جميع الأقفال. (Passe -Partout).

وتم بذل مجهودات إضافية لمعرفة مكان مخزن السلاح والطريق المؤدية إليه وعدد الحراس القائمين عليه، وأوقات الجولات الليلية لفرقة المراقبة ، وبعد أن توفرت كل المعلومات الضرورية بقيت العقبة الكبرى تتمثل في كيفية الوصول الى معرفة **"كلمة السر"** التي تتبدل كل مساء وبدونها يستحيل تجاوز الجدار الأمني والخروج من الأبواب السبعة.

وفي تلك الاثناء التي تضاعفت فيها الجهود لحل اللغز، نُقل عبد السلام الجبلي الى مراكش لاستكمال بحث قضائي بشأن الهجوم بالقنابل على باشا أكادير، وأشرف الفقيه البصري على إتمام تنفيذ المخطط بمشاركة مقاومين آخرين، وانضم اليهم الشريف من حراس السجن، وزودهم بمعلومات مفيدة عن الحراسة والدوريات والسر الخاص بفتح الابواب واغلاقها، وتكلف باخفاء المفتاح المزور تجنبا لاكتشافه من طرف الدوريات التي تفتش الزنازن بين الحين والاخر. وفي النهاية استطاع بن حمو اقناع خادم مغربي يعمل لدى مدير السجن الفرنسي بابلاغه بكلمة السر في الوقت المناسب، وبقي على المقاومين الاتفاق على اليوم والساعة لتنفيذ عملية الفرار، وفي البداية إلتجؤوا الى التحايل واعلنوا الاضراب العام داخل السجن، وتدخلت الإدارة وقبلت فتح الحوار مع ممثلين عنهم لمناقشة المطالب، وكان الهدف الحقيقي هو جمع أكبر عدد من المقاومين في مكان واحد ليسهل تهريبهم خاصة المهددين منهم بأحكام الإعدام.

تقررت ساعة الصفر في منتصف ليلة 30-9-1955. وحينما جاء الحارس الاول المكلف بالمراقبة وجد بانتظاره في الزنزانة بوشعيب "الطنك"، واحمد الصباغ، ورحال المسكيني ومحمد بن الميلودي ، وارتدى المسكيني لباس المراقب

29 - بن حمو أعدمه الحكم سنة 1961، وعبد السلام الجبلي عاش في المنفى عشرين سنة.

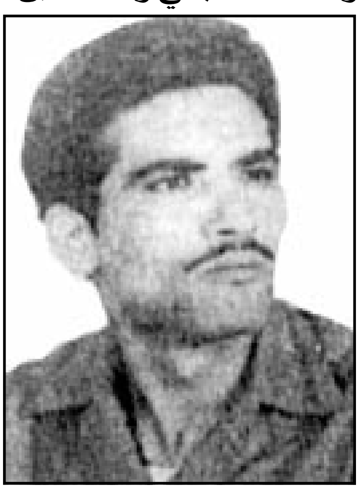
الفرنسي المعتقل ، واستولى على المفاتيح التي كانت معه ، وجاء الحارس الثاني وانقض عليه عبد الله الباعمراني "تيفرغيواضو" العامل القادم من فرنسا للمساهمة في تحرير الوطن . وكاد الحارس الثالث الذي جاء متأخرا جدا أن يضغط على الزر لإعطاء الانذار غير ان المسكيني قهره ومنعه من الصراخ حتى لا يصل صوته الى " الحي الاوربي " الذي يوجد فيه المعتقلون الفرنسيون .واوثق المقاومون الحارس الشريف من أجل التمويه الا انه اضطر تحت التعذيب الى الاعتراف بمشاركته الطوعية في عملية الهروب .

دار المفتاح في الأقفال وخرج المقاومون من الزنازن واستسلمت الأبواب الفولاذية لارادة المكافحين الصابرين ، كانت الساعة تشير الى الرابعة والنصف صباحا ، ولم يجد الفارون في استقبالهم أحدا واعتمدوا على أرجلهم ، وخلال ثلاث ساعات بدأت حملة البحث بمشاركة فرق الجيش ورجال الدرك وقوات التدخل السريع والكلاب المدربة ، وشمل التفتيش كل ناحية الغرب إلى الحدود مع منطقة الاحتلال الإسباني، والقي القبض على ستة من 32مقاوما.(30)

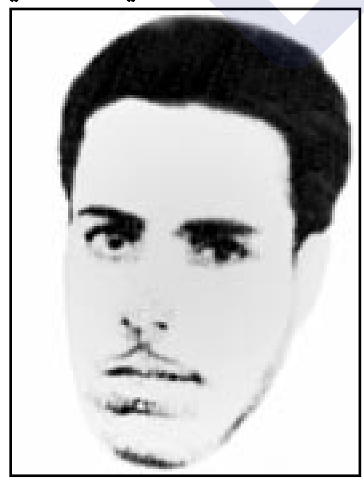
كان من بين الملقى عليه القبض بوشعيب بن احمد المزابي المدعو (الطنك) وهو من أعضاء المقاومة الاوائل بالدار البيضاء، واحمد بن عبد القادر الصباغ المحكوم بالإعدام سنة 1954، ونظرا لمسؤوليتهما في تنظيم عملية الفرار، فقد انتقمت منهما الادارة الاستعمارية بقتلهما في باب السجن بدون محاكمة.

اما المختار الطنجاوي فقد انتحر في زنزانته لأن المقاوم الشاب الذي فتح الزنازن كان من ضحاياه ورفض ان يفتح له.

وأثناء الفرار اتجهت جماعة متركبة من الفقيه البصري ورحال المسكيني ومحمد الغليمي ومحمد بن الميلودي صوب المدينة، وكان المسكيني والغليمي



● بوشعيب بن أحمد المزابي



● أحمد بن عبدالقادر الصباغ

30- Le Petit marocain 1-10-1955.

يتناوبان على حمل الفقيه الذي لم يكن قادرا على مواصلة الجري. (31)واضطر الجميع لحفر قبور في التراب وسط الاعشاب واخفوا فيها اجسادهم الى الحنجرة حيث تركوا رؤوسهم عارية لتجنب الاختناق، وظلوا على تلك الحالة طيلة النهار، وفي ظلام الليل دخلوا الى القنيطرة واتصلوا بمولاي العربي السباعي، تاجر في المواد الغذائية كان يشتري الأسلحة الخفيفة من القاعدة العسكرية الأمريكية بالمدينة لفائدة المقاومة، وأخفى المقاومين في عدة محلات، وفي اليوم التالي حمل الفقيه، متنكرا في لباس امرأة، الى الدار البيضاء التي كان يشرف فيها على العمل المسلح كل من محمد البوعزاوي بن الرداد واحمد الشاوش وعبد الله سفيان والحاج عباس والفقيه الزرهوني والحسين المزابي والحاج البوهالي وغيرهم.

احداث في خريبكة والدار البيضاء

في مدينة خريبكة هرب عدد من المقاومين من السجن يوم 19غشت 1955، غير ان قوات الجيش تمكنت من تطويقهم في مكان بالقرب من دار القائد الضاوي. وعلى الرغم من كونهم لم يكونوا مسلحين، فقد تعرضوا لابادة جماعية لا شيء يبررها. ومن بين الشهداء علال بن الحاج المهدي، مزار بوجمعة، ادريس بن علي، زروقي العربي، احمد بن قدور.

وفي يوم 18نوفمبر 1955وقعت مظاهرات صاخبة في سجن الدار البيضاء على اثر قرار استفزازي لادارة السجن بمنع المعتقلين من تعليق صورة الملك محمد الخامس والاحتفال بعيد العرش. والقى الحراس القنابل الغازية واطلقوا النار على السجناء مما ادى الى مقتل الحافظي محمد بناني من فاس، وبن اسماعيل خليفة من سيدي بنور، وجرح 15معتقلا وكان عددهم داخل السجن يفوق الف وخمسمائة. (32)

ونتج عن انتفاضات المقاومين داخل المعتقلات ازدياد استقالات حراس السجون الفرنسيين من مهامهم بالمؤسسات السجنية، وهذا ما عبرت عنه مذكرة رئيس الأمن العمومي الى مديري السجون:

"... تكاثرت طلبات الاستقالة الصادرة عن عناصر شابة. فهؤلاء لا يمكن ان يغادروا الوظيفة التي اختاروها بمحض إرادتهم بسبب الخوف... وتعد الاستقالات بمثابة فرار ولا تشرف أصحابها. إن الذين يسوقهم الجبن للبحث عن قرار العزل سيرون تبليغ أسمائهم الى السلطات العسكرية قصد تجنيدهم." (33)

31 - حديث مع الفقيه البصري بالدار البيضاء في 17-4-1998.

32 - Le Petit marocain 1-10-1955.

33 - من رئيس مصالح الأمن العمومي الى مديري السجون بتاريخ 7-10-1955، لهلالي م.س.ص 133.

الواقع ان النظام الاستعماري كان قد دخل في مرحلة التفسخ ولم يعد قادرا على الوقوف في وجه الطاقة النضالية الكامنة في صفوف الجماهير الواعية والتي جسدها المقاومون داخل السجون وخارجها بالصمود والاستماتة في سبيل الاستقلال الوطني ومن أجل القضاء على عهد العبودية والهمجية الامبريالية.

الفصل الثاني عشر

المصادفة في العمل المسلح

شهدت فترة الكفاح المسلح في الخمسينات وقوع أحداث غريبة غير متوقعة وشديدة الاستعصاء على التفسير العقلي. ولا يزال المقاومون الذين نجوا من الاعتقال وأحيانا من الموت حائرين بشأنها لأنهم لم يخططوا لها ولم تكن نتائجها في الحسبان.

ونظرا لما يكمن فيها من غرابة وطرافة في ذات الآن، نستعرض أمثلة منها كما سمعناها من أصحابها بدون الخوض في طبيعتها هل هي مصادفة أو حتمية. فاستخلاص الأسباب لن يتأتى باللجوء إلى التفسيرات الغيبية التي يستحيل إثباتها بالتجربة الحسية.

الرشاشة والاستهزاء

محمد بن حمو الشيباني كادح متقدم في السن لعب دورا هاما في نقل الاسلحة على دراجته الهوائية وكان يخفي المسدسات تحت مقعدها. ذات يوم من سنة 1954 أوقفته دورية للشرطة وكان رث الثياب لا تستلفت هيأته الأنظار،فسأله الشرطي الفرنسي :ما هذا الذي تحمله ؟

واعتقد بن حمو أنه وقع في الفخ ، فأجاب بكل بساطة :

– **هذه بندقية !**

فعاد الشرطي يسأله : ماذا تقول ؟ فأجابه ببرودة أعصاب :

– **قلت لك هذه بندقية!**

فقال له الشرطي :

– أتسخر مني أيها الحقير ؟ فركله بعنف قائلا : اذهب من أمامي !

لم يصدق بن حمو ما سمعه ، فانطلق بدراجته ومعه البندقية الملفوفة في قطعة من الثوب.

المقاوم والسبحة

في صيف 1954كان عبد السلام الجبلي يسير في درب الكبير بالدار البيضاء ملتحيا ويرتدي جلبابا على طريقة الفقهاء ويضع في جيبه سبحة غليظة (درقاوية) ويحمل في حزامه مسدسا. وفي طريق ضيق وجد نفسه

مطوقا كغيره من المارة برجال الأمن، وتقدم منه شرطي فرنسي ليفتشه فوقعت يده على السبحة فتوقف عن مواصلة التفتيش مكتفيا بالقول :
– اذهب يافقيه الى حال سبيلك !

قنبلة قاتلة للحشرات

باتفاق مع الزرقطوني ذهب مقاومون إلى ازمور على بعد ثمانين كيلومترا من الدار البيضاء. وفي مقهى يرتاده المعمرون وضع امحمد اداحوس الصغير قنبلة، ومر الوقت المقرر ولم تنفجر بسبب عطب في فتيلها. ودخل مرة اخرى الى المقهى وحملها دون ان يشعر به احد وسلمها لاصدقائه الذين كانوا داخل السيارة وتركهم لشراء حاجة ضرورية، وفي تلك الأثناء احاط بهم ثلاثة حراس بلديين مغاربة، وتقدم رئيسهم متسائلا : ما هذا؟ مشيرا الى القنبلة.
فأجابه أحد المقاومين : **انها قنبلة (فليطوكس) قاتلة الحشرات!**
ابتسم رئيس الحراس وانصرف، وضحك المقاومون وعادوا الى الدار البيضاء فاكهين.

مكتوب علي أن اقتله

بينما كان اداحوس الصغير عائدا للالتحاق برفاقه الذين ينتظرونه اذا به يرى الحراس محيطين بالسيارة، فغير طريقه واتجه نحو واد ام الربيع وطلب من صاحب قارب للصيد ان يحمله الى الضفة الاخرى. وهناك بين ازمور والدار البيضاء وجد سيارة الشحن كبيرة متوقفة على جانب الطريق وبداخلها الفرنسي جيلبير بيوند يغط في نوم عميق، فاطلق عليه ثلاث رصاصات استقرت في رأسه ورمى به خارج الشاحنة. (1)
جلس اداحوس وراء المقود وانطلق بسرعة لابلاغ الزرقطوني بخبر اعتقال الاخوان في ازمور، الا ان مفاجأته كانت كبيرة حينما وجدهم قد سبقوه الى الدار البيضاء.
عثرت الشرطة على شاحنة القتيل في حي بن مسيك ووجدت فيها 233.000فرنك وأعلنت ان دوافع القتل سياسية ولا علاقة لها بالسرقة. (2)
في الستينات سألت اداحوس؛ لماذا قتلت المعمر وتركت المبلغ المالي الكبير؟ فرد قائلا : **إن القدر أراد أن يكون موته على يدي ولم اكن أفكر في تفتيش جيوبه وشاحنته بحثا عن المال.**

---
1 - La Vigie marocaine19-4-1954.
2 - م.ن . Ibid

تصرف طائش لقيادة المقاومة

رجع عبد السلام الجبلي من مهمة في مراكش وخيم بالقرب من ضريح سيدي مسعود بضاحية الدار البيضاء مثل سائر الزوار، وفي صبيحة ذات يوم قرر الزرقطوني مصاحبته الى المدينة. وبدون مبالاة تكدس في السيارة الصغيرة الزرقطوني، عبد السلام الجبلي، الفقيه البصري، امبارك الورداني، الحسين برادة وحسن الاعرج وتجاوزوا العدد الذي يسمح به القانون.

وفي الطريق لم يحترموا الاعراف المعمول بها اثناء مرور موكب جنائزي فرنسي ولم يتوقفوا. فاعترض طريقهم دركيان وفتشا السيارة وعزم احدهما على اخذهم الى ادارة الشرطة غير ان الدركي الثاني تردد لأنه انهى عمله ويريد الذهاب الى منزله. وقررا معاقبة المخالفين لقانون السير بأن يمشي أربعة منهم على الأقدام ويمتطي السيارة اثنان فقط. وكانت العقوبة خفيفة جدا مع ماكان سيحدث لو تم التعرف على هوية قيادة ترمي بنفسها في المخاطر.

اسم مشترك لشخصين مختلفين

كان الزرقطوني يقود سيارة فيها بعض الأسلحة ويجلس بجانبه امبارك الورداني، ووجد امامه حاجزا امنيا بالقرب من شارع 2مارس.

وشاءت المصادفة ان يقف شرطيان واحد من الجهة اليمنى يتصفح بطاقة تعريف الورداني، والثاني على اليسار يحقق في رخصة السياقة التي يحملها الزرقطوني وهي ايضا في اسم الورداني !

فلو كان المحقق شرطيا واحدا لاكتشف بسهولة شخصين مختلفين يحملان اسما واحدا مشتركا.

مقاومان في حماية رجال الدرك

في شهر دجنبر 1953انطلقت من الدار البيضاء في اتجاه مراكش سيارة يسوقها الحسين نكريمي التفراوتي، ويركب في المقعد الخلفي عبد السلام الجبلي مرتديا الحائك واللثام وبيده حقيبة نسوية مليئة بالقنابل اليدوية والمسدسات الموجهة الى جماعة الفطواكي. وفي قنطرة واد ام الربيع استوقفهما دركيان فرنسيان وطلبا من السائق ايصالهما الى مراكش واستسمحاه في ان تجلس السيدة زوجته الى جانبه ويترك لهما المقعد الخلفي.

وهكذا تواصلت الرحلة بدون توقف، وكان وجود الدركيان حماية غير مباشرة للمقاومين الى ان وصلا الى وسط المدينة بسلام.

موت ملاك الموت !

وصل الى الدار البيضاء مناضل مراكشي ليخبر الفقيه البصري وعبد السلام الجبلي بأن جاسوسين قدما من مراكش للبحث عنهما. وكان عبد الله خربوش يسير خلية للمقاومة بالمدينة القديمة بعد لجوء رئيسها عبد السلام اباسطوف الى تطوان، فتكلف بتتبع خطوات الجاسوسين وبينما كان يتجول صحبة المراكشي اذا بالبوليس يلقي عليهما القبض في حملة تفتيش عادية.

فالمراكشي ادلى بعنوان احد اقاربه واطلق سراحه، اما عبد الله خربوش الذي كان يحمل بطاقة تعريف مزورة فقد برر وجوده في المدينة القديمة بكونه كان ذاهبا الى المسبح البلدي. فاخلى الضابط الفرنسي سبيله، الا ان مفتشا للشرطة مغربيا يسمى الريشي ابقاه تلك الليلة في الاعتقال بدعوى انه يكره سكان درب السلطان ولا يريد ان يراهم في المدينة القديمة.

كان الشرطي يعاني من مزاج سوداوي ويتصف بسوء السلوك في القول والفعل. وفي الصباح الباكر دخل على خربوش في الزنزانة ودار بينهما الحوار التالي :

الشرطي : هل سمعت بملاك الموت قابض الارواح ؟

خربوش : نعم.

الشرطي : هل رأيته ؟

خربوش : لا.

الشرطي : انا هو الذي سيزهق روحك يا ابن الزانية !

ثم اشبعه لكما وركلا الى ان اسال دمه. وبعد ذلك خلى سبيله على ان لا يعود الى المدينة القديمة.(3)

مر اسبوع واحد على هذا التصرف العدواني، فأمطر رفاق خربوش رأس الريشي مفتش الشرطة بوابل من الرصاص في ساحة فرنسا. ومات ملاك الموت المزيف قبل ان يقبض ارواح الناس اجمعين.

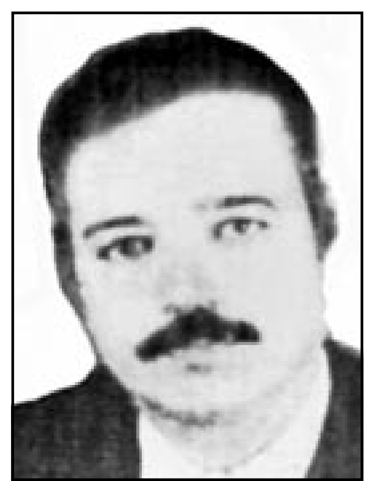
الدقيقة الأخيرة منعت الطعنة القاتلة

بعد هروب المقاومين من سجن القنيطرة يوم 30سبتمبر 1955، قامت قوات الجيش الفرنسي بمطاردة واسعة خلال ساعتين فقط من وقوع عملية الفرار .فقصد المقاوم عبد الفتاح سباطة أرضا زراعية والتقى بفلاحة شابة وصارحها بحقيقته فقامت باخفائه تحت كومة من التبن.

ولما وصل الجنود الى عين المكان شرعوا يضربون بحرابهم في اعماق

3 - حديث مع عبد الله خربوش سفيان في الدار البيضاء بتاريخ 8-7-1990.

التبن ، وكانوا على بعد بضعة أمتار من سباطة الذي اعتقد أن طعنة ستصيبه وهم بالخروج من تحت التبن، وفي تلك اللحظة بالذات انطلقت صفارة الضابط على الثانية عشر زوالا تعلن انتهاء العمل بالنسبة للجنود الذين انسحبوا عائدين الى نقطة انطلاقهم، وبدأت مسيرة جديدة للمقاوم الذي نجا بأعجوبة.



● عبدالفتاح سباطة

غصن الشجرة المنقذ

لم يجد إحد المقاومين الفارين من سجن القنيطرة مخبأ ينجيه من مطاردة الجنود الا في أعلى الشجرة.

ولما مر تحتها الجنود وقف الكلب ينبح بقوة، فرفع الجندي رأسه ليرى من هناك فدخل غصن في عينه واحدث له ألما، فواصل طريقه يجر الكلب بدون ان ينتبه لمن كان فوق الشجرة.

المقدم المقاوم

في مدينة وجدة كان الكشاط منور مقدما ومقاوما منخرطا في خلية فدائية وبطريق الصدفة التقى مقاوما يعرفه في وقت كانت فيه قوات البوليس تطوق الشارع فتسلم منه السلاح واخترق الصفوف وأدلى الى الضابط بورقة تعريفه المهنية قائلا : "انا مكلف بمهمة مستعجلة" !

فسمح له الضابط بالمرور وكان يخفي سلاح المقاوم الذي نجا بدوره من الاعتقال.

انهم رياضيون..!

توقفت سيارة المقاومين عند حاجز أمني في عين السبع بالقرب من الدار البيضاء في بداية سنة 1955. وتأهب المقاومون للدفاع عن أنفسهم، وفي تلك اللحظات الحرجة رأى عباس العبيدي من بين رجال الشرطة صديقا فرنسيا

كان يشارك معه في سباق العدو بالرباط، فنزل من السيارة وصافحه قائلا:
"إنهم أصدقاء رياضيون ذاهبون للمشاركة في سباق للعدو الريفي بالدار البيضاء"!
فما كان من الشرطي الا ان طلب من زملائه إفساح الطريق لتمر سيارة الرياضيين... المقاومين!

هل هو العمى أم الغباء ؟

في حملة تفتيش عادية داهم رجال الشرطة منزل الورداني الذي كان يتلاقى فيه المقاومون بالدار البيضاء، وفتشوا جميع الغرف ولم يعثروا على أي شيء. الا انهم لم يفتحوا الغرفة التي كان يختفي بداخلها محمد بن عمر الداحوس الذي كان أطلق النار على الضابط بوايي حينما أتى لاعتقاله في قضية مطبعة الأطلس.
ومرة أخرى يتوارى التفسير العقلي ويترك المجال للتأويل الغيبي.

دعه يمر...!

وجد المقاوم العربي بلمخنت نفسه محاصرا من طرف الشرطة في درب الكبير بالدار البيضاء. وقف في الصف الى ان اقترب دوره للخضوع الى التفتيش إذا بشرطي فرنسي يناديه :
– أنت تعالى اخرج من هذا الممر !
تقدم وهو يحمل سلة فيها السلاح وبعض الفواكه، فصاح عليه شرطي آخر : **قف !**
فتدخل الشرطي الأول مخاطبا صديقه :
اتركه يمر يا كريستيان !
انطلق المقاوم مسرعا ولم يجد تفسيرا لما حدث له.

الفصل الثالث عشر

مبادرات عفوية لجماهير بدون قيادة

السخرية وسيلة لمحاربة الاستعمار

لكل شعب عاداته وتقاليده واسلوبه الخاص في الدعابة والنكتة الساخرة. لذلك يستعصي أحيانا على المرء فهم بعض جوانب الفكاهة في مجتمع آخر الا اذا كان ملما بلغته وثقافته.

وتزخر المكتبة العربية بالمصنفات القديمة التي تناولت مختلف انواع الفكاهة والنوادر، وبعضها توسع في بحث الفوائد العلاجية للضحك الذي تحدثه النكتة. والتفكه جائز في الأدب الاسلامي الا ما استخف منه بالأخلاق والقيم الدينية. فقد كان أعداء النبي يحاربون دعوته عن طريق الاستهزاء والتنكيت والسخرية : **"إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون."** (1)

وتمثل النكتة مجالا للتنفيس عن المشاكل التي يفرضها الواقع اليومي، وجاء في حديث : **"روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب اذا كلت عميت".**

وكان الرسول يضحك ويداعب. جاءته إمرأة وقالت له : يا رسول الله احملني على بعير. فقال لها : **– بل نحملك على ابن البعير.** قالت ما اصنع به إنه لا يحملني. فقال : **– ما من بعير الا هو إبن بعير.**

واشتهر نعيمان البدري بالمزح والدعابة. أهدى الى النبي جرة عسل وحينما جاء البائع يطلب نعيمان بثمنه، احضره إلى النبي وقال : أعط الرجل ثمن بضاعته. فقال له النبي : **او لم تهد لي؟** فقال : والله لم يكن عندي ثمنه وقد أحببت أن تأكله ! فضحك النبي و أمر لصاحبه بثمنه.

وبالمغرب أدت النكتة الساخرة دورا معينا في الحقل السياسي. ففي الثلاثينات من القرن الماضي التجأ الوطنيون الى تقديم التمثيليات المسرحية ذات اللون الهزلي لتمرير مواقف وافكار سياسية كان يصعب عليهم إيصالها الى الجمهور عن طريق الصحافة. وكانوا يستوحون مواضيعهم من الكتابات الفرنسية وخصوصا من مؤلفات موليير جان بابتيست باكلان (1622-1673م)

---

1 - لمطففين، سورة 83/ آية 29/30.

الهزلية مثل تارتوف التي ترسم أخلاق وسلوك المنافق.

وساهم التهكم في شيوع الأفكار المناوئة للجالية الاستعمارية التي لم يكن لها تجاه المغاربة إلا الكراهية والاحتقار والعنف، وكانت السخرية تعري أنانية الغزاة الذين اعتقدوا انهم لكي يتمتعوا بالخيرات يجب إقصاء أبناء البلد عنها، ولكي ينعموا بالهناء والطمأنينة لابد من تسليط العذاب على الآخرين، بدون أن تحرك أناة المعذبين شعرة واحدة في أجسادهم وتحت ستار الدين جعلوا من الكنائس، يوم الأحد، مكانا يسيؤون فيه الى تعاليم المسيح ويستهزؤون بمريم وينافقون الله في السماء.

فالسخرية سلاح بيد المقهورين لتفريج الغم وأحيانا لمحاولة الهروب من الواقع. واذا كان بعض الذين يصنعون النكت خائفين من المجازفة بأنفسهم فيروجونها من الفم الى الاذن، فهناك أخرون لا يخفون سخريتهم من اذناب الاستعمار. واتذكر طالبا سابقا في كلية بن يوسف يمشي حافي القدمين ويرتدي اثوابا رثة كان ينظم حلقة في ساحة جامع الفناء(2)، تارة يغني أهازيج حزينة وطورا يروي نكتا تهكمية قادحة في النظام العام، وكان المراكشيون يسمونه **"الملك جالوق"**، وفي نفس الساحة كان **"باقشيش"** ينافسه وبحكايات مبتذلة تقوم بدور المنوم للوعي والضمير.

وكثيرا ما استهدف "الملك جالوق" للاعتقال في محكمة الباشا الا انه سرعان ما يطلق سراحه بدعوى أنه مخبول عقليا. وبعد حصول البلاد على الاستقلال جاء الملك محمد الخامس في زيارة الى مراكش واستقبل **"الملك جالوق"** تقديرا للدور الذي قام به في اشاعة النكتة الملتزمة والهادفة.

وخلافا لما اشتهر به المراكشيون من امتلاكهم النكتة الساخرة، فإن الوقائع تؤكد ان سخريتهم تميزت بسمة لاذعة اكثر منها مرحة، وكان التنكيت عندهم وسيلة لتجاوز الشعور بالرعب الذي أرهق حواسهم مدة أربعين سنة في ظل الاقطاعي الباشا الجلاوي.

كان سلاح الهزل إذن رد فعل على سياسة القهر والقساوة التي سلكها الاستعمار، والحقيقة أننا لم نكن نهتم بتدوين النكتة الساخرة لكن بعضها بقي عالقا بالذاكرة خاصة ما تعلق بالسلطان "بن عرفة" الذي جعل منه الجمهور موضوعا للسخرية والاستهزاء.(3)

2 - ساحة توجد في قلب المدينة طولها مائة وخمسين مترا وعرضها حوالي مائة متر، تنتظم فيها يوميا حلقات القصاصين والمهرجين والمغنيين والمصارعين والبهلوانيين والراقصين وغيرهم وكأنهم في مسرح شعبي.

3 - معظم هذه النكت نشرناها في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" بتاريخ 20غشت 1988.

" 1 "

مر امامه خادم يحمل بين يديه دُلاّعة فسأله بن عرفة :
– هل (الدلاحة) ناضجة ؟
– ليتفضل "سيدنا" ويطبعها (يشقها) وسيرى!
فما كان من السلطان إلا أن أخرج طابعه ونفخ فيه، على عادته، وطبع به ظهر الدلاعة.

" 2 "

جلس يوما مستشاره يحدثه عن قيام الضباط الاحرار في مصر بالانقلاب وابعادهم الملك فاروق الى خارج البلاد. فسأله السلطان بن عرفة :
– والعرش لا يزال شاغرا ؟
– نعم سيدي !
فقال : **خابر الضباط الأحرار فهذا إبني ولي العهد مستعد للجلوس مكان الملك فاروق!**

" 3 "

حينما نصب المستعمرون محمد بن عرفة "سلطانا" أجابهم، وكان أميا :
– إنني لا اعرف أن أتكلم في الراديو كما يفعل محمد الخامس.
– حينذاك اقترب منه المقيم العام الجنرال جيوم، وكان يتحدث بالدارجة المغربية :
– شغلك ياسيدي هو الطابع. اخبط به على جميع الأوراق وعيط يا فكاك الواحلين والواحلات.
اصبح الطابع الصغير لا يفارق بن عرفة وكان يضعه في قلنسوة جلبابه مع السبسي والمطوي وعلبة التنفيحة. ولم يكن يكتفي بطبع الظهائر والمراسيم فحسب، بل ويضع "الخاتم" على جميع الأوراق التي يصادفها في طريقه.
وكان لا يصدق عينيه وهو يرى كبار الموظفين الفرنسيين والمغاربة يقبلون الرسائل التي يتسلمونها منه ويحيطونه بهالة من الاحترام الكاذب.
فسأل يوما عن السر في كون تلك الحديدة المستديرة لها القدرة على ادخال الفرح والسرور في النفوس.
فاجابه الحجوي مدير التشريفات :
– هذاك اسيدي هو خاتم الحكمة اللي كان عند سيدنا سليمان عليه السلام !

" 4 "

بعد نزهة طويلة أوقف السائق السيارة أمام أحد المطاعم الأوربية الكائن

بضاحية المدينة، ونزل بن عرفة يتكئ على عكازته ودخل ليجلس في قاعة خاصة بالزبناء الفرنسيين الذين فوجؤوا برؤية **"سلطان الحماية"** يتوسطهم، فصفقوا له تعبيرا عن ترحابهم، وجاء الفرنسي مدير المطعم يهرول، وانحنى امامه، وبلهجة الارستقراطية الباريزية تمنى "لجلالته" امسية ممتعة، ووضع امامه على المائدة لائحة الأكل Menu ليختار ما يروقه من الطبخ الفرنسي.

لم يفهم بن عرفة أي شيء مما سمعه، وكان جاهلا بالقراءة ولا يعرف الواو من عصا الطبال، واعتقد ان النصراني الواقف امامه يستعطفه ويطلب حاجة لنفسه، وبدون تردد اخرج الطابع ونفخ فيه ثم خبط به على لائحة الأكل وقال لمدير المطعم :

– خذ... سير... فان حاجتك مقضية باذن الله !

" 5 "

بعد اسبوعين من تنصيبه "سلطانا" وضع المستعمرون بن عرفة على ظهر حصان ابيض وساقوه الى مسجد الرباط، بعد ان احضروا ممثلي الصحافة العالمية ليشاهدوا "أمير المؤمنين الجديد" غير ان البطل علال بن عبد الله هاجم بسيارته القديمة الموكب الرسمي واسقط بن عرفة على الارض وكاد ان يقضي عليه بواسطة خنجر لولا تدخل الشرطة. ولم تقم صلاة الجمعة.

وفي 5مارس 1954جند الباشا الجلاوي مآت الحراس ونشر الفرنسيون قواتهم في مدينة مراكش، وحزموا بن عرفة ورزموه، ووضعوه تحت حراسة مشددة داخل مسجد بريمة القريب من القصر، الا ان المقاوم احمد أقلا القى عليه قنبلة يدوية اصابته بجراح في وجهه. ولم تقم صلاة الجمعة.

يئس بن عرفة من جدوى الحراسة واستشار العارفين بخبايا السحر والجن والعفاريت، فنصحه احد الشوافين بان لا يخرج من قصره الا بعد ان يسمع بأن البغلة ولدت. وهذه حالة نادرة لا تحدث، حسب معتقدات الفلاحين، سوى مرة على راس كل خمسين سنة.

فاعتكف بن عرفة داخل القصر ورفض جميع العروض التي قدمتها له الإدارة الفرنسية. وفي محاولة لإقناعه بالخروج من طرف الخونة، وقعت بينه وبين الباشا الجلاوي مناقشة حادة. فصاح بن عرفة :

– والله ما بقي نخرج حتى تولد البغلة.

فأجابه الباشا الجلاوي :

– والله حتى تخرج ولو طارت معزى !

"6 "

انقطع بن عرفة عن العالم الخارجي بسبب خوفه من ضربات الفدائيين، واصبح مستهدفا لنوبات عصبية ولم يعد يؤثر فيه لا تدخين الكيف ولا اكل المعجون، واشتكى للطبيب من قلة النوم وبرودة النفس. فتحايل عليه الطبيب

باتفاق مع السلطة الفرنسية، وأمره بتناول جرعة من محلول الأعشاب ست مرات في اليوم، ولم يكن الدواء الموصوف سوى المشروب الكحولي المعروف باسم الباستيس.

وكان مدير التشريفات ينظم سهرات راقصة في احد اجنحة القصر مما كان يمكن بن عرفة من القاء نظرة من خلال نافذة غرفته ويتمتع برؤية حسنوات فرنسيات اثناء استعراض مفاتنهن في رقصات (ستريب تيز) عارية.

وبعد ذلك عاد الطبيب ووصف له مشروب "البينيديكتين" ومفعوله اشد من "الدواء" الأول، واصبح بن عرفة يشعر بالنشوة، وبدا يكشر عن أنيابه في قهقهات عالية، وتخلى نهائيا عن تدخين الكيف وشم التنفيحة، واضحت مائدته تحتوي على مجموعة من الزجاجات المختلفة الألوان والأشكال. وفي مدة وجيزة شرب منها ما فاته في سالف عمره.

وفي أحد الأيام جاء وفد الخونة لزيارته وفي مقدمته الباشا الجلاوي والشيخ عبد الحي الكتاني. وفيما كانوا جالسين في قاعة الانتظار، اقبل عليهم الحجوي مدير التشريفات يعتذر قائلا :

–ان سيدنا مشغول.. ان سيدنا يضرب الطاسة مع مدام زاكار !

فصاح الشيخ عبد الحي الكتاني :

–اتركوا سيدنا على حاله، لا تزعجوا سيدنا فقد تحسنت اخلاقه !

" 7 "

من بين الأساطير التي صنعتها مخيلة الجماهير وتناولتها الألسن في سنوات الاستعمار الحالكة، تلك التي أظهرت الملك محمد الخامس وهو يقف على سطح القمر مباشرة بعد نفيه إلى كورسيكا.

فهناك من تخيله ممتطيا لجواد ابيض، وبعضهم رآه واقفا تحيط به الأميرات والأمراء، وقليلون شاهدوه وهو يتمشق سيف الله المسلول !

وطيلة شهر كامل كان على القوات الفرنسية ان تقوم كل مساء باطلاق الرصاص لتفريق مآت المتظاهرين المجتمعين فوق سطوح المنازل، ويتصايحون وسط زغاريد النساء :

– راه سيدنا بن يوسف ! شفتيه ؟ راه... راه... راه...

ولم تبق في المغرب مدينة ولا قرية لم يشاهد سكانها بن يوسف علي سطح القمر. وكان العامل الأساسي في انتشار رؤية اليقظة تلك، هي الكراهية الشديدة والحقد الدفين الذي كان يكنه الشعب للاستعمار وعملائه.

وأمام اشتداد المقاومة واضطرار الاستعمار الجديد لفتح المفاوضات قررت الحكومة الفرنسية إبعاد بن عرفة يوم 30اكتوبر 1955. وفي انتظار السيارة التي ستقله إلى طنجة، جرى بينه وبين زوجته الحوار التالي :

بن عرفة : – هل تتذكرين يوم أبعد الفرنسيون ابن عمي محمد الخامس الى كورسيكا، كيف رآه الشعب على سطح القمر ؟

الزوجة : – **نعم هذا صحيح.**
بن عرفة : – لقد أتى دوري وسيبعدوني غدا عن العرش، تُرى أين سيراني الشعب ؟
الزوجة : – **سيراك الشعب، يا وجه النحس، في قاع جهنم.**



الجماهير الواعية والحشود العائمة

أكدت تجربة الكفاح الوطني ضد الاستعمار انقسام المجتمع إلى طبقات وفيئات لكل منها مواقفها وأهدافها التي تتحكم فيها عوامل سياسية مادية وذاتية ومن تم لا يجب الحديث عن "**الشعب**" بشكل مطلق. لأن مفهومه يتبدل حسب الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها. فالتناقض كان قائما داخل الشعب حيث انضمت الفيئات الواعية إلى النضال من أجل الاستقلال، ووقفت فيئات من المثقفين، والموظفين وكبار التجار والملاكين العقاريين في صف قوات الاحتلال، وسلكت فيئات أخرى طريق اللامبالاة والانكماش طلبا للسلامة.

ومن الفقراء جند المستعمرون عشرات الآلاف في الجيش والمآت في الشرطة السرية والعلنية لتسليط القمع على الأوفياء لقضية الحرية. وبهدف التغليط وتزوير التاريخ تدعي الكتابات الرسمية بأن معركة الاستقلال شارك فيها "**الشعب قاطبة**".

كما لا ينبغي استعمال كلمة "**الجماهير**" بشكل مطلق. فهناك الجماهير الواعية المستعدة للتضحية ومن صفوفها يبرز الثوار، وهناك الحشود العائمة التي تستغل السلطة، الاستعمارية أو الوطنية الرجعية، بؤسها وجهلها لتسخيرها في محاربة حركة التحرر. ورغم أنها تعادي التقدم وتقف ضد مصلحتها بسبب تدني وعيها، فلا يجوز احتقارها والاستهزاء بها، بل يجب فهم أوضاعها وبحث مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية لساعدتها على التخلص من القيود السياسية والفكرية التي تكبلها.

في سنة 1953أثناء انفجار الأزمة السياسية كان عدد سكان المدن لا يتجاوز مليونين وربع المليون، واستبد الهلع والحيرة بالجزء الأكبر منهم ومكثوا على الهامش يراقبون ما يجري حولهم. وترشدنا الوقائع الملموسة الى ان رد الفعل على المؤامرة الاستعمارية اتخذ، اكثر واقل، شكل مظاهرات عنيفة في مدن قليلة هي مراكش، وجدة، الرباط، الدار البيضاء ومكناس.

فكم بلغ عدد المشاركين في تلك المظاهرات الاحتجاجية ؟ حوالي الفين بمراكش وخمسة الآف بوجدة. (4) وكان عدد سكان المدينتين يقارب مائتي ألف نسمة لكل منهما.

وفي الدار إلبيضاء التي تجاوز سكانها حينئذ سبعمائة ألف، فقد خرج إلى الشارع حوالي ألف وخمسمائة متظاهر في درب السلطان وثلاثة آلاف في المدينة القديمة حسب رواية أحد المنظمين. (5)

4 - حديث مع محمد تنوتي، بتاريخ 17غشت 1998. الشرطة قدرت عددهم بألفي متظاهر.

5 - شهادة امحمد الظاهر الذي القى كلمة في المصلين بالمسجد في المدينة القديمة.

وظل سكان البادية الذين فاق عددهم ستة ملايين صامتين وهم الذين حملوا السلاح في وجه الغزو الأجنبي مدة ربع قرن ولم يستسلموا في بعض المناطق إلا في عام 1935. لقد كانوا خاضعين لمراقبة صارمة من طرف الحكام المحليين المتواطئين مع الاستعمار، يسحقهم الفقر إذ كان نصفهم عاطلين عن العمل، وستون ألف منهم فقط يعملون بشكل موسمي في مزارع المعمرين ويتقاضون مائة فرنك في اليوم وهي أجرة هزيلة قلما تصل إلى ضعفها في وقت الحصاد. (6)

وبقيت البادية معزولة عن المدن وبعيدة عن كل نشاط سياسي تعاني من سوء التغذية والأمراض ويطغى على سكانها الجهل وتفشي الأمية التي كانت شبه عامة.

في حين كان نصف مليون فرنسي يقررون مصير تسعة ملايين من المغاربة، يستغلون ثروات البلاد ولهم الأراضي الخصبة والمعامل والتجارة الداخلية والخارجية وتحت تصرفهم المدارس والمستشفيات والسكنى والماء والكهرباء، وقاعات السينما والنوادي والمقاهي والمسارح والشواطئ والمسابح،وبلغ الدخل السنوي للفرنسي 590,000 فرنك بينما لم يتجاوز دخل المغربي، إذا وجد عملا، 31.000فرنك أي أنه يقل بحوالي عشرين مرة عن دخل الأوربي. (7)

كانت إذن الشروط الموضوعية متوفرة للقيام بالفعل الثوري لكن الشروط الذاتية لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الانتقال من المواقف السلبية إلى المقاومة الفعلية، ووجدت الطليعة صعوبة في تنظيم الخلايا السرية وتعثر انطلاق العمل المسلح في عدة مدن نظرا لصعوبة إيجاد المرشحين الجريئين.

ففي مدينة مراكش تأسست عدة خلايا في الفترة الممتدة من يناير إلى غشت 1953، إلا أنها لم تقم بأي عمل لأسباب ذاتية أكثر من تنظيمية. فالمرشح كان يكلف، على سبيل التجربة، بعمل فيه بعض المخاطرة، فيفضل عدم العودة نهائيا إلى الموعد اللاحق، وأدت الاستجابة السلبية للمشاركة في العمل المباشر إلى تفكك معظم تلك الخلايا. (8)

وتطلب تكوين جماعة الفطواكي خمسة أشهر من البحث الدؤوب عن العناصر المنفذة التي قامت بأول عملية مسلحة يوم 5 فبراير 1954.

وحينما اكتشفت بعد ستة أشهر في يوم 2غشت 1954توقف كل نشاط للمقاومة بمراكش طيلة ثمانية أشهر، واضطرت المنظمة السرية إلى إرسال أحمد بن الحسن وعمر الفرشي من الدار البيضاء ليقوما بهجوم على الحاج يدر مستشار الباشا الجلاوي يوم 4أبريل 1955.

A. Ayache le Maroc, op. cit. P. 165. - 6
Histoire du Maroc, op-cit. P. 370. - 7
8 - مقابلة مع عبد السلام الجبلي بمراكش في 14-4-1988.

وتكررت نفس التجربة بمدينة فاس بعد اعتقال جماعة بن الراضي السلاوي في آخر دجنبر 1953. فقد خيم الهدوء على المدينة واحتفلت الصحافة الاستعمارية بما سمته القضاء على "الإرهابيين" وكان على الزرقطوني ان ينزل بكل ثقله في المعركة وسافر ثلاث مرات الى فاس وتمكن بمساعدة رفاقه من تنظيم خلية برآسة عبد الله الشفشاوني في ابريل 1954، ولم يستغرق كفاحها أكثر من شهرين.

وهذان المثالان ينطبقان على المدن التي ظلت هادئة مما جعل قيادة المقاومة ترسل إليها متطوعين للقيام بعمليات مسلحة كما حدث في اكادير والجديدة ومكناس وأسفي وبني ملال وغيرها.

في بداية المقاومة كانت الخلايا السرية تضم مناضلين مخلصين لكنهم في العمل المباشر مترددون وكان الكثيرون منهم يفتقدون الى الجراة في تنفيذ القرارات الصعبة. فالجراة خصلة ذاتية لابد من توفرها في كل من يسعى الى منازلة العدو، وفتورها يجر الى التقاعس واحيانا الى الجبن. وهذه الظاهرة سادت المرحلة الأولى من الكفاح المسلح وكانت اسبابها تعود الى عوامل تاريخية وثقافية واجتماعية يمكن اجمالها في نقطتين :

1- العامل التاريخي تجسد في خضوع أجيال متتابعة لضراوة القمع السلطوي والمجتمعي والعائلي. فالملكية نشأت في المغرب مع مجيء ادريس الأول من المشرق سنة 788م أي قبل تأسيسها بفرنسا في عهد شارل لوشوف عام 843م. واستمرت السلالات السبعة المتعاقبة على الحكم طيلة اثني عشر قرنا في ممارسة حكم مطلق في مجتمع متخلف هيمن عليه الاقتصاد الطبيعي واتسم بالتجزئة الإقطاعية في بعض المناطق وبالتمزق القبلي في معظم الجهات، وقامت العلاقات بين الحكام والمحكومين على أساس القمع والخوف والعنف المتبادل. وأنتجت لغة الأمر والطاعة تراكما تاريخيا وفكريا أدخل في اللاوعي الجماعي شخص الملك بصفته **"رمز وحدة المغرب ودليل ماضيه"**.(9)

وجاء الاستعمار في بداية القرن الماضي وأعاد تركيب أنماط الحكم المطلق بأساليب استبدادية جديدة. وباسم الملك سحق المقاومة الشعبية في البوادي والمناطق الجبلية، وسلط كابوس الرعب على سكان الحواضر وحال دون مرور المجتمع إلى نظام الملكية الدستورية وركز في الأذهان المقولة المتداولة لدى العامة **"المخزن لا يغلب"**، بمعنى ان الاستسلام لإرادة السلطة قدر محتوم.

2- العامل الثقافي مثله فكر الاستسلام الذي دأبت البورجوازية الوطنية على إشاعته منذ انتظامها في **"كتلة العمل الوطني"** عام 1934، وروجته في أوساط المجتمع تحت غطاء العمل السلمي. وعبر زعيمها الفاسي عن رغبته في نشوء **"جيل جديد متشبع بروح المقاومة السلمية التي لا تعطي السلاح المقام**

9 - الفاسي، الحركات م.س. ص 199

الأول في كل معركة." (10)

وكتب قطبها الآخر الوزاني سنة 1945 إلى أعضاء حزبه : "**...اعني بالعمل الصحيح للجدي انتفاضة معنوية وسياسية من الأمة لا ثورة مسلحة ولا فتنة داخلية."** (11)

وفي غشت 1953 قام عبد القادر بنجلون بزيارة الى بونيفاس رئيس ناحية الدار البيضاء واكد له ان حزب الشورى والاستقلال ضد العنف ويعتقد صادقا ان كل اهراق للدماء سيقع تجنبه. (12)

ولما القي القبض على خلية للمقاومة في المحمدية واعترف أعضاؤها بانتماءهم الى حزب الشورى والاستقلال، إصدر الحزب تكذيبا ينفي فيه كل علاقة له من قريب او بعيد بأعمال العنف واكد انه كان وسيظل حزبا سياسيا يعمل بوسائل سلمية لحل المشكل المغربي الفرنسي. (13)

وفي نيويورك نسب احمد بلا فريج "**أعمال الارهاب**" الى عناصر غير مسؤولة. (14) وهو الذي رفض ان تكون له اية علاقة بالمقاومة بعد ان فاتحة في الموضوع باسبانيا عبد الكبير بن المهدي الفاسي وعبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي مباشرة بعد نفي الملك محمد الخامس، وعاد الاثنان مصدومين من موقف الأمين العام لحزب الاستقلال الذي ترك في نفسهما شعورا حادا بالمرارة والاحباط. (15)

وكرست مواقف المحترفين السياسيين الخنوع وتركت أثرا عميق الجذور في النفوس، وبذل المقاومون الأوائل تضحيات جبارة ودفعوا احيانا الثمن من حياتهم بهدف إيقاظ الضمائر وإخراج المناضلين من الإنتظارية، وكانت تصفيات الجواسيس والعملاء جسديا بمثابة أسلوب جديد لمساعدة القطاع الأكثر وعيا في المجتمع على التخلص من حالة الحيرة والخوف والانخراط في الفعل الثوري واستعادة الثقة بالنفس لمواجهة طغيان الاستعمار.

وفي ظرف عام كامل من التضحيات استطاعت الطليعة الثورية ان تكسب تعاطف وتضامن الكادحين من مختلف الفيئات الاجتماعية وتصاعدت حركات الاحتجاجات والإضرابات بالمدن وشعرت الإدارة الفرنسية بالميولات الإيجابية للسكان نحو المقاومة، فاقدم المقيم العام الجنرال كيوم على اتخاذ قرارات عقابية ضد صغار التجار الذين لا يقدمون الإسعاف للعملاء الذين يسقطون امام متاجرهم وفي الأسواق برصاص الفدائيين، ويمتنعون عن الادلاء بالمعلومات للشرطة ويستجيبون لدعوات القيام بالاضرابات السياسية.

10 - ن.م.ص 127

11 - محمد بلحسن الوزاني، حياة وجهاد ج 6 ص 207. (1986)

12- Rézette, les partis ...op. cit.p 231.

13 - نص البلاغ في: La Vigie marocaine 6-4-1954

14 - Julien, Le Maroc, P. 338.

15 - مقابلة مع الغالي العراقي في الدار البيضاء بتاريخ 16-7-1990.

ففي شهر يناير 1954 اعلنت الصحف عن صدور حكم بسنتين سجنا ومائتي ألف فرنك غرامة في حق ستة أشخاص أغلبهم تجار صغار بمدينة الرباط بتهمة عدم تقديم المساعدة لجاسوس قتله المقاومون.
وبنفس المدينة اغلقت السلطة جميع الدكاكين الكائنة في المكان الذي قتل فيه عميل وذلك بدعوى عدم تقديم المساعدة لإلقاء القبض على المقاوم. (16)
وفي الدار البيضاء صدر حكم بالسجن سنتين على تسعة من صغار التجار لعدم إسعافهم مقدم الحي الذي سقط قتيلا بالقرب من حوانيتهم .
وفي 6 مارس من نفس السنة حكم على ستة تجار بتسعة أشهر سجنا وأغلقت محلاتهم التجارية عقابا لهم على عدم تقديم العلاج لأمين البقالة إثر اصابته برصاص المقاومين.
وفي 7 ابريل أقدمت الشرطة بالدار البيضاء على اغلاق جميع المتاجر الموجودة في شارع السويس (الفداء حاليا) لمدة اسبوع عقابا لأصحابها على عدم تقديم المساعدة لدورية من الشرطة أوقعها في كمين المقاومون ابراهيم فردوس، وامحمد الداحوس، ومبارك منار يوم 4-4-1954.
وبمدينة فاس اغلقت السلطة متاجر التجار الذين رفضوا تعليق لوحات اشهارية للتبغ الذي كانت تشمله المقاطعة. (17)
وعجزت عقوبات مماثلة في مختلف المدن عن جر المواطنين الى معاداة المقاومة فبادرت السلطة الي القيام باجراءات زجرية ضد السكان في الدار البيضاء ومراكش وفاس.
ففي يوم 16 ابريل 1954 انتشر في شوارع وأحياء الدار البيضاء اكثر من عشرة الآف من فقراء الفلاحين استقدموا من عدة جهات ، وكان يقودهم كل من المكي باشا ازمور ، والقائد العربي بن البصير من خريبكة ، والقائد محمد بن عمر من ناحية بنسليمان، والقائد محمد أمهروق من خنيفرة.
وتم تقسيم المدينة الى عشر مقاطعات وتضاعف عدد المقدمين من مائة الى مائتين. (18)
وكان البدو المجندون يقومون بتفتيش المارة في الطرقات لمنع المقاومين من التحرك بحرية، ويتقاضون الف فرنك في اليوم من ضرائب سكان المدينة، غير انهم لم يعودوا يقنعون بتلك الاجرة الكبيرة، وصاروا ينهبون المواطنين ويستولون على أموالهم وساعاتهم اليدوية ويتوغلون داخل البيوت بدعوى البحث عن السلاح ويسرقون ويعتدون على الاعراض. ووصف أحد كبار الموظفين الفرنسيين الشطط الذي قام به الاعراب بانه يتجاوز كل ما يمكن تصوره. (19)
واكتظت طرقات مراكش بازيد من خمسة الآف قروي كلهم من القبائل

16 - جريدة "السعادة" 11-2-1954

17 - La Vigie marocaine 19-5-1954.
18 - La Vigie marocaine 17-4-1954
19 - Julien, Le Maroc, p op. cit. p. 346



● فلاحون جندهم الباشا الكلاوي لمحاربة المقاومة بمراكش

التابعة للباشا الجلاوي ، وقاموا بدورهم بتفتيش المارة وسرقة أموالهم وهتك الاعراض .

وأحاط بمدينة فاس يوم 4-5-1954 آلاف الفلاحين في انتظار الاوامر للدخول اليها واستباحتها كما حصل في الدار البيضاء ومراكش ، الا ان اصوات الاحتجاج المتعالية حتى من أوساط الجالية الاوربية اضطرت الجنيرال كيوم الى القاء خطاب في الاذاعة باللهجة المغربية الدارجة قال فيه ان البدو جاءوا للقيام بمهمة نبيلة ومطاردة "القتلة" وانه لم يكن في حاجة الى الاتيان بهم لو تعاون السكان مع الشرطة للتبليغ أو المساعدة على القاء القبض عليهم.(20)

وواصل المقاومون نشاطهم وشنوا في الدار البيضاء هجومات جريئة بالقنابل اليدوية على تجمعات الحراس المجندين وقتلوا احد رؤساءهم، واستبدلت الحكومة الفرنسية الجنرال كيوم، واعادت الحشود العائمة الى مسقط رأسها، وتابع الفدائيون كفاحهم الذي اتسع نطاقه بفضل التحاق الشرائح الأكثر وعيا في المجتمع بقافلة التحرير. وشهد صيف 1954 هيجانا شعبيا في بعض المدن ينذر بتحول مرتقب في كفاحية الجماهير.

بعد زيارة رئيس الحكومة مانديس فرانس تونس والاعتراف لها بالاستقلال الداخلي في يوليوز 1954، راجت شائعات بمدينة فاس يوم فاتح غشت تقول أن الملك محمد الخامس سيصل على متن طائرة جعلها الرئيس

20 - La Vigie marocaine 14-5-1954

الفرنسي رهن إشارته، فامتلأت الشوارع واشرأبت الاعناق الى السماء تترقب ظهور الطائرة ألوهمية.(21)
غير ان القوات الفرنسية اطلقت الرصاص على الحشود المبتهجة وقتلت خمسة أشخاص وجرحت خمسة وعشرين. وفي اليوم الموالي نظم الطلبة مظاهرة صاخبة واجهتها فرقة من اللفيف الأجنبي باطلاق النار وسقط قتلى وجرحى، واستمرت المظاهرات الاحتجاجية بشكل شبه يومي ولم تتوقف الا في منتصف الشهر بعد تطويق المدينة والقاء القبض على حوالي مائتي شخص.(22)
وفي مدينة سيدي قاسم اندلعت يوم 3غشت مظاهرات دامية قتل خلالها أربعة تجار يهود واحد عشر متظاهرا وخلفت ثلاثين جريحا.
وفي يوم 4غشت قضى المتظاهرون في مدينة القنيطرة على ثمانية فرنسيين وخمسة يهود مغاربة، وتدخلت قوات الجيش وقتلت 129مغربيا بدون اولئك الذين حملهم اخوانهم ودفنوهم سريا. (23)
وبمدينة سلا خرجت مظاهرة سلمية تتكون من النساء والاطفال فقط، فقابلتها الشرطة الفرنسية باطلاق النار وسقط في الميدان اربع نساء وطفل قتلى واصيب عدد آخر بجراح.
وبعد مرور شهرين على تلك الاحداث شرعت الرأسمالية الفرنسية الكبيرة في الضغط على الحكومة الفرنسية لتغيير الخط السياسي المتشدد وتهيئ الأرضية الملائمة لنهج سياسة الاستعمار الجديد القاضية بالاعتراف بالاستقلال الشكلي والإبقاء على التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية. في حين تحالفت البورجوازية الفرنسية الصغيرة والموظفون والمعمرون والعسكريون لافشال كل سياسة تهدد مصالحهم، ولجؤوا الى مضاعفة العنف معلنين رفضهم التخلي عن **"المغرب الفرنسي"**.(24)
وأدى انفجار قنبلة يوم 14يوليوز 1955بمقهى مرس السلطان بالدار البيضاء الى نشوب اضطرابات عنيفة وقيام قطعان المستوطنين الفرنسيين والاسبانيين والبرتغاليين والايطاليين باجتياح شوارع المدينة وقتلوا عددا من المغاربة واحرقوا سياراتهم ونهبوا املاكهم في غياب قوات الامن التي شجع بعض رؤسائها الفتنة واطلقوا النار على المغاربة.(25)
وفي اليوم الموالي، 15يوليوز، دعت المنظمة الإرهابية الفرنسية (أودات O.D.A..T.) الأوربيين للإنتقام من المغاربة ونزل الالاف منهم الى الشوارع لاقتراف الجرائم بمساعدة أعضاء الشرطة وسقطت اعداد أخرى من المغاربة لا فرق بين الأطفال والنساء والرجال، واضطر المقيم العام كرانفال الى فرض

21 - Julien, Le Maroc, P. 369
22 - Ibid,
23 - Ibid, P. 369.
24 - Paul pascon, Le Hauz de Marrakech. T. 2, P. 605, Rabat 1983.
25 - Gilbert Grandval, ma mission au Maroc, Plon, Paris, 1956, P. 75.

منع التجول ابتداء من التاسعة ليلا.(26)
ونظم المغاربة مظاهرات مضادة انطلاقا من المدينة القديمة وحطموا مخازن القطن والسكر وقتلوا معمرا كان على متن سيارته، واتجهوا نحو الحي الأوربي فاطلقت عليهم الدبابات نيرانها وسقط في بعض ثوان 32قتيلا.(27)
واستمرت المواجهات يوم 17يوليوز حيث انتظمت مظاهرة ضخمة بالقرب من المعرض الدولي في اتجاه شارع بوردو وكان يتقدمها مقاومون يحملون المسدسات والقنابل اليدوية، ووقع تبادل لاطلاق النار مع القوات الفرنسية وسقط حوالي ستين مغربيا برصاص الدرك الفرنسيين. وكانت الجماهير الغفيرة ان تطوق دورية فرنسية غير ان نجدة "الكوم" المغاربة اغاثتها واستعملت المدافع الرشاشة واطلاق الرصاص الكثيف على المتظاهرين وقتلت العشرات منهم.
وقدرت احصائية رسمية عدد الضحايا خلال ثلاثة أيام من الاضطرابات بـ 55قتيلا مغربيا و 218جريحا، والقاء القبض على 150آخرين. وفي الجانب الفرنسي قتل 11و 88جريحا ولم يلق القبض على اي اوربي. وعلق المقيم العام الفرنسي على الاحصائية بقوله : **"إن عدد الضحايا المغاربة المعلن عنه أقل بكثير من الرقم الحقيقي"**.(28)
وفي خضم تلك الاحداث الدامية طرأت واقعة لا يجب إغفالها في أي تحليل يستهدف معرفة حقيقة الأفكار السائدة آنذاك وسط الجماهير، فقد هاجم المستوطنون الاوربيون المتاجر ومخازن البضائع الكائنة في شارع ستراسبورغ بدرب عمر وفي طريق مديونة لأنهم اعتبروها ملكا للبورجوازية المتعاطفة مع الحركة الوطنية. وكانت ثروة مائتين من كبار التجار المغاربة تقدر عام 1954 بأكثر من 700 مليار فرنك، أي اقل بقليل من نصف مجموع الاستثمارات الخاصة المنجزة بالمغرب منذ توقيع معاهدة الحماية سنة 1912الى اعلان الاستقلال عام 1956.(29)
ومن اجل حماية تلك الثروة الفاحشة من النهب والاتلاف على يد المعتدين الأوروبيين، هبت الجماهير الفقيرة يوم 16يوليوز وكتبت صفحة من التاريخ لكن خارج الوعي التاريخي بذاتها وسكبت دماءها دفاعا عن مصالح التجار والمرابين معتقدة أنها تموت في سبيل مصلحة الوطن.
فالوعي بشيء اسمه التناقض الاجتماعي بين الاغنياء والفقراء لم يكن مطروحا، لأن الحركة السياسية البورجوازية لم تكن لها مصلحة في ان يتطور وعي الجماهير وتخرج عن وصايتها الفكرية، ومن تم كان تركيزها على

26 - Ibid, P. 74
27 - Maroc Presse 18-7-1955
28 - 2- G. Grandval, op. cit. P. 80
29 - BERRADA Moh. Ghali, l'Entrepreneur marocain, une élite de transition, thèse de Sciences Economiques, Bordeaux, 1968, P. 77, In (Alasas, Dossier No 3, Etudes économiques sur le Maroc, Casablanca 1985, P. 31

الصراع الوطني ضد الاستعمار وحده، وبذلك طمست الصراع الاجتماعي واستنجدت وقت الخطر بروح الأخوة والقيم الدينية وتقاليد الحمية والغيرة والنخوة التي تطبع عقلية الجماهير.

وتتابعت مظاهرات الشوارع التي ترجمت تحولا ملحوظا في اندفاعة الجماهير. فأثناء زيارة المقيم العام كرانفال لمدينة مراكش يوم 20 يوليوز جند أعوان الباشا نساء الأحياء الفقيرة لحمل العرائس بلباس مغربي على طول الطريق التي يمر منها الموكب الرسمي وترديد الأغاني والضرب على البندير، غير ان المتظاهرين الشباب وقفوا خلف الصفوف وهتفوا بحياة الملك محمد الخامس والمقيم العام كرانفال، وكما هي عادتها أطلقت الشرطة الرصاص على المظاهرة السلمية وقتلت ستة اشخاص وجرحت أكثر من عشرين. (30) وعند رجوعه الى قصره صادف الباشا الجلاوي متظاهرين في طريقه وبمجرد ما راى احد مساعدي العقيد الفرنسي المرافق له يشهر مسدسه انتابه الخوف فسارع الى اطلاق النار عليه.(31)

وفي يوم 25 يوليوز قصد المقيم العام مدينة مكناس، فاستقبلته جماهير



● مظاهرة الشباب في مكناس تطالب بإستقلال

غفيرة ترحب به وتهتف باسم الملك المنفي، فقامت الشرطة بتصويب بنادقها الى صدور المتظاهرين وقتلت 17 شخصا وجرحت 50 وكان الهدف هو عرقلة زيارة المقيم العام كرانفال الذي اتى مبشرا بحل سلمي يرفضه غلاة الاستعمار.

وحتى لا يتكرر ما وقع في مراكش ومكناس ألغى المقيم العام زيارته الى

30 - G. Grandval, ma mission, P. 91.
31 - Ibid, P. 110.



● شهداء بمكناس عام 1955

فـاس. لكن المظاهرات الشـعـبية تجـددت يوم 29 يوليـوز بمناسـبـة عـيد الأضحى وسقط شهداء آخـرون فـي مكناس وزرهون ومـراكش والدار البيضاء وامتدت في شهر غـشت الى اغلب المدن والـى بعض المنـاطق في البادية.

وهكذا اندلعت يوم 19غشت بمدينة خنيفـرة مظاهرات أحـرق خـلالهـا المتظاهرون الغاضبون متاجر الفرنـسيين وقطعوا اسلاك الهاتف وطوقوا مركز الشرطة، وتدخل الطيران الحربي لقصف الفرسان الذين كانوا يهمون بالدخول الى المدينة، وأطلقت المدفعية قنابلها علـى المواطنين العزل، ولم تـتمكن قـوات الجـيش من السيطرة على الوضع إلا في يوم 21غشت بعـد أن خلفت وراءها عشرات القتلى والجرحى.

وفي ابي الجعد اسفرت مظاهرة عن مـقتل 6مغـاربة وجرح 10. وعلى بعد 22 كلم منها نشبت فـي وادي زم، التي كان يقطنها 800 فرنسي معظمهم من المعمرين، اضطرابات عنيفة لعبت فيها دورا اساسيا قبيلة السماعلة، حيث تمكن فرسـانها المسلحون ببنادق الصـيد من الدخول الى مركـز المدينة، وسيطر المتظاهرون على الحـي الأوربي وخربـوا المؤسسات الفرنسـيـة وقـتلوا كل من وجدوه امامهم حتى المرضى في المستشـفى، واسفرت الحوادث المختلفة عن قتل 49فرنسيا. (32)

ووصلت تعـزيزات أمنية مـن الدار البـيضـاء وشـرعت في إطلاق النار علـى المغـاربة ومـهـاجـمـتـهـم في مساكنهم وأعلن رسميا عن مصرع سـتين مـغـربـيا من بـينهم نسـاء وإطفال الا ان وكالة رويترز للأنباء أوردت خـبـرا يوم 24غشت يقـول بأن عـدد الذين سـقطوا في واد زم برصـاص الجـيش الفـرنسـي بلغ ثلاثمائة قتيل.

وفي يوم 22غـشت اطـلقت الدبابات قنابلها على القرى المجاورة



● ... وشهداء بالدار البيضاء

Julien, le Maroc, P. 434 - 32

لواد زم وخربت البيوت واحرقت الخيام وصادرت الزرع والمواشي والقت القبض على عشرات الفلاحين واعدمتهم في الساحة العامة.

وفي منجم ايت عمار على بعد 14كلم من واد زم قتل المتظاهرون تسعة عشر من الموظفين الفرنسيين.(33)

وفي مدينة خريبكة المنجمية قتل عمال الفوسفاط ثلاثة مديرين فرنسيين واشعلوا النار في منشآت مكتب الفوسفاط خلفت خسائر قدرت بمليار فرنك فرنسي.(34)

وابتداء من 22غشت الى 26منه شرع الطيران الفرنسي والمدرعات والدبابات المصفحة في معاقبة السكان في المناطق التي شملتها الاضطرابات، وكانت العمليات ذات طابع انتقامي، وازدادت حدة بعد سقوط طائرة قائد القوات الفرنسية الجنرال ديفال بزاوية الشيخ بالقرب من مدينة خنيفرة يوم 22 غشت. والجنرال ديفال هو قائد مجزرة 8مايو 1945التي اسفرت في مدينة سطيف بالجزائر عن عشرة آلاف قتيل. ومن الجدير بالذكر انه في الوقت الذي كان فيه الجنرال الدموي يشرف بنفسه على قنبلة الفلاحين في الأطلس المتوسط، كانت الجماهير الجزائرية تسقط برصاص القوات الفرنسية بمدينة سكيكدة ونواحيها يوم 20 غشت في مظاهرات تضامنية مع كفاح الشعب المغربي.

وأسفرت حملة العقاب ضد السكان المدنيين في واد زم وخنيفرة وخريبكة حسب رقم رسمي عن سقوط 700 قتيل. واعتبرت شخصيات فرنسية مطلعة هذا الرقم بأنه مثير للسخرية، بينما قدر الوطنيون القتلى بالآلاف.(35)

ووصف الوزير الفرنسي بيير جولي القمع الذي قام به الجيش الفرنسي في خريبكة بقوله : **"كانت الاسلحة الاوتوماتيكية تصب نيرانها عن قرب على مواكب المتعصبين التي تتمزق في الحال. انها مذبحة قتل فيها عدة مئات من المغاربة".**(36)

Bernard, conflit franco-marocain, T.1, P. 304. - 33
Le Petit marocain 22-8-1955. - 34
Julien, le Maroc, P. 435 - 35
Pierre July, une république pour un Roi, Paris, Fayard, 1974, P. 176 - 36



الاقتصاص من العملاء

بمجرد الإعلان عن رجوع الملك محمد الخامس الى الرباط يوم 16 نوفمبر 1955، انفجرت عواطف الجماهير التي رأت في عودته خلاصها من الاستعمار والشقاء، وصارت تعبر يوميا عن غبطتها وابتهاجها من خلال حفلات الرقص والغناء والمهرجانات الخطابية الواعدة بالعمل والعلاج والسكن والخبز للجميع.

ونزل الخونة والعملاء من جهتهم إلى الشارع يحتفلون برجوع الملك الذي تآمروا عليه ويتغنون بالإستقلال الذي حاربوه واظهروا سخاء كبيرا في تنظيم الولائم للفقراء وتقديم الأموال الباهظة لشراء صكوك الغفران من بعض ممثلي حزب الاستقلال وحزب الشورى ومن أعضاء المقاومة وجيش التحرير.

واتسمت ردود فعل الجماهير أحيانا بالعنف ضد الخونة الذين أصروا على إظهار "الاحتفال" برجوع الملك وإعلان الاستقلال.

ففي يوم 19نوفمبر 1955بينما كانت الوفود القادمة من مختلف جهات البلاد تنتظر أن يطل عليها الملك من اعلى شرفة في القصر الملكي كما كان يفعل كل صباح، اذا ببعض سكان فاس يتعرفون على ابن البغدادي خليفة الباشا المشهور بقساوته وقد جاء ليطلب العفو من الملك كما فعل آخرون قبله. وحينما رأى الجمهور الغاضب يحيط به أخرج سلاحه الذي لم يفده شيئا حيث قتل في عين المكان طعنا بالسكاكين ومات معه أحد حراسه وأصيب خمسة حراس بجراح. (37)

وتكررت أحداث مماثلة في ساحة القصر الملكي، وقتل المتظاهرون بن العربي الفشتالي وكان قائدا عميلا للاستعمار سبق له أن حارب ضد ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي.

وقتل كل من عبد الله بن عبد الهادي زنيبر العضو السابق في اللجنة البلدية بمدينة سلا، والقائد المراكشي من الأوداية بضاحية الرباط، والقائد علي اليموري من عرباوة، وعبد الحي الشرقاوي رئيس الطريقة الكتانية بسلا، ومحمد بن عبد الله الشاوني مدافع بمحكمة فاس.

وأصدر الديوان الملكي بلاغا جاء فيه : **"إن استقبالات الملك كانت مخصصة للوفود الشعبية وأن مجيء الباشوات والقياد الذين أساء عدد منهم إلى الملك يعد استفزازا لمشاعر الجماهير"**. وتم إلغاء الاستقبالات، إلا أن أفواج المواطنين المتوافدين على العاصمة كانت تنتظر يوم الجمعة لتحي الملك عندما يتوجه لأداء الصلاة في مسجد أهل فاس.

وفي يوم 22 نوفمبر اتجهت مظاهرة صاخبة بمدينة تازة صوب منازل

Le Petit marocain, 20-11-1955 - 37

بعض العملاء وقتلتهم وهاجمت السجن لاطلاق سراح المعتقلين السياسيين.
وفي مجاط بناحية مكناس تظاهر الفلاحون وهاجموا بعض العملاء وحاولوا اطلاق سراح الفلاحين المعتقلين بسبب اشعال الحرائق في ضيعات المعمرين الفرنسيين.(38)
وفي الدار البيضاء كان العربي المسكيني، وهو أول جاسوس اصابه المقاومون بجراح سنة 1953، يعلق الرايات المغربية في بوسبير بدرب السلطان احتفالا بعودة الملك من المنفى، فاقترب منه مقاوم وأفرغ في رأسه رصاص مسدسه.
وبمراكش نظم "بونبولة"، الذي تسبب في اعتقال جماعة الفطواكي، حفلة في الشارع وزع فيها الحلويات والمشروبات على المارة، وبعد مرور بضعة ايام اطلق عليه المقاوم امحمد اداحوس عشر رصاصات مزقت أحشاءه.
ولم يجد الاندفاع الثوري للجماهير من يؤطره ويوجهه وجهة سليمة فتصدر قيادته الرعاع، وكانت الصحف الاستعمارية تنشر كل يوم اخبارا عن قتل وحرق أشخاص لأسباب تتعلق بشرب الخمر والتدخين او العلاقة بين رجل وامرأة، واحيانا لتصفية حساب شخصي وساد التسيب وانعدام الامن.
ففي الدار البيضاء اعترض أشخاص طريق امرأة أوربية في شارع ليرميطاج وانهالوا عليها ضربا إلى أن فقدت الوعي ونقلت في حالة خطيرة الى المستشفى. (39)
وهاجم آخرون امريكيا يدعى كراف فرانك في الشارع واشبعوه ضربا الى ان فقد وعيه.(40)
واعتدت جماعة من الاوباش على مغربي بدعوى انه يدخن واصابوه بجراح خطيرة.(41)
وفي حي بولو بالدار البيضاء قام آخرون باضرام النار في شخص مغربي بعد ان افرغوا عليه البنزين وهو مربوط على دراجته الهوائية.(42)
وتعددت عمليات قتل الأشخاص وإحراقهم في مدن فاس، مكناس والدار البيضاء، والقنيطرة ومراكش وسيدي علال التازي ووجدة وتازة.
فالشرطة التي كان يسيرها الفرنسيون لم تعد تتدخل فيما يجرى بين المغاربة وركزت كل جهودها على حماية الاوربيين ولم يكن المقاومون مهيئين لضمان الأمن، والقى ولي العهد الأمير مولاي الحسن كلمة في الجماهير التي حجت الى القصر الملكي بالرباط وطالب بملازمة الهدوء لكي تبدأ المفاوضات مع فرنسا من أجل الاستقلال. وقال : **"إن محمد الخامس يطلب منكم أن تغفروا لأولئك الذين أساؤوا إليكم.**(43)

38 - Le Petit marocain 9-12-1955
39 - جريدة "السعادة" 1-12-1955.
40 - السعادة. 1-12-1955.
41 - Le Petit marocain 7-12-1955
42 - Le Petit marocain 11-4-1955
43 - Le Petit marocain 21-12-1955

Casablanca le 31 Décembre 1954

CASABLANCA

9° Arrondissement

379

Le Commissaire de Police du 9° Arrondissement à CASABLANCA

à

Monsieur le Procureur, Commissaire du Gouvernement, près, le Tribunal de 1ère Instance à

CASABLANCA

Homicide volontaire

J'ai l'honneur de vous rendre compte de ce que ce jour, à 13 h 30, rue Sour Djedid un homicide volontaire, a été commis sur la personne de MAATI BEN MOHAMED BEN MAATI DOUKKALI, marocain, né vers 1902 au douar Hadj Lachemi, de feu Zahra Bent Mohamed, marié, cinq enfants, caporal à la Manutention Marocaine, domicilié Boulevard de la Légion rue 9 maison 259.

La victime a été atteinte d'une balle de 7, 65 dont le point d'entrée se situe à la face postérieure de l'hémitorax gauche et le point de sortie à la face antérieure de l'hémitorax gauche, sensiblement à hauteur du coeur. La balle a été retrouvée entre la chemise et le " pull-over " du mort. Une douille calibre 7, 65, percutée se trouvait juste derrière le pneu arrière gauche d'une voiture en stationnement, à une distance de 80 cm, de la tête du cadavre.

Les faits se sont déroulés dans une artère bordée d'immeubles d'un côté et par les locaux des douches municipales de l'autre. Il s'agit d'une rue particulièrement fréquentée, surtout à l'heure de l'attentat, au moment ou beaucoup d'employés ou ouvriers regagnent le lieu de leur travail.

Trois témoins auditifs se sont manifestés, mais personne n'a pu fournir un signalement du meurtrier, ou donner une version du déroulement des faits.

MAATI BEN MOHAMED BEN MAATI, se rendait à son travail, port lorsqu'il a été abattu. Il roulait à bicyclette et sa machine dont il a perdu le contrôle après avoir été touché, a heurté et marqué la voiture 1227 MA.21. stationnée en face de la maison 95, de la rue Sour Djedid.

La victime n'a pas accompli de service militaire. Elle était mariée avec d'une part ZARAH BENT EL MEKKI dont elle n'avait pas d'enfant, d'autre part et antérieurement avec une autre femme, dont l'identité est encore inconnue, qui réside en douar, et a cinq enfants issus de cette union.

MAATI BEN MOHAMED était noté comme francophile, il avait lors de la grève récente de la manutention participé de façon active au recrutement de travailleurs volontaires pour assurer le remplacement des grévistes. Il avait la réputation d'être peu indulgent à l'égard des ouvriers sous ses ordres. Il ne fumait pas. Sa situation était aisé, On le dit propriétaire d'une maison de quatre étages, d'une propriété à Azemmour, et détenteur d'un capital important à son domicile. Cependant son salaire n'était que de 490 francs par jour et de 9[illegible] francs, par nuit, mais depuis plus de 3 mois, MAATI ne voulait plus travailler de nuit.

La corps a été transporté à la morgue d'Aïn Chock.
Votre Parquet, le Service d'identification Judiciaire, et la Police Mobile ont été avisés.

Une enquête est ouverte.

~~M. le Contrôleur, chargé du 1er arrondissement urbain.~~
CASABLANCA.



Casablanca le 31 décembre 1954

Le Commissaire de Police
du 9ème arrondissement à Casablanca

A

Monsieur le Procureur,
Commissaire du Gouvernement, près, le Tribunal de 1ère instance à Casablanca

Casablanca 9ème arrondissement 379
Homicide volontaire

J'ai l'honneur de vous rendre compte de ce que ce jour à 13 h 30, rue Sour Djedid un homicide volontaire, a été commis sur la personne de MAATI BEN MOHAMED BEN MAATI DOUKKALI, marocain, né vers 1902 au douar Hadj Lachemi, de feu Zahra Bent Mohamed, marié, cinq enfants, caporal à la Manutention Marocaine, domicilié Boulevard de la légion rue 9 maison 259.

La victime a été atteinte d'une balle de 7,65 dont le point d'entrée se situe à la face postérieure de l'hémitorax gauche et le point de sortie à la face antérieure de l'hémitorax gauche, sensiblement à hauteur de cœur. La balle a été retrouvée entre la chemise et le "pull-over" du mort. Une douille calibre 7,56 , percutée se trouvait juste derrière le pneu arrière gauche d'une voiture en stationnement, à une distance de 80 cm, de la tête du cadavre.

Les faits se sont déroulés dans une artère bordée d'immeubles d'un côté et par les locaux des douches municipales de l'autre. Il s'agit d'une rue particulièrement fréquentée, surtout à l'heure de l'attentat, au moment ou beaucoup d'employés ou ouvriers regagnent le lieu de leur travail.

Trois témoins auditifs se sont manifestés, mais personne n'a pu fournir un signalement du meurtrier, ou donner une version du déroulement des fais.

MAATI BEN MOHAMED BEN MAATI, se rendait à son travail, port lorsqu'il a été abattu. Il roulait à bicyclette et sa machine dont il a per le contrôle après avoir été touché, a heurté et marqué la voiture I227 MA.2I. stationnée en face de la maison 95, de la rue Sour Djedid.

La victime n'a pas accompli de service militaire. Elle était mariée avec d'une part ZARAH BENT EL KEKKI dont elle n'avait pas d'enfant, d'autre part antérieurement avec une autre femme, dont l'identité est encore inconnue, qui réside en douar, et a cinq enfants issus de cette union.

MAATI BEN MOHAMED était noté comme francophile, il avait lors de la grève récente de la manutention participé de façon active au recrutement de travailleurs volontaires pour assurer le remplacement des grévistes. Il avait la réputation d'être peu indulgent à, l'égard des ouvriers sous ses ordres. Il ne fumait pas. Sa situation était aisé, on le dit propiétaire d'une maison de quatre étages, d'une propriété à Azemmour, et détenteur d'un capital important son domicile. Cependant son salaire n'était que de 490 francs par jour et de 98 francs, par nuit, mais depuis plus de 3 mois, MAATI ne voulait plus travailler de nuit.

Le corps a été transporté à la morgue d'Ain Chook.

Votre Parquet, le Service d'identification judiciaire, et la Police Mobile ont été avisés.

Une enquête est ouverte
M. Le contrôleur, chargé du 1er arrondissement urbain
Casablanca.

ولم تتوقف اعمال العنف وظهر الخلاف واضحا بين موقف الحكم الداعي الى نسيان الماضي واصرار المقاومة على معاقبة العملاء على الجرائم التي ارتكبوها في حق الشعب.

وشهدت مدينة مراكش أكبر مطاردة للخونة. ففي يوم 2 مايو 1956 نظم المقاومون هجومات على خلفاء الباشا الذين تحصنوا في بيوتهم وتسلحوا بالبنادق الرشاشة، وتبادلوا معهم اطلاق النار ورفضت ادارة الشرطة التدخل خاصة وان عددا هائلا من الناس كانوا يحيطون بمنازل العملاء ويلقون بداخلها الزجاجات الحارقة ويشعلون النار في ابوابها لارغامهم على الخروج ليلقوا مصرعهم.

واذا كانت المقاومة بدأت عملية **"تطهير"** المدينة من أذناب الاستعمار، فإن الحشود العائمة هي التي تحكمت في الشارع، وأقامت محرقة في باب دكالة بالقرب من المحطة الطرقية الحالية، ورمت فيها بجثث الضحايا ومن بينهم بعض الذين كانوا أحياء مثل المقدم "المغينية" الذي نجا ثلاث مرات من رصاص الفدائيين. وحسب بلاغ رسمي صدر فيما بعد فإن عدد القتلى في ذلك اليوم بلغ 19 من خلفان ومساعدي الباشا. والحقيقة ان عدد المحروقين يكون قد تجاوز اربعين شخصا، فقد كانت روائح اللحوم البشرية المشوية تبعث على الغثيان، وكان الذين ينقلون الضحايا على متن العربات ويلقون بهم في لهيب النار صعاليك وسفلة القوم المعروفين لدينا في المدينة، وقد ارادوا ان يظهروا بدورهم **"ابطالا"** وسط الدخان المتصاعد في عنان السماء، وينتقموا على طريقتهم من الظالمين بإحراق جثتهم بعد موتهم، وكان المنظر مقرفا ورهيبا لا يبرره قانون ولا اخلاق ولا دين.

مظاهرات الشوارع



اشتداد العنف الاستعماري في مواجهة المقاومة المسلحة، وتفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وازدياد عدوانية الجالية الأوربية التي تطغي على أغلبيتها الميولات العنصرية، كلها عوامل ساهمت في إنضاج الوعي السياسي للجماهير الشعبية التي خرجت من الحالة السلبية واستجابت تدريجيا لنداءات الاضراب السياسي ومقاطعة البضائع الفرنسية ودأبت منذ صيف 1954 على القيام بأحياء

ذكرى 20غشت للتنديد بسياسة الاحتلال الاجنبي وكانت المطالبة بالاستقلال الوطني وإرجاع الملك الشرعي من منفاه السحيق، شعارا وحيدا وموحدا تردده الألسنة والأفواه.

وشهدت سنة 1955اتساع نطاق مظاهرات الشوارع التي سالت فيها دماء الجماهير بغزارة وسخاء. وكان من الممكن ان يتطور المد الجماهيري الى انتفاضة شاملة لو وجد الطليعة الثورية القادرة على تأطيره وقيادته.

وفيما يلي جدول بحصيلة مظاهرات الشوارع وما خلفته من ضحايا حسب ما جاء في بلاغات الشرطة الفرنسية :

التاريخ	المدينة	الشهداء المغاربة	الضحايا الفرنسيون
1953-8-15	مراكش	10قتلى 35 جريحا	شرطيان فرنسيان قتيلان وحارس مغربي
1953-8-15	الدار البيضاء	8 قتلى 20 جريحا	
1953-8-16	الرباط	عدد غير محدد من القتلى والجرحى	مقتل مفتش للشرطة وجرح ضابط
1953-8-16	وجدة	اكثر من الف قتيل وجريح	مقتل 26 فرنسيا وجرح 49
1953-8-16	مكناس	عشرات القتلى والجرحى	
1953-8-17	بركان	عدد من الجرحى	
1953-8-17	تافوغالت	بعض الجرحى	
1953-8-20	الدار البيضاء	بعض الجرحى	مقتل شرطي فرنسي في درب السلطان
1953-8-21	الدار البيضاء	خمسة جرحى	
1954-8-2	فاس	5 قتلى و 25 جريحا	
1954-8-3	سيدي قاسم	14 قتيلا و 30 جريحا	مقتل 6 تجار يهود مجنسين فرنسيا
1954-8-4	سلا	مقتل 4 نساء وطفل	
1954-8-6	فاس	قتلى وجرحى	
1954-8-8	القنيطرة	مقتل 129 مغربيا وعشرات الجرحى	تحطيم البريد مقتل 8 فرنسيين و 5 يهود

التاريخ	المدينة	الشهداء المغاربة	الضحايا الفرنسيون
1954-11-16	الدار البيضاء	قتيل واحد و 3 جرحى	
1955-6-13	الدار البيضاء	3 جرحى	جرح شرطي فرنسي
1955-7-9	الدار البيضاء	قتلى وجرحى	
1955-7-14	الدار البيضاء	55 قتيلا 218 جريحا	مقتل 11 فرنسيا وجرح 88
1955-7-21	مراكش	5 قتلى و 15 جريحا	مقتل شرطي فرنسي
1955-7-26	مكناس	17 قتيلا و 50 جريحا	
1955-7-29	الدار البيضاء	عدد من الجرحى	
1955-7-29	زرهون	قتيل و 8 جرحى	
1955-7-31	مراكش	قتلى وجرحى	
1955-8-6	الدار البيضاء	قتلى وجرحى	
1955-8-19	خنيفرة	عشرات القتلى والجرحى	
1955-8-20	آسفي	14 قتيلا و 30 جريحا	
1955-8-20	الدار البيضاء	قتلى وجرحى	
1955-8-20	ابو الجعد	6 قتلى و 8 جرحى	
1955-8-20	واد زم	300 قتيل	مقتل 49 فرنسيا
1955-8-20	خريبكة	عشرات القتلى والجرحى	مقتل 3 فرنسيين
1955-8-20	منجم الحديد بأيت عمار	قتلى وجرحى	مقتل 19 فرنسيا
من 22 الى 26-8-1955	تدخل الطيران في نواحي واد زم وخنيفرة	آلاف القتلى من الفلاحين	
1955-8-20	الصويرة	قتلى وجرحى	
1955-8-20	الجديدة	7 جرحى	
1955-8-20	ازمور	6 جرحى	
1955-8-20	الرباط-سلا	13 جريحا	
1955-8-20	الخميسات	عدد من القتلى والجرحى	
1955-10-18	مراكش	5 قتلى و 7 جرحى	
1955-10-25	الرباط	5 قتلى و 4 جرحى	جرح شرطي فرنسي
1955-10-29	مكناس	6 قتلى	جرح جنديين فرنسيين

الفصل الرابع عشر

مقارنة بين المقاومة المغربية والفرنسية

تهدف المقاومة، سواء كانت سلمية او عنيفة، الى تحرير الانسان من العبودية والظلم وتمكينه من الوقوف شامخا بثقة في النفس وامل في الحاضر والمستقبل، وتمثل إرثا نضاليا وذاكرة تاريخية ثقافية إنسانية تشترك فيها كل الشعوب التي خاضت في عصر من العصور الكفاح المرير ضد الامبريالية والفاشية والأنظمة الرجعية الدكتاتورية ودفعت ضريبة الدم لتتخلص من عذاب وآلام المستبدين والاستغلاليين والعنصريين.

فالمقاومة تظل دائما عملا مشروعا مادام الطغيان قائما أجنبيا كان أو قوميا، وتضحية المقاوم من أجل قضية عادلة هي التي تعطي معنى عميقا للحياة والحرية والوجود.

فإذا هب المقاومون الفرنسيون لمواجهة النازية الالمانية والفاشية الإيطالية وهما إسمان لمسمى واحد يتجسد في دكتاتورية الرأسمالية الامبريالية الأكثر رجعية وعدوانية، فإن المقاومين المغاربة انتفضوا لمنازلة "الحزب الاستعماري" الذي كان يضم المعمرين وضباط الاستعمار وكبار الموظفين والبنوك والشركات الاستعمارية التي تعاون بعضها مع النازية اثناء احتلال فرنسا.

وبصرف النظر عن اختلاف الاسباب وتباين الظروف المحلية والعالمية لقيام المقاومة في كل من فرنسا والمغرب، فإن النبش في مسار الاحداث يبرز التقاءهما في معظم النقاط وهذا ما يتضح من المقارنات التالية :

الدعاية

بعد سقوط باريس يوم 14يونيو 1940بدون مقاومة، استسلم الفرنسيون للأمر الواقع. وكانت اذاعة ب.ب.س. من لندن تبث برامج التحريض باللغة الفرنسية محذرة من عواقب الاستسلام لليأس وفقدان الأمل. وكانت منظمات المقاومة تعبر عن مواقفها في صحف تحمل اسماءها مثل فران تيرور، ليبيراسيون، لومانيتي، كومبا، فيريتي فرانسيز وغيرها. ومثلت المقاومة الفكرية الفرنسية ظاهرة مفعمة بالنشاط واليقظة في مجتمع متعلم انحازت اغلبية متقفيه الى جبهة الكفاح ضد الاحتلال. وبلغت الاصدارات ازيد من الف صحيفة سرية بعضها حافظ على استمراريته طيلة سنوات الاحتلال مثل كومبا، ديفنس دوفرانس، لوبوبيلير، ليبيراسيون – نورد.

في 23 يونيو كتب شارل تيون Charles Tillon قبل ان يغدو قائدا لمنظمة فران تيرور إبارتيزان Francs-Tireurs et Partisans منشورا في مدينة بوردو جاء فيه : **"إن الشعب الفرنسي لا يريد العبودية والبؤس والفاشية...، يجب على الشعب كله أن يقف في وجه العدوان.** (1)

في بداية يوليوز نشر جان تيكسيي Jean Texier "نصائح الى المحتل".

وفي 8 يوليوز جمع الجنرال شارل ديليستران Charles Delestraint، الذي سيصبح رئيسا للجيش السري، جنوده وخاطبهم : **"اذا كنا مؤمنين بمصير بلدنا، واذا كنا نتصرف كفرنسيين وليس بعقلية الكلب المهزوم او العبد المستسلم، واذا كنا نعرف اختيارنا، فإن فرنسا ستخرج يوما من محنتها الحالية".** (2)

وفي اكتوبر اصدر جان لوبا Jean Lebas، الوزير السابق في حكومة الجبهة الشعبية، بيانا تحت عنوان **"الاشتراكية متواصلة".**

وفي نفس الظروف وجه موريس توريس Maurice Thorez وجاك ديكلو Jacques Duclos قائدا الحزب الشيوعي الفرنسي نداء يرفض الخضوع للعبودية النازية ويطالب الفرنسيين بالانضمام الى **"جبهة الحرية والاستقلال ونهضة فرنسا".** (3)

لقد قاوم المثقفون بالفكر وساهموا في معركة التحرير وأدوا ثمن وفائهم لقيم الحرية والعدالة حيث أعدموا او لقوا حتفهم في معسكرات الاعتقال. ونذكر من بينهم المؤرخ مارك بلوك (Marc Bloch 1886-1944) الذي كان يكتب في صحيفة فران تيرور. والفيلسوف جورج بوليتزر Politzer والشاعر روبير ديسنوس (1900-1945) Robert Desnos، والصحفي كابرييل بيري Gabriel Péri، والفيزيائي سولومون Solomon والكاتب Jacques Decour مؤسس مجلة "الآداب الفرنسية"، والمحامي نوردمان والعشرات غيرهم من العلماء في مختلف التخصصات، يضاف اليهم اولئك الذين اختاروا الانتحار حفاظا على الاسرار كما فعل المؤرخ والقيادي في المقاومة بيير بروسوليت Pierre Brosso-lette (1903-1944)، وقبله ميريديك Méridic الذي ابتلع قرص السيانور Cyan-ure اثر إلقاء القبض عليه بعد عودته من لندن للقيام بمهمة سرية.

واشاد كبار الأدباء والشعراء بتقاليد النضال من اجل الحرية في كتاباتهم وقصائدهم واثاروا الحماس في نفوس المترددين وارتبطوا روحا وجسدا بالمقاومة كما ترجم ذلك بول اليار (1895-1952) Paul Eluard في "شعر وحقيقة (Poésie et Vérité 1942)، ولوي اراكون (1897-1982) في "ألم في القلب" 1941، و(Crève-cœur) (عيون ايلزا 1942)، (Les yeux d'Elsa 1942) وفرنسوا مورياك (1885-1970) في "الدفتر

1- Pierre Durand, vivre debout la Résistance, Ed. Missidor/La Farandole, 1985, P. 77.
2- Ibid, P. 78.
3- Ibid.

الاسود" Le cahier noir وجان فيركور (Bruller-Jean Vercors 1902-1991) في "صمت البحر" 1942 (Le silence de la mer)، والبزا تريولي (1896-1970) في "عشاق افينيون" (Les amants d'Avignon).

في المغرب وقفت اقلية ضئيلة من المثقفين في صفوف الشعب ووجدت نفسها في السجون او بالمنفى، وكتب بعضهم مذكرات وقصائد شعرية لم تكن متداولة لانعدام وسائل النشر، وبعد الاستقلال تعرف جمهور القراء المحدود ايضا نظرا لطغيان الامية، على كتابات علال الفاسي وعبد الله ابراهيم والمختار السوسي وعبد القادر حسن ومحمد وديع الاسفي وغيرهم.

وبشكل عام كان المثقفون المرتزقة يقرؤون مقالاتهم وقصائدهم الشعرية في "راديو ماروك" يمدحون فيها سلطة الاحتلال وفي مقدمتهم محمد بن ابراهيم شاعر الاقطاعية ومحمد الحلوي الذي مدح بالقصائد الرنانة السلطان بن عرفة، ومحمد العلمي الذي وصف في احدى قصائده المقاومين بالغدر والوحشية وتباكى على "الضحايا" الخونة. (4)

وكانت خلايا المقاومة توزع بين الحين والآخر مناشير مكتوبة بخط اليد. وقامت "المنظمة السرية" بطبع منشور في صيف 1953 بتوقيع "المتطوعون" اعلنت فيه رفضها للسياسة الاستعمارية واكدت ارادة المقاومين في متابعة الكفاح الى ان يتحقق للبلاد الاستقلال. وعندما حاولت يوم 5 فبراير 1954 طبع منشور آخر، داهمت قوات الشرطة المطبعة والقت القبض على مقاومين غير مسلحين وانتحر الثالث بتجرعه قرص السيانور. وعرفت المقاومة الفرنسية حادثة مماثلة حينما طوقت "الميليشيا" يوم 17 يونيو 1944 مطبعة "كومبا" وقتلت ثلاثة مقاومين واصابت مقاومة بجراح.

وبالنسبة للمغرب كانت البرامج التي تبثها اذاعة "صوت العرب" من القاهرة الوسيلة الرئيسية للأخبار والتحريض ضد الاستعمار. ومنها وجه علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال خطابا يوم 20 غشت 1953 قال فيه :

"انني اهيب بالشعب المغربي ان يواصل كفاحه من اجل الغاية الوحيدة التي هي استقلال البلاد وأن يبذل معنا كل ما يستطيعه من الوسائل للدود عن كرامة ملكنا الشرعي واعادته الى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة".

وهو خطاب يذكر بالنداء الذي وجهه الجنرال دوكول من اذاعة لندن يوم 18 يونيو 1940 الى الفرنسيين لمواصلة المقاومة معلنا ان فرنسا خسرت معركة لكنها لم تخسر الحرب.

La France a perdu une bataille, mais elle n'a pas perdu la guerre .

4 - ابراهيم السولامي، الشعر المغربي في عهد الحماية، الدار البيضاء 1974 ص 164.

التنظيم

اثناء المقاومة واجه الفرنسيون صعوبات كبيرة في التنظيم السري نظرا لكونهم عاشوا في ديمقراطية ليبرالية مدة سبعين سنة (1870-1940) ، بينما تعود المغاربة على العمل في السرية طيلة أربعين سنة (1912-1953) من الاضطهاد الاستعماري والحرمان من حرية التعبير والنشر والتنظيم.

ظهرت البوادر الأولى للمقاومة الفرنسية، مباشرة بعد دخول الجيش الألماني الى باريس يوم 14يونيو 1940، في صفوف الجيش النظامي خاصة ضباط الاحتياط الرافضين لتطبيق شروط الهدنة Armisticeالتي اعتبروها مهينة وقرروا اعادة بناء قوة مسلحة سرية تعمل على تحرير البلاد. ولم تبدأ المقاومة عمليا الا في سنة 1941بعد رجوع عدد من الأطر من لندن حيث تلقوا التداريب الضرورية في حرب الاستنزاف والقيام بالهجومات الخاطفة على العدو.

وكانت "المنظمة الخاصة" .O.S التي اسسها الحزب الشيوعي عام 1940 اول منظمة سرية حملت فيما بعد اسم "المكافحون والانصار الفرنسيون" "F.T.P.F. Francs-Tireurs et Partisans Français" غير ان اكبر منظمة للمقاومة تمثلت في "كومبا" بعد توحيدها مع "الحقيقة" Vérité و"الحرية" Liberté، وكانت ذات توجه دوكولي واستقطبت اطرها من اوساط البورجوازية وضباط الاحتياط والموظفين والجامعيين، وانتشرت في المنطقة الجنوبية كلها وامتدت الى المنطقة الشمالية. وظلت المقاومة الفرنسية من الناحية العددية وراء بلدان اوربية اخرى كانت محتلة من طرف النازية وتمكنت من تجنيد قوات كبرى وخاضت معارك كثيفة كما كان عليه الحال في الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا وبولونيا. (5)

لم تكن المقاومة الفرنسية منظمة بشكل جيد وبقيت ضعيفة ومستهدفة للاكتشاف، واستطاع النازيون ان يسربوا عملائهم داخلها والحقوا بها ضربات موجعة في باريس ومرسيليا وليون وستراسبورغ ورين وسواسون وفي منطقة لاروشير وغيرها.(6)

و بالمغرب بدأت الجماعة التي كان يشرف عليها الزرقطوني ورفاقه المقاومة المسلحة يوم 6 سبتمبر 1953، وكانت اكبر واهم تنظيم للمقاومة المسلحة اطلق عليها الاعلام الفرنسي اسم "المنظمة السرية". وقد تناولنا في موضوع سالف جوانبها السلبية واخطاء قيادتها، الا انه يجب التذكير بأن المخابرات الفرنسية لم تتمكن من اختراقها الا في حالتين او ثلاثة لان الخلايا كانت تخضع لنظام داخلي صارم وتتألف من مناضلين كانوا يتعارفون من قبل

5 - Henri Michel, la résistance en France 1940-1941, Historia Magazine, No 22, Paris,. 21-3-1968, P. 603-611.

6 - Dossier Historama No 22, P. 11-24.

داخل التنظيم السياسي. واقتصر نشاطها في المرحلة الأولى على المدن الكبرى وتجلى عملها في الهجوم بالسلاح الناري والقنابل على المستعمرين وعملائهم واشعال الحرائق في مصالحهم والقيام باعمال التخريب في وسائل النقل.

ولابد من الاشارة هنا الى ان بعض المؤرخين الفرنسيين ابتعدوا عن الموضوعية ووقعوا في تناقض صارخ. فقد وصفوا مصرع ضابط البحرية الألمانية يوم 21-8-1941 في ميطرو باربيس في باريس على يد المقاوم الشيوعي فابيان بالعملية الشجاعة، وهي فعلا كذلك، ونعتوا عمليات مشابهة وقعت في المغرب بـ"الارهاب". وهي كلمة قدحية دخلت القاموس الفرنسي اثناء الثورة الفرنسية بعد اتهام روبيسبيير (1758-1794) رئيس الحكومة الثورية بممارسة الارهاب. وعاد المستعمرون الى استعمال هذا الوصف بهدف نزع الشرعية عن الكفاح الذي تخوضه الشعوب ضد الارهاب القانوني والمادي للاستعمار الاستيطاني. فالعنف يمثل ظاهرة سياسية وشكلا من اشكال مقاومة هيمنة الرأسمالية الامبريالية تماما كما كان وسيلة للقضاء على همجية الاحتلال النازي.

الوحدة الترابية

قسم الاحتلال النازي فرنسا الى خمس مقاطعات لكل واحدة قانونها الخاص، وضم إليه منطقة الزاس- لورين التي استعادتها عام 1918 بعد ان كانت مفصولة عنها منذ 1871، والحق اقاليم الشمال بادوكالي بالقيادة العسكرية الألمانية في بلجيكا، وفصل مقاطعات بروفانس وخلق بذلك للمقاومة عدة صعوبات في الاتصال مع بعضها مما اخر تحقيق وحدتها. (7)

ومزق الاحتلال الأجنبي وحدة التراب المغربي الى مناطق شمالية وصحراوية تحت النفوذ الاسباني، وجنوبية، وهي الأكبر، تحت السيطرة الفرنسية، ومدينة طنجة تحت الادارة الدولية.

وفي الخمسينات استفاد الوطنيون المغاربة من الصراع والخلاف بين فرنسا وإسبانيا حول المغرب، وجعلوا من مدينة تطوان في الشمال وسيدي ايفني في الجنوب، باتفاق مع اسبانيا، ملجأ للمقاومين الذين تبحث عنهم الشرطة الفرنسية وقاعدة خلفية لنشاط الشبكات المكلفة بتهريب السلاح والاشخاص.

شهداء الحرية

في يوم 30-1-1943 اسست حكومة فيشي "الميليشيا" وهي فيالق العملاء المرتزقة في خدمة الاحتلال النازي، وكانوا يسمونهم أيضا **"المتطوعون**

7 - Vivre debout la résistance, P. 83. - 7

الفرنسيين ضد البولشيفية" كان من بينهم ضباط سابقون في الجيش الفرنسي وتراسهم جوزيف دارناند وبلغ عددهم ثلاثين ألف شارك عشرة آلاف منهم في العمليات الميدانية حيث كانوا يجمعون المعلومات حول المقاومين ويقومون بتصفيتهم جسديا، ويتقاضون خمسة آلاف فرنك في الشهر. (8)

وفي شهر فبراير 1954 أناط الاستعمار بالباشوات والقياد مهمة تجنيد آلاف القرويين لمساعدة الشرطة في بعض المدن، وكلف الضباط المغاربة والجنود المرتزقة بمحاربة جيش التحرير في الشمال والجنوب.

وارتكب النازيون جرائم بشعة في حق المدنيين العزل، ولم يترددوا أثناء معركة فيركور Vercors التي دامت من 10 إلى 30 يونيو 1944 في الاجهاز على الجرحى وقتل الأطباء والممرضات ومات الفلاحين (9) وكرروا جرائمهم في نفس التاريخ بارتكاب مذبحة جماعية في أورادورسيركلان وإحراق القرية عن آخرها وتجاوز عدد الضحايا خمسمائة منهم الأطفال والنساء الذين احترقوا داخل الكنيسة. (10)

وعلى نهج النازية صارت قوات الاحتلال الفرنسي والقت الطائرات الحربية في نهاية غشت 1955 قنابل محرقة على القرى المجاورة لمدينتي خنيفرة وخريبكة وأطلقت الدبابات نيران مدافعها عن قرب على مات الفلاحين نساء وأطفالا ورجالا عقابا لهم على إيواء المقاومين.

وحيثما تسود الهمجية تتوارى القيم الإنسانية ولن يعود أمام الضحية سوى الاحتماء بالمعتقدات الكامنة في وجدانه لمواجهة الوحش الذي يسلبه الحق في الحياة، ويتجلى تأثير العقيدة فيما كتبه شاب فرنسي قبل إعدامه بدقائق على جدار الزنزانة ولم يفرق بين عقيدته الشيوعية وإيمانه الديني:

"للمجد للشبيبة الشيوعية، للمجد لشهداءها".

"سيدي المسيح رحماك بنا إن قلوبنا لك" (11)

وكتب آخر لا يتجاوز 17 سنة قبل اعدامه:

"يسوع المسيح، يا منقذنا نحن في حماك. ان التضرع الى الله ملجأنا الوحيد." (12)

وبالمغرب كتب المقاوم بن الراضي السلاوي عشية إعدامه رسالة الى أخته ختمها بالآية:

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون." (13)

في اكتوبر 1955 قاد الحسين الدخيسي وهو في العقد السابع من عمره

8 - Vivre debout la résistance. P. 96.
9 - Ibid P. 174..
10 - Ibid. P. 185..
11 - Ibid P. 144..
12 - Ibid P. 145.
13 - آل عمران 169/3.

فرقة من جيش التحرير وهاجم معسكرا فرنسيا في ايموزار مرموشة وقتل عددا من الجنود، الا ان قوات كبيرة طوقت المكان والقت عليه القبض صحبة خمسة من رفاقه، وخاطبهم الضابط الفرنسي : هل تعرفون ماذا ينتظركم؟ فأجابه الدخيسي : **نطلب منك فقط ان تمهلنا بضع دقائق لنؤدي دين الله علينا، وافعل ما شئت.**

وأدى المقاومون صلاة جماعية فأعطى الضابط الفرنسي الأمر بقتلهم في عين المكان بدون محاكمة.

وليس المظلومون وحدهم يحتمون بالعقيدة الدينية في اللحظات الحرجة. فالظالمون أيضا يدنسون الفضاء الروحي بجرائمهم. فالنازيون كانوا يأتون بالرهبان الألمان لمواساة المقاومين الفرنسيين قبل اعدامهم. بينما يحضر المستعمرون الفرنسيون الفقهاء لاقناع الفدائيين المغاربة بحتمية الموت. فكانوا يرفضون الاستماع اليهم ويطردونهم. وحينما كان الفطواكي يساق معصوب العينين وموثوق اليدين الى خشبة الاعدام سمع صوتا يناديه :

–سي الفطواكي هل عندك وصية؟

فسأل الفطواكي صاحب الصوت : من أنت؟ فأجابه : أنا الفقيه ! فبصق الفطواكي في اتجاهه وصاح :

– اذهب لعنة الله عليك فلا دين لك.

وكانت التضحية بالروح في سبيل الوطن من شيم المقاومين الأبطال. ففي 21يونيو 1943القى النازيون القبض على جان مولان (1899-1943) في كالوير (Caluire) بالقرب من مدينة ليون إثر وشاية جبانة وأخضعوه إلى تعذيب فظيع انتهى بموته.

وكان لابد لفرنسا ان تحتفل بذكرى بطلها ونقلت عام 1964بقايا رفاته الى ضريح البانتيون مرقد العظماء الفرنسيين.

وما لبث محمد الزرقطوني (1925-1954) احد القادة البارزين في المقاومة المغربية ان لقي مصيرا مماثلا، ذلك ان شخصا كانت تربطه به علاقة خارج المقاومة ساعد الشرطة على اعتقاله. وخوفا من ان يكشف اسرار التنظيم السري اختار الاستشهاد بواسطة قرص السيانور. وبعد الاستقلال جعل منه رفاقه رمزا للمقاومة.

وهكذا فإن العملاء في فرنسا والمغرب لطخوا تاريخ بلدهم بالعار من خلال الجرائم التي اقترفوها في حق المكافحين في سبيل الحرية.

وفي غمرة الحرب عقد المجلس الوطني للمقاومة الفرنسية اجتماعا يوم 15مارس 1944، وقرر في برنامجه المستعجل : **"مطاردة ومعاقبة عملاء الجيستابو وميليشيا داراند وكذلك الجواسيس والخونة."** (14)

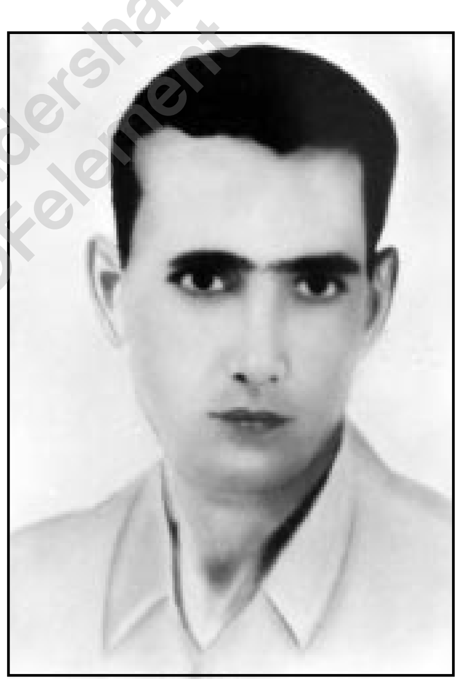
وجاء في برنامجه بعد التحرير الالحاح على ضرورة : **"معاقبة الخونة**

14 - Ibid, P. 227.

وتطهير الادارة والحياة المهنية من جميع الذين تواطؤوا مع العدو او الذين اشتركوا عمليا في سياسة الحكومات المتعاونة معه." (15)

فقد كان عدد أفراد الميليشيا التي حاربت المقاومة أزيد من عشرة آلاف، سقط منهم برصاص المقاومين 1.500 وجرح 1.200 وبلغ سنة 1945 عدد المتهمين بالتعامل مع النازية ستين الف من بينهم كتاب وفنانون وعسكريون. واستطاعت المقاومة أن تقضي على خمسة آلاف منهم قبل التحرير وعلى أربعة آلاف بعد التحرير. وهناك تصفيات غير مراقبة قد تكون اودت بحياة عشرة آلاف خائن. وسقط في المعارك مائة ألف مقاوم هذا مع الاشارة الى ان 2% فقط من الفرنسيين شاركوا في المقاومة أي حوالي مليونين اذا اضيف اليهم المتعاطفون الذين يقرؤون الصحف والنشرات. وبعد التحرير تم توزيع 300.000 بطاقة مقاوم و 130.000 بطاقة مبعد Déportés و 170 ألف متطوع.

اما المقاومة المغربية فلم يكن لها برنامج، وكان هدفها يتلخص في



● محمد الزرقطوني
رمز المقاومة المغربية



● جان مولان
رمز المقاومة الفرنسية

15 - Ibid, P. 227.

الحصول على **"الاستقلال ورجوع الملك الى عرشه"** وهما مطلبان مرتبطان صاغتهما الحركة الوطنية التي ظلت وفية للملك طيلة معركة التحرير.
وتفتقر المقاومة الى الاحصائيات حول نشاطها العسكري وقوتها العددية.
ولا يتوفر الا ما نشرته بعض المصادر الفرنسية شبه الرسمية والتي تحدد عدد العملاء الذين اغتالتهم المقاومة بالمدن ما بين غشت 1953 وغشت 1956 في حوالي ألف قتيل وألفي جريح مغربي مقابل مائتي قتيل فرنسي وستمائة جريح.
وبمجرد إعلان الاستقلال طالب النشطاء في المقاومة بالتطهير ورفضوا الشعار الرسمي القائل : **"عفا الله عما سلف والماضي لا يعاد."**، واسقطوا عددا من الخونة ووجدوا أنفسهم في صراع مكشوف مع الدولة الوطنية الجديدة، وهذا ما سنتعرف عليه في موضوع لاحق.

الديمقراطيون الفرنسيون يساندون كفاح المغاربة

ساند الاحرار الديمقراطيون الفرنسيون، باختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم السياسية، كفاح المغاربة من اجل حقهم في تقرير المصير.

في عنفوان الجبروت الامبريالي وقف المؤرخ الاشتراكي الفرنسي جان جوريس (1859-1914) والسياسي اللامع امام البرلمان سنة 1907 منددا بالغزو الاستعماري الفرنسي لمدينة الدار البيضاء من البحر ووجدة من البر، وفضح عصابات الراسماليين وارباب البنوك المتكالبين على المغرب لنهب ثرواته وفضح الدور الشنيع الذي قام به الصحفيون المرتزقة لتضليل الراي العام في بلدهم وإخفاء الجرائم التي ارتكبها جيش الغزو في حق الجماهير المغربية الفقيرة التي هبت لصد العدوان. (16) وكانت مواقفه المناهضة لتجار الحروب سببا في اغتياله يوم 31 يوليوز 1914.

وقامت الطبقة العاملة الفرنسية عام 1925 بحملة تضامنية فريدة من نوعها مع كفاح المغاربة في منطقة الريف ضد الامبرياليين الفرنسيين والاسبانيين. ونظم الحزب الشيوعي الفرنسي أزيد من ثمانين مهرجانا شعبيا في مختلف المدن الفرنسية للتنديد بالتدخل الفرنسي في الريف وشنت صحافته حربا إعلامية مركزة لتوعية الفرنسيين بحقيقة الكفاح العادل الذي يخوضه المغاربة بقيادة عبد الكريم الخطابي.

وفي يوم 12 أكتوبر 1925 نظم الحزب الشيوعي اضرابا عاما لمدة أربع وعشرين ساعة تضامنا مع المغاربة، ووقعت مجابهات دامية بين العمال والفلاحين الفرنسيين وقوات الشرطة والجيش خاصة في مدينة باريس. ونتج عن الصدام مقتل عامل فرنسي وإصابة العشرات بجراح والقاء القبض على عشرات المضربين. وقدم امام المحاكم في شهر نوفمبر 165 عاملا من بينهم قادة مشهورون في الحركة العمالية الفرنسية وصدرت في حقهم أحكام بستة أشهر سجنا وغرامات مالية. (17)

وفي الثلاثينات ربط النقابيون والاشتراكيون والشيوعيون المقيمون بالمغرب انتماءهم القومي بالتضامن الأممي، وجعلوا من بين أهدافهم التضامن مع الشعب المغربي انطلاقا من المبدأ الشهير : **"الشعب الذي يستعبد شعبا آخر ليس شعبا حرا".**

وكان القسم الفرنسي للأممية العمالية (S.F.I.O.) بالمغرب يديره أعضاء من اليسار الثوري. وفي مؤتمرهم ليوم 13-12-1936 قرروا فتح علاقة مع الحركة الوطنية المغربية ومعرفة مطالبها وإعطاء أخبار عن أهدافها للجالية الفرنسية والأوربية. (18)

16 - Jean Jaurès, Textes choisie, t.1 P. 157, Paris 1959.
17 - Pierre SEMARD, La guerre du Rif, Paris, 1926, p. 91..
18 - A. Ayache, le mouvement syndical, T. 1. P.178. .

وفي نفس الفترة كان بول شينو (Paul Chaignau) أحد المسؤولين عن فرع الحزب الاشتراكي بالمغرب يجعل من صحيفته (المغرب-الاشتراكي) Le Maroc socialiste منبرا للدفاع عن الوطنيين المغاربة والتشهير بسياسة الرأسمالية الاستعمارية.

وفي ذات الصحيفة كتب الاشتراكي كاستون دلماس Gaston Delmas مقالا اعتبر فيه الوطنيين المغاربة ممثلين لحركة وطنية صميمة هدفها النهوض بالجماهير وتربيتها وتخليصها من حكم استعماري تطبعه القسوة والفظاظة، وتم حجز الجريدة لكن المقال أعادت نشره صحف يسارية في باريس.(19)

وبالرباط رفض مناضلون راديكاليون موقف حزبهم من القضية المغربية واتصلوا بالوطنيين سنة 1933 وعبروا عن تعاطفهم مع مطالب الشعب في مقالات نشروها في صحافتهم.(20)

وحينما تعرض الوطنيون للقمع عام 1937 قام جان لونكي البرلماني وحفيد كارل ماركس بجمع توقيعات شخصيات فرنسية من عالم الآداب والاقتصاد والسياسة تستنكر القمع وتطالب باطلاق سراح المعتقلين.(21)

وكانت الحركة الوطنية تقدمت بلائحة **"المطالب المستعجلة"** إلى حكومة الجبهة الشعبية ونظمت تجمعات شعبية في الرباط والدار البيضاء وفاس تدخلت على إثرها الشرطة الاستعمارية وباشرت اعتقالات في قيادة الوطنيين، غير أن رئيس الحكومة ليون بلوم أمر بإطلاق المعتقلين وسمح بإصدار الصحف الوطنية، وظهرت الأسبوعية **"الأطلس"** الناطقة باسم الكتلة الوطنية، واستأنفت **"عمل الشعب"** بالفرنسية صدورها، وانضافت إليهما اليومية **"المغرب"** وأيد ممثلو الحزب الشيوعي والاشتراكي بالمغرب المطالب التي تقدمت بها الكتلة، إلا أن الإدارة الاستعمارية التي أزعجتها سياسة الانفتاح مارست أسلوب التجميد، وبمرارة علق الفاسي على ذلك بقوله : **"من العبث البحث عن طريق للتعاون مع نظام رفض أن يمد اليد..."**(22)

وفي مجال الإعلام والتوعية لعبت مجلة **"مغرب"** (Maghreb) التي صدرت في باريس وترأس تحريرها المحامي روبير لونكي دورا هاما، وشاركت فيها أقلام عدد من الاشتراكيين من ضمنهم جورج موني Georges Monnet والأستاذ في القانون إسيان انطونيلي Etienne Antonelli، وبيير رينوديل P.Renaudel وسيكست كوينان Sixte quenin، يدعمهم ليون بلوم في صحيفته لوبوبيلير Le populaire وبعض الراديكاليين مثل البرلماني فرنسوا البيير، وكاستون بيرجيري Gaston Bergery المناهض للاستعمار.(23) وكلهم اتخذوا

19 - بوطالب، ذكريات م.س.ج. 1ص 484.

20 - C.A. Julien, Le Maroc, Op Cit P : 173..

21 - بوطالب، م. س. ج. 1-ص 483.

22 - الفاسي، الحركات م.س. ص 227.

23 - Julien, Le Maroc ; op Cit P. 172..

مواقف مخالفة للخط الذي تسير عليه الأحزاب التي ينتمون إليها، وندد إيميل ديرمنغم Emille Dermenghem بالاستعمار ودافع عن المغاربة في مقالات نشرتها الصحف الفرنسية، وكتب الأديب الاسباني أرخيلا Argila والبرلمانيان اورتيكا إكراسيط Ortega ygrasset وماريال ميلشيور Melchior Marial مقالات رائدة على صفحات "مغرب" عبروا فيها عن تضامن الديمقراطيين الاسبان مع كفاح الشعب المغربي.

وفي يبرائر من عام 1946 أعد جان دريش Jean Dresch أستاذ الجغرافية وصديق المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد وثيقة تطالب بإلغاء الحماية والاعتراف للمغاربة بحقهم في الحرية، وقعها معه 14 أستاذا فرنسيا من أكاديمية باريس وكوليج دوفرانس ومعهد اللغات الشرقية وجامعة السوربون ومدير الصحيفة الكاثوليكية **"تيموا نياج كريتيان"**.

وفي يوم 25 يونيو 1946 تأسست **"عصبة الدفاع عن المغرب الحر"** وكان مركزها في زقاق ليبيراميد (Rue des pyramides) رقم 10 بباريس. وكان هدفها التعريف في فرنسا بالطموحات الوطنية للشعب المغربي والدفاع عنها ومساندتها. وانخرط فيها كل من المؤرخ أندري ريبار والمحامي روبير لونكي ومدير مجلة "مغرب" والصحفيان جيل مارتيني Gille Martinet وكي-فرانسوا جيب Guy-François Geppe وفليكس كونزاليس Felix Gonzalez رئيس تحرير مجلة **"18 يونيو"** والأديبة لاهي هوليبيك Mme Lahy Hollebecque والأساتذة إندري فيوليس وفرانسيس جوردان وبيير نافيل الباحثان في المجلس الوطني للأبحاث العلمية.

وانضم إلى العصبة الكاتب الشهير شارل بيتلهايم Charles Bettelheim وعدة شخصيات من عالم الثقافة والأدب، وفي بيان لهم أعلنوا **"أن الأساليب الاستعمارية المطبقة بالمغرب لا علاقة لها بالفكر الفرنسي الذي حددته مبادئ ثورة 1789 التي دافعنا عنها أثناء الكفاح ضد الاحتلال النازي."** (24)

وبعد الأحداث الدامية التي خلفت المآت من الضحايا يومي 7 و8 دجنبر 1952، نشر 13 أستاذا فرنسيا في ثانوية ليوطي Lyautey بالدار البيضاء رسالة يوم 18 دجنبر يستنكرون فيها الحملة العنصرية التي استهدف لها المغاربة داخل وطنهم ويطالبون المسؤولين بأن يجعلوا حدا لها. وكان رد فعل الإقامة الفرنسية العامة هو طرد 44 من الديموقراطيين الفرنسيين من المغرب بمن فيهم الأساتذة المحتجين.

وكان عدد من الشباب المسيحيين، راهبات ورهبان، شهودا على المجازر التي قامت بها القوات الفرنسية بالقرب من مكان سكناهم في حي الصفيح المعروف باسم "كاريار سانترال" فأطلعوا الكاتب والصحفي روبير بارا أحد المسؤولين في **"المركز الكاثوليكي للمثقفين الفرنسين"** في باريس على حقيقة ما

24 - Izarab Moh Hassan ouezzani, Entretiens avec mon père, 1946-1955 Fès 1989, P 279.

جرى وانكشفت الأخبار المغلوطة التي كانت تسربها الإدارة الفرنسية بالمغرب إلى الصحافة، وفي يوم 27 يناير 1953 نظم المركز الكاتوليكي تجمعا للاحتجاج على ما تقوم به السلطة الإستعمارية بالمغرب، وعبر العشرات من المثقفين الفرنسيين عن شجبهم لأساليب القمع الاستعماري وقرروا تأسيس جمعية بهدف جمع ونشر الأخبار الموضوعية حول الأوضاع بالمغرب والعمل على جعل حد لنظام الطوارئ المفروض. وتمكن باتريس بلاك بيلير Patrice Blacque-Bélair, من إبلاغ مدير جريدة "الفيكارو" بيير بريسو بكل ما شاهده من أحداث دامية في حق متظاهرين عزل يوم 8دجنبر 1952، واقنعه بضرورة فضح المظالم التي يقوم بها المستعمرون (25). وهكذا انضمت **الفيكارو** إلى صحيفة **لوموند** في حملة واسعة للصدح بالحقيقة والدفاع عن المغاربة، وتمكن نفس الشبان المسيحيين من التأثير على الكاتب الشهير الحائز على جائزة نوبل لسنة 1952 **فرانسوا مورياك** (1885-1970) واقنعوه بضرورة الدفاع عن العدالة وفضح الاستعمار. وكانت مقالاته المتتابعة والمواكبة للكفاح الذي خاضه الشعب المغربي بمثابة ضربة موجعة للمستعمرين وهزيمة لصحافة الارتزاق التي كانت تتستر على جرائمهم.

وأعلن عدد من أجود المثقفين الفرنسيين تضامنهم مع كفاح المغاربة وشنوا حرب الأقلام على الاستعمار من خلال دراسات ومقالات في صحف لومانيتي وتيموانياج كريتيان ولاكروا، وفران تيرور، ولوبسير فاتور.

ولم تتأخر الإدارة الاستعمارية في تحريك الرهبان الرجعيين الملتفين داخل **"التجمع الكاتوليكي للعمل"** بمدينة الدار البيضاء واصدروا بيانا اعتبروا فيه ما صدر عن المركز الكاتوليكي افتراء وإن أرقام الضحايا مبالغ فيها، واحتجوا على مقارنة مورياك جرائم الاستعمار الفرنسي بجرائم النازية. (26)

وفي 8 يونيو 1953 تأسست في باريس جمعية **"فرنسا-المغرب"** ضمت شخصيات فرنسية ومثقفين من كل الاتجاهات السياسية والدينية والاجتماعية، وجعلت من بين أهدافها الإعلام الموضوعي والبحث عن التدابير التي من شأنها أن تجعل حدا لحالة الاستثناء المفروضة على البلاد. وصدر بيانها الأول يحمل توقيع ثلاثين شخصية، وبعد مرور شهر على التأسيس إنضم إليها شخصيات أخرى. تراس الجمعية فرانسوا مورياك، وبجانبه أعضاء لامعون في الدراسات العلمية والأدبية، وكان من ضمنهم المستشرقان ريجيس بلاشير Regis Blachere ولوي ماسينيون Louis Massignon والكاتب البيركامو (Albert Camus 1913-1960) الحاصل على جائزة نوبل عام 1957، وفرانسوا ميتران، والسنيغالي ليوبولد سيدارسنغور، والصحفيون كلود بوردي، Claude Boudet وروبير بارا وزوجته دونيز، وجان جاك سيرفان-شريبر Jean Jacque Servan-Shreiber مدير الاكسبريس **وجان رو** مدير فران- تيرور،

25 - Julien, Le Maroc, Op. Cit. P. 265..
26 - La Vigie marocaine 28-1-1953..

وجان ماري دومانك مدير الشهرية Esprit وليفي بروفانسال مدير المعهد الاسلامي بجامعة السوربون، وغيرهم من الشخصيات التي بلغ عددها حوالي مائة من السياسيين والأدباء والأساتذة والصحفيين وعلى رأسهم البيربول لانتان. ومقابل أربع جمعيات معادية للاستعمار تطالب الحكومة الفرنسية بمراجعة سياستها الخاطئة بالمغرب، كانت هناك ست عشرة جمعية ممولة من طرف المستعمرين ومدافعة عن **"المغرب الفرنسي"** ومناهضة للديمقراطيين الفرنسيين المناصرين لحق المغرب في تقرير مصيره بنفسه. وكان انصار الحزب الاستعماري المقيمين بالمغرب يحضرون التجمعات المنظمة بفرنسا ويناوشون المتدخلين في محاولات للدفاع عن الوضعية الاستعمارية، غير أن الديمقراطيين كانوا عارفين بحقيقة ما يجري ويستعملون الحجج الملموسة لتأكيد صواب مواقفهم. ومثال ذلك الجواب المفعم الذي قدمه الأستاذ ماسينيون في ندوة صحفية بباريس يوم 29 يونيو 1953 حينما طعن في شهادة الباشا الجلاوي واعتبرها مرفوضة من قبل الإسلام لأن صاحبها قواد ويستغل النساء في بيوت الدعارة (27). وفي 4 مارس 1954 أصدرت جمعية **"فرنسا– المغرب"** التي كان يشارك في نشاطها بعض الطلبة المغاربة، بيانا طالبت فيه بتغيير كبار موظفي الإقامة العامة الفرنسية وجعل حد للقمع وإطلاق سراح المعتقلين والبحث عن الحلول الكفيلة بتحديد علاقات جديدة بين فرنسا والمغرب مع ممثلي الشعب الحقيقيين. وأمام اشتداد أعمال المقاومة المسلحة بالمدن، رفع يوم 10 مايو 1954 عدد من الفرنسيين المقيمين بالمغرب رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية عرفت برسالة 75 والواقع أنها تحمل أزيد من مائة وأربعين توقيعا لأساتذة ومحامين ومهندسين وأطباء وصحفيين ورجال أعمال وموظفين صغار وغيرهم.

وأعلنوا في رسالتهم أن سياسة التخويف المتبعة منذ سنوات لا يمكنها إلا أن تباعد أكثر بين المغاربة والفرنسيين، وطالبوا بمنح المغاربة الحق في التعبير عن الرأي وعدم اعتبار المعارضة السلمية تمردا ومعاملة أصحاب الرأي المخالف كأعداء لفرنسا. إلا أن مطالبهم وقفت عند حدود الإصلاحات وتجنبوا الكلام عن الاستقلال واكتفوا بمناشدة الحكومة الفرنسية العمل لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

إن التضامن الذي أبداه الديمقراطيون والأحرار الفرنسيون مع كفاح الشعب المغربي فتح أعين الرأي العام الفرنسي على حقائق خطيرة كان المغرب مسرحا لها، وفضح الجرائم التي اقترفتها الإدارة الاستعمارية وأكد للمغاربة أن الفرنسيين ليسوا كلهم استعماريين وإن لمبادئ الحرية والإخاء والمساواة جنودا يدافعون عنها في كل زمان ومكان.

Julien, Le Maroc, Op Cite P. 290.. - 27

الفصل الخامس عشر

صراع المصالح وجمود العقول

انتكاسة لمسيرة التحرير

البورجوازية تلتحق بالاستعمار الجديد

لعبت البورجوازية الوطنية دورا هاما في الكفاح السياسي من أجل الاستقلال. واعتمدت على ثورية الجماهير في مواجهة الرأسمالية الاحتكارية الأجنبية، وكانت في صفوف الطبقة البورجوازية شرائح أكثر رجعية ميالة إلى التصالح مع المستعمرين لوقف امتداد الحركة الثورية التي تجسد تهديدا للمصالح الرأسمالية الأجنبية والمحلية.

وفي نطاق تهيئ الجو العام لسياسة الاستعمار الجديد، أقدمت الإدارة الفرنسية على تأسيس عدد من الجمعيات الثقافية والاقتصادية لتقوم بدور الوسيط بين المغاربة والفرنسيين الراغبين في وقف تطور الكفاح التحريري الهادف إلى إحداث تغيير اجتماعي جذري لفائدة الشعب.

ومن بين الجمعيات التي لعبت دورا خطيرا في سياسة الاستعمار الجديد، **"صداقات مغربية"** وكان على رأسها فيليكس ناطاف الذي تحمل المسؤولية في المجلسين التجاري والصناعي وأحرز على الجنسية الفرنسية واعتنق المسيحية بعد تخليه عن اليهودية، وقام بتحرير تقارير لحكومة باريس حول الأوضاع بالمغرب.(1)

تأسست **"صداقات مغربية"** في بداية الخمسينات وادعت أنها جمعية لا سياسية هدفها العمل على تطوير علاقات الصداقة بين جميع القاطنين بالمغرب والاهتمام بالشؤون الاجتماعية وبقضايا الشباب. وكان الادعاء مجرد تمويه لتغطية أشياء أخرى سرعان ما انكشفت على أرض الواقع. ففي رسالة بتاريخ 9-2-1952 من الجنرال دهوتفيل رئيس القيادة العليا للجيش إلى **ناطاف** يخبره بأن 55 ضابط صف انخرطوا في جمعيته.(2)

وعندما ألقي القبض على قادة الأحزاب السياسية ومنعت الصحف الوطنية من الصدور أصبحت "صداقات مغربية" تمارس علانية النشاط السياسي. واستقبل المقيم العام الجنرال جيوم أعضاءها وخاطبهم : **"إن مجموعتكم تمثل آخر رباط يجمعنا بالمغاربة المقبولين"**.

1 - Julien, Le Maroc, Op Cit. P. 353.

2 - Felix Nataf, l'indépendance, du Maroc, Témoignage d'action 1950-1956 plon, Paris, 1975, P. 251.

ضمت الجمعية أعضاء فرنسيين ومغاربة موالين للإقامة العامة الفرنسية مثل محمد الزموري قاضي في محكمة الدار البيضاء وآخرين محسوبين على الحركة الوطنية ومن ضمنهم المحامون عبد العزيز الفيلالي وأحمد زروق والبشير بن العباس والمحامي المتدرب امحمد بوستة، ورجال الأعمال امحمد دادي، الحاج عمر السبتي، محمد بن الجيلالي بناني، محمد كريم العمراني، امحمد الزغاري، محمد العلمي، المهدي بنكيران، محمدالسبتي وكلهم من حزب الاستقلال.(3)

ويحدد برنامج الجمعية المنشور يوم 6-4-1954 مطالبها في ضرورة اطلاق سراح المعتقلين السياسيين والسماح بحرية الصحافة والتنظيم النقابي، ويؤكد على أن **"الاستقلال المتداخل في شراكة بين دولتين لا يمكن فهمه إلا بعد تحويل المغرب من دولة تستمد سلطتها من الحق الإلهي إلى دولة ديمقراطية تضمن في دستورها لجميع السكان بدون تمييز في العرق والدين وفي كل المجالات، المساواة التامة أمام القانون والمؤسسات".** (4)

وأعلن أعضاء الجمعية، فرنسيون ومغاربة، رفضهم لحركة المقاومة التي كانت تكافح من أجل الاستقلال، وتجلى الرفض المكشوف في الخطاب الذي ألقاه نائب رئيس الجمعية امحمد دادي.(5)

ويقول **ناطف** بأن المحامي عبد العزيز الفيلالي اتصل بقيادة حزب الاستقلال في السجن وعرض عليها مذكرة المطالب واقترحت بعض التعديلات عليها قبل تقديمها إلى السلطة الفرنسية.

وفي يوم 22-7-1954 تلقى المقيم العام الفرنسي الجديد فرانسيس لاكوسط رسالة تحمل 90 توقيعا (6) ومن بين الموقعين امحمد بوستة، امحمد الدويري، امحمد الزغاري، عمر السلاوي، الطاهر السبتي من حزب الاستقلال، والتهامي الوزاني من قيادة حزب الشورى إضافة إلى 25من كبار التجار و 6من الملاكين العقاريين و 12 طبيبا و 9محامين، و 5مهندسين و 11أستاذا، ولكي تحظى الرسالة بصفة تمثيلية أضيفت إليها أسماء عدد من صغار الباعة والعمال والحرفيين والطلبة.

ولم تكن المطالب التي تحملها تتعدى رفع القيود عن حرية الصحافة وإطلاق سراح القيادة الحزبية من أجل تهدئة الوضع ووقف أعمال العنف، وقال الموقعون إن العنف السائد في المغرب **"لم يجد أبدا مكانته في المثل وفي عمل الوطنية المغربية التي عملت دائما على الوصول إلى مطالبها بطرق سلمية".**

وهكذا تبرؤوا من المقاومة الشعبية باسم الوطنية وعبروا عن استعدادهم للتعامل مع الرإسمالية الاستعمارية.

وعلى غرار **"صداقات مغربية"** تأسست 15جمعية أخرى تنسق نشاطها

3 - IbId. P. 68.
4 - Ibid, P. 68.
5 - Ibid. P. 65.
6 - يسمونها رسالة 128والواقع أنها لا تتجاوز 90توقيعا (Le Matin 20-8-1988)

مع المغاربة المستفيدين من الوجود الرأسمالي الفرنسي. (7) وكان عدد منهم منخرطين في عدة جمعيات في ذات الوقت. وهكذا نجد في **"مركز الأبحاث والدراسات الاجتماعية والعائلية"** امحمد الدويري وامحمد الزغاري والمحامي عمر السلاوي الذي اغتاله الارهابيون الفرنسيون، وعبد الرزاق المسؤول عن قطاع الشغل في مصنع فرنسي وقد لقي حتفه على يد المقاومين. (8)

وتكرر تنظيم المناظرات (كونفرس) في باريس للبحث عن حل المشكلة المغربية، وكانت أكبرها تلك التي نظمت يومي 7 و8 مايو 1955 وشارك فيها الرؤساء دالادي وفرانسوا ميتران وهيريو وميشيل دوبري وجورج ديهامل والآن سافري وليون مارشال، ومن الجانب المغربي رجل الأعمال امحمد دادي وملاك الأراضي محمد بنمنصور النجاعي، والضابطان في الجيش الفرنسي امبارك البكاي والمحجوبي أحرضان، وعبد الرحيم بوعبيد وعمر بن عبد الجليل من حزب الاستقلال، واحمد بن سودة ومحمد الشرقاوي عن حزب الشورى. (9)

وحضرها فرنسيون مقيمون في المغرب منهم لوميكر ديبروي صاحب معمل زيت لوسيور والمساهم في عدة شركات تجارية مع بوجوازيين مغاربة، والمبشر بسياسة الانفتاح على البورجوازية المغربية لضمان مستقبل المصالح الفرنسية.

وكان موضوع المناظرة التي أحيطت بها دعاية كبيرة يتمحور حول **"البحث عن كيفية إرضاء المطالب الشرعية والعادلة للمغاربة مع احترام المصالح العامة لفرنسا والمصالح الخاصة للفرنسيين"** (10)

وتدخل بعض الطلبة المغاربة في قاعة المحاضرات واتهموا المشاركين في المناظرة بالعمالة لمراكز القوة المالية، ورفضوا كل ما قدم من اقتراحات واعتبروا الحل الوحيد هو الاعتراف بالاستقلال. (11)

وعمل الناطقون باسم الاستعمار الجديد على إقناع البرلمانيين الفرنسيين بأن مصالح فرنسا مهددة بالمغرب إذا لم يتم التفاهم مع البورجوازية الوطنية، وجاء في رسالتهم الى اعضاء البرلمان: **"ان الشباب بدؤوا يتركون حزب الاستقلال، وتستقطبهم منظمات متعصبة تعمل في السرية وهي أكثر خطورة."** (12)

وفي تقريره إلى الحكومة الفرنسية أكد المقيم العام كرانفال أن الموالين لفرنسا خائفون من امتداد الانتفاضات الشعبية إلى البادية. بينما يخشى ممثلو الحركة الوطنية البورجوازية من تجذر حركة المقوامة (13)

7 - Nataf op. Cit. P 263.
8 - Ibid, P. 32.
9 - Julien. Op. Cit. P: 408.
10 - Ibid.P. 409.
11 - Ibid
12 - Hervé Bleuchot, les libéraux français au Maroc 1947-1955, Aix Ed de l'Université de Provence 1973, P. 256.
13 - P. July, une République, Op. Cit, P. 164.

وأمام المجلس الوطني الفرنسي ألقى ما نديس فرانس، رئيس الحكومة، خطابا يوم 18-6-1954 بدا فيه الخطوة الأولى لتمهيد الطريق نحو فتح المفاوضات السياسية بتأكيده على أنه **"لا ينبغي أن يكون المغرب وتونس، على جوانب مقاطعاتنا الجزائرية، بؤرا لانعدام الأمن والهيجان"**.

وفي غمرة الأحداث المتتابعة وتصاعد أعمال المقاومة أرسل مانديس فرانس وفدا يرأسه الضابط فانسان مونطيل، وكانت تربطه علاقة صداقة مع بعض القادة الوطنيين، لتبليغ أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بسجن القنيطرة عزم الحكومة على إطلاق سراحهم. ونفس المهمة قام بها الجنرال ميكيل رئيس ناحية مكناس في سجن اغبالوا نكردوس حين اتصل بالمعتقلين وكان من بينهم المهدي بن بركة المعتقل في الصحراء منذ سنة 1951.

وبالفعل أطلق سراح المعتقلين يوم فاتح أكتوبر 1954 بعد أن برأتهم المحكمة العسكرية من تهمة **"التآمر على أمن الدولة"** وعددهم 51 وكان ذلك تمهيدا لبدء المفاوضات معهم بشكل رسمي بهدف ربط مصالح البورجوازية الوطنية بمصالح الرأسمالية الأجنبية، وهي نفس السياسة التي جعلت كبار موظفي حكومة المخزن يعلنون للمقيم العام لاكوسط بأنهم مستعدون لتسهيل انسحاب بن عرفة بشكل ودي وعودة الملك محمد الخامس إلى العرش. (14)

وبرز من جديد **نطاف** ليقوم بدور الوسيط بين الإدارة الفرنسية والوطنيين وقام بترتيب لقاء جمع المقيم العام **لاكوسط** وعبد الرحيم بوعبيد وعمر بن عبد الجليل بعد أربعة أيام فقط من إطلاق سراحهما، ثم أرسل خطابا إلى رئيس الحكومة الفرنسية يخبره بما دار بين المقيم العام وممثلي حزب الاستقلال. (15)

وفي تلك الأثناء استقبل كريستيان فوشي وزير الشؤون المغربية والتونسية وفدا عن حزب الشورى والاستقلال، إلا أن المفاوضات لم تدخل مرحلة معمقة إلا بعد مجيء ادغارفور إلى رآسة الحكومة مكان مانديس فرانس في شهر بيراير 1955.

وفي شهر مايو 1955 شل الإضراب مدينة الدار البيضاء وكادت الحركة التجارية أن تتوقف، فاستنجد رئيس الناحية إيميل فوكنو Emile Fauquenot بحزب الاستقلال ليوقف الإضراب بهدف تهدئة الأوضاع تمهيدا لفتح المفاوضات السياسية، وبما أن الأغلبية من المقاومين نشطاء في الحزب فإن قيادته لم تجد صعوبة في ترويضهم لتنفيذ مخططها، فكان أشخاص يطوفون في الأسواق داعين إلى إنهاء الإضراب وفتح المتاجر، ومن وراءهم يقف مسلحون، وبمجرد ما يتدخل المطالبون بالابقاء على الإضراب يطلق عليهم المسلحون النار، وحينما يلقى عليهم القبض يطلق رئيس الناحية سراحهم، وهكذا تم حل الإضراب في مستنقع من الدماء بعد أسبوع من التقاتل بين المقاومين. (16)

14 - France observateur 5-8-1954.
15 - NATAF, Op. Cit. p. 125-127.
16 - مقابلة مع سفيان عبد الله خربوش في الدار البيضاء بتاريخ 8-7-1990.

وحينما تأكد التفاهم السياسي بين البورجوازية والاستعمار، لجأت الإدارة الفرنسية إلى أسلوب الاستعمار الجديد، واوحت إلى الباشوات والقياد وكبار موظفي حكومة المخزن باستنكار موقف الباشا الجلاوي وتجديد الولاء للملك محمد الخامس !

وبدأت المناورة يوم 11 غشت 1955 في منطقة زإيان بالأطلس المتوسط التي كانت تتكون من 12 قبيلة أمازيغية خاضعة لإدارة اربعة قياد، وهم : أحمد ولد حسن، محمد أمهروق، إبراهيم بلحسن، اباعدي، وكلهم طالبوا عام 1953 بأبعاد محمد الخامس عن العرش لينقلبوا إلى مدافعين عنه، وكان الوسيط المكلف بتحريضهم على إرسال برقية إلى رئيس الجمهورية الفرنسية هو القائد المحجوبي أحرضان الضابط السابق في الجيش الفرنسي. (17)

وفي يوم 13 غشت أعلن 54 قائدا، ينتمون إلى مختلف جهات الأطلس، عن قطع علاقتهم مع الباشا الجلاوي وإظهار إلتعاطف مع الملك الشرعي. (18)

وبعد عشرة أيام وقف الباشا الجلاوي أمام اللجنة الوزارية الفرنسية أثناء المشاورات في إيكس ليبان، يشتكي من المقيم العام كرانفال الذي قال عنه بأنه طلب من أصدقاء فرنسا أن يقطعوا العلاقات معه. (19)

وأمام نفس اللجنة صرح عبد الرحمان الحجوي، رئيس تشريفات بن عرفة، بأن رئيس ناحية فاس أرغم القياد ليغيروا موقفهم وأن المراقبين المدنيين تدخلوا لدى القياد لكي لا يحضروا حفلات عيد الأضحى بالقصر الملكي. (20)

أما أولئك القياد الذين تأخروا عن تطبيق التعليمات الجديدة فقد أنذرهم المقيم العام **أندري ديبوا** قائلا : **"إن الملك قبل أن ينسى أخطاء الماضي"** وكانت تلك الجملة إشارة لهم ليطلبوا العفو من الملك العائد من المنفى مقابل محافظتهم على وظائفهم. (21)

وفتحت الحكومة الفرنسية مباحثات مع الملك في منفاه بمدغشقر بداية من شهر سبتمبر 1954 بواسطة محاميه **جورج إزار**، وفي شهر أكتوبر اتصل به وفد فرنسي يتركب من طبيبه الخاص ديبوا روكبير، والجنرال كاترو والكولونيل تويا وعرض عليه المخطط الجديد للسياسة الفرنسية تجاه المغرب.

وإذا كانت الكتل المالية الفرنسية مقتنعة بأن الطريق الوحيد للحفاظ على مصالحها يكمن في التصالح مع البورجوازية المحلية، فإن خصوم الملك المنفي من ملاكي الأراضي خائفون من امتداد الانتفاضات الشعبية إلى البادية، بينما يخشى الوطنيون المعتدلون من أن تفلت من أيديهم مراقبة الحركة التي شنوها لصالح الملك. (22)

17 - G.Spillmann, Du protectorat, P. 216.
18 - Julien, Le Maroc, P. 433.
19 - Les documents diplomatiques français, Ministère des affaires étrangères, Paris 1994 (Le Affaires de l'Afrique du Nord).
20 - Ibid
21 - J.F. Chauvel, A rebrousse - Poil, op. Cit P. 80.
22 - P.July, une république, Op, Cit 164.

وتوافد على زيارة الملك عدد من المغاربة، بموافقة فرنسية، منهم الضابط البكاي باشا صفرو السابق، والفاطمي بن سليمان باشا فاس السابق وممثلو حزبي الاستقلال والشورى، وكان الحل المقترح من طرف الحكومة الفرنسية هو قيام مجلس للعرش وتأليف حكومة مغربية تمثل كل مكونات الراي العام للتفاوض حول مستقبل العلاقات بين المغرب وفرنسا، وفي مقابل ذلك يرخص للملك وأسرته بالإقامة في فرنسا.

وبعد مفاوضات عسيرة وافق محمد الخامس على صيغة اقتراح أخرى ترتكز على أن تكون **"سياسة فرنسا مبنية على تأكيد السيادة المغربية واحترامها، وتهدف إلى قيادة المغرب نحو وضعية دولة عصرية حرة ذات سيادة تربطها بفرنسا علاقات استقلال متداخل يتفاوض عليه الطرفان بحرية."**

وأثارت كلمة المتداخل أو المترابط التي تعني في جوهرها الاستقلال داخل التبعية، خلافا وسط قيادة حزب الاستقلال حيث هدد محمد اليزيدي بتقديم استقالته من الحزب إذا واصل أصدقاؤه المفاوضة على أساس **"الإستقلال المتداخل"** (23) وفي تصريح له قال علال الفاسي أنه يفضل كلمة التعاون أو التحالف. وفي بلاغ مشترك أصدره، عبد الرحيم بوعبيد عن حزب الاستقلال وأحمد بن سودة عن حزب الشورى والاستقلال وامبارك البكاي يوم 21مارس 1955في باريس جاء فيه : **"إن الحل الوحيد للمشكل يكمن في تحديد جديد للعلاقات الفرنسية المغربية على أساس الاستقلال داخل إطار الاستقلال المتداخل المقبول بشكل حر من قبل الجانبين."** (24)

وكان على الرئيس إدكارفور أن يسلك أسلوب التحايل بهدف تمرير مشروعه القاضي بعودة محمد الخامس، وألف لجنة من خمسة وزراء للبحث عن حل للمسألة المغربية، وأشرك فيها كل الاتجاهات السياسية المتمثلة في الحكومة الفرنسية، واقترح برنامجا يقضي بتكليف بن عرفة بتشكيل حكومة للتفاوض مع فرنسا من أشخاص تعطاه لائحة باسماءهم ويمثلون جميع اتجاهات الرأي العام المغربي، فإذا نجح في تكوينها فإن اللجنة الوزارية ستواصل العمل معها، وإذا فشل فينبغي استدعاء مغاربة وفرنسيين يمثلون الأحزاب والهيئات وكل من له دور في المشكلة المغربية لمحاورتهم في البحث عن حل للقضايا المطروحة وخاصة قضية العرش.

وأقدم المقيم العام **كرانفال** على الاتصال بأهم الأعيان المعروفين وأمرهم بعدم الاستجابة لدعوة المشاركة في الحكومة. وهكذا أظهر بن عرفة كشخص عاجز عن تكوين الحكومة المقترحة(25)، ووجد نفسه بعد صراعات ومؤمرات أنصاره من مغاربة ومستعمرين، منفيا إلى مدينة طنجة يوم 1 أكتوبر 1955 ومنها إلى إقامة مريحة بفرنسا ليموت في نيس عام 1976بدون أن يستلفت انتباه أحد بالمغرب.

23 - غلاب المـاهدون الخالدون، م.س. ص. 128.
24 - NATAF, L'indépendance, P. 150.
25 - Grandval, ma mission, P. 107.

وفي منتجع إيكس– ليبان على بحيرة **لوبورجي** من مقاطعة **لاسافوا** جرت المشاورات السياسية. حضرها من الجانب الفرنسي رئيس الحكومة ادكارفور (راد يكالي)، روبير شومان وزير العدل(حركة الجمهورية الشعبية) انطوان بيني وزير الشؤون الخارجية (الحزب الليبرالي)، الجنرال كوينيك وزير الدفاع (اليمين المتطرف)، بييرجولي وزير الشؤون المغربية والتونسية (اليمين المعتدل).

ومن 22 غشت إلى 27 منه استمعت اللجنة الوزارية الفرنسية الى 37 شخصية من المغرب منهم ممثلو الأحزاب الوطنية والموالون لفرنسا والمعمرون والرأسماليون الفرنسيون.

وكانت الأنظار متجهة إلى مواقف الوطنيين، ومثل حزب الاستقلال عمر بن عبد الجليل، المهدي بن بركة، عبد الرحيم بوعبيد.

ومثل حزب الشورى والاستقلال محمد الشرقاوي، عبد الهادي بوطالب، احمد بنسودة، عبد القادر بنجلون، وكان الأولون يستشيرون أحمد بلا فريج المقيم في جنيف، والأخيرون يتصلون مع بلحسن الوزاني في لوزان.

وبالإضافة إلى امبارك البكاي باشا صفرو السابق، والفاطمي بنسليمان باشا فاس السابق، وعباس التازي باشا الرباط ومحمد المقري الوزير الأول، استمعت اللجنة الوزارية الى عملاء فرنسا الباشا الجلاوي والفقيه عبد الحي الكتاني وعبد الرحمان الحجوي وغيرهم.

ورغم أن الاتصالات كانت تحدث بشكل منفصل، فإن الوثائق المنشورة حديثا تظهر أن العملاء والوطنيين كانوا يتنافسون في إظهار الود نحو فرنسا وتقديم انفسهم، في مزايدات مبتذلة، كضامنين لمصالحها بالمغرب والمحافظين على وجودها السياسي والثقافي.

فالعملاء تحدثوا أمام اللجنة الوزارية وقدموا لها تقارير مكتوبة يتهمون فيها الوطنيين بأنهم قادة للعنف والتعصب ولا هدف لهم سوى طرد فرنسا من المغرب بتحالف مع الشيوعيين، بينما اجتهد الوطنيون لإقناع مخاطبيهم الفرنسيين بأن هدفهم بناء المستقبل على أساس التعاون المغربي الفرنسي في نطاق الاستقلال المتداخل. (26)

وعلى الرغم من المناورات التي قام بها المستوطنون بالمغرب وحلفاؤهم بفرنسا، فإن السياسة الرسمية الفرنسية اتجهت نحو التسليم بالمطالب الثانوية للمحافظة على القضايا الجوهرية، ونتج عن المفاوضات اتفاق يقضي بانسحاب بن عرفة إلى طنجة، وتأسيس مجلس للعرش وتكوين حكومة من جميع الاتجاهات للتفاوض مع فرنسا، وعودة الملك محمد الخامس للإقامة بفرنسا.

تأسس مجلس العرش يوم 15 أكتوبر 1955 وضم أربعة أشخاص الوزير الأول محمد المقري وامبارك البكاي ومحمد الصبيحي باشا سلا والطاهر أوعسو ضابط سابق في الجيش الفرنسي وقائد قبيلة في الأطلس المتوسط. وقرر المجلس

26 - Les documents diplomatiques, Op. Cit.

يوم 19 أكتوبر اسناد مهمة تأليف الحكومة إلى الفاطمي بنسليمان. وقبل حزب الشورى والاستقلال المشاركة فيها ورفضها حزب الاستقلال بدعوى أن مجلس العرش لا يقوم على الأساس الذي تم الاتفاق عليه في إيكس- ليبان.

في تلك الأثناء كان جيش التحرير الذي بدأ هجوماته على المراكز الفرنسية في شمال المغرب يوم 2 أكتوبر يوالي تقدمه على طول الحدود الوهمية التي تفصل المنطقتين الاسبانية والفرنسية. وكانت المقاومة المسلحة بالمدن متواصلة والمظاهرات الشعبية متأججة في مختلف المناطق وعلى الحدود الشرقية ارتفعت حدة المواجهات الدامية بين جبهة التحرير الوطني الجزائرية والجيش الفرنسي، وأمام تلك الأوضاع المتفجرة أقدمت الحكومة الفرنسية على سلوك طريق آخر يجعل حدا للازمة، ويضمن المصالح المستقبلية للرأسمالية الاستعمارية. فقد أوحت إلى الباشا الجلاوي بأن يطالب جهارا بعودة محمد الخامس إلى العرش. وهذا ما فعله يوم 25 أكتوبر بالرباط حينما صرح أمام أعضاء مجلس العرش : **"إني أشاطر الأمة المغربية أمنيتها في الرجوع العاجل لمحمد الخامس إلى عرشه. فرجوعه وحده هو الكفيل بتوحيد الخواطر والقلوب".**

وعلق المهدي بن بركة على تقلب الباشا المفاجئ بأنه مناورة سياسية للاستعمار الجديد، في حين بعث بلحسن الوزاني الأمين العام لحزب الشورى من لوزان برقية إلى الباشا يهنئه فيها على الموقف الذي اتخذه. (27)

وادعى غلاب من حزب الاستقلال أن مواقف الباشا السابقة كانت ناتجة عن **"أزمة نفسية حادة"**. (28) وإن إخلاصه لفرنسا لم يكن... عن عقيدة بمقدار ما كان عن مصلحة (29) وأنه كان منذ الأربعينات مصابا بالصرع من جراء جرح في رأسه إثر حادثة سيارة واستغل الفرنسيون حاشيته ليوحوا إليه عن طريقها بكل ما يريدون. (30)

ولم يقل غلاب شيئا عن أمراض الباشا الوهمية حينما كان يحارب المقاومة الشعبية إلى جانب الجيوش الاستعمارية بداية من سنة 1912 إلى نهاية العشرينات. وتجاهل الحقائق التاريخية التي تؤكد أنه **"في سنة 1937 سافر الباشا لجلاوي إلى باريس لإقناع السلطات الفرنسية، بخطورة الحركة الوطنية... واستطاعت الرجعية الإقطاعية أن تتحد مع الاستعمار لمقاومة حركة التجديد والتحرير الوطني..."** (31)

وذهب غلاب إلى أبعد من ذلك واعتبر أن التصريح الذي أدلى به الباشا كان باتفاق مع حزب الاستقلال. (32) وكاد تفسيره الخرافي للأحداث أن يقوده إلى الادعاء بأن الباشا كان من قادة الحركة الوطنية !

27 - Izarab, Entretiens, Op. Cit. P. 161.
28 - غلاب، تاريخ الحركة الوطنية. ج. 2 ص. 743.
29 - ن.م. ص. 746.
30 - ن.م. ص. 747.
31 - علال الفاسي الحركات، ص. 219.
32 - غلاب، تاريخ الحركة، 754.

والواقع أن دفاع غلاب عن الباشا كان يعبر عن رأي شريحة من شرائح البورجوازية التجارية التي كانت مصالحها متداخلة مع مصالح الملاكين العقاريين والاقطاعية الزراعية ولم تكن ترى ضمان مصالحها إلا في إطار التبعية للاستعمار الجديد.

ولم يكن وزير الشؤون المغربية والتونسية يجهل الحقيقة عندما أكد أن الباشا أسر له، أثناء تدشين سد بين الويدان(33)، أنه لن يقف ضد سياسة فرنسا، ولن يكون الأخير الذي يستجيب لدعوتها إذا ما قررت إعادة محمد الخامس إلى العرش.(34)

وفي اخر شهر أكتوبر وصل محمد الخامس إلى فرنسا واستقبل أعضاء مجلس العرش، وأصدر حزب الاستقلال بيانا يعلن فيه أن مجلس العرش لم يعد له مكان وأن المغاربة بكل اتجاهاتهم متمسكون بالملك الشرعي، وتقدم الباشا يوم 8 نوفمبر ليقبل الأرض أمام أقدام الملك، وتوالى صدور بلاغات الولاء والطاعة من كل المتآمرين السابقين مغاربة وفرنسيين بمن فيهم بن عرفة ومنظمة **"الحضور الفرنسي"** الارهابية، والمعمرون والراسماليون الفرنسيون.

وتضمن التصريح المشترك الذي وقعه الملك محمد الخامس ووزير الخارجية الفرنسي **انطوان بيني** يوم 6 نوفمبر 1955 النقط التالية :

1- يبقى المغرب دولة مستقلة مرتبطة مع فرنسا بروابط دائمة.

2- تأليف حكومة مغربية للتفاوض مع فرنسا تمثل مختلف اتجاهات الرأي العام المغربي.

3- تحضير الإصلاحات التي ستجعل من المغرب دولة ديموقراطية ذات حكم ملكي دستوري.

4- ضمان حقوق الفرنسيين القيمين بالمغرب وحرياتهم.

وبعد أسبوعين من صدور التصريح المشترك جاءت حكومة كي مولي إلى الحكم وانتقل محمد الخامس إلى باريس يوم 1956/2/13 على راس الوفد المغربي المفاوض وكان يتكون من وزراء الدولة عبد الرحيم بوعبيد وإدريس المحمدي من حزب الاستقلال، ومحمد الشرقاوي من حزب الشورى ورضا كديرة والبكاي رئيس الحكومة ونائبه امحمد الزغاري وهو نفس الوفد الذي تفاوض في مدريد مع الحكومة الاسبانية، واعترفت فرنسا يوم 2 مارس 1956 باستقلال المغرب وفعلت اسبانيا نفس الشيء يوم 7 أبريل 1956، وفي 29 أكتوبر تخلصت مدينة طنجة من نظام الانتداب الدولي واندمجت في حظيرة المغرب.

33 - من أكبر السدود على بعد 60 كلم من بني ملال ينتج الكهرباء ويسع أكثر من مليار ونصف متر مكعب من الماء.

34 - July une republique, P. 128.

التطاحن بين حزب الاستقلال وحزب الشورى

في فجر الاستقلال كانت تتواجد على الساحة أربعة أحزاب وطنية وهي حزب الاستقلال وحزب الشورى وحزب الإصلاح الوطني والحزب الشيوعي.

وكان حزب الاستقلال الأكثر شعبية ويتمتع بنفوذ قوي وسط الجماهير، ولذلك اعتبر نفسه الحزب الوحيد الجدير بالانفراد بالقيادة لأنه "الحزب الذي كافح وحده في سبيل الاستقلال وعودة الملك" (1) وانكر على غيره الحق في النضال، وبقدر ما كان يرفض الاعتراف بأي دور لغريمه حزب الشورى الضعيف جماهيريا، كان يجهر بعداء مطلق للحزب الشيوعي الذي لم يكن له إسهام ملموس في المقاومة المسلحة.

ومن جهته حرص حزب الشورى والاستقلال على المطالبة بنصيبه من غنائم الاستقلال وجعل من أولوياته المطالبة بالدستور والديموقراطية. ورفض أن تكون عزلته عن الجماهير مبررا لإخضاعه "إننا لم نناضل من أجل الاستقلال لكي نقع في قبضة الاستبداد الداخلي الذي قد يكون أسوأ من السيطرة الأجنبية" (2)

وكان حزب الإصلاح الوطني في منطقة النفوذ الاسباني أخا شقيقا لحزب الاستقلال ولعب دورا في الاستفادة من الخلاف الفرنسي الاسباني وقام رئيسه عبد الخالق الطريس بربط الاتصال بين علال الفاسي والمقيم العام الاسإني كارسيا فالينو من جهة وبين الحكومة الإسبانية والجامعة العربية من جهة أخرى، وساهم في تزويد المقاومة بالسلاح وآوى اللاجئين وشاركت أطره في تنظيم جيش التحرير في جبال الريف عام 1955.

وحينما رفضت الإدارة الاسبانية سياسة الأمر الواقع الفرنسية في غشت 1953، اعتبر الوزاني ذلك انفصالا لشمال المغرب عن جنوبه وقام بحملة دعائية في المشرق العربي ودخل في صراع علني مع الطريس وحليفه الفاسي، وكان رد فعل السلطة الاسبانية أن ألقت القبض على أصدقائه المقيمين في مدن الشمال وكان من بينهم إبراهيم الوزاني، محمد العربي الخطابي، حسن المصمودي، عبد السلام التدلاوي.

وبعد إعلان الاستقلال نزلت ضربات حزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني بقادة بارزين في حزب الشورى كما سنرى لاحقا.

أما الحزب الشيوعي فقد مثل خليطا من المناضلين القادمين من الجزائر منهم الأوربيون واليهود والمسلمون، وانضافت إليهم أقلية من المتعلمين المغاربة،

1 - علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها مطبعة الرسالة الرباط 1990 ص 58.

2 - محمد حسن الوزاني، تصريحات صحفية ج 2بيروت 1986ص 79.

ولكي يستدركوا ما فاتهم في مرحلة المقاومة المسلحة حاولوا ركوب حصان جماعة "الهلال الأسود" المنشقة عن "المنظمة السرية" التابعة لحزب الاستقلال، وكانوا أكبر الخاسرين في دوامة عنف مجنون دخلوها متأخرين.

وهذا موضوع شائك ومعقد يكتسي حساسية بالغة ساده التعتيم والغموض واستحالت الحقيقة مع غياب الوثيقة المكتوبة.

وفي محاولة لاستكشاف بعض خفايا تلك الفترة الحالكة نسجل وقائع مفجعة كما عشناها عن قرب وسمعنا بعض فصولها من أفواه المشاركين فيها، وهي شهادات حول مظاهر العنف الناشئ عن تصفية حسابات حزبية وأحيانا شخصية اختلط فيها السياسي بالإجرامي.

يرجع تاريخ الصراع بين حزبي الاستقلال والشورى إلى البدايات الأولى للحركة الوطنية، فالزعيمان بلحسن الوزاني وعلال الفاسي افترقا في يناير 1937 نتيجة خلافهما الحاد على قيادة "**كتلة العمل الوطني**" وأسس الوزاني "**الحركة القومية**" وترأس الفاسي الحزب الوطني في أبريل 1937 بعد إقدام الإقامة العامة الفرنسية على حل الكتلة.

وارتفعت أصوات قادة حزب الإصلاح الوطني في تطوان منددة بالوزاني ومتهمة إياه بالعمالة للاستعمار الفرنسي ونشرت جريدة "**الريف**" التي كان يديرها التهامي الوزاني خبرا يقول أن الوزاني ورفاقه سعوا في حل كتلة العمل الوطني باتفاق مع رجال السلطة.(3)

وتجاوزت الخلافات الحدود لتنفجر في القاهرة حينما استطاع الوزاني أن يحضر على رأس وفد حزبه دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة المنعقدة بباريس في شهر دجنبر 1951، بينما امتنعت الحكومة الفرنسية عن منح تأشيرات الدخول إلى أرضها لممثلي حزب الاستقلال.

وفي نطاق حرب الأعصاب التي شنها ضد خصومه، افتخر الوزاني بكونه الوحيد الذي يمثل الحركة الوطنية المغربية. (4) وفي السنة الموالية لم يتمكن الوزاني من الحصول على تأشيرة الدخول إلى أمريكا لحضور أشغال الجمعية الأممية، واشتكى من الفاسي إلى عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف اللتجئ إلى مصر. فتدخل لفائدته لدى وزير الخارجية المصرية قائلا : "**نحن لا نستبعد أن يكون علال الفاسي هو محرر ما قد يكون وصل إلى وزارة الخارجية المصرية من دس في شأن الأستاذ الوزاني أو سفره إلى أمريكا، ولكن الفاسي إنما يستهدف من ذلك... الاستبداد بالسمعة والشهرة الرخيصة لشخصه على حساب الأكفاء الوطنيين بل على حساب الشعب المغربي بأسره**". (5)

ولما بدا العمل المسلح في الخمسينات ازدادت خلافات الرجلين في القاهرة وادعى كل منهما أنه صاحب الكلمة في المقاومة، ولم تكن الجامعة العربية

3 - أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات ج.2. ص 149.

4 - Izarab, Entretiens avec mon père, Op. Cit P.270.

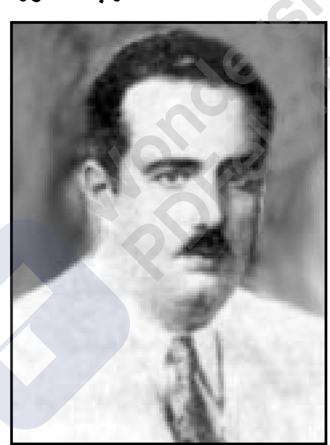
5 - نص الرسالة في المصدر السابق ص 272.



● علال الفاسي
حزب الإستقلال



● بلحسن الوزاني
حزب الشورى والإستقلال



● عبدالخالق الطريس
حزب الإصلاح الوطني

تدري من يستحق الدعم المادي من الأحزاب المغربية المتصارعة.(6)
وأدلى الوزاني بتصريح نفي فيه أن تكون للمقاومة المسلحة أية علاقة بالأحزاب السياسية واعتبرها **"حركة قومية صميمة... وحركة نضالية شعبية"**.(7)
واضطر الفاسي الى الاتصال بـ **"المنظمة السرية"** عن طريق مكتب تطوان مطالبا بتنظيم عملية مسلحة كبيرة وإبلاغه مسبقا بنوعها وبالتاريخ

6 - المهدي بنونة السنوات الحرجة، م.س. ص 256.
7 - م.ح. الوزاني، تصريحات صحفية ج1، بيروت 1986، ص. 213.

المقرر لانجازها لتكون الحكومة المصرية والجامعة العربية على علم بنفوذ حزب الاستقلال على المقاومة.(8)

وفي إطار الاتفاق المسبق مع الفاسي نظم الزرقطوني ورفاقه في ليلة واحدة وفي نفس الساعة هجومات على حوالي عشرين محطة لبيع البنزين وإحراقها بالدار البيضاء يوم 24يناير 1954. (9)

إلا أن الفاسي كسب المعركة وأزاح منافسه من الطريق بعد توقيعه اتفاقية مع ممثلي جبهة التحرير الوطني الجزائرية لإشعال الثورة في شمال البلاد وتنسيق الكفاح ضد الجيش الفرنسي إلى أن يتحقق للبلدين الاستقلال التام. وكان الاتفاق بالنسبة للجزائريين ضروريا بعد قبول الحبيب بورقيبة الاستقلال الداخلي الذي منحته له فرنسا في محاولة لعزل الثورة الجزائرية عن جارتيها تونس والمغرب.

أما قادة حزب الشورى الذين تبرؤوا جهارا من أعمال المقاومة في عهد الاستعمار فقد عادوا في فجر الاستقلال ليؤسسوا جماعات مسلحة وفرقة من جيش التحرير بناحية فاس لمعاكسة حملة الاستكبار والتعالي التي يقوم بها حزب الاستقلال في وسائل إعلامه.

والحقيقة أن المحكمة العسكرية الفرنسية قضت بإعدام بعض المقاومين وبسجن آخرين تابعين لحزب الشورى خاصة في مدينة المحمدية التي ألقي فيها القبض على 15مقاوما قتلوا متعاونين وجرحوا فرنسيا يعمل كاتبا في إدارة الشرطة.(10)

وأصدرت المحكمة العسكرية بالدار البيضاء حكما بسنة ونصف سجنا على أفراد خلية يسيرها أحمد معنينو المسؤول عن حزب الشورى بمدينة سلا بتهمة قطع أسلاك الهاتف بناحية الخميسات.(11)

وفي درب الجديد بالدار البيضاء ألقي القبض على خلية تتكون من خمسة أشخاص اعترفوا بقتل أحد المقدمين.(12)

وفي حي سباتة بالدار البيضاء قامت خلية أخرى بعمليات ضد أفراد الشرطة والجواسيس عام 1954، وبعد الاستقلال جهر أعضاؤها بانتمائهم لحزب الشورى وكان يعرف من بينهم خليفة وأخوه أحمد وعبد القادر، ولما أصروا على التشبث بعضويتهم الحزبية، اختطفوا من أماكن سكناهم ولم يظهر لهم أي أثر رغم البحث الذي قام به رفاقهم.

وبدأت حقبة تاريخية مليئة بالسواد والتناحر المرعب، إذ لم يكن يمر أسبوع بدون وقوع اغتيالات أو مصادمات بين أنصار حزب الاستقلال وحزب

8 - مقابلة مع عبد السلام الجبلي في مراكش بتاريخ 3-7-1992.

9 - Maroc presse 25-1-1954

10 - جريدة "السعادة" 5-5-1955.

11 - Maroc Presse 24-5-1954.

12 - La Vigie Marocaine 25-5-1954.

الشورى، وفي مدينة مكناس خلفت الاشتباكات قتيلا وعددا من الجرحى. (13) وفي صفرو أسفر النزاع عن سقوط الكثير من الجرحى. (14) وكان المتصارعون يسعون إلى استعراض قوتهم الجماهيرية بتنظيم حركة السير بالمدن وإعداد الاستقبالات الرسمية وأماكن الاحتفال وتعليق اللافتات، والإتيان بالحشود من مختلف جهات البلاد إلى العاصمة الرباط لتقديم الولاء إلى الملك باسم حزبهم.

وأدى التنافس يوم 23 يناير 1956 إلى حدوث مذبحة في سوق الأربعاء التي قصدها الشوريون من وزان والرباط وسلا والدار البيضاء مع فرقة الكشافة للاحتفال بتعيين عاملها المحجوبي أحرضان، (15) وهناك وجدوا أنصار حزب الاستقلال مسيطرين على الشارع، وأسفرت الاشتباكات عن مصرع أربعة أشخاص وإصابة أربعين بجراح كلهم من حزب الشورى. (16)

وفي ربيع 1956 قام الشوريون المتحالفون مع **"الهلال الاسود"** باغتيالات كثيرة شملت أعضاء حزب الاستقلال في أزيلال بمنطقة بني ملال. وكانوا يعلقون ضحاياهم على الأشجار. وقد استعانت السلطة المحلية بفرقة من جيش التحرير للقضاء عليهم. (17)

ولمواجهة حزب الاستقلال وقواته الضاربة اتفق الشوريون والشيوعيون والهلاليون على تكوين لجنة من ممثلي الهيئات الثلاثة ويمثل فيها الشيوعيين عبد الكريم بن عبد الله والشوريين أحمد بن البشير وحجي العموري (18) ودخل الجميع في ممارسات انتقامية غبية سفكت فيها دماء طائفة من خيرة الرجال. وعجت الساحة بعشرات الجماعات المسلحة التي تأسست في الربع الساعة الأخير وأصبحت تعكر صفو المواطنين وتنهب أموال التجار باسم المقاومة وسمح أعضاؤها لأنفسهم بكل التجاوزات وقد أسكرهم الإحساس بالعظمة وتصرفوا بذهنية المتسلط لا يتردد في البطش بخصمه لأتفه الأسباب. واختلطت الأوراق ولم يعد ممكنا التمييز بين المقاوم الحقيقي وقاطع طريق.

وفيما كان الشعب يستعد للاحتفال برجوع الملك قام مسلحون، يجهل انتماؤهم، بالتجول في أسواق مدن الرباط وسلا والقنيطرة والدار البيضاء ومنعوا التجار من تعليق صور محمد الخامس، وفي مدينة مكناس نزعوا بالقوة الرايات المغربية وصور الملك خاصة في الروامزيين ودار السمن. (19)

13 - Maroc Presse 3-12-1955.
14 - Ibid 31/12/1955.
15 - سوق أربعاء الغرب مركزفلاحي كبير يقع على بعد 77كلم شمال مدينة القنيطرة.
16 - Ibid, 24-1-1956.
17 - مقابلة مع تانوتي محمد بالدار البيضاء في 24-6-1998.
18 - عبد الرحيم الورديغي المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، ص153.
19 - Le Petit marocain 8-11-1955.

وكان طبيعيا أن يكون انشغال الدولة الرئيسي هو إعادة بناء هياكلها وبسط سلطتها وفرض هيبتها على المجتمع. وشهدت بداية إرساء أسس الدولة الوطنية الجديدة توافقا بين القصر الملكي وحزب الاستقلال، وكان كل طرف يعتمد على الطرف الآخر لتحقيق مكاسب انية وجس النبض بهدف استشراف المستقبل، ومن تم كان الاتفاق على استتباب الأمن وإعادة الهدوء باقصاء الجماعات المسلحة، وكانت **"المقاومة أداة لتنفيذ سياسة كانت مطروحة في العلاقة بين العرش والحركة الوطنية"**. (20)

وهكذا أسندت إدارة الأمن الوطني إلي السيد محمد الغزاوي إلعضو البارز في حزب الإستقلال ورجل الأعمال الشهير، وفتح عدة مراكز أمنية في بعض المدن لعل أشهرها الدائرة السابعة **"الساتيام"** بالدار البيضاء، وجمع فيها عشرات المقاومين المجهزين بالسلاح والسيارات لاختطاف المواطنين وتصفيتهم جسديا بدون محاكمة. ولما أسس حزب الإستقلال **"جمعية المقاومة المغربية"** ضد **"جمعية المقاومة والتحرير"** التي كان يراسها الفقيه البصري، قام الغزاوي بتشجيع الانقسامات وساند **"الجبهة الموحدة للمقاومة"** التي خلقها الحكم وكان يمنح أعضاءها رخصا لحمل السلاح ويزودهم بالأموال كما فعل مع القادمين من مدينة وجدة حيث أعطاهم **"غلافا ماليا يحتوي على مائة ألف فرنك في ذلك الزمان ووعد بتوظيف المقاومين التابعين لهم في جهاز الشرطة"**. (21)

وعمل وزير الداخلية الحسن اليوسي من جهته على تأجيج الصراعات وربط علاقة مع **"الهلال الأسود"** ودخل في صراع مكشوف مع حزب الاستقلال، وفي منطقة نفوذه بالأطلس المتوسط وقعت محاولة لاغتيال علال الفاسي يوم 24 سبتمبر1956. فقد أطلق عليه أربعة أشخاص وابلا من الرصاص وهو يقوم بجولة عبر الأقاليم، وكانت تستهويه هتافات الجماهير حينما تردد **"زعيمنا السياسي علال الفاسي"**.

وفي صيف 1956تولى وزارة الداخلية إدريس المحمدي أحد قادة حزب الاستقلال المقرب من القصر، وأصبح مشرفا فعليا على جميع أجهزة الأمن، واشتد الخناق على باقي المعارضين السياسيين.

ففي يوم 9مايو 1956وقع اغتيال عبد الواحد العراقي (1924-1956) كاتب فرع حزب الشورى بمدينة فاس وممثل العلماء في استشارات إيكس – ليبان. وفي رسالة خطية توقع فيها مصيره المؤلم الذي حدث فعلا على يد خصومه لأنه "نادى بحل جيش التحرير في الإذاعة المغربية". (22)

20 - حوار مع الفقيه البصري في جريدة "العصر" عدد 80، بتاريخ 1-11-1999.

21 - عماري الطاهري، المقاومة بالمغرب الشرقي، ج 1مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1991 ص 214.

22 - مصطفى العلوي الأغلبية الصامتة بالمغرب، الرباط، 1977، ص71-72.

وفي بداية يونيو 1956 اختطف في تطوان إبراهيم بن عبد الله الوزاني الذي صدر عليه بفاس سنة 1932 حكم بالسجن لمعارضته سياسة التقسيم العرقي بين العرب والأمازيغ، والتحق بالشمال حيث أصدر عام 1938 جريدة "الدستور" باللغات العربية والاسبانية والفرنسية بتمويل من الإدارة الإسبانية إضافة إلى منشورات تدعو المغاربة إلى الثورة على فرنسا. (23)

وكان بعث إلى أدولف هتلر يوم 30 أبريل 1939 برقية جاء فيها : **"إننا نبلغكم الاعتراف العميق من الشعب المغربي على دفاعكم عن القضايا العربية أثناء خطابكم الحازم. ونلتمس من عطفكم اعتبار المغرب، الذي هو تحت النفوذ الفرنسي، من ضمن الدول المحتاجة إلى العدالة لنفس الأسباب الواردة في خطابكم".** (24)

وبعد زيارته إلى برلين أثناء الحرب العالمية أصدر عليه الفرنسيون الحكم بالإعدام غيابيا بتهمة التعاون مع النازية. (25)

وعقب إعلان الاستقلال أصبح نشيطا في حزب الشورى المشارك في الحكم، وأثار وزراؤه في مجلس وزاري قضية اختطافه فأجابهم إدريس المحمدي وزير الداخلية بأنه هو الذي أمر باعتقاله، (26) إلا أنه اختفى إلى الأبد وقد يكون قتل في معتقل دار بريشة بتطوان. (27)

وفي نفس التاريخ القي القبض على عبد السلام الطود مدير جريدة **"المغرب الحر"** بعد انضمامه إلى حزب الشورى وكان يوجه في جريدته انتقادات لاذعة إلى حزب الإصلاح الوطني المتحالف مع حزب الاستقلال. وتجمع مختلف الشهادات على انه قضى نحبه في جنان بريشة ومعه محمد الشرقاوي وعبد الكريم الحاتمي.

وفي يوم 16 غشت 1956 اختطف رجل الأعمال عبد القادر بن عمر برادة (1903-1956) رفقة صهره عبد الحميد بوسليخين أمام بيته بطنجة، ويعد من المثقفين الذين أسسوا الجماعات الأولى للحركة الوطنية بفاس، واحد "القوميين الأوفياء". (28) شارك في قيادة المظاهرات الشعبية عام 1937 ضد سياسة القمع الفرنسية، وتوسط في الخلاف القائم بين الفاسي والوزاني بغية إحلال الصلح بينهما وتجنيب الحركة الوطنية الانشقاق. (29)

23 - م.ح. الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج6. مؤسسة جواد للطبع والنشر، 1986 ص18.
24 - ن.م. ص 19.
25 - ن.م.ج 5 ص 191 - بيروت 1986.
26 - المهدي المومني التجكاني، دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء، 1987، ص 144.
27 - جنان بريشة يحمل اسم مالكه السابق السفير عبد الكريم بريشة على عهد الملك مولاي الحسن الأول.
28 - م.ح. الوزاني، حياة وجهاد ج 5. ص77.
29 - ن. م. ص 51.

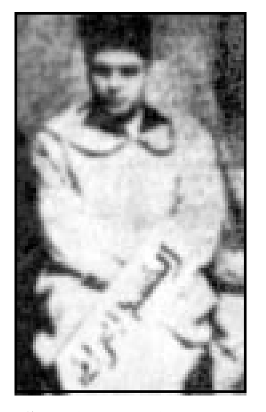
وكان نشاطه، قبل اختطافه، يرتكز على استقطاب الريفيين المقيمين بمدينة طنجة إلى حزب الشورى والاستقلال. (30)

وبمجرد اختطافه أعطى عامل طنجة عبد الله كنون الأمر لشرطة الحدود بتوقيف السيارة التي كان على متنها، غير أن الخاطفين تجاوزوا الرقابة بعد الإدلاء ببطاقة الشرطة واتجهوا نحو تطوان. (31)

وعلى الرغم من البحث الذي قام به أفراد عائلته لم يعثر له على أثر وقد يكون انضاف إلى لائحة ضحايا جنان بريشة السيئ الذكر.

واستمرت الاعتقالات في صفوف الشوريين تحت غطاء **"تجريد المدنيين من السلاح طبقا للقانون"**، ورفع وفد من حزب الشورى في أكتوبر 1956تقريرا إلى الملك محمد الخامس حول الاضطهاد السياسي الذي يلاقيه أعضاء الحزب في مجموع البلاد، وطالب بأن تكون وزارات الداخلية والعدل والدفاع وإدارة الأمن بأياد محايدة لا تنتمي لأي حزب. (32)

وكانت صحف الحزب تنشر ضمن مقالاتها صور المختطفين والمقتولين وأرقام سيارات الخاطفين وأنواعها، وحتى الرئيس السابق مبارك البكاي الذي أصبح وزيرا للداخلية عام 1960تجنب فتح إي تحقيق في شأن ضحايا الاختطاف وفي محاولة للتعجيز طلب تزويده بأسماء الأماكن التي يوجد فيها المختطفون، (33) فأجابه الوزاني برسالة نارية قائلا : **"إنني أبدي كامل وأشد عجبي من طلبكم للأماكن التي يوجد فيها الآن جميع المختطفين. فهذا شيء نجهله ولو كنا نعلمه لكفيناكم مشقة البحث، بل لعملنا بوسائلنا الفعالة لانتزاعهم من أيادي عصابات الإجرام."** (34)



● عبدالواحد العراقي

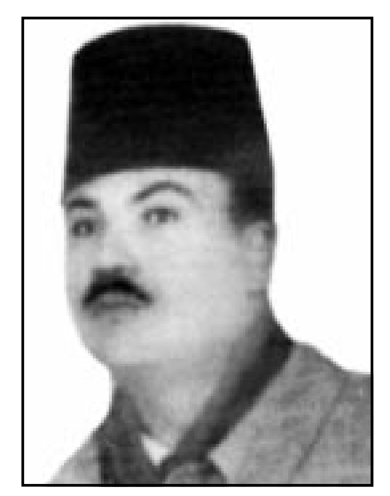


● برادة عبدالقادر

30 - Robert Rezette, les partis politiques, op. Cit. P. 232.
31 - مقابلة مع ابنه حميد برادة، في الدار البيضاء بتاريخ 15-07-1989.
32 - م.ح. الوزاني تصريحات صحيفة، ج 2، ببيروت 1986ص 38.
33 - التجكاني، دار بريشة، ص 143.
34 - ن.م. ص 143



● إبراهيم الوزاني





● عبدالسلام الطود

وبعد أن ذكر بأن الذين كانوا يخطفون الناس في وضح النهار على مرآى ومسمع من السكان معروفين عند الخاص والعام تساءل بغضب : **"فلماذا لا تحجزهم السلطة وتسلمهم إلى العدالة للبحث والإستنطاق ؟"** (35)

كان الوزاني على علم بأن عناصر تابعة للأمن الوطني هي المسؤولة عن عمليات الاختطاف وتحظى بحماية الجهات العليا، ونشر مقالا أكد فيه أن عددا من المعتقلين قضوا في الدائرة السابعة للأمن بالدار البيضاء أكثر من شهر في الاعتقال ثم نقلوا إلى سجن الرباط. (36)

ورغم الشكاوى والمقالات الصحفية لم يحدث إطلاقا أن فُتح تحقيق في موضوع الانتهاكات التي استهدفت لها طائفة من المواطنين.

ويظهر أن قادة حزب الشورى انتابهم الخوف وهم يرون جهاز السلطة كله ضدهم فاستنجدوا بعبد الكريم الخطابي في القاهرة وطلبوا منه موافاتهم بالتفاصيل حول المختطفين وصورهم وأسماءهم وأماكن اعتقالهم، فرد عبد الكريم مخاطبا الوزاني : **"لقد استغربت كثيرا كيف خفيت عنكم معرفة ذلك بالتفصيل مكانا وزمانا رغم وجودكم في البلاد وتتبعكم بأنفسكم أحداث هذه المآسي التي كانت هيأتكم السياسية من بين المستهدفين لها."** (37)

والواقع أن الشوريين كانوا يشعرون بعزلة جماهيرية قاتلة، ودفعتهم نزعة الانتقام من خصومهم الاستقلاليين إلى المشاركة في تمرد عامل تافيلالت عدي وبيهي الذي سلحه الجيش الفرنسي في يناير 1957وتباهى بعض أعضاءهم بحضور تجمع القبائل المتمردة في زاوية السحاق. (38) وكتب أن

35 - ن.م. ص 146.
36 - Democratie 30-12-1957.
37 - دار بريشة، ص 155.
38 - أحمد معنينو، ذكريات، ج3، ص 39.

الرجال الذين كانوا مع القائد المتمرد ينتمون لحزب الشورى (39) واعترف بتورطهم في الأحداث الدموية في منطقة الريف سنة 1958 واعتبر متزعمها محمد سلام أمزيان من أعضاء حزبه. (40)

ولم يكن الشوريون يتطاحنون مع الاستقلاليين من أجل الدفاع عن أفكارهم وحقهم في العمل السياسي فقط، بل كانت تمتلكهم الرغبة في الحصول على الأرزاق ونيل نصيبهم من الامتيازات. ففي رسالة إلى الملك اشتكى الوزاني من **"احتكار الوظيفة العمومية ورخص الاستيراد والتصدير، وإخضاع توزيع الحبوب والوقود والسلف الفلاحي والعقاري لاعتبارات حزبية."** (41)

ولم يجدوا حرجا في تبرير طموحاتهم الدنيوية بإضفاء صفة **"الشهيد"** على ضحايا النزاعات الحزبية. (42) وقرروا إحياء ذكرى **"شهداءهم"** فمنعتهم وزارة الداخلية واعتبروا ذلك مساسا بالدين، ووجهوا نداء إلى الشعب ليصوم يوما كاملا (43) وشن عليهم خصومهم دعاية متهمين إياهم باستغلال الدين لتحقيق أغراض حزبية وصنفوا موتاهم **"كافرين"** وركزوا حكمهم على الحديث المتداول : **"إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار.** قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ **قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه."** (44)

39 - ن.م. ج6. ص84.
40 - ن.م. ج 3. ص93.
41 - دار بريشة، ص 79.
42 - من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد (حديث شريف).
43 - الأنصاري عبد الله الرداد، من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية. سلا 1990 ص197.
44 - تفسير الجلالين طبعة دمشق 1978 ص 148.

العداء المتبادل بين الوطنية والشيوعية

كانت قيادة الحزب الشيوعي المغربي يوم تأسيسه في 16-11-1943 تتألف من رئيسه ليون سلطان (1905-1945) محامي جزائري يحمل الجنسية الفرنسية والتونسي البيريوينو وعدد من المهاجرين الأوربيين، والتحق بهم المغاربة سيمون ليفي والبير عياش وجيرمان عياش وإدمون المالح. (45)وكانت عقيدتهم الدينية سلاحا في يد البورجوازية المسلمة لتأجيج العداء في مشاعر الجماهير المؤمنة وتحريضها ضد **"الشيوعيين اليهود"**.

وبقي الحزب الشيوعي لسنوات متكونا من الفرنسيين والإسبانيين والإيطاليين الذين عجزوا عن ربط علاقة عضوية بالجماهير المغربية بسبب انعدام لغة التخاطب معها، ولم يتمكنوا بالتالي من فهم قضاياها ومعاناتها، وظلوا يمثلون أقلية أجنبية منفصلة عن مجتمع محافظ يعيش ثمانون بالمائة من سكانه في البادية.

ومن الأخطاء التي عرقلت اندماجهم في المناطق الحضرية تمسكهم بمقولة النضال الطبقي وفصلهم الكفاح الوطني ضد الاستعمار عن الصراع الاجتماعي. ففي لقاء تم في بيته بمدينة الرباط، أجرى المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد من حزب الاستقلال محادثة مع ممثلي الحزب الشيوعي الفرنسي بول مارتي وجاك كريزا. (46)

وعن سؤال حول مدى استعداد الحزب الشيوعي لمساندة مطلب الاستقلال، أجابا : إن منح المغرب الاستقلال سيكون خديعة وسيؤدي إلى إحلال الحماية الأمريكية مكان الحماية الفرنسية. (47)

وعندما تقدمت الحركة الوطنية في 11يناير 1944بملتمس المطالبة بالاستقلال، رأى الحزب الشيوعي المغربي في ذلك **"سياسة مغامرة موجهة ضد الديمقراطية لفائدة الرجعية الفاشية وضد فرنسا لصالح العدو..."** (48)

وفي بيان أصدره يوم 14يناير 1944اعتبر أن **"مصلحة الشعب المغربي تكمن في ربط مصيره بمصير الشعب الفرنسي.** (49) ومن منظور المتعصب والمتستر برداء الشيوعية رفع الحزب مصالح الأمة الفرنسية فوق مصالح الشعب المغربي ونعت المطالبين بالحرية بالاستفزازيين : **"أمام الاستفزاز يدعو الحزب الشيوعي المغربي إلى الاتحاد، اتحاد فوق الدسائس التي تستهدف الشعب المغربي والشعب الفرنسي المتضامنين أخويا من أجل تحرير فرنسا."**

---

45 - G. Oved, la gauche T.2, P. 207.

46 - يقول عياش أن الشخص الثاني هو هنري لوزيراي. انظر:
Ayache, Le mouvement syndical, T. 2 P.105

47 - G. Oved, La gauche, T 2. P. 208.

48 - Ibid.

49 - Ibid, P. 209

وبمغالاة في المنافحة عن بلادهم، زعم الشيوعيون الفرنسيون أن تحرير المغرب مشروط بتحرير فرنسا من النازية، وطلبوا من الشعب الذي يعاني الاضطهاد الأجنبي والاستبداد الاستعماري أن يؤجل المطالبة بحقه في الاستقلال إلى أن يتحرر الشعب الذي يستعمره.

وازدادت عزلة الشيوعيين حينما وقع رئيس الحزب ليون سلطان مع ممثلي باقي الأحزاب الفرنسية بالمغرب على ملتمس يطالب بإنزال عقوبات صارمة في حق القادة الوطنيين المطالبين بالاستقلال.(50)

وذكر علال الفاسي أن الشيوعيين كانوا **"ونحن في السجن يكتبون في الجدران وينشرون في أوراقهم اتهامات لنا بالفاشية..."**(51)

وكان على الشيوعيين المغاربة أن ينتظروا مؤتمر الحزب المنعقد بالدار البيضاء في أبريل 1946 لكي يبدؤوا في الصعود إلى الهيئات القيادية. وحصل 15 منهم على العضوية في اللجنة المركزية من مجموع 43 عضوا، ودخل 5 إلى المكتب السياسي مقابل 13 فرنسا.(52)

وإذا كان الشيوعيون الفرنسيون أهملوا القضايا الوطنية للشعب المقهور، فإن الشيوعيين المغاربة الصاعدين إلى القيادة ساروا على نفس النهج ولم تظهر كلمة الاستقلال في بياناتهم إلا في يوم 4 غشت 1946 حيث وردت مدموجة بمطلب إنشاء جمعية وطنية وحكومة مغربية.(53) إلا أنهم شنوا حملة هوجاء على الوطنيين ورفضوا التضامن مع القضايا العربية التي كان لها تأثير بالغ في نفوس الجماهير وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

فأثناء حرب فلسطين سنة 1948 كتبت جريدة "رأي الشعب" التي كان يصدرها حزب الاستقلال بالفرنسية: **"لقد أشعلت الصهيونية النار... وأعلنت الحرب ليس فقط على الشعب الفلسطيني ولكن على جميع الدول العربية، وتعمل على خلق كيان وسطها للحقد والاضطراب".**(54) فقام علي يعتة الكاتب العام بالرد في جريدة الحزب بكثير من الانفعال: **"إن هؤلاء الرجعيين يقدمون لليهود المغاربة المسلمين كأعداء أبديين متصلبين... فلماذا ينفعلون بصفاقة من أجل الأحداث المؤلمة في فلسطين؟"** وأنهى كلامه مؤكدا: **"نحن الشيوعيين لن نقع في الفخ القاتل".**(55)

هكذا كان الشيوعيون المغاربة يتغافلون عن جوهر القضايا الوطنية ويتجاهلون أحاسيس الجماهير التي تحركها بعنف مشاعر التضامن القومي والديني ومكنوا البورجوازية من بسط سيطرتها السياسية والإيديولوجية على المجتمع.

50 - Rezette, Les partis... P. 166.
51 - علال الفاسي، نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها، جريدة "العلم" 11-9-1996.
52 - Ayache, Le mouvement syndical, T 2, P.135.
53 - Ayache, Le Maroc, P.347.
54 - L'opinion du Peuple 24-4-1948.
55 - Espoir 29-5-1948.

وظل الحزب الشيوعي ضعيفا ومعزولا عن محيطه الجماهيري، ولم يكن عدد أعضاءه سنة 1950 يتجاوز 3.700 منهم ألف أوربي والباقون يهود ومسلمون. (56) وحينما التحق المسلمون بحزب الاستقلال لم يبق فيه إلا أقل من ألف منخرط. (57)

وبرر الحزب عدم جماهيريته بأن **"الموجة العارمة الاستقلالية في فترة 1955-1956 عرقلت امكانيات تجذره وسط الجماهير..."** وألقى بكل المسؤولية على **"القمع الاستعماري وتعصب البورجوازية..."** (58)

واقتصر نشاط الشيوعيين على كتابة المناشير وتوزيعها عن طريق البريد ورسم الشعارات المناوئة للإستعمار على الجدران.

وبعد الاستقلال بدأت تصدر مقالات دعائية غريبة عن بعض قادة الحزب حول دورهم في الكفاح المسلح. وكتب أحدهم ورقة نشرت ضمن كتاب صدر في موسكو سنة 1966 تحت عنوان **"لقد كانوا شيوعيين"** جاء فيها (ص516) ما يلي:

"في سنة 1953 أسس الحزب الشيوعي المغربي بالدار البيضاء مع باقي الوطنيين منظمة عسكرية "الهلال الأسود".

وهذا ادعاء يتنافى مع الحقيقة التاريخية وينسفها من الأساس. إن إسم **"الهلال الأسود"** لم يظهر إلا في عام 1955 وليس سنة 1953، ومؤسسوه بمن فيهم الحسن الجلاوي وعبد الله الحداوي كانوا أعضاء في جماعة منضوية في **"المنظمة السرية"** التابعة لحزب الاستقلال، ولم ينفصلوا عنها إلا في أواخر سنة 1955.

والواقع أن أول من أشار إلى مشاركة الشيوعيين في المقاومة المسلحة هو **جان لاكوتير** في مؤلف له. (59) وعنه نقل **ستيفان برنارد** الذي أكد أن تسرب الشيوعيين إلى منظمات المقاومة اقتصر على **"الهلال الأسود"** وجاء بعدهما **جوليان** ليقول بأن الشرطة الفرنسية كانت سنة 1955 تجهل وجود الشيوعيين في منظمة الهلال الأسود. (60) وخفي عليه أنه في تلك السنة نفسها، بدأت المفاوضات مع محمد الخامس في المنفى وتخلى عمليا جهاز البوليس عن البحث ومتابعة المقاومين.

وتواصل التعتيم وتزييف حقائق التاريخ فيما نشرته دورية صادرة عن الطلبة الشيوعيين في باريس حينما ادعت أن **"عبد الكريم بن عبد الله زعيم "الهلال الأسود" قتلته عصابة من المرتزقة في خدمة الاستعمار."** (61)

وذهب عبد الله العياشي عضو المكتب السياسي إلى القول بأن الحزب الشيوعي **"أسس هو ومقاومون تقدميون المنظمة المسلحة المجيدة "الهلال الأسود"** (62)

56 - Rezette, les partis, P.339.
57 - S. Bernard, le conflit franco-marocain T.3, P.104.
58 - 35 années de lutte, Etudes sur Histoire du P.C.M. P.51.
59 - Jean et Simone Lacouture, le Maroc à l'épreuve, Paris 1958, P.165.
60 - Julien, Le Maroc face aux impérialismes, P.480 Réf. 113.
61 - Talib El Moukafih, 7 Avril 1975, PARIS. P.30.
62 - 35 années de lutte, P.41.

وفي الثمانينات نشر واحد وأربعون مقاوما من قدماء **"الهلال الأسود"** بيانا كذبوا فيه ادعاءات الحزب الشيوعي ورفضوا أن تكون لمنظمتهم أية علاقة به، وتحدوا جريدة الحزب أن تدلي باسم شيوعي واحد شارك في المقاومة المسلحة.(63)

وتراجع عبد الله العياشي عن ادعائه ونشر بيان حقيقة جاء فيه : **"إن منظمة الهلال الأسود لم تكن فرعا للحزب ولا خلية ولا تنظيم تابع له، وإنما هي منظمة مسلحة تقدمية وحدوية ربطت في إطار تنظيمي مشترك الحزب الشيوعي وجماعة من المقاومين اللاحزبيين".**(64)

وليس هذا البيان سوى جزء من الحقيقة لأن **"الهلال الأسود"** لم تكن وحدوية وقد أعلنت انشقاقها عن المنظمة المركزية للمقاومة، وأعضاؤها كانوا حزبيين حتى النخاع، كما أنه يصعب إضفاء صبغة التقدميين على أعضاءها الذين سعوا للاحتماء بأشخاص ينتمون لمختلف الاتجاهات بمن فيهم اليوسي وزير الداخلية والبكاي رئيس الحكومة اللذين يعتبرهما الحزب الشيوعي من **"ممثلي الإقطاعية"**. (65)

إن مسألة الدفاع عن النفس هي التي أرغمت عبد الله الحداوي على التحالف مع حزب الشورى والحزب الشيوعي الراغبين في تحقيق بعض أهدافهما بواسطة منظمة مسلحة جاهزة لا تشترط مقابل خدماتها إلا الدعم السياسي في مواجهة **"المنظمة السرية"** الجبارة.

وكان اتصال عبد الله الحداوي بالحزب الشيوعي قد تم عن طريق الطيب البقالي استاذه السابق في المدرسة الحرة والترجمان في المحكمة الابتدائية وصهر علي يعتة الكاتب العام للحزب الشيوعي.

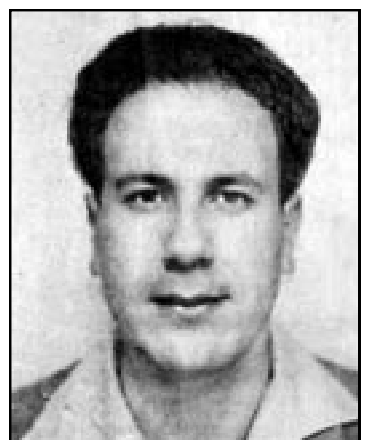
ونشط الشيوعيون في الدعاية إذ كانوا يعبرون عن أفكارهم ومواقفهم في مناشير يوزعونها باسم **"الهلال الأسود"** ويتبنون بعض الهجومات المسلحة التي تقوم بها، واستلفت انتباه الملاحظين بيانات محررة بلغة فرنسية عالية إلى درجة أن أحد الفرنسيين المعاصرين لتلك الأحداث تساءل : **من يكون هؤلاء المغاربة الذين يكتبون الفرنسية باتقان جميل وبأسلوب لا تيني ؟**(66)

لكن جهاز المخابرات لم يكن غافلا عن مستوى الشيوعيين الثقافي ولا عن جهل متزعمي "الهلال الأسود" باللغة الفرنسية. ومن المؤسف أن الرد على ما كان ينتجه الفكر كان بواسطة البنادق التي أسكتت بعض حاملي الأقلام. ففي بداية شهر فبراير 1956 نجا عبد السلام بورقية المترجم السابق في مراقبة الشؤون الأهلية في قصبة تادلة وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي من محاولة اغتيال عندما كان متواجدا داخل بيته.

63 - جريدة "الميثاق الوطني" 18-11-1980.
64 - جريدة البيان 16-7-1985.
65 - 35 années, p. 47
66 - Delanoë, les libéraux, T.2, P.154.

وفي 31مارس كان عبد الكريم بن عبد الله منسق الاتصالات مع "الهلال الأسود" وعضو المكتب السياسي أمام بيته في طريق مديونة رفقة زوجته سوزان الفرنسية، إذا بعيارات نارية تخترق جسده فخر على إثرها صريعا.

وكان عبد الكريم بن عبد الله (1956-1923) من اصل جزائري يعمل مهندسا في ادارة المعادن ويمثل الحزب في لجنة "الاتحاد الوطني" التي تضم أعضاء من الهلال الاسود وممثلي حزب الشورى الذي قال عنه سيمون ليفي انه **"يمثل البورجوازية المعتدلة ولا يتمتع بأي تأييد شعبي حقيقي."** (67)



● عبدالكريم بن عبدالله

وشرح العياشي موقف حاملي اليراع الشيوعيين من الاغتيالات بقوله : **"لم يكن في مقدورنا ان نتردد في تصفية أي احد او اية جهة تستهدف حياتنا... فكل ما قمنا به في تلك الآونة كان دفاعا عن النفس."** (68)

وكان الدفاع عن النفس بواسطة عناصر تابعة للهلال الاسود. ففي شهر ابريل أي بعد حوالي ثلاثة اسابيع من اغتيال عبد الكريم بن عبد الله، كاد عبد الرحيم بوعبيد من قيادة حزب الاستقلال ان يكون كبش الفداء. فقد تكلف مسلحان من الهلال الاسود بقتله في سلا. الا ان يقظة ضمير الشخص إلموجود بالرباط جعلته يرفض المشاركة في عملية تستهدف حياة وطني كبير، وأدى به امتناعه عن تنفيذ الأوامر الى اطلاق النار على شريكه القادم من الدار البيضاء والقت الشرطة القبض عليهما. وبعد ايام اكتشف بوعبيد رسالة في بريده كان ارسلها اليه الشيوعي الطبيب البقالي زميله القديم في ثانوية مولاي يوسف يطلب منه الاحتراس من مؤامرة تستهدفه. (69)

وفي يوم 9ابريل اطلق مسلحون النار على سيارة يمتطيها إدمون المالح وعبد السلام بورقية وعبد الله العياشي، واصيب السائق عبد اللطيف بناني الضبلي وحده بجراح في ذراعه. (70)

وفي بداية مايو 1956كاد المهدي بن بركة ان يقع في فخ قاتل. فقد ضرب موعدا لبعض **"المقاومين"** طلبوا مقابلته. وفي ليلة الموعد سارع أحدهم وأخبر الفقيه البصري بتفاصيل المؤامرة المحبوكة. واتصل هذا الأخير بالمهدي وطلب منه ان ينتظره في صبيحة الغد لغرض مهم. وفي الصباح الباكر التحق به في منزله بالرباط وتبين انه كان فعلا على موعد مع الموت على يد

67 - 35 années de lutte, P. 47.

68 - عبد الله العياشي السيرة الذاتية، جريدة "الاتحاد الاشتراكي" 22-12-1999.

69 - عبد اللطيف جبرو، المهدي بن بركة بناء الوطن، ج. 2ص. 75-74، الدار البيضاء 1986.

70 - Le Petit marocain 10-4-1956

عناصر تابعة للهلال الاسود. (71)

وهكذا تواصل العنف والعنف المضاد، واحد يقوم به مقاومون يعملون في جهاز الأمن والآخر ينفذه أعضاء الهلال الأسود نيابة عن حلفائهم الشيوعيين والشوريين.

وبعد مرور حوالي شهر على فشل محاولة اغتيال بوعبيد جاء الرد مستهدفا الدكتور عبد الهادي مسواك عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي، غير ان المصادفة اختارت شخصا آخر مكانه. فقد كان مسواك والدكتور عمر الادريسي المتخصصان في الرأس والأنف والحنجرة يعملان معا في مستشفى واحد بالدار البيضاء. وقد يكون المخبر اشتبه عليه الطبيبان واعطى معلومات غيرموثوقة للشخص المكلف بتتبع تنقلات الدكتور مسواك ودله خطاء على الدكتور الادريسي. وبينما كان هذا الأخير يوم 21ابريل داخل سيارته امام منزله بالقرب من حديقة مردوخ، اذا بشخص على متن دراجة نارية يطلق عليه رصاصة في رأسه. (72)

لم يكن الدكتور الادريسي يتعاطى للنشاط السياسي، وهو منحدر من عائلة غنية. وكان موته المأساوي ضربة قاسية لعائلته وخسارة فادحة للمغرب الذي لم يكن يتوفر حينئذ على اكثر من ثلاثة أطباء من أمثاله.

وفي نفس اليوم قتل مسلحون محمد السطي الكاتب الجهوي للحزب الشيوعي بمنطقة الدار البيضاء. وبعده بمدة قصيرة اغتيل محمد الفضالي كاتب فرع الحزب بمدينة المحمدية. (73)

كان الشيوعيون وهم يتلقون الضربات على يد المسلحين التابعين لحزب الإستقلال يخفون حقيقة الصراع الحزبي وينسبون الاغتيالات الى الاستعمار، واحيانا ادعوا أن التصفيات الجسدية **"مؤامرة كانت تستهدف جميع منظمات المقاومة والأحزاب السياسية ومن خلالها الدولة ورئيسها جلالة الملك محمد الخامس."** (74)

مضى ربع قرن على تلك الاحداث المؤلمة وكتب شمعون عضو المكتب السياسي : **"ان الاقطاعية ساهمت في تفكيك منظمات المقاومة عن طريق الاغتيالات وتصفية الحسابات."** (75)

ويبقى الغموض يكتنف كتابات الشيوعيين الذين يتجنبون الحقائق ويصرون على انكار دورهم التحريضي في تصفية مقاومين كبار من صنف ابراهيم الروداني وبوشعيب الزيراوي بواسطة الهلال الاسود، ومؤخرا القي العياشي بكل المسؤولية على عبد الله الحداوي ووصفه بانه : **"كان يفتقد للرؤية الثاقبة وللتحليل السياسي ولصر هو ورفاقه على طريقتهم في التعامل مع الأحداث."** (76)

71 - حديث مع الفقيه البصري بالدار البيضاء في 17-4-1998
72 - Le Petit marocain 22-4-1956
73 - سماء شمعون الحسن الفضالي، انظر .35 année de lutte, P. 42
74 - Talib El Moukafih, op. cit. P. 31.
75 - 35 années de lutte, P. 40.
76 - عبد الله العياشي، السيرة الذاتية، الاتحاد الاشتراكي، 22-12-1999.

الهلال الأسود من الانفصال إلى التصفية

كان معظم أعضاء **"الهلال الأسود"** قبل تأسيسها منخرطين في جماعة تابعة لحزب الاستقلال في درب الاسبان بالدار البيضاء يشرف على تسييرها بنموسى النجار. وبعد احداث 20غشت 1953دخلوا في السرية وأسسوا خلية تضم الحسن الجلاوي، الزياني، بوجمعة، المهدي الناموسي، احمد شفيق، حسن الدكالي، احمد بنيس، بوشعيب الكزار، فريد احمد. ولما ازداد عدد أفرادها انقسمت الى ثلاثة خلايا يرأسها الجلاوي والناموسي وبوجمعة.(77)

وكانت المنظمة تسمى "اليد السوداء". ولانعدام السلاح الناري اقتصرت على صنع القنابل من مادة البارود الذي اختلسه احد العمال من مقلع للحجر في طيط مليل بضاحية المدينة.

ونظرا لقلة التجربة بدأ التعثر منذ البداية حيث عجز احدهم عن وضع قنبلة في احد المقاهي الفرنسية في الوقت المحدد لانفجارها، فتركها بجانب محطة لوقوف الحافلات في شارع مرسيليا وأسفر انفجارها عن قتيل وعشرة جرحى من بينهم فرنسية واحدة.(78)

واثناء تركيب قنبلة اخرى لوضعها في مقر الجريدة الفرنسية **"لافيجي ماروكين"** انفجرت وقتلت ثلاثة مقاومين وجرحت أربعة.(79)

وتتابعت الأخطاء التي ذهب ضحيتها المزيد من المدنيين الأبرياء في انفجار قنبلة داخل حافلة للنقل في درب اليهودي. وتدخلت **"المنظمة السرية"** لوقف تلك الأعمال الفوضوية واقترحت على الجلاوي تنسيق العمل بشكل منظم مقابل تزويد جماعته بالسلاح الناري وأقراص السم وإجلاء العناصر المتابعة الى منطقة الشمال.(80)

وذات يوم صادف الناموسي وأصدقاؤه شخصا يعلق مناشير على الجدار وتعرف عليه أحدهم ودعوه للانضمام إليهم لأن المتعلم في ذلك الزمان كان يساوي فيلقا من المحاربين. فكانت العلاقة الأولى بين التلميذ عبد الله الحداوي

77 - عرض باسم الهلالي الأسود قدمه عبد الحفيظ بالدار البيضاء في سبتمبر 1974، ويوجد نصه في وثائق المجلس الأعلى للمقاومة بالرباط.
78 - Le Petit marocain 24-12-1954
79 - حديث المهدي الناموسي في : Le Mémorial du Maroc, collection dirigée par . Larbi ESSAKALI, vol. 7, 1953-1983, P. 83
80 - Ibid

البالغ من العمر 15سنة وأصدقاء الجلاوي. وفي 2يبرائر 1955 كلفتهم **"المنظمة السرية"** بالقيام بأول عملية لهم بالسلاح الناري، وأصابوا بجراح الدكتور **داليس** من منظمة الوجود الفرنسي، وفي 3مارس أطلقوا النار على المهندس **أرمان ماري** وينتمي بدوره إلى نفس المنظمة، وكان الجلاوي يسوق سيارة برقمها الحقيقي مما ساعد الشرطة على اعتقاله صحبة الناموسي يوم 10مارس. (81) وتمكنت **"المنظمة السرية"** التي كان على رأسها بوشعيب الحريري وعبد الله سفيان والحسين المزابي من إجلاء بعض المبحوث عنهم، وبقي عبد الله الحداوي وحده على راس الجماعة وسعى إلى توسيعها وساعدته الأوضاع السياسية الجديدة الناتجة عن فتح المفاوضات وقرب عودة الملك من المنفى، وهي أوضاع خلقت طموحا عارما في نفوس الطامعين في نيل حظهم من مكتسبات أضحت في متناول اليد.

وانطلق الحداوي يصدر المناشير باسم **"الهلال الأسود"** وكان مولعا بقراءة المجلة المصرية التي تحمل نفس الاسم (82) واستطاع أن يؤسس جماعات كثيرة وأصبح رئيسها الفعلي بدل الجلاوي الموجود في السجن، وابتعد عن "المنظمة السرية".

وحينما تمكنت الشرطة من اعتقاله في آخر نوفمبر 1955 أي بعد اعتراف فرنسا بمبدأ تقرير المصير للمغرب، فإن الرقابة الصارمة لم تعد مطبقة في السجون وكان بمستطاع العشرات الفرار بسهولة وهو ما قام به الحداوي والجلاوي. (83) وعاد الاثنان لتقوية منظمتهما وفتحا معسكرات للتداريب بتطوان بمساعدة عبد القادر بوزار الذي كان موظفا بإدارة الحماية والتحق بالقاهرة ليتلقى بها تدريبا عسكريا، وعند رجوعه انشق عن جيش التحرير الجزائري لخلاف بينه وبين الهواري بومدين والتحق بجيش التحرير المغربي.

ورأى حزب الاستقلال فيما أقدم عليه الحداوي والجلاوي خروجا عن دائرته وانشقاقا عن حركة المقاومة التي يرعاها.

وحتى لا تصل الخلافات بين المقاومين إلى حد التناحر كان لا بد من فتح حوار مع الهلال الأسود. وتم لقاءان بين الحداوي ومولاي عبد السلام الجبلي في مكتبة السيد عبد الله بالحبوس. واشتكى الحداوي من الاهانات التي تعرض لها من طرف بعض المسؤولين في المنظمة السرية الذين همشوه، وظهر أن القضايا الذاتية هي التي كانت تطبع جوهر الخلافات، وحاول الجبلي اقناع الحداوي بعدم جدوى الانفصال المؤدي إلى الاقتتال. (84)

وفي غياب الجبلي في زيارة للصين صحبة بن بركة، التقى إبراهيم الروداني، من مؤسسي المقاومة المسلحة، عبد الله الحداوي واتسم النقاش بينهما بالحدة ولم يتوصلا إلى أي اتفاق.

81 - Ibid, P. 79
82 - Ibid, P. 77.
83 - حديث مع مبارك الورداني، بتاريخ 9-10-1998.
84 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 3-7-1992.

ولكي تحمي **"الهلال الأسود"** نفسها ذهب الحداوي يبحث عن تحالفات مع جميع المناوئين لحزب الاستقلال، وفي مقدمتهم حزب الشورى المستهدف للاضطهاد السياسي، والحزب الشيوعي الباحث عن صك الغفران لمواقفه السابقة من مسألة الاستقلال الوطني.

ومن أقصى اليسار قفز أعضاء الهلال الأسود الى اقصى اليمين وتعاملوا مع بعض القياد من أمثال القائد السكتاني بمراكش حليف الباشا الجلاوي، والقائد أمهروق في أزرو، والقائد اليوسي وزير الداخلية ومبارك البكاي رئيس الحكومة والباشا السابق لصفرو وذهبوا يطلبون المساعدات المالية من القياد المتعاملين مع الاستعمار وجندوا المزيد من المقاتلين. وأصدرت القيادة العليا للمقاومة وجيش التحرير يوم 18مايو 1956نداء الى المواطنين تطالبهم بالوقوف في وجه **"اللصوص وأذناب الاستعمار الذين ينشرون الفتنة ويخيلون بالأمن باسم جيش التحرير والمقاومة المغربية."**

وتعرض عبد الله الحداوي وعبد الغني الورديغي ومحمد بن حمو لاطلاق النار بالرباط، أصيب الورديغي بجراح في بطنه وبن حمو في وجهه وقام رئيس الحكومة البكاي ووزير الداخلية اليوسي بزيارتهما في المستشفى. (85)

وتعددت المواجهات المسلحة وحوادث الاغتيال، وشهد درب السلطان بالقرب من المحكمة معركة استعمل فيها المتحاربون البنادق الرشاشة، نتج عنها مقتل شخصين وجرح أربعة. (86)



● إبراهيم الروداني

وفي منتصف النهار من يوم 5يوليوز 1956هاجم مسلحون ابراهيم الروداني الوجه البارز في الحركة النقابية والمقاومة المسلحة في شارع موناستير بالدار لبيضاء وقتل في الحال ومات أخوه متأثرا بجراحه، وقتل أحد المارة وجرح آخرون. (87)وتعقب الجمهور الجناة والقى القبض على اثنين منهم اعترفا بالانتماء إلى الهلال الأسود. وكان الروداني يقف سدا منيعا ضد تسرب الشيوعيين إلى قيادة الحركة النقابية، وهذا أيضا من الأسباب التي كانت وراء اغتياله. (88)

وفي 25يوليوز استهدف محمد بوشعيب الزيراوي من رفاق الروداني الى طلقات بندقية

---

85 - Abdérrahim Ouerdighi, mémoires d'un anciens résistant 1953-1956, Rabat, 1987 P. 100.

86 - Le Petit marocain 16-4-1956.

87 - Le Petit marocain 6-7-1956.

88 - مقابلة مع الطيب بن بوعزة في الدار البيضاء يوم 17-8-2001.

رشاشة اودت بحياته في درب البلدية. وأسفر البحث عن اعتقال القتلة وكانوا ينتمون إلى الهلال الاسود. واستغلت الصحف الاستعمارية الحوادث المتكررة لتشكك في قدرة الحكومة الوطنية على ضمان الأمن في البلاد.

وتظافرت جهود وزير الداخلية ادريس المحمدي ومدير الأمن محمد الغزاوي وهما من شخصيات حزب الاستقلال ومدير الأمن الاقليمي بالدار البيضاء ادريس السلاوي المقرب من القصر، وتم وضع الدائرة السابعة للأمن بدرب السلطان رهن اشارة المقاومين الذين التحقوا بجهاز الشرطة بقرار اتخذه المجلس الوطني للمقاومة الذي كان يرأسه عبد الرحمان اليوسفي.

وانضم اعضاء بارزون من الهلال الاسود الى جهاز الامن وشاركوا في



في الصورة: رقم 1- إدريس المحمدي وزير الداخلية
رقم 2- محمد الغزاوي مدير الأمن الوطني
رقم 3- إدريس السلاوي رئيس الأمن الإقليمي بالدارالبيضاء
في صورة تذكارية مع أفراد الشرطة السرية في الدائرة السابعة (الساتيام)
بالدارالبيضاء عام 1957

القضاء على رفاقهم ووقعت التضحية بعدد من الشباب كانوا يعتقدون انهم يمارسون المقاومة ضد الاستعمار وكانوا يجهلون كل شيء عن الخلافات القائمة.(89)

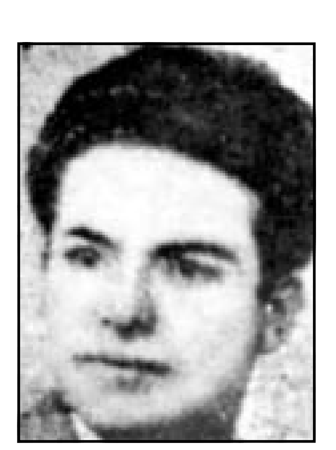
وفي ابريل 1956 وزعت الهلال الاسود منشورا بهدف انقاذ ما تبقى من

89 - حديث مع بهيج عبد القادر "المهندس" من أعضاء الهلال، الدار البيضاء في 14-6-1994.

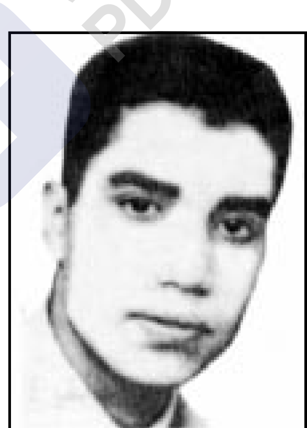
اطرها، ومما ورد فيه : **"...روجوا دعاية مغرضة ضدنا فاتهمونا بالشيوعية ونحن البراء، وان الهيئة العليا لحركة الهلال الاسود لتكذب تكذيبا قاطعا اتصالها بالشيوعية وتؤكد انها لم تحارب تحت اوامر او ارادة أي حزب من الاحزاب..."** (90)

لكنه رغم التكذيب والتبرؤ من العلاقة بالشيوعيين فإن عبد الله بن الجيلالي الحداوي (1939-1956) لقي مصرعه يوم 28يوليوز ومعه البقالي عضو الحزب الشيوعي. فقد نصب له المقاومون التابعون للدائرة السابعة كمينا بتعاون مع الادارة المركزية للأمن الوطني بالرباط، وهذه الأخيرة اعطت التفاصيل عن مغادرته لمنزل اليوسي وزير الداخلية واتجاهه الى الدار البيضاء على متن سيارة صحبة ثلاثة أشخاص. وبالقرب من عين السبع تبادل اطلاق النار مع المسلحين الذين كانوا في انتظاره، وسقط الحداوي وبجانبه محمد الطيب البقالي والعربي السامي ومصطفى بن موسى. وفي فترة لاحقة تمت تصفية لحسن الجلاوي مؤسس المنظمة ومحمد اعماموا الزياني رئيس فرقة مسلحة بالأطلس المتوسط، والجاطي المسؤول عن التنظيم بمراكش، واحمد الشرايبي وبوشعيب عكراش والمختار كندوز وغيرهم.

وخلال بضعة أسابيع تم القضاء على أغلبية العناصر النشيطة في **"الهلال الأسود"** والتحق آخرون بجهاز الشرطة بينما ابتعد أولئك الذين ينشدون النجاة بأرواحهم.



● أحمد الشرايبي



● عبدالله الحداوي



● لحسن الكلاوي

90 - صورة للمنشور في جريدة (20غشت) العدد الأول الدار البيضاء 1985.

نهاية المقاومة وإجهاض الثورة الشعبية

رأينا فيما سلف نـهاية **"الهلال الاسود"** المأساويـة، وكيف ولغت جـميع الأحزاب السـياسـية في الدم المسفوح وكيف وقف مـوظفون كـبار وراء الستار يحـركـون خـيوط الحـقـد والانـتـقـام لاثارة الانقسامـات والتناحـر في صـفـوف المقاومين.

ومن المؤكد ان الصراع حول قيادة المقاومة يرجع الى ما قبل بداية الكفاح المسلح. فـقـد ادعى محـمـد صـدقي (1921-1955) أحـقـيتـه في الاشـراف على التنظيـمات السرية، وسـاعـده تكوينه في المدرسـة الصناعيـة الفرنسـيـة **"لافيرم بلانش"** على مزاولة الكفاح النقابي وسط عمال الموانئ، وكان من دعاة مواجهة الاسـتـعـمـار الاسـتـيطاني بالعنف. وشـاطره نفس القنـاعة مـحـمـد الزرقطوني (1925-1954) الذي تلقى التعليم الابتدائي في المسيد قبل ان ينتـقل الى الاتجار في الاثواب ثم في المواد الخشبية. وتعلم النظام والانضباط في الحركة الكشفية، وجعل من الرياضـة وسيلة لاستقطاب العناصر القادرة على المرور الى العمل المباشر.

كـان الزرقطوني وصـدقي مـتـفـقين على رفض سـيـاسـة المهـادنة مع الاستعمار التي ما فتئ حزب الاستقلال يبشر بها، واقتنعا بضرورة الدخول في مرحـلة كفاحـيـة جـديدة غيـر انهـما اختلفا لاسباب ذاتية تتـعلق بقيادة التنظيم الوليـد. الا ان ايـا منهـمـا لم يكن يـرغـب في الاصطدام بصـديقـه، وتكرس الانفصال بتـقـاسم مناطق النفوذ بالدار البـيـضـاء. فـالتـحق الزرقطوني بدرب السلطان وبسط صـدقي مراقـبتـه على المدينة القديمة. وفي وقت لاحـق اشرف الزرقطوني على **"المنظمة السرية"** وظهر صدقي على رأس **"المقاومة السرية"**. وذابت الخلافات مؤقتا بينهما.(1)

لم تقم جمـاعة صدقي بعمليات كبيرة او مثيرة كما كان الشأن بالنسبـة للتنظيم التـابع للزرقطوني، وظلت تعمل في نطاق محدود مما عرض صـدقي لانتـقادات بعض رفـاقه. وكـان العيدي المعروفي من أوائل المغاربة الحـاصلين على الباكـالوريا الفرنسيـة، يوجه انتقادات لاذعة للوثيرة البطيـئة لسير الكفاح المسلح ويعلن ان اسلوب صدقي في التسيير غير صالح.(2)

وفي مارس 1955 جـاء اشـخـاص اخـرون على رأس **"المنظمـةالسـرية"** مكان الذين استـشـهدوا أو وقـعوا في الاعـتقال، واهتـموا بزعزعـة صدقي الذي واخذوا عليه تجميد الكفاح في المدينة القديمة بغرض الهيمنة الشخصية وتمكنوا من كـسب بعض اعـضـاء جـمـاعـتـه. وسـرعـان مـا سـقـط واحـد منهم تحت

1 - حديث مع كريم محمد الباعمراني بالدار البيضاء في 30-5-1984.

2 - ن. م.



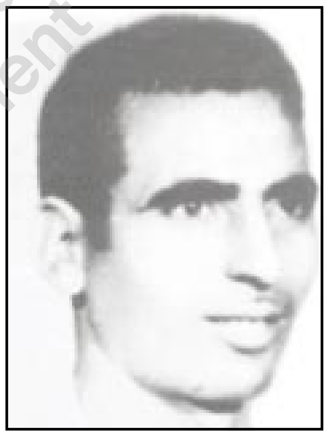
● علي العيدي المعروفي



● أجضاهيم محمد

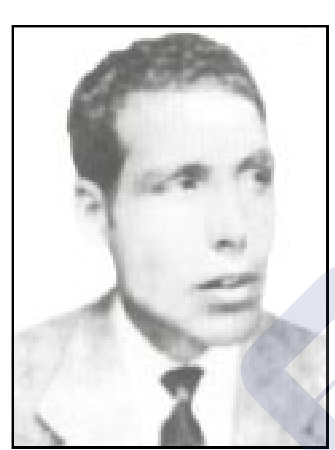


● صدقي محمد



● لحريزي محمد

الرصـاص، وكان مـوت صالح الحـريزي النقطة التي أفاضت الكأس بين المنظمـتين. وفي يوم 17 يوليوز قتل محمد حسين "عيسى" احد المقربين من صدقي، وبعد أقل من شهر ونصف سـقط صـدقي بدوره تحت الرصاص. (3) وجـاء دور علي العيدي المعروفي، ليسقط بطلقات نارية دون معرفة الجهـة المسؤولة عن ذلك.



● بادي مبارك

وفي 19أبريل 1956قتل التاجر محمد اجضاهيم من المسيرين المعروفين في حزب الاستقلال ومن مساعدي صدقي المقربين. وتعددت التأويلات حول الواقفين وراء الجريمة، ونسب البعض اغتياله الى الشيوعيين المختفين وراء الهلال الأسود، وهناك من يحمل المسؤولية الى المنظمة السرية.

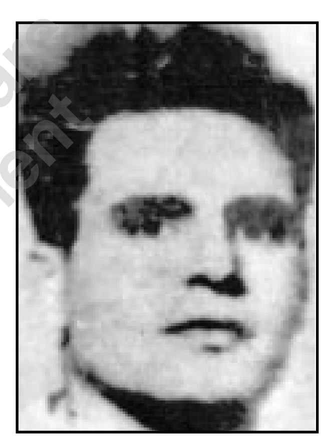
ونشبت الصراعات داخل جماعة صدقي نفسها وفقدت اثنين من ابرز اعضائها في حادثين متفرقين وهما مبارك بادي علال ومحمد بن عبد القادر الحريزي. وكان مصير باقي الاعضاء الاباذة نظرا لقلتهم العددية ولكون التنظيم بقي محصورا في الدار البيضاء.

3 - عرض ابراهيم صدقي في تجمع بالمعرض الدولي بتاريخ 18-9-1979 بالدار البيضاء.

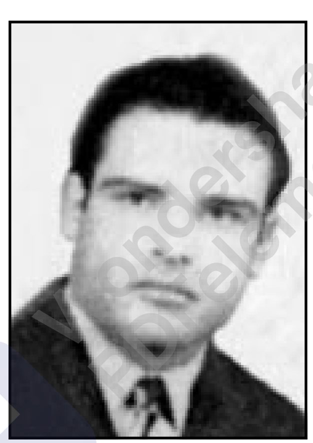
وامتدت التصفيات لتطال مقاومين بارزين مثل احمد بلحسن الذي سبق له ان اطلق النار على بونيفاس رئيس ناحية الدار البيضاء وعلى الحاج ايدار مستشار الباشا الجلاوي بمراكش.

فقد استدرج الى موعد في حي المعاريف بالقرب من مركز حفظ الصحة، وبينما كان على متن دراجته واقفا يتكلم مع شخص يعرفه، اذا بآخر، استغفله من الخلف واطلق عليه رصاصة في الرأس يوم 22سبتنمبر1955. وأشارت أصابع الاتهام الى احد أعضاء **"المنظمة السرية"** كان معه على خلاف.

وقتل ابراهيم أوليازيد مسؤول نقابي جاء من بلجيكا وشارك في تنظيم نقابات العمال في الحي الصناعي وساهم في المقاومة المسلحة قبل أن يلقى مصرعه دفاعا عن استقلاله الفكري.(4)



● أحمد بلحسن



● محمد بن بوشعيب المديوني



● بلمخنت عبدالرحمان

وفي ظروف غامضة قتل بلمخنت عبد الرحمان المقاوم والشاعر الشعبي الذي كان يلهب المشاعر بقصائد الحماس. وكان من الفارين من سجن القنيطرة والتحق بالشمال وبعد رجوعه هاجمه اشخاص في بيته وقتلوه ومعه زوجته يوم 1-2-1956.

وقبله قتل عبد الله المديوني امين مال احدى جماعات حزب الاستقلال والقيت جثته قرب الواد المالح في طريق الرباط.

وفي مدينة برشيد قتل المقاوم محمد بن بوشعيب المديوني من قادة منظمة **"الحسنية"** من طرف أعضاء تابعين لمنظمته. وكان قبل ذلك انهى دراسته الثانوية في مدرسة "لافيرم بلانش" واشتهر في حراسة مرمى "نادي الشعب" لكرة القدم بالدار البيضاء.

وفي مدينة وجدة أنشأت الدائرة الخامسة للشرطة وأشرف عليها

---

4 - مقابلة مع عبد الرحمان اليوسفي بالدار البيضاء في 28-11-1997.

المقاومان بلحاج بويو ومحمد بلهاشمي ميري وأصبحت **"عبارة عن مجزرة وجحيم أخطر من معتقلات المستعمر".** (5)

وذات يوم وجد احمد الرمضاني مقتولا واتهم عامل وجدة عمر ولد حميدو التابع لحزب الاستقلال بارتكاب الجريمة. (6)

وفي مطماطة بين تازة وفاس قتل القائد الجديدي وكان ذاهبا الى بركان، واسفر التحقيق عن إعتقال القاتلين ويعملان حارسين لعامل وجدة المذكور وكتب الوكوتي بأن **"أجهزة الداخلية... كانت تعد فرعا من فروع حزب الاستقلال".** (7)

وفي مراكش قتل بن زريويل صاحب حافلات النقل، والقى المارة القبض على القاتل الا ان السلطة اطلقت سراحه واتضح ان الواقف وراء الجريمة شخص محسوب على المقاومة يملك حافلات تنقل المسافرين بين مراكش وبني ملال، ولم يجد وسيلة للسيطرة على خطوط منافسه الا بتصفيته جسديا بتهمة التعاون مع الاستعمار. وكنت التقيت القاتل في مكتب المقاومة بمراكش، وكان نحيفا طويل القامة لا يتجاوز عمره عشرين سنة، وحينما سألته عن السبب الذي دفعه الى ما فعل. اجابني : **لقد نفذت أمر المقاومة!**

وبمدينة الدار البيضاء اختطف الفنان الساخر الحبيب القدميري وتم قتله والقاء جثته في مكان قرب الشاطئ، وحاولت بعض الصحف استغلال الجريمة في الصراع الحزبي، (8) وأفادني أحد المسؤولين في مكتب المقاومة بأن القدميري دخل في نزاع شخصي مع مقاوم ينتمي إلى الدائرة السابعة للشرطة فاختطفه صحبة آخرين وقتله.



● ثريا الشاوي

وفي أول مارس 1956 اطلق شخص عيارات قاتلة في الدار البيضاء على الآنسة ثريا الشاوي من شبيبة حزب الاستقلال اكتسبت شهرة واسعة حينما كانت تسوق طائرة سياحية وتلقي منها بالمناشير للترحيب بعودة الملك من المنفى، وكانت المغربية الوحيدة

5 - الدرفوفي محمد بوزيان من اجلك يا بلادي، مطبعة الساحل، الرباط، بدون تاريخ، ص 177.

6 - بنعبد الله الوكوتي، ذكريات مقاوم، معركة التحرير 1953-1956، مطبعة التوفيق، الرباط 1996 ص 302.

7 - ن.م. ص 305.

8 - معنينو، ذكريات ومذكرات ج 6. ص 84 يقول انه قتل بسبب استهزاءه "ببطاقة حزب الاستقلال التي تخول كل شيء لصاحبها".

الحاصلة على رخصة لقيادة الطائرة. وهي من عائلة جمعت الثروة والثقافة، والدها عبد الواحد الشاوي جعل من المسرح في الثلاثينات والأربعينات بمدينة فاس أداة للتوعية والنهوض بالمجتمع.

والرواية المتداولة حينذاك تنسب جريمة القتل الى احمد بن علي "السرجان" ولقبه يدل على احترافه الجندية في الجيش الفرنسي، انضم الى المقاومة المسلحة وأصبح من أمراء الحرب، مما جعله يوجه إلى ثريا دعوة للاختلاء بها، فرفضت الاستجابة واعتبر ذلك إهانة له فامر أحد مرؤوسيه ليطلق عليها النار. (9) وكان مصير السرجان أيضا التصفية الجسدية من طرف المقاومة.

وبنفس السلوك المشين اشتهر احمد الطويل من مواليد منطقة أحمر بناحية اليوسفية، عمل في القاعدة الجوية الأمريكية في النواصر، وفي آخر ساعة انضم الى المقاومة وكون جماعة من إخوته وأبناء عمومته وبرهن عن قساوة في سفك الدماء والتباهي بأفعاله، وكان يوقف سيارته الفخمة وسط الشارع ليرغم المراة التي تعجبه على مرافقته. وببرودة متناهية أقدم على قتل مولاي احمد الصقلي صاحب قاعة سينما شهرزاد فقط لأنه دافع عن شرفه ورفض التخلي عن زوجته. (10)

ومن بين التجار المقتولين بسبب اموالهم مولاي علي القرواني في طريق مديونة الذي امتنع عن تأدية مبلغ مالي خيالي بدون أي مبرر.

وكان الطويل سيفا بتارا بيد جهات متعددة، وكل من تجرأ على ابداء ملاحظة حول مظالمه كان مصيره القبر. فقد اختطف المقاوم محمد بن المكي المدعو **"هوشي مينه"** من شارع مديونة وبعيدا في احد الحقول أفرغ في جسده بندقية رشاشة. (11)وباسم ادارة الأمن التي كان يحمل بطاقتها في جيبه قضى على عشرات الأشخاص سواء في دائرة "الساتيام" بالدار البيضاء او في معتقل دار بريشة بتطوان.

وباتت حركة المقاومة منقسمة الى عدة جماعات بعد ان تسرب كثيرون من المشبوهين في صفوفها وابتعدت عن اخلاقيات الكفاح، ومن داخلها نهضت أقلية نظيفة، فكرا وممارسة، لتوقف الظالمين وتواجه تسلطهم بالصرامة الضرورية. وبدأ المقاوم المثالي رحال المسكيني معركة تطهير المقاومة من الدخلاء.

كان المسكيني بحق إسما بارزا في تاريخ النضال المسلح بعد سنوات من العمل النقابي في القنيطرة والدار البيضاء، وعند اندلاع المقاومة المسلحة نقل الى الفلاحين في بادية الشاوية نداء الكفاح من اجل الخلاص من سيطرة المعمرين الذين اغتصبوا الأرض وحولوا الفلاحين الى عبيد. وعلى إثر هجوم

9 - مقابلة مع عباس العبيدي بالدار البيضاء في 26-3-1998.

10 - حديث مع امحمد الظاهر، الدار البيضاء في 29-7-1997.

11 - حديث مع عمر بن صالح الفرشي، الدار البيضاء في 5-4-2002.

نظمه على المعمرين في ناحية الدار البيضاء، القي عليه القبض وبعد شهرين من التعذيب في ادارة الشرطة، نقل الى سجن القنيطرة وفي الطريق تمكن من الفرار في عين حرودة وتطلب القاء القبض عليه تجنيد فيلق كامل من قوات الجيش الفرنسي التي طوقت الحقول التي اختفى فيها، ونجح مرة أخرى في تنظيم الفرار الكبير من سجن القنيطرة، والتحق بالصحراء حيث شارك في تأسيس جيش التحرير. وكان صلبا في الحق صريحا في القول متصفا بنزعة انسانية. (12)

لم يخطأ الهدف وهو يوجه بندقيته الى صدر احمد الطويل في شارع عبد المومن بالدار البيضاء. وبعد بضعة أيام اعترضت طريقه عصابة تسعى للانتقام، ورغم كثرة افرادها فقد دافع عن نفسه وقضى على أخ الطويل المامون وجرح آخر. وكان يوم 16-2-1956 يوما حزينا في الحي المحمدي، بكت فيه الجماهير الفقيرة ابنها المسكيني وشاركت بالآلاف في موكب جنازته.

وأقدم المقاومون الراديكاليون على نصب مصيدة لأنصار الطويل باستدعاءهم الى مكتب جمعية المقاومة في درب الكبير بدعوى المصالحة ورص الصفوف، وهناك لقي الحاضرون مصرعهم اما الذين لم يحضروا فقد تمت تصفيتهم داخل منازلهم.

● رحال المسكيني

ولم تمر مدة طويلة حتى وجد المقاومون الملتزمون انفسهم وجها لوجه مع التحالف الطبقي المسيطر على الحكم والمتألف اساسا من بقايا الاقطاعيين وكبار الملاكين العقاريين والطبقة التجارية الكبرى والبيروقراطية.

واشتد الصراع داخل حزب الاستقلال وانقسم الى يمين ويسار، الأول تجسد في الطبقة البورجوازية ومنظريها من المثقفين الرجعيين، والثاني تمثل في المقاومة والطبقة العاملة والحركة الطلابية.

وقاد يمين الحزب المؤامرة ضد المقاومة المسلحة باعتبارها العنصر الأخطر على الاتجاه الراغب في تنمية مصالحه بالارتباط مع الاستعمار الجديد.

وقد بدأ تهميش المقاومة قبل ان تنطلق المفاوضات السياسية مع فرنسا، وفسر أحدهم عدم اشراكها في الحل السياسي بقوله: **"الفدائيون غير مؤهلين للقيام بالمفاوضات السياسية"**. (13) وإذا كان هذا الرأي صائبا الى حد ما، فإنه

12 - شهادة مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 3-7-1992.

13 - قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة اكدال، الرباط 1984 ص163.

لا يبرر تهافت البورجوازية على تقاسم خيرات الوطن مع الرأسمالية الاستعمارية.

وفي اجتماع عقد في غشت 1956 بالدار البيضاء أصدرت جمعية المقاومة والتحرير بيانا عبرت فيه عن اليأس الذي بدأ يستحوذ على النفوس **"فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فالشرطة لم تطهر بعد، وبعض الخونة المارقين ما يزالون في مناصبهم أو في وضعيتهم الاجتماعية الممتازة التي كانوا فيها في ظل الاستعمار، والانتهازيون يعبثون بالمصالح العليا للبلاد من غير ان تمتد لهم يد لتردعهم وتحمي العناصر المخلصة من كيدهم والبلاد من شغبهم".** (14)

وأعلنت بشكل قاطع **"أن نظاما مبنيا على اساس اللامسؤولية وطغيان السلطة واستغلال النفوذ والتملق ليس بقادر على تسيير الشؤون العامة بكيفية مرضية وبالأحرى ان يحقق التمنيات الوطنية".** (15)

وتكتلت القوات المستفيدة من الوضعية الجديدة لمحاربة المقاومة التي كانت تحظى بتعاطف الجماهير العريضة، وشن يمين حزب الاستقلال هجوما مسعورا على المقاومين الذين كان قبل ذلك يعتبرهم رموزا للتضحية والجهاد، واصدر جريدة **"الأيام"** خصيصا للتهجم عليهم ووصفهم بـ **"الجناة الذين عرضوا البلاد لكثير من المآسي والمحن، والقتلة والسفاكين الذين أزهقوا أرواحا بريئة في سبيل تمهيد الطريق الى الزعامة والارتقاء على جماجم الضحايا البشرية الى قمة الأطماع الشخصية واحتلال كراسي الزعامة".** (16)

وحينما وقعت القطيعة نهائيا بين الحزب ويساره أصبح علال الفاسي يطالب الدولة بارسال الجيش الملكي الى آيت باعمران بالصحراء **"ليتحرر أهلها من بعض العناصر التي تسربت في جيش التحرير وتريد ان تجعل منه أداة هدم وتشويش".** (17)

وعند حديثه عن الجزائر والمناطق المجاورة لها اتهم **"الدسائس الاستعمارية التي تريد خلق جمهوريات... لتكوين حلف مقدس بين بعض الساسة المصطنعين وبين الحكومة الفرنسية والاسبانية ولكي تسرب بعض العناصر غير المرغوب فيها ومحاولتها استعمال المكافحين من اجل وطنهم في سبيل التشويش على الدولة والهيئات الوطنية...".** (18)

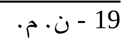
وذهب بعيدا ووصف المسؤولين عن جيش التحرير بالخيانة لأنهم : **"أرادوا استغلال اسم المقاومة في تفريق كلمة المغرب... ويتجاوزون الحدود**

14 - المجلس الوطني للمقاومة المغربية، مؤتمر غشت 1956. ص 7.
15 - ن م.
16 - جريدة "الأيام" 3-3-1959
17 - علال الفاسي، عقيدة وجهاد، تقرير مقدم لمؤتمر حزب الاستقلال في 8-10 يناير1960 ص 30.
18 - ن. م. ص 31.

المطلوبة ويحولون الكفاح المقدس الى كفاح دنيئ غايته الشهوة ودافعه حب النهب والارهاب". (19)

وتشدد في مطالبة الدولة "**بوضع حد لعبث هذه العصابات المسلحة وخاصة بالضرب على يد الذين يحاولون إدامة الخطف والنهب".** (20)

وعلق المهدي بن بركة على تلك المواقف المتشنجة بقوله : "**إن انزلاق بعض القادة في طريق المساومة الانتهازية بل ومساهمتهم في المؤامرة الخسيسة ضد جيش التحرير والمقاومة والنقابات العمالية، كان منشأ اصطدامات عنيفة لو أعلن عنها في إبانها لو فرت علينا كثيرا من الوقت وخيبة الأمل والمزيد من التضحيات".** (21)



19 - ن. م.

20 - ن. م. ص 31

21 - المهدي بن بركة الاختيار الثوري، الذاكرة الحية، منشورات اليسار الديمقراطي، دار قرطبة الدار البيضاء 1996، ص 45.

الفصل السادس عشر

جيش التحرير : غاب الوعي السياسي وعجزت البندقية

أكتوبر : 1955

جمال عبد الناصر يرعى الثورة في جبال الريف

قررت قيادة المقاومة تمديد الكفاح المسلح إلى البادية، فسافر عبد السلام الجبلي في بداية سنة 1954 إلى الجنوب رفقة محمد بولحية الفقيه المنحدر من تلك الجهة ويتحدث باللهجة المتداولة في منطقة سوس. (1) وتمكن الاثنان من تنظيم خلايا سرية في عدة جهات تكلفت في المرحلة الأولى بتقديم المساعدات لعائلات المعتقلين وبجمع المعلومات عن تحركات الجيش الفرنسي، الا انها ظلت جامدة بعد اعتقال الجبلي وبولحية.

وباتفاق مع الزرقطوني قام محمد عمر الكوني بتنظيم خلايا في مناطق الأطلس المتوسط والكبير بمساعدة خلا ادرار في ايت عطا وآيت سوخمان، وحمو التنغيري في ورزازات وتافيلالت، وفي الأطلس الكبير حمو نايت عبد العليم وزايد اوموحى وزايد امدو. الا ان نزاعا نشب سنة 1955 بين بن عمر الكوني والحبيب الحوات على قيادة الحركة ادى الى اكتشاف جماعة في تالسينت (2) واتضح ان اعضاءها مرتبطون بجماعات اخرى وتوالت الاعتقالات من منطقة الى اخرى على طول سلسلة جبال الاطلس الى ان تم تفكيكها كلها ووقع في الاعتقال 179 شخصا (3) وتبدد كل أمل في القيام بالثورة في تلك القبائل المحاربة. (4)

كان عدد المقاومين الملتجئين الى منطقة الاحتلال الاسباني حوالي

---

1 - سوس منطقة في جنوب المغرب تقدر مساحتها بعشرين الف كلم مربع تقع بين الاطلسين الكبير والصغير وأهم مدنها اكادير وتارودانت وتيزنيت وتافراوت ويتكلم سكانها بلهجة تاشلحيت، واشتهرت بانجاب الكتاب والادباء والمقاومين والتجار.

2 - تالسينت مركز يبعد عن بوذنيب ب 130كلم ويقع على ارتفاع 1.300متر.

3 - Maroc presse 5-5-1955.

4 - مقابلة مع محمد بن عمر بويفادن في بني ملال بتاريخ 10-5-1987.

سبعين شخصا قرروا العزم على تنظيم عمليات مسلحة ضد مراكز الجيش الفرنسي الا ان الشروط لم تكن متوفرة، فلم تكن هناك اسلحة ولا امكانية للتدريب ولا موافقة السلطة الاسبانية التي تراقبهم.

وفي مصر التي سيطر فيها الضباط على السلطة يوم 23 يوليوز 1952، اصبحت القاهرة قبلة يؤمها المناهضون للاستعمار خاصة من شمال افريقيا. واقتنع الرئيس جمال عبد الناصر بأن انتصار الثورة في مصر على الإمبريالية مرتبط بعمقها العربي الذي كان معظمه يرزح تحت نير الاستعمار. وانطلاقا من تلك القناعة تم تقديم العون للحركات المناضلة من اجل الحرية، واناط عبد الناصر بالضابطين فتحي الديب، رئيس جهاز المخابرات المصرية، وبمساعده



● الرئيس جمال عبدالناصر يصافح عبدالكريم الخطابي سنة 1959

عزت سليمان مهمة البحث عن المناضلين القادرين على إشعال فتيل الثورة في بلدان المغرب، لان الانطباع السائد آنذاك هو ان محترفي السياسة لا يبحثون سوى عن المال وعاجزون عن قيادة معركة التحرير، خاصة وان الثورة المصرية اعتبرت الاحزاب السياسية في مصر فاسدة واقدمت على منعها بشكل نهائي.

واتجه التركيز في البداية على عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف وعلى الشبان الجزائريين احمد بن بلة ومحمد خيضر والحسين أيت احمد وغيرهم من الذين انفصلوا عن حزب مصالي الحاج وكونوا **"المجلس الثوري للوحدة والعمل"** وفي تونس وقع التنسيق مع صالح بن يوسف واضطر المصريون للتعامل مع علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال بعد أن قدم حجة برهانية على علاقته بالمقاومة المسلحة في المغرب.

وعندما تم تشكيل **"القيادة العليا لشمال افريقيا"** بدأت التداريب العسكرية على يد ضباط مصريين وشارك فيها فوج أول يتكون من جزائريين وتونسيين ومغاربة كان على رأسهم المكافح الهاشمي الطود. وتمكن المسؤولون المصريون بفضل علاقتهم الجيدة مع حكومة مدريد من إرسال ضابط المخابرات **عاطف عبده سعد** إلى تطوان تحت غطاء مراسل جريدة **"الجمهورية"**. وكان مكلفا بتنسيق العمل بين المقاومين المغاربة والجزائريين وبين مركز القرار في مصر. بينما كان عبد المنعم النجار الملحق العسكري في السفارة المصرية بمدريد يشرف بنفسه على جيش التحرير ويتدخل في كل ما يتعلق بشؤونه. (5)

وقبل تأسيس جيش التحرير ابلغ عبد المنعم النجار كلا من عبد الكبير الفاسي وعبد الرحمن اليوسفي بأن الدكتور الخطيب سيتولى مسؤولية جيش التحرير، وفي حالة عدم الموافقة عليه فإن مصر ستوقف مساعدتها. (6) ولما علم علال الفاسي بالقرار لم يجد خيارا آخر غير الإذعان، وعند مجيئه إلى تطوان سأله أصدقاؤه عن السبب في تعيين الخطيب على رأس الجيش أجابهم بأنه كان يظنه عضوا في حزب الاستقلال. (7)

والواقع أن المصريين كانوا مصممين على إسناد المسؤولية لشخص لا علاقة له بالأحزاب السياسية التي يمقتونها، ووجدوا امامهم الخطيب الذي سانده ممثلو الثورة الجزائرية. (8)

---

5 - جهاد من اجل التحرير استجواب مع الدكتور الخطيب وحافظ ابراهيم، اعده محمد خليدي وحميد خباش، منشورات المناهج، الرباط 1999ص 73.

6 - ن. م. ص 12.

7 - حديث مع الدكتور عبد الطيف بن جلون بالدار البيضاء في 14-6-1988.

8 - بعض الكتاب حاولوا عبثا انكار كل علاقة لعلال الفاسي بجيش التحرير. وادعى زكي مبارك ان "لا سلطة لحزب الاستقلال على المقاومة" انظر:

Zaki M'bark, Résistance et Armée de Liberation, Porté Politique, Liquidation, 1953-1956, TANGER 1987, P. 55.

وقبل اندلاع عمليات جيش التحرير بستة اشهر وصلت الدفعة الاولى من الأسلحة التي تبرعت بها سوريا الى ميناء الاسكندرية. ومن هناك تم شحنها على ظهر الباخرة "دينا" وهي في ملك دينا عبد الحميد الزوجة المصرية السابقة لملك الاردن حسين، وكان يسوقها الملاح البوسني المسلم ميلان ويساعده السوداني ابراهيم النايل. وبتوجيه من المسؤولين في السفارة المصرية بمدريد تعرف بعض المغاربة والجزائريين المقيمين في تطوان على ربان الباخرة التي رست في ميناء مليلية قبل ان تتوجه الى شاطئ رأس كبدانة على بعد ستين كيلومترا من الناضور. وافرغت حمولتها التي قدرت بأربعمائة بندقية ومائة وخمسين بندقية رشاشة وخمسمائة قنبلة يدوية، وحوالي سبعة اطنان من الذخيرة الحربية. (9) وتوصل الجزائريون بثلثي الحمولة والمغاربة بالثلث الباقي وكان ذلك يوم 31مارس 1955، وبالاضافة الى الاسلحة جاء على متنها عدد من اطر جبهة التحرير الجزائرية الذين تدربوا في مصر وكان من بينهم الهواري بومدين، عرباوي محمد صالح، فجاري علي، عبد العزيز مسري، عبد الرحمان محمد، حسن محمد، شعوت احمد وعبد القادر بوزار. وكان في استقبالهم العربي بن المهيدي ومحمد بوضياف ومناضلون مغاربة.

وفي شهر مايو 1955جاءت من مصر باخرة ثانية اسمها "فخر البحار" تحمل خمسمائة بندقية رشاشة وقنابل يدوية، وأثناء إفراغها غرق زورق مشحون فوق طاقته وضاعت حمولته، وانسحبت الباخرة الى ميناء برشلونة لاصلاح عطب في محركها وعادت ومعها قواربها الخاصة لتفريغ حمولتها.

وفي بداية شهر سبتمبر 1955وصلت "النصر" الباخرة المصرية الثالثة وارست في مكان يسمى بوفضيس، وكانت تحمل الف بندقية والمئات من القنابل اليدوية، يقول بوضياف انها مكنت من تثبيت المقاومة سواء في جبال الريف والمغرب الشرقي وفي منطقة وهران بالجزائر. (10)

وفي يناير 1956أبرم المسؤولون المصريون صفقة مع مصنع إيطالي لشراء أسلحة حديثة من الرشاشات إلى المدافع المضادة للطائرات، وكلفوا المغاربة بشراء باخرة لنقلها إلى شواطئ الشمال. غير أن العراقي تبنى القيام بعملية الشراء وادعى انه اعتمد على مساعدة حسين خيري عقيد في الطيران الحربي المصري **"... التجأ إلى إيطاليا لعدم رضاه على السياسة التي طبقت باسم الثورة على بعض الوجهاء ومنهم والده..."**. (11) ويتناقض حينما أكد

9 - احصائية في : الحسين برادة، مسيرة التحرير، منشورات افريقيا، الرباط 2000، ص 122.

10 - شهادة محمد بوضياف في : محمد حمو الادريسي، الحركة الوطنية في الشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر، مطبعة البوغاز طنجة 1990ص 210.

11 - الغالي العراقي، ذاكرة نضال وجهاد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2002، ص 105.

أن الضابط اللاجئ كان معه في مصنع لشراء أسلحة لجيش تحرير المغرب العربي بتمويل الحكومة المصرية. (12) في حين أن مرافقه في السفر برادة ذكر أن حسين خيري كان مسؤولا عن الباخرة "دينا" ودفع مالا لاصلاح عطب وقع فيها بعد ارتطامها بجرف في رأس كبدانة. (13) وهذا ما ينفي ادعاء العراقي الذي أراد أن يقول بأنه كان يتعامل مع ضابط معارض وليس مع الضباط الحكوميين الذين انتقدهم بشدة خلال حديثه. (14) واتسم نفس الحديث بالتعتيم على مصدر الأموال التي كان يحملها في حقيبته. (15) وهو ما يوضحه برادة بقوله : **"اتصل بي ذات يوم الملحق العسكري المصري في مدريد وطلب مني الالتحاق بالسفير المصري في روما ليدفع لي 50 ألف دولار سلمتها للسيد الغالي العراقي".** (16)

وبحضور الحسين خيري عاين العراقي وبرادة والدكتور الخطيب والسوداني إبراهيم النايل الباخرة التي تم شراؤها من مالكها الانجليزي وكانت راسية في ميناء جينوة. (17)

ومن مصر جاءت محملة بألف بندقية رشاشة وستة مدافع مضادة للطائرات وثلاثمائة ألف رصاصة. (18) وبعد اقترابها من الشواطئ المغربية وكانت ترفع العلم الانجليزي، اعترضتها البوارج الفرنسية وساقتها الى القاعدة البحرية مرس الكبير بالقرب من مدينة وهران يوم 16 أكتوبر 1956. وأرجع أحمد بن بلة السبب في اكتشافها الى وشاية صدرت عن مغربي كان من ضمن الذين سهروا على شرائها. (19)

لم يكن قيام الثورة المسلحة في الشمال عفويا بل سبقه إعداد ملف كامل انكب على دراسته الضابطان المصريان فتحي الديب وعزت سليمان. (20)

وتوسط علال الفاسي في تكوين وتدريب عدد من الاطر العسكرية في مصر. (21) وقضى عدد من المتعلمين فترة دراسية بالكلية الحربية في بغداد.

وكما سبق فإن القيادة المصرية تكلفت بالتكوين العسكري والتسليح والانفاق المالي وتوفير المتطلبات اللوجستيكية بالسهر على مراقبة البواخر المحملة بالعتاد الحربي من نقطة ابحارها من الموانئ المصرية الى خط الوصول

---

12 - ن. م. ص. 116.
13 - الحسين برادة، مسيرة التحرير، م.س. ص. 124.
14 - العراقي، ذاكرة، م. س. ص. 104، 105، 110.
15 - ن. م. ص. 112.
16 - برادة، مسيرة التحرير، ص. 130
17 - ن. م. ص. 131.
18 - ن. م. ص. 132. وثيقتان تحملان توقيع أحمد بن بلة.
19 - حديث مع أحمد بن بلة في الدار البيضاء بتاريخ 10-3-1997.
20 - جهاد من اجل التحرير، م. س. ص 72.
21 - ن. م. ص 25.
22 - ن. م. ص 21.

بالشواطئ المغربية، هذا فضلا عن الدعاية الإعلامية التي واكبت الكفاح الذي خاضه جيش التحرير والتعريف به لدى الرأي العام الدولي، ويقول مشارك في الأحداث ان البلاغ الأول الصادر عن جيش التحرير في 2أكتوبر 1955تم طبعه في مكتب الملحق العسكري للسفارة المصرية في مدريد. (22)

لقد كان كل شيء مصريا ماعدا العنصر البشري الذي كان مغربيا يتكون من مكافحين قدماء شاركوا في حرب الريف او فقراء الشعب المتشوقين لاعادة انجاز المأثرة التاريخية التي صنعها آباؤهم في العشرينات بقيادة عبد الكريم الخطابي.

في مطلع عام 1955بدأت التداريب في جنان الرهوني حيث كان الجزائري العربي بن المهيدي يعطي دروسا نظرية في حرب العصابات للمغاربة والجزائريين. (23) ثم بعد ذلك اشرف على تدريب المغاربة الهاشمي الطود وكذلك البشير الطاعي وعبد القادر بوزار في تطوان، وعباس المسعيدي في الناضور.

قامت قاعدة جيش التحرير على اساس قبلي، واغلب رؤساء العمليات كانوا ينحدرون من القبائل الشمالية، ولم تكن الهجومات على ثكنات الجيش الفرنسي في اليوم الأول موفقة كلها. ففي ايموزار مرموشة تمكن المكافحون يوم 2أكتوبر 1955من الاستيلاء على ثلاثمائة بندقية واربعين رشاشة ومدفع من عيار 60م م. وقضوا على عشرين جنديا فرنسيا. (24)وكلفهم الانتصار أربعين قتيلا. (25) وتمكنت فرقة أخرى من اكتساح المركز الفرنسي في بورد وغنمت 95 بندقية. (26) غير ان احد المسؤولين اعترف بأن المكافحين **"مثلوا ببعض قتلى العدو"** واشتغلوا بحمل الغنائم والاسلاب عوض حمل السلاح والذخيرة واحرقوا المركز بعد استسلام الجنود الفرنسيين. (27)



23 - جنان الرهوني باسم محمد الرهوني وزير العدلية في تطوان عام 1916، وهي ارض واسعة بها اشجار اللوز والرمان والتين.

24 - La Vigie marocaine 3-10-1955.

25 - الصنهاجي مذكرات، ص 185.

26 - Julien, Le Maroc, P. 459.

27 - عبد العزيز الدوائري اقضاض، مجلة المقاومة وجيش التحرير، عدد 12، ص 26، الرباط 1985.

ولم يسقط مركز تيزي وسلي، وعدلت قبيلة اخرى عن الهجوم على مركز اكنول وهي المناطق الثلاثة التي يسميها الفرنسيون مثلث الموت Triangle de la mort، واستطاعت فرقة اقتحام مركز بوزينب واستولت على العتاد واللباس.

وكان رد فعل الجيش الفرنسي عنيفا من البر والجو دمر البيوت وقتل الماشية واحرق التبن واستولى على مخزون الحبوب والزرع، ونزح الاف السكان الى منطقة الاحتلال الاسباني. (28)

لم يستغرق الكفاح المسلح سوى بضعة اشهر، ولم يستمر في بعض الجهات اكثر من اسبوعين حيث "**نفذت الذخيرة لأنهم كانوا يضربون الدبابات بالرصاص وغير مدربين ولم يطبقوا حرب العصابات ونصب الكمائن**". (29)

وفي الأيام الأولى للمعارك سقط عدد من مسؤولي جيش التحرير في الميدان. (30) ولم تكن صفوفه محصنة بما فيه الكفاية، فقد ترشح للعمل المسلح اشخاص "**اشتهروا بالاسترزاق من يد العدو، وبالجاسوسية وبيع الوطنية بثمن بخس**". (31)

وتمكن الفرنسيون من تسريب عدد من جنودهم المغاربة الى منطقة مغراوة، وادعى رئيسهم الطيب الزموري انهم فروا من الجيش الفرنسي وكانوا مزودين بوسائل الاتصال اللاسلكية، وبعد بضعة ايام تمكنوا من استمالة فرقة جيش التحرير الى جانبهم واعتقلوا رئيسها ملال بن الحبيب وكادوا ينجحون "**في الانقلاب على القيادة بمغراوة**". (32)

وفي القاهرة استقطبت المخابرات الفرنسية الخمار بن المهدي الميداوي الذي تلقى تدريبا ضمن جيش تحرير المغرب العربي، ودخل الى المغرب وربط علاقة مع عباس المسعيدي غير ان ابن عمه فضح حقيقته، وعندما نزح المسعيدي الى الشمال استدعاه ليتسلم كمية من السلاح والمال، ووقع في الفخ واعترف بتعامله مع العدو وتمت تصفيته جسديا. (33)

وكان ممثل حزب الاستقلال بتطوان الصحفي احمد زياد يتجسس لفائدة السلطة الاسبانية، وكشف عدة اسرار منها تاريخ وصول باخرة السلاح "دينا"، ومثل خطرا على المناضلين المغاربة والجزائريين، ووقع التحايل عليه بدعوى السفر الى القاهرة لتسلم مساعدة مالية لجيش التحرير، وحينما حل بالقاهرة القت عليه الشرطة المصرية القبض وبقي في السجن الى ما بعد اعلان استقلال

28 - ن. م. ص 27.

29 - جهاد من اجل التحرير، ص 22.

30 - بعض اسمائهم في الصنهاجي مذكرات ص 183، -275وفي حمو الادريسي، الحركة الوطنية ص 137.

31 - الدوائري، مجلة المقاومة، ص 18.

32 - الصنهاجي، مذكرات، ص 216.

33 - ن. م. ص 134.

المغرب. (34)

ولعبت الصراعات على الزعامة دورا مشؤوما. فقدكان المسعيدي والصنهاجي مشرفين على اقليم تازة فقط، بينما باقي الأقاليم يتحكم فيها مسؤولون تابعون لما كان يسمى "لجنة تطوان". وشهد مركز الناضور اقتتالا اسفر عن قتلى وجرحى بين اتباع المسعيدي والصنهاجي وانصار عبد الله الوكوتي. (35) واشتدت الخلافات بين المسعيدي والصنهاجي من جهة وممثلي حزب الاصلاح الوطني من جهة اخرى.

وجاء علال الفاسي من القاهرة ورافقه الصنهاجي في زيارة قام بها الى العرائش والقصر الكبير وكان معهما الطيب بنونة نائبا عن عبد الخالق الطريس (36). واثناء المفاوضات من اجل الاستقلال طغى على السطح تياران متباينان واحد يعمل على انهاء مهمة جيش التحرير بادماجه في الجيش الملكي، والثاني يطمح الى ان يجعل منه نواة للجيش النظامي ويتابع المعركة في سبيل تحرير الصحراء. وفي منتصف مارس من عام 1956 انعقد اجتماع في مدريد للحسم في الموضوع حضره علال الفاسي والمهدي بن بركة ومحمد البصري والدكتور الخطيب والدكتور المهدي بن عبود والدكتور عبد اللطيف بن جلون وعباس المسعيدي وعبد الله الصنهاجي ومحمد بن سعيد والغالي العراقي ومحمد السكوري وسعيد بونعيلات واحمد الدغمومي وغيرهم.

وطلب عباس المسعيدي خروج عبد الكبير الفاسي صاحب المنزل الذي التأم فيه الجمع ومعه المهدي بن بركة كشرط لبدء أشغال الاجتماع.(37) وناقش المجتمعون المؤامرات التي تحاك ضد جيش التحرير خاصة من طرف لحسن اليوسي وزير الداخلية والقائد عدي وبيهي ومحاولتهما الحاق عدد من ضباط جيش التحرير مع جنودهم بالجيش الملكي. واتخذ المجتمعون قرارا بابعاد بعض المتحمسين جدا لحل جيش التحرير مثل عبد القادر بوزار الجزائري الذي أزيح من مركز بني زروال وخلفه فيه الدكتور الخطيب، وابعد كذلك مصطفى بن عثمان من قيادة تركيست وحل مكانه محمد بن سعيد، واسندت الى الفقيه البصري مهمة اعادة تنظيم المقاومة وتوحيدها، غير ان تلك الاجراءات لم تصمد امام الإغراءات، إذ بمجرد ما انفض الجمع وعاد القوم الى المغرب، تقدم بعض قادة جيش التحرير ومن بينهم الدكتور الخطيب وعباس المسعيدي وعبد الله الصنهاجي بعرض لإلحاق فرقهم بالجيش الملكي. (38)

وتحولت الخلافات الى مساجلات كلامية بين الاتجاهين المتصارعين، وأعلن علال الفاسي ان الملك لم **"يطلب من جيش المجاهدين ان ينضم الى**

34 - ن.م. ص 143، وكذا الخطيب، جهاد، ص 11، وبرادة، مسيرة، ص 120.
35 - الصنهاجي، مذكرات، ص 166.
36 - ن. م. ص 204.
37 - ص- برادة، مسيرة التحرير، ص 164
38 - حديث مع محمد بن سعيد آيت يدر في باريس بتاريخ 8-11-1977.

الجيش النظامي لكنه طلب منا فقط ان نوقف العمليات وذلك ما قمنا به". (39)، وصرح ولي العهد مولاي الحسن امام وفد من جيش التحرير ان كرامة ووحدة واستقلال المغرب تحققت وعما قريب سيدمج جيش التحرير في حظيرة الجيش الملكي. (40) ووزعت مناشير في الدار البيضاء تقول بأن جيش التحرير أنهى المعارك وتوقف عن الحرب منذ بداية مارس في حين وزع انصار عبد الكريم الخطابي منشورات بمدينة فاس تعلن ان الكفاح مستمر وان استقلال المغرب لن يكون كاملا الا اذا تحررت شمال افريقيا كلها. (41)

وفي خضم الصراعات العلنية والخفية على جيش التحرير وقعت حادثة قتل غامضة ذهب ضحيتها المسعيدي. فمن هو عباس المسعيدي ؟ انه الاسم الحركي للناصري محمد بن عبد الله من أيت عطا بتازارين باقليم وأرزازات(42)، ينتمي الى الزاوية المساعدية، انخرط في حزب الاستقلال سنة 1947، واشتغل في الخمسينات عند ابراهيم الروداني في مصنع "جافيل" بشارع موناستير بالدار البيضاء. وفي عام 1952 صدر في حقه حكم بستة اشهر سجنا بتهمة توزيع مناشير للتحريض على الاضراب، وبعد خروجه من السجن دخل في العمل السري. (43) وفي سنة 1955 أصبح مسؤولا عن جيش التحرير في إقليم تازة.

وقد تعددت التأويلات حول أسباب تصفيته، فالبعض حاول ربطها بالمخابرات المصرية التي "**أخذت تتصل مباشرة ببعض الشخصيات التي كان لها نفوذ وسط المجاهدين.**" (44) واستقاض الفاسي في حديثة قائلا : "**...كانت المخابرات العربية في مصر تشجع السيد الخطيب وبعض رفاقه على ادخال جيش التحرير في الجيش الملكي... وكانت لجهلها بالحقيقة المغربية تعتقد ان في ادخال عسكر التحرير للجيش الملكي ايجاد نواة لضباط أحرار يستطيعون ان يقوموا بما يطلب منهم"** (45)

ومن جهته اعترف الخطيب بأن المصريين كانوا يعملون على استمالة المغاربة الى الاتجاه الجمهوري وكانت لهم معه محاولة، واستدعوا عباس المسعيدي الى مصر. (46)، وكان يذهب الى مدريد لدى الملحق العسكري

39 - العلم" 17-5-1956.

40 - العلم 11-6-1956.

41 - الورديغي، الخفايا السرية، ص 19.

42 - تقع ورزازات بين الأطلسين الكبير والصغير في ارتفاع ألف متر على بعد 200كلم من مراكش، تحيط بها أزيد من عشرين قرية، وتشتهر بمزارع الزهور والورود.

43 - مقابلة مع عبد الحي الشامي مفتش حزب الاستقلال السابق بالدار البيضاء. في 1985-4-20.

44 - علال الفاسي، الديمقراطية، م.س.ص 73.

45 - ن.م. ص 58.

46 - الخطيب، جهاد، م.س. ص 34.

المصري. (47) واكد الصنهاجي ان عباس مكث بالقاهرة ثلاثة اشهر. (48)
وفي مكان اخر روى الخطيب انهم طلبوا من المصريين صنع شارات نحاسية تعلق على لباس الجندي في جيش التحرير وتحمل شعار : الله، الوطن، الملك. فاستجابوا للطلب لكنهم حذفوا منها اسم الملك. (49)
فمن هي الجهة التي كانت وراء اغتيال عباس؟ أفاد احد المطلعين على القضايا المغربية بان الاغتيال لم يكن مدبرا وانما نتج عن الشطط في تنفيذ الأوامر، فالشخص المكلف باستدعاء عباس تصرف بطريقة احدثت تدافعا داخل السيارة وانطلق عيار ناري خطاء. (50)ويقول آخر بأن المهدي بن بركة استشاط غضبا بمجرد الاشارة الى موت عباس امامه. (51)
والشيء المعروف هو تورط كريم حجاج رئيس مركز جيش التحرير في تاونات واثنين من مساعديه وهما احمد منير بن بوشعيب وامبارك المرزوقي الذي دل المحققين على مكان دفن جثة عباس بالقرب من عين عائشة بضاحية فاس. (52)
الا ان المتهمين سرعان ما أطلق سراحهم والتحقوا بوظائف مختلفة ومنهم من حصل على امتياز في خطوط النقل. وهذا ما زاد القضية غموضا حول المسؤولين الحقيقيين في غياب أية وثيقة رسمية.
وكان الاغتيال مناسبة لضم ما تبقى من فرق جيش التحرير الى الجيش الملكي والسماح لبضعة مآت منهم بالتوجه لتحرير الصحراء وموريتانيا، وبذلك تم ضمان الهدوء في المناطق المجاورة لمدينتي سبتة ومليلية المحتلتين من طرف اسبانيا.

47 - ن.م. ص 58.

48 - الصنهاجي، مذكرات، ص 224.

49 - الخطيب، جهاد، ص 23.

50 - WATERBURY, John, Le Commandeur des Croyants, La Monarchie marocaine et son Elite, PUF, Paris, 1975, P. 232

51 - Julien, le Maroc, P. 481.

52 - برادة، مسيرة التحرير، ص 169

يبراير: 1960

الهاجس الأمني حال دون استكمال تحرير الصحراء

لم يقبل قادة المقاومة بحل جيش التحرير واعتبروا وجود الجيش الفرنسي تهديدا مباشرا للاستقلال الوليد، وكانوا ملتزمين بالعهد الذي ربطهم بالثورة الجزائرية والقاضي بمواصلة الكفاح المشترك الى ان تتحرر بلدان المغرب. وفي مشاورة جرت بينهم وبين الملك محمد الخامس حصل الإتفاق على إدماج جزء من جيش التحرير في الجيش النظامي وإرسال جزء آخر الى موريتانيا التي كان القصر وحزب الاستقلال يعتبرانها قطعة من جغرافية المملكة المغربية، ومتابعة تقديم الدعم المادي والعسكري للجزائريين ومنحهم الحرية في استعمال الأراضي المغربية لمقاومة الاحتلال الفرنسي.

وفي شهر مايو 1956وقع الاختيار على فرقة من جيش التحرير كانت تحت إمرة الضابط بن الميلودي في الخميسات للتوجه الى موريتانيا لكي تنظم **"عمليات عسكرية... بهدف التأثير في الراي العام الدولي وفي الأمم المتحدة.** (53) واسندت قيادتها الى محمد بن حمو بمساعدة بعض الأطر التي تلقت تكوينها في تطوان (54)وكان تعداد افرادها حوالي ثلاثمائة جندي، الا أن العدد سيتضخم بفعل التجنيد في الطريق قبل الوصول الى طاطا الصحراوية وهي أول منطقة خيم فيها الجيش قبل توزيعه على باقي جهات الصحراء.

واسفرت المسيرة التي قطعت آلاف الكيلومترات على الشاحنات عن نهاية مؤلمة للعشرات من الخلفاء والقياد والشيوخ والمقدمين، وشهدت مناطق ورزازات واكادير بشكل خاص تصفيات جسدية لعدد من عملاء الاستعمار. ففي تلوين بناحية ورزازات اكتشف اعضاء جيش التحرير حوالي سبعة أطنان من البنادق الرشاشة عند خليفة الباشا رحو. (55)والقي القبض على خلفاء الباشا الجلاوي من أمثال الخليفة أوتاغوغت، والقائد الضرضوري والخليفة المهدي في ورزازات، والقائد العربي في واد درعة، والقائد رحو، والقائد البياز وكان بمثابة الساعد الأيمن للباشا الجلاوي واشتهر باغتصابه للأراضي الخصبة ولمنابع المياه وتسخيره لآت الفلاحين. (56)وباشا مدينة تيزنيت

53 - بن سعيد، صفحات، م.س. ص 99.

54 - مدينة تطوان تأسست في عهد السلطان يوسف المريني سنة 1286م 685هـ، وتبعد عن طنجة بستين كيلومترا، ولما وفد عليها المهاجرون الهاربون من محاكم التفتيش الاسبانية جددوا بناءها وأصلحوا الكثير من فضائها.

55 - مقابلة مع العقيد إدريس بن بوبكر في الرباط بتاريخ 12-12-1992.

56 - Paul Pascon, Le Haouz de Marrakech, T.2 RABAT, 1977, P. 546.

التيوتي، والقائد أوحماد في إسكاون، والقائد أوماد في تليوين، وغيرهم من المتعاونين مع الاستعمار. وكلهم تعرضوا للتعذيب بالضرب وأرغموا على حمل الأثقال في الشمس اللاهبة وانتهى بهم المطاف في باطن رمال الصحراء.

ورافق التصفيات الجسدية نهب قصور وأملاك الخونة، وتركت تلك التصرفات انطباعا سيئا لدى السكان الذين لم يروا فرقا كبيرا بين ما كانوا يعانون منه في عهد الاستعمار وما يقوم به المسلحون من انتهاكات. (57)

لم يكن الناطقون باسم جيش التحرير يحملون مشروعا حقيقيا لتحرير الجماهير من العبودية والفقر، وعجزوا عن مباشرة أي إصلاح في المجال الإجتماعي ولم يهتموا إطلاقا بالمسألة الفلاحية كأن يعيدوا الأراضي المغتصبة لأصحابها ولم يعطوا للفلاحين شيئا، بل ظهروا بعقلية وممارسات الحكام الاقطاعيين.

لقد فجر إعلان الاستقلال حماسا عارما في نفوس المقهورين وأضحوا يتطلعون إلى هبوب رياح العدل والمساواة والتخلص من الظلم والحرمان والمعاناة. وتجمع في شهر مارس 1956 خمسة آلاف صحراوي في أم الشكاك بين العيون والسمارة، وترأسه الشيخ محمد الأغظف ابن الشيخ ماء العينين. وقرر ممثلو القبائل رفع الراية المغربية على الخيام والمباني والامتناع عن دفع الضرائب للسلطة الإسبانية وحمل السلاح ضدها إذا رفضت الاعتراف باستقلال المناطق الصحراوية المحتلة، وانتدب المجتمعون وفدا عن سكان الصحراء لتجديد البيعة للملك والتأكيد على تمسكهم بالوحدة مع المغرب. (58)



● رؤساء القبائل الصحراوية في لقاء مع الملك المغفور له محمد الخامس

57 - حديث مع محمد بن سعيد في باريس بتاريخ 8-11-1977.
58 - ATTILO Gaudio, le dossier du Sahara occidental, nou. Editiones lodines, PARIS, 1978, P.87.

ومنذ القدم ارتبطت قبائل الصحراء بالولاء لملوك المغرب، وهو ما تؤكده الوثائق الإسبانية والفرنسية فضلا عن المغربية، وسجلت سنة 1912 انطلاق المقاومة المسلحة ضد الغزو الفرنسي من مدينة مراكش بزعامة الهيبة ماء العينين إلى يوم وفاته سنة 1917 بمنطقة سوس وتولية ابنه مربيه ربه قيادة الكفاح سنوات من بعده، وواصل بعدهما محمد الأغظف ماء العينين جمع كلمة الصحراويين طيلة ثلاثين سنة بصفته ممثل خليفة الملك على المناطق الخاضعة لاسبانيا.

وكانت تقطن الصحراء 21 قبيلة أهمها : إزركيين، أولاد دليم، لعروسيين، أهل ماء العينين، أولاد تيدرارو وآيت لحسن، آيت اوسا، إيكوت، فيلالة طوبالت، فويكات، مجاط، أولاد بوالسبع، أولاد بوعيطة، آيت بوعمران، التكنة، ركيبات الساحل،ركيبات لكواسم، بريك الله.

ولم يجد جيش التحرير صعوبة في ضم مآت الصحراويين إلى صفوفه، وكان التجنيد يتم على أساس قبلي، فالحوار يبدأ مع رئيس القبيلة وبواسطته يقع اختيار المقاتلين الذين كانوا يتقاضون راتبا شهريا زيادة على التموين مثل الدقيق والسكر والزيت.

وكانت الدولة هي مصدر التمويل بالمواد الغذائية والأموال والسلاح وسيارات النقل والشاحنات، ولضمان تنسيق فعال بين الإدارة وممثلي جيش التحرير عين الملك محمد الخامس في المناطق الصحراوية المحادية لجبهات القتال عددا من المقاومين في الوظائف التالية :

عبد العزيز الماسي.......... : قائدا لماسة والساحل.
محمد مروان.............. : قائدا على بويزاكارن والإخصاص.
عبد الرحمان الزيات........ : قائد ممتاز في دائرة باني بكلميم.
محمدبن موسى........... : قائد على طاطا.
علي أبرني............... : قائد أنزي.
بدر عبد الله.............. : قائد إيفران.
حمودي الأسفي............ : قائد على أقا وفم الحسن.
محمد أهمو................ : قائد أيت باها.
أحمد التكدورتي............ : قائدة تافراوت.
محمد بن عمر المكوني...... : قائد قبائل أيت عبلا.
محمد الخبوبي............. : خليفة باشا تيزنيت.

وأقيم المركز الأساسي لجيش التحرير في مدينة كلميم داخل الأراضي المستقلة. (59) حيث تحول فندق صغير إلى مكاتب يعمل فيها عدد من المداومين المكلفين بعدة مهام موزعة كالتالي :

59 - كلميم باب الصحراء يمثل مركزا تجاريا وقرية سياحية ويبعد عن مدينة تيزنيت بمائة كلم.

الشؤون المالية.......... : **محمد بن سعيد آيت يدر.**
النائب................ : **إبراهيم التيزنيتي "عبد الله النمري".**
الشؤون العسكرية....... : **زيدان عبد السلام.**
المراسلات.............. : **محمد مكور.**
القضايا المدنية.......... : **سعد الله صالح.**
كتابة الضبط.......... : **حسن الساحلي.**
التموين................ : **شهابي بناصر.**
المواصلات واللاسلكي : **محمد برهماني، تنان أحمد، بولحية محمد بن علي، العربي بن الناجم، محمد بوزاليم،محمد الكناسي، باهي محمد.**
لجنة الإسعاف : **الحبيب ولد البلال، مولاي خطري ولد الجماني، أبا الشيخ الركيبي، محمد العريبي.**
العلاقة مع السلطة الإسبانية : علي بوعيدة.
الهيئة الطبية : الدكتور محمد بن المختار، د/أحمد الجبلي العيدوني وروجته الطبيبةالبولونية، د/محمد بن الكناوي، د/ عمر الورزازي، د/ عبد الله العلوي، د/بنونة، د/ الصقلي، د/السنتيسي، د/دجودي عبد العزيز الجزائري، وكان هؤلاء الأطباء المتطوعون يعملون بالتناوب في مستشفيات بوجدة وفي أولوز بالقرب من أكادير وفي أيت باعمران.

وفي المجال العسكري انقسمت الصحراء إلى قيادتين واحدة في كلميم على رأسها محمد بن حمو يساعده إدريس بن بوبكر، جناح بن عاشر، إدريس العلوي، وتقوم بتسيير العمليات الحربية في الصحراء وموريتانيا.
والقيادة الثانية في أرفود. (60) وأشرف عليها الفقيه محمد بوراس الفكيكي بمساعدة مبارك الورداني، أحمد منير بن بوشعيب، عبد الرحمان البيضاوي، المنتصر حسن البومليكي. وكانت مهمتها تنظيم المقاومة للاستعمار الفرنسي في المغرب الشرقي وعلى الحدود المغربية الجزائرية.
وانقسمت الصحراء إلى 21 مقاطعة على رأس كل واحدة قائد ومساعدوه غير أن المسؤولين كانوا يتغيرون بين الحين والآخر إما نتيجة لإصابتهم في المعارك أو لنقلهم إلى جهة أخرى، ومن خلال شهادات بعض المشاركين في المعارك أعددنا اللائحة التالية بأسماء المسؤولين العسكريين.

60 - أرفود مركز صحراوي يقع على الضفة اليمنى لواد زيز ويبعد 21كلم عن الريصاني بتافيلالت.

المقاطعة	المسؤولون
1- أكادير	: علال الرحماني استشهد في رأس الخنفرة وخلفه محمد بولحية
2- من أيت أوبلا إلى فم لعشار	محمد بن الجيلالي إدريس بن عبد السلام الليق، العربي بن ناجم.
3- من أقا إلى طاطا	: إدريس بن بوبكر بويري، كلميم : محمد بن قاسم
4- من فم لحسن إلى تاغجيجت	: الكبير بوزكري.
5- بويز اكارن، تاكنات، أنجا	: علي بن دحان
6- ورزازات، محاميد الغزلان	: الحسين بن إسماعيل، تلوين : الحسن أوهمو، إيساكون : الحاج السيل.
7- ناحية تيندوف	: مبارك منار.
8- ناحية السمارة	: الهاشمي بن عثمان ناضل.
9- تافودارت	: صالح بن عسو
10- أيت باعمران	: علي بن دحان ثم جاء مكانه امحمد امستي الباعمراني.
11-	: القاضي ملال بن الحبيب
12-	: إدريس الحارثي
13-	: بلمختار محمد الانصاري
14-	: تحتح ميلود بن علي
15-	: غاندي عمر
16- قصر السوق	تم ادماجها في المقاطعة 6.
17- بشار، القنادسة	: محمد العبيدي عباس
18-19- بني ونيف ونواحي عين الصفراء	: فهمي مصطفى بلعبيد.
20-	نصيح محمد بن المحجوب
21-	عبد الرحمان البيضاوي ثم الشرادي محمد.

والملاحظ في توزيع المسؤوليات أن المناصب القيادية عادت كلها إلى ضباط من شمال المملكة بحكم تكوينهم العسكري باستثناء قائد ينتمي إلى الجنوب كان على رأس المقاطعة العاشرة بآيت باعمران، في حين أن لجنة الاتصال وإسعاف السكان الصحراويين تألفت من رؤساء القبائل، واسندت مسألة العلاقة مع السلطة الإسبانية إلى شخصية صحراوية. وقام رؤساء آخرون بأدوار طلائعية على رأس قبائلهم في تنظيم الهجومات على مواقع الجيش الفرنسي وعلى مراكز الجيش الإسباني. وكانوا وحدهم يعرفون الطرق الوعرة في ثنايا المسالك الرملية، ولائحتهم طويلة نكتفي هنا بذكر الأسماء المشهورة : علي بويا ميارة، بلقاسم مايوحل، الحبيب حبوها، أحمد الدرحم، سويلم يحضيه، دحمان ولد عابدين، يحضيه شقرون، فرجي ولد الرزمة، فيضول الدرحم، بويا أحمد ولد عزوز، عبد الله بن يوسف، الديوهي، ابا الشيخ ولد ابا علي، حمدي ولد السالك، سدا احمد شكاف، حماد الدرحم، عبد الله فاضل، محمد فاضل الخطاط، الشيخ محمد الأغظف، العبادلة ماء العينين، لاراباس ماء العينين، أحمد ولد مان إلا يتوسي، إذا ولد التامك، بيبا سالم، الوالي ولد بايت، أبا الشيخ بن السالك.

بدأت الجهومات الأولى على تكنات القوات الفرنسية من المنطقة الشرقية، وتعرض في بداية شهر يونيو 1956 مركز فرنسي في فم لعشار إلى

هجوم عنيف قامت به فرقة من قبيلة الركيبات نتج عنه موت الضابط الفرنسي وعدد من جنوده، وأصيب ستة من المكافحين بجراح، واضطر الجيش الفرنسي إلى إخلاء منطقة سيدي المونير التي كان يجري فيها التنقيب عن النفط ونقل على متن الطائرة إلى أكادير المهندسين والتقنيين البالغ عددهم أزيد من عشرين.(61) وامتدت العمليات العسكرية إلى مركالة وفم لحسن وتندوف.(62)

وحسب بلاغ لجيش التحرير فإن الكمائن والاشتباكات في تلك المنطقة وحدها أسفرت من يونيو إلى دجنبر 1956 عن قتل 130 جنديا فرنسيا و18 مكافحا، وشملت الهجومات القنادسة وبشار ومناجم المعادن في تلك الجهات. وفي معركة منونات التي استغرقت بضع ساعات فقد الجيش الفرنسي العشرات من عساكره، وفي بشار انضم المجندون الصحراويون إلى جيش التحرير وكان على رأسهم الفضل زكرياء وأحرقوا عشرين شاحنة تابعة لشركة رونو وحملوا معهم بنادق وقنابل يدوية، وفي هجوم خاطف على ثكنة في الجبل الأحمر تم القضاء على حوالي خمسين جنديا فرنسيا، وفي جبل كروز أسقطت طائرتان، وخلال سنتين وبضعة أشهر خاض جيش التحرير في المنطقة الشرقية 65 معركة وبلغت خسائره في الأرواح أكثر من 300 قتيل و175 جريحا و25 مفقودا.(63)

ومن بين قادة جيش التحرير الذين أبلوا بلاء حسنا في المعارك كان فضلي زكرياء، عمر النعيمي، بناصر التومي، احمد التسولي، صالح بن أحمد الجزائري، إبراهيم المانوزي، بوبكر عسو، عبد الرحمان براقوا، محمد بن إبراهيم الباعمراني، الطالب بوحمل، اداعمر بن عاشر، زايد الأعور، مولود الخميسي.



● الكومندان عباس العبيدي

وفي مطلع يناير 1957 هاجم جيش التحرير مواقع عسكرية للجيش الفرنسي في موريتانيا وخاصة في أدرار حيث تكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة، ونتج عن ذلك إلتحاق عدد من المسؤولين الموريتانيين بالمغرب في السنة الموالية، يتزعمهم محمد المختار ولد أباه وزير الاقتصاد، والداي ولد سيدي بابا وزير الصناعة والمعادن، ومحمد فال ولد عمير ممثل موريتانيا في اللجنة العليا الفرنسية للأقاليم

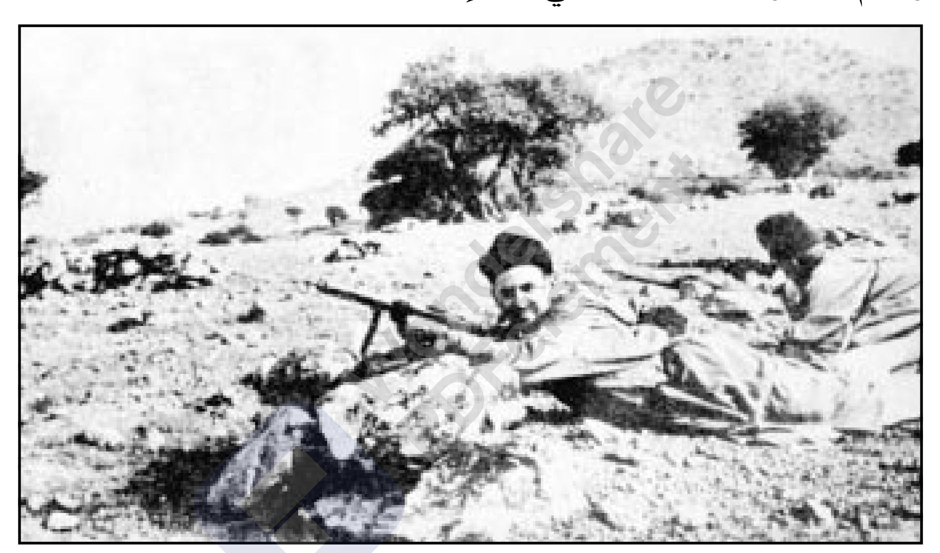
61 - France observateur, 28-6-1956.

62 - تيندوف مركز تجاري صحراوي على بعد 488 كلم من أكادير انتزعه الجيش الفرنسي من المغرب في 31-3-1934 وألحقه بالجزائر.

63 - الأرقام من مذكرة الضابط عباس العبيدي رئيس المقاطعة 17.

الصحراوية، وحرمة ولد بابانا برلماني، والشيخ أحمد فال من قبائل الطرارزة، والشيخ أحمد ولد سيدي رئيس الشبيبة الموريتانية، واستقبلهم الملك محمد الخامس في الرباط وجددوا له البيعة وأعلنوا تشبث الموريتانيين بالوحدة مع المغرب.

وكان الموريتانيون ينقسمون إلى قبائل حسانية من أصل عربي وتعتبر نفسها تابعة للمغرب، وأخرى إفريقية ومعظمها لا تدين بالإسلام ولا تتكلم العربية. وكانت موريتانيا **"ضيعة محروسة"** لشركات فرنسية مثل "لاكومب" التي تحتكر جميع وسائل النقل وشركة "ميفيرما" وبنك روتشيلد وبنك باريس وكلهم يستغلون معادن الحديد في كدية إدجيل.(64)



ولكي تقطع الطريق على المطالبين بالوحدة مع المغرب، وضعت فرنسا ما يسمى الإطار القانون (La loi-cadre) الذي يؤسس في كل مستعمرة مجلس حكومة يترأسه فرنسي ويجعل نائبا له من أهل البلد، واختار الفرنسيون المختار ولد دادة المترجم السابق في الإدارة الفرنسية ليشغل نائب الحاكم الفرنسي، وقام بحملة دعائية وسط القبائل الموريتانية ضد المغرب وحرضها على معارضة جيش التحرير.(65)

لم يستعد جيش التحرير بشكل جيد لخوض حرب عصابات طويلة النفس في موريتانيا، ووجد نفسه بعيدا عن قاعدته الخلفية بأكثر من ألف كيلومتر، ولم تلتحق بصفوفه القبائل المحلية، وظل وحيدا تائها في مناطق يجهل طرقها ومنافذها. وتعقبته القوات الفرنسية ولعب الطيران دورا أساسيا في المعركة

64 - Chauffard Georges, Les carnets secrets de la colonisation, Paris 1967, TI, une alliance militaire franco-espagnole sous la IV République, P.256.

65 - Ibid, P. 257.

التي جـرت بالقريب من أطار، وتمكن المظليون من تطويق فرقة من جيش التحرير وقتل من أفرادها 12من بينهم ولد علي يتم من أصل موريتاني ووقع في الأسر أربعون فردا منهم عشرة من الشمال والباقون من الصحراء، وتعرضت قافلة الجمال التي كانت تحمل المؤن والسلاح إلى الإبادة من طرف الطيران. (66)

لم يتمكن من الوصول إلى واد الذهب إلا 44مكافحا في حالة من الجوع والتعب، فالتقتهم فرقة من الجيش الإسباني وعرضت عليهم المساعدة والنقل إلى أقرب مركز لجيش التحرير ثم جردتهم من السلاح وساقتهم إلى مركز الاعتقال. (67)

كان الجو قد اكفهر عندما رفضت السلطة الإسبانية السماح لسكان آيت باعمران بالاحتفال باستقلال المغرب، وبدأت المعركة المسلحة يوم 23 نوفمبر 1957خاضها السكان بوسائلهم الخاصة والحقوا خسائر كبيرة بالجيش الإسباني، وانتقل جيش التحرير للهجوم على المراكز الإسبانية وسرعان ما استولى على مدينة السمارة وبئر انزران واوسرت، واضطرت القوات الإسبانية إلى الاحتماء بقواعدها على المحيط الأطلسي في العيون والداخلة وإيفني. (68)

وكما كان لا بد أن يقع فقد تحالف المستعمرون الإسبانيون والفرنسيون على محاربة جيش التحرير الذي هدد مواقعهم في الصحراء وموريتانيا، واتفقوا على القيام بهجوم مشترك استهدف مواقع جيش التحرير في تافودارت وروضة احمد العروسي وروضة الحاج وبئر أم كراين، والواعرة. (69) وأطلقوا على العملية العسكرية اسم **"الإعصار"** وقسموها إلى شقين **"المكنسة" "Écouvillon** و**"طيد" (Taide)** كانت الغاية من المرحلة الأولى تدمير قواعد جيش التحرير واسترجاع مدينة السمارة، والمرحلة الثانية إخراجه بشكل نهائي من واد الذهب، وإبعاد الخطر الذي يمثله على موريتانيا. وتقرر أن تتم العملية في ظرف أسبوعين على أكثر تقدير وبعيدا عن وسائل الإعلام لأن الوزراء الاشتراكيين في الحكومة الفرنسية لم يرغبوا في افتضاح تحالفهم مع نظام فرانكو أمام الرأي العام الدولي. (70)

بدأت العمليات يوم 10 يبراير 1958بقيادة الجنرال الفرنسي (بوركوند) وجاءت القوات الفرنسية من تندوف وبئر أم كراين والإسبانية من العيون والداخلة، وشارك الفرنسيون بـ 5000من جنودهم و 600دبابة وآلية وشاحنات

66 - Ibid, p. 254

67 - مقابلة مع محمد بن عمر بويفادن في بني ملال بتاريخ 10-5-1987

68 - تبلغ مساحة إيفني 1500 كلم مربع وتقع على بعد 88 كلم جنوب مدينة تيزنيت احتلها الإسبان عام 1934.

69 - A. Gaudio, le dossier, op. cit. P. 160

70 - Chauffard, op. cit, P. 283

بالمدافع الرشاشة والقذائف، و 70طائرة، بينما جند الاسبانيون 9000جندي و 60 طائرة. (71)

في مساء يوم 10يبرائر هبط المظليون الاسبانيون في السمارة وبعد معارك ضارية، انسحب جيش التحرير نحو الشمال وخاض معركتين ضد الجيش الفرنسي في أوسيرت وبئر أنزران، وتدخل الطيران الفرنسي، وفقد جيش التحرير 132رجلا و 37جريحا ووقع 51في الأسر، وقتل من الجانب الفرنسي 7جنود وجرح 252. (72)

وتعرض مركز القيادة المتقدمة في المقاطعة الثامنة بسيدي أحمد العروسي في ناحية السمارة إلى قصف قوي بالطيران وهجوم بري كثيف، وأعطى رئسه الهاشمي بن عثمان الأمر بالانسحاب في اتجاه كلميم. (73)وترك في عين المكان أسلحة كثيرة ووسائل الإرسال اللاسلكي وكميات من الأدوية والبنزين والمواد الغذائية. (74)

وقصف الطيران الإسباني والفرنسي البيوت والخيام والمواشي وتسبب في هجرة جماعية للسكان نحو الأراضي المستقلة. وأعادت القوات الإسبانية سيطرتها على السمارة وبئر انزران وجميع الأراضي التي فقدتها سابقا لكن بتكلفة باهظة. فقد بلغت خسائر الجيش الإسباني 1.200قتيل و 3.975جريح و 881معطوب في معارك الصحراء. (75)

وحسب مصدر فرنسي فإن مجموع القتلى في صفوف جيش التحرير بلغ 440فردا وكان عددهم في آخر 1957 يتراوح بين 4000 و 5000 محارب إلا أن معظمهم غادروا المنطقة قبل بدء الهجوم الفرنسي الإسباني. (76)

وإذا كانت هزيمة جيش التحرير ناتجة عن افتقاره إلى السلاح المناسب لمواجهة الدبابات والطائرات، فهناك نواقص أخرى ساهمت في التعجيل بانهياره، ومنها انعدام الخط السياسي الواضح وهو شرط حاسم في كل معركة، وغياب الفكر الثوري الصحيح المتجلي في العامل الذاتي. فقد كان أغلب رؤساء جيش التحرير غارقين في بحر الأمية الأبجدية والسياسية، في حين قامت قاعدته على أساس السكان الرحالة الذين يتنقلون بجمالهم ومواشيهم في فضاء الصحراء الشاسع ولا يستقرون في أي مكان.

وفي الوقت الذي كان فيه المكافحون يموتون من أجل موريتانيا كان وزير الخارجية أحمد بلا فريج يوم 7 مارس 1957 يطمئن المندوب السامي

71 - Ibd, p. 276

72 - Ibid, p. 280.

73 - حديث مع أحد المشاركين في المعركة الزهواني عبد الله الاغظف، الدار البيضاء في 3-8-1988.

74 - A. Gaudio, op. Cit, p. 161.

75 - الأرقام أوردها المؤرخ الإسباني سانتا ماريا في كتابه :
Ramiro Santamaria, Ifni - Sahara, La Guerra Ignorada, Madrid 1985.

76 - Chauffard, les carnet. op. cit. p. 269,291.

الفرنسي في عاصمة السينغال بأن المغرب يحترم اختيار الموريتانيين عندما يقولون كلمتهم بحرية. (77)وحينما عبر المهدي بن بركة عن رأيه في إعطاء الموريتانيين الحرية في تقرير مصيرهم، اتهمه علال الفاسي بالخيانة واعتبر موريتانيا جزءا لا يتجزأ من المغرب. (78)

وبعد مرور شهر واحد على استعادة إسبانيا سيطرتها على الصحراء أقدمت على تسليم المغرب مدينة طرفاية في اجتماع بين وزيري خارجتي البلدين في بلدة سانترا بالقرب من لشبونة عاصمة البرتغال.

والواضح أن الحياد الرسمي للحكومة المغربية في معركة الصحراء كان مقدمة للتخلص من الهاجس الأمني الذي كانت تمثله جماعات مسلحة منتشرة في الصحراء وتتمتع بمساندة الجناح الراديكالي في حزب الاستقلال. ولقد حاول رئيس الحكومة البكاي والقائد أحرضان إزاحة جماعة الفقيه البصري من قيادة جيش التحرير برعاية تمرد قاده الضابط عمر بن علال الزموري مع حوالي ثلاثمائة من الجنود في بويزاركان، وتلقوا وعودا بالحصول على رتب عسكرية والانضمام إلى الجيش الملكي. (79)

وفي إطار مخطط التصفية تمت دعوة عدد من ضباط جيش التحرير إلى حظيرة الجيش الملكي وكان من بينهم ملال بن الحبيب ومصطفى بن عثمان ومحمد بن المختار. (80)

وبموازاة الاعتقالات التي باشرها الحكم في صفوف قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والمقاومة في المدن، انطلق المنادون في الصحراء يعلنون أن كل من يسلم بندقيته إلى أقرب مركز عسكري سيتوصل بألف فرنك شهريا ويدمج في الجيش الملكي وتسابق المكافحون الذين لم يكونوا يتقاضون سوى مئتي فرنك في الشهر إلى الاستجابة للنداء طمعا في التخلص من حياة الصحراء القاسية. (81)

وفي شهر بيرائر 1960نزلت الضربة القاضية بما تبقى من فرق جيش التحرير، وذهبت أربع سنوات من التضحيات في مهب الريح، وجسدت السياسة الأمنية الخاطئة عرقلة كبرى في سبيل تحرير الصحراء، وكان على المغاربة أن يعودوا بداية من عام 1975لتقديم تضحيات جسيمة مادية وبشرية من أجل استكمال الوحدة الترابية في ظروف أشد تعقيدا تتميز بالأطماع والمؤامرات على الصعيدين الإقليمي والدولي. وهذا يعني في معيار النقد التاريخي إجهاض الثورة التحريرية وبقاء أعمدة الاستعمار راسية في المدن والبوادي.

77 - Ibid, p. 263.
78 - الورديغي، الخفايا السرية م. س. ص214.
79 - بن سعيد، صفحات، ص 203.
80 - ن. م. ص 124.
81 - مقابلة مع محمد بن إبراهيم الباعمراني، الدار البيضاء في 10-9-1986.

لائحة بأهم المعارك الحربية

سواء في منطقة الشمال أو في الصحراء الشرقية أو في الساقية الحمراء وواد الذهب، لا توجد إحصائيات مدققة عن المعارك التي دارت هناك بداية من اكتوبر 1955 الى بيرائر 1958 الذي شهد تحالف الجيوش الفرنسية والاسبانية ضد جيش التحرير. فباستثناء جدول وضعه عباس العبيدي رئيس المقاطعة السابعة عشر يتعلق بالمعارك التي جرت في المنطقة الشرقية الممتدة من ارفود الى القنادسة وبشار، فإن باقي الإحصائيات التي نوردها في السطور التالية استخرجناها من الصحف الفرنسية والمغربية ومن بعض بلاغات جيش التحرير الصادرة عن مكتبه الاعلامي بمدينة كلميم التي كانت مركزا لقيادته في الصحراء الغربية :

1955-10-2 :	هجوم جيش التحرير على معسكر فرنسي في ايموزار مرموشة والاستيلاء على 300 بندقية ومدفع وأربعين رشاشة والقضاء على سبعين جنديا فرنسيا، واستشهاد أربعين مكافحا.
1955-10-4 :	هجوم على ثكنة بالقرب من بركان أسفرت عن مقتل ضابط وستة جنود.
1955-10-5 :	نصب كمين لدورية في تافوغالت قتل وجرح فيه حوالي عشرين جنديا
1955-10-8 :	وقوع دورية فرنسية في كمين في ممر جبل الناضور وسقوط عشرات القتلى والجرحى.
1955-10-9	معركة بين اكنول وتازة قتل فيها عدد من الجنود الفرنسيين وإحراق أربع شاحنات.
1955-10-11	معركة في تبدوين استشهد فيها محمد علوش العمارتي
1955-10-14	هجوم على مركز عسكري في باب الحائط بمرنيسة، فقد فيه جيش التحرير اثنين من قادته، محمد البرنوصي وقدور المغراوي. -وفي نفس التاريخ وقعت معركة عنيفة في تيزي ودرا سقط فيها حوالي سبعين من الجنود الفرنسيين، وفقد المكافحون ثلاثة من ابطالهم، محمد علال بولخريف، المرابط بوقمقوم، الطرالي محمد.
1955-10-15	هجوم على معسكر "زيد الماء" قتل عدد من الجنود، واستشهد الراضي أومحاند والفقير سلام الجزنائي.
1955-10-28	سقوط 11 جنديا فرنسيا في كمين بين بورد وتيزي أوسلي.
1956-1-8	هجوم جيش التحرير على ثكنة "الهدارة" بمرنيسة خلف أربعة قتلى وستة جرحى من الجنود، والاستيلاء على أسلحة و مواد غذائية. -استولى أفراد جيش التحرير على أسلحة وأدوية وقضوا على ضابط وعشرة جنود في هجوم على ثكنة جبل كيليز بالقرب من كرسيف.
1956-1-12	قصف الطيران الفرنسي قافلة للبغال متجهة نحو تيزي أوسلي وأحدثت خسائر كبيرة في صفوف المكافحين.
1956-1-22	معركة بمنطقة تامشيشت تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر كبيرة.
1956-2-15	اشتباك في سيدي المخفي بشمال بركان قتل فيه جنديان فرنسيان وجرح ستة، واستشهاد عشرة مكافحين ووقوع اثنين في الأسر.
1956-2-17	معركة بين بركان وتافوغالت اسفرت عن مصرع ستة جنود وجرح عشرين، واستشهاد مكافح واحد.

معركة (بين الصفوف) في تايناست، اصاب فيها الطيران الفرنسي خطأ عشرات الجنود وتمكن المكافحون من الاستيلاء على 200 بندقية، واستشهد منهم 14 وجرح 22.	1956-2-26
المكافحون قضوا على دورية من الجيش الفرنسي تتكون من 12 جنديا بالقرب من تندوف.	1956-6-2
اصابة عشرين جنديا ما بين قتيل وجريح بالقرب من فم لعشار.	1956-6-9
معركة بالقرب من عين الشعير قادها بوبكر عسو وابراهيم المانوزي ومبارك منار ومحمد بلمختار، اسفرت عن قتل عشرين جنديا وضابط وأسر أربعة جنود. واستشهاد بعض المكافحين	1956-6-21
تضامن سكان سوس مع جيش التحرير وأغلقوا الطرقات بالاحجار والاشجار لمنع شاحنات الجيش الفرنسي من المرور، وانتقل وزير الدفاع رضا اكديرة والجنرال الكتاني الى اكادير وتم الاتفاق على نقل الجنود الفرنسيين بواسطة الطائرات.	1956-6-28
هجوم على معسكر في الزمول والتحاق عشرين جنديا صحراويا في الجيش الفرنسي بجيش التحرير وجلبوا معهم السلاح والجمال بلغ عددها حوالي مائة كان يستعملها الجيش في نقل التموين.	1956-7-6
هجوم على الجيش الفرنسي في محاميد الغزلان خلف مقتل ثلاثين جنديا وإحراق ثلاث شاحنات واستشهاد مكافح واحد.	1956-12-6
هجوم على ثكنة في واد رار بالقرب من مدينة اطار بموريتانيا خلف عددا	1957-1-12
من القتلى والجرحى في صفوف الجيش الفرنسي وإسقاط طائرتين وأسر الضابط كارسيا.	
معركة كبيرة في الرغيوة سقط فيها عدد كبير من الجنود الفرنسيين، ولا يعرف شيئا عن خسائر جيش التحرير.	1957-2-13
جيش التحرير سيطر على اهم المراكز الاسبانية في السمارة وبئر انزران واوسرد.	1957-2-15
معركة في ادرار خلفت عشرة قتلى من الجنود الفرنسيين واصابة ستة مكافحين بجراح.	1957-3-2
قبائل الركيبات والتكنة هاجمت تحصينات الجيش الاسباني في الداخلة وقضت على عدد من جنوده.	1957-11-13
ثورة مسلحة في آيت باعمران ضد الجيش الاسباني استغرقت عدة اسابيع وقتل فيها عدد من الجنود واحتمى الباقون منهم بسيدي إيفني الواقع على البحر.	1957-11-23
هجوم على بوجدور أسفر عن قتل حوالي خمسين جنديا اسبانيا منهم أربعة ضباط وأسر ستة، وغنم المكافحون أسلحة وأجهزة الاتصال وقتل خمسة منهم وأصيب ثلاثون بجراح. - في نفس الشهر وقعت معارك في الشاطئ والمسيد والكلتة والعيون خلفت عشرات القتلى والجرحى في القوات الاسبانية ولا تعرف خسائر جيش التحرير.	28-26 نونبر 1957
هجوم آخر على ثكنة بوجدور أسفر عن قتل عدد من الاسبان وأسر سبعة من بينهم امرأتان وفر الباقون، وغنم المكافحون 16 بندقية وخمسة آلاف قذيفة وجهاز للارسال وعدد من الشاحنات.	1957-11-27
هجومات متلاحقة على مراكز الجيش الاسباني في المسيد وكلتة زمور، لا شيء عن عدد الاصابات في جيش التحرير.	1957-11-29
هجوم على مدينة العيون على العاشرة ليلا وقصف البنايات الرسمية بالقذائف والقنابل.	1957-12-17
الهجوم على قافلة عسكرية في المسيد ومقتل حوالي مائة وعشرين جنديا اسبانيا وسقوط ستة مكافحين.	1957-12-22

1958-1-3	هجوم على العرقوب بالقرب من الداخلة اسفر عن سقوط ما لا يقل عن ستين جنديا اسبانيا. - هجوم في نفس اليوم على مركز الركوك قتل خلاله عدد من الجنود وغنم المكافحون بعض الاسلحة.
1958-1-11	إطلاق قذائف الهاون على مراكز عسكرية في العيون خلف قتلى وجرحى في صفوف الجيش الاسباني.
1958-1-13	معركة الدشيرة قتل فيها أزيد من مائتي جندي اسباني من بينهم عشرون ضابطا، واستشهد 13 مكافحا.
1958-2-8	معركة تافودارت بادرت فيها القوات الاسبانية بالهجوم، وفقد المغاربة عددا من القتلى من بينهم المكافحة رقية بنت عبد السلام.
1958-2-10	قام الجيش الاسباني بهجوم مضاد في طريق السدرة وقضى على عدد من أفراد جيش التحرير وأباد الإبل والغنم بالطيران وفر السكان في كل الاتجاهات.
1958-2-10	تحالف الجيش الفرنسي والاسباني في عملية اطلقوا عليها اسم المكنسة (إيكوفيون)، وكانت عبارة عن نهاية حرب الصحراء لصالح الاستعمار الإسباني في غياب الحكومة المغربية.

وواصل جيش التحرير في المنطقة الشرقية عملياته الى اكتوبر 1959. وتحمل مذكرات عباس العبيدي قائد المقاطعة 17 التي كانت تضم بشار والقنادسة جدولا يحدد العمليات العسكرية في 175 ما بين معركة وكمين وتخريب، وهذه أهمها كما جاء في المخطوط :

1958-2-14	هجوم على سيارات للجيش الفرنسي في المروكة بناحية القنادسة وسقوط العشرات من الجنود بين قتيل وجريح.
1958-2-25	تفجير دبابة بلغم في الصفصاف بناحية بشار ومقتل جميع ركابها.
1958-4-23	الهجوم في الصفاية بناحية العبادلة على سيارة ج م س وقتل كل الجنود.
1958-5-6	الهجوم على قوات فرنسية في بني ونيف اسفر عن قتل 18 جنديا وضابط.
1958-5-11	تخريب 200 متر من خط السكة الحديدية في كسيكس بناحية العبادلة، وقتل وجرح عدد من الجنود.
1958-8-3	هجوم على الجيش الفرنسي في الزوبية بناحية عين الصفراء، مقتل وجرح عدد من الجنود.
1958-9-22	تحطيم محرك كهربائي في الدرمل وقتل 30 جنديا وجرح 25 وغنم أسلحتهم.
1959-7-13	الهجوم على شاحنات للجنود في جرف الترية بناحية القنادسة اسفر عن قتل عدد منهم.
1959-8-31	معركة في شبكة منونات بناحية العبادلة وإسقاط طائرتين وقتل وجرح العشرات من الجنود داخل معسكرهم من طرف فرقة انتحارية قادها المختار الريفي من تمسمان وعباس المنيعي.
1959-1-1	بدأ ممثلو السلطة في أرفود وقصر السوق وبوعنان وبوعرفة يضغطون على أعضاء جيش التحرير لوقف العمليات، واستهدف بعضهم للاعتقال.
بيرائر 1960	بعد اعتقال الفقيه البصري وبعض المسؤولين في المقاومة، تم حل جيش التحرير ودمج جميع ضباطه وجنوده في الجيش الملكي بدون صعوبة.

الفصل السابع عشر

الاستقلال الشكلي ترسيخ للهيمنة الامبريالية

أثار الاعتراف بالاستقلال الشكلي يومي 2مارس و 7أبريل 1956من طرف فرنسا واسبانيا حماسا جياشا وسط الشعب. وافتقر الحماس الظرفي إلى الوعي بحقيقة المناورات التي رسمها الاستعمار الجديد واعتمد في تنفيذها على عملائه.

وتعالت شعارات مضللة تدعو الجماهير للعفو عن الجلادين وطي صفحة الخيانة.

إلى جانب الجهاز الإداري المتعفن الموروث عن الاستعمار قام الحكم الجديد بوضع جهاز قضائي أغلب أعضاءه لا يتجاوز مستواهم التعليم الإعدادي خضعوا لدورات تدريبية سريعة، ومنحهم أجرة هزيلة وأطلق أيديهم ليبتزوا المتقاضين ويحكموا لفائدة الأقوياء، وفقد القضاء منذ قيامه النزاهة والاستقلالية، واعتمد على محاضر من وضع شرطة قمعية من تركة الاستعمار.

وفي بداية غشت 1956 قرعت قيادة المقاومة بشكل مبكر ناقوس الخطر وأصدر مجلسها الوطني بيانا (1) سجل بمرارة أنه **"لم يحدث الانقلاب المنتظر بل ولا أي تغيير يستحق الذكر"** (2)، وطالب بإنشاء محكمة استثنائية لمحاكمة الخونة والمتآمرين على سلامة الدولة وتطهير الإدارة منهم واستكمال وحدة التراب الوطني وجلاء الجيوش الأجنبية الفرنسية والأمريكية، واحترام حقوق الإنسان وإصلاح الجهاز القضائي. (3)

وفي الميدان الاقتصادي لخص المجلس الوطني للمقاومة مطالبه في تطبيق سياسة التقشف وتأميم المؤسسات الحيوية بالنسبة لمجموع الشعب، وتشجيع المقاولات الصغرى وحماية الصناعة المتوسطة مع إجبارها على استثمار قسط من أرباحها داخل البلاد، وشدد على ضرورة توزيع أراضي الإقطاعيين والملاكين الكبار على الفلاحين المحتاجين وإعادة الأراضي التي اغتصبها الاستعمار إلى أصحابها. (4)

---

1 - المجلس الوطني للمقاومة المغربية، مؤتمر غشت 1956ص 7.

2 - ن.م.ص 8.

3 - ن.م. ص 11.

4 - ن.م. ص 12.

كانت تلك المطالب هي مدار الصراع الاجتماعي والسياسي الذي سيطول ويحتد ويخلف مات الضحايا في صفوف الجماهير الفقيرة.

وتحت التأثير الهائل للمعارضة الناشئة المتمثلة في نخبة المقاومة وطليعة الحركة العمالية والتنظيم الطلابي والتقدميين بمختلف اتجاهاتهم اضطر الحكم إلى تكوين لجنة بمقتضى مرسوم (ظهير) مؤرخ بسادس رمضان 1377الموافق 27مارس 1958لمعاقبة الأشخاص المشاركين في مؤامرة غشت 1953، أو الذين ارتكبوا أعمال العنف ضد الشعب والمقاومين في الفترة المتراوحة من 24 دجنبر 1950إلى غاية 16نوفمبر 1955يوم عودة الملك من المنفى.

ترأس اللجنة الفقيه المختار السوسي من حزب الاستقلال غير أن اللائحة التي أعدتها رآسة الحكومة لم تكن تحمل إلا أسماء 179متعاونا فقط رغم أن عدد الأعيان وكبار الملاكين والموظفين والتجار الذين طالبوا بإبعاد الملك محمد الخامس تجاوز ألفي شخص. ومع ذلك فإن بعض الأعضاء داخل اللجنة دافعوا عن أصدقائهم ورفضوا مثلا تسجيل اسم أحمد جسوس المسؤول عن بنك المغرب في عهد الاستعمار لأن له قرابة عائلية مع أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال.(5)

صدرت أحكام بنزع أملاك 69 متعاونا مع الاستعمار وتجريدهم من الحقوق المدنية لمدة 15سنة، ومصادرة جزء من أملاك 68 آخرين (6) ولم يقدم ولا خائن واحد من الكبار إلى المحاكمة، وللتذكير فإن المقاومة قامت في مايو 1957بإلقاء القبض على بعض أبناء الباشا الجلاوي في مراكش فسارعت الحكومة إلى نشر بلاغ تعلن فيه أن قوات الأمن هي التي اعتقلتهم وسوف يقدمون للمحاكمة وكان ذلك إرضاء للاستعمار الفرنسي ولبعض المسؤولين الكبار الذين أعلنوا رفضهم لأي مساس برموز الإقطاعية.

وكان طبيعيا أن يقع الفرز داخل الحركة الوطنية، ولم يتردد كبار تجار حزب الاستقلال في الارتباط بملاكي الأراضي وعملاء الاستعمار السابقين، بينما ظلت الفيئات الوسطى والصغرى من تجار ومثقفين وكادحين تطالب بالمجتمع العادل الذي تتساوى فيه بين جميع المواطنين فرص العمل والتعليم والسكن والعلاج. وطرحت المعارضة التقدمية شعارات من قبيل : **"لا حرية للجائعين ولا وطن للعبيد"** وذلك ردا على المفاهيم المغلوطة للبورجوازية القائلة : **"لقد انتهى حكم النصارى وأصبح جميع المغاربة إخوانا".**

تزامنت الخلافات داخل حزب الاستقلال بمحاولات التحالف الطبقي الحاكم كسر وحدته خاصة وأن جماهيره الغفيرة كانت تميل إلى أطروحات اليسار وتمثل القوة الشعبية الأولى في البلاد. وفي هذا الإطار يدخل تمرد عامل قصر السوق (الراشدية حاليا) عدي وبيهي الذي تسلم السلاح من الجيش

5 - الورديغي، المغرب من وفاة محمد الخامس إلى حرب الرمال، م.س. ص140.

6 - العلم 2غشت 1958، وأيضا "وجهة نظر" عدد 5، الرباط 1999.

الفرنسي في يناير 1957. وتأكد أمام المحكمة أن كبار الضباط في الجيش الفرنسي اتصلوا مرات عديدة بالعامل إلتمرد وبوزير التاج القائد السابق الحسن اليوسي الذي ظل حرا طليقا إلى أن التحق بإسبانيا وبقي هناك حتى عام 1962وعاد إلى المغرب دون أن يصدر عليه أي حكم، وفي وقت لا حق أطلق سراح جميع المتهمين ومات كبيرهم في ظروف غامضة بالسجن واتضح من خلال استسلام المتمردين على **"طغيان حزب الاستقلال"** أن شخصيات نافذة في السلطة كانت وراء العملية التي لم يمت فيها ولا شخص واحد. (7)

وفي نوفمبر من نفس العام ظهر أول حزب برعاية الإدارة تحت اسم **"الحركة الشعبية"** برآسة الدكتور الخطيب والمحجوبي أحرضان، وكان تأسيسه بدعوى القضاء على هيمنة الحزب الوحيد وضمان التعددية مع العلم أن التعددية كانت موجودة متجسدة في حزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية والحزب الشيوعي وحزب الإستقلال، وحزب **«الأحرار المستقلين»** الذي أسسته بعد الإستقلال حفنة من أعوان الدولة، ولم يتجاوز حضوره أسوار مدينة الرباط.

وبهدف إضعاف الوحدة الوطنية السياسية والنقابية والشعبية، وقع استغلال نتائج الفقر المدقع في منطقة الريف بسبب الجفاف والخصلص وتم حبك مؤامرة شارك في تحريك خيوطها عامل الناضور عبد الله الصنهاجي ومسعود أقجوج قائد سابق لكزناية ومحمد الريسوني، ومن سبتة ومليلية أججوا نار الفتنة بمساعدة اسبانية. (8)

وشهدت الفترة الممتدة من نوفمبر 1958إلى يناير 1959أحداثا خطيرة في الريف لعب دورا في قيادتها سلام أمزيان. وقام طيارون فرنسيون تابعون للجيش الملكي بقصف القرى من الجو، وفي الأرض اشرف الضابط أوفقير على تنظيم مذبحة للسكان الأبرياء، ولا يزال الأحياء منهم يتذكرون فصولها المأساوية. (9)

ويروي المقاوم محمد منصور عامل إقليم الحسيمة السابق أن لجنة للتحقيق تكونت من أحمد اليزيدي وزير الدفاع والجنرال أمزيان استمعت إلى الكومندان علوش الذي ادعى أن السكان يطالبون بذهاب حزب الاستقلال وحل الحكومة وعدم دفع الضرائب، في حين أن القياد والأعيان قالوا في شهادتهم أن السكان طالبوا بالشغل وإصلاح الطرق وأن العسكر طافوا على الأسواق وأمروا الناس بالصعود إلى الجبل وهددوهم إذا لم يفعلوا. (10)

7 - المزيد من التفاصيل في : عبد اللطيف جبرو، عدي وبيهي، حكاية عصيان تافيلالت، الرباط، 2001.

8 - الورديغي، المغرب، م.س. ص. 179.

9 - انظر شهادات حول الريف في أسبوعية "الصحيفة" عدد 47 بتاريخ 10-1-2002 الدار البيضاء.

10 - حديث محمد منصور في أسبوعية "النشرة" عدد 71بتاريخ 24-30 يونيو 1996الدار البيضاء.

لم تكن بورجوازية حزب الاستقلال راغبة في الصدام مع الحكم رغم أن مكاتب وفروع الحزب في تلك المناطق وقع تخريبها من طرف أنصار حزب "الحركة الشعبية" ولعبت سياسة المهادنة والمساومة دورا في تسريع الانقسام داخل حزب وطني كبير كان يضم ممثلي مختلف الطبقات الاجتماعية بتناقضاتها واختلاف مصالحها وأهدافها. فأثناء مفاوضات إيكس-ليبان اختارت الشريحة البورجوازية في قيادته الارتباط العضوي بمصالح الاستعمار الجديد بغية فرض هيمنتها على مغرب الاستقلال. ولم يكن ميلاد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يوم 6 سبتمبر 1959عملية متسرعة ولا من تخطيط أعضاء النقابة كما تروج لذلك بعض الأقلام، وإنما جاء **"في شكل احتجاج حانق وحركة تصحيحية عارمة لعرقلة عملية اختلاس الثورة المغربية، وإيقاف خطة صرف المكاسب الشعبية لحفنة من الانتهازيين المغاربة الذين كانوا يتهيئون ليحلوا محل المستعمرين في النفوذ والثروة والصف الاجتماعي تحت راية الاستقلال".** (11)

كان رد فعل البورجوازية على لسان رئيس الحزب متشنجا إذ نعث خصومه السياسيين بالانفصاليين والفيئة المشوشة (12) واتهمهم بالإلحاد والفسوق والخمور وتدبير المكائد للدين والوطن (13) وذهب أبعد من ذلك في لغة المزايدات قائلا: **"إننا هنا جميعا كوطنيين نؤمن بالله ونعمل للوطن ونوفي للعرش وذلك سر قوتنا".** (14)

وشن الاتحاديون حملة مضادة في التجمعات الجماهيرية وعلى صفحات الأسبوعية **"الطليعة"** (15) وأكدوا أن الإسلام دين جميع المغاربة منذ ألف وأربعمائة سنة ولا يحتاج لحماية فقهاء الرجعية، وأن المعركة ليست بين المؤمنين والملحدين، بل بين الذين يسرقون ثمرة الكفاح الشعبي وبين المطالبين بتوزيع عادل لخيرات الوطن.

ووصف غلاب خصوم حزبه بالمتآمرين: **"وإن ما حدث داخل الحزب لتحويل الاتجاه الوطني الذي كان سائرا فيه يعتبر بمثابة مؤامرة لا ضد حزب الاستقلال ورجال حزب الاستقلال، ولكنها مؤامرة ضد الوطن..."** (16)

وبلغ الصراع منتهاه بين أنصار "الجامعات المتحدة" التي كانت تستعد

---

11 - عبد الله إبراهيم، التقرير الذهبي، المؤتمر الوطني الثالث، الدار البيضاء 1974، ص79.

12 - علال الفاسي، عقيدة وجهاد، م.س. ص56.

13 - ن.م. ص61.

14 - ن.م.ص65.

15 - كنت حينذاك أكتب فيها ركنا بعنوان "مزود هداوة" بتوقيع "ولد جامع الفنا" باللهجة الدارجة الساخرة.

16 - المجلس الوطني لحزب الاستقلال، فاس 29نوفمبر 1959، ص42.



● عبدالعزيز بن إدريس

لتتحول إلى **"الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"** وبين المتعصبين لدوام هيمنة **حزب الاستقلال**، وانفجر التعصب الحزبي في هذا الجانب وذاك ذهب ضحيته يوم 24 أبريل 1959 في قرية تحناوت بالقرب من مراكش الفقيه عبد العزيز بن إدريس أثناء قيامه بجولة دعائية لسياسة الحزب، ووصفه علال الفاسي بـ **"الوجه الرباني إلكبير شهيد الواجب وذبيح الخونة"** (17)، والقي القبض على الفاعلين وقتل واحد تحت التعذيب بإدارة الشرطة وهو الحسن بن الحسن القهواجي، ونفذ حكم الإعدام في محمد بن الحسين المدعو الأعور.

وقبل ذلك هاجم الشغالون التابعون لحزب الاستقلال يوم 4 أبريل المؤتمر الثاني للاتحاد المغربي للشغل المنعقد في المسرح البلدي بالدار البيضاء، وأصابوا عددا من العمال بجراح وكسروا زجاج الأبواب والنوافذ وأشاد الفاسي بعنفهم قائلا: **"لقد أظهر النقابيون الأحرار حيويتهم وإيمانهم في الموقف الذي اتخذوه يوم انعقد المؤتمر للحجوبي، وإني أحي فيهم الشهامة والنبل وأقدر فيهم الكفاح المتواصل..."** (18)

لم يتأخر المحجوب الكاتب العام للنقابة في تسليح عصاباته بالخناجر والقضبان الحديدية وبعثها لقتل وجرح عدد من مسيري نقابة حزب الاستقلال في وزان والرباط والدار البيضاء، وفرض سيطرته على معظم المعامل بمساعدة بعض الأجهزة الأمنية.

وأبانت انتخابات الغرف التجارية التي جرت في مايو 1960 على أن أكثرية التجار المتوسطين والصغار كانوا وراء فوز الاتحاد الوطني بأغلبية ساحقة في مدن الدار البيضاء والرباط والقنيطرة ومكناس وطنجة بينما انحصر وجود حزب الاستقلال في فاس ومراكش ووجدة. وفي آخر الشهر نفسه حقق الاتحاد الوطني فوزا آخر في انتخابات المجالس البلدية.

ولم تكن الحملات الانتخابية خالية من شتائم متبادلة عكست تدني مستوى الوعي السياسي، فالبورجوازية المنحدرة من أصل أندلسي والقاطنة بمدينة فاس اعتبرت نفسها حاملة مشعل **"الحضارة"**. (19) ورفضت التنازل عن الزعامة السياسية وتهجمت على المقاومين والنقابيين وصنفتهم في مرتبة **"العروبية الهمج"** وسلالة **"الشلوح البرابرة"** وسمتهم الصعاليك و **"مساخط"**

17 - عقيدة وجهاد، ص70.

18 - ن.م. ص64.

19 - انظر الفصل الثامن: البورجوازية تستتكر أعمال المقاومة.

الملك، أي أنه ساخط عليهم، في حين أن الاتحاديين استعملوا أقبح النعوت في قذف ممثلي البورجوازية، واتهموهم بسرقة مكاسب الاستقلال وعيروهم بوصف **"القرع"** ومفرده أقرع نظرا لشيوع الصلع في رؤوس الفاسيين، وارتكب بعضهم أخطاء مؤذية حينما وضعوا البورجوازي والكادح في سلة واحدة مع أن العشرات من الفقراء في مدينة فاس برهنوا عن شجاعة وصمود في مقاومة الاحتلال وظلوا يعانون كغيرهم من الاستغلال والقهر في عهد الاستقلال.

لم تكن الخلافات السياسية والجهوية لتخفي جوهر الصراعات الرئيسية حول القضايا الاقتصادية والاجتماعية. ففي الوقت الذي عارض فيه الاتحاد الوطني سعي الحكومة، التي يشارك فيها حزب الاستقلال، إلى تعويض المعمرين ليتنازلوا عن الأراضي التي اغتصبوها وطالب باسترجاعها بدون مقابل وتوزيعها على الفلاحين، سكت الحزب كأن الأمر لا يعنيه، وعندما تقدم الاتحاد باقتراح لتحديد الملكية الزراعية في 40 هكتارا للأراضي المسقية و100 هكتار في الأراضي غير المسقية، تناسى الحزب الشعارات التي كان ينادي بها ورفض **"تحديد الملكية الفلاحية لأن بعض أنصاره ملاكون كبار"**. (20) وكان الاتحاد المغربي للفلاحة التابع له **"يضم فلاحين كبارا مثل النجاعي وبن عبد الجليل وبلكورة وغيرهم"** (21) وحاول استعمال مبررات دينية للتنصل من مبدأ تحديد الملكية. (22)

هرول الحزب في اتجاه الحكم طمعا في احتلال بعض المواقع الاقتصادية لإرضاء نهم قاعدته البورجوازية، وانضم إلى باقي الأحزاب الإدارية للمطالبة بإقالة حكومة عبد الله إبراهيم، وفيما قرر الاتحاد الوطني مقاطعة الاستفتاء على الدستور في نوفمبر 1962 واعتبره من وضع الخبراء الأجانب، سارع الحزب إلى إظهار حماس زائد للتصويت عليه بنعم.

وإذا كانت سياسة الحكم تهدف إلى إطفاء جذوة المقاومة المشتعلة في النفوس والأفكار، فإن المعارضة التقدمية واجهته بالتشهير والنقد على صفحات الأسبوعية **"الطليعة"** واليومية **"التحرير"** وكشفت ممارساته المعادية للشعب.

ومنذ 26 يبراير 1961 تاريخ وفاة الملك الوطني محمد الخامس، أصبح أسلوب السخرية والتهكم بالقيم الإقطاعية والبورجوازية لغة الصحافة الاتحادية. وأعطى الانطلاقة عبد الرحمان اليوسفي في اجتماع بالصحفيين العاملين في جريدة "التحرير" التي كان يرأسها. وأكد على ضرورة القيام بحملة مقنعة وطويلة النفس لإزالة حجاب الهيبة عن المسؤولين ورفع كابوس الخوف عن البسطاء من الناس وتعويدهم على حرية النقد التي عمل الحكم على تجريدهم منها.

20 - الورديغي، المغرب من حرب الرمال إلى حالة الاستثناء 63-1965، ص97.

21 - ن.م. ص98.

22 - عاد الحزب في دجنبر 1965 ليطالب باسترجاع أراضي الاستعمار بدون تعويض.

وتبارت المقالات السجالية وكان بعضها يحمل أسماء مستعارة، وكانت هيئة التحرير تتكون من باهي محمد، عابد الجابري، عبد الرحمان اليوسفي، عبد القادر الصحراوي، عبد اللطيف جبرو، محمد الصديقي، محمد البارودي الحداوي، الدكتور محمد زنيبر، محمد فتحي، محمد علي الهواري، إبراهيم كاميل، محمد الأزرق، مصطفى العماري، فضول الصائغ، حسن العلوي، السعيد الصديقي، صالح الزعيمي، عبد السلام حجي، صبري أحمد، عبد القادر البدوي، محمد الطنجاوي وعبد السلام البوسرغيني وهذان الأخيران التحقا بجريدة **"الأنباء"** الناطقة باسم وزارة الداخلية.[23]

وإلى جانب القضايا الوطنية كانت **"التحرير"** تنفرد بالدفاع عن القضية الفلسطينية، وانتقدت بشدة هجرة اليهود المغاربة إلى فلسطين في الشهور الأولى من سنة 1962. ونشرت مقالات مدعمة بصور ناطقة التقطها عن بعد أحد المتطوعين اسمه محمد العراقي، وكانت تظهر مات اليهود يصعدون يوميا على متن البواخر في ميناء الدار البيضاء قاصدين **"أرض الميعاد"**.

وفي ذلك الوقت كان علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال وزيرا للشؤون الإسلامية، وبرر الهجرة العارمة لليهود المغاربة بأنها **"تدخل في روح الديمقراطية المغربية"** بينما أجاب وزير الخارجية أحمد بلا فريج عن تساؤلات أمين الحسيني مفتي فلسطين بأن الحكومة المغربية تسلم لليهود المغاربة جوازات السفر **"لقضاء مآربهم"**.

ولتغطية الفضيحة مارست جريدة الحزب **"العلم"** التدجيل باسم الدين ونشرت صورا لنساء يهوديات تدعي أنهن اعتنقن الإسلام وسكتت عن المهاجرين اليهود إلى فلسطين والبالغ عددهم أزيد من ثلاثمائة ألف شخص.

وتأكد فيما بعد أن هجرة اليهود كانت صفقة مربحة للحكام الذين سمحوا بها مقابل ملايين الدولارات، وفتحوا الأبواب أمام المنظمات الصهيونية الفرنسية والأمريكية لتقوم بنشاطها داخل المغرب بكل حرية، في وقت كان فيه جهاز المخابرات الإسرائيلي **"الموساد"** يتوفر على مركز في مدينة الرباط، وله شبكات داخل مجموع التراب المغربي.[24]

وواصل الاتحاد الوطني وصحافته النقد اللاذع للحكم القائم **"على أقلية إقطاعية تتمثل في الإدارة المحلية وفي الأغلبية البرلمانية المزورة الفاشلة، ويحكم البلاد عن طريق أجهزة المخابرات البوليسية والعسكرية المسيطرة على سائر مرافق الحياة"**.[25]

وعبرت أصوات أخرى عن معارضتها للحكم الفردي، ومن أعلى منصة

23 - كنت أكتب ركنا يوميا ساخرا تحت عنوان "حديث المعركة" بتوقيع "ولد جامع الفنا".

24 - صحيفة "معاريف" الإسرائيلية في25 -7-1999 نقلا عن "القدس العربي"، لندن، في 26-7-1999.

25 - المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، منشورات اليسار الديمقراطي، دار قرطبة 1996، الدار البيضاء، ص9.

المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مايو 1962 وقف شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي متحدثا عن الشورى والعدالة في الإسلام، ونطق بجملة أسالت كثيرا من المداد حينما قال: **"سيدنا هو خالقنا ولا عبودية علينا لأي مخلوق كيفما كان".** (26)

ومن القاهرة بعث عبد الكريم الخطابي بطل ثورة الريف رسالة طويلة ندد فيها بالدستور المفروض، ومما جاء فيها: **"لا نكون من المغالين إذا قلنا إن هذا الدستور المزعوم قصد به في الحقيقة تطويع الشعب المغربي وترويضه طمعا أو كرها حتى يصبح معتقدا بأن حكام البلاد يحكمون بتفويض من الله وهذا شيء يتنافى مع معتقد الأمة الحقيقي".** (27)

لقد حرص حزب الاستقلال على التشبث بكراسي السلطة ولو على حساب المبادئ التي ينادي بها، إلا أنه رغم كل تنازلاته وجد نفسه في الشارع، واتضح بشكل لا لبس فيه أن الحكم **"تخلى في الداخل حتى عن البورجوازية التجارية"** (28) واعتمد بالدرجة الأولى على عملاء الاستعمار الذين أصدر عليهم العفو ورفع الحجز عن أملاكهم ورجع الهاربون منهم إلى المغرب وباعوا ما شاؤوا وأخرجوا الأموال بالعملة الأجنبية وعادوا إلى منفاهم في فرنسا. وأصبحت مختلف أجهزة الإدارة تحت تصرف الخونة وأبناءهم المتخرجين من مدارس الإحتلال الفرنسي والإسباني، ووصف علال الفاسي ما كان يجري بالمغرب بأنه: **"قضية انبعاث جديد للاستعمار واستيلاءه بواسطة العملاء على مراكز المسؤولية في الدولة".** (29)

لم يعد هناك أدنى شك في أن الحكم كان يسعى لإضعاف الطبقة الوسطى باعتبارها تمثل القاعدة الاجتماعية للمعارضة بشكل عام، وتمكن من تفكيك صفوفها بعد أن جذب بعض أقطابها إلى حظيرته، ونسف ركائزها الاقتصادية التجارية والفلاحية، وفي ذلك رأي علال الفاسي **"أن البرنامج الإستعماري بلغ من الدقة ما يجعل السيطرة الأجنبية على الدولة أمرا واقعا، لأن كديرة هو الذي أصبح مهيمنا على مقاليد الحكم، وكديرة معروف بصلاته العديدة بمنابع التعليمات الاستعمارية في فرنسا".** (30)

وفي تصريح مشترك قدم المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد رأيهما في حقيقة شخص كديرة: **"إن كديرة ليس إلا ظل مولاه وليس له وجود سياسي خلص**

26 - التحرير 26-5-1962.
27 - التحرير 5-12-1962.
28 - المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، ص9.
29 - علال الفاسي، وضعية المغرب، تقرير مقدم للجنة المركزية لحزب الاستقلال يومي 13 و14 أبريل 1963 بالرباط، ص13.
30 - ن.م.

إلا الوجود الذي يجعل منه إلمعبر الأمـين عن وجهات نظر مولاه، فلو أن الملك قرر غدا الانفصال عنه فلاشك أنه سيعود إلي ما كان عليه أي لا شيء". (31)

وفي ردهمـا على اتهـام الاتحـاد الوطني بمعـاداة النظام الملكي أجـابا :**"إذا كان هناك من يحارب الملكية فهو الملك نفسه، ألا يـعد تخريبا للمـلـكية أن توضع إلدولة بين أيدي أناس لا يتوفرون على أي سند شعبي ؟ أليس من تخريب الملكية أن يتسلم الملك السلطة مباشرة أي يـعرض نفسه للانتـقاد ؟ أليس من تخـريب الملكيـة أن تتركز السلطة بـين أيدي رجل واحد يكون الوزراء لديه مـجرد أدوات للتنفيذ وان يفسح المجال للا مسؤولية في جميع مستويات الدولة؟** (32)

ومع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية الأولى وجه الفاسي تحذيرا مغلفا إلي الملك في إشارة إلى الانقلابات الجمهورية قائلا :**...إنني أنكر جلالة الملك بالأخطار التي ترتبت على التلاعب بالديمقراطية في الدولة العثمانية من قبل وفي العراق ومصـر من بعد "** (33)وزاد في التأكيد على أن تزوير الانتـخابات سيكون مـعناه **"أن الحكومة ستمهد لقيام رد فعل ثوري لإقرار الديمقراطيـة الصحيحة".** (34)

وأثبـتت الوقـائع أن تصـريحـات الفاسي لـم تكن إلا مناورة للضـغط على الحكم الذي أدار ظهره للبورجوازية التجارية الراكعة أصلا، وكلما تلقت ضربة موجعة في مصالحها إلا وتحرك حزب الاستقلال المعبر عن مطامحـها ليضع رجلا في مـعترك المعارضـة التقدمية ويحتفظ بالرجل الثانيـة في عتبة الـقصر، وهو سلوك متقلب طبع مواقفه على الدوام لكي يجنب نفسه القمع والمنع.

لم تنفع التـحذيرات ولا النصائح في تغيير سياسـة مرسومـة جعلت من **(جبهـة الدفاع عن المؤسسات الـدستورية)** برأسة رضـا كديرة أول قوة سيـاسية في البلاد. وبرز الحـزب المصنوع بإرادة السلطة يوم 20 مارس وفاز بالأغـلبية البرلمانية يوم 17مايو 1963 أي بعد مرور أقل من شهـرين على تأسيسه. ونال رئيسه كـديرة وزير الداخليـة والفلاحة بالـنيابة ومـدير الديوان الملكي أصـوات معظم المسحـوقين في حي الصفيح (كاريار سانطرال) في الدار البـيضاء. ومنذ الإعلان عن ترشيحـه وجه عامل المدينة العـقيد إدريس بن عمـر إنذارا واضحا إلي جـميع مـوظفيـه محـذرا :**"إذا لم ينجح وزيري في الداخليـة بالمدينة التي أنا على رأسها فسأخلع بذلتي العسكرية وانسحب".**

في المدن الكبرى التي شاركت فيها الأحـزاب في مراقبة مراحل الاقتراع ومكاتب التصـويت، سقط سـتة من وزراء **"جبـهة"** كديرة المـترشحين للـبرلمان

31 - التحـرير 10أبريل 1963، ترجمـة التصـريح عن "جون أفـريك" الصـادرة في باريس، انظر عابد الجابري، مواقف ملفات من الذاكرة السياسية جزء «7» يوليوز2002، ص76.

32 - ن.م. ص77.

33 - علال الفاسي، وضعية المغرب، ص24.

34 - ن.م. ص25.

وهم : المحجوبي أحرضان، عبد الهادي بوطالب، أحمد العلوي، الدكتور محمد بن هيمة، إدريس البسلاوي، يوسف بلعباس، واعترف عبد الهادي بوطالب متأخرا بأن الجبهة **"أنشأت فقط من أجل الانتخابات"**.[35]

وحسب المراقبين الذين حضروا عمليات فرز الأصوات في معظم الدوائر بالمدن، فإن الاتحاد الوطني فاز بـ 44 مقعدا في البرلمان إلا أن وزارة الداخلية شطبت على نصف الفائزين وكان من بينهم عبد الرحمان اليوسفي الذي ترشح في طنجة وظل يوم الانتخابات قابعا في الجريدة بالدار البيضاء إلى أن ورد الخبر بسقوطه وكانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي ترشح فيها للبرلمان.

جسدت تلك الممارسات بداية لتجربة برلمانية مغشوشة تكررت على مدى أربعين سنة من المؤسسات الديمقراطية المزيفة، وكانت الحملات الانتخابية تقوم في البوادي على الترهيب السلطوي المباشر، وفي المدن على التزوير وشراء ضمائر الفقراء بالطحين الأمريكي والسكر والزيت المخصص لمساعدة المحتاجين واليتامى ونزلاء المؤسسات الخيرية.

ورغم كل ذلك فإن تلك الأساليب لم تجد نفعا في إسكات شعب يطالب بحقوقه العادلة، وكان لا بد من استنباط أساليب أخرى من شأنها فرض الخضوع والركوع على الجميع. ودخلت البلاد في تجربة لا تليق بعصر الإنسانية المتمدنة، وهذا ما سنراه في الصفحات التالية.

35 - عبد الهادي بوطالب، نصف قرن في السياسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2001ص152.

ثقافة الرعب تسود المجتمع

إن العنف الجسدي والفكري الذي تمارسه القوات الحكومية، العلنية منها والسرية، لقهر المواطن وإخضاعه يمثل شكلا من أشكال إرهاب الدولة.
وإذا كانت جذور العنف متأصلة في المجتمع البشري، فإن أسبابه الأساسية تتجلى في النزاعات العرقية والدينية، وفي الصراعات الاقتصادية والسياسية والجغرافية.
عند بداية الدعوة الإسلامية طبقت قريش العقاب الجسدي على عبيدهم ومواليهم من معتنقي الإسلام. وحينما استبد بنو أمية بالخلافة (661-750م) انتشر التعذيب السياسي، فقطعت الرؤوس ورفعت على الرماح وعلقت على الأبواب. ولعل إشهرها رؤوس الحسين بن علي بن ابي طالب (626-680م) وأصحابه التي فصلت عن الأجساد بعد معركة كربلاء، وحملت إلى الكوفة ثم إلى دمشق لعرضها على أنظار الخليفة الأموي.
وانتقلت تلك العادة إلى الأندلس ووجدت تعبيرها في الحروب بين ملوك الطوائف، واشتهر حاكم اشبيلية المعتمد بن عباد بغرس رؤوس معارضيه في حديقة قصره.
وتفاقمت ظاهرة التعذيب في عهد الدولة العباسية بوسائل الإحراق والتشويه والصلب وقطع الأيدي والأرجل واللسان وصلم الأذن وجدع الأنف وسلخ الجلود وحشوها بالتين.(1)
وبالمغرب تعددت أضراب التعذيب منها البدائية كقطع الرؤوس والأطراف والإحراق، والمتطورة مثل تذويب أجساد المعارضين في المواد الكيماوية. وسواء اكتسى العنف صبغة همجية أو استند على الاختراعات والاكتشافات المخبرية، فإنه يسعى في النهاية إلى إسكات أصوات المظلومين وكبت الآراء الحرة وزرع ثقافة الرعب في النفوس.
ولا يمكن فهم ما جرى بعد إعلان الاستقلال بدون الرجوع قليلا إلى الوراء وتقديم بعض النماذج المختصرة عن التعذيب الذي اقترفه موظفو الحكم في حق المواطنين واستغلت وقائعه بعض البلدان الاستعمارية لتبرير غزو البلاد بدعوى نشر **"الحضارة"**.
تجذرت ظاهرة العنف في عقلية الحكام الذين لم يكونوا يفهمون شيئا اسمه حقوق المواطن ولا يرون طريقة لفرض أنفسهم إلا بواسطة لغة العصا.
ففي يوم شمسه محرقة كان القاضي عبد الواحد الحامدي في طريقه إلى

1 - للمزيد من التفاصيل انظر : هادي العلوي، فصول من تاريخ الإسلام السياسي، الطبعة الثانية، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، نيقوسيا، قبرص، 1999.

مراكش لزيارة إلسلطان فرأى فوجا من السجناء يمشون مسلسلين دفعة واحدة ومن بينهم إمرأة حبلى. فشكا ذلك لـلسلطان أحـمـد المنصـور الذهبي (1578-1603م)، فأجابه :

"لولا ما رإيت مـا أمكنك أن تجيء مع أصحابك مسيرة عشرة أيام في أمن ودعة، فإن أهل المغرب مجانين ومرستانهم هي السلاسل والأغلال". (2)

وفي عام 1788م انهزمت قبيلة بني منيع في الشاوية أمام قوات القائد عبد الرحمان، والتجأ ما تبقى من رجالها إلى أحد الأماكن قرب واد أم الربيع، فطوقهم القائد وأحاط بهم الحطب وأشعل النار ومات بعضهم مختنقا بالدخان. (3)

ونشب خلاف بين العامل وقبيلة غياتة، فانتقم منها بكتم خبر مرور السلطان مولاي الحسن الأول بأرضها بعد عودته من تازة، وادعى أنها ترفض تقديم المؤنة للجيش. فاقتحم عليهم الجنود **"حصونهم المنيعة... وهدموا مالهم من الدور وأطلقوا النيران في الزرع والخيام وقطعوا الرؤوس...".** (4)

وفي سنة 1859م بعث عامل مراكش إبراهيم الكراوي رسالة إلى قائد قبيلة مسفيوة يخبره أن المعتقلين من مسفيوة تمردوا في السجن وأن الحراس تدخلوا وقتلوا منهم 23 وجرحوا 45. وأن رؤوس القتلى علقت في ساحة جامع الفنا. (5)

وفي بداية القرن الماضي وصف القائد برعا الناجم نهاية تمرد قبيلة الرحامنة على بعد سبعين كيلو مترا من مراكش بقوله : **"... في يوم ممطر جرت الجيوش المساجين الكبلين بالسلاسل حتى دخلت مراكش... وقد رأيت سلاسل نصف من فيها أموات يجرونهم من لا يزالوا أحياء. ثم في مراكش يعزل الأموات فيدفنون، ويذهب بالأحياء إلى الدفن في السجون".** (6)

ومن أشكال قمع حرية التعبير ما كان يقوم به والي مدينة الرباط. ففي عام 1811م كان أحد المثقفين ينتقد تصرفات الوالي وكانت الشرطة تلقي علية القبض وتضع الفلفل في فمه وتقول له :

– هذا جزاء من يتكلم في الولاة !

وتكرر هذا النوع من التعذيب ثمان مرات في مدينتي الرباط وسلا. (7)

وفي مجاطة بسوس كان القائد سعيد ممثل حكومة **"للمخزن"** يأتي بكل من ينتقده إلى قمة جبل يسمى تكجكالت فيرمي به ولا يصل إلى الأرض إلا وهو هباء منثور. (8)

2 - الناصري، الاستقصا م.س.ج.5. ص188.

3 - هاشم المعروفي، عبير الزهور في تاريخ البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور، الدار البيضاء 1987، ص 159.

4 - عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج2. ص158.

5 - Paul Pascon, Le Hauz, Op. Cit. T.1, P.171.

6 - المختار السوسي، المعسول، ج20، بدون تاريخ، ص22.

7 - تاريخ الضُّعَيف الرباطي، ج2. 1988 ص687.

8 - السوسي، المعسول، ج3. ص261.

ولما انهزم الثائر بوحمارة في سبتمبر 1909القت قوات الحكومة القبض على أنصاره وساقتهم إلى مدينة فاس. وكان المحاربون منهم يتعرضون إلى **"الجلد المبرح وبتر الأكف، وقطع الأيدي والأرجل من خلاف"** وبعد ذلك **"تفصل رؤوسهم عن أجسادهم وتعلق في شرفات سور المدينة المجاور لباب المحروق".** (9)

أما أعضاء الفرقة الموسيقية التي كانت ترافق بوحمارة في تنقلاته، فقد كان نصيبهم من التعذيب مختلفا عن الذي خصص لجنوده. فوقع استدعاء الحلاقين لكي يخلعوا أسنان وأضراس الموسيقيين: **"فخلعوها وهم يبكون ويصرخون، وأمروا بالنفخ في الأبواق فنفخوا فيها ودماؤهم وأرياقهم تخرج مع أنفاسهم... ثم أحضرت الطبول فأمر الحلاقون بفلح راحاتهم ففلحوها بالسكاكين وحشوها ملحا وفلفلا سودانيا، ثم أمروا أن يحملوا طبولهم ويدقوها بالعصا كما كانوا يفعلون مع سيدهم الفتان الأسير".** (10)

وتطرق مؤرخ المملكة إلى الصور والمقالات التي نشرتها الصحف الأوربية عن **"عن فظاعة التعذيب وهوله"** وكيف تمكنت الأوساط التي كانت تتحين الفرصة لاحتلال المغرب من إثارة الرأي العام العالمي على الحكومة المغربية واشتد الاستنكار احتجاجا على ما نعتته الصحف بالأعمال **"الوحشية والهمجية".** (11)واجتمع أعضاء الهيئة الدبلوماسية بطنجة وطلبوا من حكومة المخزن **"الكف عن تعذيب أبي حمارة وأتباعه"**، وذهبت الحكومة البريطانية إلى رفض استقبال البعثة الرسمية المغربية التي كانت ستزور انجلترا برآسة محمد المقري.

لم يكن المتمردون مستهدفين وحدهم للتعذيب، بل حتى السكان الآمنين. فعندما دخلت الجيوش مدينة تازة **"... فعلت بالمستضعفين من أهل البلاد الأفعال التي تخجل منها المروءة ولا ترضاها الإنسانية. فقد افتضت الأبكار وهدمت الديار...".** (12)

وكان كتاب الدواوين يمجدون التعذيب ويتباهون بكل أنواع القمع، وكتب أحدهم في بداية القرن العشرين: **"لما خلا الجو للوزير** (اباحماد) **وطأطأت له رؤوس العتاة وتمهدت له البلاد واستعبد سراة** (سادة) **العباد، وجبيت له الأموال الطائلة، وامتص العمال دم الرعية، صرف همته لتشييد القصور...".** (13)

9 - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج 1الرباط 1971ص836.
10 - ن.م.
11 - ن.م. ص387.
12 - عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس. ج1، ص105.
13 - ن.م. ص391.

كان التعذيب وسيلة عادية بيد الحكام لتركيع المحكومين. وليست النماذج التي استعرضنا إحداثا منها شاذة بل وقائع شائعة و شائنة تدين تاريخ الاستبداد. وقد وجدت تأكيدها فيما طالب بمنعه محررو مشروع دستور سنة 1908الذي وجهوه إلى السلطان ونشروه في جريدة **"لسان المغرب"** التي كانت تصدر بطنجة. (14)

جاء في المادة : 27

"قد أبطل الضرب بالعصا والجلد بالسياط والتشهير والتعذيب بأي آلة من آلات التعذيب وكل نوع من أنواع الأذى وكل صنع يستهجنه طبع المدنية، إبطالا قطعيا من السلطنة جميعها".

وورد في المادة : 30

"لا يجوز أبدا أن تقطع رؤوس العصاة الذين سقطوا في قتال مع عساكر للخزن وتحمل إلى فاس أو غيرها وتعلق على الأسوار كالعادة المعروفة".

وتعلن المادة : 31

"لا يسوغ لعساكر للخزن عند مقاتلة قبيلة من القبائل أن ينهبوا مواشي القبيلة ودوابها وأشياءها ويقتسموها بينهم حسب العادة المعروفة".

وتضيف المادة : 32

"لا يسوغ أبدا قتل الأسرى وللجرحى أو تجريدهم من الثياب وإرسالهم عراة كالعادة المعروفة".

وإذا كانت البورجوازية الأوربية في مرحلة صعودها رفعت شعارات إنسانية في صراعها ضد الإقطاعية والكنيسة، فإن الرأسمالية الاستعمارية رفعت نفس الشعارات وهي تبحث عن مبررات لغزو المغرب. وبعد سيطرتها على البلاد تركت حلفاءها الإقطاعيين يتصرفون في حرية الناس وأرواحهم كما شاؤوا.

ففي عام 1923هرب عشرة فلاحين من مستعبدهم قائد مدينة أكادير محمد الكسيمي. وارتكبوا خطاء قاتلا بلجوئهم إلى الإقطاعي الباشا الجلاوي، وبما أن قائد أكادير كان غير قادر على استرجاعهم من الباشا بالقوة، فقد فاوضه عليهم ودفع إليه ألف ريال على كل واحد مع إعادتهم إليه مكبلين. وأمام غيرهم من الفلاحين أمر القائد بقتلهم جميعا ليكونوا عبرة لكل من

14 - لسان المغرب" أسبوعية أصدرها بطنجة الأخوان الشاميان فرج الله نمور وأرتور نمور في 8فبراير 1907واستمرت إلى يونيو 1909ونشرت مشروع الدستور في أكتوبر 1908.

يراوده التفكير في الهروب من نظام العبودية.(15)

وتكرر هروب الفلاحين الأقنان من اضطهاد ملاكي الأراضي ونزل بمعظمهم العقاب قتلا في الساحة العامة دون إن تتدخل الإدارة الفرنسية.(16)

وكان الأكثر استهدافا للقمع العبيد من أصول إفريقية، وكثيرا ما اختاروا الموت على حياة الإذلال، في الثلاثينات أنتقم عبد لنفسه من مستعبده القائد إنفلوس بمدينة الصويرة، حيث وجه إليه طعنات مميتة ولاذ بالفرار، إلا أنه ألقي عليه القبض ونظرا لكون المقتول كان قائدا، فإن القصاص كان فظيعا، فبعد تعريضه لتعذيب جهنمي، غطوا العبد موثوقا بالحطب **"وأحرقوه بالنار حتى صار رمادا"**.(17)

وبعد الاعتراف بالاستقلال السياسي وبروز المعارضة بدأت تتضح المعالم الكبرى لإرهاب الدولة. فإلى جانب الشرطة تأسست أجهزة موازية تعمل في الخفاء وتتدخل في كل القضايا التي يرى فيها الحكم تهديدا لسيطرته المطلقة.

وبدأ تدشين العنف بواسطة أشخاص مأجورين، ففي يوم 16 نوفمبر 1958انفجرت قنبلتان في مدينة بركان، وخلفتا قتيلين وسبعة جرحى. وفي يوم 17منه انفجرت قنبلة في الدار البيضاء بمقهى في ملك أحد أعضاء حزب الاستقلال. وفي يوم 18من نفس الشهر ألقيت قنبلة على المارة في الخميسات نتج عن انفجارها ثلاثة قتلى وأربعون جريحا. وأسفر البحث في بركان والخميسات عن اعتقال الفاعلين وكانوا ينتمون إلى **"الحركة الشعبية"** وهي أول حزب صنعته الإدارة. وكان الهدف هو إلصاق التهمة بأعضاء المقاومة. وفي مدينة وجدة قامت عصابات مسلحة تابعة لنفس الحزب بقتل وجرح عدد من التجار المتعاطفين مع حزب الاستقلال مما جعل أغلبهم يلتحقون بمدن فاس والدار البيضاء، وتأكد أن جهات في السلطة تحمي المعتدين.

وبعد مرور ثلاثة أشهر على تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أوعز جهاز المخابرات إلى مصحح كان يعمل في **"التحرير"** بإضافة جملة إلى مقال في الجريدة اعتبرت مسا بالمقدسات، وألقي القبض على مديرها الفقيه البصري الذي مكث ستة أشهر في السجن بدون محاكمة، بينما أطلق سراح رئيس التحرير عبد الرحمان اليوسفي بعد اعتقال دام أسبوعين.

وفي 17دجنبر 1959اعتقل محمد بن الجيلالي المدعو **"ميشيل لحريزي"**، وكان متقفا تابع دراسته بفرنسا وانضم إلى الحركة التقدمية، وكان متزوجا بإمراة أوربية، ولتجنب أية ضجة إعلامية، قام المسؤولون بإطلاق سراحه وكان ذلك مناورة لإختطافه عندما كان يهم بمغادرة مدينة طنجة في

---

15 - Le Cri du Maroc No 16, 8 Octobre 1923, Casablanca.

16 - السوسي، المعسول، ج14، ص117.

17 - بن سعيد الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، ج1، ص 145الدار البيضاء 1961.



● محمد بن الجيلالي (ميشيل لحريزي)

إتجاه فرنسا واختفى منذ ذلك التاريخ حيث التحق بالعشرات من مجهولي المصير.

وشن البوليس حملة اعتقالات وسط المقاومين بداية من 14 يبراير 1960 بتهمة التآمر لاغتيال ولي العهد مولاي الحسن.(18)

وبعد أربعة أيام قدم العلامة محمد بن العربي العلوي استقالته من وزارة التاج احتجاجا على اضطهاد المقاومين ونطق بجملة شهيرة : **"الدولة التي تعتقل أبناءها الذين حرروها ليست دولة".**

وأمر الملك محمد الخامس بتكوين لجنة للتحقيق في التهمة الموجهة للمقاومين البالغ عددهم الثلاثين. وحينما تراجع الشاهد الوحيد عن أقواله أصبح الملف فارغا وغادروا السجن. إلا أن الهدف من اعتقال الفقيه والمقاومين الملتزمين كان قد تحقق بعدما تم حل جيش التحرير في مايو 1960 وإلحاق جنوده ومعظم ضباطه بالجيش الملكي، في حين انساق مقاومون معروفون وراء الامتيازات المادية وانخرط عدد منهم في الشرطة السياسية وشاركوا في تعذيب رفاقهم الذين ظلوا أوفياء لقضية الشعب.

وفي 26 يبراير 1961 فوجئ الجميع بوفاة الملك محمد الخامس وجمع الجنرال أوفقير بين يديه إدارة الأمن الوطني ووزارة الداخلية، وازدادت وثيرة العنف ارتفاعا، وبرهن الاتحاد الوطني على شعبيته بتنظيمه مظاهرات ضخمة في الرباط والدار البيضاء يوم 11 نوفمبر 1961 تضامنا مع قادة الثورة الجزائرية المضربين عن الطعام في السجن بفرنسا. وتمكن المتظاهرون في العاصمة من اختراق قوات الشرطة وأشعلوا النار في بعض مرافق السفارة الفرنسية ورفعوا فوق سطحها الراية الجزائرية. وأصدرت **"التحرير"** صفحة كاملة بصور بالغة التعبير التقطها الطالب محمد الحلوي الذي سيصبح فيما بعد رئيسا للاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

وباشرت القوات الحكومية اعتقالات واسعة وسط الاتحاديين. وفي نهاية دجنبر تعرض عمر بن جلون لأول اختطاف باعتباره مسؤولا عن نقابة البريد بالدار البيضاء. وفي السنة الموالية نزلت إلى الشارع **"الفرقة الخاصة"**

18 - عبد اللطيف جبرو، المهدي بن بركة في مواجهة العاصفة، ج3، دار النشر المغربية الدار البيضاء 1991، ص 33.

التي كان يشرف عليها ملازم أول أحمد الدليمي، وكان أفرادها يلفون أيديهم بقفازات حديدية ويعتدون على أعضاء الاتحاد في واضحة النهار. وخلال شهري يناير–يبراير 1962 ذهب ضحية الاعتداءات في الرباط الماروني المسؤول عن نقابة البريد، والهاشمي بناني رئيس المجلس البلدي، وبمكناس نجا المقاوم محمد المكناسي بفضل تدخل المارة، وفر المعتدون على متن سيارة تبين من رقمها أنها تابعة للشرطة، وفي آسفي تعرض منزل امحمد البركة المسؤول النقابي المحلي لانفجار قنبلة.

وكانت الأحكام التي تصدر في حق المعارضين تتزامن مع حلول الأعياد الوطنية والدينية وتكتسي صبغة الاحتقار للكفاح الشعبي وللذاكرة الوطنية. ففي عشية الاحتفال بذكرى **"ثورة الملك والشعب"** نطقت المحكمة يوم 19 غشت 1961 بالحكم بالإعدام على أربعة من خيرة المقاومين. وبعد أقل من خمسة أشهر اخترق الرصاص رؤوسهم.

وحمل المحامون الذين حضروا تنفيذ الحكم بالسجن المركزي بالقنيطرة شهادات حول صلابة المقاومين وهم يساقون إلى خشبة الإعدام.

كان محمد بن حمو العياشي المدعو الفاخري يمشي عالي الرأس رافضا وضع العصابة على عينيه ومكررا تلك الجملة التي نطق بها رفيقه أحمد الراشدي قبل إعدامه : **"اتركوني أرى لآخر مرة سماء وطني الذي أموت في سبيله"**.

وهتف رفيق الزرقطوني عبد الله بن الحسن الزناكي : **"يحيا التاريخ"**.

وصاح المولات إدريس بن أحمد : **"هذا ما يجازينا به الإقطاع"**.

وردد أحمد بن محمد تاجا عبارات مماثلة. وبنفس الشجاعة التي واجهوا



● محاكمة رفاق الفاخري

بها من قبل محاكم الاستعمار، سقطوا شامخين برصاص عهد الاستقلال.(19)
وكان الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ينتقد الحكم المطلق ويتخذ مواقف سياسية جريئة، فوجد نفسه تحت طائلة الخدمة العسكرية الإجبارية وكان الهدف إخضاع عناصره النشيطة للقهر الجسدي والنفسي في الثكنات لكي يبتعدوا عن الخوض في السياسة ويركنوا إلى الطاعة والاستسلام.
وفي يوم 7سبتمبر 1962قام أحمد الدليمي على رأس فرقة من البوليس السري بوضع ثلاث قنابل في مطابع **"امبريجيما"** التي كانت تطبع فيها جريدة **"التحرير"** والأسبوعية **"الطليعة"**، وأحدثت خسائر كبيرة في آلة السحب وتعذر صدور الجريدة بضعة أيام.
وفي 15 نوفمبر وقعت محاولة لاغتيال المهدي بن بركة قرب قنطرة واد شراط حينما كان متوجها إلى الدار البيضاء. ذلك أن سيارة للشرطة طاردته مما تسبب في انقلاب سيارته وأصيب بكسر في رقبته، وكانت إصابة السائق متوسطة الخطورة وخرج المهدي العلوي سالما. وسجل شهود رقم السيارة وقالوا بأن ركابها توقفوا والقوا نظرة على المهدي ورفيقيه الساقطين على الأرض ثم تابعوا طريقهم. وسارعت المحكمة إلى تغريم جريدة **"التحرير"** بمبلغ ضخم لمنعها من الصدور لأنها حسب الإدعاء جعلت من حادثة سير محاولة للاغتيال.(20)
وشمل القمع الوظيفة العمومية وتواصل طرد الموظفين المضربين من أجل حقوقهم في البريد وفي وزارة الخارجية، وفصل الدكتور المهدي بن عبود سفير المغرب في أمريكا مع عدد من موظفي السفارة بسبب تضامنهم مع المضربين في وزارة الخارجية. وفي وقت لاحق تم توقيف عامل الرباط وسلا الدكتور عبد اللطيف بن جلون لأنه رفض أن تتدخل الشرطة ضد تلاميذ مدارس محمد الخامس المحتجين على سوء التغذية.
وسبق أن أشرنا إلى أن الاتحاد الوطني رفض المشاركة في الاستفتاء على الدستور الذي اعتبره ممنوحا، إلا أنه برر مشاركته في الانتخابات البرلمانية بالرغبة في **"فتح واجهة داخل صفوف القوات الرجعية نفسها"**. وكلفه موقفه رد فعل عنيف، إذ بمجرد ما يضع مرشحوه طلبات الترشيح يلقى عليهم القبض ويتعرضون للتعذيب، ويطردون من وظائفهم وتستهدف متاجرهم وأملاكهم للنهب ومحاصلهم الزراعية للإحراق من طرف عصابات تتمتع بحماية السلطات المحلية. وفي أقل من أسبوعين قتل سبعة اتحاديين وجرح ما لا يقل عن عشرين وبعضهم قتلوا برصاص أعوان الإدارة في مدن أكادير

19 - التحرير" 25يناير 1962.
20 - بعد مرور أربعين سنة اعترف عميل المخابرات البخاري بأن محاولة الاغتيال كانت بأمر الدليمي ومنفذوها هم : المعطي ريحان، كرواني بناصر وسائق السيارة أوزين محاند، انظر
Le journal 30 Juin au 6 Juillet 2001 No 24 Casablanca

ومراكش وآسفي وورزازات وضواحي الرباط. (21)

وفي يوم 16يوليوز 1963قررت اللجنة المركزية للاتحاد الوطني مقاطعة الانتخابات البلدية والقروية احتجاجا علي جو الإرهاب السائد في المجتمع، وقبل نهاية الاجتماع طوقت قوات الشرطة مقر الحزب الكائن في شارع علال بن عبد الله رقم 70 بوسط مدينة الدار البيضاء، والقي القبض على أزيد من مائة شخص بتهمة **"محاولة قلب النظام والاعتداء على حياة الملك"**.



● أمام المحكمة من اليسار إلى اليمين:
أحمد بوزيد - الفقيه البصري - خديجة المذكوري - بناصر مرغيش

تعممت عاصفة الرعب في المدن والمناطق النائية، وتجاوز عدد المعتقلين خمسة آلاف شخص نساء ورجالا، وامتلأت مراكز الاعتقال بالمقاومين الذين سبق لهم أن خضعوا للتعذيب في زنازن الاحتلال الأجنبي، لكنهم لم يتلقوا معاملة أكثر قساوة من التي تلقوها في عهد الاستقلال على أيدي عملاء الاستعمار وضباطه الذين حاربوا حركة التحرر في الفيتنام والريف بالمغرب وفي جبال الأوراس بالجزائر.

كانت أساليب التعذيب الجهنمية ترمي إلي إطفاء الصحوة الإنسانية في قلوب النخبة الواعية وإخضاع الانبعاث الوطني بأسره إلى منطق العصور المظلمة.

لم يقتصر التعذيب على الضرب وسلخ الأرجل والظهر بالسياط وتسليط

21 - انظر "التحرير" لشهر يونيو 1963.



● عبدالرحمان المتوكل

الصعقة الكهربائية على الأعضاء الحساسة في الجسد، بل كان الجلادون يلقون الضحية عاريا في المطمورة تحت الأرض مع الأفاعي الغليظة مما يمنعه من إغماض العين ليلا ونهارا كما وقع لرجل التعليم والنقابي عبدالرحمان المتوكل في مدينة وجدة.

لم يكتف الجلادون بتدمير أجساد المعتقلين والاعتداء على شرف نساءهم وبناتهم، بل أمعنوا في إذلال أولئك المقاومين الذين كتبوا ملاحم بطولية دفاعا عن حرية الشعب واغتصبوا رجولتهم وهم موثوقوا الأيدي والأرجل. ودام ذلك الفعل الشنيع طيلة سنوات الكفاح من أجل الديمقراطية يمثل سلاحا شيطانيا يكشف عن عقلية سادية تتصور ذروة الانتقام في إطلاق الغريزة الحيوانية للجلادين لتدنيس كرامة وسمعة المناضلين في مجتمع محافظ ومتدين.

لم يقتصر انتزاع الاعترافات من الضحايا على التعذيب الجسدي والنفسي وحده، فاستعملت وسائل التخدير خاصة ما يعرف بـ **"مصل الحقيقة"** (Sérum de Vérité) وهي مادة كيماوية تضاف إلى أكل أو شراب المعتقل وأحيانا تحقن في فخده وتجعله ينطق بما وراء العقل الباطني. وهي في الطب النفساني حالة تؤثر على سلوك الفرد خارج الوعي بنفسه، وحينما تكون الجرعة أكثر من اللازم يصاب بأمراض تستعصي على العلاج. بهذه الوسائل وغيرها تتحطم مقاومة الإنسان ويستسلم لإرادة الجلادين، ويردد كل ما يملونه عليه وهو في حالة شرود ذهني، وتستجيب خلايا مخه المرهق إلى جميع الإيحاءات التي تصلها ويعترف بكل الجرائم التي لم يقترفها، وتكون عملية **«غسل الدماغ»** قد بلغت الأهداف التي خطط لها المستبدون الراغبون في جعل المواطنين عبيدا وأقنانا.

وأثناء محاكمة مراكش الكبرى عام 1971 اضطر القاضي إلى إطلاق سراح كل من درويش بوعزة ولحسن حريبيل الماكني لأنهما فقدا عقلهما من جراء ما تناولاه من المواد المخدرة كما وقع لعشرات المعتقلين ومن بينهم المرحوم عبد الله بومهدي الذي عجز بعد خروجه من السجن عن تعاطي مهنة المحاماة نتيجة اختلال في وظيفة الدماغ منعه من



● عبدالله بومهدي

التركيز على الملفات. وأثناء المحاكمة أنكر الحبيب بنحمو أن يكون هو صاحب **«الإعترافات»** المسجلة بصوته. وقال بأنه منذ إعتقاله دخل في غيبوبة دائمة، ولم يعرف ما جرى له إلا حينما فتح عينيه في السجن وثيابه ملطخة بالدماء (**)

كانت محاضر الشرطة التي يحاكم على أساسها المعتقل تستند على ما يتفوه به أثناء الاستنطاق في حالة الغيبوبة، وهذا ما فضحه عمر بن جلون في السبعينات أمام المحكمة، وقال بأنهم عملوا له حقنة تركته يتكلم تحت التخدير لم يعد يتذكر شيئا مما رواه للمحققين.

ولعل أول ضحية لعملية التخدير هو الفقيه البصري الذي أذاع راديو المغرب أثناء محاكمته عام 1964 شريطا صوتيا ادعى أنه **"اعترافات"** بأعداد **"مؤامرة 1963"** التي لم تقع. وكل من يعرف طبيعة الفقيه البصري لن يصدق ما نسب إليه من أقوال. وهذا نموذج لنوع الأسئلة والأجوبة التي تفصح عن غرض ومقصود المسؤولين عن جهاز الأمن :

أوفقير : **لماذا كنتم تفكرون في الدخول إلى غرفة نوم صاحب الجلالة ؟**

الفقيه : **الغاية هي الانقلاب والاستيلاء على الحكم.**

الدليمي : **واغتيال الملك ؟**

الفقيه : **نعم !**

أوفقير : **من هم الأشخاص الذين سيكونون على رأس النظام ؟**

الفقيه : **المهدي بن بركة انتهازي، وعبد الرحمان اليوسفي شخص محلول ومائع لا يصلح للدولة، وعبد الرحيم بوعبيد شخص سياسي، والشخص الذي نطمئن إليه هو عبد الله إبراهيم.**

وسالت الفقيه بعد إطلاق سراحه سنة 1965، فأجاب بأن جسده كان مختبرا لجميع أنواع التعذيب إلى درجة أنه فقد الإحساس لمدة طويلة بكل ما يحيط به، وأن ما نسب إليه من أقوال قد تكون محاكاة بصوت شخص آخر أو صادرة عن رغبة دفينة في العقل الباطني.

وأبرزت الأحداث المتلاحقة فداحة الظلم الذي ارتكبته بعض الأجهزة خارج نطاق القانون. فقد تمت تصفية مقاومين كبار تحت التعذيب ومن ضمنهم من برأتهم المحكمة فاعترضت طريقهم **"الفرقة الخاصة"** واختطفتهم قبل أن يصلوا إلى منازلهم.

فالمقاوم بلعيد بن أحمد بن عدي المشهور بلقب **"ادا بلعيد"** من مؤسسي **"المنظمة السرية"**، عاد من فرنسا في الخمسينات ومارس التجارة بالدار البيضاء وجعل من مركزه التجاري ملتقى في درب السلطان لقيادة المقاومة، وشارك في المقاومة المسلحة بشكل فعال. وأصدرت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية الحكم بالإعدام رفقة محمد منصور بتهمة تفجير القطار السريع

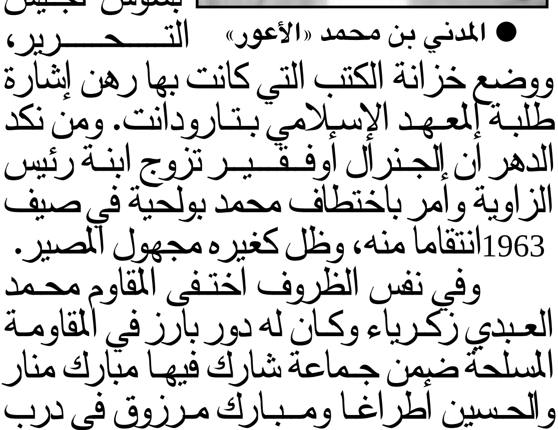
(**) العلم 29 يونيو 1971.

الرابط بين الدار البيضاء والجزائر.

وبعد الاستقلال كان من مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وتعرض لعملية الاختطاف سنة 1964 وقتل حسب بعض المصادر، في إدارة الشرطة بالدار البيضاء، والغريب أن المحكمة أصدرت عليه غيابيا حكما بالسجن المؤبد.

وألقي القبض على المدني بن محمد المغراني المدعو الأعور وكان عضوا في قيادة **"المنظمة السرية"** إلى جانب بوشعيب الحريري وعبد الله سفيان، وشارك في تأسيس جيش التحرير في الشمال، وبما أن اسمه لم يرد في سجل المتابعين فيما يسمي **"مؤامرة 1963"** فإن **"الفرقة الخاصة"** اختطفته بناحية تطوان ولم يظهر له أي أثر.

● ادا بلعيد بن أحمد



● المدني بن محمد «الأعور»

ولقي نفس المصير محمد بن علي بولحية، فقد كان من أوائل المقاومين ضد الاستعمار، ولما اكتشفت الخلية التي كان ينتمي إليها في أكادير التجأ إلى سيدي ايفني، وشارك في تأسيس جيش التحرير بالجنوب، وشن حملة مطاردة لشيوخ الطرقية الذين استعملوا الإسلام لخدمة الاحتلال الأجنبي. وخصص مداخيل زاوية تيمكيلجت بسوس لجيش التحرير، ووضع خزانة الكتب التي كانت بها رهن إشارة طلبة المعهد الإسلامي بتارودانت. ومن نكد الدهر أن الجنرال أوفقير تزوج ابنة رئيس الزاوية وأمر باختطاف محمد بولحية في صيف 1963 انتقاما منه، وظل كغيره مجهول المصير.

وفي نفس الظروف اختفى المقاوم محمد العبدي زكرياء وكان له دور بارز في المقاومة المسلحة ضمن جماعة شارك فيها مبارك منار والحسين أطراغا ومبارك مرزوق في درب

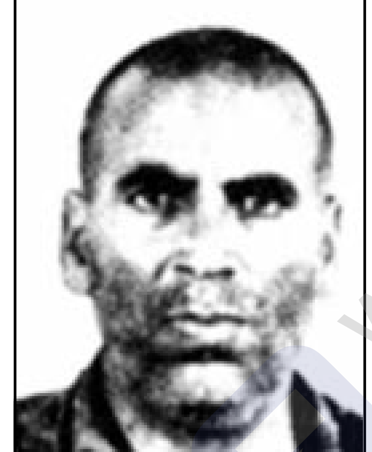


● محمد بولحية

مارتيني بالدار البيضاء. ولما بزغ فجر الاستقلال اشتغل عاملا في سينما شهرزاد وانضم إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وكان مصيره الاختطاف والقتل في مكان مجهول.

وكان آيت بوهمو بن الحسن نقابيا نشيطا في فرنسا، والتحق بالمغرب في نهاية الأربعينات وعمل في الحركة النقابية المغربية، وساهم في المقاومة المسلحة، ثم قام بدور فعال في تأسيس الجامعات المتحدة والاتحاد الوطني، وكان مصيره الاختطاف والقتل في ظروف غامضة.

وفي يوم 14 مارس 1964 برأت المحكمة محمد سجيد الأشهب بعد أن عانى طيلة ثمانية أشهر من الاعتقال والتعذيب في دار المقري بالرباط. وغادر سجن لعلو في اتجاه الدار البيضاء وقبل وصوله إلى بيته وقع اختطافه واختفى تاركا وراءه زوجة وستة أطفال مشردين.



● الأشهب محمد سجيد

وفي أحد أيام يونيو 1964 عثر في الدار البيضاء على جثث عدد من المقاومين ومن بينهم المقاوم البارز وصديق الزرقطوني الحاج احمد أشويط وكذلك عبد الله بوزاليم وعبد الله بن علي وبلحسن سويسي وعبد الله كاكاز وهؤلاء الأربعة كانوا معتقلين منذ سنة 1962 بتهمة الهجوم على بعض أعوان الشرطة.

وصدر بلاغ رسمي يدعي أن الاغتيالات تدخل في نطاق تصفية الحسابات بين أفراد عصابة إجرامية. وقالت مصادر مطلعة أن الغاية من قتل المقاومين وإلقاء جثتهم في الشارع كان إرضاء للشرطة السرية التي فقدت بعض أعضاءها على يد جماعة شيخ العرب، وتوجيه رسالة إلى النشطاء الاتحاديين بأنهم سيلقون حتفهم من غير محاكمة.

ومما لاشك فيه أن الحكم لما تأكد من احتضان الجماهير لأفكار الحركة التقدمية، بعد أن اكتشفت بتجربتها الذاتية خدعة الإستقلال الذي أضحى سرابا في الفضاء الأزرق، استبق الأحداث خوفا من خروج المقهورين عن وصايته وأطلق زبانيته لوقف إنتشار الوعي بتدمير الأجساد والأفكار.

كان القمع ضاريا ومنهجيا وفي بعض الحالات عشوائيا يطفح بروح مليئة بالرغبة في تعميم أجواء الخوف والإرهاب. فقد نقل الجنرال أوفقير عن الجنرال الفرنسي **بيجار** (Marcel Bigeard) احد أبشع أنواع الإبادة التي مارسها أثناء حرب التحرير في الجزائر حيث كان يرمي المكافحين الجزائريين في ظلام الليل من الطائرات في البحر، وفي الصباح تعيد الأمواج جثتهم إلى الشاطئ،

وكانت الأوساط العنصرية تسخر من مصيرهم المحزن وتسميهم **«برغوث البحر»** (Les crevettes de Bigeard).
إلا أن الجنرال أوفقير السفاح تفوق على الجنرال الفرنسي في الوحشية واقترف الجريمة بطريقة لا تترك خلفها أي أثر. وكان يوثق المناضلين ويلقي



بهم في واضحة النهار من الطائرات العسكرية وأجسادهم مثقلة بالحديد حتى يكونوا في قاع البحر لقمة سائغة في بطون الأسماك.

ففي غمرة أحداث يوليوز 1963 الحالكة، قامت طائرات مروحية في مدن أكادير والدار البيضاء والرباط بإلقاء مناضلين في البحر. ولا يزال الهدف من تلك الجرائم لغزا يلفه الغموض ويتحدى العقل والمنطق والقانون.

فالضحايا مناضلون شباب ليسوا معروفين بشكل واسع داخل التنظيمات الحزبية ولا يمثلون خطرا على السلطة. ويثير الإلقاء بهم في قعر البحر مجموعة من الأسئلة المحيرة : ما هي الدوافع لإزهاق أرواحهم بتلك الطريقة التي لا يمكن وصفها بأقل من العمل الهمجي؟ وهل كان ذلك يشير إلى دخول إرهاب الدولة في مرحلة أشد فتكا لتكميم الأفواه وفرض صمت القبور على المواطنين لكي يركعوا ؟ أم هل المقصود كان توجيه إنذار لبعض المتعاطفين مع الاتحاد داخل المؤسسة الأمنية نفسها ؟ أم أن تلك الجرائم كانت استجابة لعدوانية أوفقير المولع بالتفنن في تعذيب الإنسان قبل الإجهاز عليه ؟

الأسئلة تبقى مطروحة إلى أن يحين ذلك اليوم الذي سيرفع فيه الستار عن الوثائق السرية.

لقد تفاقمت مظاهر العنف إلى أن فاضت على ضفاف المجتمع وانسكبت وراء الحدود، وجرت محاولة لاغتيال المهدي بن بركة بالجزائر في أبريل 1963 وأخطأ القناص حيث أصاب جزائريا مشابها للمهدي ويقطن في نفس العمارة التي يسكن فيها.(22)

وحاولت عصابة أخرى اختطاف المقاوم سعيد بونعيلات من مدينة وهران، وانقلب الشخص الذي كان مكلفا باستدراج بونعيلات على الخاطفين وأوقعهم في مصيدة أودت بحياة اثنين منهم وتمكن الثالث من الفرار إلى المغرب.(23)

وفي منتصف يوم الجمعة 29 أكتوبر 1965 تمت في قلب مدينة باريس عملية اختطاف المهدي بن بركة بعد مراقبة استغرقت عدة أشهر وتجند لها عملاء المخابرات المغربية والفرنسية والإسرائيلية، زيادة على قتلة محترفين.

كنت مساء السبت 30 أكتوبر على وشك الانتهاء من وضع آخر صفحة من يومية **"المحرر"** لما جاءت قصاصة لوكالة الأنباء الفرنسية تخبر باعتقال المهدي من طرف البوليس الفرنسي. اتصلت بعبد الرحيم بوعبيد في بيته بسلا وأبلغته بفحوى القصاصة المقتضبة. فكان رأيه أن ينشر الخبر داخل إطار صغير في الصفحة الأولى. صدر الخبر في عدد يوم الأحد 31 أكتوبر وفي ذلك اليوم تناقلت الإذاعات العالمية النبأ ولكن في شكل اختطاف وبدأت معالم الجريمة تتضح. وكانت **"المحرر"** تحتجب يوم الاثنين لأن الأحد عطلة

22 - حديث مع مولاي عبد السلام الجبلي بمراكش في 1988/4/14.
23 - مقابلة مع العربي ساهر بالدار البيضاء في 1994/3/23.

أسبوعية، ومعنى ذلك فإن موعدها مع القراء يوم الثلاثاء 2نوفمبر.(24)
احتج بعض المناضلين على عدم إبراز خبر الإختطاف فرد عليهم عبد الرحيم بأنه كان يعتقد أن الشرطة الفرنسية هي التي ألقت عليه القبض – حسب ما جاء في الخبر الأول – وأنها سوف تطرده إلى خارج الحدود ولا داعي لتضخيم الحدث.
في صبيحة يوم الاثنين جلس عبد الرحيم وعبد الرحمان اليوسفي وأنا بصفتي رئيس التحرير للاتفاق على كيفية إخراج عدد يوم الثلاثاء(*). وكم كان استغرابي شديدا عندما وضع اليوسفي بيده تصميم الصفحة الأولى وجعل من إلغاء اجتماع منظمة الشعوب الإفريقية الأسيوية في الجزائر مقالا رئيسيا، ووضع اختطاف بن بركة في أسفل الصفحة.
صاح بوعبيد : **"ماذا سيكون رد فعل الجمهور ؟ إن الناس سيقولون أننا تخلينا عن صديقنا المهدي ! لا يهمنا الآن فشل اجتماع الجزائر، فممثلو حركات التحرير لن يزكوا انقلاب بومدين على بن بلة بهذه البساطة".**
صدر العدد خاصا كله بقضية الاختطاف خصوصا وأن وكالات الأنباء أوردت تفاصيل كثيرة بعد أن خرج الأستاذ التهامي الأزموري عن صمته وهو

24 - هذا عكس ما كتبه عابد الجابري وهو يتكلم عن العمل يوم الأحد. انظر : مواقف(7) المهدي بن بركة ج 2ص103، سبتمبر 2002. الدار البيضاء

(❖) إدعى عابد الجابري في مذكراته (مواقف) عدد (11)، يناير 2003 ص 25 أنه شغل منصب سكرتير تحرير جريدة «المحرر» سنة 1965. والحقيقة أن الحزب اتخذ قرارا بتحويلها من أسبوعية إلى يومية عشية انعقاد مؤتمر القمة العربية بالدارالبيضاء، وبالمناسبة إقترح عبدالرحيم بوعبيد إسناد سكرتارية التحرير إلى الجابري، لكن هذا الأخير إمتنع مبررا موقفه بكونه يعمل مديرا لمدرسة ثانوية. وأتذكر أنني طرحت سؤالا مستفزا على الجابري قائلا:
– هل تصر على التمسك بمدرسة الإقطاعية عوض مدرسة الوطنية التي هي جريدة الحزب؟
وتحول الإجتماع إلى نقاش ساخن حضره عبدالرحيم بوعبيد، عبدالرحمان اليوسفي، عبداللطيف جبرو، حسن العلوي، عبدالقادر الصحراوي، محمد فتحي، البوسرغيني، المهدي الورزازي. وفي وقت لاحق إنظم إلى هيئة التحرير مصطفى القرشاوي وأحمد حمايمو و إدريس الخوري.
وحسم عبدالرحيم النقاش بإسناد مهمة سكرتير التحرير إلى عبدالله رشد. وكان الجابري يأتي إلى إدارة الجريدة مرتين أو ثلاثة في الأسبوع ويسلمني مقالاته، وهذه الوقائع لايمكن نسيانها أو القفز عليها بسهولة مع العلم أن معظم الشهود لايزالون إلى حد كتابة هذه السطور

الذي كان برفقة المهدي أثناء اختطافه من طرف الشرطة الفرنسية.

في شارع سان جيرمان أمام مقهى ليب أوقف الشرطيان الفرنسيان روجي فواتو (Roger Voitot) ولوي سوشون (Louis Souchon) المهدي وطلبا منه أن يرافقهما بعد إدلائهما ببطاقة الشرطة. وكان يجلس بداخل السيارة المفتش الرئيسي في مطار أورلي وعضو المخابرات أنطوان لوبيز (Antoine Lopez) والمجرم جوليان لوني (Julien Le Ny) وقادوه إلى منزل جورج بوشسيش (Georges Boucheseiche) أحد عملاء النازية أثناء الحرب العالمية الثانية ومتعاون مع المخابرات الفرنسية.

أوفقير الدليمي

لم تمر سوى ست ساعات على الاختطاف حتى وصل الكولونيل الدليمي إلى الفيلا الكائنة في ضاحية باريس وشرع في استنطاق المهدي، والتحق به الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية في طائرة عسكرية مغربية خاصة. وبعد تعذيب المهدي أخذ منه مفاتيح منزله وسافر لمدة قصيرة إلى جنيف واستولى على وثائقه. (25)

ورد في صك الاتهام أن عدد المشاركين المباشرين في تنظيم الاختطاف واستدراج المهدي بلغ 18 شخصا من بينهم ثلاثة من عملاء الاستخبارات الإسرائيلية وكان أبرزهم أرتوركوهن (Arthur COHEN) عضو جهاز شين بيت (SHIN BEIT) مراسل صحيفة هاريتس (HAARETZ) في جنيف ومتعاطي للإنتاج السينمائي وكان قد اقترح تمويل فيلم **باسطا** (BASTA) حول حركة التحرير العالمية، وحينما علم المهدي أن الممول إسرائيلي رفض العرض.

وكانت جريدة بيل (BUL) الإسرائيلية نشرت يوم 11 دجنبر 1966 مقالا بعنوان : **"إسرائليون متورطون في قضية بن بركة ؟"**. (26) وتعرضت للحجز وألقي القبض على صحفيين اثنين وخضعا لتحقيق طويل. غير أن نسخا من العدد المحجوز وصلت إلى بعض المشتركين، وقامت صحيفة **نيويورك تايمس** بنشر ما جاء في المقال يوم 19 بيرائر 1967 ويعطي معلومات وافية عن تورط المخابرات الإسرائيلية في اختطاف المهدي.

واليهودي الثاني المشارك في العملية اسمه ترجمان (Tor djman) من أغنياء التجار المغاربة كان مكلفا بمصالح شخصيات كبيرة وبمصالح الجنرال أوفقير الذي هو أخوه في الرضاعة، (27) ولعب دورا رئيسيا في تنظيم وهجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل. وكان في باريس متصلا بالشرطي لوبيز وعندما ألقي

25 - Cahier du Témoignage chrétien No 54, Comité pour la Vérité sur l'Affaire Ben Barka. La Mort de Mehdi Ben Barka : un dossier à rouvrir. Paris, 1973, P.51

26 - Ibid, P. 15.

27 - Ibid, P. 19.

عليه القبض يوم 4 نوفمبر 1965 رجع **ترجمان** على عجل إلى المغرب.
وفي صبيحة يوم الأحد 31 أكتوبر استقل الطائرة من باريس في اتجاه المغرب الدليمي والحسيني والشتوكي واليهودي كوهن ويقال أنه يدير فندقا بالدار البيضاء، ولم تفتح العدالة الفرنسية بحثا حوله وهو اليهودي الثالث المشارك في الاختطاف. (28)

وتمكن أربعة مجرمين من اللجوء إلى المغرب وأغدق عليهم أصحاب الحال المال والمتاع. وامتلك بوشسيش فندقا بالدار البيضاء جعل منه وكرا للدعارة، وأدار **"صفقات تجارية مربحة"** حسب شهادة زوجته، ولقي حتفه في مارس 1971 واتهمت زوجته الدليمي باختطافه وقتله. (29)

وتمرغ المجرمون **جوليان وبييرديباي** (Pierre Dubail) و**جان باليس** (Jean Palisse) في امتيازات كثيرة إلى أن تجرع الأولان الموت على يد الدليمي وتمكن الثالث من الفرار والرجوع إلى فرنسا. (30)

● المهدي بن بركة

وكان الشرطي **سوشون** اعترف أثناء الاستنطاق يوم 14 يناير 1966 أن ما قام به يدخل في نطاق نشاط المخابرات الفرنسية (S.D.E.C.E) وصرح للمحققين بأن **فوكار** الكاتب العام لرآسة الجمهورية كان على علم بما يتم التحضير له. ونطق بالجملة الشهيرة : "Foccart est au parfum" وهو ما كرره بعد مغادرته السجن في كتابه. (31)
وعلى الرغم من الوعود التي أعطاها الجنرال دوكول رئيس الجمهورية

28 - Ibid, P.18.
29 - Ibid P.47.
30 - Ibid, P.49.
31 - Louis Souchon, Accusé, Taisez-Vous, Paris, 1970. Ed. de la Table Ronde, P.49.

بالكشف عن الحقيقة فإنه لم يفعل. كانت الفضيحة كبيرة تدين السياسة الإمبريالية الفرنسية المتكالبة على الحركة التقدمية المغربية. واجتهدت العقول المتآمرة لإيجاد صفقة سياسية بين دبلوماسيتي فرنسا والمغرب. فسلم الدليمي نفسه إلى العدالة الفرنسية وبرأت ساحته في محاكمة أقرب إلى مسرحية، بينما صدر الحكم بالسجن المؤبد غيابيا على أوفقير ولم يمنعه ذلك من دخول فرنسا، كما لم يجد وزير خارجية فرنسا حرجا في مصافحته داخل السفارة الفرنسية بالرباط. (32) وواصل زياراته إلى امريكا والجزائر وغيرهما دون أن تزعجه الشرطة الدولية. ولا تزال الحقيقة حول مصير جثة المهدي مدفونة في صناديق سرية تحرسها **"مصلحة الدولة"**.

لم يكن العنف موجها إلى المقاومين والنشطاء السياسيين وحدهم، بل طال مختلف الفيئات الاجتماعية المطالبة بحقوقها والمتذمرة من الإستغلال. فأينما تعالت أصوات المظلومين إلا وارتفعت وثيرة القمع في أكثر أشكالها تنكيلا وقساوة. حدث ذلك حينما قوبلت مطالب الفلاحين بإطلاق النار في آيت زليطن وتسلطانت وفي أولاد خليفة وسطات. كانت القوات تطلق النار وتهاجم البيوت وتعتدي على أعراض النساء كما وقع في سطات حيث أصدر الإتحاد الوطني عددا خاصا من جريدة **"التحرير"** حول اغتصاب الصبايا ونهب أملاك الناس في عاصمة الشاوية، وأرسل إلى منظمات حقوق الإنسان في أوربا وأمريكا بيانات فضحت تلك الأحداث المؤلمة. ورأى بعض المسؤولين في ذلك **"مسا بسمعة الدولة"** وضاعفوا القمع في حق المناضلين الطلائعيين الذين تملكتهم الصدمة وشعروا بالقهر والغربة في وطن هم رواد استقلاله، ليس لهم فيه إعتبار ولا صوت ولا وجود حقيقي، تطاردهم فلول الشرطة السرية وتستفز شعورهم وتروع أمن أولادهم وعائلاتهم، وبسبب ذلك تحول الضوء في أعين عدد منهم إلى عتمة، واندفع بعضهم في جو من الإحباط واليأس إلى القيام بأعمال فردية عنيفة ضد بعض أفراد الشرطة. ففي الوقت الذي كان فيه الفقيه البصري وعدد من المقاومين البارزين داخل السجن عام 1960، سقط بالرصاص في الدار البيضاء مفتش للشرطة وثلاثة مخبرين، واتضح أن المقاوم بن حمو الفاخري وثلاثة من رفاقه كانوا يقفون وراء تلك الهجومات، فاستغلت أجهزة الأمن المناسبة وألقت القبض على كل المقاومين المعروفين واتهمتهم بحيازة السلاح وتهديد الأمن العام وتجاوز عددهم الثلاثين ومن ضمنهم محمد بن موسى الذي سبق له أن فجر القنبلة في السوق المركزي سنة 1953، وعبد الله الزناكي رفيق الزرقطوني، ودفعت آخرين إلى الخروج من المغرب ومنهم مولاي عبد السلام الجبلي أحد أعضاء قيادة **"المنظمة السرية"** الذي التجأ إلى اسبانيا، وإبراهيم التيزنيتي **"النمري"** الذي سيموت في مارس 1973 في معركة مولاي بوعزة

Cahier du Témoignage, Op. Cit, P.60. - 32

بناحية خنيفرة، ومحمد السكوري واضع القنبلة في إقطار السريع بين الدار البيضاء والجزائر عام 1953، والذي وجد ملاذا أبديا في ألمانيا.

وفي منتصف مارس 1960 انعقد اجتماع سري بمراكش حضره عدد من المقاومين الذين كانوا يتولون بعض المهام في سلك الوظيفة العمومية، وتدارسوا كيفية مواجهة حملة القمع المسلطة على المقاومين. وقرروا إعلان العصيان في جبال الأطلس. واعتصم القائد الممتاز البشير لحمر وصديقه الكمّالي محمد (بن حمو) بالجبل المحيط بمدينة بني ملال ومعهما العشرات من أفراد القوات المساعدة، وكان من أول الضحايا عميد الشرطة بالمدينة. وبعد أربعة أيام صعد إلى الجبل بناحية مراكش القائد البشير المطاعي وكان من مسؤولي جيش التحرير في الشمال، ورئيس الحرس البلدي بمراكش مولاي الشافعي من رفاق حمان الفطواكي، والقائد الحسين البزيوي مثقف ومقاوم بمراكش وعدد من قدماء المقاومين من بينهم الحسن الروداني وبركاتو وجميعهم قتلوا في المعركة باستثناء الحسين البزيوي الذي أصيب بجراح في رجله.



● مولاي الشافعي

واضطر المتمردون في بني ملال إلى الاستسلام بعد أن خذلتهم القوات الحكومية التي كانت تحت إمرتهم. وفشل العصيان في مراكش وبني ملال لأنه كان عملية محبوكة لعب فيها مقاوم له علاقة بالمخابرات دور المحرض بدعوى الدفاع عن قادة المقاومة المعتقلين وكان الهدف الإيقاع بالمقاومين الملتزمين وتصفيتهم جسديا.

وتوالت ردود الفعل الفردية اليائسة، وأطلق عبد الرحيم إينوس وسنه لا يتجاوز 17 سنة النار على الضابط لحسن الغول الذي قضى على المقاومين ومن بينهم مولاي الشافعي الذي كان يعتبره عبد الرحيم أبا روحيا له. وصرح أمام المحكمة أنه قضى على حياة الضابط رئيس الفيلق السابع لأنه قتل أبطالا بفظلهم تحررت البلاد من الإستعمار الأجنبي، وقال إنما قام به هو واجب على كل اللذين يرفضون سيطرة الظلم والإستغلال سواء كانت فرنسية أو مغربية. وأثارت تصريحات عبدالرحيم عاصفة من التصفيق داخل قاعة المحكمة العسكرية مما إضطر القضاة إلى إصدار الحكم بسرعة في 17 مايو 1961 ولم يتأخر تنفيذ حكم الإعدام في عبدالرحيم وصديقه لحسن بن محمد باشوش من المقاومين للإستعمار.

وفي ليلة ظلماء بمراكش القي القبض يوم 23 اكتوبر 1963 على محمد الأطلس واكتشف الحراس البلديون، وهم غير مسلحين، أن الحقيبة مليئة

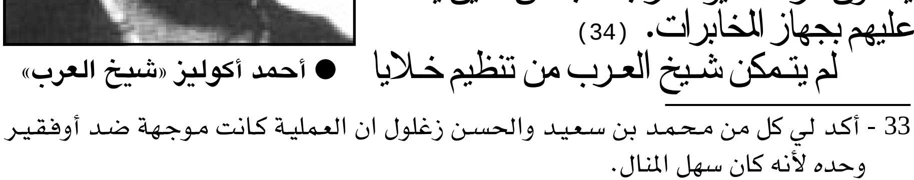
بالسلاح وكانوا يعتقدون أن بداخلها مخدر الحشيش. واعترف بشريكيه محمد بن سعيد والحسن زغلول، وكان الهدف اغتيال أوفقير غير أن الشرطة أضافت **"المرق"** إلى صك الاتهام وادعت ان المؤامرة كانت تستهدف حياة الملك أولا والجنرال أوفقير ثانيا.(33)

واشتد سخط المقاومين على الحكام الجدد واعتقدوا انهم خدعوا الشعب الذي أصبحت اوضاعه أسوأ من الحالة التي كانت عليها يوم كان يقاوم الاستعمار. ففي وقت كانت تصدر فيه المحكمة أحكاما بالإعدام على الفقيه البصري وعمر بن جلون ومومن الديوري حضوريا وعلى المهدي بن بركة ومولاي عبد السلام الجبلي وعبد الفتاح سباطة غيابيا، تسللت جماعة مسلحة من الجزائر واشتبكت مع القوات الحكومية وسقط قتلى وجرحى من الجانبين، وتكررت في بداية يونيو 1964 المناوشات في الحدود بمناطق تيولي بناحية جرادة وفي مشرع حمادي وفي واد أمليل، واعترف المعتقلون بأنهم تلقوا التدريب في الجزائر والسلاح من سعيد بونعيلات والفقير امحمد والقائد حمدون، وصدرت أحكام بالإعدام على 14 شخصا وهم:

– محمد بن محمد بن عبدالله أيت عمر، محمد بن عزوز بولنوار، ميلود بن محمد المشنتف، عبدالعزيز بن محمد العبدلاوي، محمد بن احمد، عبدالسلام بن حمادي بن عمر، أيت سعيد عبدالله بن حمو، عبدالقادر بن البشير بن المختار، محمد بن عبدالقادر بن قدور، محمد بن سي محمد بن عمر، حمادي بن محمد بن عمر، سعيد بن سعيد بن عبدالله، الأمين بن عبدالعزيز، زروال معمر بن محمد.

لم تمر سوى بضعة أشهر على تلك المعركة الدامية حتى اخترق أحمد أكوليز المدعو **"شيخ العرب"** الحدود رفقة عمر الفرشي وبمساعدة حراس الحدود.

كان ذلك في يونيو 1964، وبمجرد وصوله الى الدار البيضاء وجد نفسه مطاردا من طرف الشرطة السرية، ولم يقطن في فيلا بحي ليرميطاج إلا بضعة أيام عندما طوقته فرقة من رجال الأمن. وتمكن مع رفاقه من القيام بمبادرة سريعة أسفرت عن قتل ثلاثة شرطيين وجرح آخرين، وتم الانسحاب بنفس السرعة من الباب الخلفي. وكان أينما حل يجد أفراد الشرطة يقتفون أثره مما يؤكد ارتباط بعض الذين يعتمد عليهم بجهاز المخابرات.(34)



● أحمد أكوليز «شيخ العرب»

لم يتمكن شيخ العرب من تنظيم خلايا

33 - أكد لي كل من محمد بن سعيد والحسن زغلول ان العملية كانت موجهة ضد أوفقير وحده لأنه كان سهل المنال.

34 - حديث مع عمر الفرشي بالدار البيضاء في 31-5-1994

سرية قوية وعجز عن القيام بأي عمل جدي لانعدام مقاتلين صادقين ولم يكن يتوفر على أي برنامج. (35) ولقي حتفه على يد البوليس يوم 7غشت 1964 ووقع في الاعتقال حوالي أربعين من انصاره.

كانت أعمال العنف التي استعرضنا بعضها ضعيفة تفتقر إلى الفعالية ولا تستند إلى قاعدة جماهيرية رغم تعاطف السكان مع القائمين بها والذين يعتبرون **"أبطالا"** يقاومون جهاز القمع بقيادة وزير الداخلية أوفقير والدليمي المسؤول عن **"الفرق الخاصة"**.

ازداد نمو المعارضة الجماهيرية لسياسة التفقير التي ينهجها الحكام، وانفجر الغضب الشعبي بالدار البيضاء يوم 23مارس 1965احتجاجا على الأوضاع الاقتصادية والتعليمية والسياسية (36)، واشترك التلاميذ وآباؤهم والعاطلون عن العمل في مظاهرة ضخمة بالدار البيضاء، واجهها الحكم بإطلاق النار وتدخلت الدبابات وأطلق الجنرال أوفقير الرصاص من طائرته المروحية وكانت واحدة من أكثر المجازر دموية في تاريخ المغرب خلفت مئات القتلى.

اضطر الحكم إلى اتخاذ إجرائين متناقضين لتهدئة الوضع حيث أطلق سراح الفقيه البصري ورفاقه من جهة، ونفذ حكم الإعدام في 14كان ألقي عليهم القبض في الحدود قبل سنة. واكتملت المناورة السياسية بإعلان حالة الاستثناء في شهر يونيو بتزكية من عبد الرحيم بوعبيد في مقابلة بمدينة ايفران، وكانت هزيمة سياسية للاتحاد الوطني الذي سيفاجأ بعد أربعة أشهر باختطاف وقتل المهدي أحد قادته الكبار، ودامت حالة الاستثناء أزيد من خمس سنوات عرفت المزيد من الدماء والمصائب والهزات السياسية.



● الغضب الشعبي بالدارالبيضاء في 23 مارس 1965

35 - ن.م.

36 - من بين الأسباب التي فجرت غضب الشارع صدور قرار بمنع التلاميذ البالغين من العمر 17سنة من ولوج السلك الثاني من الثانوي.

تقديرات خاطئة وأخطاء قاتلة

كانت جريدة **"للحرر"** من ضحايا حالة الاستثناء اذ لم يصدر منها بعد اختطاف المهدي أكثر من خمسة اعداد. فقد كانت الشرطة التي تحاصر باب المطبعة، الكائنة في زنقة الجندي روش قرب المجزرة القديمة، تمنع خروج الجريدة إلى الأكشاك. وذات يوم اقترح بعض العمال إلقاء الجريدة محزومة من السطح في طريق صغير موجود خلف المطبعة، لتحمل بعد ذلك إلى مكاتب الحزب لتوزيعها. اعتبرت الفكرة صائبة لاستغفال الشرطة ولو مرة واحدة، فقصدت مكتب اليوسفي ووجدت معه عبد الرحيم وبمجرد سماعه الاقتراح صاح في وجهي:

"لا تستشيروننا في مثل هذه الأمور ! افعلوا ما شئتم "

بعد أسبوع من المنع أصدر الحزب بلاغا يعلن فيه توقيف الجريدة نهائيا بسبب الخسائر الناجمة عن المنع المستمر.

ومرة اخرى هب الديمقراطيون الفرنسيون يستنكرون اجراءات القمع والاعتداء على حقوق الانسان وكان ما يجري بالمغرب يحظى برصد دقيق من قبل الصحفيين والمحامين والمفكرين الفرنسيين المساندين لكفاح الحركة التقدمية.

في تلك الاثناء كان عشرات المناضلين يرزحون داخل المعتقلات السرية وآخرون يعانون في الغربة بين الجزائر وفرنسا وبلجيكا وألمانيا. وطلب مني مولاي عبد السلام الجبلي ومحمد بن سعيد أن أرتب لهما لقاء مع الفقيه البصري خارج المغرب لتقييم الأوضاع السياسية. وافق الفقيه على الدعوة ولعله كان يرغب في جس النبض للمسؤولين فيما يخص حريته في التنقل. فكان الجواب سريعا وتوصل في ظرف وجيز بجواز السفر.

في صباح باكر امتطينا سيارته من الدار البيضاء وتوقفنا في الرباط حيث تناولنا الفطور في بيت محمد الطاهري المهندس الفلاحي، ورافقنا احد تلاميذته إلى طنجة، وكان ذلك اليوم من آخر شهر غشت 1966قيظا يقف فيه عشرات المغاربة بالميناء في صفوف طويلة في انتظار ختم جوازات سفرهم. كنت رفقة الطالب، الذي لم أعد أتذكر اسمه أمام شباك الشرطة بينما وقف الفقيه بعيدا يراقب ما يجري، لم نجد صعوبة في الختم على ثلاث جوازات، وأثناء دخول السيارة إلى الباخرة تعرف أحد رجال الجمارك على الفقيه وأدى له التحية، لم نتوقف إلا على بعد ثلاثين كيلومترا من مدينة **"مالكا"** حيث نزلنا في فندق عائلي. في اليوم الموالي سافرت بالطائرة إلى الجزائر لتحديد تاريخ ومكان اللقاء المرتقب. أما الفقيه فقد التحق بوسط المدينة وجلس في الهواء الطلق بأحد المقاهي. تعرف عليه بعض الموظفين المغاربة الذين كانوا في عطلة، فنقلوا الخبر الى الرباط، وقامت القيامة وأخضع للتحقيق جميع المكلفين بالأمن في ميناء طنجة.

وعند تلبيته لدعوة احد أصدقائه لتناول العشاء في احد المطاعم، وجد الفقيه نفسه وجها لوجه امام كبار المسؤولين في إدارة الأمن وفي مقدمتهم العقيد الدليمي.

لم يكن الاسبانيون، رغم تعاون أجهزتهم مع الأمن المغربي، راغبين في أن تقع فوق أرضيهم قضية اختطاف جديدة فنصحوا الفقيه بمغادرة المكان.

لم اتغيب أكثر من ثلاثة أيام فالتحقنا بمدريد ونزلنا بفندق في **الاسكوريال** بضاحية المدينة، والتحق بنا عبد الرحمان اليوسفي وزود الفقيه بمبلغ مالي. وتخلصنا من السيارة وامتطينا الطائرة في اتجاه عاصمة الدانمارك. وكان وراء اختيار مدينة **كوبنهاكن** عوامل عديدة أهمها هي ضخامة المصالح الراسمالية الاستعمارية بالمغرب التي جعلت الحكومات الفرنسية وأجهزة مخابراتها تحاصر المعارضة التقدمية وتتجسس عليها لفائدة الحكم القائم، وتتغاضى عن جرائم عملائها مثل أوفقير وغيره على حساب مبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان.

كان اللقاء في منتصف سبتمبر ثلاثيا حضره الفقيه وعبد السلام الجبلي وبن سعيد – شخصيا كنت أقوم بدور المترجم في الفندق والمطعم ومنسق المواعيد وباعث البرقيات.

ومن هناك على متن القطار سافرنا الى **اوسلو** عاصمة النرويج وبعدها الى **استوكهولم** بالسويد، وعاد عبد السلام وبن سعيد الى الجزائر واتجهنا الفقيه وانا الى جنيف التي وفد عليها بالتتابع عبد الرحمان اليوسفي، عبد الفتاح سباطة، محمد الباروني الحداوي، خديجة المذكوري واخرون غابت عني أسماؤهم.

سافرنا بعد ذلك الى المانيا، وذات يوم في مدينة **مونيخ** كان الفقيه يتأمل بناية عتيقة بهندستها القوطية، وفجأة سألني :

– هل سيكون مصيرنا مثل حال المعارضين الاسبانيين لنظام فرانكو المشردين في جميع أنحاء الدنيا ؟

شكل التنبؤ بالنسبة اليه حقيقة موجعة ارغمته على العيش في المنفى حوالي ثلاثين سنة.

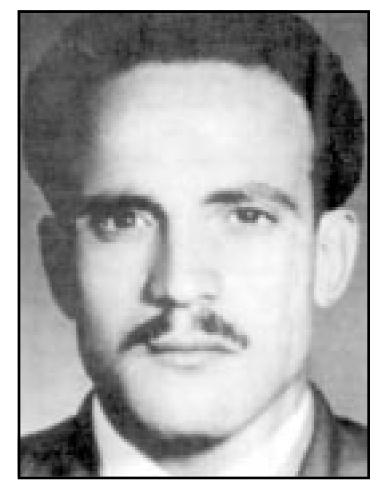
اتجه الفقيه صوب الجزائر التي أضحت منذ استقلالها في يوليوز 1962 قبلة يؤمها الهاربون من الاضطهاد في بلدانهم.

وتعود العلاقات بين الوطنيين المغاربة والجزائريين الى الاربعينات من القرن الماضي وتقوت بينهم اواصر التضامن في احداث سطيف الدامية التي سقط فيها عام 1945برصاص الاستعمار أزيد من ثلاثين ألف جزائري، ولم تكن لدى حزب الشعب إمكانات مادية لمساعدة المنكوبين والأرامل والمعتقلين، فقدم له حزب الاستقلال نصف مليون فرنك. (37)

37 - حديث المؤرخ محمد حربي في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" 20-8-1995 الدار البيضاء.



● أحمد بن بلة



● العربي بن المهيدي

وعندما انطلقت الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954كان ضمن قيادتها مغربيان محمد مروك عامل منجم أصله من الريف وتكلف بشعبة المواصلات في المنظمة السرية، وسليمان الذي أسندت إليه مهمة تدمير نصب شيده



المستعمرون لعبد القادر الجزائري قرب مدينة معسكر. (38)

وعلى إثر نفي الملك محمد الخامس التقى علال الفاسي في **جنيف** الطبيب بولحروف واقترح عليه أن يقوم حزب الشعب الجزائري بعمل مسلح مشترك مع المغاربة. (39)وتواصلت اللقاءات في القاهرة سنة 1954بين علال الفاسي وأحمد بن بلة ومحمد بوضياف وعبد الكبير الفاسي. وحضر الى تطوان العربي بن المهيدي ومحمد بوضياف لتنسيق العمل مع المغاربة واشعال الثورة في اكتوبر 1955في جبال الريف وفي منطقة وهران، وتوطدت العلاقات بين الجيل الجديد من المقاومين المغاربة والجزائريين.



● محمد بوضياف



● عبدالكبير الفاسي

وأثناء حكم الرئيس بن بلة برزت فكرة إنشاء معسكرات لتجنيد المغاربة وإعدادهم عسكريا في خطة

38 - ن. م.

39 - ن.م.

ذات أسباب تاريخية وسياسية. فقد ظلت **"الامبراطورية الشريفة"** كما وصفها الكتاب الفرنسيون تمثل في اعين القادة الجزائريين والمثقفين منهم بشكل خاص، غولا مخيفا لكونها تجر وراءها أزيد من 11قرنا من الاستبداد السلطوي والتراكم التاريخي والثقافي مقابل الغياب الكامل للدولة الجزائرية المركزية منذ الفتح الاسلامي على يد عقبة بن نافع الفهري عام 681م الى اعلان الاستقلال يوم 5يوليوز1962. فالمغرب الاوسط (الجزائر) كان تاريخيا تابعا لحكم الغرباء باستثناء بعد الامارات القبائلية مثل امارة تلمسان (1235-1552م). ونام في الكهف التركي المظلم أزيد من ثلاثمائة سنة ليجد نفسه تحت سيطرة فرنسية عاتية دامت 132 سنة اختزلته في كيان بدون هوية وشككت في وجوده كأمة جزائرية وقدمت له **"الجزائر الفرنسية"** كبديل مزيف لتدمير شخصيته. وساهم الاضطهاد العنصري والحرب الاستعمارية وما خلفته من دمار في الارض والسكان في تشكيل عقلية الانسان الجزائري وتكوينه النفسي ومزاجه الإنفعالي، وأفرز انتصاره في حرب ضروس على الاستعمار حبا جامحا للوطن في وجدانه كاد ان يتحول الى تعصب شوفيني وحذر دائم من كل الغرباء، وليس معنى هذا ان الشعب الجزائري لا يملك تاريخا ويعيش على هامش الثقافة الانسانية، فله في بطولة المثقف الثائر عبد القادر الجزائري (1808-1883م) وفي امجاد جيل ثورة اول نوفمبر 1954 أكبر رصيد ثوري وأغنى ثرات قومي.

وهناك علاقة بين التاريخ والسياسة، فبعد استقلال المغرب وبالضبط في سنة 1957تكونت وفود من قبائل الصحراء الشرقية مثل دومنيع، بشار، اولاد جرار، العمور، القنادسة، تندوف وغيرها، وتوجهت الى الرباط لمقابلة الملك محمد الخامس وللمطالبة بعودتها الى المغرب بعد أن كانت فرنسا ضمتها الى الجزائر. وانسحب عدد من رؤسائها من جبهة التحرير الجزائرية وانضموا الى جيش التحرير المغربي وكان على راسهم الكبير العموري وخليفة بن عبد القادر والطالب رمضان، والبدري وابناؤه، والضابط زكرياء، والدغمي والزبير من شبكة منونات ومعهم عشرات المكافحين. (40)

وامتد نشاط جيش التحرير المغربي الى القنادسة والعبادلة والمريجة وبني ونيف ونواحي عين الصفراء وبشار وتيندوف. (41) وفقدت جبهة التحرير الجزائرية الأطر التي كانت تعتمد عليها في المناطق المذكورة، وخلقت الوضعية الجديدة حساسيات وخلافات حادة ادت الى مواجهات دامية بين اشقاء كانوا يكافحون الاستعمار الفرنسي، وكان ذلك بداية للصراع على الحدود.

فإلى غاية مؤتمر المغرب العربي المنعقد بطنجة في 27ابريل 1958الذي حضره ممثلو جبهة التحرير الجزائرية والحزب الدستوري التونسي وحزب

40 - حديث مع محمد العبيدي عباس بالدارالبيضاء في 26-3-1998.

41 - فرنسا ضمت بشار سنة 1903وتيندوف سنة 1934.

الاستقلال المغربي، كان الجزائريون يتحدثون عن **"صحراء المغرب العربي"** ثم غيروا توجههم وصاروا يتكلمون عن **"صحراء الجزائر"** فأرسلت الحكومة المغربية يوم 5 أكتوبر 1958 مذكرة الى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تعبر فيها عن تحفظاتها من تصريحات المسؤولين الجزائريين حول مستقبل الصحراء. (42)

وفي 6 يوليوز 1961 وقعت حكومتا البلدين اتفاقا جاء فيه : **"تعترف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بأن مشكل الارض الناتج عن الحدود المفروضة بشكل تعسفي من طرف فرنسا بين البلدين سيجد حله في المفاوضات بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الجزائر المستقلة".**

وفي مؤتمره الثاني في مايو 1962 أتخذ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية موقفا واضحا من مشكلة الحدود الموروثة عن الاستعمار حيث اكد ان :

PROTOCOLE D'ACCORD ENTRE LE GOUVERNEMENT DE SA MAJESTE
LE ROI DU MAROC
ET LE G.P.R.A. (6 Juillet 1961)

Entre le Gouvernement de Sa Majesté le Roi du Maroc et le Gouvernement Provisoire de la République Algérienne,

Le Gouvernement de Sa Majesté le Roi du Maroc et le Gouvernement Provisoire de la République Algérienne, animés par les sentiments de solidarité et de fraternité maghrébines, conscients de leur destin africain et désireux de concrétiser les aspirations communes de leurs peuples, ont convenu ce qui suit :

Fidèles à l'esprit de la Conférence de Tanger du mois d'avril 1958 et fermement attaché à la charte et aux résolutions adoptées par la Conférence de Casablanca, les deux gouvernements décident d'entreprendre l'édification du Maghreb Arabe sur la base d'une fraternelle association notamment dans le domaine politique et économique.

Le Gouvernement de Sa Majesté le Roi du Maroc réaffirme son soutien inconditionnel au peuple algérien dans sa lutte pour son indépendance et son unité nationales. Il proclame son appui sans réserve au gouvernement provisoire de la République Algérienne dans ses négociations avec la France sur la base du respect de l'intégrité du territoire algérien. Le Gouvernement de Sa Majesté le Roi du Maroc s'opposera par tous les moyens à toute tentative de partage ou d'amputation du territoire algérien.

Le Gouvernement Provisoire de la République Algérienne reconnait pour sa part que le problème territorial posé par la délimitation imposée arbitrairement par la France entre les deux pays trouvera sa résolution dans les négociations entre le Gouvernement du Royaume du Maroc et du Gouvernement de l'Algérie indépendante.

A cette fin, les deux gouvernements décident la création d'une commission algéro-marocaine qui se réunira dans les meilleurs délais pour procéder à l'étude et à la solution de ce problème dans un esprit de fraternité et d'unité maghrébines.

De ce fait, le Gouvernement Provisoire de la République Algérienne réaffirme que les accords qui pourront intervenir à la suite des négociations franco-algériennes ne sauraient être opposables au Maroc quant aux délimitations territoriales algéro-marocaines.

Sa Majesté Hassan II
Roi du Maroc

Son Excellence Ferhat Abbas
Président du G.P.R.A.

Rabat, le 6 Juillet 1961

42 - عبد الرحيم بوعبيد، مؤتمر طنجة 1958، خلفيات اللقاء "الاتحاد الاشتراكي" 1-1992-10.

وفي سنة 1975 برزت بشكل عنيف أطماع حكام الجزائر في الإستحواذ على الصحراء المغربية بهدف الوصول إلى شاطئ المحيط الأطلسي تحت غطاء «تقرير المصير للشعب الصحراوي».

"الاحتفاظ بالتقسيم الترابي والسياسي لمجموع المغرب العربي يؤدي بصفة قطعية الى الاستعمار الجديد والى قيام أنظمة من الحكم مرصودة من الخارج وطاغية في الداخل".

وبمجرد اعلان استقلال الجزائر احتلت وحدات من الجيش الجزائري كانت مستقرة فوق التراب المغربي برآسة الهواري بومدين المراكز التي انسحبت منها القوات الفرنسية على الحدود مثل الصفصاف وقصر الحجوي وقتلت في مركز زغدو عددا من افراد القوات الاحتياطية ورد الجيش الملكي بهجوم عنيف. وفي يوم 13يوليوز 1962عبر الاتحاد الوطني عن تكدره البالغ للدماء التي سالت بين المغاربة والجزائريين خاصة في منطقة الصفصاف اياما قليلة بعد استقلال الجزائر، ودعا الجانبين الى تصفية مشاكل الحدود بالاسراع في بناء المغرب العربي على اسس شعبية وديمقراطية صحيحة. (43)

وكان متوقعا حدوث شيء اكثر خطورة على إثر قيام الاعلام الفرنسي بحملة دعائية واسعة ضد جبهة التحرير الجزائرية اثر ابعاد فرحات عباس عن رئاسة الحكومة المؤقتة وصعود احمد بن بلة فضلا عن الضجة التي اعقبت طرد المعمرين الفرنسيين من الاراضي الزراعية ووضعها رهن اشارة الفلاحين الجزائريين.

والى هذا التدخل الامبريالي اشار عبد الرحيم بوعبيد في عرضه امام اللجنة الادارية الوطنية للاتحاد عندما تسائل :

"لماذا امتنع المغرب عن الاصطدام بالجيش الفرنسي سنة 1960في حين ان كرامة البلاد كانت تداس في كل اسبوع تقريبا ؟ ولماذا اقدم الجيش على المبادرة الأخيرة في الوقت الذي يعلن فيه أن هناك اتفاقا مع حكومة الجزائر لتسوية الخلاف عن طريق المفاوضة وفي جو أخوي ؟ إننا نخشى ان يكون المقصود من هذه المبادرة الفاشلة هو القضاء في المهد على وحدة المغرب العربي لصالح الاستعمار والاقطاعية..." (44)

في 13مارس 1963زار الملك الحسن الثاني الجزائر بهدف البحث عن حل لمشكلة الحدود، غير ان الرئيس بن بلة كان طيلة الزيارة **"يبدو صعب المراس لم يضحك قط ولا ابتسم الا مرة واحدة خلال لقاء لم يحضره الملك الحسن الثاني..."** (45)

لم يسفر اللقاء الذي تم يوم 5 اكتوبر 1963 في وجدة بين عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري ورضا اكديرة مدير الديوان الملكي سوى عن بلاغ يشير الى ان **"الحادثات جرت في جو من الصراحة والاخوة الصادقة".**

ولم تمر اكثر من ثلاثة أيام على لقاء وجدة حتى اشتعل ما اطلق عليه

43 - التحرير14-7-1962.

44 - التحرير 1-8-1962.

45 - عبد الهادي بوطالب، نصف قرن في السياسة، م.س. ص:138.

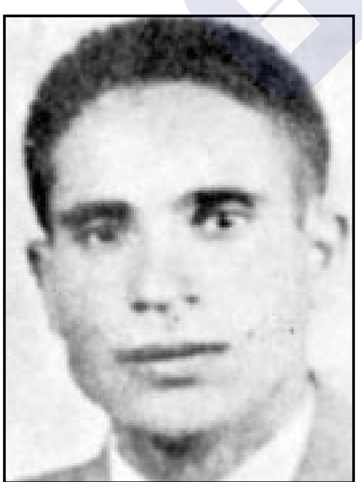
الإعلام الفرنسي **"حرب الرمال"** و دامت من 8اكتوبر الى 2نوفمبر1963.
ألقى المهدي بن بركة مسؤولية قيام الحرب على الحكم المغربي واعتبرها مندرجة في مخطط امبريالي للقضاء على حركة التحرر، وحذا حذوه حميد برادة الرئيس السابق للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وصدر في حقهما معا الحكم بالاعدام غيابيا بتهمة **"الخيانة"**.
ارسلت كوبا الى الجزائر دبابات على ظهر باخرة تحمل السكر، وقدمت مصر بعض الأسلحة، واضطرت طائرة مروحية الى الهبوط في الأراضي المغربية بالقرب من عين الشواطر في قبيلة أيت خباش واعتقل ركابها الأربعة وكان من بينهم الطيار حسني مبارك الرئيس المقبل لجمهورية مصر العربية.
توقفت الحرب باتفاق وقعه الملك الحسن الثاني والرئيس احمد بن بلة في باماكو عاصمة مالي بحضور الرئيس موديبوكيتا وامبراطور اثيوبيا هيلاسيلاسي، وتكونت لجنة مشتركة لبحث مسألة الحدود.
تلك الأحداث كلها تفسر الدوافع التي أملت على الجزائريين فتح معسكرات لتدريب المغاربة والاستعانة بهم في مواجهة الحكم المغربي الذي راوا فيه تهديدا لوجودهم. وكان أكبر معسكر في اللواتة بجنوب بشار يضم حوالي ثلاثمائة مغربي اربعون منهم نقلوا قسرا من تندوف بعد ان اغلقت السلطة حوانيتهم التجارية، وكانت العملية تدخل في افراغ المدينة من سكانها المغاربة. وكان في المعسكر عدد من المقاومين المغاربة من بينهم سعيد بونعيلات وشيخ العرب والفقير امحمد، وآخرون اصغر سنا مثل محمد عبروق وباهي محمد واعمر العطاوي، وابراهيم التيزنيتي والحسين الخضار وابراهيم كاميل، ونشب خلاف بين الشباب والشيوخ. وكانت جماعة أخرى في الجزائر العاصمة تتألف من عبد السلام الجبلي ومحمد بن سعيد والفقيه الفكيكي والحسين أطراغا، ولحسن زغلول. وجماعة رابعة كانت تقيم في معسكر سيدي خالد بالقرب من مدينة سيدي بلعباس يشرف عليه بن حمو ومنه انطلقت في يوليوز 1964المجموعة التي اصطدمت مع القوات الحكومية وقتل واسر معظم أفرادها باستثناء ثمانية منهم عادوا الى الجزائر. (46)وكان معسكر آخر في الغزوات على بعد خمسين كيلومترا من مغنية وفيه حوالي ستين شخصا أغلبهم جاؤوا من منطقة الريف مع حمدون أحد المسؤولين السابقين في جيش التحرير.
كانت الجماعات المذكورة بقطع النظر عن التدريب العسكري تعيش في فراغ بعيدا عن كل تسييس ولم تجد من يخرجها حتى من الأمية الابجدية

46 - محضر تحقيق، الاستماع الى آجار محمد بونعيلات في ببراير: 1970
Audition de Ajar Mohamed, Février 1970 (Hamiani abdelkader, Commissaire principal, Chef de la brigade nationale de la police judiciaire à Rabat, assisté du Commissaire de Police Mahmoud archane).

خصوصا وأن معظم أفرادها يجهلون مبادئ المقاومة وقيمها لآنهم ببساطة مجرد عمال مهاجرين ذهبوا الى الجزائر للعمل في الحقول الزراعية فاعتقلتهم الشرطة وارسلتهم الى الثكنات العسكرية بغية أعدادهم للكفاح ضد **"النظام الاقطاعي"** بالمغرب، ووجدوا انفسهم في ارتباط بمقاومين سابقين يفتقرون الى الفكر الذي يمكنهم من حسن استخدام البندقية التي يحملونها على اكتافهم.

وغرق الجميع في نزاعات ذاتية انتهت احيانا الى سفك الدماء، فقد تدخل رجال الدرك الجزائري في معسكر اللواتة واطلقوا النار وقتلوا مغربيين ونزعوا أسلحة الباقين وأغلقوا المعسكر لأن نزلاءه غير منضبطين وأرسلوهم على متن القطار الى وهران رفقة ابراهيم التيزنيتي **"النمري"**، والتحق عدد منهم بالضيعات الفلاحية بحثا عن عمل، وادى اليأس بآخرين الى عرض خدماتهم على المخابرات المغربية.

واستدعى الهواري بومدين، وزير الدفاع، كلا من بونعيلات وبن حمو وحمدون وكان يعرفهم حينما كان مرابطا في الحدود المغربية ابان الثورة الجزائرية، وسلمهم معسكرا في جبل تلمسان ومكنهم من عدد من البنادق، وتواصل نفس الاسلوب المعتاد أي اصطياد المغاربة الباحثين عن العمل واخضاعهم للتدريب العسكري. وكان في المعسكر ضابط صغير بدرجة ملازم اول من قدماء جيش التحرير إسمه ميلود توحتوح، غادر الجيش الملكي ويجيد اللغتين العربية والفرنسية وأصله من منطقة زمور. وفي نطاق الصراعات القائمة بين رؤساء الجماعات، اكتشف المكلفون بالمعسكر أن الملازم يسافر الى الجزائر العاصمة للاتصال بمحمد بن سعيد، فاعتقدوا أن في ذلك خيانة لهم فقتلوه. وفي باريس اطلعني بن سعيد على بطاقة للجيش الملكي كان يحملها المقتول وسجلت منها المعلومة الآتية :



● ميلود توحتوح

Touhtouh Mouloud Ben ali, Lieutenant 21
Bataillon No 0508

وكان الاغتيال مصير المقاوم محمد بن حمو الشيباني بعد التحاقه بالجزائر عام 1964. واتهمه احدهم، كان معه على خلاف بالمغرب، بالتجسس للبوليس المغربي.(47)

كانت جبهة التحرير الوطني الجزائرية تقدم مساعدة للاجئين المغاربة تبلغ ستة ملايين سنتيم شهريا، يتقاضى منها كل شخص مائة دينار ويضطر كل عشرة او عشرين للعيش جماعيا لان المبلغ لم يكن كافيا لتغطية الحد الادنى من المواد الاستهلاكية الاساسية. وكان

47 - أنظر شيئا عن بنحمو الشيباني في الفصل الثاني عشر.



● بن حمو الشيباني

عدد المستفيدين يتأرجح بين مائة وثلاثمائة وخمسين فردا. وكانت كل جماعة تدعي أحقيتها في توزيع المساعدة بالطريقة التي ترضيها، واتهم بعضهم جماعة الجزائر العاصمة بعدم الانصاف والتبذير. والواقع ان محمد بن سعيد آيت يدر المسؤول المالي لتلك الجماعة كان يدخر جزءا من المال. وقد التمس مني بن سعيد مرتين أو ثلاثة، أثناء تواجدي بالجزائر، ان اودع في حسابه بمدينة جنيف بسويسرا مبالغ مالية بالعملة الفرنسية.

وحسب معلومات استقيتها من مصادر متعددة فإن ما قدمه الجزائريون للمغاربة من مساعدات مالية تبقى متواضعة مقارنة بما قدمته لهم المقاومة المغربية منذ استقلال المغرب الى حين حصول الجزائر على استقلالها. ففي بداية 1956 اجتمعت المقاومة في مدريد، ومن جملة القرارات التي اتخذتها منح الثورة الجزائرية خمسين ألف جنيه استرليني كان علال الفاسي تسلمها من الحكومة العراقية عام 1954. ونظمت المقاومة عدة اكتتابات سلمت مداخلها لممثلي جبهة التحرير الجزائرية.

واكبر مبلغ مالي سلمه الجزائريون للمغاربة بلغ ثلاثمائة مليون سنتيم على يد رئيس الجمهورية احمد بن بلة سنة 1963، وتم صرف اقل من مائة مليون على شراء آلة للسحب وادوات الطبع لجريدة الحزب، واحتفظ عبد الرحمان اليوسفي ببقية المبلغ.

استولى الهواري بومدين على السلطة في انقلاب 19 يونيو 1965، ودعته الحاجة لترسيخ سلطته الى المناداة على الضباط الذين عملوا في جيش الاستعمار والتحقوا في الربع الساعة الأخيرة بتونس لاعلان ولائهم لجبهة التحرير، ووجد فيهم الجنرال أوفقير حلفاء طبيعيين يجمعه معهم الماضي القذر في محاربة حركة التحرير الوطني في الفيتنام، وكان المسؤولون في الدولة يستقبلونه بحفاوة رغم صدور الحكم عليه بالسجن المؤبد في فرنسا بسبب اختطاف بن بركة. ووجد في احمد المدغري المغربي الاصل ووزير الداخلية الجزائري صديقا حميما زوده بكل ما يتعلق بأوضاع اللاجئين المغاربة، وسلمه مفتش الشرطة محمد رمسيس الذي التجا الى الجزائر بعد نجاته من الاعتقال بالمغرب.

وشرعت السلطة في التخلص من مراكز التدريب وأغلقت معسكرات سيدي خالد ونضرومة وتلمسان وجمعت الاسلحة، واستغلت النزاعات بين الجماعات المتصارعة واعتقلت عددا من المغاربة وقضى عمر الفرشي ستة

اشهر بالسجن ومحمد بن حمو، رئيس جيش التحرير السابق، سنة كاملة في باريكو البعيد عن وهران بثمانين كيلو مترا. وكان المعتقلون مرغمين على القيام باشغال شاقة، والقى الحراس الصحراوي الاغظف ولد بابا في صهريج للماء وكان بطبعه ينفر من العوم، وأفقدته الصدمة عقله وما لبث ان أسلم الروح.

وحينما وصل الفقيه البصري الى الجزائر في آخر سبتمبر 1966 كانت قد مضت أزيد من سنة على وجود صديقه أحمد بن بلة في معتقل سري وكان عليه ان يبذل جهدا لتحرير المعتقلين وترميم الصفوف المبعثرة، وساعدته المرونة التي يتسم بها في التعامل على لم شمل جماعات متناقضة ومتباعدة وكلف بعض عناصرها بمهام تنظيمية، الا ان تلك القرارات رفضها أصدقاؤه التاريخيون عبد السلام الجبلي وبن سعيد بشكل خاص وكذلك الحسين الصغير ومحمد البارودي وحميد برادة ورشيد سكيرج، وكان لهم رأيهم في بعض العناصر المشبوهة، وتمحور الخلاف حول منهجية العمل على المستوى السياسي والتنظيمي، وضرورة توفير الشروط الضرورية وفي مقدمتها الارتباط العضوي بالعمل الجماهيري وسط تنظيمات الحزب والعمال والقطيعة مع الفكر التبسيطي القائل باشعال الشرارة ليعقبها الحريق الضخم الذي يأتي على الاستبداد، ورفضوا ما كان يقوم به بن حمو وبونعيلات وقبلهما شيخ العرب مما مكن الحكم من تسليط القمع على المناضلين. ووجد هذا الخلاف صداه في مقالات نشرتها جريدة "**الحرية**" اللبنانية وحملت توقيع المستعار: "**مناضل تقدمي مغربي**" وفي السبعينات قامت دار إبن خلدون اللبنانية بطبعها في كتاب بعنوان: "**الصراع الطبقي في المغرب**".

وانتقلت الخلافات في الخارج الى الخلايا في الداخل وبعث محمد بن سعيد مراسلا يتصل بأصدقائه الذين سلم عناوينهم للفقيه لحثهم على عدم المشاركة في أي عمل يدعوهم اليه. وسادت البلبلة وسط المناضلين المرشحين للقيام بالعنف، ومروا بتقلبات عديدة أفضت الى أزمات واخفاقات متلاحقة. هذا إضافة الى عدم التزام الكثيرين بروح العمل السري وأظهروا استهتارا بالمسؤولية لا نظير له، وتباهى احدهم بانتمائه للمقاومة الفلسطينية وارسل صورة له الى اسرته بلباس الميدان ولم تجد الشرطة أدنى عناء في اعتقاله بمجرد عودته الى المغرب. وكان أحد الوسطاء يأتي الى وهران بصور يدعي أن اصحابها يرغبون في الانضمام الى الثورة، وقد يكونوا سلموها له مقابل وعود بايجاد عمل لهم، لكن المهم بالنسبة اليه هو ان يتقاضى مبلغا من المال كتعويض عن التنقل بين الجزائر والمغرب. (48)

ومثل هذه التصرفات عبر عنها محمد بنونة في رسالة الى الفقيه البصري وقال بأن مراسلين يجمعون بين (العمل الوطني) وتهريب البضائع ويركضون وراء الربح المادي باسم الثورة: "**ليسوا مناضلين مادام البقشيش هو**

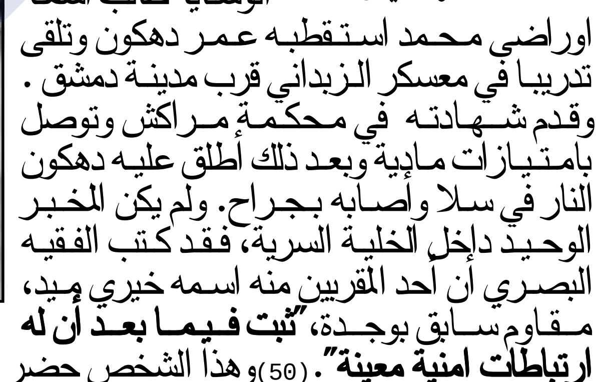
48 - حديث مع عمر الفرشي بالدار البيضاء في 31-5-1994

الرابط، وأسلوب الترضية سائدا وعقلية الولاء كامنة في نخاعهم وما الى ذلك من رواسب مجتمع الأقطاع ..." (49)

واذا كانت حملات الطرد قد جعلت حدا لحضور موظفين من انصار المعارضة في الجهاز الاداري وحرمتها من التعرف على مخططات السلطة واهدافها، فإن جماعة قليلة من مفتشي الشرطة يسيرها محمد تانوتي مقاوم وعضو سابق في جيش التحرير، اتقنت فن الوصول الى معلومات امنية في غاية السرية. فقد كان تانوتي ضابطا للشرطة ومسؤولا عن المنافذ الجوية والبرية في الحدود بين مدينة وجدة والجزائر، واكتشف عددا من المخبرين الطلبة والتجار والمهربين للبضائع.

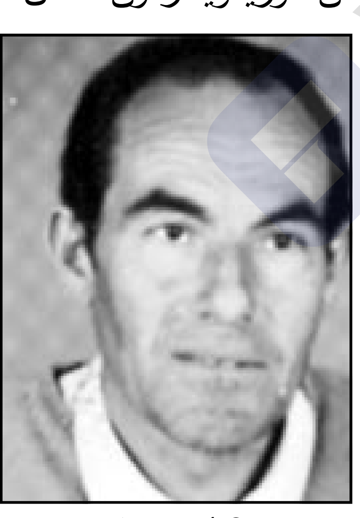
● محمد تانوتي

وفي احد الايام توصل بتقرير سري جدا حول اشخاص قدموا من سوريا ويعتزمون التسلل الى المغرب من باب سبتة المحادية لتطوان.



● محمد رمسيس

وكان مصدر الوشاية طالب اسمه اوراضي محمد استقطبه عمر دهكون وتلقى تدريبا في معسكر الزيداني قرب مدينة دمشق . وقدم شهادته في محكمة مراكش وتوصل بامتيازات مادية وبعد ذلك أطلق عليه دهكون النار في سلا واصابه بجراح. ولم يكن المخبر الوحيد داخل الخلية السرية، فقد كتب الفقيه البصري أن أحد المقربين منه اسمه خيري ميد، مقاوم سابق بوجدة، "**ثبت فيما بعد أن له ارتباطات امنية معينة**". (50) وهذا الشخص حضر



● أحمد عزام

49 - Mehdi Bennouna, Héros sans gloire, echec d'une révolution 1963-1973, Trik édition, Casablanca 2002, p. 343.

50 - محمد البصري الفقيه، كتاب العبرة والوفاء، حوار مع حسن نجمي نشر مؤسسة الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الدار البيضاء 2002ص136.

اجتماعا في مدينة مالاكا في آخر أكتوبر 1969 مع الفقيه وبونعيلات وأحمد بن جلون والنمري وتقرر فيه تسريب الأفراد إلى المغرب من مدينة مليلية المحتلة بدلا من سبتة التي افتضح أمرها. وتدفق البوليس المغربي على المدينة الواقعة تحت السيطرة الاسبانية، فرجع بن جلون إلى مدريد والتحق به الواشي الذي دخل إلى وجدة وغادرها على متن سيارته دون اي ازعاج.(51) وهو نفس الشخص الذي استقبل المتسللين من مليلية إلى الناظور، وبمجرد وصول اثنين إلى مسقط رأسهما ألقي عليهما القبض واعترف كل من الختير بن سعيد ومسعود بقضائهما ليلة في بيت مفتش الشرطة أحمد عزام بالناظور، وهذا اعترف بالمفتش محمد رمسيس الذي تمكن من الهروب وسلمته الجزائر إلى المغرب، ومن جهته اعترف انه يتلقى التعليمات من ضابط الشرطة محمد تانوتي، وهكذا تم القضاء على شبكة تعمل داخل جهاز الأمن.

وانس مخبر آخر اسمه إبراهيم المناضي في خلية سرية وكان يعمل فلاحا صغيرا في قرية أمزميز بناحية مراكش، وساعد الشرطة على اعتقال عبد إلرحمن شجار أحد العائدين من سورية. وامتدت الإعتقالات إلى اسبانيا حيث ألقى البوليس القبض على بونعيلات وبن جلون وسلمهما إلى الأمن المغربي، وتدخلت السفارة السورية في مدريد لإطلاق سراح أربعة مغاربة كانوا يحملون جوازات سفر سورية. ولعب بعض الطلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم في الجزائر وسوريا وينتمون إلى الاتحاد الوطني أدوارا خطيرة في التجسس واستفادوا بعد عودتهم إلى المغرب من وظائف ممتازة في مختلف الأجهزة الإدارية والتعليمية وتمت ترقية عدد منهم بمنحهم شهادات علمية مزورة وبهدف التمويه وإخفاء تعاملهم مع الشرطة السرية، قام عدد من أولئك العملاء بالإدلاء باستجوابات صحفية ونشر بعضهم مطبوعات في السنوات الأخيرة لتضليل الجيل الجديد وإخفاء دورهم المخجل في دفع عدد من المناضلين إلى مصقلة الإعدام.

وأظهرت محاكمة مراكش الكبرى في سبتمبر 1971 أن التنظيمات لم تكن سرية ولا تتوفر على مسيرين أكفاء ولا على قيادة ميدانية حقيقية. وبلغ عدد المتهمين 193 وأحضرت الشرطة أربعة وشاة كشهود ادعوا أن **"الانقلابيين"** كانوا يعتزمون ارساء النظام الجمهوري، وكحجة للاثبات وضعت فوق الطاولة قطع من الاسلحة الخفيفة لا تكفي لتسليح ربع المعتقلين الذين لم يقتلوا ولم يجرحوا أحدا، وهو ما اثار شكوك ممثلي المنظمات الحقوقية الدولية وجعلهم يقتنعون بأن القضية تنحصر في القضاء على حزب لا يرضى عنه الحكم، وزاد من تثبيت قناعتهم تعيين ثلاثة قضاة من عملاء الاستعمار، وهم: رئيس المحكمة محمد اللعبي وكان مستشارا للسلطان بن عرفة وحجزت أملاكه بعد الاستقلال وحرم من حقوقه المدنية ثم أعاد له الحكم الأملاك المحجوزة وكلفه بمحاكمة الذين كافحوا

51 - محضر الاستماع إلى بونعيلات، م. س.



● جانب من محاكمة مراكش الكبرى

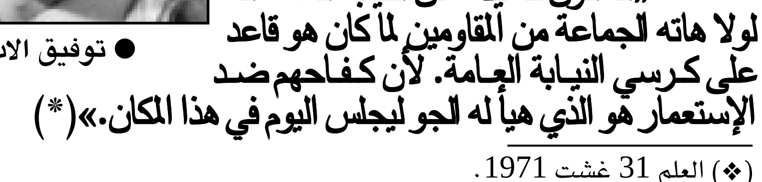
من أجل الاستقلال. والقاضي حسن الحجوي وهو من مساعدي برونيل رئيس ناحية وجدة في عهد الاستعمار، وقام بإصدار أحكام قاسية على الوطنيين سنة 1953. والقاضي الثالث هو العقيد الأخضر ضابط سابق في الجيش الفرنسي. وكانت تسيطر عليهم روح الإنتقام من مناهضي الإستعمار والإستبداد.

ولما بدأ المحامي توفيق الإدريسي، وهو من ضحايا التعذيب، يقدم وصفا عما تعرض له هو و رفاقه من تنكيل، قاطعه ممثل النيابة العامة قائلا:

–لا داعي لإضاعة الوقت في الحديث عن التعذيب، فهو شيء حقيقي معمول به.

ونطق بسب فاحش في حق المقاومين من أجل إستقلال الوطن. وهو ما رد عليه المعتقلون بالإحتجاج وقاطعوا المحاكمة بإلتزامهم الصمت.





● توفيق الادريسي

وصاح الأستاذ عبدالرحيم بوعبيد:

– «أنا أقول للسيد ممثل النيابة العامة أنه لولا هاته الجماعة من المقاومين لما كان هو قاعد على كرسي النيابة العامة. لأن كفاحهم ضد الإستعمار هو الذي هيأ له الجو ليجلس اليوم في هذا المكان.»(*)

(*) العلم 31 غشت 1971.

ولم يشعر هؤلاء القضاة الذين يجرون وراءهم تاريخا غير نظيف بأي اثم وهم يصدرون أحكاما بالاعدام على خمسة اشخاص والاشغال الشاقة المؤبدة على ستة ومن عشرة سنوات إلى ثلاثين سنة على الباقين، ومن ضمنهم 25 من الاساتذة والمحامين والموظفين والطلبة.

بعد النطق بالحكم فوجئ القضاة وهم يشاهدون المعتقلين واقفين يرددون بصوت واحد نشيدا ثوريا يقول مطلعه :

سقط القناع عن الوجوه الغادرة
وحقيقة الشيطان بانت سافرة

بعد هذه التطورات الواقعة بالمغرب لم يبق للمعارضين ما يفعلونه في الجزائر وقد اصبحوا هدفا للاضطهاد والاستفزازات البوليسية خاصة بعد زيارة الهواري بومدين للمغرب في 1969/1/15. وظلت جماعة من المثقفين الجزائريين الملجأ الوحيد للاجئين المغاربة تدافع عنهم وترفع أصواتها بالاحتجاج على أوضاعهم المزرية ومعاناتهم كما كان يفعل حزب **الطليعة الاشتراكية** في صحيفته السرية، وتتوسط أحيانا في الحصول للراغبين في مغادرة البلاد على جواز سفر لمدة محدودة، أو إيجاد عمل مؤقت للمتوفرين على مؤهلات ثقافية، وكان من أبرز أعضاء تلك الجماعة المثقفة والملتزمة الاستاذان عبد المجيد مزيان وعبد الجليل معاشو وكانا من مساعدي الرئيس بن بلة، ومدير الإذاعة عيسى مسعودي، ورئيس تحريرها المدني حواس، والمحامي رشيد النجار، ومدير التلفزة محمد زيتوني، والصحفيون الهاشمي الشريف، الحسن بن بلقاسم، حراث بن جدو، الازهري شريت، علي مروش، الهاشمي بونجار، الشاعر محمد بوزيدي، ومحمد حربي مدير الاسبوعية **"الثورة الأفريقية"**، والمنور مروش مدير صحيفة **"المجاهد"**، ورئيس تحريرها يوسف فتح الله والكاتبان عبد الحميد بن هدوگة ومحمد بودية والروائي الطاهر وطار وغيرهم، إلا أن معظم هؤلاء المثقفين طالهم القمع أو وجدوا انفسهم مهمشين أو منفيين خارج وطنهم (*).

لم يكن أمام المعارضين المغاربة سوى البحث عن أرض أخرى تقبلهم، فعاد عدد منهم إلى المغرب ليموتوا في اشتباكات مع القوات الحكومية كما فعل شيخ العرب وجماعته، وولى آخرون وجوههم شطر

(❖) محمد بودية مثقف ثوري شارك في الثورة الجزائرية، وبعد الإستقلال أصبح مديرا للمسرح الوطني، ثم تركه لينخرط في المقاومة المسلحة الفلسطينية. وفي 28 يونيو 1973، قتلته عصابة صهيونية بتفجير سيارته في الحي اللاتيني بباريس. بينما يوسف فتح الله أصبح مسؤولا في منظمة تدافع عن حقوق الإنسان، فقتلته المخابرات العسكرية في الجزائر العاصمة.

سورية وليبيا لضمان الحد الادنى من حرية الحركة. لكنهم كرروا نفس الاخطاء التي اقترفوها فيما مضى حيث انس وسطهم بعض المخبرين، ولم يراعوا قواعد العمل السري وافتقروا بشكل عام إلى اليقظة الثورية. (52)

فالخلايا التي تأسست بالداخل بقيت تعمل على هامش الحزب ولا ترتبط بقواعده إلا بالتعاطف والانتماء الايديولوجي في غياب أشكال الكفاح الاخرى ، وفقدت القدرة على العمل في ظروف اتسمت باستفحال الخلافات الداخلية، وادت الازمة العامة إلى عزلتها عن الجماهير. وعلى ارض الواقع خلفت شراسة القمع الركون والانكماش، وساهم قادة الاتحاد المغربي للشغل الانتهازيون في اجهاض الاضرابات العمالية ووقفوا بشكل سافر في جبهة الحكم الذي اغدق عليهم العطاءات المالية والضيعات الفلاحية ومكنهم من تسيير مؤسسات الضمان الاجتماعي التي بلغ ما نهبوه منها ملايير الدراهم .

في تلك الفترة التي غاب فيها كل نشاط جماهيري واستولى الجمود على سكان المدن والبوادي اعتقد الكثير من الشباب الذين التحقوا بالنضال في نهاية الستينات في امكانية اقبال الجماهير على الكفاح المسلح، وكانت مشاركة عدد منهم ضمن المقاومة الفلسطينية في هجومات ضد الاحتلال الاسرائلي عاملا فعالا في تحمسهم وتأثرهم بأجواء النضال في لبنان وفلسطين. وزادت محاولتا الانقلاب في 10يوليوز 1971و 16غشت 1972 في قناعتهم بأن الحكم لم يفقد فقط السند الشعبي بل تجرد حتى من ولاء المؤسسة العسكرية وأصبح معزولا، ولابد من تسريع انهياره بشن حرب عصابات من شأنها ايقاظ الفقراء من سباتهم العميق.

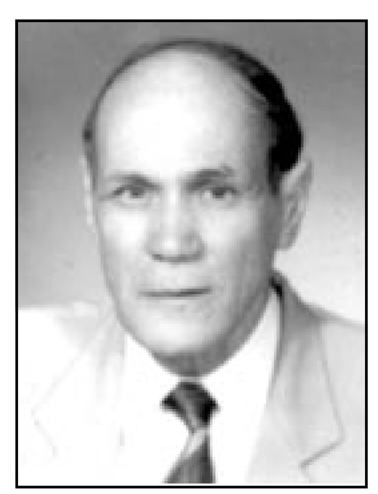
ولتعويض انعدام العلاقة العضوية بتنظيمات الحزب الموازية، الجماهيرية والشبابية والعمالية، انطلقت من اذاعة **"صوت التحرير"** من ليبيا في مطلع سنة 1972حملة دعائية تحريضية وجد فيها المقهورون نوعا من التنفيس عن همومهم.

وعلى الرغم من أن اولئك الشباب، او بعضهم على الاقل، كانوا يسترشدون بما استوعبوه من نظرية الحرب الثورية، فلم تكن لهم أية وسيلة لمعرفة بدقة مزاج الجماهير وحالة السكان ودرجة وعيهم واستعدادهم للانخراط في العمل المباشر. والى جانب البرنامج السياسي الغائب، غاب أيضا **"التنظيم الثوري الصلب بجناحيه السياسي والعسكري. ليس من يصادق نفسه منا ويصادق الناس أن يدعي ان ما لدينا هو تنظيم سياسي ثوري صلب. ان تنظيمنا ماهو بسياسي ثوري ولا هو بصلب"** (53)

لكن من ارغم **(محمود)** المقتنع بانعدام التنظيم الثوري على الاعتصام بجبال الاطلس المتوسط وكله عزم على ملاقاة الموت ؟ على هذا السؤال

52 - حديث مع الاستاذ توفيق الادريسي بالدار البيضاء في 19-3-2002.

M. Bennouna, Heros sans gloire, op. Cit. p. 349. - 53



● العربي ساهر الفكيكي

أجاب العربي ساهر الفكيكي وهو من أحد الذين رافقوه من وهران الى الحدود بأنه كان شاكا في حظوظ النجاح ويعيش أزمة نفسية بسبب خلاف بينه وبين الفقيه البصري على طريقة العمل. (54)

لم يقع الاختيار على منطقة الاطلس المتوسط نتيجة لتوفرها على الشروط الذاتية والموضوعية بل لأن مقاومين كانت لهم علاقة بالفقيه البصري أيام جيش التحرير ومن أبناء الأطلس انضموا الى التنظيم السري، وكونوا خلايا من أفراد قبائلهم وعشائرهم، وهذا ما لم يتيسر في مناطق جبلية أخرى مثل الريف وسوس، وبما أن قدماء جيش التحرير كانوا جاهزين للقيام بشيء ما، فإن الذاكرة المرتبطة بأبطال المقاومة للاستعمار في تلك الجهة من أمثال موحى وحمو الزياني في العشرينات من القرن الماضي أحيت أسطورة الكفاح الشعبي في وجدانهم وسوغته وجعلت منه فوزا محتملا نظرا لتأزم الأوضاع الاقتصادية التي ستدفع الجماهير المسحوقة الى التحرك بمجرد إشعال فتيل الثورة، وهو تفكير استند الى تقديس العفوية في ظروف مخالفة للخمسينيات حينما كان الشعب وجها لوجه مع الاحتلال الاجنبي. (55)

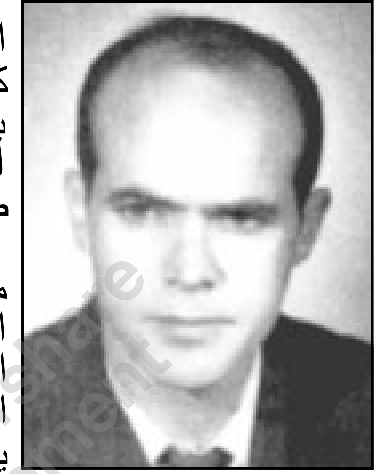
وأبدى محمود شكوكه رغم اعتقاده ان شرط ايجاد جذور وسط الجماهير **"يتوفر حاليا وتنظيميا في الاطلس، هذا هو الامل الذي يبرق دوما امامنا ويبقى الامكانية الوحيدة... والأمل هو أن لا يكون هذا النوع من تنظيمنا هو أيضا** "كرة ماء الصابون" **كما اتضح بالنسبة للكثير من** "الامكانيات". (56)

توغل **(محمود)** في منطقة الأطلس مع 16من رفاقه في آخر يناير 1973وسبقه اليها ابراهيم التيزنيتي **"النمري"** مع عدد من أبناء تلك الجهة بمدة تفوق السنة، واصطدموا بالحقيقة العارية وهم وسط جماهير قروية منعزلة في منطقة جبلية نائية لا علاقة لها أصلا بالحزب السياسي ولا بالتنظيم الثوري، تصارع قساوة الطبيعة في انشغال كامل بفقرها وتعاستها.

بدأت الهجوم فرقة من حوالي عشرين مسلحا برآسة **"النمري"** يوم 3 مارس 1973واقتحمت مركزا للحراسة في قرية مولاي بوعزة الجبلية

54 - حديث مع العربي ساهر بالدار البيضاء في 23-3-1994.
55 - أنظر : الفصل الثالث : العفوية في الكفاح المسلح.
56 - B. Heros sans gloire, op. Cit. p. 349.

بالقرب من مدينة خنيفرة، ويروي احد المشاركين في الهجوم بأن الهدف كان الاستيلاء على السلاح، ولما اطلقوا النار وقتلوا الحارس لم يجدوا من يدلهم على مخزن السلاح والذخيرة، فانسحبوا لتبدأ بعد ساعات المطاردة التي شارك فيها القرويون. (57)



● محمد بنونة «محمود»

وفي يوم 6 مارس 1973 طوقت القوات الحكومية منزلا في **املاگو** على بعد سبعين كيلو مترا من كلميمة كان يختفي فيه محمد بنونة الشاب المهندس المتخرج من جامعة المانية، واسفر تبادل اطلاق النار عن قتله رفقة صديقه مولاي سليمان العلوي.

لقد خانهما المراسل وهو برتبة شيخ أي موظف، وكان المنزل الذي نزلا فيه في ملك المقدم وهو ايضا تابع لسلطة القائد، وانطلق البحث عن باقي المسلحين. وظهر أن بناء المواقع الثورية كان على فراغ، اذ ان من يرغب في توجيه ضربة الى جهاز السلطة بالاعتماد على أعوانها كمن يحاول ضرب الحصان بذيله. وكان نقل دعوة التحرير بمفهومها الوطني الى القرويين مستحيلا مع اغفال الطابع المحلي والقبلي، اذ اضطر **(محمود)** الى الاستعانة بسليمان ليترجم له ما يقوله الى اللهجة الإمازيغية.

كان رد فعل الحكم عنيفا وداميا وأجبرت القوات سكان تلك المناطق على المشاركة في البحث عن المسلحين، فسقط بعضهم في الاشتباكات مثل النمري وأسكور محمد والقي القبض على أغلبهم ووقع آخرون في الاعتقال نتيجة لخيانة داخلية كما

● إبراهيم التزنيتي «النمري»

● محمد أسكور «كاسترو»

57 - احمد بويقبة "لاتحاد الاشتراكي" 17-11-2000.

حدث لعبد الله المالكي الذي اندس مخبر في خليته، وسلم آخرون أنفسهم الى الشرطة وبشكل خاص في بني ملال.

وفوجئ أبناء المنطقة الذين اعتقدوا خطأ أنهم في تربة خصبة للقيام بالمسيرة المظفرة، بجماهير خاملة غير مستعدة لمواجهة قوات **"المخزن"**. وتجند السكان في تاغيغاست وفي غيرها من جهات الأطلس للبحث عن المسلحين يقودهم المقدمون والشيوخ وتقتفي أثرهم من الخلف الفرق الأمنية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة.

وتبين أنه ليس في مستطاع الظلم الاقتصادي والاجتماعي ان يفجر غضب الفيئات الفقيرة ويدفعها الى التمرد مادامت تقبل مواصلة العيش كالسابق، إذ لا يمكنها حتى في حالة التعاطف سوى التفرج على اولئك **"الشجعان"** الذين يؤدون ضريبة القمع من أجسادهم نيابة عنها ومن اجل اسعادها.

وفي بعض القرى الجبلية أعطت رابطة الدم وأواصر القرابة برهانا ساطعا على صمود التضامن القبلي في وجه القوات النظامية وامتناع السكان عن إفشاء أماكن المبحوث عنهم من ذويهم. وأدت قبيلة آيت خويا ثمنا باهظا حيث وقع اغتصاب النساء ونهب الأملاك في كل من البروج وبويجمايل وتغاط، وكانت النكبة عامة وشاملة لأن عددا من الثائرين ينتمون إليها، وفي أزغار اقترفت فظائع مماثلة، وكان الأطفال موضوع تهديد بالقائهم من الطائرات المروحية اذا لم يستسلم اباؤهم.(58)

كان المعذبون يسلطون إشعة الضوء ليلا على المعتقلين ويجردونهم من ملابسهم ويصبون الماء على أرض الزنزانة مما يجعل الإستلقاء على الأرض والنوم مستحيلا خاصة في أيام البرد، ويعرضونهم للإرهاق ويخضعونهم للجوع، وسبق المستعمرون أن مارسوا جميع تلك الأساليب إلا أن جهاز القمع المغربي الذي إستلم منهم أدوات التعذيب أضاف إليها أسلوب الصدمة/الصاعقة التي تفتك بنفسية المعتقل الصامد حينما يدخلون عليه في زنزانته زوجته أو أخته أو أمه وهي عارية تماما ويهددونه بفعل أشياء أخرى أمامه إذا لم يعترف بكل الإتهامات المنسوبة إليه. (59)

وفي 25 يونيو 1973 قدمت امام المحكمة العسكرية بالقنيطرة جماعة أولى تتكون من 149 شخصا بتهمة تهديد امن الدولة. وحسب ما جاء في صك الاتهام فإن المتهمين اطلقوا النار في يناير وبرائر من عام 1973 على جاسوسيين ميلود الغربي في وجدة ومحمد أوراضي في سلا وكانا داخل الخلايا السرية، و وضعوا قنبلتين في مسرح محمد الخامس وبالقرب من السفارة

58 - شهادة في اسبوعية "الأيام" عدد 36، الدار البيضاء في 15-5-2002.

59 - هذه المعلومات إستقيناها من أفواه بعض المعتقلين في أحداث مولاى بوعزة سنة 1973.



● جانب من محاكمة عمر دهكون ورفاقه

الأمريكية بالرباط، وثالثة تحت سيارة تابعة للقنصلية الأمريكية ورابعة في المكتبة الأمريكية بالدار البيضاء، وكلها لم تنفجر، والسبب هو ضحالة المعلومات التقنية المستعملة، وانفجرت قنابل أخرى في وجدة وخنيفرة وخلفت خسائر طفيفة.

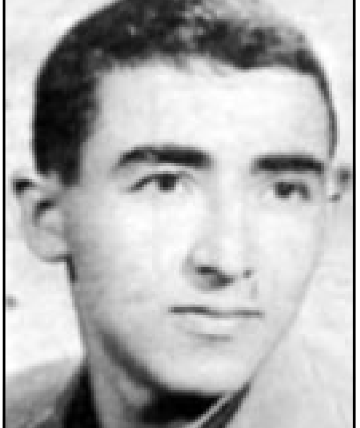
وصدر الحكم بالاعدام على 16 شخصا والباقون بالسجن، وفي اليوم الثاني من نوفمبر الموافق لاحتفال المسلمين بعيد الأضحى تم تنفيذ الاعدام في 15 متهما، وهم : عمر دهكون، اجداين مصطفى، محمد بن الحاج الحسين، موحى نايت بري، آيت عمي لحسن، عبد الإله بن محمد، يوس مصطفى، محمد حسن الادريسي، بارو مبارك، لحسن آيت زايد، حديدو أوموح، عبد الله أمحزون، دحمان سعيد نايت غريس، لحسن تاغجيجت، محمد بن الحسين (هوشي مينة).

وتأخر تنفيذ الاعدام في سبعة آخرين الى يوم 27-8-1974 وهم : ادريس المّلياني، محمد المهتدي، بوجمعة جناح، محمد الحجيوي، ميري بوجمعة، سعيد أوخويا، موحى اوحمو.

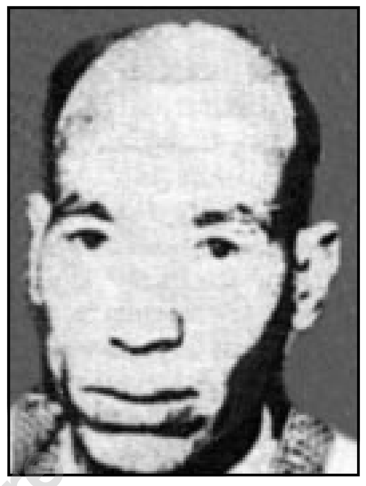
وقتل تحت التعذيب سالم أومسعود وبلقاسم مجاهد، وتصاعدت اعمال الخطف والتعذيب ذهب ضحيتها الحسين المانوزي، وقبله النقابي عبد الحق الرويسي



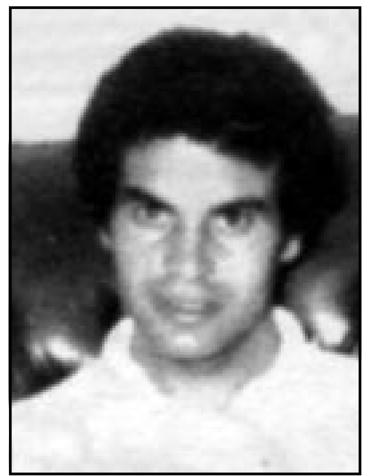
● عبدالحق الرويسي



● الحسين المانوزي



● بلقاسم وزان



● عمر الوسولي

وعمر الوسولي، وتوسعت مراكز الاعتقال السري في مختلف جهات البلاد. فهناك دار المقري بالرباط، ودرب مولاي الشريف وأنفا بالدار البيضاء، وتاكونيت واكدز وسكورة وقلعة مكونة وكلها بناحية ورزازات، وبوزمو بناحية ايميلشيل، ومعتقل في ميدلت، وتازمامارت بناحية الريش.

وطال القمع الحركة الماركسية اللينينية التي كانت تتكون من "23 مارس" و "إلى الأمام" فالأولى ضمت الطلبة وبعض الاساتذة، وشباب من الاتحاد الوطني وفي سنة 1971 انشق عنها تيار اطلق على نفسه "لنخدم الشعب" والثانية انفصلت عن الحزب الشيوعي "التحرر والاشتراكية". وكان المثقفون الماركسيون متحلقين حول مجلة "أنفاس" باللغتين العربية والفرنسية الصادرة في مايو 1971 وتمثل منبرا نظريا يختلف عن خطاب الاحزاب الوطنية البورجوازية. ولم يكن الحكم الذي منع تدريس الفلسفة وعلم الاجتماع ليسمح بنشر الفكر العلمي وسط الشباب، فعمد الى اعتقال مديرها الشاعر عبد اللطيف اللعبي وأعضاء هيئة التحرير في يبرائر 1972. وقدم العشرات من الماركسيين في صيف 1973 للمحاكمة بالدار البيضاء، وحولها المثقفون الشباب الى محاكمة للنظام وأبانوا عن قناعتهم بالمبادئ في مواجهة القضاة. وفضحوا التعذيب الذي استهدفوا له في مراكز الاعتقال، وكان 44 منهم شنوا اضرابا عن الطعام في سجن غبيلة من أجل تحسين ظروف جميع المعتقلين واثر نشاطهم السياسي والتحريضي داخل السجن في باقي المعتقلين البعيدين عن النشاط السياسي. وصدر الحكم بالسجن المؤبد على الغائبين منهم بهدف شل حركتهم وإرغامهم على اللجوء إلي خارج المغرب، بينما حوكم الحاضرون بعشر سنوات وخمسة عشر سنة سجنا من أجل أفكارهم. وواجهوا تلك الأحكام القاسية بنشيد ثوري يتغنى بمجد الشعب وحتمية انتصاره، وكان موقفهم حديث الراي العام في الشارع.

وفي يناير 1973 أقدم الحكم على حل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب واعتقل قيادته، وفي مارس منع النقابة الوطنية للتلاميذ وجمد نشاطها بالقاء



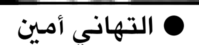
● سعيدة المنبهي

القبض على مسيريها.

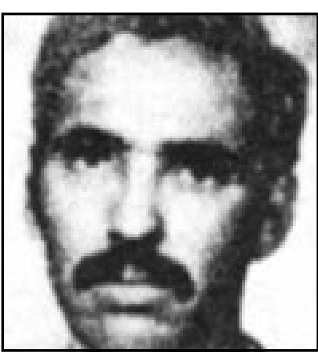
وفي عام 1974 استغلت الشرطة السياسية حالة التشرذم التي كانت عليها التنظيمات اليسارية واستعانت بالمخبرين المندسين فيها، والقت القبض على عناصرها القيادية وشملت الاعتقالات 120مناضلا من تنظيم ابراهام السرفاتي وحده، واتخذ الحكم من موقفهم بضرورة تقرير المصير في الصحراء سلاحا لعزلهم عن الشعب. وسقط عدد من أطرهم ضحايا التعذيب كان من ضمنهم عبد اللطيف زروال، وأستاذة الأدب الفرنسي سعيدة المنبهي البالغة من العمر اثنين وعشرين ربيعا، واظهرت امام المحكمة شجاعة نادرة في استخدام الفكر العلمي لدحض مزاعم القضاة ورفض منطقهم التجريمي، فأضافوا سنتين الى الحكم الذي اصدروه في حقها بتهمة القذف وأبانت عن روح الصمود وهي تجابه الموت طيلة اربعين يوما من الاضراب عن الطعام وأسلمت الروح يوم 11 دجنبر 1977، واستهدفت فاطمة عكاشة وربيعة الفتوح لشتى أشكال التعذيب وبرهنت المناضلات وهن في عنفوان وطراوة الأنوثة أن كينونتهن تتحقق في صون الشرف وتحقيق حرية وكرامة الرجال والنساء.

وفي تلك الظروف قتل آمين التهاني في معتقل درب مولاي الشريف، ولفظ عبد الحق شباضة انفاسه، ومات رحال جبيهة وهو يحاول التخلص من ظلام السجن والفرار من المستشفى بالرباط. وعلى مدى عقد من الزمن قضى عشرات الشباب، ومعظمهم متعلمون، نحبهم تحت التعذيب من أمثال محمد كرينة في أكادير بسبب مشاركته في





● التهاني أمين



● عبداللطيف زروال



● المثقفون الثوريون أمام محكمة الدارالبيضاء

● محمد كرينة

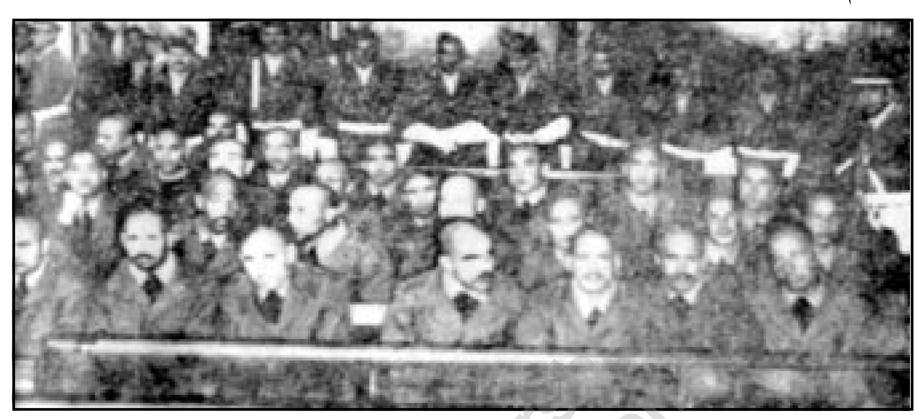
التضامن مع الثورة الفلسطينية، وعبد الحكيم المسكيني في بني ملال، وعبد السلام المودن، ومناصير عبد الله، وحمزاوي، وبومليل، وبوبكر الدريدي ومصطفى بلهواري في مراكش.

واستعمل الحكم المطلق الشمولي في السيطرة على جميع مرافق الحياة الإجتماعية وسائل القمع البوليسية والعسكرية، وجعل من الأجهزة الإدارية حزبا سريا يشرف عليه وزير الداخلية ويؤطره الولاة والقياد والشيوخ والمقدمون والجواسيس، وتنحصر مهمته في تجنيد فقراء الشعب للإدلاء بأصواتهم في صناديق الإنتخابات المزيفة، أو للقيام بالغناء والتصفيق وإظهار الفرح أثناء مرور مواكب الوزراء وكبار موظفي الدولة في الشارع العام.

وتسببت الأزمات الإقتصادية والسياسية والأخلاقية وتناقضات الحكم الداخلية في حدوث الإنقلاب الأول والعلني يوم 10 يوليوز 1971 في ذكرى الإحتفال بعيد ميلاد الملك. وأسفر إطلاق النار في حدائق قصر الصخيرات بالقرب من العاصمة عن قتل أزيد من مائة وجرح مائة وثلاثين من المدعوين للإحتفال. وإذا كان المنفذون تلاميذ مدرسة أهرمومو العسكرية (60)، فإن قادة الإنقلاب كانوا من

60 - أهرمومو قرية في الأطلس المتوسط تقع على ارتفاع 1180م، مشهورة بصناعة الزرابي وهي نوع من السُّجاد الصوفي الرفيع، وتبعد عن مدينة فاس بـ 47 كيلوميتر.

البارزين في قيادة الجيش ومن أحسن ضباطه. لاعلاقة لهم بالسياسة ولا بالمعارضة، ولم تكن لديهم نوازع ديمقراطية وبعضهم حارب في صف جيش الإستعمار الفرنسي المقاومة الوطنية في جبال الريف بالمغرب سنة 1925-1926، وحركة التحرير في الفيتنام (1946-1954).



● جانب من محاكمة التلاميذ الضباط

وتحت أزيز الرصاص المنطلق من كل إتجاه نشب الخلاف بين الجنرال المدبوح والكولونيل اعبابو انتهى بقتل الأول بينما أجهز أنصار المقتول على حياة الثاني. وكانت مناسبة استغلها الجنرال أوفقير ليظهر بمظهر «الخادم الوفي» للملك، وقاد حملة تصفية لرفاقه، وانتقلت المواجهات إلى مدينة الرباط في محيط مبنى الإذاعة وبعض الوزارات ونتج عنها مقتل حوالي مئتي عسكري من ضمنهم اربع جنرالات وثلاثة برتبة كولونيل، بينما تم تنفيذ حكم الإعدام بعد محاكمة سريعة، في عشرة آخرين منهم أربع جنرالات: بوكرين، حمو، حبيبي، مصطفى، وخمسة برتبة كولونيل، إضافة إلى الكومندار إبراهيم المانوزي من قدماء جيش التحرير.

وبذلك ساق أوفقير عشرين من كبار ضباط الجيش إلى قبورهم بعد أن كان مشاركا في مخططهم الإنقلابي.

وفي الصيف الموالي أي يوم 16 غشت 1972 استُهدفت الطائرة الملكية العائدة من باريز وعلى متنها الملك والحاشية إلى هجوم طائرات حربية في سماء مدينة تطوان، غير أنها تمكنت من الهبوط في مطار الرباط. وفي نفس اليوم لقي أوفقير حتفه برصاصات قاتلة بعد إلقاء القبض عليه.

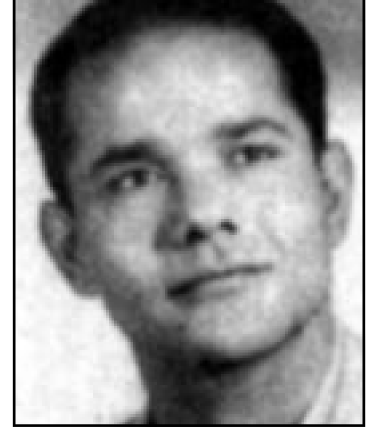
وإذا كان الجنرال أوفقير هو المنظم الفعلي لمحاولة الإنقلابية الثانية، فإن المنفذين كانوا في معظمهم منحدرين من أوساط شعبية ومن ذوي الرتب العسكرية الصغيرة والمتوسطة. وكانت نهاية حياة 11 منهم أمام خشبة الإعدام ليلة عيد الأضحى من شهر يناير 1973.

وفي ظروف اشد قساوة وبطشا مات في معتقل تازمامارت 30عسكريا من مختلف الرتب.



● جانب من محاكمة ضباط الجيش الملكي

ولئن انتهى أوفقير جسديا فإن الظروف التي أنجبته ظلت قائمة وتواصلت أساليبه في القمع على يد تلاميذه، وتلقى عمر بن جلون ومحمد إليازغي طردين ملغومين نجا منه الأول وأصيب الثاني بجراح خطيرة، وبدا أنه لم يعد مسموحا بالمعارضة ولو كانت منحصرة في التعبير الشفوي عن الراي المخالف. ولم يتأخر الاجهاز على عمر بن جلون بطعنات الخناجر في واضحة النهار يوم 18دجنبر 1975. وتمت مواجهة المظاهرات السلمية في سنوات -84-1990 81بالوسائل القمعية الضخمة وقتل المآت من أبناء الشعب.



● عمر بنجلون

ومن بين الحقائق التاريخية المسكوت عنها رقم يعبر عن ثقافة القسوة والعنف، وهو أن عدد الأشخاص الذين أعدموا في عهد الإستقلال بلغ 64 في حين أن عدد الذين أعدمهم الاستعمار في سنوات الكفاح المسلح في الخمسينات بلغ 23شخصا.

وسحبت تلك الأوضاع المأساوية ظلالها على نفوس المغاربة الذين يرون في الاستقلال نقمة وتقهقرا نحو الأسوأ وتدميرا للآمال المتطلعة للخروج من التخلف والسير في ركاب الحضارة الانسانية.

لقد جاء اعتلاء الملك محمد السادس سدُة الحكم في ظروف معقدة وكان الإرث ثقيلا وشائكا في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ورغم ذلك إستبشر المغاربة واستشفوا النذر الأولى المبشرة بمستقبل واعد. فدقت نبضات



● صاحب الجلالة الملك محمد السادس وإلى جانبه شقيقه الأمير مولاي رشيد

قلوبهم وتطلعت أعينهم إلى المغرب الجديد الديمقراطي الحداثي. ويعلقون آمالا جمة على التجربة الجديدة للخروج من النفق المظلم، لأنهم شبعوا من السجون والتعذيب والموت والدفن في المقابر الجماعية، ولايريدون العودة إلى زمن الإختطاف والاغتصاب والقهر الجسدي والقمع الفكري، بل ويرفضون سماع الإهانات والسب الفاحش مثل ذلك الذي تفوه به وزير الداخلية ادريس البصري في الثمانينات حينما وصف ضحاياه القتلى بـ **«شهداء كوميرة»** بعد أن سحقت القوات المئات من الطالبين بالخبز في شوارع الدار البيضاء. إذ ليس هناك دين ولا أخلاق ولا أعراف تجيز لوزير أن يجعل من أرواح الناس الجائعين موضوعا للإستهزاء والسخرية في وقت يراكم فيه ثروة فاحشة بدون حق ويدوس بحذاءه على جثث المواطنين المحرومين من كل شيء.

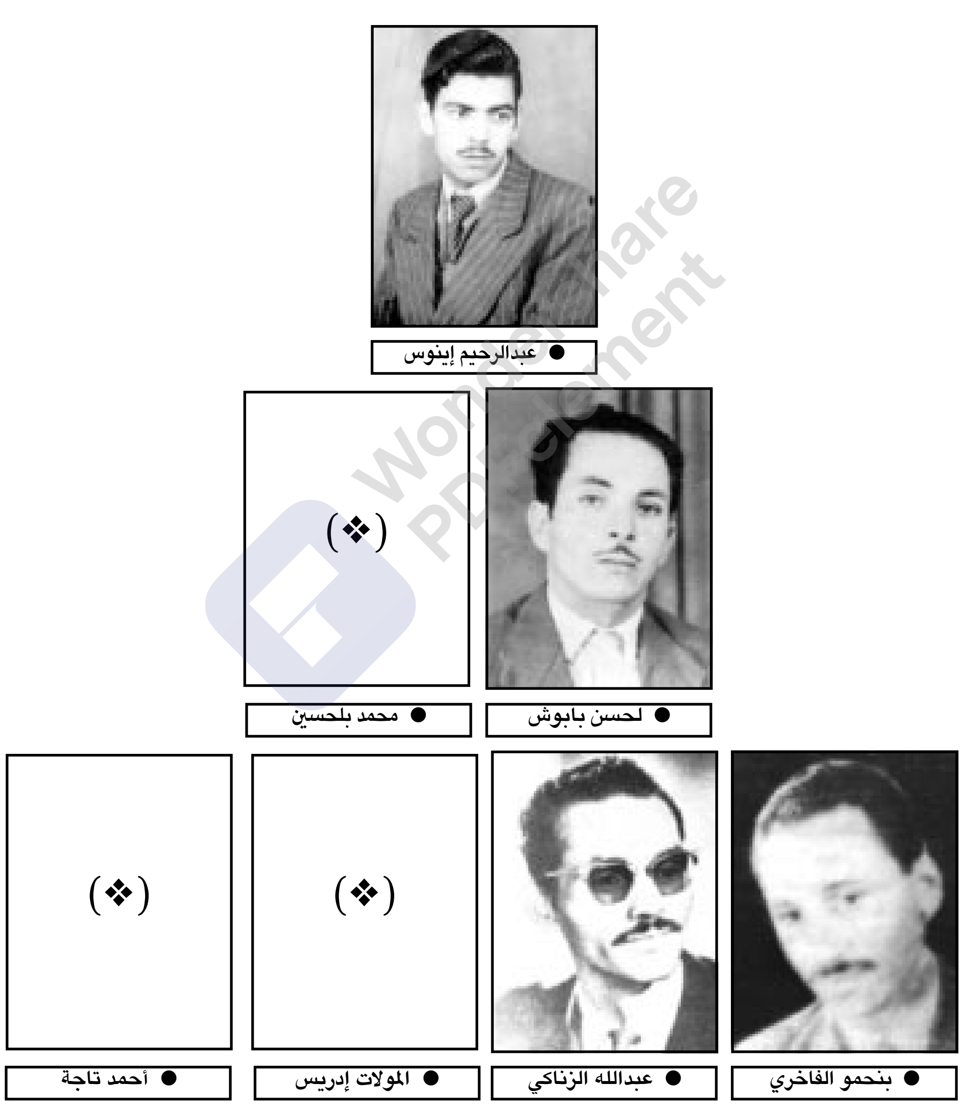
إن سبعة ملايين من المغاربة يعانون من وطأة الفقر المدقع ويترقبون حلول العدل مكان الظلم الإجتماعي، وينتظرون أفول زمن السلاسل والأغلال وقرقعة سلاح الجلادين، ويحلمون بنهاية التعاسة والبطالة القاتلة والأمراض الجسدية والنفسية المتفشية.

إن الإنتصار الحق المنشود يتوقف على زوال مرض الإستبداد بعلاج ناجع يكمن في نشر الثقافة والتعليم والتوزيع العادل للثروة الوطنية واستكمال الإصلاح السياسي والقوانين الدستورية الضامنة للفصل الحقيقي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وقيام قضاء مستقل عن التدخلات والتعليمات الفوقية، وتطهير الإدارة من العناصر الفاسدة المرتشية وإخضاعها لمراقبة صارمة، وإعلان القطيعة النهائية مع الديمقراطية الشكلية والإنتخابات المزيفة وفتح المجال أمام المشاركة الواعية للمواطن في تسيير شؤونه بحرية وبدون أن يرتجف من سطوة موظف السلطة أو ترهبه هراوته الغليظة. فالإنسان الأمي

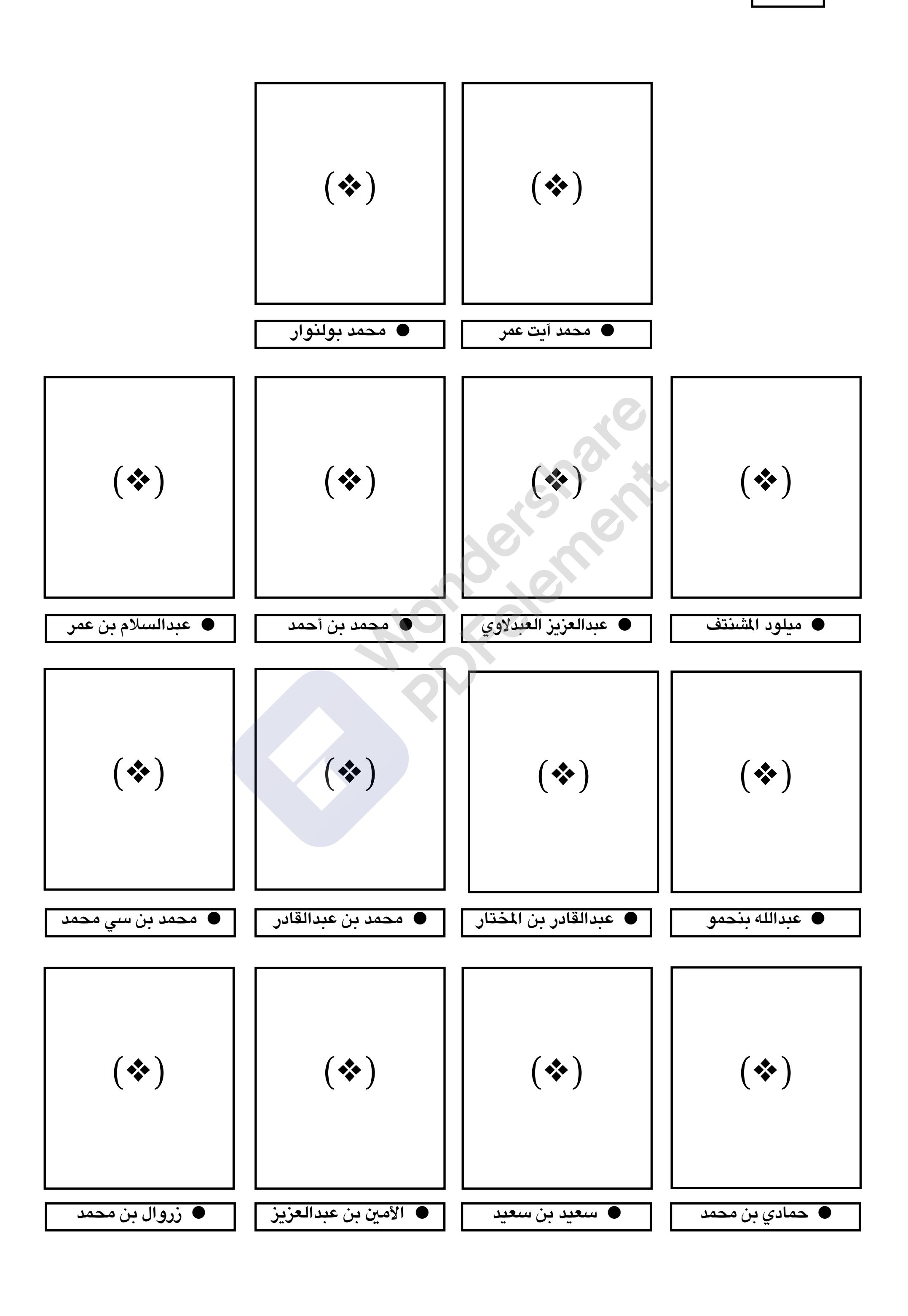
الجاهل والجائع والخائف لن يفيد بأي شيء وطنا لا يعترف له بحقوق المواطنة، ولن يكون بمستطاعه الوقوف في مواجهة الأخطار التي تهدد البلاد داخليا وخارجيا لأنه يفتقد الإرادة والعزيمة والوعي.

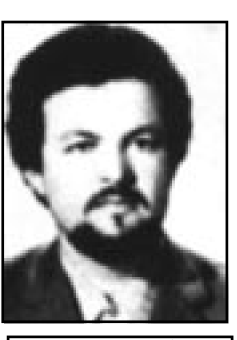


هؤلاء الشباب تم إعدامهم في عهد الإستقلال



(❖) بعد أسابيع من الوعود والمراوغات رفضت وزارة العدل في حكومة «التناوب» تزويدنا بصور الأشخاص المشار إليهم بعلامة (❖)

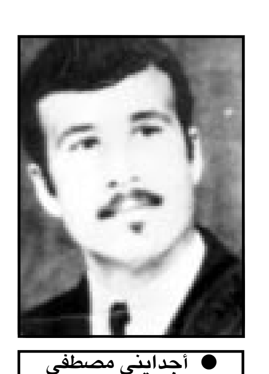

(❖) (❖)
● محمد آيت عمر
● محمد بولنوار
(❖) (❖) (❖) (❖)
● ميلود المشنتف
● عبدالعزيز العبدلاوي
● محمد بن أحمد
● عبدالسلام بن عمر
(❖) (❖) (❖) (❖)
● عبدالله بنحمو
● عبدالقادر بن المختار
● محمد بن عبدالقادر
● محمد بن سي محمد
(❖) (❖) (❖) (❖)
● حمادي بن محمد
● سعيد بن سعيد
● الأمين بن عبدالعزيز
● زروال بن محمد



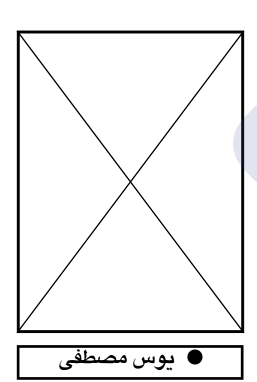
عمر دهكون



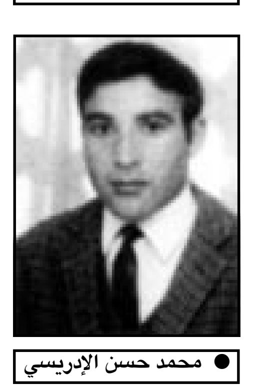
محمد بن الحسين «صبري» — أيت عمي لحسن

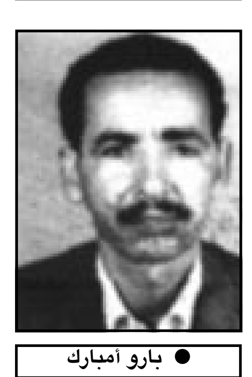




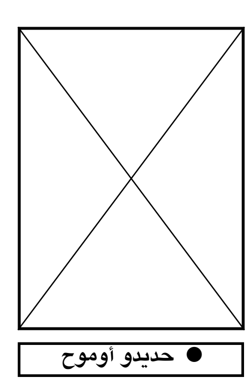


أجدايني مصطفى — موحى نايت بري — عبدالله محزون — يوس مصطفى

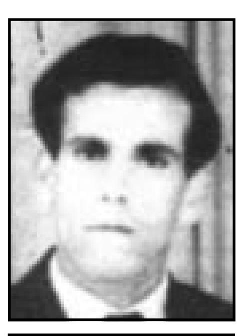




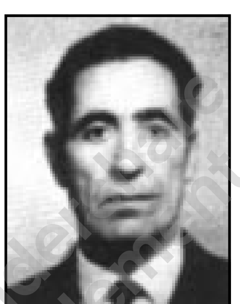




محمد حسن الإدريسي — بارو أمبارك — لحسن آيت زايد — حديدو أوموح



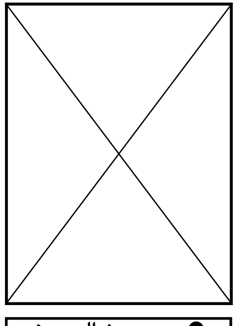
● عبدالإله «فريكس»



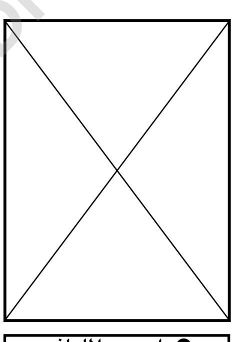


● دحمان نايت غريس

● لحسن تاغجيجت



● محمد بن الحسين



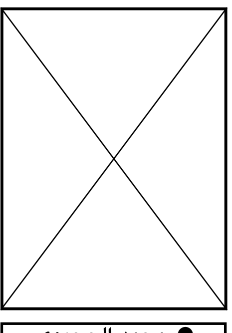
● إدريس الملياني



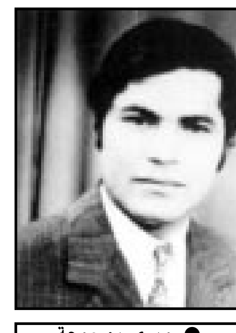
● المهتدي محمد



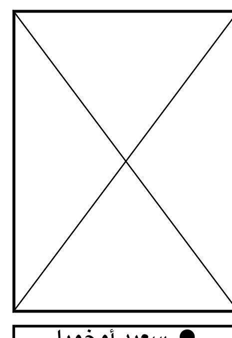
● بوجمعة جناح



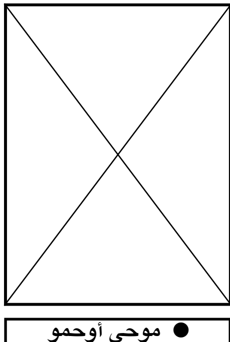
● محمد الحجيوي



● ميري بوجمعة



● سعيد أوخويا



● موحى أوحمو



● المقدم: محمد أمقران

● الرائد: كويرة الوافي
● النقيب: العربي الحاج

● ملازم أول: زياد عبدالقادر
● ملازم أول: بوخالف حميد
● ملازم: ميداوي اليزيد
● رقيب أول:مهدي عبدالعالي

● رقيب أول:بلقاسم أحمد
● رقيب أول:بينوا العربي
● رقيب:بحراوي الطاهر
● رقيب: كمون عبدالرحمان

لائحة غير كاملة لضحايا إرهاب الدولة

التاريخ	الاسم	العملية	المكان
1958-9-16	مأجورون في خدمة السلطة	تفجير قنبلتين 2 قتلى 7 جرحى	بركان
1958-9-17	مأجورون في خدمة السلطة	تفجير قنبلة، خسائر مادية	الدار البيضاء
1958-9-18	مأجورون في خدمة السلطة	قنبلة على المارة 3 قتلى 46 جريحا	الخميسات
آخر سنة 1958	أيدي خفية	أشعلت الفتنة في الريف وتدخلت القوات الحكومية	الريف، الحسيمة، تازة
يناير 1959	أحداث الريف	تدخل الطيران اسفر عن عشرات القتلى والجرحى	الريف، الحسيمة، تازة
1959-12-15	الفقيه محمد البصري	القاء القبض عليه	الدار البيضاء
1959-12-17	محمد بن الجيلالي (ميشيل الحريزي)	اختطف ولم يظهر له أثر	الدار البيضاء
1960-2-14	30 مقاوما	القي عليهم القبض بتهمة محاولة اغتيال ولي العهد مولاي الحسن	الدار البيضاء
1961-12-1	عمر بن جلون	اختطف وعذب في معتقل سري	الدار البيضاء
1961	المقاومون: عبدالرحيم إينوس، لحسن باشوش و محمد بن الحسين	نفذ فيهم حكم الإعدام	القنيطرة
1962-1-24	المقاومون بن حمو الفاخري، عبد الله الزناكي، المولات ادريس، احمد تاجة	نفذ فيهم حكم الاعدام	سجن القنيطرة
يناير 1962	الماروني مسؤول نقابة البريد	اعتدت عليه "الفرقة الخاصة"	الرباط
يناير 1962	الهاشمي بناني رئيس المجلس البلدي	اصابته "الفرقة الخاصة" بجراح	الرباط
بيراير 1962	المقاوم محمد المكناسي	فشلت "الفرقة الخاصة" في اختطافه	مكناس
آخر بيراير 1962	النقابي امحمد البركة	فجرت "الفرقة الخاصة" قنبلة في منزله	آسفي
1962-8-7	مطبعة امبريجيما	فجرتها "الفرقة الخاصة" وتوقفت "التحرير" عن الصدور بضعة أيام	الدار البيضاء
1962-11-15	المهدي بن بركة	محاولة لاغتياله من طرف الشرطة السرية	في الطريق بين الرباط والدار البيضاء
أبريل 1963	المهدي بن بركة	محاولة اغتياله في الجزائر العاصمة	الجزائر

التاريخ	الاسم	العملية	المكان
مايو 1963	مناضلو الاتحاد الوطني	قتل منهم أعوان السلطة 7 وجرحوا 40	أكادير، مراكش، آسفي، ورزازات
1963-7-16	5000 من أعضاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية	اعتقلوا بتهمة التآمر لقلب النظام	مجموع المدن المغربية.
يوليوز 1963	عدد من مناضلي الاتحاد الوطني	ألقي بهم في البحر بواسطة الطائرات المروحية.	أكادير، الدار البيضاء، الرباط
غشت 1963	المقاوم المدني المغراني الأعور	اختطف ولم يظهر له أثر	ناحية تطوان
يوليوز 1963	المقاوم محمد بن علي بولحية	اختطف وقتل بأمر الجنرال أوفقير	أكادير
غشت 1963	المقاوم محمد العبدي زكرياء	اختطف ولم يظهر له أثر	الدار البيضاء
غشت 1963	النقابي والمقاوم أيت بوهمو لحسن	اختطف وقتل	الدار البيضاء
1963-11-9	المهدي بن بركة، حميد برادة	صدر عليهما الحكم بالاعدام غيابيا	
1963-11-19	جميع الخونة المتآمرين على الشعب والملك سنة 1953	صدر في حقهم العفو وأعيدت لهم املاكهم المحجوزة	الرباط
يناير 1964	المقاوم بلعيد بن احمد "ادا بلعيد"	اختطف وقتل تحت التعذيب	الدار البيضاء
1964-3-14	المقاوم محمد سجيد الأشهب	برأته المحكمة واختطف قبل الوصول الى منزله بالدار البيضاء	
1964-3-14	الفقيه البصري وعمر بنجلون ومومن الديوري	صدر عليهم الحكم بالاعدام وعلى 8 غيابيا	الرباط
يونيو 1964	المقاومون: أحمد وشويط، عبد الله بوزاليم، عبد الله بن علي، بلحسن سويسي وعبد الله كاكاز	كانوا معتقلين وقتلوا بالرصاص والقيت جثتهم في الشارع.	الدار البيضاء
غشت 1964	المقاوم سعيد بونعيلات	محاولة فاشلة لاختطافه وقتل اثنين من المختطفين وفرار الثالث الى المغرب وكلهم من الشرطة المغربية السرية	وهران - الجزائر
1964	النقابي عبد الحق الروويسي	اختطف ولم يظهر له أثر	الدار البيضاء

التاريخ	الاسم	العملية	المكان
23 مارس 1965	مظاهرات شعبية ضخمة	مقتل حوالي ألف وجرح المآت	الدار البيضاء
27 مارس 1965	14 من أنصار بن حمو رئيس جيش التحرير السابق	أعدموا بعد القاء القبض عليهم في اشتباك بالحدود المغربية.	القنيطرة
29 أكتوبر 1965	المهدي بن بركة	اختطف وقتل	باريس
1969	اعتقال العشرات من مناضلي الاتحاد الوطني	وجهت اليهم تهمة التآمر على الدولة	مجموع المدن
09 أكتوبر 1970	قاسم المجاهد	قتل تحت التعذيب	الرباط
غشت 1971	170 من الاتحاديين امام المحكمة	أحكام قاسية في غياب الحجج	مراكش
1972	الحسين المانوزي	اختطف في تونس وادخل الى المغرب ولم يظهر له أثر	تونس
1972	نجمي المختار	اختطف ولم يظهر له أثر	مراكش
يبرانر-يونيو 1972	المثقفون الماركسيون	اعتقالات وتعذيب حتى الموت	الدار البيضاء، الرباط، مراكش
13-1-1973	محمد اليازغي	توصل بكتاب ملغوم وأصيب بجراح خطيرة	الرباط
13-1-1973	عمر بنجلون	توصل بطرد ملغوم ونجا من المؤامرة	الدارالبيضاء
1973	جمال عبد الهادي	اختطف ولم يظهر له أثر	صفرو
1973	باسو زايد اعبود	اختطف ولم يظهر له أثر	صفرو
1973	محمد بن يحيى	اختطف ولم يظهر له أثر	طاطا
14 نوفمبر 1974	عبداللطيف زروال	قتل تحت التعذيب	الدار البيضاء
نوفمبر 1974	قيادة "الى الامام" و 23 مارس"	اعتقالات وتعذيب في المراكز السرية	الدار البيضاء
نوفمبر 1974	عبد اللطيف زروال من قادة اليسار الماركسي	قتل تحت التعذيب في درب مولاي الشريف	الدار البيضاء

التاريخ	الاسم	العملية	المكان
1975-12-18	عمر بن جلون	قتل بطعنة خنجر، اعترف عميل المخابرات البخاري بأن الشرطة السياسية تقف وراء الاغتيال	الدار البيضاء
1978-1977	المناضلون الماركسيون	اعتقالات في صفوفهم	الدار البيضاء، الرباط، مراكش، وجدة، فاس.
1977-12-11	سعيدة المنبهي أستاذة الادب الفرنسي عضوة الى "الامام"	ماتت في السجن بعد اضراب عن الطعام دام أربعين يوما.	الدار البيضاء
1979	رحال جبيهة مناضل ماركسي	مات في محاولة للفرار من السجن	الرباط
1979-3-30	محمد كرينة طالب اتحادي	قتل تحت التعذيب	أكادير
1984	بوبكر الدريدي ومصطفى بلهواري	ماتا بعد اضراب عن الطعام دام شهرين	مراكش
1984-8-4	عبد الحكيم المسكيني	مات في السجن متأثرا بالتعذيب	بني ملال
1984	عمر الوسولي	اختطف ولم يظهر له أثر	أكادير
1985	أمين التهاني	مات تحت التعذيب في معتقل درب مولاي الشريف	الدار البيضاء
1989	عبد الحق شباضة	توفي بعد اضراب عن الطعام	الرباط
1989-88	عبد السلام مودن، مناصير عبد الله، بومليل، الحمزاوي	ماتوا نتيجة للتعذيب والاضراب عن الطعام	الدار البيضاء
من 1974-2-22 إلى 1990-06-1	30 عسكريا من مختلف الرتب	ماتوا في المعتقل	تازمامارت – الريش
1998-10-12	المجلس الاستشاري لحقوق الانسان التابع للدولة	اعترف أن 56 شخصا توفوا في المعتقلات. والمجهول مصيرهم 44 و 30 ماتوا في تازمامارت	الربـاط



الخاتمة

سقوط أقنعة الانتهازية السياسية

إن منهجية البحث التي تحكمت في الفصول السابقة من هذه الدراسة تحتم الكشف عن حقائق أخرى لإزالة الغشاوة عن عيون الجيل الصاعد لكي لا يعيد الأخطاء التي أدى السابقون ثمنها من أجسادهم وأرواحهم وشقاء أبناءهم من بعدهم.

وحسبي في هذا المقام أن أتطرق إلى قضية الانتهازية السياسية التي كثيرا ما همست بها الأفواه وواجهتها الأقلام بالتعتيم، رغم أنها تكتسي، من وجهة النظر التاريخية، أهمية قصوى باعتبارها تمثل مدخلا لفهم بعض الأسباب الرئيسية التي كبدت الاتحاد الاشتراكي هزائم متلاحقة وخلفت انعكاسا خطيرا على مجموع الحركات الجماهيرية المناهضة للاستبداد.

فقد استعمل الحكم جميع الوسائل الأكثر بطشا ودموية دون أن يتمكن من وقف كفاح القوات الحية في سبيل الديمقراطية. فالتجأ إلى خلق الشروط التي تمكنه من اختراق صفوف الاتحاد الاشتراكي بصفته الامتداد الطبيعي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكان الهدف إحداث انقلاب بداخله وتصفيته من العناصر الصلبة والمكافحين الصادقين وتحويله إلى حزب إداري نخبوي مفصول عن الجماهير.

وقامت الشرطة السياسية باختيار **"الأطر الحزبية"** من ضعاف النفوس الذين عجزوا عن الصمود داخل مراكز الاعتقال وخارجها وقبلوا بالمساومة الاستسلامية وبتقديم الخدمات إلى جهاز القمع، وتكون الطابور الخامس بعد أن ارتقى مثقفون انتهازيون وآخرون من أصول إقطاعية إلى أجهزة الحزب العليا، واستند تبرير القرار المنافي لقواعد التنظيم الحزبي والناتج عن ضغوط الحكم، إلى اعتبار أخلاقي يقول بعدم منع مثقفين من الانتماء إلى الحركة التقدمية بسبب ما اقترفه آباؤهم من خيانة في حق الوطن، وأن قبولهم في أجهزة الاتحاد الاشتراكي قد يجعل منهم مناضلين جيدين. غير أن الانتهازيين وأبناء عملاء الإستعمار رجعوا إلى الأصل وقدموا خدماتهم إلى جهاز المخابرات، ورفعوا اللثام عن وجوههم حينما أقدم الحكم عام 1981 على اعتقال عبد الرحيم بوعبيد ومحمد اليازغي والدكتور الحبابي نتيجة الموقف من مسألة الاستفتاء في الصحراء، البرلمان خلافا لقرار الحزب القاضي برفض تمديد ولاية البرلمان والانسحاب منه، ولم يكلفهم تخاذلهم سوى تقديم استقالاتهم مؤقتا من المهام الحزبية التي كانوا مكلفين بها، وهي في الحقيقة صفقة أبرمها معهم عبد

الرحمان اليوسفي في بيته بالدار البيضاء دون أن تعرف عنها القواعد شيئا، وكان يهدف إلى ضرب عصفورين بحجر واحد. فمن جهة أظهر للمعتقلين من قيادة الحزب أنه لم يتخل عنهم، ومن جهة ثانية تجنب معاقبة الانتهازيين والتشهير بهم ارضاءا لحماتهم في جهاز السلطة.

إن أحداث الماضي القريب جزء من الحاضر ولا يجوز للذين ركبوا سفينة **"للخزن"** الاختفاء وراء كلام ضبابي لحجب الحقيقة الساطعة كالشمس. لقد كان اليوسفي مسؤولا عن الإعلام الحزبي ومن محرري البلاغ الشهير الصادر عشية انتخابات مايو 1963 البرلمانية والذي يؤكد بصريح العبارة :

"إن للمجتمع موقن والحالة هذه أنه لا سبيل لإصلاح النظام القائم وعلاجه أو تزكيته. وأن الاتحاد الوطني لا يرى له دواء غير زواله".

فكيف اندمج في الموكب الرسمي وحمل القنديل في مقدمة المحتفلين وهو في خريف عمره ؟

كان المنطق يفرض أن يسبق التقلب تفسير وتوضيح ونقد ذاتي أمام المناضلين والرأي العام قبل عزف سمفونية جنائزية على حزب جماهيري.

إن المواقف التاريخية أصبحت محرجة لأحد الذين رسموها ولم يعد قادرا على قراءة بعض ما كتبه بيده مثل :

"إن الاتحاد الوطني هو المنظمة الثورية التي تواجه النظام الإقطاعي الفردي بالعداء الصريح وأحد أهدافها هو محو هذا النظام لكي تخلفه بصفة حتمية مؤسسات شعبية منتخبة في دائرة ديمقراطية سليمة حقيقية". (61)

إلى غاية 1972 كان جميع قادة الحزب يسيرون في خط واحد لمواجهة الحكم الفردي، ولم يخطر على بال أي واحد منهم أن ينكر دوره في ما جرى من أحداث، وكان الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد مرتديا بدلة المحامي الصبور في المحاكمات الكبرى والمدافع الجسور عن نشطاء الحزب المتهمين بتهديد أمن الدولة. وكان عبد الرحمان اليوسفي يدق أبواب المنظمات الحقوقية الدولية والمؤسسات الإعلامية في أوربا والعالم العربي لمطالبتها بالتدخل لإنقاذ حياة المكافحين من أجل الديمقراطية. وكان باستمرار على علم بما يجري التحضير له. وأتذكر أن مولاي عبد السلام الجبلي ومحمد بن سعيد وحميد برادة ومحمد البارودي وآخرون طلبوا مني في آخر سنة 1968 أن أعرض وجهة نظرهم في الخلاف الناشب بينهم وبين الفقيه البصري فيما يتعلق بخطة العمل لمواجهة جهاز القمع داخل المغرب. وكان اليوسفي جالسا في غرفته بفندق في شارع سان جيرمان-دي بري بباريس. وبعد أن استمع لما حملته إليه، تململ في كرسيه واكتفى بالقول :

- نحن أعضاء القيادة نتضامن مع بعضنا في كل الظروف.

فأجبته بأن المشكلة تتعدى مشاعر التضامن ولها علاقة بالمناضلين ولا

61 - تحرير 3-5-1963.

ينبغي المجازفة بأرواحهم.
رفض المضي في المناقشة وغادرته لإبلاغ الإخوان بالجواب وحملت حقيبتي عائدا إلى ألمانيا.
وأكثر من هذا فإن الذين كانوا في إذاعة **"صوت التحرير"** بليبيا لا يزالون أحياء يتحدثون عن تعاليقه الحماسية في التحريض والدعاية الموجهة للمناضلين قبل اندلاع الأحداث الدامية في مولاي بوعزة في مارس 1973.
ولفهم بعض الأسباب التي دفعت محترفا سياسيا، كان يمثل ظاهريا الإستقامة النضالية، إلى الإنبطاح والتجرد من خصال المروءة والنخوة، لا بد من إعمال أدوات التحليل النفسي والإجتماعي بشكل مختصر في تشريح جوانب من سيرته الغامضة المغلّفة بالتواضع الخادع.
يخطئ الذين يقولون أن اليوسفي انقلب على عقبيه بعد توليه الوزارة الأولى. فقد كان منذ أن عرفته قبل أزيد من أربعين سنة كتوما بشكل مرضي، يخفي نواياه عن أقرب المقربين إليه، صديقا للجميع ولا صديق له، يفتقر إلى الجرأة في طرح أفكاره الحقيقية ولا يستطيع الحسم في قضية واحدة لأنه يتجنب المجابهة، ويكن حقدا دفينا لخصومه ولا يتردد عند اللقاء في معانقتهم. بارع في الانصات لرأي الآخر لكنه لا يفصح عن رأيه، وعندما يتعرف على مواقف مخاطبيه يلوذ بالصمت ليفاجأ الجميع بقرار انفرادي يخدم مصلحته. وكان اللاجئون المغاربة في الجزائر يحكمونه فيما وقع بينهم من نزاع فيتملص من اتخاذ أي قرار واضح، فأطلقوا عليه من باب التهكم إسم «حمامة السلام».
واعتقد شخصيا أن كثيرا من خصاله ورثها عن طفولة شقية وتيتم من الأب والاكتواء بفقر مدقع نتجت عنه مخلفات صحية مزمنة لم يخفف من هولها سوى المساعدات التي تلقاها وهو طالب من الوطنيين القدامى وعلى رأسهم المقاوم إبراهيم الروداني. وأضحى شظف العيش الذي عانى منه في صغره طبيعة ثانية حاضرة على الدوام في شحة غذائه وجفاف مائدته، وكان أهل النوايا الحسنة يعتقدون أن بخله يعكس تواضعه، إلا أن الحقيقة غير ذلك. فهو شره إلى طعام الولائم والمآدب عند الغير وبخيل على نفسه في بيته. وكانت اتصالاتي به، في إطار العمل، غالبا ما تتم في منتصف النهار لأنه كان يتجنب استدعائي في الأوقات المفتوحة التي يتوافد فيها عليه الانتهازيون وعملاء السلطة، لأنني كنت انتقدهم وأفضح تصرفاتهم أمامه وهو إحراج لم يكن يتحمله. وكانت لقاءاتنا وقت الغذاء بالنسبة لي عقابا نظرا لكوني لم أكن أشبع وأعود مضطرا إلى غرفتي للبحث عن طعام يخلصني من الجوع. وبقدر ما كان شديد البخل كان حريصا على تخزين المال في البنوك المغربية والأوروبية. (62)
ولم يكن في وسع محترف سياسي ضعيف الشخصية، مائع السلوك

62 - انظر مثالين عن كيفية تصرفه في أموال الحزب في الصفحتين 80و390

مفرط في الأنانية ومتقلب الأطوار، إلا الاستجابة بكل جوارحه لعرض لم يكن يحلم به لتعويض ما فاته في سالف عمره.

ومن منفاه الاختياري في مدينة «كان» على الساحل الأزرق الفرنسي كان يواصل المفاوضات السرية التي بدأها سنة 1993 عن طريق شخصين واحد موظف مقرب من القصر والثاني تاجر وعميل لجهاز المخابرات. واعتمد على الدعم المباشر الذي خصه به الحكام الفرنسيون، الاشتراكيون واليمينيون، الذين كان يهمهم ضمان مصالح بلدهم في ظروف اتسمت بصراع صامت وحاد بين الرأسمالية الفرنسية والأمريكية حول المغرب، هذا إضافة إلى دور الوساطة الذي قام به ماريو شواريس الكاتب العام للحزب الاشتراكي البرتغالي ورئيس الجمهورية السابق وصديق الملك الحسن الثاني.

ولما تراءت له زخرفة الكرسي السلطوي لم يتردد في تقديم العربون بالضغط على اللجنة المركزية للتصويت بـ «نعم» على دستور 1996، وبعد ذلك تصرف بشكل فردي وأمر ممثلي الحزب في المجلس الجماعي لمدينة الدار البيضاء بتفويت قطاع حيوي يهم سكان المدينة إلى شركة فرنسية بثمن بخس استجابة لإرادة الحكم، وتمادى في خرق القانون الداخلي للحزب، وداس على مبدأ العمل الجماعي والتشاور الديمقراطي، ووضع قفازات السلطة في يديه ولم ينج من ضرباته إلا القلائل في المكتب السياسي. واستسلم للإغراءات وقبل جميع الشروط المؤدية إلى اعتلاء الكرسي المنشود بما فيها التكتم على ما يجري أثناء الإتصالات السرية وعدم إشراك المكتب السياسي في إعداد لائحة الوزراء الإتحاديين، وأدت به التنازلات إلى قبول حضور شخصين مرتبطين بالنظام في المحادثات بدعوى أنهما من «قيادة» الحزب، وأدى به طموحه الأعمى إلى الركوع أمام معبد السلطة. وفي النهاية وصل عن طريق انتخابات مزورة وأغلبية برلمانية مصنوعة من مختلف الأحزاب الإدارية الرجعية إلى الكرسي الموعود وظن أنه انتقم لطفولته الشقية وحقق لنفسه مجدا تليدا. (63)

وكان لا مفر له لتمرير قرارات مقبلة من صنع أغلبية داخل الحزب ووضع تحت قبضته الجريدة والحزب وأمواله، وأسكت أصوات المعارضين والمنتقدين، ودفع به الغرور وأوهام السلطة وفقدان البصيرة إلى تشتيت شمل الشبيبة الاتحادية وتقسيم الحزب إلى أربعة أجزاء، وقطع موارد الرزق عن عدد من المناضلين لمعاقبتهم على أفكارهم التي يزعجه سماعها، وأطاح بكل الرؤوس التي تبدي إمتعاظها من سلوكه، وشرّع للإنتهازيين الإرتباط العلني بالأجهزة الأمنية، وشاع الإنحراف السياسي والتعفن الحزبي وأضحى التبذير والتلاعب في الأموال شيئا عاديا داخل مختلف أجهزة الحزب.

وهكذا صنع إطارا سياسيا على مقاسه يصفق له إذا حضر ويمتدحه إذا

63 - تم تقديم «الاتحاد الاشتراكي» كأكبر حزب سياسي بحصوله على 700 ألف صوت من مجموع حوالي 14 مليون مسجل. إنها مهزلة ليست بعدها مهزلة!

غاب، وهو ما شجعه على إستعمال المفردات والتعابير «المخزنية» في أحاديثه ورسائله الرسمية، وبالغ في التزلف والإطناب وتخلى عن **«الجملة الثورية»** التي كانت تميز كتاباته في صحف الحزب.

وذات يوم، بعد أن أجرى عملية جراحية وغادر المستشفى، سألني:

– ما الجديد وماذا يقوله الناس عنا؟

فقلت له بأن الناس يستغربون من لغة المديح المستعملة تجاه الحكم. فأجابني:

– إن صاحب الجلالة شملني برعايته أثناء مرضي وأنقد حياتي!

حينذاك فهمت أن المسألة أصبحت شخصية لا علاقة لها بالمبادئ والمواقف، ولا بالقيم النضالية وأن قضية الجماهير الفقيرة التي كان يتغنى بها أصبحت في خبر كان.

وجاء إنهيار الروح والإصرار على طمس الذاكرة التاريخية إيذانا بالإفلاس السياسي والأخلاقي.

وللزيادة في تمييع الحياة السياسية قرب إليه عددا من المشبوهين وضمت التشكيلة الحكومية الأولى 14 وزيرا وكاتب دولة من الاتحاد الاشتراكي أكثر من نصفهم صعدوا إلى كراسي الوزارة بفضل ارتباطاتهم بالدوائر العليا وعلاقاتهم المشبوهة بمختلف أجهزة المخابرات . ولتضليل قواعد الحزب قدم لها بعضهم على أنهم مناضلون أوفياء لكن هدفه كان توجيه رسالة واضحة إلى الأجهزة الأمنية ليقول لها : **"إن أطركم هي أطري، وأنا طويت صفحة الماضي"**.

وذهب يغوص في مستنقع آخر حيث أعطى في انتخابات يوم 27 سبتمبر 2002 الأسبقية في الترشيحات على رأس اللوائح الانتخابية لكثيرين من العناصر الفاسدة والمعروفة بتواطئها مع السلطة، وطوى تاريخ جيل كامل مكتوب بدماء المناضلين ودموع الأمهات والأرامل، وعشية تعيينه رئيسا للحكومة سرب إلى بعض الصحفيين معلومات خاطئة عن مساره السياسي وادعى أن حكما بالإعدام صدر عليه في محاكمة مراكش عام 1971. وهو إختلاق مفضوح المقصود منه مغالطة الرأي العام والكذب على الجيل الجديد. فأول مرة استهدف فيها للاعتقال كانت سنة 1959 حيث قضى في السجن اسبوعين وأطلق سراحه. والاعتقال الثاني حدث يوم 16 يوليوز 1963 في نطاق ما عرف حينذاك بـ «مؤامرة 1963» وانتهت المحاكمة بصدور أحكام الإعدام على عدد من المناضلين من بينهم المهدي بن بركة (غيابيا) والفقيه البصري وعمر بنجلون ومومن الديوري. ونطق القاضي في حق اليوسفي بالسجن سنتين مع إيقاف التنفيذ.

أما في محاكمة مراكش عام 1971 فقد قرر القاضي «فصل قضية اليوسفي عبدالرحمان بن أحمد وتأخيرها لزيادة البحث فيها وإدراجها بجلسة من جلسات الدورات المقبلة». (64)

ولم يصدر عليه أي حكم، وقضى حوالي عشرين سنة في عيش مريح

64 -وزارة العدل، المحكمة الإقليمية بمراكش، محكمة الجنايات، قضية عدد 71/612 بتاريخ 14 يونيو 1971، الصفحة 392.

بفرنسا تخلله نشاط سياسي وحقوقي في المنتديات العالمية.

كان اليوسفي منذ أن ارتبطت به سنة 1960 يرى في المنافع الشخصية غاية الفضيلة، ويلتمس الأعذار والحجج لمواقفه كلما رغب في تلبية غرائزه أو في التنصل من نتائج عواقبها، ويستعمل المنطق الهادئ لتبرير ممارساته، ويحتال في إقناع مخاطبيه بسلامة وبراءة أهدافه ولو كانت منافية للقواعد الإجتماعية جاعلا من التخاذل عقيدة ومن الفشل إنتصارا ومن النفعية أساسا للتعامل مع الأصدقاء والأعداء.

وأخيرا، وليس أخرا، فإني لا أرغب هنا في التعرض لحياته الخاصة المطبوعة بإلعدمية الأخلاقية.

لقد أكدت تعاليم التاريخ أن الحكام المستبدين وحماتهم الامبرياليين يلجؤون في الصراع ضد الحركة التقدمية إلى قتل المناضلين الصادقين وتهميشهم، وفي ذات الآن توفير الانتهازيين للمستقبل للتفاهم معهم عند الضرورة خاصة إذا كانوا ينتمون إلى حركة جماهيرية يقوم رصيدها النضالي على جماجم المئات من القتلى والمختطفين والمشوهين والمشردين في الداخل والخارج.

إن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية كان الحزب الأكثر استهدافا لجميع أشكال القمع، والأرقام المستخرجة من صفحات الجرائد خلال الفترة الممتدة من سنة 1960 إلى 1975 تعطي إحصائية معبرة عن فداحة الخسائر التي تكبدها شباب لم يكن يدري أن بعض أعضاء الحزب سيجعلون من تلك التضحيات أداة للسمسرة وللمصالح الشخصية.

تشير تلك الأرقام بسواد على بياض إلى ما يلي :

77 --- حكما بالإعدام صدر في محاكمات الرباط، مراكش، القنيطرة ومكناس حضوريا وغيابيا في سنوات 1962-64-69-71-72-1973.

43 --- حكما بالإعدام رميا بالرصاص نفذ في مناضلين اتحاديين.

33 --- - من المقاومين وأطر الحزب ماتوا تحت التعذيب في مراكز الاعتقال.

27 --- - مناضلا سقطوا في مواجهات مع القوات الحكومية في ناحية مراكش، والحدود مع الجزائر وفي الأطلس المتوسط.

17000 - مناظلا دخلوا السجون والمعتقلات كان من بينهم 5000 اعتقلوا في يوليوز 1963.

617 -- - اضطروا للعيش في المنافي خارج المغرب.

----- - العشرات قتلوا في المظاهرات الشعبية بمختلف المدن.

إن هؤلاء الضحايا الذين سقطوا، دفاعا عن أفكار إعتنقوها بوصفها مبادئ وقناعات حزبهم، أصبح البعض من هذا الحزب يتبرأ منهم ومن كفاحهم وهم رميم في قبورهم.

فالمتواطؤون مع الحكم اتخذوا من حزب الجماهير مَطية يركبونها ومن

تضحيات المناضلين غنيمة لترضية الأهواء الفردية، واستفادوا من امتيازات غير مشروعة بدأت برخص الصيد في أعالي البحار والضيعات الفلاحية والهبات المالية وانتهت بالجلوس على مقاعد البرلمان والتربع على أرائك الوزارة. وقاموا بدور السمسار لفائدة وزارة الداخلية، وأصبح لهم القول الفصل في ضمان المقاعد البرلمانية لمن شاؤوا في الانتخابات المزيفة وأفسدوا الضمائر والأخلاق داخل الحزب وجمعوا حولهم رهطا من الانتهازيين اللاهثين وراء المال والمنافع الشخصية، وبذلك ضاعفوا قوتهم العددية داخل اللجنة المركزية وقدموا دعما مباشرا للذين يمثلونهم داخل المكتب السياسي، ودفعوا للذوبان والاندماج في أجهزة السلطة، وتحولوا إلى أبواق تفسر سياسة الحزب **"الاشتراكية"** بوجهة نظر الدولة التي تبنوا توجهاتها وجعلوا منها دليلهم الأساسي، وأشاعوا ثقافة الابتذال بوصفها أداة لتعزيز السيطرة على السلطة والاقتصاد والمجتمع.

إن السياسين الانتهازيين الذين كانوا إلى وقت قريب يرفعون شعارات **«الثورة الشعبية»** ويتشدقون بـ **«الديمقراطية الثورية»** تحولوا بين عشية وضحاها إلى ضاربين على البندير ونافخين في مزامر السلطة ومرددين لمواويل التغزل في محاسن الدعارة السياسية.

ولكي يبرهنوا عن ولائهم لأسيادهم رفض الانتهازيون والحاقدون من أبناء الخونة تقديم أدنى مساعدة للمناضلين الناجين من مراكز التعذيب وبعضهم قضى ربع قرن في السجون وخرجوا منها فاقدي النظر بأجسام عليلة وعظام مهشومة ووجدوا عائلاتهم مشردة ومحرومة من كل شيء. لقد تنكروا بفظاظة للتاريخ النضالي واعتبروا معارضي الحكم أعداء لهم ونعتوهم بأوصاف المغامرين والخارجين عن القانون وحرفوا الكفاح النبيل إلى شر ورذيلة وخلقوا حالة انفصام بين **الاتحاد الاشتراكي** وجماهيره الواعية التي جسدت صموده واستمراريته مما دفعها إلى اليأس والاحباط بعد أن تأكدت من خيانة الانتهازيين المرتمين في أحضان السلطة يباركون طغيانها ويسوقون الكذب والخداع لتبرير الانحراف بدعوى أن الشعب دخل في نوم أهل الكهف ولا أمل في استيقاظه قبل مرور عشرات السنين.

لقد أدى انعدام الممارسة الديمقراطية داخل الحزب إلى انحراف القائد الذي أوجد لنفسه حاشية مطيعة من المتملقين الباحثين عن المصالح الذاتية، يلبي رغباتهم ويستجيب لمطالبهم مقابل قيامهم بالتهريج وسط حشود المتحزبين لتغليط وتنويم العدد الأكبر منهم وجرهم إلى حلبة الرقص على نغمات **«لن نطارد الساحرات»** في وقت لم يطالب فيه أحد بمطاردة الساحرات ولا العفاريت، لكن الغاية من طرح الشعار الغوغائي هو التقرب من أقطاب السلطة وطمأنتهم بأن حكومة **«التناوب»** لاتنوي تطهير الإدارة وفتح ملفات كبار الموظفين المرتشين وتقديمهم إلى المحاكم، بل فإن بعض المتابعين في

قضايا نهب المال العام تم إطلاق سراحهم على يد وزير **«إشتراكي»** تولى وزارة العدل التي تدخل، حسب الأعراف، في نطاق وزارات السيادة أي تلك التي لا تسند لممثلي الأحزاب. وهذا يعني بلغة فصيحة أن **حزب الإتحاد الإشتراكي** التقدمي الثوري الذي ضحى العشرات من مناضليه بأرواحهم في سبيل العدالة والديمقراطية انتهى به المطاف في الحكومة ليدافع عن أعداء الشعب ويتحالف مع خصوم الديمقراطية. ووجد هذا التوجه المشين تعبيره الصارخ في حفل التكريم الذي نظمه الرئيس اليوسفي احتفالا بوزير الداخلية في إهانة فاضحة لأرواح الشهداء وضحايا القمع المغاربة من مختلف التنظيمات والاتجاهات.

واتذكر كيف عاد اليوسفي على عجل من فرنسا في نفس اليوم الذي سمح فيه الأموي لوزير الداخلية ادريس البصري بإلقاء كلمة أمام مؤتمر الكونفدرالية الديمقراطية للشغل. وفي وقت متأخر من المساء طلب مني أن التحق به، ووجدته في حالة تعب شديد وبوجه شاحب وصوت مبحوح تساءل:

– كيف بلغت الانتهازية بالأموي إلى حد استدعاء الوزير الجلاد إلى مؤتمر نقابتنا؟

وفهمت من ثنايا كلامه أنه كان يتوجس خيفة من مؤامرة تستهدف نسف جهوده الرامية إلى التربع على كرسي الراسة.

وعندما وصل إلى هدفه بلغ به التهافت إلى استدعاء الجلاد والاحتفال به وسط مظاهرة صاخبة وهتافات غاضبة لضحايا القمع الذين حملوا الشموع أمام بيت الرئيس الذي لم يكن في وسعه أن يسفه تضحيات المناضلين لو لم يعتمد على قاعدة تغلب عليها الأمية وتظل بعيدة عن الوعي السياسي والاجتماعي وتدين بالتحزب المقيت والولاء الأعمى والانصياع لمسيرين انتفاعيين. وقد لا تستيقظ من غفلتها إلا عند ما تتأكد من أن الزعيم لم يعد يجد غضاضة في الانحناء بالجلباب الأبيض و (الشاشية) الحمراء التي تغطي رأسه حتى الأذنين (65).

إن المرتدين الذين تسلقوا الكراسي الحكومية والبرلمانية على حساب تضحيات الجماهير الجسيمة، وجهوا طعنة غادرة لمسيرة الحركة التقدمية، ولا هم لهم إلا تضخيم حساباتهم في البنوك، وحتى تلك **"الإجراءات المستعجلة العملية القابلة للتنفيذ"** التي وعدوا بها لم ينفذوا منها شيئاً على تفاهتها، لسبب بسيط أنهم لا يملكون برنامجا ولا سلطة ومهمتهم تنحصر في تدبير الملفات التي تقدم لهم. وكل ما فعلوه هو تفقير الفيئات التجارية الصغرى التي تمثل قاعدة الحزب بالضرائب الثقيلة والمجحفة. فالثروة الوطنية مرتكزة في يد أقلية

65 - ليس من باب الشماتة والتشفي التذكير هنا بأن عبدالرحمان اليوسفي كان يَسْخَر من كل منتسب للحزب يلتحق بوظيفة حكومية ويسميه صاحب «الشاشية» وهي عبارة عن طربوش أحمر يضعه خدام الدولة والوزراء على رؤوسهم.

والأغلبية غارقة في الفقر، وحسب إحصائية صادرة عن مؤسسة دولية فإن حوالي ستة ملايين من المغاربة يعيشون تحت عتبة الفقر أي أن مدخولهم لا يتعدى عشرة دراهم في اليوم، في حين أن 80 بالمائة في البادية بدون إنارة و63بالمائة بلا ماء صالح للشرب، وأكثر من 90بالمائة لا يعرفون العلاج والعناية الصحية، ويظل شبح الأمية ساكنا في أدمغة أكثر من نصف سكان البلاد. هذا فضلا عن الديون الأجنبية التي تعد بالملايير الناتجة عن إهدار ثروات الوطن وسرقة أموال المواطنين.

والباب الوحيد المتبقي أمام الشباب، إناثا وذكورا، يكمن في الهجرة السرية على قوارب الموت والإنغماس في المخدرات والجريمة والدعارة، إذ لا يوجد مأخور على وجه الأرض خاليا من المغربيات اللواتي أرغمتهن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية على الاتجار بالجسد، وفقدت الأسرة والمجتمع كل قدرة على حماية الأخلاق والدفاع عن الشرف والكرامة.

ففي المرحلة الأولى تاجر المسؤولون بسواعد العمال وسمحوا للرأسماليين الأوربيين بإرسال الأطباء لإختيار اليد العاملة القوية والرخيصة، وكانوا يفحصون المرشحين للهجرة وكأنهم يختارون أكباش العيد السمينة.

وفي الفترة اللاحقة بدا الاتجار في أجساد النساء وارتفعت أثمان جوازات السفر وازدهر النقل البري والبحري والجوي، وكان القوادون يتجولون بحرية في المدن والبوادي والجبال ويجلبون الفتيات اليانعات ليقتطفها شيوخ البترول والفساق في بيوت الدعارة الأوربية.

وفي بداية الالفية الثالثة ومع الانتشار السريع لوسائل الاتصال من الهاتف النقال والبريد الإليكتروني إلى الانترنيت، انتقلت شبكات الدعارة الأوربية إلى المغرب، واتجه أصحابها نحو المدن التقليدية، واشتروا في مدينة مراكش المنازل الجميلة ذات البناء المعماري العتيق، وجعلوا منها مقرات يؤمها طالبوا المتعة من الشواذ الأوربيين المولوعين بالحشيش والمغامرات الجنسية، واستغلوا الفقر الذي يدفع المحرومين إلى الميوعة الأخلاقية وانحطاط السلوك العام، وداسوا على آدمية البؤساء وسعوا إلى محق عقيدتهم وعبثوا بأجساد الفتيات والغلمان.

وقد أصاب الشاعر وهو يصف الظلم الإجتماعي والقمع الحكومي في عاصمة الجنوب بقوله:

تَطُوفُ السُّحُبُ بِمُرَاكِش
طَوَافَ الحَجِيجِ بِالبَيْتِ الحَرَامِ
تُرِيدُ النُّزُولَ وَلاَ تَسْتَطِعْ
لِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَأَكْلِ الحَرَامِ

وتستحضرني الضجة التي قامت قبل سنوات في فرنسا بمناسبة عيد

الأضحى الذي يذبح فيه العمال المسلمون الأكباش بطريقتهم الخاصة، وتعالت في مختلف الأوساط حملة الكراهية والعنصرية ضد المسلمين بدعوى إنهم لا يحترمون تقاليد الفرنسيين. وفي مراكش المدينة التقليدية المحافظة يجهز الأوربيون على تقاليد المغاربة ويستلقون على السطوح في عراء تام بدعوى أخذ حمام شمسي، ولم يسمع أحد لشكاوي السكان الذين اعتقدوا أن أولياء الأمر موافقون على ما يجري.

فكيف لو قام يوسف بن تاشفين من قبره وشاهد كيف يكشف ارذال أوربا عن مؤخراتهم المقرفة فوق السطوح لتدنيس شمس مدينة الأبطال التاريخيين؟ (66)

ولا يمكن الحديث عن التنمية في وقت ينخر فيه الفساد المالي معظم المؤسسات الكبرى. وتقدر إحصائية صادرة عن **الهيأة الوطنية لحماية المال العام** أن ما ضاع من مكتب الفوسفاط والقرض العقاري والسياحي والقرض الفلاحي والضمان الاجتماعي يعادل أربع مرات الاحتياطي المغربي لسنة 2001 أو 34 بالمائة من الناتج الداخلي الخام أي ما يكفي لبناء خمسين ألف مدرسة أو 250 ألف مستشفى متوسط ومجهز أو حوالي مليوني سكن شعبي.

وفي هذا الإطار ينبغي فضح أبعاد الرهانات التي أقدم عليها الذين يدعون الانتماء إلى الاشتراكية بإعادتهم تمليك الرأسمالية الاستعمارية بعض المؤسسات العامة، ويعتبرون أثمان البيع الزهيدة استثمارا هاما، ويتجاهلون الوضع المتأزم بترديدهم أغنية "**الاستقرار**" ويتغافلون عن كونه حابل بالظلم الاقتصادي والاجتماعي والفساد المالي والإداري وعدم احترام حقوق الإنسان مما يهدد بتحويله إلى بركان مشتعل قد يكتسح الظالمين والمظلومين على السواء.

إن خيانة مصالح الجماهير الفقيرة ليست اختصاصا مغربيا صرفا، فمسيرة الإنسانية عبر القرون سجلت سوابق تاريخية مليئة بعشرات الأمثلة من أفعال النذالة والجبن والإنحطاط التي اقترفها قادة سياسيون وعسكريون دفعتهم الأنانية وحب الذات إلى التخلي عن قضايا شعوبهم والغوص في مستنقعات الذل والعار.

والمرتدون في **حزب القوات الشعبية** المغربي لم يكونوا بالضرورة تلاميذ مدرسة **«غورباتشوف»** الروسي، لكنهم استحالوا إلى ببغوات يرددون تعليمات السلطة ويتوهمون أنهم يمثلون ضميرها.

إلا أن هناك ذاكرة الجماهير الحية التي تستحضر دروس الماضي وتتعلق

66 - يوسف بن تاشفين المرابطي (452-499 هـ، 1060-1106 م) بطل تاريخي و مؤسس مدينة مراكش وأول ملك مغربي يحمل لقب «أمير المؤمنين»، وَحَّدَ بلدان المغرب وانتقل إلى الأندلس وهزم المسيحيين في معركة الزلاقة الشهيرة (1086 م) ثم خانه الأمراء العرب المتحالفين مع المسيحيين. فاستعد لهم وعاد ليقضي عليهم جميعا، وسيطر على معظم المدن الأندلسية، وترك بعد وفاته امبراطورية شاسعة غنية وهادئة تمتد من الصحراء مرورا ببلدان المغرب الكبير إلى حدود الأندلس الاسلامي.

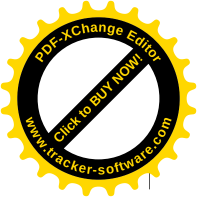
همّتها بنيل مستقبل التجديد الحضاري القائم على الحرية والعدالة والرفاهية. وهناك الذاكرة الجامدة المبنية على الأساطير الخرافية التي تمجد الماضي وتضخم دور الحكام في الحياة السياسية والاجتماعية سعيا لتغطية مساوءهم المنبثقة من طبيعة الاستبداد.

والرهط الانتهازي الطارئ على المجتمع المغربي في نهاية القرن العشرين لايختلف في شيء عن نظراءه المنقرضين الذين تعاقبوا على خدمة السلاطين منذ تأسيس الدولة على يد ادريس الأول عام 172هـ 877 ميلادية، فكُتّاب الدواوين في الزمان الغابر لم يسجلوا من الأحداث الممتدة على طول ألف ومائتي سنة سوى تلك اللحظات المتميزة بقوة الدولة وسطوتها على الأرض والسكان من نهر السينغال في إفريقيا إلى أعماق الأندلس في أوربا، في حين أن محترفي الحزبية وأقلام الارتزاق في الزمان الحاضر يبررون حالة العجز والجمود بمخلفات الاستعمار متجاهلين السياسات الخاطئة التي سببت كوارث اقتصادية وثقافية في مجتمع تسيطر فيه الأقلية المترفة على حساب معاناة الأكثرية الفقيرة.

لقد مرت حوالي خمسين سنة على إعلان الاستقلال ولاتزال المؤسسات المالية الدولية تضع المغرب في مؤخرة قائمة البلدان الأكثر فقرا في العالم، وتصنفه كبلد متخلف اقتصاديا وثقافيا ويعاني أغلب سكانه من الأمية، ولا يعمل سوى على إعادة انتاج المثقف المرتزق والسياسي المتواطئ والفقيه المنافق والتاجر الجشع والمواطن الجاهل المتملق والمستسلم للخوف من رجل السلطة المغرور بجبروت القوة.

وإذا ما اتسمت تجربة ما يسمى **«التناوب الديمقراطي»** بالضحالة والفشل في تحقيق أي إنجاز ملموس، فإنها أظهرت أن الانتهازية السياسية والردة المذهبية صفتان ملازمتان لضعاف الإيمان المخادعين والمتاجرين بعذابات الجماهير.

إن على الجيل الحاضر الذي فتح عينيه على خراب شامل اقتصادي واجتماعي وأخلاقي أن يأخذ العبرة من التجارب المريرة الماضية وأن يستحضر تضحيات الجيل المغدور، وأن لا ينخدع بعد الآن بخطابات الزعيم والقائد والمجاهد الفضفاضة والمشحونة بالعواطف المخادعة، وأن يتحلى بالجرأة في المساءلة والمطالبة بالحساب والممارسة النقدية الصحيحة لكل الأخطاء والسلوكات وأن يكون مستعدا لبذل التضحيات بأشكال جديدة وربما بوسائل غير مسبوقة، ويجب عليه عند صياغة البديل الجديد أن يجعل من الأفعال الملموسة محكا ثابتا لإصدار الأحكام على الأشخاص والهيئات حتى لا ينخدع بتجار الشعَارات وسماسرة السياسة.



المراجع

المراجع العربية :

1 - القرءان الكريم
2 - صحيح البخاري
3 - ابن هشام، السيرة النبوية، القاهرة بدون تاريخ
4 - تفسير الجلالين، طبعة دمشق 1978
5 - محمد الرازي فخر الدين، الفخر الرازي، ج 5دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.
6 - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة بيروت، بدون تاريخ
7 - عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
8 - أحمد الشرباصي، الفداء في الإسلام، القاهرة .1971
9 - محمد عمارة، الإسلام والحرب الدينية. بيروت .1982
10 - المستشار محمد العشماوي، الإسلام السياسي، الدار البيضاء 1991.
11 - هادي العلوي، فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية، قبرص 1999.
12 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956.
13 - عبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط 1931.
14 - تاريخ الضعيِّف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1988.
15 - أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان.
16 - الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، الخزانة العامة بالرباط رقم 1178-671.
17 - محمد غريط، فواصل الجمان في أنباء وزراء الزمان، فاس 1927.
18 - عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية... المطبعة الأهلية، الرباط 1927ج1.
19 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، تطوان، بدون تاريخ.
- حديث المغرب في المشرق، القاهرة 1956.
- النقد الذاتي، دار الكشاف، بيروت 1966.




- عقيدة وجهاد، تقرير أمام المؤتمر العام لحزب الاستقلال يناير 1960.
- وضعية المغرب تقرير أمام اللجنة المركز المركزي للحزب في أبريل 1963 بالرباط.
- الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، مطبعة الرسالة، الرباط 1990.
- نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها "العلم" 1986-9-11.

20 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، الناشر مؤسسة الوزاني 1986.
- تصريحات صحفية ج 2بيروت 1986.

21 - المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، منشورات اليسار الديمقراطي، دار قرطبة الدار البيضاء 1996.

22 - محمد البصري الفقيه، كتاب العبرة والوفاء، حوار مع حسن نجمي، نشر مؤسسة الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الدار البيضاء 2002.

23 - المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1994.

24 - وثائق الحركة الوطنية بشمال المغرب، ج1، تطوان 1980عرض وتعليق بن عزوز حكيم.

25 - الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، طنجة 1980.

26 - الحسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء 1979.

27 - جهاد من أجل التحرير، استجواب مع الدكتور الخطيب وحافظ إبراهيم، أعده محمد خليدي وحميد خباش، منشورات المناهج، الرباط 1999.

28 - عبد الله إبراهيم، سمات الوضع الراهن بالمغرب، منشورات الاتحاد الوطني، الدار البيضاء 1985.
- التقرير المذهبي، المؤتمر الثالث للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الدارالبيضاء 1974.

29 - محمد المختار السوسي، المعسول ج1، الدار البيضاء 1961.
- الإلغيات ج1، الدار البيضاء 1963.

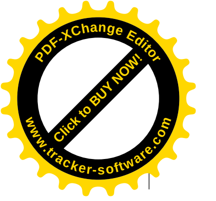
30 - عبد الله الجراري، أعلام الفكر المعاصر، الرباط 1971.
- صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال سنة 1944، الدار البيضاء 1956.

31 - عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، الرباط 1962.

32 - محمد المنوني، مظاهر يقظه المغرب الحديث ج1، الرباط .1973

33 - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج1، الرباط 1971.
- مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد -1880الرباط 1977.

34 - محمد زنيبر صفحات من الوطنية المغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1976.

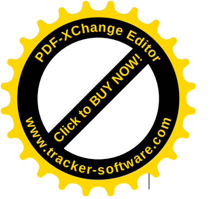



35 -أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، طنجة 1991.
36 - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930إلى 1940، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1992.
37 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر ج1،الرباط 1980.
38 - عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دار الرائد للطباعة، القاهرة 1964.
39 - الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984.
40 - عبد الكريم غلاب، الماهدون الخالدون، الرباط 1991.
– تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ج1، الدار البيضاء 1976.
41 - محمد وديع الأسفي، السلفي المناضل الشيخ محمد بن العربي العلوي، دار النشر، الدار البيضاء 1987.
42 - المهدي المومني التجكاني، دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء 1987.
43 - الأنصاري عبد الله الرداد، من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية، سلا 1990.
44 - قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أكدال، الرباط 1984.
45 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرباط 1992.
– نصف قرن في السياسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2002.
46 - المهدي بنونة، السنوات الحرجة، منشورات الشرق الأوسط، الرباط 1989.
47 - أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، دار الأمل، طنجة 1975.
48 - العربي الورياشي، الكشف عن سيرة بطل الريف الأول محمد أمزيان، تطوان 1976.
49 - محمد العربي الخطابي، المغرب في طريق الاستقلال، الدار البيضاء 1956.
50 - محمد المعزوزي، هاشم العابدي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900إلى 1935، مطبعة الأنباء، الرباط .1987
51 - مصطفى بوشعراء، ا لاستيطان والحماية بالمغرب ج 1الرباط 1984.
52 - رشيد ملين، نضال ملك، سيدي محمد بن يوسف، الرباط 1956.
53 - محمد الحبيب الفرقاني، الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير الدار البيضاء 1990.
54 - عبد الله الوكوتي، ذكريات مقاوم، معركة التحرير 1956-53، مطبعة التوفيق، الرباط 1996.
55 - الحسين برادة، مسيرة التحرير، منشورات افريقيا، الرباط 2000.
56 - محمد بن سعيد أيت يدر، صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي، الدار البيضاء 2001.





57 -عبد الرحيم الورديغي، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 1956-52بدون تاريخ.
- المغرب من وفاة محمد الخامس إلى حرب الرمال 1965-63الرباط 1986.
- الخفايا السرية في المغرب المستقل 1955-1961، الدار البيضاء 1982.
58 - عبد اللطيف جبرو، المهدي بن بركة بناء الوطن ج2، الدار البيضاء 1986.
- المهدي بن بركة في مواجهة العاصفة .3دار النشر، الدار البيضاء 1991.
- عدي وبيهي، حكاية عصيان تافيلالت، الرباط 2001.
59 - عبد الرحمان الصنهاجي، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي، مطبعة فضالة 1987، المحمدية.
60 - حسن العرائشي، بوشعيب بن الطيب شجاعدين كفاح الملك والشعب، جمعية حركة المقاومة المغربية، الرباط 1958.
61 - ثمن الحرية، إصدار جمعية المقاومة والتحرير، الدار البيضاء 18-6-1958.
62 - محمد السلاوي أبو عزام، معركة استقلال المغرب، ج1، الدار البيضاء 1979.
63 - مصطفى العلوي، الأغلبية الصامتة بالمغرب، الرباط 1977.
64 - عماري الطاهري، المقاومة بالمغرب الشرقي، ج1، المعارف الجديدة، الرباط 1991.
65 - الدرفوفي محمد بوزيان، من أجلك يا بلادي، مطبعة الساحل، الرباط بدون تاريخ.
66 - عبد الصادق القادري، تعريف بتاريخ المقاومة المسلحة، المطابع الشرقية، وجدة 1999.
67 - سليمان عباس العرائشي، عملية مطبعة الأطلس بالدار البيضاء، من تاريخ المقاومة السرية بالمغرب، سلا 1994.
68 - حمو الإدريسي، الحركة الوطنية بالشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر، مطابع البوغاز، طنجة 1990.
69 - المريني العياشي، صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة ج .1طنجة 1983.
70 - محمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، الدار البيضاء 1975.
71 - امحمد بن هاشم العلوي، شاهد عيان، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1989.
72 - التهامي الوزاني "الزاوية" مطبعة الريف، تطوان 1942.
73 - محمد حجي، الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، دار المغرب للتأليف 1977.
74 - محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الرباط 1987.
75 - محمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، الرباط 1982.
76 - مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية 1913-1937، البوكيلي للطباعة والنشر، القنيطرة 1998.
77 - أحمد مفتاح البقالي، مؤسسة السجون بالمغرب، منشورات عكاظ، الرباط 1989.
78 - لحسن لعسبي، عبد الكريم الزرقطوني، الشهيد محمد الزرقطوني، الدار البيضاء




.2000

79 - إبراهيم لهلالي، بعد نفي رمز الأمة، أحكام من شهور وأعوام إلى الإعدام، سجن العاذر من 20-8-1953إلى 16-11-1955الجديدة 1986.

80 - محمد جميل بهيم، المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة بيروت 1962.

81 - إبراهيم السولامي، الشعر المغربي في عهد الحماية، الدار البيضاء 1974.

82 - محمد العمري، الإفراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17و 18الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء 1992.

83 - عبد القادر الشاوي، حزب الاستقلال 1944-1982، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1990.

84 - محمد الباقر الكتاني، ترجمة الشيخ محمد الكتاني، الرباط 1962.

85 - هاشم المعروفي، عبير الزهور في تاريخ البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور، الدار البيضاء 1987.

86 - محمد بن سعيد الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ج1، الدارالبيضاء 1961.

87 - فرناندو بلديمارا مارتنيث، خواكين غاتيا، رحالة المغرب، تطوان 1954.

88 - بيرنهاردت ج. هروود، تاريخ التعذيب، ترجمة ممدوح عدوان، دار الجندي، دمشق 1998.

ندوات ومنشورات :

1 - وثائق فرنسية غميسة حول المقاومة المغربية 1953-1956.

2 - سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الوثيقة الثانية 1984.

3 - ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال الجزء الأول.

4 - مجلة المقاومة وجيش التحرير عدد4، 1982.

5 - ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، جامعة ابن زهير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، الهلال للطباعة، الرباط 1997.

6 - ندوة دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، جامعة شعيب الدكالي الجديدة، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء 1995.

7 - المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، الرباط 1978و1998.

8 - البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، مجلة كلية الآداب، الرباط 1989.

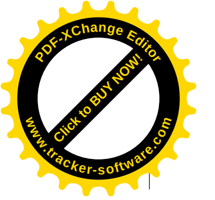
9 - مجلة "أمل" عدد3، الدار البيضاء 1993.

10 - مجلة "آفاق" عدد1، الدار البيضاء 1992.

11 - مجلة "وجهة نظر" عدد5، الرباط 1999.

12 - مجلة "الثقافة الجديدة" عدد 18، الدار البيضاء 1980.

13 - مؤتمر المغرب العربي، كراس صادر عن مكتب المغرب العربي، القاهرة 1947.


14 -منبر الحوار، عدد 135، بيروت 1998.

الصحف :

الطليعة، التحرير، المحرر، العلم، الرأي العام، السعادة، الوداد، أنوال، الاتحاد الاشتراكي، الميثاق الوطني، النشرة، الصحيفة، الأيام.

المراجع الأجنبية :

Albert Ayache - Le mouvement syndical au Maroc, T.1.1919-1942, l'harmattan, Paris 1982.
- La marocanisation 1943-1948. Wallada. Casablanca 1998.
- Le Maroc, Bilan d'une colonsation, Paris, 1956.
- Histoire ancienne de l'afrique du Nord, Edi.sociales, Paris, 1964.

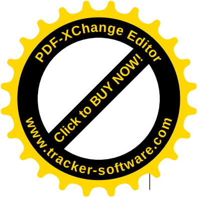
Abdelmajid BEN JELLOUN - Pages d'histoire du Maroc, le patriotis-me marocain face au protectorat espagnol, Rabat. 1993.
Abdelkrim ET LAGUERRE du Rif - Actes du colloque international d'études historiques et sociologiques, 18-19 Janvier 1973, Maspéro, Paris 1976.
Abdelaziz BELAL - L'investissement au Maroc 1912-1964, Casablanca 1980.
Attilo gaudio - Le dossier du sahara occidental, Nou. Ed. Ladines, Par-is 1978.
Abdallah LAROUI - Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, Paris 1977
Abderrahim ouardighi - mémoires d'un ancien résistant 1953-1956, Rabat 1987.
Charles-André Julien - Le Maroc face aux imperialismes 1415-1956. Ed. Jeunne Afrique, Paris, 1978.
Capitaine Cornet - A la conquête du Maroc Sud avec la colonne Mangin 1912-1913, Paris, 1914.
Capitaine Ceccaldi - Au pays de la poudre, le fournier, Paris, 1914
Chauffard Georges - Les carnets secrets de la colonisation, T.1 une al-liance militaire franco-espagnole sous la IV république, Paris, 1967
Christian Houel - Mes aventures marocaines Casablanca 1954.
Documents français inédits relatifs à la période de la résistance maro-caine 1953-1956.
Edmon Doutté - mission au Maroc en tribu, Paris 1914.
Germain Ayache - Etudes d'histoire marocaine. SMR. Rabat 1979.
Guy delanoë - L'yautey, Juin, Mohamed V, Fin d'un protectorat, l'har-





mattan, Paris 1988.
- La résistance marocaine et le mouvement conscience française.
- L'harmattan, T.3, Paris 1991.
Général des champs - Souvenirs des premiers Temps au Maroc français 1912-1915, Paris 1935.
Gilbert Grandval - Ma mission au Maroc, Plon, Paris, 1956.
Général Maurice Durosoy - avec l'yautey, homme de guerre, de paix, Paris 1976.
Georges oved - La gauche française et le nationalisme marocain, T.II, Paris, 1984.
Geores R.Manue - sur les marches du Maroc insoumis, Paris, 1930.
Georges spillmann - Du protectorat à l'indépendance du Maroc 1912-1955, Plon, Paris, 1967.
Hassan II - La mémoire d'un Roi, Entretien avec Eric laurent, Plon, Paris, 1993.
Hervé Bleuchot - Les Liberaux français au Maroc 1947-1955, Ed, Ophrys, Université de provence, 1973.
Henry dugard - La conquête du Maroc, la colonne du sous, Paris 1918.

- Le Maroc de 1917, Paris 1917.
Histoire du Maroc - ouvrage collectif, Hâtier, Paris, 1967, Izarab
M.Hassan Ouazzani - Entretiens avec mon père. Mkalés-Liban 1989.
Jean-charles legrand - Justice patrie de l'homme-défenses devant les tribunaux militaires du protectorat 1953-1955, Rabat, 1955.
Jean-d'esme - Bournazel, l'homme rouge, Paris, 1952.
J.F.Chavel - à rebrousse-poil, Olivier Orban, 1974
Joaguin Gatell - Viajes par Marrucos-El sur, Wad Nun, Tekna El Kaid Ismaïl 1878-1879, Sociédad geografica de Madrid.
Jean Jaurés - Textes choisies, T1, Paris, 1959.
Jérome et Jean tharaux - Fez ou les bourgeois de l'islam, Paris, 1930.
Jean le coz - Le Rharb, fellahs et colons, inframar, Rabat 1964.
Jean louis Miege - le Maroc et l'europe 1830-1894 T.4, PUF. Paris, 1964.
Jean et Simone Lacouture - Le Maroc à l'épreuve, Paris, 1958.
Jean Vidal - Le Maroc héroïque, Paris, 1938.
Ladislav cerych - Européens et Marocains 1930-1956, Genève 1964.
Lieutenant Kuntz - Souvenirs de campagne au Maroc, Paris, 1913.




L'yautey l'Africain - Textes et lettres du maréchal l'yautey, présentés par Pierre l'yautey T.IV Paris, 1957.
Le Mémorial du Maroc - collection dirigée par Larbi Essakaili, V.7. 1953-1983.
Larousse - Paris, 1999.
Louis Souchon - Accusé, taisez-vous, Ed. de la table ronde, Paris, 1970.
Yvette katan - Oujda une ville frontière du Maroc, 1907-1956. Ed. La porte, Rabat, 1993.
Mehdi Bennouna - héros sans gloire, echec d'une révolution 1963-1973.
Tarik édition, Casablanca 2002.
Marc de Mosiers - promenade à Fès, Casablanca 1933.
Mohammed Kenbib - Les protégés, contribution à l'histoire contemporaine du Maroc. Im. NAJAH El Jadida, Casablanca, 1996.
Nataf Félix - l'indépendance du Maroc, Témoignage d'action 1950-1956, Plon, Paris 1975.
Paul Pascon - Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1983.
Pierre Durand - vivre debout la résistance, Ed. Missidor la Farandol, 1985.
Pierre July - une république pour un roi, Fayard, Paris, 1974.
Pierre Parent - Expulsé du Maroc. Imp Régionale, Toulouse 1955.
Pierre Semard - La guerre du Rif, Paris, 1926.
Robert Barrat, - Justice pour le Maroc, Seuil, Paris, 1953.
Robert Montagne - les berbères et le Makhzen dans Le Sud du Maroc. Essai sur la vie politique des Berbères sédentaires (Groupe Chleuh) Alcan, Paris, 1930.
Robert Rézette - Les partis politiques marocains, colin, Paris, 1955.
Roger Le Tourneau - Fès avant le Protectorat, Casablanca, 1949.
Ramiro santamaria - Ifni-sahara, La guerra ignorada, madrid, 1985.
Zaki m'bark - Résistance et armée de libération, porté politique, liquidation, 1953-1956. Tanger 1987.
Stéphane Bernard - Le conflit Franco-marocain 1943-1956, Bruxelles 1963. T.3.
Simone Bérriau - Simone est comme ça, Robert Laffont Paris, 1973.
Water bury John - Le commandeur des croyants, la monarchie marocaine et son élite, PUF. Paris, 1975.

PUBLICATIONS

Al-asas, n*3, Casablanca 1985
Bulletin économique et social du Maroc N*33, Vol. IX, 1947, et N*49, Vol. XIV, 1951.
Bulletin de la chambre de commerce et de l'Industrie de Casablanca 18-7-1924.
Cahier du Temoignage chrétien N*54, La mort de Mehdi Ben Berka,

un dossier à rouvrir, Paris, 1973.
Etudes sur histoire du P.C.M. (35 années de lutte).
Espoir 29-5-1948.
France observateur, 1954, 1955, 1956.
L'Auror 24-25 Août 1972.
Le cri du Maroc N*16, 8 Octobre 1923, Casablanca.
Le courrier du Maroc, Fès 12-3-1954.
La croix, 30-10-1953, Paris.
Le journal 6-7-2001, Casablanca.
L'opinion du peuple 24-4-1948 Rabat.
Le soir marocain 30-5-1935, Casablanca.
Revue abolitionniste, Janvier 1955.
Revue Esprit, Février 1953-Février 1956, Paris.
Revue juridique, politique et économique du Maroc N*8-1980.
Le Petit marocain.
La Vigie marocaine.
Temps modernes N*66 Paris 1951 N*87, 1953.
Talib El Moukafih 7-4-1975, Paris.

فهـــرس

تنبيه إلى القارئ الكريم

الاهداء

مقدمة: فضح التزوير واجب ضروري 7

مدخل: نقد المنهجية الاستعمارية والوطنية في دراسة التاريخ 15

الفصل الأول: الجذور الثقافية للمقاومة المسلحة 31

الفصل الثاني: المواجهة بين الجماهير الواعية وقوات الاحتلال 45

الدماء تسيل في مراكش 46

انفجار الغضب الشعبي في وجدة 49

سلطان المظلة والملك الموهوب 52

الفصل الثالث: العفوية في الكفاح المسلح 59

عشرة آلاف جندي للبحث عن الحنصالي 59

هجوم شجاع فضح السياسة الاستعمارية 62

السلاح الابيض في غياب البندقية 64

الضمير الوطني سلاح الكادحين 65

الارهاصات الاولى للعمل المنظم 66

الفصل الرابع: العمق التاريخي لحركة الفداء 69

المنظمة السرية 73

القيادة 77

ميدان العمليات 80

الخلية 81

الاستخبارات 82

الدعاية 85

القاعدة الخلفية 88

مصادر الأموال 89

السلاح 94

الفصل الخامس: المقاومة توجه الضربات الى جهاز القمع 99

المقدم 101

العريفة 105

المنادي 111

المخازنية 113

المثقفون الإنتهازيون 115

الفصل السادس: قضايا اجتماعية في قلب الصراع بين الوطنية والاستعمار 121

البغاء لتحقيق الربح وتخريب الأخلاق 121

الاستعمار شجع الدعارة 124

الخمور لتخدير العقل وتفكيك الأسرة 131
الحشيش والمخدرات 135
مقاطعة التدخين والبضائع الفرنسية 137
الفصل السابع: ضربات نموذجية للنيل من معنوية العدو 141
انقلاب القطار 142
انفجاران في القطار السريع 142
دماء سالت في عيد المسيح 144
اصابة الباشا الجلاوي بجراح 145
هجوم على السلطان عصف بسمعة فرنسا 146
المقاومة تضرب في اقصى الجنوب 147
اغتيال وكيل الدولة 148
محاولة اغتيال المقيم العام 148
مصرع جنرال 149
نهاية عمدة الصحافة الاستعمارية 150
تصفية المراقب المدني 151
نجاة بونيفاس من الموت 152
الرصاص يحصد المعمرين في وجدة 153
رصاصة في رأس النقيب 154
انفجار في العيد الوطني الفرنسي 156
المقاومة توجه سلاحها ضد اعمدة الاستعمار 157
الفصل الثامن: الاستعمار يستنجد بالفقهاء والتجار 159
فتوى العلماء باعدام الفدائيين 159
البورجوازية التجارية تستنكر اعمال المقاومة 171
الفصل التاسع: الكفاح العادل والارهاب الاستعماري 183
مساهمة المرأة في الكفاح المسلح 183
العنصرية سلاح ايديولوجي بيد الامبريالية 192
جرائم المنظمات الارهابية الفرنسية 198
لائحة بجرائم الارهاب الفرنسي 203
اخطاء في التنظيم واعتقالات بالجملة 205
خلايا المقاومة التي اكتشفتها الشرطة 211
الاستعمار مارس التعذيب في المعتقلات 215
عمليات استشهادية حفاظا على الأسرار 226
الفصل العاشر: الأحكام القاسية لم توقف مسيرة المقاومة 235
القاضي ليس في حاجة الى الحجة 235
الضحية تسخر من الجلاد 236
الجاسوس يتقمص شخصية المناضل 237
الراشدي الناطق باسم المقاومة 237
منصور يرفض تهمة الارهاب 240
طفل يفضح اول خلية سرية 241

واجب الفلاحين تجاه الملك والاستقلال 242
جماعات أخرى بالدارالبيضاء 242
الرباط: القضاء على خلايا نشيطة 244
فـاس: الدفاع عن الحرية باسم القيم الروحية 246
عبد الله الشفشاوني فضل الموت على العيش في العبودية 249
جماعات بفاس 252
مراكش: محاولة القضاء على المقاومة في المهد 252
جماعة الفطواكي زعزعت اركان الاستعمار 254
جماعات أخرى بمراكش 258
اكاديـر: العمال عادوا من المهجر للمشاركة في الكفاح 259
خلايا مسلحة في جهات متعددة:
الصويرة 260
تارودانت 260
وجدة 261
بركان 262
وزان 262
الخميسات 263
تيفلت 263
المحمدية 263
سطات 264
الجديدة 264
آسفي 264
بني ملال 265
الفصل الحادي عشر: المقاومون يتغنون بالحرية امام خشبة الاعدام 267
احكام الاعدام الصادرة في حق المقاومين 269
السجون بلا قانون لتعذيب الانسان 273
الصويرة: فرار جماعي من سجن الصويرة 277
القنيطرة: الأبواب الفولاذية تستسلم لارادة المقاومين 279
حوادث في خريبكة والدار البيضاء 282
الفصل الثاني عشر: المصادفة في العمل المسلح 285
الرشاشة والاستهزاء 285
المقاوم والسبحة 285
قنبلة قاتلة للحشرات 286
مكتوب علي ان اقتله 286
تصرف طائش لقيادة المقاومة 287
اسم مشترك لشخصين مختلفين 287
مقاومان في حماية رجال الدرك 287
موت ملاك الموت 288
الدقيقة الأخيرة منعت الطعنة القاتلة 288

غصن الشجرة المنقذ.. 289
المقدم المقاوم.. 289
انهم رياضيون.. 289
هل هو العمى ام الغباء؟.. 290
دعه يمر!.. 290
الفصل الثالث عشر: مبادرات عفوية لجماهير بدون قيادة.............................. 291
السخرية وسيلة لمحاربة الاستعمار.. 291
الجماهير الواعية والحشود العائمة.. 297
الاقتصاص من العملاء.. 308
مظاهرات الشوارع.. 312
الفصل الرابع عشر: مقارنة بين المقاومة المغربية والفرنسية.............................. 315
الدعاية.. 315
التنظيم.. 318
الوحدة الترابية.. 319
شهداء الحرية.. 319
الديمقراطيون الفرنسيون يساندون كفاح المغاربة.............................. 324
الفصل الخامس عشر: صراع المصالح وجمود العقول انتكاسة لمسيرة التحرير.......... 329
البورجوازية تلتحق بالاستعمار الجديد.. 329
التطاحن بين حزب الاستقلال وحزب الشورى.. 338
العداء المتبادل بين الوطنية والشيوعية.. 348
الهلال الأسود من الانفصال الى التصفية.. 354
نهاية المقاومة واجهاض الثورة الشعبية.. 359
الفصل السادس عشر: جيش التحرير: غاب الوعي السياسي وعجزت البندقية........ 367
1955: جمال عبد الناصر يرعى الثورة في جبال الريف.......... 367
1960: الهاجس الأمني حال دون استكمال تحرير الصحراء.... 377
لائحة باهم المعارك الحربية.. 387
الفصل السابع عشر: الاستقلال الشكلي ترسيخ للهيمنة الإمبريالية.......................... 391
ثقافة الرعب تسود المجتمع.. 401
تقديرات خاطئة وأخطاء قاتلة.. 423
شباب أعدموا في عهد الاستقلال.. 449
لائحة غير كاملة لضحايا إرهاب الدولة.. 454
الخاتمة سقوط اقنعة الانتهازية السياسية.............................. 459
المراجع العربية.. 471
ندوات ومنشورات.. 477
المراجع الأجنبية.. 478
فهرس.. 481



La dénonciation de la falsification est une nécessité

Nés depuis l'indépendance du Maroc en 1956, les trois-quarts des marocains ignorent l'histoire des événements qui ont engendré la situation actuelle, d'autant plus qu'il n'est pas encore autorisé de consulter les documents français et espagnols relatifs à la guerre de libération des années 1953-60.

Les documents marocains concernant les actions de l'armée de libération au Sahara et les liquidations physiques qui les ont accompagnées de 1955 à 1973 demeurent inaccessibles, ainsi que persiste l'intérêt qu'ont les trois parties à ne pas livrer ces documents et lever le voile sur les fondements du néo-colonialisme.

L'occultation concerne également les informations publiées par les journaux et revues de cette période. Cette documentation qui se trouvait à la bibliothèque nationale a été soit détruite purement et simplement, soit amputée des passages qui dénoncent ses auteurs, afin de gommer un passé qui révèle la trahison et effacer celle-ci de la mémoire des nouvelles générations, et freiner une prise de conscience historique réelle.

Parmi les exemples on peut citer le destin réservé à la " fatwa " de quelques oulémas émise à la demande de l'administration coloniale qui ravalait les résistants au rang de criminels ne méritant que l'exécution capitale au nom de l'Islam.(1)

La position de la majorité des notables et des gros commerçants de Casablanca n'était pas moins abjecte, puisqu'elle comparait les résistants à des terroristes exclus de l'Islam.(2)

Les " actualités filmées " ont disparues alors qu'elles con-

1- La FATWA en terre d'Islam est une réponse non contraignante sur une consultation religieuse et juridique.

2- Dans la société arriérée chaque groupe utilise la religion comme une arme facile dans la lutte politique, économique et doctrinaire pour expulser l'adversaire de la foi.

stituaient des films d'information sur les activités hebdomadaires des autorités du protectorat. Par l'image et le son ces " actualités " montraient ceux qui avaient chaussé les bottes du colonialisme, et sont devenus, l'indépendance recouvrée des hommes puissants et influents.

La destruction petit à petit du film de Richard Chenay sur la “Route de l'unité”, constitue dans ce sens un exemple éloquent. Ce documentaire montrait l'immense enthousiasme qui caractérisait la jeunesse marocaine durant la construction de cette route de l'unité reliant le nord au sud, mettant fin au partage colonial du pays entre Français et Espagnols.

Dans les années 60, le film avait subi des amputations successives jusqu'à sa disparition, en raison de la présence aux côtes du Roi nationaliste feu Mohammed V de Mehdi Ben Barka qui était effectivement le concepteur de la route de l'unité. (3)

En plus de la destruction, est apparue la volonté de falsification des réalités par les professionnels de la politique, et représentants de l'ordre établi.

Ainsi l'un des responsables du parti de l'Istiqlal a prétendu avoir été chargé de préparer des archives techniques et scientifiques afin de fabriquer des bombes en sa qualité d'ingénieur des mines.(4)

L'un des dirigeants du PDI (Parti démocratique de l’indépendance) a consacré cinq pages sur les 612 qui composent le tome II de ses souvenirs pour traiter de la résistance armée, et a prétendu, d'une manière tortueuse qu'il a participé à la résistance armée. La réalité est toute autre puisqu'il était parmi les politiciens qui ont joui de leur liberté pendant la crise, et n'a été ni poursuivi ni emprisonné.(5)

Un des membres du parti national de la réforme a fait de la résistance un sujet de dérision en relatant que des messages secrets étaient portés de Tanger, zone internationale, vers la zone placée sous l'autorité espagnole, dans les oreilles d'ânes(6).

La documentation a perdu toute crédibilité lorsque cela a été

3- Mehdi Ben Barka dirigeant de la gauche marocaine, était condamné deux fois a mort par contumace, en 1963 et 1964. Enlevé à Paris le 29-10-1965. De grands responsables dans le gouvernement marocain, des membres de la police française et le service des renseignements israéliens (MOSSAD) étaient mêlés à l'affaire.

4- M'hamed Douiri, journal (AL ALAM) 22-8-1978.

5- Abdelhadi Boutaleb, Dikraiat, chahadat, oua oujouh, T2. P.536, Rabat 1992.

6- El Mahdi Bennouna, Assanaouat el harija, P.114, Rabat 1989.

publiée par le journal " AL Alam ", organe du parti de l'Istiqlal, sous forme de souvenirs attribués à Abdeslam Bennani, décédé en 1975. Il y est raconté qu'il a déposé en Août 1953 des bombes dans une mosquée à Marrakech, dont l'explosion a causé des blessures au sultan(7). La vérité est que l'explosion a eu lieu le 5 Mars 1954, alors que Bennani était en prison. Il avait été arrêté avec les membres de l'organisation " la main noire " en septembre 1953, et avait été relaxé le 5 Juin 1954 par le tribunal militaire faute de preuve(8), mais la police l'avait arrêté à la sortie du tribunal, pour être emprisonné durant sept mois avant d'être à nouveau jugé, mais avec le groupe Mansour le 23 janvier 1955. Il avait été condamné alors à 20 ans d'emprisonnement.

Il y avait tellement de bévues dans ces " souvenirs " que le journal a été contraint de suspendre leur publication, à la suite des protestations de membres de l'Istiqlal ayant pris part à la résistance.

Certains parmi ces membres ont attribué les déformations à Bennani lui-même, alors que quelques-uns ont porté l'accusation sur d'autres. Abdelkebir Al Fassi a reconnu qu'il n'avait pas pris connaissance du texte, mais s'est contenté de rédiger l'introduction à la demande de proches de Bennani, s'appuyant sur l'amitié qui l'unissait au défunt durant la lutte nationale.(9)

De son côté, Ben Saïd a prétendu qu'après les événements de décembre 1952, il avait adhéré à "l'organisation secrète " dans la ville d'Agadir, alors que ce nom n'a vu le jour qu'en 1954. Durant la période visée, Ben Saïd était réfugié a Sidi Ifni, qui se trouvait sous l'autorité espagnole. Il a eu le front d'affirmer qu'il avait participé à la lutte contre les forces françaises et espagnoles au Sahara alors qu'en réalité il n'avait pas quitté Goulimime qui se trouvait à l'intérieur du Maroc indépendant, où sa tâche se résumait à assurer les dépenses consacrées à l'armée de libération.(10)

D'une manière générale, les souvenirs personnels, malgré leurs limites, décrivent les faits d'un seul point de vue, soit marqué par la raideur partisane, soit procédant de l'égocentrisme.

Les années 60 et 70 du siècle dernier ont été marquées par les tentatives d'oblitération des valeurs représentées dans la con-

7- " Al Alam " 13-27 Décembre 1987, et 10/1/1988.
8- Le petit marocain 7-6-1954.
9- Entretien avec El Ghali Eliraki, le 15-3-1988 à Casablanca.
10- M. Ben Saïd Ait Idder, Safahat Min Malhamat Jeich Attahrir Biljanoub Al Maghribi, Casablanca 2001.

science des gens par l'esprit de la résistance. Un grand nombre parmi les meilleurs fils du Maroc ont été assassinés, alors que d'autres ont été jetés dans les geôles, et des dizaines contraints à l'exil. Les chercheurs engagés ont cessé d'écrire sur la lutte populaire, alors que le sanguinaire général Oufkir a entrepris de brouiller les cartes en intégrant les anciens combattants de l'armée française à l'ensemble des résistants pour l'indépendance pour former une seule association sous les ordres d'officiers de son acabit, promus par les écoles de l'occupation.

Le pouvoir a réussi à disloquer de l'intérieur le mouvement de la résistance, a acheté une poignée de résistants connus en les comblant de privilèges, en leur offrant des fermes, en les gratifiant de licences de transport, de pêche hauturière, et d'importation de produits de base comme le sucre et le thé. Toute latitude leur a été laissée pour monnayer la " carte de résistant " auprès des plus offrants, parce qu'elle était la clé pour rendre leur respectabilité aux traîtres, et un moyen de faire fortune. Il y avait parmi les bénéficiaires des agents, des trafiquants de drogue, et beaucoup d'arrivistes et d'opportunistes.

Les résistants authentiques, tout autant que ceux qui étaient éloignés de tout esprit de résistance, faisaient état de blessures contractées durant la lutte et ont perçu des compensations financières, alors que les blessures étaient imaginaires, mais dont la véracité a été établie par des médecins commis par L'Autorité a cette effet.

Le nombre de bénéficiaires de la " carte magique " a atteint dans les années 80 plus de 70 000 personnes, alors que le premier recensement de 1958 ne dépassait pas les 14000 dans l'ensemble du Maroc.(11)

D'un autre coté, le " commissariat à la résistance " qui est financé par l'Etat s'est occupé de travestir les réalités et a abordé sa tâche sur deux fronts :

La première se résume à satisfaire quelques revendications financières au profit des résistants et des familles de martyrs ainsi que de les soumettre à une tutelle politique. La seconde consiste à imposer l'interprétation officielle de l'histoire et marginaliser la lutte populaire et de l'effacer de la mémoire collective.

Cette action planifiée a débuté sous forme d'une documentation rassemblant les informations concernant la résistance publiées par la presse colonialiste en langue arabe et française dans les années 53-56, et sa publication à nouveau dans des ouvrag-

11- Ce chiffre ne tient pas compte des membres de l'armée de libération.

es, avec ses erreurs, sans précisions, avec ses orientations coloniales. Cela a constitué une source non fiable pour les étudiants qui ont effectué leur travaux sur cette base.

Pour éclairer ce point de vue, il est nécessaire de relever des exemples de quelques erreurs véhiculées par ces publications. Le lecteur trouvera le rétablissement de quelques vérités dans différents sujets traités des chapitres constituant cet ouvrage.

L'information qui rapporte " l'explosion d'une bombe à retardement au palais Bahia en présence du général Guillaume " comporte deux erreurs, l'une sur le type de bombe, l'autre sur le lieu de l'explosion.

La presse française a publié le lendemain l'information rectifiée. Mais le traducteur n'a pas prêté attention au rectificatif et a conservé la relation erronée, reproduite par nombre d'étudiants et de chercheurs.(12)

Une autre information avec des détails inexacts a été rapportée sur une bataille imaginaire entre les gardes de Boniface, chef de la région de Casablanca, et les résistants.(13) Sur la base de cette information sans fondement, un écrivain s'est lancé avec brio dans la description d'une " bataille " qui n'a pas eu lieu, et son imagination débordante en a fait une épopée exceptionnelle.(14)

Les dossiers consacrés aux martyrs sont émaillés de nombreuses erreurs, parmi lesquelles la mort de Ahmed Akalla le 20 Août 1953, alors qu'il a été tué le 5 mars 1954 après avoir lancé une grenade sur le sultan Ben Arafa à l'intérieur de la mosquée Berrima à Marrakech.

La même source indique que Abderrahamane Sahraoui est tombé à la suite d'une confrontation avec la gendarmerie française,(15) alors qu'en fait il n'était pas armé et s'était empoisonné.

Il a été rapporté que Rahal Ben Ahmed était un membre du groupe Fetouaki. La réalité c'est qu'il a été arrêté au cours des manifestations sanglantes de Marrakech le 15 Août 1953, c'est-à-dire longtemps avant la constitution du groupe Fetouaki. Même la photo qui figure dans son dossier n'est pas la sienne. (16)

12- Ahdass Malhamat Al Istiqlal, T2, P.108, Rabat 1984.
13- Ibid, T3, P.56 Rabat 1985.
14- Kacem Zhiri, Mohamed El Khamis El Malik El Batal, P.197, Rabat 1984.
15- Moulakhassat Aan Hayat oua Kifah chouhada Alistiqlal, T1, P.8.
16- N? du dossier 620-405 et le dossier 495-524.

Ailleurs il a été souligné que Ghadfa Bent Al Madani a été tuée par la police française le 28 Janvier 1956 à Casablanca, alors qu'elle a été assassinée avec son mari résistant Abderrahmane Belamkhnat par d'autres résistants au cours d'un règlement de comptes.(17)

Les conférences organisées au sujet de la résistance par le " commissariat à la résistance " avec la participation de fonctionnaires de l'enseignement ont été caractérisées par la superficialité et les suppositions contradictoires.

Malgré les bonnes intentions d'une minorité de professeurs, la majorité de ceux-ci ont présenté des exposés futiles en raison des maigres données et de leur manque d'honnêteté intellectuelle. L'un d'eux a classé les Marocains dans les années 50 en résistants, agents, et indifférents. Puis il a posé la question suivante :

"Est-ce que les résistants étaient les seuls à aimer leur Patrie ? ". il n'a pas hésité à répondre :

" tous les Marocains aiment leur patrie "(18) avec cette argumentation qui simplifie à l'extrême, le patriote et le traître se retrouvent sur le même pied d'égalité dans leur amour de la patrie. Il s'est toutefois rétracté dans une tentative de sauver les couards en disant : " L'amour de la patrie nécessite une nature spécifique...dont jouit une minorité parmi les hommes... C'est le courage ".(19)

Un autre a prétendu que le peuple marocain a participé à la résistance avec toutes ses composantes,(20) alors que ces assertions occultent le rôle honteux joué par les intellectuels traîtres, les agents, les féodaux, et les grands commerçants dont les intérêts étaient liés à ceux du colonialisme.

Ces conférences étaient caractérisées par l'insistance puisque le conférencier poursuit sa tournée touristique d'une ville à l'autre aux frais du contribuable, en lisant la même feuille, et en percevant une rétribution à chaque conférence, transformant ainsi l'histoire en matière mercantile et le moyen de plaire au pouvoir.

17- Moulakhassat, Op, Cit. T3, P.193. Une autre version sur sa mort en P.213.

18- Bouchama Houssein, Iniikassat alamal El Watani Aala Rijal Alharakat Alwatania oua aala Mouhitihim. Nadouat jamiaat Ibn zouhir, Agadir, Novembre, 1991, Rabat 1997, P. 285.

19- Ibid.

20- Mohamed Razzouk, Nadouat Doukkala oua tarikh al Moukawama Bil-Maghrib, Jamiaat Bouchaïb Doukkali, Al Jadida, 1994, P. 56.

Ces dernières années, des articles en français et en arabe ont été publiés par des journaux, tentant de faire connaître les luttes sanglantes entre les organisations de résistance. Mais par manque de preuve convaincantes, les résultats se sont résumés à raviver les rancunes du passé.

C'est ainsi qu'ont été émis des témoignages verbaux sur quelques symboles de la résistance, à tel point que l'exagération dans les éloges pouvait les dépouiller de leur humanité.

Les confrontations furent violentes, individuelles ou en groupes, dans la lutte entre ceux qui combattaient pour la liberté, et ceux qui avaient confisqué les acquis de l'indépendance.

Ceux qui s'expriment au nom des populations pauvres ont épuisé toute leurs ressources pour leur autodéfense devant un pouvoir obstiné ayant rassemblé toutes ses capacités financières, morales et répressives pour écraser tous ceux qui réclament justice et démocratie.

La société marocaine a été plongée durant un quart de siècle dans l'enfer de la torture et des assassinats dénoncés par les consciences et les sentiments humains, même d'une manière tardive, ce que nous aborderons dans un autre chapitre.

Le travail qui se trouve entre les mains du lecteur n'a pas pour approche de justifier les erreurs de l'opposition de gauche ni de garder le silence sur les dépassements de gouvernants autoritaires. Le but est de soumettre les données historiques concrètes à la critique franche. Il s'agit également de se confronter avec les événements du passé d'un point de vue objectif qui aidera la génération nouvelle à comprendre les origines des situations pitoyables dans les plis desquelles elle se trouve. C'est son droit de connaître les réalités qui lui ont été escamotées et de réclamer le changement d'un présent dont elle subit les méfaits.

Il n'est plus possible d'imposer le silence sous prétexte de préserver la réputation du pays et de ne pas donner des armes aux ennemis et à la propagande étrangère alors que ces accusations proviennent souvent des véritables agents du capitalisme colonialiste.

Le colonialisme en soit n'est pas mort puisqu'il commande notre vie quotidienne aux plans économique, culturel et social. Il ne se met plus en avant et a rangé les fusils et les chars, et a continué l'exploitation sous couvert de " la mondialisation ", le partenariat, la modernité, et a récupéré ce qu'il a perdu grâce à la privatisation avec l'aide de Marocains dont certains se procla-

ment de gauche et ont fait preuve d'un zèle illimité pour transférer aux multinationales les acquis conquis par le peuple grâce à des sacrifices énormes.

Au dernier chapitre de cet ouvrage, le lecteur comprendra comment les fils de certains traitres, après s'y être infiltrer, ont dominé les appareils de direction du plus grand parti de masse en s'alliant aux politiciens dévoyés. Il apprendra également comment le système a pu recruter et utiliser un premier secrétaire ayant tourné le dos à ses convictions pour effriter «L'union socialiste des forces populaires», démanteler ses institutions et éloigner les militants sincères. Ce responsable a aidé le pouvoir à phagocyter le parti qui avait été durant quarante ans l'épine dans la gorge du despotisme et de la tyranie.

C'est un rappel et non une dénonciation.

La révision critique de la lutte nationale ne signifie pas jeter le doute sur ses dirigeants ou les déposséder des mérites du combat qu'ils ont mené contre le colonialisme, mais d'évaluer le rôle qu'ils ont joué lors d'événements historiques précis. Cela ne veut pas dire non plus qu'il est question de défigurer leur histoire, pas plus que de justifier leurs erreurs.

L'avenir ne peut être construit et ses problèmes affrontés sans connaître le passé et liquider son héritage.

Sans compréhension de ce qu'il est advenu durant l'étape qui a conduit à l'indépendance formelle, il est impossible de comprendre la société actuelle pleine de doute et qui cherche la voie qui conduit à l'espoir dont sont remplis les c?urs et les esprits.



Critique des méthodologies coloniale et nationale dans l'étude de l'histoire

Réécrire l'histoire du Maroc constitue une nécessité objective à notre époque. Pour une telle tâche, quelles possibilités peut-on attendre des sources et références alors que prédomine encore la conception coloniale et traditionnelle en matière d'historiographie ?

Les progressistes marocains de toutes nuances, conscients de cette situation, ont cherché une manière autre d'écrire l'Histoire.

Les fonctionnaires marocains ont de tout temps privilégié une attitude de complaisance à l'égard du pouvoir établi, ils ont corroboré la condition sous-développée en adoptant le chauvinisme ; ils ont brandi l'arme de la supériorité des valeurs culturelles arabes de l'âge d'or islamique sur l'Europe au moyen âge ; ils ont marginalisé les forces sociales actives alors que l'on ne peut comprendre l'histoire en dehors d'elles.

Pour leur part, les historiens du colonialisme ont eu tendance à considérer l'histoire nationale sous l'angle d'événements singuliers traduisant un passéisme permanent.

Ils ont cherché à travers les ouvrages marocains décrivant la décadence de la société, et, confortés par les aspects négatifs de celle-ci qu' ils ont analysée, pour pousser les Marocains au désespoir. Ils ont, d'autre part, pris une position d'essence raciste pour faire admettre la domination coloniale et défendre l'idée que seule la culture des conquérants peut sortir les peuples de leur sous-développement.

Au vrai, le déclin civilisationnel avait commencé au XIV siècle ; à preuve, les écrits d'Ibn-Khaldoun, mort en 1406.

L'historien contemporain marocain Abdallah Ibrahim explique le retard du Maroc comme ayant été " ...le résultat inévitable du passéisme de ses dirigeants qui ont constamment mobilisé leur arsenal politique, religieux, économique et militaire contre les Marocains ainsi malmenés à travers les siècles individuellement et collectivement et empêchés de penser, ainsi sou-

mis. Dès le dix-septième siècle les Marocains ont commencé à dériver nationalement et internationalement pour finir dans le gouffre du colonialisme ".(1)

Les colonialistes ont réussi au milieu du XVI Siècle à imposer leur autorité sur les principaux ports, les corsaires européens ont pris possession des points d'accès méditerranéens et atlantiques - un blocus qui a eu pour conséquence d'aggraver une situation intérieure complexe et de favoriser l'installation du désordre.

En survolant les ouvrages des historiens traditionnels, on peut se rendre compte de la place considérable qu'ils ont accordée à la dissidence des tribus et aux drames qu'elle a engendrés ainsi qu'à la destruction du système économique consécutif aux affrontements entre les tribus et le pouvoir central.

En étudiant l'ensemble des œuvres des historiens Ahmed ben Khalid Naciri (1835 - 1897) et Abderrahmane Ben Zaïdane (1878 - 1946), nous avons relevé que les troupes des sultans qui se sont succédés sur le trône de 1632 à 1892 ont été mêlées à plus de trois cent cinquante batailles contre diverses tribus.

Les causes de ces batailles étaient nombreuses, parmi lesquelles figurent la politique de spoliation menée par les représentants du pouvoir, le refus des populations de payer des impôts exorbitants et la sécheresse qui obligeait des tribus entières à s'expatrier, ce qui provoquait des affrontements entre immigrés et sédentaires, suivi de l'intervention des troupes parfois le pouvoir prenait parti pour une ou plusieurs tribus pour neutraliser celles qui étaient en situation de le menacer.

L'arbitraire qu'exerçaient les fonctionnaires et le fanatisme des tribus ont joué un rôle déterminant dans la violence réciproque qui trouve son expression dans le " bled siba " (pays en dissidence) qui refusait de payer les impôts et d'effectuer le service militaire, et le " bled makhzen " (pays acquis au pouvoir central). Ces deux entités ont longtemps caractérisé un fait marocain qui résulte d'une politique incohérente. Des commentateurs étrangers en ont déduit une théorie socio-culturelle pour mieux faire admettre le caractère " civilisé " de l'intervention impérialiste.

Les auteurs colonialistes ont ainsi adopté un point de vue obstiné, infléxible qui nie le mouvement. Or les évènements révèlent que les tribus qui ont rejeté les gouvernants locaux ne

1- Abdallah Ibrahim, " Simat al -wad ar- rahin bi al- Maghrib", Casablanca, 1985, p.3, Éditions de l'UNFP.

tardaient pas à reprendre une activité normale dès la disparition des causes de leur rébellion.

Leurs règles internes ordonnaient leur mouvement et leur existence n'était point marquée par l'anarchie décrite par certaines plumes étrangères.(2)

Dans un autre ordre d'idées, des documents font état de l'établissement d'alliances entre tribus berbères et arabes pour faire face au pouvoir central : une autre preuve de la fausseté des affirmations étrangères selon lesquelles les troubles constituent un phénomène exclusivement berbère.

La coupure avec le pouvoir central n'empêchait pas les tribus de maintenir leur reconnaissance de l'autorité religieuse du souverain et la prière continuait à être dite en son nom. En fait, la religion a constamment cimenté l'unité spirituelle des diverses composantes de la société.

Défait dans une bataille au moyen Atlas, le Roi Moulay Slimane fut capturé en 1818 et la tribu victorieuse organisa une division de cavaliers qui conduisirent le monarque dans sa capitale (3). Un tel événement démontre éloquemment que les guerres déclenchées par les tribus étaient défensives et ne revêtaient aucun caractère politique.

Après l'accession du pays à l'indépendance (1956), des intellectuels nationalistes tentèrent de réfuter la thèse colonialiste et résolurent de soumettre les erreurs du passé à la critique dans le but de faciliter la compréhension des problèmes du présent et l'élaboration d'une prospective.

Allal El Fassi écrit : " Au moment où nous faisons notre autocritique, nous nous devons d'abandonner tout orgueil et de rechercher, en vue de les corriger, nos erreurs ... La critique historique fait défaut à la renaissance arabe en général et à la renaissance marocaine en particulier. Faute d'une telle critique, nous ne pourrions bâtir correctement notre avenir ".(4)

Au début des années soixante dix, un groupe d'historiens étrangers qui avaient soutenu la cause nationale marocaine contre le colonialisme s'étaient transformés après l'indépendance en théoriciens du nouvel Etat. Ils prêtèrent leur assistance moyen-

2- Robert Montagne, " les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc - Essai sur la vie politique des Berbères sédentaires ", Groupe Chleuh, Paris 1930.

3- Ahmed ben Khalid Naciri, "Al -Istiqssa", Casablanca, T.VIII, p.114. 1956 - Dar Al kitab.

4- Allal el- Fassi, " An -Naqd ad- Dati", Editions de Dar al- Kachaf,

nant leur nomination dans les cadres de l'enseignement. Ces hommes avaient dénoncé l'historiographie coloniale et avaient ambitionné de parvenir à une connaissance objective. Celle-ci devait mener à une nouvelle histoire à dimension humaine. Mais ils échouèrent, car au même moment ils avaient adopté des pratiques politiques rappelant celles du passé, pratiques qui avaient causé du retard aux plans culturel, social et économique, précipitant ainsi l'occupation du pays.

Ancien professeur de lettres françaises reconverti en historien, Germain Ayache a excellemment décrit les maux de la société française sous la féodalité. En revanche, il a pris la tête d'un courant parmi les fonctionnaires marocains qui servent les objectifs de l'historiographie traditionnelle dans un style moderne et qui occultent leurs intentions en s'élevant vigoureusement contre les étrangers qui, mus par le fanatisme et l'hypocrisie, ont dénaturé l'histoire du Maroc.

Souligner la divergence avec cette " école " ne peut que conduire à relever en les critiquant certaines idées erronées en les comparant à l'analyse d'un historien de l'État marocain. On verra alors clairement où réside la déviation dans le traitement des évènements de l'histoire.

A chaque fois qu'il s'est agi des luttes sanglantes entre les forces du pouvoir central et les populations des tribus, Germain Ayache fait un retour en arrière et ouvre le dossier de la cruauté de Louis XIV (1638 - 1715) contre des milliers de paysans français. Quant à la situation des paysans marocains, il la décrit fort brièvement : " la violence au Maroc constitue un moyen de réaliser un objectif qu'on n'a pu atteindre autrement. "(5) Une telle logique n'est qu'une justification politique de la violence.

Dans un autre paragraphe, il schématise arbitrairement :

" ...Pourquoi ne définir par la violence que le seul État marocain ? "

Réponse non moins arbitraire : " l'appareil répressif de l'État marocain d'autrefois était bien peu de choses comparé à celui des grandes nations européennes... "(6) Ayache s'étend quelque part sur le sujet en cautionnant les moyens de la " harka

Beyrouth 1966, p.278.

5- " Al majalla al -maghribiya li liqtissad walijtimâa ", n? 4,p.246, 1978, Rabat.

6- Germain Ayache, " Etudes d'histoire marocaine ", Rabat, 1979,p.161,SMR.

", la force de frappe du pouvoir central. Il écrit à ce propos : " Que l'on mette en regard le nombre des " harkas " et celui des tribus, et l'on s'apercevra que la plupart de ces dernières n'ont jamais vu, ne serait-ce qu'une fois, les soldats du Sultan. "(7)

Il est de fait que les troupes du Sultan ne vont pas affronter les tribus pauvres, préférant aller vers les tribus disposant d'un sol fertile, d'un cheptel pour mieux les imposer et aussi pour les soumettre au pouvoir central. C'est ce qu'affirme clairement l'historiographe du Royaume : " Le Sultan ne pouvait s'assurer l'autorité sur ses sujets que grâce à la " harka " permanente organisée de bout en bout du Royaume pour châtier les rebelles et mettre en garde les soumis". (8)

Au XIX siècle, le déchirement tribal fut à son comble. Les interventions-terrestres et maritimes des puissances étrangères se multiplièrent et l'armée marocaine subit une humiliante défaite devant l'armée française. Ayache a fait un grand effort pour minimiser les faits et rejeter toute la responsabilité sur l'ennemi extérieur. (9)

L'historiographe du Royaume impute la défaite du Maroc devant l'armée française venue d'Algérie - la bataille d'Isly du 14 Août 1844 - à l'échec d'un pouvoir impuissant : " Le Maroc est alors apparu sous son vrai jour, un État vieilli, écartelé, impuissant, mentalement sous-développé, régi par des systèmes obsolètes. (10)

Le 22 Octobre 1859, l'Espagne déclare la guerre au Maroc. L'armée makhzénienne est mise en déroute. Cette deuxième défaite a gravement ébranlé le moral des gouvernants et des gouvernés car, " en ôtant au Maroc le voile que constituait son prestige, les musulmans furent très affectés. Les protections étrangères foisonnèrent et ce fut là un grave préjudice ". (11)

L'armée espagnole entra à Tétouan le 6 Février 1860 sans que fut tirée contre elle la moindre balle. L'aristocratie sortit même accueillir les conquérants en leur offrant le lait et les dattes, en jouant des tambours en signe de joie. (12)

Quand aux masses déshéritées, elles attaquèrent et détruisirent les domaines des riches et résistèrent à l'occupation à par-

7- Ibid. , p.161.

8- Abdelouahab ben Mansour, " Mouchkilat al- himaya al- Qounssoulia bi al maghrib mine nachatiha ila mou'tamari Madrid 1880, p. 72 Rabat,1977.

9- " Al -majalla... " -op.cit.,p.246.

10- " Mouchkilat... " -op.cit.,p.29

11- " Al- Istiqssa " - op. Cit, p.107.

12- Ahmed R'Houni " oumdat ar-Raouine fi tarikh Tetaouin... ", p.2,

tir des montagnes entourant Sebta et Melilia, occupées. (13)

L'Espagne imposa au Maroc le paiement d'une rançon s'élevant à cent millions de pesetas en échange de l'évacuation de Tétouan. Le gouvernement accepta d'hypothéquer les ports pour s'acquitter de ladite somme. Les fonctionnaires espagnols prélevaient cinquante pour cent des recettes de la douane. Le Roi imposa durement les Marocains, ce qui provoqua leur appauvrissement, mais fut l'occasion pour les receveurs d'impôts de s'enrichir car, ils prélevaient pour leur propre compte dix pour cent des impôts levés et très souvent ils évaluaient à la hausse la valeur des marchandises pour augmenter leurs bénéfices. Il y eut plusieurs soulèvements armés pour protester contre ces mesures. Les opprimés n'avaient plus rien à perdre. Ils répondaient à tout appel à prendre les armes. L'historiographe du Royaume écrit avec étonnement :

" L'historien politique ou le sociologue ne peut qu'être étonné de la rapidité avec laquelle les Marocains acceptent les révoltes et suivent le premier meneur venu.(14)

L'abîme était profond entre le pouvoir et le peuple. Les tribus Aoulad Sid Cheikh se révoltèrent en 1864 pour protester contre le partage de leurs terres, la moitié prise par le pouvoir français établi en Algérie et l'autre revenant au Maroc. Les dissidents se soulevèrent dans diverses régions contre les responsables locaux. G. Ayache n'y voit qu'un médiocre tableau dessiné par les auteurs colonialistes :

" On se complait sans doute dans le tableau de l'anarchie finale en lui donnant d'ailleurs des dimensions d'apocalypse qu'elle n'a jamais atteintes ".(15)

Quant à l'historiographe du Royaume, contemporain de l'auteur des lignes qui précédent, il considère que des causes internes ont engendré cette déchéance. Il décrit la situation du Maroc aux plans administratif et militaire : " sous la houlette d'un régime gouvernemental et administratif pourri et en décomposition, les sujets ne pouvaient qu'être la proie de l'arbitraire et de la tyrannie. C'est l'une des raisons qui poussèrent des Maro-

manuscrit de la Bibliothèque générale de Tétouan. Cet ouvrage comporte des informations sur la compromission des nantis. Voir aussi " Az-zaouia " de cheikh Thami Ouazzani...

13- Les Portugais occupèrent Sebta en 1415 et l'abandonnèrent à l'Espagne en 1506. Mélilia fut occupée en 1497.

14- Abdelwahab Ben Mansour, " A'alam al -Maghrib al -Arabi ", T.I, p.381,Rabat 1979

15- " Etudes d'histoire marocaine " - op.cit,p.11

cains à solliciter les protections étrangères ".(16)

Il cite l'exemple de deux ministres félons qui ont cédé à la France des territoires marocains. Il s'agit de la convention signée le 20 Juillet 1901 à Paris par le ministre des Affaires étrangère du Maroc et d'une autre signée à Agler par le premier Secrétaire du ministère marocain des Affaires étrangères le 20 Avril 1902 : " La conclusion des deux accords eut un effet fâcheux sur les c?urs des Marocains et le trône et le Makhzen du Sulan y succombèrent quelques années plus tard ".(17)

G.Ayache fait état de trois documents pour confirmer les bonnes relations entre l'État et les citoyens et souligner le rôle d'arbitre du Roi dans des conflits tribaux.(18)

L'historiographe du royaume est d'un avis différent :

" Les gouvernants vivaient leur vie et le peuple vivait la sienne. Les informations qui parvenaient au peuple à propos de ses gouvernants ne l'incitaient guère à aimer ceux-ci ou à leur accorder sa confiance. Tout au contraire les faisait détester de lui : leur luxure, leurs orgies, leurs vols, leurs agressions contre l'honneur, leur manière de se vanter de fréquenter les étrangers et aussi leurs trahisons manifestes qui éloignaient les gens d'eux ; leur faisaient perdre tout crédit et avaient pour conséquence le désir ardent de se débarrasser d'eux ".(19)

G.Ayache s'obstine à rejeter toute les responsabilités sur l'ennemi extérieur et " la conquête pour laquelle rivalisèrent au XIX Siècle les puissances européennes désirant occuper le pays ".(20)

L'historiographe du Royaume n'est pas de cet avis : " Le Marocain n'a pas le droit de prétendre que le Maroc et les Marocains furent toujours les victimes des seuls complots étrangèrs et ainsi d'innocenter l'Administration de son pays de toute faille et ses dirigeants de tout arbitraire et de toute trahison ".(21)

Nous avons recouru à ces références multiples et diversifiées en l'absence d'une étude historique exhaustive. Notre but est de lever le voile sur la dénaturation opérée délibérément par des auteurs étangers qui se sont érigés en défenseurs de l'historiographie traditionnelle à la manière du moment. Par esprit pa-

16- " Mouchkilat al-himaya ", op. Cit, P.19.
17- Allusion à la destitution survenue en 1908 du Roi moulay abdelaziz.
18- "Etudes d'histoires marocaine" Op. Cit, P.169.
19- "A'lam..." Op. Cit, T.l. P.395.
20- "Al Bahth fi tarikh al-Maghib", n? 14, p.32, faculté des lettres de Rabat, 1989.
21- "Mouchkilat al-himaya"-Op. Cit, P.34.

triotique pour certains et par souci de conserver des intérêts personnels pour d'autres, des Marocains ont suivi leur exemple.

Les idées énoncées dans les articles de l'historien communiste G.Ayache révélent sa partialité flagrante et son éloignement de la méthode de dialectique historique dont il prétend être un disciple. En revanche, l'historiographe du Royaume a été plus intelligent en mettant le doigt sur la tumeur maligne dont fut atteint le corps de l'Etat à une certaine époque. Selon cet auteur, le Maroc souffrait bel et bien d'un mal intérieur.

De ce qui précède, il suit que certains ont manipulé les faits historiques au prétexte de la " méthodologie scientifique " et ont ainsi tenté de s'opposer à la prise de conscience historique et politique chez les jeunes historiens.

Essayons maintenant de répondre à la question que nous avons posée au début du propos de la réécriture de l'histoire du Maroc.

Il est indéniable que ce qui a été écrit par les auteurs procolonialistes ne leur est pas tombé du ciel mais a été trouvé par eux consigné dans les bibliothèques marocaines. Voici à ce propos le témoignage du Maréchal Lyautey :

" Ne l'oublions pas : nous sommes au pays d'Ibn Khaldoun qui arriva à Fès à l'âge de vingt ans, au pays d'Averroês, et leurs descendants ne sont pas indignes d'eux ".

" On ne sait pas encore assez ce que de vieilles demeures de Fès, de Rabat, de Marrakech abritent d'hommes qui en ont fait des asiles de lecture, de pensée, de recherches ".(22)

Les écrivains étrangers n'ont pas puisé leur matière uniquement dans les ouvrages des historiens traditionnels qui ont fait l'éloge des troupes du Makhzen opposées aux tribus " primitives ". Des voyageurs et des moniteurs militaires furent témoins de bien des événements quand ils accompagnaient l'armée officielle lors de ses mouvements.(23)

Ces écrivains n'ont fait que répertorier les contradictions sociales qu'ils ont expliquées à leur manière en donnant à leurs conclusions vocation d'inspirer les desseins du colonialisme. Ils ont notamment insisté sur une prétendue dualité (arabes-Berbères) : divide ut imperes... leur but fut de diviser éthniquement le peuple pour mieux l'asservir.

22- Pierre Parent, Explusé du Maroc, Imprimerie Régionale, Toulouse, 1955, P. 16.

23- Voir Joaqui Gatell, viajes por Marruecos-El Sur Vad Nun y Tekna (El Kaîd Ismaîl) 1878-1879, sociedad Geografica de Madrid.

Une question, dès lors, se pose : Tous les ouvrages ne contiennent - ils donc rien d'autre que des erreurs et une arrière-pensée destructrice ?

La réponse variera selon la position choisie parmi les trois qui prévalent actuellement en matière d'histoire.

1- La position proposée par G.Ayache : il préconise de ne plus se référer aux documents étrangers et de s'appuyer sur les textes émanant de l'État marocain. Or celui-ci n'est pas neutre. Ne s'agit-il pas d'un pays dont l'histoire foisonne de récits d'affrontements entre pouvoir central et tribus ?

2- Deuxième position : refus des discours traditionalistes et colonialistes, les deux étant à la fois " juges et parties ".

3- Dernière position : relire les documents disponibles de toutes nuances et les soumettre à la critique en vue d'apporter un nouveau point de vue. A cet égard, ne pas négliger ce qui présente un intérêt et ce qui est positif dans les ?uvres étrangères.

" On ne saurait nier le contenu de certains écrits coloniaux ni les pages de notre histoire qu'ils contiennent si l'on tente une approche totale de l'histoire ".(24)

Les tenants de cette position estiment que si les documents étrangers sont soumis à l'investigation " ils peuvent s'avérer d'un intérêt capital pour la recherche concernant certains aspects ou certaines périodes insuffisamment explorés par nos sources traditionnelles".(25)

Étant donné que les auteurs taditionnels n'étaient pas intellectuellement préparés à s'occuper de domaines autres que celui qu'ils ont l'habitude d'appréhender, ce sont les Européens qui se sont penchés sur l'architecture, le mobilier, les costumes, l'art culinaire, la vie bédouine, sans parler de la peinture...(26)

Ce sont les Européens aussi qui ont écrit sur le Maroc antique.

" La reviviscence des patrimoines phénicien, carthaginois, romain et vandale, opérée du temps du colonialisme demeure une règle constante pour l'établissement d'une école purement marocaine en matière d'histoire ancienne ".(27)

Dans l'effort entrepris en vue de résoudre la problématique

24- Brahim Boutaleb, " Al-Baht al-coloniali... ", majallat de la faculté des lettres, N? 14, p. 136, Rabat, 1989.

25- Al-Mansour Mohammed, " Al-Kitaba at-tarikhya bil Maghrib ... ", majallat de la faculté des lettres, Op. Cit, P.27.

26- B. Boutaleb "Al-Baht al-coloniali.." Op, cit, P,136.

27- Ibid, P.136. Voir aussi Albert Ayache, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, p.139, Éditions sociales, Paris 1964.

de la production traditionnelle et coloniale, est apparue l'écriture " nationaliste " qui défend le point de vue de la bourgeoisie qui prit la tête du mouvement politique opposé à la colonisation étrangère.

La reconnaissance le 2 Mars 1956 par la France et le 7 Avril de la même année par l'Espagne de l'indépendance du Maroc fut le résultat des immenses sacrifices des masses conscientes.

Profitant de son rôle dirigeant dans la lutte pour l'indépendance, la bourgeoisie a été parmi les premiers bénéficiaires de la nouvelle situation. Afin de ne pas perdre son crédit auprès du peuple, il lui était nécessaire d'user de tous les moyens, y compris la falsification des réalités historiques, pour camoufler son appétit insatiable pour toutes les richesses.

Aussi, le chercheur se trouve-t-il confronté à un certain nombre de difficultés dans son désir de comprendre l'histoire récente et il ne trouve que des ?uvres sous forme de (mémoires, biographies, etc...) généralement écrites par des dirigeants politiques, des ?uvres qui occultent certains faits et qui privilégient l'autosatisfaction et défendent un esprit partisan.

Les documents concernant la période de lutte politique sont inexistants. Dans la " zone française " les partis nationalistes n'avaient pas pour coutume de rédiger des procès-verbaux de leurs réunions, au demeurant clandestines. Les lettres personnelles et les publications étaient ou saisies par les autorités du protectorat ou détruits par les intéressés qui craignaient les arrestations.(28)

Par contre en " zone espagnole " les partis bénéficiaient d'une certaine liberté d'édition et de réunion. Le parti réformiste national a pris soin de constituer ses archives mais ceux qui les ont prises en main n'ont révélé que ce qui ne pouvait gêner certains parents ou camarades trop compromis avec le régime dictatoriale de Franco.

Il y a quelque années, ont été publiés des extraits de " documents du mouvement national du nord du Maroc ", des documents qui ne présentent qu'un intérêt limité et qui ne contiennent rien qui puisse éclairer utilement sur la période considérée. D'ailleurs, on s'est contenté de publier le tome I de ces " documents ".(29)

28- Les documents du parti de l'Istiqlal furent saisis par la police en 1953 dans la ferme où travaillait l'ingénieur agronome Omar Abdeljalil aux environs de Rabat.

29- Ibn Azzouz Hakim, " Wata iq al-haraka al- watania bi chamali al-maghrib ", T.l, Tetouan, 1980.

La même remarque s'applique à l'échange de lettres entre Abdesalam BENNOUNA le fondateur du mouvement national du Nord et le penseur arabe Chakib ARSALANE. Les thèmes révélés ont trait seulement à la période précédant la création du parti réformiste national.(30)

Jusqu'à présent, les seules références disponibles sont les écrits D'Allal EL FASSI, président du parti de l'Istiqlal, qui recherchait l'appui de l'opinion internationale au mouvement de libération, et les ouvrages écrits peu avant sa disparition en 1978, par Mohammed Hassan OUAZZANI, leader du parti démocrate de l'indépendance qui a évoqué ses divergences avec Allal AL FASSI. Les deux hommes dirigeaient le mouvement nationaliste du Sud depuis les années trente. Ils se séparèrent, chacun voulant diriger le mouvement. En 1937 ils prirent la tête l'un du futur Istiqlal, et l'autre du futur P.D.I. Les deux partis s'affrontèrent à l'aube de l'indépendance avec violence et il y eut des dizaines de victimes.

Dans les écrits des deux leaders, on peut trouver une similitude dans l'orientation générale de la pensée mais beaucoup de différences dans l'analyse des événements, chacun s'efforçant de mettre l'accent sur les avantages de son parti en s'abstenant de toute autocritique.

Leurs disciples les ont suivis dans cette voie. Ils négligent l'étude objective du passé et ne parviennent pas à élever le débat dans un esprit de tolérance.

Au reste, les faits relatifs au combat pour l'indépendance sont toujours oubliés au profit de règlements de comptes personnels ou partisans qui semblent illimités.

L'écrivain Abdelkrim GHALLAB a choisi le style romancé pour dire " l'histoire du mouvement national ". Il a omis de citer ses références. Il a défendu sa manière de voir mais sans apporter la moindre preuve à l'appui de ses dires. Ce qui est contraire à la méthode scientifique moderne.

Dans un de ses ouvrage, il a estimé que ses amis de l'Istiqlal n'avaient commis aucune erreur. Il a exagérément vanté leurs mérites personnels, tout dans leurs vie, selon lui, étant " lumineux ", " positif ", l'aspect négatif " s'achevant avec la mort de l'intéressé ".(31)

Son adversaire politique Ahmed MAANINOU accuse GHALLAB de puiser ses renseignements exclusivement chez

30- Taîb Bennouna, " Nidalouna al-Qawmi... ", Tanger, 1980.
31- Abdelkrim Ghallab, "Al Mahidoun al-Khalidoun" p.8, Rabat 1991.

les caciques de son parti. Il affirme : " Il a dénaturé l'histoire, a attribué des actes à des gens qui ne les ont pas accomplis. Il a occulté les faits pour plaire aux leaders comme si le nationalisme n'appartenait qu'à eux ".(32)

Dans un autre livre, GHALLAB se dit fier de sa classe et écrit que " ceux qui ont pris la charge du mouvement national appartenaient à la bourgeoisie ".(33)

L'historien Mohammed ZNIBER membre de l'U.S.F.P. (L'union socialiste des forces populaires) nie que la bourgeoisie ait assumé le moindre rôle dirigeant. D'après lui ce qu'à dit GHALLAB constitue " une accusation... que les colonialistes utilisaient fréquemment pour stigmatiser le mouvement national ".(34)

Zniber refuse que la bonne mise de la bourgeoisie soit " l'uniforme du mouvement national ".(35) et conteste l'existence de la notion de bourgeoisie en société marocaine. Quand à la disparité des fortunes, elle s'explique selon lui par le fait que chez les Marocains " on estimait que la richesse n'était qu'une chance qui circulait en alternance ".(36)

On voit, à travers ces divers écrits, les ranc?urs personnelles et les rivalités politiques se substituer à la raison et la logique, d'où la difficulté de rencontrer la vérité dans des textes marqués par des arrières-pensées contradictoires.

Les divergences prennent une autre dimension avec GHALLAB qui soutient que ce sont les nationalistes de Fès qui furent les principaux artisans du cahier de revendication présenté en 1934 aux autorités françaises. Une affirmation que repousse son ami Boubker KADIRI qui lui attribue la même action aux intellectuels de Salé. Le conflit régional des deux hommes appartenant au même parti (L'ISTIQLAL) devait s'exacerber.(37)

Ibn Azzouz HAKIM se considère comme un spécialiste du mouvement national du Nord. Il a beaucoup écrit sur l'action du parti réformiste national.

32- Ahmed MAANINOU, Dikrayat wa Moudakirat T.2. P.195, Tanger 1991.

33-Abdelkrim Ghallab, " Tarikh al haraka al-wataniya bi al-Maghrib ", t.l, P. 12, Casablanca, 1976.

34- Mohammed Zniber, " safahat min al-wataniya al-Maghribiya ", Dar an-Nachr,Casablanca, 1990, p.184.

35- Ibid, P.187.

36- Ibid, P. 185.

37- Boubker Kadiri, " Moudakkirati fi al-haraka al-wataniya al-maghribiya ", Casablanca, 1992 p.293.

Ahmed MAANINOU, une notabilité du P.D.I. tient HAKIM pour " le produit de la culture, l'identité et l'école colonialistes espagnoles ".(38) Il récuse le témoignage de cet " agent des renseignements espagnols ".(39) MAANINOU choisi de s'exprimer avec une franchise désarmante. En revanche, il n'hésite pas à prendre la défense de son ami Chemao, un transfuge du mouvement national, passé au service du colonialisme français et qui fut l'objet d'une attaque de la résistance en 1954. Pour MAANINOU, à cet égard " Celui qui couvre un musulman sera couvert par Dieu ici- bas et dans l'autre vie ".(40)

Voilà comment la rectitude cède devant le parti-pris et comment on voile la vérité pour laisser l'histoire marcher sur la tête.

Ce sont là des remarques que nous ont inspiré les mémoires de personnes qui ont participé de près ou de loin au combat politique et dont les ouvrages n'ont fait qu'envelopper de nuages la question historique.

Peut-on rejeter la falsification chez les étrangers et l'admettre chez les nationaux ?

La recherche de la stricte vérité implique de consulter les textes en rapport avec une période déterminée et d'en comparer les conclusions pour tirer les enseignements qui conviennent tout en les soumettant à la critique et l'examen à la lumière de renseignements que l'on peut obtenir d'après d'autres sources écrites ou orales.

C'est la méthode que nous avons utilisée pour cette étude qui couvre la période située entre 1953 et 1973. L'année 1953 a été le point de départ de la résistance armée après un quart de siècle environ d'activités politiques.

Pour sa part l'année 1960 marque la fin de la lutte armée des masses populaires, pour obtenir l'indépendance du pays et son unité territoriale. Obsédés par la sécurité, les autorités nouvelles décrétèrent la dissolution de l'armée de libération alors que celle-ci menait de violents combats contre les colonialistes espagnols et français dans le Sahara marocain.

Cette politique erronée a engendré de graves conséquences qui n'ont vu leur fin qu'en 1973.

Entre les deux dates 1953 et 1960, s'inscrivent sept années de luttes armées au cours desquelles se sont illustrés les héroïques militants du peuple ; quelques honteuses trahisons marquèrent la même époque.

38- " Dikrayat wa... " -Op. Cit, t.6. P.207.
39- Ibid.
40- Ibid, t.2, P.185.

Le présent travail met en relief essentiellement le rôle d'avant-garde des ouvriers, paysans et artisans dans la lutte armée, essayant de bien présenter les faits de résistance et l'action des organisations clandestines.

Il convient de rappeler que la plupart des documents officiels concernant cette période décisive et complexe sont toujours inaccessibles et restent classés dans les archives françaises et espagnoles.

Tout ce qu'ont pu écrire des étrangers sur la résistance marocaine de 1953 à 1960 reste superficiel et est marqué par des vues inspirées par les thèses colonialistes.

Il entre dans cette catégorie l'ouvrage intitulé " le confit franco-marocain - 1943 - 1956 " où il est dit : " l'élite de la résistance était francisée par son passage dans l'armée... (Française) (41). C'est là un jugement hâtif, très éloigné de la réalité de l'élite marocaine comme nous le montrerons plus loin, l'auteur a essayé de minimiser la haine populaire du colonialisme arguant du nombre relativement réduit des attaques ayant visé les français par rapport aux cibles autochtones. Sa vision s'appuie sur des projecteurs extérieures à la réalité marocaine. Il ignore que les soutiens du colonialisme représentaient la base sociale supposée de l'occupation étrangère et que leur liquidation physique équivalait à la destruction de la présence coloniale.

L'auteur des " Partis politiques marocains "(42) a commis un certain nombre d'erreurs en parlant de la résistance. L'auteur de l'ouvrage " Européens et Marocains "(43) est venu pour ne consacrer qu'à peine une dizaine de pages à l'action de la résistance dans un volume de quatre cents pages. Il a essayé également de minorer les pertes subies par l'appareil répressif français. Il a d'autre part cité une statistique des accidents de la circulation prétendant que les victimes recensées sont beaucoup plus nombreuses que celle enregistrées dans les rangs de l'adversaire colonialiste. Il oublie qu'en matière de résistance, le nombre relativement réduit des actions armées est moins important que l'effet psychologique et politique suscité dans l'opinion publique par l'action armée.

41- Stéphane Bernard, le confit franco-marocian 1943 - 1956, Bruxelles, 1963 p. 273 T.3.

42- Rézette Robert, " Les partis politiques marocains ", colin édit, Paris 1955.

43- Ladislav cerych, " Européens et Marocains 1930 -1956, Genève, 1964.

L'auteur de " la justice, patrie de l'homme "(44) a consacré cet ouvrage aux plaidoiries qu'il a présentées devant les tribunaux militaires français en défense des résistants marocains. On y trouve une relation émouvante de la confrontation entre un avocat de la liberté et des juges inféodés au colonialisme. Les déclarations des résistants devant le peloton d'exécution revêtent une grande importance : ils défiaient la mort, chantant l'indépendance et la liberté. Leur conscience était vive et leur courage exemplaire.

Il n'y a à ce jour dans la Bibliothèque marocaine aucun ouvrage marocain d'ensemble sur la résistance urbaine ni sur l'action de l'Armée de libération qui en fut le prolongement. Certains anciens résistants ont publié les récits de leur propre participation à l'action de résistance, non sans évoquer des divergences et lancer des accusations. Ces ouvrages se comptent sur le bout des doigts et leur intérêt est limité.

La même appréciation s'applique aux écrits de politiques qui s'illustrèrent durant les années trente, ces auteurs n'ont consacré que quelques pages à la résistance, au reste empruntées à des auteurs étrangers.

Il convient de mentionner l'ouvrage collectif de professeurs d'histoire, des Marocains et des Français. Cet ouvrage(45) représente un grand effort dans l'étude de l'histoire marocaine depuis le paléolithique et jusqu'au XX siècle. Mais l'ouvrage, lui aussi, a accordé peu de place à la résistance. Les auteurs ont employé le mot " terrorisme " pour désigner la résistance et d'autres termes adoptés choquent.

Il est bien entendu que dans cette introduction il n'a pas été fait allusion aux nombreuses sources, références et documents (ceux-ci parfois inédits relatifs à la période de la résistance) qui ont servi pour l'élaboration de ce travail.

Sont évoqués les règlements de comptes entre diverses organisations de résistance et les " exécutions " opérées la veille de l'indépendance. Ces luttes sanglantes commencées à la fin 1955, n'ont cessé qu'en 1957. Il y avait derrière ces luttes fratricides des forces politiques représentant des intérêts opposés.

44- Jean - Charles Legrand, " justice, patrie de l'homme ", Casablanca, 1960.

45- Jean Brignon Abdelaziz Amime, Brahim Boutaleb et autres. Histoire du Maroc, Hatier, Paris, 1967.

Il est difficile de cerner une période où se rencontrent des actions héroîques et des complots, les premières ayant visé les colonialistes et leurs agents et les seconds ayant coûté la vie à des jeunes marocains parmi les meilleurs.

Ayant été témoin des événements survenus entre 1953 et 1960 pour y avoir participé dans une modeste mesure, j'ai pu contacter les amis que j'avais dans la direction de l'organisation secrète et de l'armée de libération et obtenir ainsi des informations intéressantes sur cette période.

Quand, il y a dix ans, je me penchais sur des documents-témoignages de résistants, je me suis rendu compte de la nécessité de traiter la question de la résistance armée d'une manière comparative et objective. J'ai donc relu les déclarations devant les tribunaux militaires des résistants, les communiqués de la police sur les actes de violence, de destruction et les incendies de récoltes de colons, les appels et proclamations diffusés par la résistance lors de certaines commémorations et les tracts de l'Armée de libération concernant son action dans le Nord et le Sud du pays.

Tous ces documents, je les ai comparés aux déclarations recueillies auprès des résistants. Pour m'assurer de l'authenticité des faits-les versions étant souvent contradictoires- j'ai consulté toutes les parties concernées. C'est une enquête longue et difficile qu'il me fallait mener pour découvrir la vérité.

J'ai, entre 1985 et 1990, interrogé près de cent personnes. Il est apparu dans bien des cas que les divergences sur les événements provenaient de l'oubli chez les uns et de la mauvaise foi chez d'autres, ces derniers s'attribuant faussement des actions pour mieux occulter certaines complaisances peu honorables dont ils se sont rendu coupables après la proclamation de l'indépendance.

Il a été possible, méthodiquement, d'écarter les faux témoignages, et de surmonter ce que peut avoir de fastidieux pour la volonté, les difficultés au cours des étapes de la préparation et de la synthétisation.

Cette étude n'a pas négligé l'aspect religieux de la lutte sociale et politique. D'une façon générale, la société était moins sensible à la pensée et à son exercice méthodique qu'à une certaine mythologie. Les dirigeants n'y ont pas échappé. L'imaginaire des masses a parfois difficilement admis la démarcation entre religion révélée et charlatanisme. Des gens montaient aux terrasses au coucher du soleil voir l'image du Roi exilé Mo-

hamed V sur la lune...

Les croyances fantasmagoriques n'étaient pas étrangères au recul de la conscience lucide. On a donné des explications magiques à des faits de résistance. On a même dit que le résistant après avoir accompli son acte s'est transformé en fantôme grâce à son bonnet qui l'a rendu invisible.

La pensée religieuse fut indiscutablement stimulante pour les opprimés mais des religieux pro-colonialistes n'hésitèrent pas à induire en erreur au profit de l'occupant, au nom de la religion, des citoyens incultes.

Tout opprimé n'est pas nécessairement capable de prendre les armes. Ainsi certains ont-ils brandi l'arme de la dérision contre le colonialisme. Ils créaient des anecdotes qui ridiculisaient l'occupation et ses agents.

Il faut souligner que l'action colonialiste était également fortement teintée de racisme.

Ce travail serait incomplet s'il n'était pas fait mention du soutien à la cause marocaine par de nombreuses personnalités françaises de toutes disciplines et de tendances diverses.

Telles sont les principales composantes de ce travail. On peut dire que les conclusions de la présente étude ne prétendent pas être exhaustives. Il a été surtout tenté de faire droit à la mémoire nationale collective.